

فتح البیان

فی نفسِ القرآنِ

تألیف

الإمام الشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى

الحنفي الخلوقي البروسوي

المتوفى ١١٢٧ هـ

ضبطه وصحّحه وخرّجه آياته

عبد اللطيف حسن عبد الرحمن

المجلد السادس

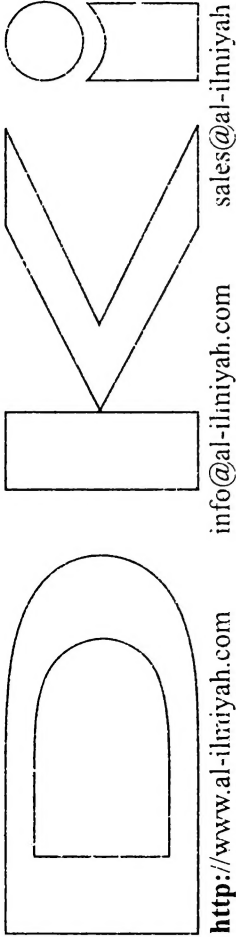
المحتوى:

منه أول سورة الحج - إلى آخر سورة العنكبوت



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah
DKI

أسستها من طاعت بيروت سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban



الكتاب : روح البيان في تفسير القرآن
Title : RŪḤ AL-BAYĀN FĪ TAFSĪR AL-QUR'ĀN
التصنيف : تفسير قرآن
Classification: Exegesis of the Qur'an
المؤلف : الشيخ إسماعيل البروسوي (ت ١١٢٧ هـ)
Author : Al-Shaykh ISmail Al-Burusawi (D. 1127 H.)
المحقق : عبد اللطيف حسن عبد الرحمن
Editor : Abdullatif Hassan Abdulrahman
الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت
Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut
عدد الصفحات (١٠ أجزاء/١٠ مجلدات) 5344
Pages (10Vols./10Parts) 5344
قياس الصفحات 17x24 cm
Size 17x24 cm
سنة الطباعة 2018 A.D. - 1439 H.
Year 2018 A.D. - 1439 H.
بلد الطباعة لبنان
Printed in Lebanon
الطبعة الرابعة (لونان) 4 th (2 Colors)
Edition 4 th (2 Colors)

Exclusive rights by © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon No Part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, or to post it on Internet in any form without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, ou téléchargement sur Internet de quelque manière que se soit faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية أو تحميله على صفحات الإنترنت بأي شكل من الأشكال إلا بموافقة الناشر خطياً.

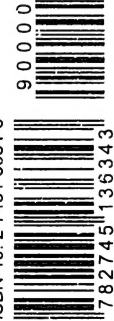
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN-13: 978-2-7451-3634-3
ISBN-10: 2-7451-3634-8



مكية إلا ست آيات من ﴿هذان خصمان﴾ إلى آخر ﴿الحميد﴾
وهي ثمان وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾ أي: احذروا من عقوبة مالك أموركم ومربيكم بطاعته ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ الزلزلة التحريك الشديد بطريق التكرير كما يدل عليه تكرير الحروف لأن زلزل مضاعف زل والساعة عبارة عن القيامة سميت بذلك لسرعة حسابها كما في المفردات.

اختلف العلماء في وقت هذه الزلزلة.

فقال بعضهم: تكون في الدنيا قبيل طلوع الشمس من مغربها فيكون الذهول والوضع الإتيان على حقيقتهما.

وقال بعضهم: تكون يوم القيامة فيحملان على التمثيل والأظهر ما قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن زلزلة الساعة قيامها فيكون معناها أن الزلزلة الواقعة عند قيام الساعة شيء عظيم لا يحيط به الوصف فلا بد من التقوى لتخليص النفس من العذاب.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

﴿يوم ترونها﴾ منتصب بما بعده أي: وقت رؤيتكم تلك الزلزلة ﴿تذهل كل مرضعة عما أرضعت﴾ الذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة والمرضعة المرأة المباشرة للإرضاع بالفعل وبغير التاء هي التي من شأنها الإرضاع لكن لم تلبس الفعل ومثلها حائض وحائضة والتعبير عن الطفل بما دون من لتأكيد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها أنه ماذا أي تغفل مع حيرة عما هي بصدد إرضاعه من طفلها الذي ألقمته ثديها اشتغالا بنفسها وخوفاً: وبالفارسية [غافل شود وفراموش كند از هيبت آن هر شیر دهنده ازان فرزندى كه ويرا شیرمیدهدبا وجود مهربانىء مرضعه بررضيع] أي لو كان مثلها في الدنيا لذهلت المرضعة عما أرضعته لغير فطام وكذا قوله تعالى: ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ أي تلقي وتسقط جنينها لغير تمام من شدة ما غشيها والحمل بالفتح ما كان في البطن أو على رأس الشجر وبالكسر ما كان على الظهر.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى مواد الأشياء فإن لكل شيء مادة هي ملكوته ترضع

رضيعها من الملك وذهولها عنه بهلاك استعدادها للإرضاع وذات حمل هي ما تسمى هيولى فإنها حامل بالصور أي تسقط حمل الصور الشهادية إملاك الهيولى. ﴿وترى الناس﴾ أهل الموقف ﴿سكارى﴾ جمع سكران، أي كأنهم سكارى وأفراد الخطاب هنا بعد جمعه في ترونها لأن الزلزلة يراها الجميع لكونها أمراً مغايراً للناس بخلاف الحالة القائمة بهم من أثر السكر فإن كل أحد لا يرى إلا ما قام بغيره والسكر حالة تعرض بين المرء وعقله وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب وقد يعتري من الغضب والعشق ولذا قال الشاعر:

سكران سكر هوى وسكر مدامة

ومنه سكرات الموت.

قال جعفر رضي الله عنه: أسكرهم ما شاهدوا من بساط العز والجبروت وسرادق الكبرياء حتى ألجأ النبيين إلى أن قالوا نفسي نفسي.

دران روز كز فعل پرسند وقول أولو العزم راتن بلرزد زهول بجابی كه دهشت خورد انبیا توعذر كنه راجه داري بیا ﴿وما هم بسكارى﴾ حقيقة. قال الكاشفي: [زيرا زوال عقل از خوف وحيرت سكر نباشد واکر رأي العين مانند سكر نماید] وفيه إشارة إلى أن الصور الأخروية وإن كانت مثل الصور الدنيوية في ظاهر النظر لكن بين الحقيقتين تخالف ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يشبه شيء مما في الجنة شيئاً مما في الدنيا إلا بالاسم.

واعلم أن السكر من أنواع شتى. فمن شراب الغفلة والعصيان. ومن حب الدنيا وشهواتها. ومن التنعم. ومن لذة العلم ومن الشوق. ومن المحبة. ومن الوصال. ومن المعرفة. ومن المحبة والمحبة كما قال بعضهم:

لي سكرتان وللسندان واحدة شيء خصصت به من بينهم وحدي

﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فغشيه هول وطير عقولهم وسلب تمييزهم وللعذاب نيران نار جهنم ونار القطيعة والفراق ونار الاشتياق ونار الفناء في النار والبقاء بالنار كقوله تعالى: ﴿أَنْ بُولِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨] وكانت استغاثة النبي عليه السلام بقوله: «كلميني يا حميراء» من فوران هذه النار وهيجانها والله اعلم.

قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: لو أمرني الله أن أقسم العذاب بين الخلق ما قسمت للعاشقين عذاباً. قال الحافظ:

هرچند غرق بحر كناهم زصد جهت كراشناي عشق شوم زاهل رحمت

قال بعضهم: نزلت هاتان الآيتان في غزوة بني المصطلق ليلاً فقرأهما رسول الله على أصحابه فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدراً وكانوا بين حزين وباك ومفكر فقال عليه السلام: «أتدرون أي يوم ذلك» فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذلك يوم يقول الله لأدم يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول اخرج بعث النار فيقول من كل كم قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» قال عليه السلام: «فذلك» أي التناول «حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى» أي: من الخوف ﴿وما هم بسكارى﴾ أي من الخمر ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فكبر ذلك على المسلمين فبكوا وقالوا يا رسول الله أينما ذلك فقال:

«أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً ومنكم رجل» ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة» فكبروا وحمدوا الله ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ثلثي نصف أهل الجنة وإن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً ثمانون منها أمتي وما المسلمون إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الحمار بل كالشعرة السوداء في الثور الأبيض وكالشعرة البيضاء في الثور الأسود»، ثم قال: «ويدخل من أمتي سبعون ألفاً الجنة بغير حساب» فقال عمر رضي الله عنه سبعون ألفاً قال: «نعم ومع كل ألف سبعون ألفاً» فقام عكاشة بن محصن رضي الله عنه فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال ﷺ: «أنت منهم فقام رجل من الأنصار فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال عليه السلام: «سبقك بها عكاشة».

قال: بعض أرباب الحقائق وجه كون هذه الأمة ثمانين صفاً أن الله تعالى قال في حقهم: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠] ولما كانت الجنة دار أبيهم آدم فالأقرب إليه من أولاده يحجب الأبعد وأقرب بنيه إليه وأفضلهم على الإطلاق هو محمد ﷺ وأتمته فكان ثلثا الجنة للأصل الأقرب وبقي الثلث للفرد الأبعد وذلك أن الأمة المحمدية أقرب إلى الكمال من سائر الأمم كالذكر أقرب إلى الكمال من الأنثى وللذكر مثل حظ الأنثيين ولهذا السر يكنى آدم في الجنة بأبي محمد ولا شك أنه عليه السلام أبو الأرواح كما أن آدم أبو البشر فالأب الحقيقي يحجب أولاد أولاده فأتمته هم الأولاد الأقربون وسائر الأولاد هم الأبعدون.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ [كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ] ﴿١﴾.

﴿ومن الناس﴾ مبتدأ، أي وبعض الناس وهو النضر بن الحارث وكان جدلاً يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين ولا بعث بعد الموت ﴿من يجادل﴾ الجدل المفاوضة على سبيل المنازعة والمقاتلة وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله كأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه ﴿في الله﴾ أي في شأنه ويقول فيه ما لا خير فيه من الأباطيل حال كون ذلك المجادل ملابساً ﴿بغير علم﴾ [بي دانسي وبي معرفتي وبي برهاني وحجتي].

والآية عامة في كل ذات كافر يجادل الله وصفاته بالجهل وعدم اتباع البرهان.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من يجادل في الله ما له علم بالله ولا معرفة به وإلا لم يجادل فيه ولم يستسئل وإنما يجادل لاتباعه الشيطان كما قال: ﴿ويَتَّبِعُ﴾ في جداله وعامة أحواله ﴿كل شيطان مرید﴾ متجرد للفساد متعر من الخيرات وهم رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم إلى الكفر أو إبليس وجنوده يقال: مرد الشيء إذا جاوز حد مثله وأصله العربي يقال: غلام أمرد وغصن أمرد إذا عري من الشعر والورق.

وروي (أهل الجنة مرد) فقد حمل على ظاهره وقيل إن معناه معزّون عن المقابح والشوائب ﴿كتب عليه﴾ أي قضى على كل شيطان من الجن والإنس كما في «التأويلات النجمية».

قال الكاشفي [نوشته شده است بان ديو درلوح محفوظ] ﴿أنه﴾ أي الشأن ﴿من﴾ [هرکس که] ﴿تولاه﴾ اتخذه ولياً وتبعه ﴿فأنه يضلّه﴾ بالفتح على أنه خبر مبتدأ محذوف أي

فشأن الشيطان أن يضل من توله عن طريق الحق ﴿ويهديه﴾ يدلّه ﴿إلى عذاب السعير﴾ بحمله على مباشرة ما يؤدي إليه من السيئات وإضافة العذاب إلى السعير وهي النار الشديدة الاشتغال ببيان كسجج الاراك .

وعن الحسن أنه اسم من أسماء جهنم .

قال في «التأويلات النجمية»: أما الشيطان الجني فيضله بالوساوس والتسويلات والقاء الشبه وأما الشيطان الإنسي فبإيقاعه في مذاهب أهل الأهواء والبدع والفلاسفة والزنادقة المنكرين للبعث والمستدلين بالبراهين المعقولة بالعقول المشوبة بشوائب الوهم والخيال وظلمة الطبيعة فيستدل بشبههم ويتمسك بعقائدهم حتى يصير من جملتهم وبعد في زميرهم كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] ويهديه بهذه الاستدلالات والشبهات إلى عذاب السعير سفير القطيعة والحرمان انتهى .

واعلم أن الكمال الآدمي في العلوم الحقيقية وهي أربعة :

الأول: معرفة النفس وما يتعلق بها .

والثاني: معرفة الله تعالى وما يتعلق به .

والثالث: معرفة الدنيا وما يتعلق بها .

والرابع: معرفة الآخرة وما يتعلق بها وأهل التقليد دون أهل الاستدلال وهم دون أهل الإيقان وهم أهل العيان ولا بد للسالك أن يجهد في الوصول إلى مرتبة العيان وذلك بتسليك مرشد كامل فإن الاتباع بغيره لا يوصل إلى المنزل . قال المولى الجامي :

خواهي بصوب كعبة تحقيق ره بري بي برپي مقلدكم كرده ره مرو
وعند الوصول إلى مرتبة العيان يلزم غسل الكتب فإنه لا يحتاج إلى الدليل بعد الوصول إلى المدلول وفي «المثنوي» :

چون شدي بربامهاي آسمان سرد باشد جست وجوي نردبان

آينه روشن كه شد صاف وجلي جهل باشد برنهادن صيقللي

پيش سلطان خوش نشسته در قبول زشت باشد جستن نامه ورسول

وعند هذا المقام ينقطع الجدل من الأنام إذ لا جدال بعد العلم الحقيقي ولا اتباع للشيطان الأسود والأبيض بعد حط الرحل في عالم الذات الذي لا يدخله الشيطان وهو مقام آمن من شر الوسواس الخناس .

فعلى العاقل الاجتهاد في الليل والنهار لتزكية النفس وقمع الإنكار فإنه جهاد أكبر إذ النفس من الأعداء الباطنة التي يستصعب الاحتراز عنها .

نفس ازدرون وديو زبيرون زندهم ازمكرين دورهزن پرحيله چون كنم
نسأل الله سبحانه أن يحفظنا من شر الأعداء ويجعلنا تابعين للحق الصريح الذي لا محيد عنه إنه أعظم ما يرجى منه .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تَرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ
مِن مُّضْغَةٍ مُّخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُّخْلَقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَّآ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ
نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِّتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْوَفُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَّآ أَزْدِلِ الْأَعْمُرُ

لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ .

﴿يا أيها الناس﴾ يا أهل مكة المنكرين للبعث ﴿إن كنتم في ريب من البعث﴾ البعث الإخراج من الأرض والتسيير إلى الموقف وجيء بأن مع كثرة المرتابين لاشتمال المقام على ما يقلع الريب من أصله وتصوير أن المقام لا تصلح إلا لمجرد الفرض له كما يفرض المحال إن كنتم في شك من إمكان الإعادة وكونها مقدورة له تعالى أو من وقوعها. ﴿فإننا خلقناكم﴾ ليس جزء للشرط لأن خلقهم مقدم على كونهم مرتابين بل هو علة للجزاء المحذوف أي فانظروا إلى مبدأ خلقكم ليزول ريبكم أي خلقنا كل فرد منكم خلقاً إجمالياً ﴿من تراب﴾ في ضمن خلق آدم منه وفي الحديث: «إن الله جعل الأرض ذلولاً تمشون في مناكبها وخلق بني آدم من تراب ليزلهم بذلك فأبوا إلا نخوة واستكباراً ولن يدخل الجنة من كان في قلبه حبة من خردل من كبر» ﴿ثم﴾ خلقناكم خلقاً تفصيلياً ﴿من نقطة﴾ هي الماء الصافي قل أو كثر ويعبر بها عن ماء الرجل من نطف الماء إذا سال أو من النطف وهو الصب ﴿ثم من علقه﴾ قطعة من الدم جامدة مكونة من المني ﴿ثم من مضغه﴾ أي قطعة من اللحم مكونة من العلق وهي في الأصل مقدار ما يمضغ ﴿مخلقة﴾ بالجر صفة مضغة أي مستبينة الخلق مصورة. ﴿وغير مخلقة﴾ أي: لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أولاً قطعة لم يظهر فيها شيء من الأعضاء ثم ظهر بعد ذلك شيء لكنه آخر غير المخلقة لكونها عدم الملكة كذا في «الإرشاد».

ويؤيده قول حضرة النجم في «التأويلات»: ﴿مخلقة﴾ أي منفوخة فيها الروح و﴿وغير مخلقة﴾ أي صورة لا روح فيها وفي الحديث: «إن أحدم يجمع خلقه» أي: يحرز ويقر مادة خلقه «في بطن أمه» أي: في رحمها من قبيل ذكر الكل وإرادة الجزء «أربعين يوماً» - روي - عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النطفة إذا وقعت في الرحم فأراد الله أن يخلق منها تنشر في بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعرة فتمكث أربعين ليلة ثم تنزل دماً في الرحم فذاك جمعها ﴿ثم تكون علقه مثل ذلك ثم تكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح﴾ وهذا يدل على أن التصوير يكون في الأربعين الثاني لكن المراد تقدير تصويرها لأن التصوير قبل المضغة لا يتحقق عادة «ويؤمر بأربع كلمات» يعني يؤمر الملك بكتابة أربع من القضايا وكل قضية سميت كلمة «بكتب رزقه وأجله» أي: مدة حياته «وعمله وشقي» وهو من وجبت له النار «أو سعيد» وهو من وجبت له الجنة قدم ذكر شقي لأن أكثر الناس كذا ﴿لنبين لكم﴾ أي خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك أمر البعث والنشور فإن من قدر على خلق البشر أولاً من تراب لم يشم رائحة الحياة قط فهو قادر على إعادته.

بعث إنسان كرنشد عيان أول خلقش نكر هذا بيان

هر كه بر ايجاد او قادر بود قدرتش بر بعث او ظاهر شود

أوست خلقي كه از بعد خزان مي كند پيدا بهار بوستان

﴿ونقر في الأرحام ما نشاء﴾ استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم أي ونحن نقر في الأرحام بعد ذلك ما نشاء أن نقره فيها ﴿إلى أجل مسمى﴾ وقت معين هو وقت الوضع

وأدناه ستة أشهر عند الكل وأقصاه سنتان عند أبي حنيفة رحمه الله وأربع سنين عند الشافعي وخمس سنين عند مالك. روي: أن الضحاك بن مزاحم التابعي مكث في بطن أمه سنتين ومالكاً ثلاث سنين كما ذكره السيوطي وأخبر الإمام رحمه الله أن جارة له ولدت ثلاثة أولاد في اثنتي عشرة سنة تحمل أربع سنين وفيه إشارة إلى أن بعض ما في الأرحام لا يشاء الله تعالى إقراره فيها بعد تكامل خلقه فيسقط. ﴿ثم نخرجكم﴾ أي من بطون أمهاتكم بعد إقراركم فيها عند تمام الأجل المسمى حال كونكم. ﴿طفلاً﴾ أطفالاً بحيث لا تقومون لأموالكم من غاية الضعف والأفراد باعتبار كل واحد منهم أو بإرادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد والطفل الولد ما دام ناعماً كما في «المفردات».

وقال المولى الفناري في تفسير الفاتحة حد الطفل من أول ما يولد إلى أن يستهل صارخاً إلى انقضاء ستة أعوام ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ علة لنخرجكم معطوفة على علة أخرى مناسبة لها كأنه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئاً فشيئاً ثم لتبلغوا كما لكم في القوة والعقل والتميز وهو فيما بين الثلاثين والأربعين.

وفي «القاموس»: ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين واحد جاء على بناء الجمع كأنك ولا نظير لهما انتهى.

﴿ومنكم من يتوفى﴾ أي: يقبض روحه ويموت بعد بلوغ الأشد أو قبله والتوفي عبارة عن الموت وتوفاه الله قبض روحه ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ وهو الهرم والخرف والردل والردال المرغوب عنه لرداءته والعمر مدة عمارة البدن بالحياة. ﴿لكيلا يعلم من بعد علم﴾ كثير ﴿شيئاً﴾ أي شيئاً من الأشياء أو شيئاً من العلم وهو مبالغة في انتقاض علمه وانتكاس حاله وإلا فهو يعلم بعض الأشياء كالطفل أي ليعود إلى ما كان عليه أوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما عمله وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وقد سبق بعض ما يتعلق بهذه الآية في سورة النحل عند قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّكُمْ﴾ [النحل: ۷۰] الآية. قال الشيخ سعدى قدس سره.

طرب نوجوان زپیر مجوی	که ذکر ناید آب رفتہ بجوی
زرع راجون رسید وقت درو	نخرامد چنانکه سبزه نو

وقال:

چو دوران عمر از جهل درگذشت	مزن دست و پا کاب از سرگذشت
بسبزی کجا تازه گردد دلم	که سبزی نخواهد دمید از کلم
تفرج کنان در هوا وهوس	گذشتیم بر خاک بسیار کس
کسانی که دیگر بغیت اندرند	بیایند و بر خاک مابگذرند
دریغاکه فصل جوانی گذشت	بلهو ولعب زندگانی گذشت
چه خوش گفت باکودک آموزکار	که کاری نکردیم و شد روزکار

قال النسفي في «كشف الحقائق»: [أي درویش جهل پیش از عمل دوزخست و جهل بعد از علم بهشت است از جهت آنکه جهل پیش از علم سبب حرص و طمعست و جهل بعد از علم سبب رضا و قناعت است].

وفي «عرائس البقلي»: أرذل العمر أيام المجاهدة بعد المشاهدة وأيام الفترة بعد المواصله

لكيلا يعلم بعد علم بما جرى عليه من الأحوال الشريفة والمقامات الرفيعة وهذا غير الحق على المحققين حين أفشوا أسرارهم بالدعاوى الكثيرة أستعيز بالله وأستزيد منه فضله وكرمه ليخلصنا به من فتنة النفس وشرها .

وفي «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى أن أطفال المكونات كانوا في أرحام أمهات العدم متقررين بتقرير الحق إياهم فيها ولكل خارج منها أجل مسمى بالإرادة القديمة والحكمة الأزلية فلا يخرج طفل مكون من رحم العدم إلا بمشيئة الله تعالى وأوان أجله وهذا رد على الفلاسفة يقولون بقدم العالم ويستدلون في ذلك بأنه هل كان الله تعالى في الأزل أسباب الإلهية في إيجاد العالم بالكمال أو لا فإن قلنا لم تكن أثبتنا له نقصاً فلناقص لا يصلح للإلهية وإن قلنا قد كان له أسباب الإلهية بالكمال بلا مانع يلزم إيجاد العالم في الأزل بلا تقدم زماني للصانع على المصنوع بل بتقدم رتبي فنقول في جوابهم إن الآية تدل على أن الله تعالى كان في الأزل ولم يكن معه شيء شاء وكان قادراً على إيجاد ما يشاء كيف شاء ولكن الإرادة الأزلية اقتضت بالحكمة الأزلية أجلاً مسمى بإخراج طفل العالم من رحم العدم وأوان أجله وإن لم يكن قبل وجود العالم وأوان وإنما كان مقدار الأوان في أيام الله التي لم يكن لها صباح ولا مساء كما قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّتِهِمُ اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٥] ويقول: ﴿نُخْرِجْكُمْ﴾ الخ يشير إلى أن كل طفل من أطفال المكونات يخرج من رحم العدم مستعداً للتربية وله كمال يبلغه بالتدرج ومن المكونات ما ينعدم قبل بلوغ كماله ومنها ما يبلغ كماله ثم يتجاوز عن حد الكمال فيؤول إلى ضد الكمال لكيلا يبقى فيه من أوصاف الكمال شيء وذلك معنى قوله: ﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾ .

دفتر دانش من جمله بشوید بمی تاشودازنم فیض ازلی جانم حی
﴿وترى الأرض﴾ یا من شأنه الرؤية وهو حجة أخرى على البعث ﴿هامة﴾ ميتة يابسة
همدت النار إذا صارت رماداً ﴿فإذا﴾ [يس چون] ﴿أنزلنا عليها الماء﴾ أي المطر ﴿اهتزت﴾
تحركت بالنبات والاهتزاز الحركة الواقعة على البهجة والسرور فلا يكاد يقال اهتز فلان لكيت
وكيت إلا إذا كان الأمر من المحاسن والمنافع . ﴿وربت﴾ انتفخت وازدادت من ربا يربو ربا زاد
ونما والفرس ربوا انتفخ من عدو وفزع كما في «القاموس» ﴿وأنبت من كل زوج﴾ صنف ﴿بهيج﴾
البهجة حسن اللون وظهور السرور فيه وابتهج بكذا سروراً بأن أثره في وجهه . والمعنى حسن رائق
يسر ناظره: وبالفارسية [تازه وترونيكو وبهجت افزاي يس قادري كه زمين مرده را بابي زنده سازد
تواناست برآنكه اجزاي موتي را جمع ساخته بهمان حال كه بوده اندباز كرداند .]

آنكه پی دانه نهال افراخت دانه هم شجر تواند ساخت

کرد نابوده را بقدرت بود چه عجب کردهد بپوده وجود

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتُمْ يُحْيِ الْمَوْتِ وَأَنْتُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا
وَأَنَّكَ أَنتَ بَعَثَ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ .

﴿ذلك بأن الله﴾ أي ذلك الصنع البديع وهو خلق الإنسان على أطوار مختلفة وتصريفه في أطوار متباينة وإحياء الأرض بعد موتها حاصل بسبب أنه تعالى: ﴿هو الحق وأنه يحيي الموتى﴾ أي شأنه وعادته وإحيائها وحاصله أنه تعالى قادر على إحيائها بدءاً وإعادة وإلا لما أحيا

النطفة والأرض الميتة مراراً بعد مرار. ﴿وأنه على كل شيء قدير﴾ مبالغ في القدرة وإلا لما أوجد هذه الموجودات. ﴿وأن الساعة﴾ أي: القيامة ﴿آتية﴾ فيما سيأتي لمجازاة المحسن والمسيء ﴿لا ريب فيها﴾ إذ قد وضح دليلها وظهر أمرها وهو خبر ثانٍ ﴿وأن الله يبعث﴾ [برمي انكيزد] أي بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف. ﴿من في القبور﴾ جمع قبر وهو مقر الميت والبعث هو أن ينشر الله الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها وأنكره الفلاسفة بناء على امتناع إعادة المعدوم قلنا إن الله يجمع الأجزاء الأصلية للإنسان وهي الباقية من أول عمره إلى آخره ويعيد روحه إليه سواء سمي ذلك إعادة المعدوم بعينه أم لا، وأما الأجزاء المأكولة فإنما هي فضل في الأكل فليست بأصلية. روي: أن السماء تمطر مطراً يشبه المني فمنه النشأة الآخرة كما أن النشأة الدنيا من نطفة تنزل من بحر الحياة إلى أصلاب الآباء ومنها إلى أرحام الأمهات فيتكون من قطرة الحياة تلك النطفة جسداً في الرحم وقد علمنا أن النشأة الأولى أوجدها الله على غير مثال سبق وركبها في أي صورة شاء وهكذا النشأة الآخرة يوجدها الحق على غير مثال سبق مع كونها محسوسة بلا شك فينشئ الله النشأة الأخرى على عجب الذنب الذي يبقى من هذا النشأة الدنيا وهو أصلها فعليه تركب النشأة الآخرة ثم إن الله تعالى كما يحيي الأرض والموتى بالماء الصوري كذلك القلوب القاسية بالماء المعنوي وهو الاذكار وأنوار الهداية.

فالعاقل يجتهد في تنوير القلب وإحيائه بأنوار الطاعات والاذكار كي يتخلص من ظلمات الشكوك والشرك جلياً كان أو خفياً ولا شك أن الجسد من الروح كالقبر من الميت ينتفع في قبره بدعوات الأحياء كذلك الروح يترقى إلى مقامه العلوي بما حصل من إمداد القوى والأعضاء نسأل الله الحياة الأبدية بفضله وكرمه.

اكر هوشمندي بمعنی کرای که معنی بماندنه صورت بجای

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (٨) ثَانِي عَطْفِهِ لِضِلِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَمْ فِي الدُّنْيَا خَيْرٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩).

﴿ومن الناس من﴾ هو أبو جهل ﴿يجادل في الله﴾ حال كون ذلك المجادل ﴿بغير علم﴾ ضروري أو بديهي فطري ﴿ولا هدى﴾ استدلال ونظر صحيح هاد إلى المعرفة.

قال الكاشفي: [وبادليي كه راه نمايد بمقصد] ﴿ولا كتاب منير﴾ وحي مظهر للحق.

قال الكاشفي: [وبي كتابي روشن كه بدان صواب از خطا ظاهر كردد] أي يجادل في شأنه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعي بل بمحض التقليد والجدال بغير هذه الأمور الثلاثة شهادة على المجادل بإفراطه في الجهل في الله ويستحيل عليه بانهماكه في الغي والضلال. ﴿ثاني عطفه﴾ حال أخرى من فاعل يجادل من ثنى العود إذا حناه وعطفه لأنه ضم أحد طرفيه إلى الآخر وعطف الإنسان بكسر العين جانبه من رأسه إلى وركه أو قدمه.

قال ابن الشيخ العطف بكسر العين الجانب الذي يعطفه الإنسان ويلويه ويميله عند الإعراض عن الشيء وبفتح العين التعطف والبر وثنى العطف وكناية عن التكبر كلي الجيد والشدق.

ففي الجلالين لاوي عنقه تكبرا

وفي «التفسير الفارسي»: [بيچيده، دامن خوداست واين كنايه باشد از تكبر چه متكبر دامن ازهر چيز درمي چيند].

وفي «الإرشاد»: عاطفاً بجانبه وطاوباً كشحه معرضاً متكبراً ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ متعلق بيجادل فإن غرضه الإضلال عنه وإن لم يعترف بأنه إضلال أي ليخرج المؤمنين من الهدى إلى الضلال أو ليثبت الكفرة عليه. ﴿له في الدنيا خزي﴾ الخزي الهوان والفضيحة أي ليثبت في الدنيا بسبب ما فعله خزي وهو ما أصابه يوم بدر من القتل والصغار. ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ الحريق بمعنى المحرق فيجوز أن يكون من إضافة المسبب إلى سببه على أن يكون الحريق عبارة عن النار وأن يكون من إضافة الموصوف إلى صفته والأصل العذاب الحريق.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ﴿١٠﴾.

﴿ذلك﴾ أي يقال له يوم القيامة ذلك الخزي في الدنيا وعذاب الآخرة كائن. ﴿بما قدمت يدك﴾ بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي وإسناده إلى يديه لما أن الاكتساب عادة بالأيدي ويجوز أن يكون الكلام من باب الالتفات لتأكيد الوعيد وتشديد التهديد. ﴿وأن الله ليس بظالم للعبيد﴾ محله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم.

فإن قلت: الظاهر أن يقال ليس بظالم للعبيد ليفيد نفي أصل الظلم ونفي كونه مبالغاً مفرطاً في الظلم لا يفيد نفي أصله.

قلت: المراد نفي أصل الظلم وذكر لفظ المبالغة مبني على كثرة العبيد فالظالم لهم يكون كثير الظلم لإصابة كل منهم ظلماً لأن العبيد دال على الاستغراق فيكون ليس بظالم لهذا ولا ذلك إلى ما لا يحصى وأيضاً أن من عدله تعالى أن يعذب المسيء من العبيد ويحسن إلى المحسن ولا يزيد في العقاب ولا ينقص من الأجر لكن بناء على وعده المحتوم فلو عذب من لا يستحق العذاب لكان قليل الظلم منه كثيراً لاستغنائه عن فعله وتنزيهه عن قبحه وهذا كما يقال زلة العالم كبيرة وفي المرفوع: «يقول الله تعالى: إني حرمت الظلم على نفسي وحرمته على عبادي فلا يظلمون» يقال: من كثر ظلمه واعتدأه قرب هلاكه وفناؤه وشر الناس من ينصر الظلوم ويخذل المظلوم.

وفي الآية إشارة إلى أن العبيد ظلامون لأنفسهم كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨] بأن يضعوا العبادة والطلب في غير موضعه: قال المولى الجامي:

قصد ما ابروي تست از سجده در محرابها كرنباشد نيت خالص چه حاصل از عمل
واعلم أن جدال المناق والمرائي وأهل الأهواء والبدع مذموم وأما من يجادل في معرفة الله ودفع الشبه وبيان الطريق إلى الله تعالى بالعلم بالله وهدى نبيه عليه السلام وشاهد نص كتاب منير يظهر بنوره الحق من الباطل فجدا له محمود.

قال بعضهم: البحث والتفتيش عما جاءت به السنة بعد ما وضع سنده يجر الباحث إلى التعمق والتوغل في الدين فإنه مفتاح الضلال لكثير من الأمة يعني الذين لم يركزوا بأذهان وقادة

وقرائح نقادة وما هلكت الأمم الماضية إلا بطول الجدل وكثرة القيل والقال فالواجب أن يعرض بأضراره على ما ثبت من السنة ويعمل بها ويدعو إليها ويحكم بها ولا يصغي إلى كلام أهل البدعة ولا يميل إليهم ولا إلى سماع كلامهم فإن كل ذلك منهى شرعاً وقد ورد فيه وعيد شديد وقد قالوا الطبع جذاب والمقارنة مؤثرة والأمراض سارية: قال المولى الجامي قدس سره.

بهوش باش كه راه بسي مجرد زد عروس دهر كه مكاره است ومحتاله

بلاف ناخلفان زمانه غره مشو ومروچو سامري ازره ببانك كوساله

في كلام أهل البدعة والأهواء كخوار العجل فكما أن السامري ضل بذلك الخوار وأضل كثيراً من بني إسرائيل فكذا كل من كان في حكمه فإنه يغتر بأوهامه وخيالاته ظناً أنها علوم صحيحة فيدعو أهل الأوهام إليها فيضلهم بخلاف من له علم صحيح وكشف صريح فإنه لا يلتفت إلى كلمات الجهال ولا يميل إلى خارق العادة ألا ترى أن من ثبت على دين موسى لم يصح إلى الخوار وعرف أنه ابتلاء من الله تعالى فويل للمجادل المبطل وويل للسامع إلى كلامه وقد ذم الله تعالى هذا المجادل بالكبر وهو من الصفات العائقة عن قبول الحق ولا شيء فوقه من الذمائم.

وعن أرسطو من تكبر على الناس أحب الناس ذلته.

وعنه: بإصابة المنطق يعظم القدر.

وبالتواضع تكثر المحبة.

وبالحلم تكثر الأنصار.

وبالرفق يستخدم القلوب.

وبالوفاء يدوم الإخاء.

وبالصدق يتم الفضل. نسأل الله التخلي عن الصفات القبيحة الرذيلة والتحلي بالملكات

الحسنة الجميلة.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ

خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾

﴿ومن الناس﴾. روي: أن الآية نزلت في أغارب قدموا المدينة وكان أحدهم إذا صح

بدنه وتجت فرسه مهرية سرياً وولدت امرأته ولدأ وكثر ماله وماشيته قال: ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيراً واطمأن وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شراً وانقلب فقال تعالى وبعض الناس: ﴿من يعبد الله﴾ حال كونه ﴿على حرف﴾ أي على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه فلا ثبات له فيه كالذي ينحرف على طرف الجيش فإن أحس بظفر قر وإلا فرّ فالحرف الطرف والناحية وصف الدين بما هو من صفات الأجسام على سبيل الاستعارة التمثيلية.

قال الراغب: حروف الهجاء أطراف الكلمة الرابطة بعضها ببعض ﴿فإن أصابه﴾ [پس اكر

برسد اورا] ﴿خير﴾ أي دنيوي من الصحة والسعة ﴿اطمأن﴾ في الدين ﴿به﴾ بذلك الخير

والاطمئنان السكون بعد الانزعاج.

قال الكاشفي [آرام كير بدین وثابت شود برآن بسبب آن چیز] انتهى أي ثبت على ما كان

عليه ظاهراً لا باطناً إذ ليس له اطمئنان المؤمنين الراسخين ﴿وإن أصابته فتنة﴾ أي: شيء يفتن

به من مكروهه يعتريه في نفسه أو أهله أو ماله فالمراد بالفتنة ما يستكرهه الطبع ويثقل على النفس وإلا لما صح أن يجعل مقابلاً للخير لأنه أيضاً فتنة وامتحان وإن أصابه شر مع أنه المقابل للخير لأن ما ينفر عنه الطبع ليس شراً في نفسه، بل هو سبب القربة ورفع الدرجة بشرط التسليم والرضى بالقضاء. ﴿انقلب على وجهه﴾ الانقلاب الانصراف والرجوع والوجه بمعنى الجهة والطريقة أي ارتد ورجع إلى الكفر.

قال الكاشفي: [بركرد برروي خود يعني از جهتي كه آمده بدان جهت عودكند مراد آنست كه مرتد كردد واز دين اسلام دست بردارد].

يقول الفقير: قوله في «بحر العلوم»: تحول عن وجهه فانكب فرجع إلى ما كان عليه من الكفر يشير إلى أن على بمعنى عن كما ذهب إليه بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] حيث فسره بالجهة التي أقبل إليها وهي الإسلام ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ فقد هما وضعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد والأظهر أن خسران الدنيا ذهاب أهله حيث أصابته فتنة وخسران الآخرة الحرمان من الثواب حيث ذهب الدين، ودخل النار مع الداخلين كما قال الكاشفي: [زيان كردد دنیا كه بمراد نرسد زیان دارد در آخرت كه عملهاي أونابود شد] ﴿ذلك﴾ [زيان هردو سراي] ﴿هو الخسران المبين﴾ [آنست زیان هویدا چه برهمه عقلاً ظاهر اسن زیان ازان عظیم ترنست].

نه مال ونه أعمال نه دنیا ونه دين لامعه صدق ونه أنوار يقين
درهر دوجهان منفعل وخوار وحزين البته زياني نبود بدتر ازین
قال بعضهم: الخسران في الدنيا ترك الطاعات ولزوم المخالفات والخسران في الآخرة كثرة الخصوم والتبعات.

﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿٧﴾ يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿٨﴾﴾.

﴿يدعو من دون الله﴾ استئناف مبين لعظم الخسران فيكون الضمير راجعاً إلى المرتد المشرك أي يعبد متجاوزاً عبادة الله تعالى: ﴿ما لا يضره﴾ إذا لم يعبدّه ﴿وما لا ينفعه﴾ إن عبده أي جماداً ليس من شأنه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما ﴿ذلك﴾ الدعاء ﴿هو الضلال البعيد﴾ عن الحق والهدى مستعاراً من ضلال من أبعد في التيه ضالاً عن الطريق فطالت وبعدت مسافة ضلاله فإن القرب والبعد من عوارض المسافة الحسية.

﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير﴾ الدعاء بمعنى القول واللام داخله على الجملة الواقعة مقولاً له ومن مبتدأ وخبره مبتدأ ثان خبره أقرب والجملة صلة للمبتدأ الأول وقوله لبئس الخ جواب لقسم مقدر وهو وجوابه خبر للمبتدأ الأول وإيثار من على ما مع كون معبوده جماداً وإيراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالكلية للمبالغة في تقبيح حاله والإمعان في ذمه، أي: يقول ذلك الكافر يوم القيامة بدعاء وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه أثر النفع أصلاً لمن ضره أقرب من نفعه والله لبئس الناصر ولبئس صاحب المعاشر والخليط هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية، فالآية استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه ضالاً بعيداً والظاهر أن

اللام، زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير اللام أي يعبد من ضره بكونه معبوداً لأنه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة أقرب من نفعه الذي يتوقع بعبادته في زعمهم وهو الشفاعة والتوسل إلى الله فأيراد كلمة من وصيغة التفضيل تهكم به والجملة القسمية مستأنفة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ بيان لكمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى أثر بيان سوء حال الكفرة. والجنة الأرض المشتملة على الأشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها والنهر مجرى الماء الفاض فيسناد الجري إلى الأنهار من الإسناد الحكمي كقولهم سال الميزاب إذ الجريان من أوصاف الماء لا من أوصاف النهر ووصف الجنات به دلالة على أنها من جنس ما هو أبهى الأماكن التي يعرفونها لتميل إليها طباعهم كما قال الكاشفي [غايث نزهت باغ وبستان باب روانست] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ أي يفعل البتة كل ما يريده من إثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع.

وفي الآيات إشارات، منها: أن من يعبد الله على طبع وهوى ورؤية عوض وطمع كرامات ومحمدة الخلق ونيل الدنيا فإذا أصابته أمانيه سكن في العبادة وإذا لم يجد شيئاً منها ترك التحلي بتحلية الأولياء فخرانه في الدنيا فقدان القبول والجزاء عند الخلق وافتضاحه عندهم وسقوطه من طريق السنة والعبادة إلى الضلالة والبدعة وخسرانه في الآخرة بقاؤه في الحجاب عن مشاهدة الحق واحتراقه بنيران البعد، وأيضاً أن بعض الطالبين ممن لا صدق له ولا ثبات في الطلب يكون من أهل التمني فيطلب الله في شك فإن أصابه شيء مما يلائم نفسه وهواه، أو فتوح من الغيب أقام على الطلب في الصحة وإن أصابه بلاء أو شدة وضيق في المجاهدات والرياضات وترك الشهوات ومخالفة النفس وملازمة الخدمة ورعاية حق الصحة والتأدب بأداب الصحة والتحمل من الإخوان انقلب على وجه يتبدل الإقرار بالإنكار والاعتراض والتسليم بالآباء والاستكبار والإرادة بالارتداد والصحة بالهجران خسر ما كان عليه من الدنيا وبتركه وخسر الآخرة بارتداده عن الطلب والصحة.

ومن هنا قال الشيخ مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة ذلك هو الخسران المبين فإن من رده صاحب قلب يكون مردود القلوب كلها كما أن من قبله يكون مقبول الكل. قال الحافظ:

كليد كنج سعادت قبول أهل دلست مباد كس كه درين نكته شك وريب كند

شبان وادىء أيمن كهي رسد بمراد كه چندان سال بجان خدمت شعیب كند

يقول الفقير: المسلمون صنفان صنف مشغول بالجهاد الأصغر وصنف مشغول بالجهاد الأكبر فضعفاء الصنف الأول يكونون على طرف الجيش والثاني على طرف الدين فإن كان الأمر على مرادهم أقبلوا وإلا أدبروا وفي ذلك خسارة لهم من جهة الدنيا والآخرة لأنهم يغلبهم الكفار والنفس الأمارة في الدنيا ويفوت عنهم درجات السعداء في الآخرة فلا يظفرون بغنيمة مطلقاً فلا بد من الصبر على المشاق.

وقال الشيخ سعدى في وصف الأولياء.

خوشا وقت شورید کان غمش اکر زخم بینند اکر مرهمش
دماً دم شراب ألم در کشند وکر تلخ بینند دم در کشند
نه تلخست صبری که بریاد اوست که تلخی شکر باشد ازدست دوست

ومنها: أن من يعبد الله يعبد الضار والنافع الذي يصدر منه كل نفع وضرر إما بواسطة الملائكة والإنس والجمادات أو بغير الوسطة وأما من يعبد ما سواه تعالى فيعبد ما لا يضر وما لا ينفع وذلك لأن الملك أو الإنسان أو الشيطان أو شيئاً من المخلوقات من فلك أو كوكب أو غيرها لا يقدر على خير أو شر بنفسه أو نفع أو ضرر بل كل ذلك أسباب مسخرة لا يصدر منها إلا ما سخرت له وجملة ذلك بالإضافة إلى القدرة الأزلية كالقلم بالإضافة إلى الكاتب فلبئس المولى ما عبده وطلبه من دون الله تعالى ولبئس العشير أي ما عاشره وشهواتها.

ومنها: أن من يدخل الجنة من المؤمنين لا يدخل الجنة بمجرد الإيمان التقليدي والأعمال الظاهرية بل يدخله الله بالإيمان الحقيقي الذي كتبه بقلم العناية في قلبه الذي من نتائجه الأعمال الصالحة لوجه الله تعالى.

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدُهُ مَا يَعْتَظُ ۝٥٦﴾

﴿من﴾ شرطية. والمعنى بالفارسية [هركه ازطانين بالله ظن السوء] ﴿كان يظن﴾ يتوهم ﴿أن لن ينصره الله﴾ أي محمداً ﷺ ﴿في الدنيا﴾ بإعلاء دينه وقهر أعدائه ﴿والآخرة﴾ بإعلاء درجته والانتقام من مكذبيه يعني أنه تعالى ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من أعاديته وحساده خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه. ﴿فليمدد بسبب إلى السماء﴾ السبب الذي تصعد به النخل أي ليربط بحبل إلى سقف بيته لأن كل ما علاك فهو سماء ﴿ثم ليقطع﴾. قال في «القاموس»: قطع فلان الحبل اختنق، ومنه قوله تعالى: ﴿ثم ليقطع﴾ أي: ليختنق انتهى وسمي الاختناق قطعاً لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاربه.

قال الكاشفي: [پس ببرد آن رسن را تا بزمین افتد وبمیرد] ﴿فليظن﴾ المراد تقدير النظر وتصوره لأن الأمر بالنظر بعد الاختناق غير معقول أي فليتصور في نفسه وليقدر النظر إن فعل ﴿هل يذهب كيده﴾ فعل ذلك بنفسه وسماه كيداً لأنه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره أو على وجه الاستهزاء لأنه لم يكده محسوده إنما كاد به نفسه. ﴿ما يغيط﴾ الغيط أشد غضب وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه أي ما يغيطه من النصرة كلا يعني أنه لا يقدر على دفع النصرة وإن مات غيظاً كما قال الحافظ:

كرجان بدهد سنك سیه لعل نكردد باطينت أصلي گه كند بد كهر افتاد

وفي الآية إشارة إلى نفي العجز عن الله تعالى وأنه فوق عباده وأنه ينصر أوليائه. روي: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أقبل يهودي بعد وفاة رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد قال أين وصي محمد فأشار القوم إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي فقال أبو بكر سل عما بدا لك فقال اليهودي: أخبرني عما لا يعلم الله وعما ليس لله وعما ليس عند الله فقال أبو بكر هذا كلام الزنادقة وهم هو والمسلمون به فقال ابن عباس رضي الله عنهما ما أنصفتم الرجل إن كان عندكم جوابه وإلا فاذهبوا به إلى من يجيبه

فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي رضي الله عنه: «اللهم أيد قلبه وثبت لسانه» فقام أبو بكر ومن حضره حتى أتوا علياً فأفادوا له ذلك فقال أما ما لا يعلمه الله فذلکم يا معشر اليهود قولکم إن عزيزاً ابن الله والله لا يعلم أن له ولداً وأما ما ليس لله فليس له شريك وأما ما ليس عند الله فليس عند الله ظلم وعجز فقال اليهودي أشهد أن لا إله إلا الله وإنك وصي رسول الله ففرح المسلمون بذلك.

واعلم أن الكفار أرادوا أن يطفثوا نور الله فأطفأهم الله حيث نصر حبيبه وأنجز وعده وهزم الأحزاب وحده وأما تشديد المحنة في بعض الأحيان وتأخير النصرة فلحكم ومصالح فعلى العبد الصالح الراضي بالله تعالى رباً أن يصبر على أذى الأعداء وحسدكم فإن الحق يعلو ولا يعلو وسيرجع الأمر من المحنة إلى الراحة فيكون أهل الإيمان والإخلاص مستريحين ومن الراحة إلى المحنة فيكون أهل الشرك والنفاق مستراحاً منهم والله تعالى يفعل ما يريد.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ أَلَيْسَ لِي بِآيَاتٍ يَتَذَكَّرُ وَأَنْ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالْمُتَصِّرِي وَالْمُجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝﴾

﴿وكذلك﴾ أي مثل ذلك الانزال البديع المنطوي على الحكم البالغة. ﴿أنزلناه﴾ أي القرآن الكريم كله حال كونه ﴿آيات بينات﴾ واضحات الدلالة على معانيها اللطيفة. ﴿وأن الله يهدي من يريد﴾ محل الجملة الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي والأمر أن الله تعالى يهدي بالقرآن ابتداءً أو ثبت على الهدى أو يزيد فيه من يريد هدايته أو تثبيته أو زيادته وفي الحديث: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين»: أي يرفع بالقرآن درجة أقوام وهم من آمن به وعمل بمقتضاه ويحط به أقواماً آخرين وهم من أعرض عنه ولم يحفظ وصاياه وكان نظر الصحابة رضي الله عنهم وشغلهم في الأحوال والأعمال ولذا كانوا يتعلمون عشر آيات لا يجاوزونها إلى غيرها حتى يعملوا بما فيها.

قال في «الأحياء»: مات النبي عليه السلام عن عشرين ألفاً من الصحابة ولم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف منهم في اثنين فكان أكثرهم يحفظ السورة أو السورتين وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم فالاشتغال بعلم القرآن والعمل بمقتضاه من علامات الهداية ولا بد من الاجتهاد آناء الليل وأطراف النهار إلى أن يحصل المقصود فإن من أراد أن يصل إلى ماء الحياة يقطع الظلمات بلا فتور وجمود والملال من العلم واستماعه سبب الانقطاع عن طريق التحقيق وأثر الحرمان من العناية والتوفيق.

دل از شنیدن قرآن بکیردت همه وقت چو باطلان زکلام حقت ملولي چيست

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستر ببعض من العري وقارىء يقرأ علينا إذ جاء رسول الله ﷺ فقام علينا فلما قام رسول الله سكت القارىء فسلم ثم قال: «ما كنتم تصنعون؟» قلنا كنا نستمع إلى كتاب الله فقال: «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم» قال: فجلس وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده: هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم له فقال: «أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم» وذلك

خمس مائة سنة وذلك لأن الأغنياء يوقفون في العرصات ويسألون من أين جمعوا المال وفيهم صرفوه ولم يكن للفقراء مال حتى يوقفوا ويسألوا عنه ويعني رسول الله بالفقراء الفقراء الصابرين الصالحين وبالأغنياء الأغنياء الشاكرين المؤدين حقوق أموالهم هذا ثم إن كون القرآن مشتملاً على متشابهات وغوامض لا ينافي كون آياته بينات لأنه ليس فيه ما لا يعلم معناه لكن العلماء يتفاوتون في طبقات المعرفة هداً الله وإياكم إلى ما هدى العلماء الراسخين إليه وشرفنا في كل غامض بالاطلاع عليه. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بكل ما يجب أن يؤمن به ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ دخلوا في اليهودية.

قال الراغب: اليهود الرجوع برفق وصار في التعارف التوبة قال تعالى: ﴿إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي: تبنا إليك.

قال بعضهم: اليهود في الأصل هو من قولهم هدنا إليك وكان اسم مدح ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازماً لهم وإن لم يكن فيه معنى المدح كما أن النصارى في الأصل من قوله: ﴿مَنْ أَفْكَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] ثم صار لازماً لهم بعد نسخ شريعتهم. ﴿وَالصَّابِثِينَ﴾ أي: الذين صبوا عن الأديان كلها أي خرجوا واختاروا عبادة الملائكة والكواكب من صبا الرجل عن دينه إذا خرج عنه إلى دين آخر، قال الراغب: الصابثون قوم كانوا على دين نوح وقيل لكل خارج من الدين إلى دين آخر صابئ من قولهم: صبا ناب البعير إذا طلع. ﴿وَالنَّصَارَى﴾ جمع نصران ونصرانة مثل الندامى جمع ندمان وندمانه ويستعمل بغير الياء فيقال: رجل نصران وامرأة نصرانة ﴿وَالْمَجُوسَ﴾.

قال في «القاموس»: مجوس كصبور رجل صغير الأذنين وضع ديناً ودعا إليه معرب «منج كوش» ورجل مجوسي جمعه مجوس كيهودي ويهود وهم عبدة النار وليسوا من أهل الكتاب ولذا لا تنكح نسائهم ولا تؤكل ذبائحهم وإنما أخذت الجزية منهم لأنهم من العجم لا لأنهم من أهل الكتاب. ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ يعني: عبدة الأوثان ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ في حيز الرفع على أنه خبر لأن السابقة أي يقضي بين المؤمنين وبين الفرق الخمس المتفقة على ملة الكفر بإظهار المحق من المبطل بإثابة الأول وعقاب الثاني بحسب الاستحقاق يعني أن الله تعالى يعامل كل صنف منهم يوم القيامة على حسب استحقاقه إما بالنعيم وإما بالجحيم وبالوصال أو بالفراق وعلم من الآية أن الأديان ستة واحد للرحمن وهو دين المؤمنين هو الإسلام كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] وخمسة للشيطان وهي ما عدا الإسلام لأنها مما دعا إليها الشيطان وزينها في أعين الكفرة. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [كواه] وازهمه حال آكاه.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: الشهيد يرجع معناه إلى العلم مع خصوص إضافة فإنه تعالى عالم الغيب والشهادة والغيب عبارة عما بطن والشهادة عما ظهر وهو الذي يشاهد فإذا اعتبر العلم المطلق فهو العليم مطلقاً وإذا أضيف إلى الغيب والأمور الباطنية فهو الخبير وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد وقد يعتبر مع هذا أن يشهد على الخلق يوم القيامة بما علم وشاهد منهم.

وفي الآية وعيد وتهديد فعلى العاقل أن يذكر يوم الفصل والقضا ويجتهد في الأعمال التي يحصل بها الرضى. قال الشيخ سعدى قدس سره.

قيامت که نیکان باعلی رسند ترا خود بماند سرازننک پیش برادر زکار بدان شرم دار بناز و طرب نفس پرورده کیر یکی بچه کړک می برورید بهشت اوستانند که طاعت برد پی نیک مردان ببايد شتافت وليکن تودنبال دیو خسي پمیر کسی را شفاعت کرسست ره راست باید نه بالاي راست

زقعر ثرا باثريا رسند که کردت بر آید عملهاي خویش که درروي نیکان شوي شرمار بايام دشمن قوي کرده کیر چوپر ورده شد خواجه رابردريد کرا نقد باشد بضاعت برد که هرکو سعادت طلب کردیافت ندانم که در صالحان کي رسي که بر جاده شرع پیغمبرست که کافرهم ازروي صورت جوماست

واعلم أن الإيمان والكفر أوصاف القلب وللقلب بابان علوي وسفلي فالعلوي يتصل إلى الروح والسفلي إلى النفس فإذا انسد الباب السفلي بالمخالفة إلى النفس يفتح الباب العلوي فتنصب المعارف الإلهية من الروح إلى القلب فيكون القلب منوراً بأنوار المعرفة ويتخلص من الحجب النفسانية، وإذا انسد الباب العلوي بسبب الاتباع إلى النفس يفتح الباب السفلي فتظهر في القلب الوسوس الشيطانية وكل بدعة وهوى والدين الباطل إنما يحصل من النفس والشيطان فمن اتبع هوى النفس ووسوس الشيطان ضل عن طريق الحق والدين المبين واتخذ إلهه هواه فإن الله تعالى يفصل بينه وبين المهتدي، فإنه كما أن الإيمان والكفر لا يجتمعان في قلب فكذا أهلهما لا يجتمعون في دار والبرزخ الفاصل بينهم وإن كان موجوداً الآن على ما عرفه أهل المعرفة لكنه معنوي فإذا كان يوم القيامة يصير صورياً حسيّاً.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿٨﴾

﴿الم تر﴾ ألم تعلم یا من من شأنه العلم. ﴿أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض﴾ أي: ينقاد لتدبيره ومشیتته الملائكة والجن والإنس مطيعاً أو عاصياً وذلك لأن السجود إما سجود باختيار وهو للإنسان وبه يستحق الثواب وإما سجود تسخير وهو للإنسان والحيوان والنبات شبه الانقياد بأكمل أفعال المكلف في باب الطاعة وهو السجود إيداناً بكمال التسخير والتذلل وإنما حمل على المعنى المجازي إذ ليس في كفره الإنسان ومردة الجن والشیاطین وسائر الحيوانات والجمادات سجود طاعة وعبادة وهو وضع الجبهة على الأرض خصوصاً لله تعالى. ﴿والشمس والقمر والنجوم﴾ بالسير والطلوع والغروب لمنافع العباد ﴿والجبال﴾ بإجراء الينابيع وإنبات المعادن. ﴿والشجر﴾ بالظل وحمل الثمار ونحوها ﴿والدواب﴾ [چهار پایان] أي: بعجائب التركيب ونحوها فكل شيء ينقاد له سبحانه على ما خلقه وعلى ما رزقه وعلى ما أصحه وعلى ما أسقمه فالبر والفاجر والمؤمن والكافر في هذا سواء ﴿وكثیر من الناس﴾ أي: ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة فهو مرتفع بمحذوف لا بالمذكور وإلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز.

قال في «التأويلات»: أهل العرفان يسجدون سجود عبادة بالإرادة والجماد وما لا يعقل ومن لا يدين يسجدون سجود خضوع للحاجة.
قال الكاشفي: [همه ذرات عالم مرخدايرا خاضع وخاشعند بدالات حال كه افصح است ازدالات مقال].

درنكر تابيني ازعين شهود جملة ذرات جهانرا در سجود
﴿وكثير﴾ من الناس ﴿حق﴾ ثبت ﴿عليه العذاب﴾ بسبب كفره وإبائه عن الطاعة.
قال الكاشفي: [اين سجدة ششم است باتفاق علما از سجدهات قرآن. در فتوحات اين را سجدة مشاهد واعتبار گفته اندكه از همه اشياغير آدميانرا تبغيض نكرد پس بنده بايدكه مبادرت نمايد بسجدة تا از كثير اول باشد كه از اهل سجده واقترايندنه از كثير ثاني مستحق عذاب وعقابند].

ذوق سجده وطاعتي پيش خدا خوشتر باشد ز صدد دولت ترا
يقول الفقير: الكثير الأول كثير في نفسه قليل بالنسبة إلى الكثير الثاني إذ أهل الجمال أقل من أهل الجلال هو الواحد من الألف وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن الواحد على الحق هو السواد الأعظم وعن بعضهم: قليل إذا عدوا كثير إذا شدوا أي أظهروا الشدة. ﴿ومن﴾ [وهر كرا] ﴿يهن الله﴾ يهينه الله: بالفارسية [خوار كرداند] بأن كتب عليه الشقاوة في الأزل حسبما علمه من صرف اختياره إلى الشر ﴿فما له من مكرم﴾ يكرمه بالسعادة إلى الأبد ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾ من الإكرام والإهانة من الأزل إلى الأبد.

قال الإمام النيسابوري رحمه الله في «كشف الأسرار»: جعل الله الكفار أكثر من المؤمنين ليربهم أنه مستغن عن طاعتهم كما قال: (خلقت الخلق ليربحوا علي لا لأربح عليهم) وقيل ليظهر عز المؤمنين فيما بين ذلك لأن الأشياء تعرف بأضدادها والشيء إذا قل وجوده عز ألا ترى أن المعدن لعزته صار مظهراً للاسم العزيز وقيل: ليرى الحبيب قدرته بحفظه بين أعدائه الكثيرة كما حفظ رسول الله ﷺ وهو واحد وأهل الأرض أعداد كله ليتبين أن النصر من عند الله والقليل يغلب الكثير يعونه وعنايته ومن أكرمه بالغلبة لا يهان بالخذلان البتة.

فإن قيل: إن رحمته سبقت وغلبت غضبه فيقتضي الأمر أن يكون أهل الرحمة أكثر من أهل الغضب وأهل الغضب تسع وتسعون من كل ألف واحد يؤخذ للجنة كما ورد في الصحيح، وورد: (أهل الرحمة كشرة بيضاء في جلد الثور الأسود).

قلنا هذه الكثرة بالنسبة إلى بني آدم وأما أهل الرحمة بالنسبة إليهم وإلى الملائكة والحوار والغلمان فأكثر من أهل الغضب والتحقيق أن المقصود من النشآت كلها ظهور الإنسان الكامل وهو واحد كالألف فالناس عشرة أجزاء فتسعة الأعشار كفار والواحد مؤمنون ثم المؤمنون عشرة فتسعة عصاة وواحد مطيعون ثم المطيعون عشرة فتسعة أهل الزهد وواحد أهل العشق ثم أهل العشق عشرة فتسعة أهل البرزخ والفرقة وواحد أهل المنزل والوصلة فهو أعز من الكبريت الأحمر والمسك الأذفر وهو الذي أكرمه الله بكرامة لم يكرم بها أحداً من العالمين فلو أن أهل العالم اجتمعوا على إهانته ما قدروا إذ له العز الحقيقي لأنه أذل نفسه بالفناء في الله وهو مقام السجود الحقيقي فأعزه الله ورفعاه ألا ترى إلى قوله: «من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة» أي من أغضب وآذى وأهان واحداً من أوليائي فقد ظهر وخرج بالمحاربة لي والله ينصر أوليائه

فيكون المبارز مقهوراً مهاناً بحيث لا يوجد له ناصر ومكرم.

أهل حق هرگز نمی باشد مهان أهل باطل خوار باشد درجهان
﴿هَٰذَا خِصْمَانِ اتَّخَصَّمُوا فِي رَيْبٍ مِّنَ الْأَلْدِينِ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ ﴿١٨﴾

﴿هذان﴾ أي: فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم إلى الفرق الخمس ﴿خصمان﴾ أي: فريقان مختصمان. ﴿اتخصموا﴾ [جنگ کردند وجدل نمودند] ﴿في ربهم﴾ في شأنه أو في دينه أو في ذاته وصفاته والكل من شؤونه فإن اعتقاد كل من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء أقواله وأفعاله عليه خصوصاً للفريق الآخر وإن لم يجر بينهما التحاور والخصام.

أهل دين حق وأنواع ملل مختصم شد بی زبان اندر علل
﴿فالذين كفروا﴾ تفصيل لما أجمل في قوله يفصل بينهم يوم القيامة ﴿قطعت لهم﴾ التقطيع [پاره پاره کردن] والمراد هنا قدرت على مقادير جثتهم ﴿نياب من نار﴾ أي نيران هائلة تحيط بهم إحاطة الثياب بلباسها ﴿يصب﴾ [ریخته میشود] صب الماء إراقة من أعلى ﴿من فوق رؤوسهم الحميم﴾ أي الماء الحار الذي انتهت حرارته لو قطرت قطرة منه على جبال الدنيا لأذابتها.

قال الراغب: الحميم الماء الشديد الحرارة وسمي العرق حميماً على التشبيه واستحم الفرس عرق وسمي الحمام إما لأنه يعرق وإما لما فيه من الماء الحار والحمى سميت بذلك إما لما فيها من الحرارة المفرطة وإما لما يعرض فيها من الحميم أي العرق وإما لكونها من إمارات الحمام أي: الموت.

﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقْلَعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَيْرٍ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ﴿٢٢﴾ .

﴿يصهر به﴾ [کداخته شود] أي يذاب بذلك الحميم من فرط الحرارة يقال صهرت الشيء فانصهر أي أذنبته فذاب فهو صهير والصحير إذابة الشيء والصحارة ما ذاب منه. ﴿ما في بطونهم﴾ من الأمعاء والأحشاء. ﴿والجلود﴾ تشوى جلودهم فتتساقط عطف على ما وتأخيره عنه لمراعاة الفواصل أي إذا صب الحميم على رؤوسهم يؤثر من فرط حرارته في باطنهم نحو تأثيره في ظاهريهم فيذاب به أحشائهم كما يذاب به جلودهم ثم يعاد كما كان. ﴿ولهم﴾ للكفرة أي لتعذيبهم وجلدهم ﴿مقامع من حديد﴾ [کرزها باشد دردست زبانية از آهن] جمع مقمعة وهي آلة القمع.

قال في «بحر العلوم»: سباط منه يجلدون بها وحقيقتها ما يقمع به أي يكف بعنف وفي الحديث (لو وضعت مقمعة منها في الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها منها) أي رفعوها ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها﴾ أي أشرفوا على الخروج من النار ودنوا منه حسبما يروى أنها تضربهم بلهبها فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهوا فيها سبعين خريفاً وهو من ذكر البعض وإرادة الكل إذ الخريف آخر الفصول الأربعة. ﴿من غم﴾ أي: غم شديد من غمومها يصيبهم وهو بدل اشتغال من الهاء. ﴿أعيدوا فيها﴾ أي في قعرها بأن ردوا من أعلاها

إلى أسفلها من غير أن يخرجوا منها.

قال الكاشفي: [بازکردانیده شوندبدان کرزها دردوزخ یعنی چون بکنازة دوزخ رسیده بخروج نزدیک شوندزبانیه کرزبرسر ایشان میزند وبازمی کرداند لدركات]. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ: ذُوقُوا﴾ [بچشید] ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [عذاب آتش سوزنده] أو العذاب المحرق كما سبق والعدول إلى صيغة الفعيل للمبالغة.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أرباب النفس بانقطاعهم عن الله ودينه واتباعهم الهوى وطلب الشهوات الدنيوية ومن أصحاب الروح بإعراضهم عن الله ورد دعوة الأنبياء. ﴿قَطَعْتَ لَهُمْ ثِيَابَ مِنْ نَارٍ﴾ بتقطيع خياط القضاء على قذهم وهي ثياب نسجت من سدى مخالفات الشرع. ولحمة موافقات الطبع. ﴿يَصُبُّ مِنْ فَوْقَ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمَ﴾ حميم الشهوات النفسانية يذاب ويخرج ما في قلوبهم من الأخلاق الحميدة الروحانية. ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ أي الأخلاق الذميمة واستيلاء الحرص والأمل وقيل لهم ذوقوا عذاب ما أحرقت منكم نار الشهوات من الاستعدادات الحسنة انتهى.

إن قيل: نار جهنم خير أم شر.

قلنا: ليست هي بخير ولا بشر، بل عذاب وحكمة.

وقيل: خير من وجه كنار نمرود شر في أعينهم وبرد وسلام على إبراهيم وكالسوط في يد الحاكم خير للطاغي وشر للمطيع فالنار خير ورحمة على مالك وجنوده وشر على من دخل فيها من الكفار.

وأيضاً خير لعصاة المؤمنين حيث تخلص جواهر نفوسهم من ألوات المعاصي وشر لغيرهم كالطاعون رحمة للمؤمنين ورجز للكافرين والوجود خير محض عند العارفين والعدم شر محض عند المحققين لأن الوجود أثر صنع الحكيم كما قال: ﴿مَا خَلَقْتُ هَذَا بَطْلاً سُبْحَنَكَ﴾ [آل عمران: ١٩١] فالشروع بالنسبة إلى الأعيان الكونية لا بالنسبة إلى أفعال الله والله في ملكه أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فالنار مظهر الجلال فمن جهة مظهريتها خير محض، ومن جهة تعلقها ببعض الأعيان شر محض وقد خلق الله النار ليعلم الخلق قدر جلال الله وكبريائه ويكونوا على هيبة وخوف منه ويؤدب بها من لم يتأدب بتأديب الرسل ولهذا الشر علق النبي ﷺ السوط حيث يراه أهل البيت لثلا يتركوا الأدب. وروي: أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: ما خلقت النار بخلأ مني ولكن اكره أن أجمع أعدائي وأوليائي في دار واحدة.

وقيل: خلق النار لغلبة الشفقة كرجل يضيف الناس ويقول من جاء إلى ضيافتي أكرمته ومن لم يجيء ليس عليه شيء ويقول مضيف آخر: من جاء إليّ أكرمته ومن لم يجيء ضربته وحبسته ليتبين غاية كرمه وهو أكمل وأتم من الكرم الأول والله تعالى دعا الخلق إلى دعوته بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥] ثم دفع السيف إلى رسوله فقال: من لم يحب ضيافتي فاقتله فعلى العاقل أن يجيب إلى دعوة الله ويمتثل لأمره حتى يأمن من قهره، قال الشيخ سدي قدس سره:

هنوزت اجل دست هوشت نبست	بر آور بدرگاه داور دودست
توپیش از عقوبت درغفو كوب	که سودی ندارد فغان زیرچوب
چنان شرم دار از خداوند خویش	که شرم ز همسایگانست وخویش

بترس از کناهان خویش این نفس که روز قیامت نترسی زکس
بران خورد سعدي که بیخي نشاند کسی برد خرمن که تخمی فشاند
﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا لِي صِرَاطَ الْحَمِيدِ ﴿٣٤﴾﴾ .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [وکردند عملهای شایسته] ﴿جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الأربعة ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ من حليت المرأة إذا ألبست الحلي وهو ما يتحلى به من ذهب أو فضة، أي تحليهم الملائكة بأمره وتزينهم. بالفارسية [آراسته کردانند وپیرایه بندند ایشانرا دربهشت] ﴿من أساور﴾ أي بعض أساور وهي جمع أسورة جمع سوار. بالفارسية [دستوانه]. ﴿من ذهب﴾ بيان للأساور. ﴿ولؤلؤاً﴾ عطف على محل من أساور وقرء بالجر عطفاً على ذهب على أن الأساور مرصعة بالذهب واللؤلؤ أو على أنهم يسورون بالجنسين إما على المعاقبة وإما على الجمع كما تجمع نساء الدنيا بين أنواع الحلي، وما أحسن المعصم إذا كان فيه سواران سوار من ذهب أحمر قان وسوار من لؤلؤ أبيض يقق وقيل: عطف على أساور لا على ذهب لأن السوار لا يكون من اللؤلؤ في العادة وهو غلط لما فيه من قياس عالم الملك بعالم الملكوت وهو خطأ لقوله: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» وينصره قول سعيد بن جبیر يحلى كل واحد منهم ثلاثة أساور واحد من ذهب وواحد من فضة وواحد من اللؤلؤ واليوافق.

قال ابن الشيخ وظاهر أن السوار قد تتخذ من اللؤلؤ وحده بنظم بعضه إلى بعض غاية ما في الباب أن لا يكون معهوداً في الزمان الأول أي فيكون تشويقاً لهم بما لم يعرفوه في الدنيا ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ يعني أنهم يلبسون في الجنة ثياب الإبريسم وهو الذي حرم لبسه في الدنيا على الرجال على ما روى أبو سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» فإن دخل الجنة لبس أهل الجنة ولم يلبسه هو ولذلك قال أبو حنيفة رحمه الله: لا يحل لرجل أن يلبس حريراً إلا قدر أربع أصابع لما روي أنه عليه السلام لبس جبة مكفوفة بالحرير ولم يفرق بين حالة الحرب وغيره وقال أبو يوسف ومحمد: يحل في الحرب ضرورة.

قلنا الضرورة تندفع بما لحمته إبريسم وسداه غيره وعكسه في الحرب فقط كما في «بحر العلوم».

قال الإمام الدميري في «حياة الحيوان»: ويجوز لبس الثوب الحرير لدفع القمل لأنه لا يقمل بالخاصية والأصح أن الرخصة لا تختص بالسفر كما في «أنوار المشارق».

﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ [راه نموده شده اند مؤمنان به پاکیزه از قول یعنی بسخنهای پاک راه نمایند ایشانرا در آخرت وآن چنان باشدکه چون نظرایشان بر بهشت افتد کويند] «الحمد لله الذي هدانا لهذا» وچون ببهشت درآيند بزبان رانند که «الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن» وچون درمنارل خود قرار کيرند کويند «الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض» الآية وأكثر مفسران برانند که ایشان راه يافته اند بقول طيب در دنيا که کلمة طيبة «لا إله إلا الله ومحمد رسول الله» است [كما قال في «التأويلات النجمية» هو الإخلاص في قول لا إله إلا الله والعمل به .

وقال في «حقائق البقلي»: هو الذكر أو الأمر بالمعروف أو نصيحة المسلمين أو دعاء المؤمنين وارشاد السالكين.

قال الكاشفي: [حضرت الهي دركشف الاسرار فرموده كه كلام پاكيزه آنست كه ازدعوى پاك باشد وازعجب دوروبنياز نزديك. سهل تستري رحمه الله فرموده كه درين كلام نظر كردم هيچ راه بحق نزديكتر ازنياز نديدم و هيچ عجائب صعبتر ازدعوى نيافتم.

ايمن آبادست اين راه نياز ترك نازش كيروبا اين ره بساز روبرك دعوى دعوت بكو راه حق ازكبرو از نخوت مجو ﴿وهدهوا إلى صراط الحميد﴾ أي المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة آخر بيان الهداية لرعاية الفواصل.

وقال الكاشفي [وراه یافته شده اند اهل ایمان براه خداوند ستوده كه دين اسلامست] أي فيكون المعنى دين الله المحمود في أفعاله.

وفي «التأويلات النجمية»: هو الطريق إلى الله فإن الحميد هو الله تعالى. واعلم أن علامة الاهتداء إلى الطريق القويم السلوك بقدّم العمل الصالح وهو ما كان خالصاً لله تعالى ومجرد الإيمان وإن كان يمنع المؤمن من الخلود في النار ويدخله الجنة لكن العمل يزيد نور الإيمان وبه يتنور قلب المؤمن.

قال موسى عليه السلام يا رب أي عبادك أعجز؟ قال: الذي يطلب الجنة بلا عمل والرزق بلا دعاء قال: وأي عبادك أبخل؟ قال: الذي سأله سائل وهو يقدر على إطعامه ولم يطعمه وكان رجل يبشر جمع قوماً من ندمائه ودفع إلى غلام له أربعة دراهم وأمره أن يشتري شيئاً من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مسجد منصور بن عمار وهو يسأل لفقيه شيئاً ويقول من دفع إليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات فدفع الغلام الدراهم فقال منصور ما الذي تريد أن أدعوك فقال: لي سيد أريد أن أتخلص منه فدعاه منصور ثم قال: والآخر، أن يخلف الله عليّ دراهمي فدعاه ثم قال: والآخر، فقال: أن يتوب الله عليّ سيدي فدعاه ثم قال: والآخر، فقال: أن يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعاه منصوراً فرجع الغلام إلى سيده فقال لم أبطأت فقص عليه القصة فقال وبم دعا فقال: سألت لنفسني العتق فقال: اذهب فأنت حر ثم قال: وأي شيء الثاني فقال: أن يخلف الله عليّ الدراهم فقال: لك أربعة آلاف درهم ثم قال: وأي شيء الثالث فقال: أن يتوب الله عليك فقال: تبت إلى الله ثم قال وأي شيء الرابع فقال: أن يغفر الله لي ولك وللمذكور وللقوم فقال هذا الواحد ليس إليّ فلما بات رأى في المنام كأن قائلاً يقول له أنت فعلت ما كان إليك أترى أنني لا أفعل ما إليّ فقد غفرت لك وللغلام ولمنصور وللقوم الحاضرين ففي الحكاية فوائد لا تخفى نسأل الله المغفرة والعاقبة المحمودة.

توچا کر درسلمان عشق شوچوایاز كه هست عاقبت كار عاشقان محمود

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنَافُ فِيهِ وَالْبَاطِلُ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَمِ يُظْلَمْ نُزْفَهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي يمنعون الناس عن طاعة الله والدخول في دينه والمراد بصيغة المضارع الاستمرار لا الحال والاستقبال كأنه قيل: إن الذين كفروا ومن

شأنهم الصد عن سبيل الله ومثله قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ۲۸] ﴿والمسجد الحرام﴾ عطف على سبيل الله والمراد به مكة أو يمنعون المؤمنين عن طواف المسجد الحرام أي المحترم من كل وجه فلا يصاد صيده ولا يقطع شوكة ولا يسفك فيه الدماء.

قال الكاشفي: [يقول اشهر روز حديبيه است كه حضرت پيغمبر عليه السلام وأصحاب بورا ازطواف خانه ومسجد بازداشتند] ﴿الذي جعلناه﴾ صيرناه حال كونه معبداً ﴿للناس﴾ كائناً من كان من غير فرق بين مكّي وآفاقي ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ مفعول ثان لجعلنا والعاكف مرتفع به على الفاعلية يقال: للمقيم بالبادية: باد والبادية كل مكان يبدو ما يعنّ فيه وبالعكس في شيء من ساعات الليل والنهار. وبالفارسية (يكسانست مقيم درو وآينده يعني غريب وشهري درقضاي مناسك وإداي مراسم تعظيم خانه مساوي اند).

وفائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادقين عنه وخبر إنّ محذوف أي معذبون كما يدل عليه آخر الآية ﴿ومن﴾ [وهركه] ﴿يرد﴾ مراداً ما ﴿فيه﴾ [درحرم] ﴿بالحاد بظلم﴾ حالان مترادفان أي حال كونه مائلاً عن القصد ظالماً وحقيقته ملتبساً بظلم فالباء للملازمة والإلحاد الميل.

قال الراغب: ألحد فلان مال عن الحق والإلحاد ضربان إلحاد إلى الشرك بالله وإلحاد إلى الشرك بالأسباب فالأول ينافي الإيمان ويبطله والثاني يوهن عراه ولا يبطله ومن هذا النحو الآية ﴿نذقه من عذاب أليم﴾ جواب من يعني يجب على من كان فيه أن يعدل في جميع ما يريده والمراد بالإلحاد والظلم صيد حمامه وقطع شجره ودخوله غير محرم وجميع المعاصي حتى قيل: شتم الخادم لأن السيئات تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات: يعني [چون مكة محترمة مخصوصيت بتضاعف حسنات چونمازي درو باچندین نماز در غیر او برابر است پس جزای مساوي نیز دروكلي ترست ازسائر مواضع].

ولحرمة المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى قال الفقهاء: لو نذر أن يصلي في أحد هذه الثلاثة تعين بخلاف سائر المساجد فإن من نذر أن يصلي في أحدها له أن يصلي في آخر.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر اعلم أن الله تعالى قد عفا عن جميع الخواطر التي لا تستقر عندنا إلا بمكة لأن الشرع قد ورد أن الله يؤاخذ فيه من يريد فيه بالإلحاد وبظلم وهذا كان سبب سكنى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بالطائف احتياطاً لنفيه لأنه ليس في قدرة الإنسان أن يدفع عن قلبه الخواطر انتهى.

وفي الآية إشارات منه: أن من حال النفوس المتمردة والأرواح المرتدة مع إنكارهم وإعراضهم عن الحق يصدون الطالبين عن طريق الله بالإنكار والاعتراضات الفاسدة على المشايخ ويقطعون الطريق على أهل الطلب ليردوهم عن طلب الحق وعن دخول مسجد حرم القلب فإنه حرم الله تعالى، قال الحافظ:

در راه عشق وسوسة اهرمن بسیست
هش دارو کوش دل به پیام سروش کن
وفي «المثنوي»:

پس عدو جان صرافست قلب
مغزراً خالی کن از انکار یار
دشمن درویش که بود غیر کلب
تا که ریحان یابد از کلزار یار

ومنها: أنه يستوي في الوصول إلى مقام القلب الذي سبق إليه بمدة طويلة والذي يصل إليه في الحال ليس لأحد فضل على الآخر إلا بالسبق إلى مقامات القلب.

قال في «الحقائق»: المقيم بقلبه هناك من أول عمره إلى آخره والطارىء لحظة من المكاشفين والمشاهدين ينكشف له ما انكشف للمقيمين لأنه وهاب كريم يعطي للنائب من المعاصي ما يعطي المطيع المقيم في طاعته طول عمره. قال الحافظ:

فيض روح القدس ار باز مدد فرمايد دكران هم بكنند آنجه مسيحا ميگرد
وقد قال بعضهم أُمِيت كردياً وأصبحت عربياً.

ومنها: أن من أراد في القلب ميلاناً إلى غير الحق يذيقه الله عذاب أليم البعد والقطيعة عن الحضرة فالقلب معدن محبة الله ووضع محبة غيره فيه ظلم. قال الشيخ سعدى قدس سره:

دلم خانه مهریارست وپس ازان می نکنجد درو کین کس
قال الخجندي:

بادوست کزین کمال یا جان یک خانه دومیهمان نکنجد
فلا يسع القلب غير حبة الله تعالى وعشقه وتوجهه.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ يقال: بَوَّأَهُ مَنْزَلاً أي أنزله فيه.

والمعنى اذكر وقت جعلنا مكان البيت، أي الكعبة مباءة له عليه السلام أي مرجعاً يرجع إليه للعمارة والعبادة.

وفي «الجلالين»: بينا له أن يبني. روي أن الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات.

إحداها: بناء الملائكة إياها قبل آدم وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت الى السماء أيام الطوفان.

والثانية: بناء إبراهيم روي أن الله تعالى لما أمر إبراهيم ببناء البيت لم يدر أين يبني فأعلمه الله مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على القديم.

وقال الكلبي بعث الله سحابة على قدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم يا إبراهيم بن علي قدري فبنى عليه.

والمرة الثالثة: بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله ﷺ هذا البناء وكان يومئذ رجلاً شاباً فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فأراد كل قبيلة أن تتولى رفعه ثم توافقوا على أن يحكم بينهم أول رجل يخرج من هذه السكة فكان عليه السلام أول من خرج ففضى بينهم أن يجعلوه في مرط ثم يرفعه جميع القبائل كلهم فرفعوه ثم ارتقى هو عليه السلام فرفعوه إليه فوضعه في مكانه وكانوا يدعونه الأمين قيل: كان بناء الكعبة قبل المبعث بخمس عشرة سنة.

والمرة الرابعة: بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

والخامسة: بناء الحجاج وهو البناء الموجود اليوم وكان البيت في الوضع القديم مثلث الشكل إشارة إلى قلوب الأنبياء عليهم السلام إذ ليس لنبي إلا خاطر إلهي وملكى ونفسي ثم

كان في الوضع الحادث على أربعة أركان إشارة إلى قلوب المؤمنين بزيادة الخاطر الشيطاني - ذكر المحدث الكازورني في «مناسكه» - أن هذا البيت خامس خمسة عشر سبعة منها في السماء إلى العرش وسبعة منها إلى تخوم الأرض السفلى لكل بيت منها حرم هذا البيت لو سقط منها بيت لسقط بعضها على بعض إلى تخوم الأرض السابعة ولكل بيت من أهل السماء والأرض من يعمره كما يعمر هذا البيت وأفضل الكل الكعبة المكرمة.

روبحرم نه كه دران خوش حريم هست سیه يوش نكاري مقيم
صحن حرم روضة خلد برين اوبچنان صحن مربع نشين
قبله خوبان عرب روى او سجدة شوخان عجم سوى او
كعبة بودنو كل مشكين من تازہ ازو باغ دل ودين من

﴿أن لا تشرك بي شيئاً﴾ مفسرة لبؤانا من حيث إنه متضمن لمعنى تعبدنا إذ التبوئة لا تقصد إلا من أجل العبادة فكأنه قيل: وإذ تعبدنا إبراهيم قلنا له لا تشرك بي شيئاً [أنكه شرك ميار وانباذ مكير بمن چيزي راکه من ازشرك منزہ ومقدس] ﴿وطهر بيتي﴾ من الأوثان والأقدار أن تطرح حوله أضافه إلى نفسه لأنه منور بأنوار آياته ﴿للطائفين﴾ لمن يطوف به. ﴿والقائمين والركع السجود﴾ جمع راکع وساجد أي ويصلي فيه ولعل التعبير عن الصلاة بأركانها وهي القيام والركوع والسجود للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالقائمين المقيمون بالبيت فيكون المراد بالطائفين من يطوف به وآفاقي غير مقيم هناك.

قال الكاشفي: [ابن بزبان أهل علمست وأما بلسان إشارات ميفر ما يدكه دل خودراکه دار الملك کبريائي منست ازهمه چیزپاک کن وغيري را بروراه مده که او پيمانه اشراب محبت ماست «القلوب أواني الله في الأرض فأحب أواني إليّ أصفاه» وحي آمد بداود عليه السلام که براي من خانه پاک سازکه نظر عظمت من بوي فرود آيد داود عليه السلام کفت «وأي بيت يسعک» کدام خانه است که عظمت وجلال تراشايد فرمودکه آن دل بنده مؤمن است داود عليه السلام فرمودکه اوراچه کونه پاک دارم کفت آتش عشق دروي زن تاهرچه غير ماست همه رابسوزد].

خوش آن آتش که دردل برفروزد بجز حق هرچه پیش آيد بسوزد
قال سهل رحمه الله كما يطهر البيت من الأصنام والأوثان يطهر القلب من الشرك والريب والغل والغش والقسوة والحسد. قال الشيخ المغربي رحمه الله:

كل توحيد نروید ززميني که درو خار شرك وحسد وكبر وريا وكينست
مسكن دوست زجان ميطلبیدم كفتا مسكن دوست اكرهست دل مسكين است

وفي «التأويلات النجمية»: كن حارساً للقلب لئلا يسكن فيه غيري وفرغ القلب من الأشياء سواي ويقال: ﴿وطهر بيتي﴾ أي بإخراج كل نصيب لك في الدنيا والآخرة من تطلع إكرام وتطلب إنعام أو إرادة مقام ويقال: طهر قلبك. ﴿للطائفين﴾ فيه من واردات الحق وموارد الأحوال على ما يختاره الحق ﴿والقائمين﴾ وهي الأشياء المقيمة من مستوطنات العرفان والأمور المغنية عن البرهان وتطلعه بما هي حقيقة البيان ﴿والركع السجود﴾ وهي أركان

الأحوال المتوالية من الرغبة والرغبة والرجاء والمخافة والقبض والبسط والأنس والهيبة وفي معناها أنشدوا:

لست من جملة المحبين إن لم أجعل القلب بيته والمقام
وطوافي إجمالة السرفيه وهوركني اذا أردت استلاما
﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾
لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَ اللَّهُ فِي أَيَّامِ مَعْلُومَتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ
فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ﴾ التأذين النداء إلى الصلاة كما في القاموس والمؤذن كل من يعلم بشيء نداء كما في «المفردات» والمعنى ناد فيهم يا إبراهيم ﴿بالحج﴾ بدعوة الحج والأمر به. وبالفارسية [وندا درده أي إبراهيم درميان مردمان وبخوان ايشانرا بحج خانه خداي].

روي أن إبراهيم عليه السلام «لما فرغ من بناء البيت قال الله تعالى له أذن في الناس بالحج قال: يا رب وما يبلغ صوتي؟ قال تعالى: عليك الأذان وعليّ البلاغ فصعد إبراهيم الصفا وفي رواية أبا قبيس، وفي أخرى على المقام فارتفع المقام حتى صار كطول الجبال فأدخل أصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال: أيها الناس ألا إن ربكم قد بنى بيتا وكتب عليكم الحج إلى بيت العتيق فأجيئوا ربكم وحجوا بيته الحرام ليشيكم به الجنة ويجيركم من النار فسمعه أهل ما بين السماء والأرض فما بقي شيء سمع صوته إلا أقبل يقول لبيك اللهم لبيك فأول من أجاب أهل اليمن فهم أكثر الناس حجاً» ومن ثمة جاء في الحديث: «الإيمان يمان» ويكفي شرفاً لليمن ظهور أويس القرني منه وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «أني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن».

قال مجاهد: من أجاب مرة حج مرة ومن أجاب مرتين أو أكثر يحج مرتين أو أكثر بذلك المقدار.

قال في «أسئلة الحكم»: فأجابه من ظهور وبطون الأمهات في عالم الأرواح.
أذن في الناس ندييست عام توكه بخواب آمده بين الآنام
دعوى خاصي كنى وامتيياز خاص نباشد همه كس جون إياز
بهر همين شد دل خاصان دونيم حالت لبيك زاميد وبيم
وفي «الخصائص الصغرى»: وافترض على هذه الأمة ما افترض على الأنبياء والرسول وهو الوضوء والغسل من الجنابة والحج والجهاد وما وجب في حق نبي وجب في حق أمته إلا أن يقوم الدليل الصحيح على الخصوصية ﴿يأتوك﴾ جواب للأمر والخطاب لإبراهيم فإن من أتى الكعبة فكأنه قد أتى إبراهيم لأنه مجيب نداءه ﴿رجالا﴾ حال، أي مشاة على أرجلهم جمع راجل كقيام جمع قائم.

قال الراغب: اشتق من الرجل رجل وراجل للماشي بالرجل ﴿وعلى كل ضامر﴾ عطف على رجالاً أي وركبانا على كل بعير ضامر أي مهزول أتعبه بعد السفر فهزل.

قال الراغب: الضامر من الفرس الخفيف اللحم من الأصل لا من الهزال ﴿يأتين﴾ صفة لضامر لأن المعنى على ضوامر من جماعة الإبل. ﴿من كل فج﴾ طريق واسع.

قال الراغب: الفج طريق يكتنفها جبلان. ﴿عميق﴾ بعيد واصل العمق البعد سفلاً يقال: بئر عميق إذا كانت بعيدة القعر. روي: عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حجة وللحاج المشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم» قال: قيل، وما حسنات الحرم قال: «الحسنة بمائة ألف».

قال مجاهد: حج إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ماشيين وكانا إذا قربا من الحرم خلعا نعالهما هذا إذا لم يتغير خلقه بالمشي وإلا فالركوب أفضل ولما انفرد الرهبانيون في الملل السالفة بالسياحة والسفر إلى البلاد والبواد، سئل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «أبدل الله بها الحج» فأنعم بالحج على أمته بأن جعل الحج وسفره رهبانية لهم وسياحة، وفي الخبر: «إن الله ينظر إلى الكعبة كل سنة في نصف شعبان فعند ذلك تحن إليها القلوب» فلا يحزن عند التجلي إلا القلب المسارع لإجابة إبراهيم فما حن قلب لتلك الإجابة إلا القلب المسارع لدعوة الحق في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: أخبرني بعض العارفين عن رجل من أهل الثروة في الدنيا لم يحدث نفسه بالحج قط فجرى له أمر كان سبباً لأن قيد بالحديد وجيء به إلى الأمير صاحب مكة ليقتله لأمر بلغه عنه والذي وشى به عند الأمير حاضر فاتفق أن كان وصوله يوم عرفة والأمير بعرفة فأحضره بين يديه وهو مغلول العنق بالحديد فاستدعى الأمير الواشي وقال له: هذا صاحبنا فنظر إلى الرجل فقال: لا أيها الأمير فاعتذر إليه الأمير وأزيل عنه الحديد واغتسل وأهل بالحج ولبي من عرفة ورجع معفوفاً مغفوراً بالظاهر والباطن فانظر العناية الإلهية ما تفعل بالعبد فمن الناس من يقاد إلى الجنة بالسلاسل وهو من أسرار الإجابة الإبراهيمية، وفي «فتوح الحرمين»:

هركه رسيده بوجود ازعدم در ره اوساخته أز سرقدم
هيچ نبي هيچ ولى هم نبود كونبرد در ره اميدسود
جمله خلائق زعرب تاعجم باديه پميا بهواي حرم

﴿ليشهدوا﴾ متعلق بياتوك أي ليحضرُوا ﴿منافع﴾ كائنة ﴿لهم﴾ من المنافع الدينية والدينية وهي العفو والمغفرة والتجارة في أيام الحج فتنكيرها لأن المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة لا يوجد في غيرها من العبادات.

وعن أبي حنيفة رحمه الله: أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص. ﴿ويذكروا اسم الله﴾ عند إعداد الهدايا والضحايا وذبحها.

قال الكاشفي: [مراد قربانيسست كه بنام خداي كنند كفار ينام بت ميكرند] وفي جعله غاية للإتيان إيذان بأنه الغاية القصوى دون غيره. ﴿في أيام معلومات﴾ هي أيام النحر كما يبنى عنه قوله تعالى: ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ فإن المراد بالذكر ما وقع عند الذبح علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضاً على التقرب وتنبهاً على مقتضى الذكر والبهيمة هو اسم لكل ذات أربع في البحر والبر فبينت بالأنعام وهي الإبل والبقر والضأن والمعز لأن الهدى والذبيحة لا يكونان من غيرها.

قال الراغب: البهيمة ما لا نطق له وذلك لما في صوته من الإبهام لكن خص في التعارف بما عدا السباع والطيور. والأنعام جمع نعم وهو مختص بالإبل وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة لكن الأنعام يقال للإبل والبقر والغنم ولا يقال لها: أنعام حتى يكون في جملتها الإبل. ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ التفات إلى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر أي فاذكروا اسم الله على ضحاياكم فكلوا من لحومها والأمر للإباحة وكان أهل الجاهلية لا يأكلون من نسائكهم فاعلم الله أن ذلك جائز إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل، ﴿وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ﴾ هذا الأمر للوجوب والبائس الذي أصابه بؤس وشدة وبالفارسية: [در مانده ومحنت كشیده] ﴿الْفَقِيرَ﴾ المحتاج.

قال الكاشفي: [محتاج تنكدست را] فالبائس الشديد الفقر والفقير المحتاج الذي أضعفه الإعسار ليس له غنى أو البائس الذي ظهر بؤسه في ثيابه وفي وجهه والفقير الذي لا يكون كذلك بأن تكون ثيابه نقية ووجهه وجه غني.

وفي «مختصر الكرخي» أوصى بثلاث ماله للبائس، الفقير والمسكين قال: فهو يقسم إلى ثلاثة أجزاء جزء للبائس وهو الذي به الزمانة إذا كان محتاجاً، والفقير المحتاج الذي لا يطوف بالأبواب والمسكين الذي يسأل ويطوف وعن أبي يوسف إلى جزأين الفقير والمسكين واحد واتفق العلماء على أن الهدى إن كان تطوعاً كان للمهدي أن يأكل منه وكذا أضحية التطوع لما روي أنه عليه السلام ساق في حجة الوداع مائة بدنة فنحر منها ثلاثاً وستين بدنة بنفسه إشارة إلى مدة عمره ونحر علي رضي الله عنه ما بقي ثم أمر عليه السلام أن يؤخذ بضعة من كل بدنة فتجعل في قدر ففعل ذلك فطبخ فأكلا من لحمها وحسيا مرقها وكان هدي تطوع.

واختلفوا في الهدى الواجب هل يجوز للمهدي أن يأكل منه شيئاً مثل دم التمتع والقران والنذور والكفارات والدماء الواقعة جبراً للنقصان والتي وجبت باصياد الحج وفواته وجزاء الصيد فذهب قوم إلى أنه لا يجوز للمهدي أن يأكل شيئاً منها ومنهم الشافعي رحمه الله وذهب الأئمة الحنفية إلى أنه يأكل من دم التمتع والقران لكونهما دم الشكر لا دم الجنابة ولا يأكل من واجب سواها وكذا لا يأكل أولاده وأهله وعبيده وإماؤه وكذا الأغنياء إذ الصدقة الواجبة حق للفقراء.

وفي الآية إشارة إلى أنه يلزم على الأغنياء أن يشاركوا الفقراء في المآكل والمشارب فلا يطعموهم إلا ما يأكلون ولا يجعلوا لله ما يكرهون.

قال ابن عطاء: البائس الذي تأنف من مجالسته ومواكلته والفقير من تعلم حاجته إلى طعامك ولم يسأل.

﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ وَلِيَطَّوُّوا بِأَلْبَتِ الْعَلَيْقِ﴾

﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ عطف على يذكروا أي ليزيلوا وسخهم بخلق الرأس وقص الشارب والأظفار وتنف الإبط والاستحداد عند الإحلال أي الخروج من الإحرام فالتفت الوسخ يقال: للرجل ما أتفتك وما أدرتك أي وما أوسخك وكل ما يستقذر من الشعث وطول الظفر ونحوهما تفت.

قال الراغب: أصل التفت وسخ الظفر وغير ذلك مما شأنه أن يزال عن البدن والقضاء

فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً وكل منها على وجهين إلهي وبشري والآية من قبيل البشري كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَقْضَوْا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١] أي افرغوا من أمركم وقول الشاعر:

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها

يحتمل القضاء بالقول والفعل جميعاً كما في «المفردات» ﴿وليوفوا نذورهم﴾ يقال: وفي بعهدته وأوفى إذا تم العهد ولم ينقض حفظه كما دل عليه الغدر وهو الترك والنذر أن توجب على نفسك ما ليس بواجب والمراد بالنذور ما نذروه من أعمال البر في أيام الحج فإن الرجل إذا حج واعتمر فقد يوجب على نفسه من الهدى وغيره ما لولا إيجابه لم يكن الحج يقتضيه وإن كان على الرجل نذور مطلقة فالأفضل أن يتصدق بها على أهل مكة. ﴿وليطوفوا﴾ طواف الركن الذي به يتم التحلل فإنه قرينة قضاء التفث. ﴿بالبیت العتيق﴾ أي القديم فإنه أول بيت وضع للناس أو المعتقد من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار إليه ليهدمه فعصمه الله وأما الحجاج الثقفي فإنما قصد إخراج ابن الزبير رضي الله عنه لا التسلط عليه ولما قصد التسلط عليه أبرهة فعل به ما فعل.

اعلم أن طواف الحجاج ثلاثة.

الأول: طواف القدوم وهو أن من قدم مكة يطوف بالبيت سبعاً يرمل ثلاثاً من الحجر الأسود إلى أن ينتهي إليه ويمشي أربعاً وهذا الطواف سنة لا شيء بتركه.

والثاني: طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق ويسمى أيضاً طواف الزيارة وهو ركن لا يحصل التحلل من الإحرام ما لم يأت به.

والثالث: طواف الوداع لا رخصة لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر في أن يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعاً فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائضة يجوز لها ترك طواف الوداع ثم أن الرمل يختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع:

اي كه درين كوى قدم مي نهی	روى توجه بحرم مي نهی
پاي باندازه درين كوى نه	پاي اكر سوده شود روى نه
چرخ زنان طوف كنار برحضور	توشده بروانه واوشمع نور
عادت بروانه ندانى مكر	چرخ زند اول وسوزد دكر

قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: في «الفتوحات المكية»: لما نسب الله العرش في السماء إلى نفسه وجعله محل استواء للرحمن فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وجعل الملائكة حافين به بمنزلة الحراس الذين يدورون بدار الملك والملازمين له لتنفيذ أمره كذلك جعل الله بيته في الأرض ونصبه للطائفين به على ذلك الأسلوب وتميز البيت على العرش بأمر جللي وسر إلهي ما هو في العرش وهي يمين الله في الأرض لتباعه في كل شوط مبايعة رضوان فالحجر يمين الله يبايع به عباده بلا شك ولكن على الوجه الذي يعلمه سبحانه من ذلك فصح النسب بالتقديس ومن هنا يعرف أن ما في الوجود إلا الله سبحانه وتقدس.

كعبه كزودرهمه دلها ره است جزوی از اعضاي يمين الله است

قال بعض الكبار: وضع الله بيته في الأرض قبل آدم وذريته وأجال الطائفين حوله ابتلاءً وامتحاناً ليحتجبوا بالبيت عن صاحب البيت يعني حجبهم بالوسائط عن مشاهدة جماله غيرة

على نفسه من أن يرى أحد إليه سبيلاً حكى: أن عارفاً من أولياء الله تعالى قصد الحج وكان له ابن فقال ابنه: إلى أين تقصد فقال: إلى بيت الله فظن الغلام أن من يرى البيت يرى رب البيت فقال: يا أبي لم لا تحملني معك فقال: أنت لا تصلح لذلك فبكى الغلام فحمله معه فلما بلغا إلى الميقات أحرما وليا ودخلا الحرم فلما شوهدا البيت تحير الغلام عند رؤيته فخر ميتاً فدهش والده وقال أين ولدي وقطعة كبدي فنودي من زاوية البيت، أنت طلبت البيت فوجدته وهو طلب رب البيت فوجد رب البيت فرقع الغلام من بينهم فهتف هاتف إنه ليس في القبر، ولا في الأرض، ولا في الجنة، بل هو في مقعد صدق عند مليك مقتدر. وفي «المثنوي».

خوش بكش ايزن كاروانرا تابحج أي أمير الصبر مفتاح الفرج

حج زیارت کردن خانه بود حج رب البيت مردانه بود

فمن أعرض عن الجهة وتوجه إلى الوجه الأحدي صار الحق قبلة له فيكون هو قبلة الجميع كآدم عليه السلام كان قبلة الملائكة لأنه وسيلة الحق بينه وبين ملائكته لما عليه من كسوة جماله وجلاله كما قال عليه السلام: «خلق الله آدم على صورته» يعني ألقى عليه حسن صفاته ونور مشاهدته.

قال بعض العارفين: لما كانت البيت المحرم سر لباس شمس الذات الأحدية وحد الحق سبحانه القصد إليه فقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] فجاء بلفظ البيت لما فيه من اشتقاق المبيت والمبيت لا يكون إلا في الليل، والليل محل التجلي للعباد فإنه فيه نزول الحق كما يليق وهو مظهر الغيب وهو محل التجلي ولباس الشمس كذلك البيت الحرام مظهر حضرة الغيب الإلهي وسر التجلي الوجداني وسر منبع رحمة الرحمانية لأن الحق إذا تجلى لأهل الأرض بصفة الرحمة ينزل الرحمة أولاً على البيت ثم تقسم منه فالبيت سر وحدانية الحق فجعل الحق حجة واحدة لا يتكرر وجوبه، كتكرر سائر العبادات لأجل مضاهاته بحضرة الأحدية وفضل البيت على سائر البيوت كفضله سبحانه على خلقه والفضل كله لله تعالى فأنوار جميع البيوت وفضائلها مقتبسة من نوره كما وردت الإشارة أن الأرض مدت من البيت وهو حقيقة الحقائق الكونية الشهادية فلذلك سميت مكة بأمر القرى شرفها الله تعالى وتقدس.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ أي: وناذ في الناس من النفس وصفاتها والقلب وجوارحه بزيارة القلب للاتصاف بصفاته وللدخول في مقاماته يأتوك مشاة وهي النفس وصفاتها. ﴿وعلى كل ضامر﴾ وهو القلب وجوارحه يعني يقصدون القلب بالأعمال الشرعية البدنية فإنهم كالركبان لأن الأعمال البدنية مركبة بحركات الجوارح ونيات الضمير كما أن أعمال النفس مفردة لأنها نيات الضمير فحسب. ﴿يأتين من كل فج عميق﴾ وهو سفلى الدنيا لأن القلب من الدنيا وأكثر استعماله في مصالح الدنيا بالجوارح والأعضاء فردها إلى استعمالها في مصالح القلب إتيانها من كل فج عميق. ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ أي: ليحضروا وينتفعوا بالمنافع التي هي مستكنة في القلب فأما النفس وصفاتها فمنافعها بتبديل الأخلاق وأما القلب وجوارحه فمنافعهم قبول طاعاتهم وظهور آثارها على سيماهم ويذكروا اسم الله أي القلب والنفس والقلب شكراً على ما رزقهم من بهيمة الأنعام بأن جعل الصفات البهيمية الحيوانية مبدلة بالصفات القلبية الروحانية الربانية ويقول: ﴿فكلموا منها وأطعموا البائس الفقير﴾ يشير إلى أن انتفعوا من هذه المقامات والكرامات وأطعموا بمنافعها

الطالب المحتاج والقاصد إلى الله بالخدمة والهداية والإرشاد ثم ليقضوا الطلاب تفهم وهو ما يجب عليهم من شرائط الإرادة وصدق الطلب. ﴿وليوفوا نذورهم﴾ فيما عاهدوا الله على التوجه إليه وصدق الطلب والإرادة. ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ أي: يطوفوا حول الله بقلوبهم وسرهم ولا يطوفوا حول ما سواه وأراد بالعتيق القديم وهو من صفات الله تعالى.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿ذلك﴾ أي الأمر والشأن ذلك الذي ذكر من قوله: ﴿وإذ بوأنا﴾ إلى قوله: ﴿بالبيت العتيق﴾ فإن هذه الآية مشتملة على الأحكام المأمور بها والمنهي عنها وهذا وأمثاله يطلق للفصل بين الكلامين أو بين وجهي كلام واحد ﴿ومن﴾ [أهركه] ﴿يعظم حرمت الله﴾ جمع حرمة وهي ما لا يحل هتكه وهو خرق الستر عما وراء أي أحكامه وفرائضه وسننه وسائر ما لا يحل هتكه كالكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه ﴿فهو خير له﴾ أي: فالتعظيم خير له ثواباً ﴿عند ربه﴾ أي في الآخرة. قال ابن الشيخ: عند ربه يدل على الثواب المدخر لأنه بطاعة ربه فيما حصل من الخيرات.

وفي الآية إشارة إلى أن تعظيم حرمت الله هو تعظيم في ترك ما حرمه الله عليه وتعظيم ترك ما أمره الله به يقال بالطاعة يصل العبد إلى الجنة وبالحرمة يصل إلى الله ولهذا قال: ﴿فهو خير له عند ربه﴾ يعني: تعظيم الحرمة خير للعبد في التقرب إلى الله من تقربه بالطاعة ويقال: ترك الخدمة يوجب العقوبة وترك الحرمة يوجب الفرقة ويقال: كل شيء من المخالفات فللعفو فيه مساغ وللأمل فيه طريق وترك الحرمة على خطر أن لا يغفر ذلك بأن يؤدي شؤمه لصاحبه إلى أن يختل دينه وتوحيده. ﴿وأحلت﴾ جعلت حلالاً وهو من حل العقدة. ﴿لكم﴾ لمنافعكم ﴿الأنعام﴾ وهي الأزواج الثمانية على الإطلاق من الضأن اثنين أي الذكر والأنثى ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين فالخيل والبالغ والحمير خارجة من الأنعام. ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ آية تحريمه كما قال في سورة المائدة ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ﴾ [المائدة: ٣] الآية، وهو استثناء متصل ببناء على أن ما عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما أهل به لغير الله والجملة اعتراض جيء به تقريراً لما قبله من الأمر بالأكل والإطعام، ودفعاً لما عسى يتوهم أن الإحرام يحرمها كما يحرم الصيد والمعنى أن الله تعالى، قد أحل لكم أن تأكلوا الأنعام كلها إلا ما استثناه كتابه فحافظوا على حدوده، وإياكم أن تحرموا مما أحل الله شيئاً، كتحرير عبدة الأوثان البهيرة والسائبة ونحوهما وأن تحلوا مما حرم حلالهم شيئاً، كأكل الموقوذة والميتة ونحوهما. ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ أي: الرجس الذي هو الأوثان يعني عبادتها كما يجتنب الأنجاس والرجس الشيء القذر يقال: رجل رجس ورجل أرجاس والرجس يكون على أربعة أوجه إما من حيث الطبع وإما من جهة العقل وإما من جهة الشريعة وإما من كل ذلك كالميتة فإنها تعاف طبعاً وعقلاً وشرعاً والرجس من جهة الشرع الخمر والميسر والأوثان وهي جمع وثن وهو حجارة كانت تعبد كما في «المفردات».

وقال بعضهم: الفرق بينه وبين الصنم أن الصنم هو الذي يؤلف من شجر أو ذهب أو فضة في صورة الإنسان والوثن هو الذي ليس كذلك.

قال في «الإرشاد» وقوله: ﴿فاجتنبوا﴾ الخ مرتب على ما يفيدته قوله تعالى: ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل أنعام من دواعي التعاطي لا من مبادئ الاجتناب عقبه بما يجب الاجتناب عنه من الحرمات، ثم أمر بالاجتناب عما هو أقصى الحرمات كأنه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والأنعام ليست من الحرمات فإنها محللة لكم إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه فإنه مما يجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الأمور التي يجب الاجتناب عنها. ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ تعميم بعد تخصيص فإن عبادة الأوثان رأس الزور والمشرک يزعم أن الوثن يحق له العبادة كأنه قيل فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله ولا تقربوا شيئاً منه وكأنه لما حث على تعظيم الحرمات اتبع ذلك رداً لما كانت الكفرة عليه من تحريم السوائب والبحائر ونحوهما والافتراء على الله تعالى بأنه حكم بذلك. وبالفارسية: [واجتناب كنيد از سخن دروغ مطلقاً] وقيل: المراد به شهادة الزور لما روي أنه عليه السلام قال: «عدلت شهادة الزور الإشرار بالله تعالى ثلاثاً» وتلا هذه الآية وكان عمر رضي الله عنه يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسود وجهه بالفحم ويطوف به في الأسواق والزور من الزور وهو الانحراف كالإفك المأخوذ من الإفك الذي هو القلب والصرف فإن الكذب منحرف مصروف عن الواقع.

وفي «التأويلات النجمية»: قول الزور كل قول باللسان مما لا يساعده قول القلب ومن عاهد الله بقلبه في صدق الطلب ثم لا يفي بذلك فهو من جملة قول الزور.

طريق صدق بيا موز از آب صافي دل براستي طلب ازادكي جو سروچمن
وفا كنيم وملامت كشيم وخوش باشيم كه در طريقت ما كافريست رنجيدم

﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ
الرَّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيحٍ ﴿٣١﴾

﴿حنفاء لله﴾ حال من واو فاجتنبوا أي حال كونكم مائلين عن كل دين زائغ إلى الدين الحق مخلصين له والحنف هو الميل عن الضلال إلى الاستقامة والحنيف هو المائل إلى ذلك وتحنف فلان أي تحرى طريق الاستقامة. ﴿غير مشركين به﴾ أي: شيئاً من الأشياء فيدخل في ذلك الأوثان دخولاً أولياً وهو حال أخرى من الواو. ﴿ومن﴾ [هركه] ﴿يشرك بالله فكأنما خر من السماء﴾.

قال الراغب: معنى (خر) سقط سقوطاً يسمع منه خريز وهو صوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو. ﴿فتخطفه الطير﴾ الخطف الاختلاس بالسرعة وصيغة المضارع لتصوير هذه الحالة الهائلة التي اجتراً عليها المشرک للسامعين.

قال الكاشفي: [وهركه شرك أرد بخداي تعالى پس همچنانست كه كوييا درافتاد از آسمان بر روی زمین وهلاك شد پس مي ربايند اورا مرغان مردار خوار از روی زمین واجزا واعضاي اورا متفرق ومنتزق ميسازند]. ﴿أو تهوي به الريح﴾ أي: تسقطه وتقذفه يقال: هوى يهوي من باب ضرب هويماً سقط من علو إلى سفلى وأما هوى يهوي من باب علم هوى فمعناه أحب. ﴿في مكان سحيق﴾ أي: بعيد فإن السحق البعد وليس إسحاق العلم منه فإنه عبراني معناه الضحك واو للتخيير كما في قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩].

قال الكاشفي: [يابزير افکند اورا باد از موضعي مرتفع درجاني دوراز فرياد رس و دستکير اين کلمات از تشبيهات مرکبه است يعني هرکه أزواج إيمان بحضيض کفر افتد هواي نفس اورا بریشان سازد ياباد وسوسة شيطان اورا در وادي ضلالت افکند و نابود شود ملخص سخن آنکه هلاک مشرکانست] فالهلاک في الشرك كما أن النجاة في الإيمان.

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه عليه السلام قال له: «هل تدري ما حق الله» قال: قلت: الله ورسوله أعلم قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً يا معاذ هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك» قلت: الله ورسوله أعلم قال: «أن لا يعذبهم» فلا بد من تخصيص العبادة بالله والتخليص من شوب الشرك ليكون العبد على الملة الحنيفة وهي واحدة من لدن آدم إلى يومنا هذا وهي ملازمة التوحيد واليقين.

وسئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل قال: «الإيمان بالله ورسوله» قيل ثم ماذا قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل ثم ماذا قال: «حج مبرور»، وفي الحديث: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال: «الرياء».

مُراني هرکسي معبود سازد مُراني را ازان کفتند مشرک

قال الحافظ:

کوييا باورونمي دارند روز داوري کين همه قلب ودغل درکار داورميکنند
فالشرك أقبح الرذائل كما أن التوحيد أحسن الحسنات وفي الحديث: «إذا عملت سيئة فاعمل بجانبها حسنة فإنها بعشرة أمثالها» فقال المخاطب: يا رسول الله قول لا إله إلا الله من الحسنات قال: «أحسن الحسنات».

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْلُوهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿ذلك﴾ أي: الأمر والشأن ذلك الذي ذكر من أن تعظيم حرمات الله خير وأن الاجتناب عن الإشراك وقول الزور أمر لازم أو امثلوا ذلك. ﴿ومن يعظم شعائر الله﴾ أي الهدايا فإنها من معالم الحج وشعائره كما ينبيء عنه قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٣٦] وهو الأوفق لما بعده. والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة من الأشعار وهو الأعلام والشعور العلم وسميت البدنة شعيرة من حيث أنها تشعر بأن تطعن في سنامها من الجانب الأيمن والأيسر حتى يسيل الدم فيعلم أنها هدي فلا يتعرض لها فهي من جملة معالم الحج بل من أظهرها وأشهرها علامة وتعظيمها اعتقاد أن التقرب بها من أجل القربات وأن يختارها حسناً سماناً غالية الأثمان روي: أنه عليه السلام أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب وأن عمر أهدى نجية أي ناقة كريمة طلبت منه بثلاثمائة دينار.

هرکسي از همت والاي خویش سود بردارد خورکالاي خویش

قال الجنيّد: من تعظیم شعائر الله التوکل والتفویض والتسليم فإنها من شعائر الحق في أسرار أوليائه فإذا عظمه وعظم حرمة زين الله ظاهره بفنون الآداب. ﴿فإنها﴾ أي: فإن تعظیمها ناشئ ﴿من تقوى القلوب﴾ وتخصيصها بالإضافة لأنها مركز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء.

﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ أي: في الهدايا المشعرة ليعرف أنها هدي. ﴿منافع﴾ هي درها ونسلها وصوفها وظهرها فإن للمهدي أن ينتفع بهديه إلى وقت النحر إذا احتاج إليه ﴿إلى أجل مسمى﴾ هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والأكل منه. ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ المحل اسم زمان بتقدير المضاف من حل الدين إذا وجب أدائه معطوف على قوله منافع وإلى البيت حال من ضمير فيها والعامل في الحال الاستقرار الذي تعلق به كلمة في. والمعنى ثم بعد تلك المنافع هذه المنفعة العظمى وهي وقت حلول نحرها ووجوبه حال كونها متهيئة إلى البيت العتيق أي إلى الحرم الذي هو في حكم البيت فإن المراد به الحرم كله كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَءُوا أَلْهٰكْرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨] أي: الحرم كله فإن البيت وما حوله نزهت عن إراقة دماء الهدايا وجعل مني منحرًا ولا شك أن الفائدة التي هي أعظم المنافع الدينية في الشعائر هي نحرها خالصة لله تعالى وجعل وقت وجوب نحرها فائدة عظيمة مبالغة في ذلك فإن وقت الفعل إذا كان فائدة جليلة فما ظنك بنفس الفعل والعتيق المتقدم في الزمان والمكان والرتبة.

قال الكاشفي: [پس جان ذبح باوجوب نحران منتهی شود بخائنه كه آزادست ازغرق شدن بوقت طوفان یا خانه بزرگوار]. روي: أن إبراهيم عليه السلام وجد حجراً مكتوباً عليه أربعة أسطر الأول: «إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني». والثاني: «إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسولي طوبى لمن آمن به واتبع». والثالث: «إني أنا الله لا إله إلا أنا من اعتصم بي نجا». والرابع: «إني أنا الله لا إله إلا أنا الحرم لي والكعبة بيتي من دخل بيتي آمن من عذابي» وفي الحديث: «إن الله تعالى ليدخل ثلاثة نفر بالحجة الواحدة الجنة الموصي بها والمنفذ لها والحاج عنه».

وفي «الاشباه»: ليس للمأمور الأمر بالحج ولو لمرض إلا إذا قال له الأمر اصنع ما شئت فله ذلك مطلقاً والمأمور بالحج له أن يؤخره عن السنة الأولى ثم يحج ولا يضمن كما في «التاتارخانية» ولو عين له هذه السنة لأن ذكرها للاستعجال لا للتقييد وإذا أمر غيره بأن يحج عنه ينبغي أن يفوض الأمر إلى المأمور فيقول حج عني بهذا المال كيف شئت مفرداً بالحج أو العمرة أو متمتعاً أو قارناً والباقي من المال لك وصية كيلا ضيق الأمر على الحاج ولا يجب عليه ردماً فضل إلى الورثة ولو أحج من لم يحج عن نفسه جاز والأفضل أن يحج من قد حج عن نفسه كما في «الفتاوى المؤيدية» ولا يسقط به الفرض عن المأمور وهو الحاج كما في «حواشي أخي چلبی» ولو أحج امرأة أو أمة بإذن السيد جاز لكنه أساء ولو زال عجز الأمر صار ما أدى المأمور تطوعاً للأمر وعليه الحج كما في «الكاشفي».

وعن أبي يوسف إن زال العجز بعد فراغ المأمور عن الحج يقع عن الفرض وإن زال قبله فعن النفل كما في «المحيط» والحج النفل يصح بلا شرط ويكون ثواب النفقة للأمر بالاتفاق وأما ثواب النفل فالمأمور يجعله للأمر وقد صح ذلك عند أهل السنة كالصلاة والصوم والصدقة كما في «الهداية» وإن مات الحاج المأمور في طريق الحج يحج غيره وجوباً من منزل أمره الموصي أو الوارث قياساً إذا اتحد مكانهما والمال واف فيه أن السفر هل يبطل بالموت أو لا وهذا إذا لم يبين مكاناً يحج منه بالإجماع كما في «المحيط».

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَسْكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ إِلَهُ وَحْدٌ فَلَهُ اسْلُمُوا وَيَنْشُرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ولكل أمة﴾ من الأمم لا لبعض منهم دون بعض فالتقديم للتخصيص. ﴿جعلنا منسكاً﴾ متعبداً وقرباناً يتقربون به إلى الله تعالى والمراد به إراقة الدماء لوجه الله تعالى. والمعنى شرعنا لكل أمة مؤمنة أن ينسكوا له تعالى يقال نسك نسكاً ونسوكاً ومنسكاً بفتح السين إذا ذبح القربان. ﴿ليذكروا اسم الله﴾ خاصة دون غيره ويجعلوا نسكهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيهاً على أن المقصود الأصلي من المناسك تذكر المعبود. ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ عند ذبحها وفي تبين البهيمة بإضافتها إلى الأنعام تنبيه على أن القربان يجب أن يكون من الأنعام وأما البهائم التي ليست من الأنعام كالخيل والبغال والحمير فلا يجوز ذبحها في القرايين.

وفي «التأويلات النجمية»: ولكل سالك جعلنا طريقة ومقاماً وقربة على اختلاف طبقاتهم فمنهم من يطلب الله من طريق المعاملات ومنهم من يطلبه من باب المجاهدات ومنهم من يطلبه به ليمسك كل طائفة منهم في الطلب بذكر الله على ما رزقهم من قهر النفس وكسر صفاتها البهيمية والإنعامية فإنهم لا يظفرون على اختلاف طبقاتهم بمنازلتهم ومقاماتهم إلا بقهر النفس وكسر صفاتها فيذكرون الله بالحمد والثناء على ما رزقهم من قهر النفس من العبور على المقامات والوصول إلى الكمالات. ﴿فإلهمكم إله واحد﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الجعل المذكور والخطاب للكل تغليباً أي فإلهمكم إله منفرد يمتنع أن يشاركه شيء في ذاته وصفاته وإلا لاختل النظام المشاهد في العالم. ﴿فله أسلموا﴾ أي فإذا كان إلهمكم إله واحد فاجعلوا التقرب أو الذكر سالماً له أي خالصاً لوجهه ولا تشوبوه بالإشراك. وبالفارسية [پس مرو را کردن نهید و قربان را بشرك آمیخته مسازید].

وفي «التأويلات النجمية»: والإسلام يكون بمعنى الإخلاص والإخلاص تصفية الأعمال من الآفات ثم تصفية الأخلاق من الكدورات ثم تصفية الأحوال من الالتفاتات ثم تصفية الأنفاس من الأغيار. ﴿وبشر المخبتين﴾ المتواضعين أو المخلصين فإن الخبت هو المطمئن من الأرض وحقيقة المخبت من صار في خبت الأرض ولما كان الإخبات من لوازم التواضع والإخلاص صح أن يجعل كناية عنهما.

قال الكاشفي: [وبشارت ده أي محمد فروتنانرا بيزركي آن سرايا سكارانرا برحمت بي منتهی، سلمی قدس سره فرموده که مزده ده مشتاقانرا بسعادت لقا که هیچ مزده ازين فرح آقزاي ترنيست پس در صفت مخبتين ميفرمايد]. ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ الوجل استشعار الخوف كما في «المفردات» أي: خافت منه تعالى لإشراق أشعة جلاله عليها وطلوع أنوار عظمتها والوجل عند الذكر على حسب تجلي الحق للقلب.

هر کرانور تجلی شد فزون خشیت وخوفش بوداز حد برون

﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من المصائب والكلف.

قال في «بحر العلوم»: الذين صبروا على البلايا والمصائب من مفارقة أوطانهم

وعشائره ومن تجرع الغصص والأحزان واحتمال المشاق والشدائد في نصر الله وطاعته وازدياد الخير ومعنى الصبر الحس يقال صبرت نفسي على كذا أي حبستها.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ أي: خامدين تحت جريان الحكم من غير استكراه ولا تمنى خروجه ولا روم فرجه يستسلمون طوعاً. قال الحافظ:

اكر بلطف بخواني مزيد الطافست وكر بقهر براني درون ما صافست
وقال:

بدرد وصاف تراحكم نیست دم درکش که هرچه ساقي ما کرد عين الطافست
وقال:

عاشقانرا کر درآتش مینشاند قهر دوست تنك چشمم کرد نظر زچشمه كوثر كنم
وقال:

آشنایان ره عشق اكرم خون بخورند نا كسم كر بشكایت سوي بيكانه روم
وقال:

حافظ از جور توحاشا که بنالد روزي که ازان روز که دربند توام دلشادم
وأيضاً الحافظين مع الله أسرارهم لا يطلبون السلوة باطلاع الخلق على أحوالهم
﴿والمقيمي الصلاة﴾ في أوقاتها أصله مقيمين والإضافة لفظية.

وفي «التأويلات النجمية»: والمديمي النجوى مع الله كقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣] قال شاعرهم:

إذا ما تمنى الناس روحاً وراحة تمنيت أن أشكو إليك وتسمع
﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ في وجوه الخيرات قدم المفعول إشعاراً بكونه أهم كأنه قيل:
ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به والمراد به إما الزكاة المفروضة لاقتранها بالصلاة
المفروضة أو مطلق ما ينفق في سبيل الله لوروده مطلق اللفظ من غير قرينة الخصوص وفي
الحديث: «بدلاء أمتي لا يدخلون الجنة بصيامهم وقيامهم ولكن دخلوها بسلامة الصدر وسخاء
النفس والنصح للمسلمين».

واعلم أن خدمة المولى بالمال وبالوجود سبب لسعادة الدنيا والعقبى.
قال بعض الكبار: إن الله لما أظهر الصنائع وعرضها على الخلق في الأزل اختار كل منهم
صنيعة وقال طائفة ما أعجبنا شيء فأظهر الله لهم العبادة ومقامات الأولياء فقالوا: قد اخترنا
خدمتك فقال: لأسخرنهم لكم ولأجعلنهم خداماً لكم واشفعنكم فيمن خدمكم وعرفكم.

قال الشيخ أبو الحسن: سمعت وصف ولي في جبل فبت عند باب صومعته ليلة فسمعته
يقول: إلهي إن بعض عبادك طلب منك تسخير الخلق فأعطيته مراده وأنا أريد منك أن لا
يحسنوا معاملتهم معي حتى لا ألتجئ إلا إلى حضرتك قال: فلما أصبحت سألت عن ذلك
فقال: يا ولدي قل اللهم كن لي مكان قولك اللهم سخر لي فإذا كان الله لك فلا تحتاج إلى
شيء أبداً فلا بد من الاجتهاد في طريق الطلب والجد في الدعاء إلى حصول المطلب. قال
المولى الجامي:

بي طلب نتوان وصالت یافت آري كي دهد دولت حج دست جزراه بیابان برده را

﴿وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْتِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَبَالُ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنْ يَبَالُهُ النَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿والبدن﴾ منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ﴾ [يس: ٣٩] جمع بدنة وهي الإبل والبقر مما يجوز في الهدى والأضاحي سميت بها لعظم بدنها. قال في «بحر العلوم»: البدنة في اللغة من الإبل خاصة وتقع على الذكر والأنثى وأما في الشريعة فللإبل والبقر لاشتراكهما في البدانة ولذا ألحق عليه السلام البقر بالإبل في الإجزاء عن السبعة.

وفي «القاموس»: البدنة محركة من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تهدي إلى مكة للذكر والأنثى.

قال الكاشفي: [وشران وكاوان كه براي هدى رانده آيد] ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾ أي: من أعلام دينه التي شرعها الله مفعول ثانٍ للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وأضيف الشعائر إلى اسم الله تعظيماً لها كبيت الله فإن المضاف إلى العظيم عظيم وقد سبق معنى الشعائر. وبالفارسية [ساختيم آنها يعني كشتن آنها شمارا از نشانهاي دين خداي را تعالى] ﴿لكم فيها﴾ في البدن ﴿خير﴾ نفع كثير في الدنيا وأجر عظيم في العقبى.

وفيه إشارة إلى قربان بهيمة النفس عند كعبة القلب وأنه من أعلام الدين وشعار أهل الصدق في الطلب وأن الخير في قربانها وذبحها بسكين الصدق.

ظاهرش مرك وبباطن زنده كي ظاهرش ابترنهان پاييندكي ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ بأن تقولوا عند ذبحها «الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك» أي: هي عطاء منك وتقرّب بها إليك ﴿صواف﴾ كناية عن كونها قائمات لأن قيام الإبل يستلزم أن تصف أيديها وأرجلها جمع صافة. والمعنى حال كونها قائمات قد صفن أيديهن وأرجلهن معقولة الأيدي اليسرى.

والآية دلت على أن الإبل تنحر قائمة كما قال الكاشفي: [صواف درحالتي كه برپاي ايستاده باشند وشترا ايستاده ذبح كردن سنت است]. ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ يقال: وجب الحائط يجب وجبة إذا سقط.

قال في «التهذيب»: الوجب [بيفتادن ديوار] وغيره والمعنى سقطت على الأرض وهو كناية عن الموت.

قال الكاشفي: [پس چون بيفتد برزمين پهلوي هاي مذبحان وروح ازايشان بيرون رود] ﴿فكلوا منها﴾ أي من لحومها إن لم يكن دم الجناية والكفارة والنذر كما سبق والأمر للإباحة ﴿وأطعموا﴾ الأمر للوجوب ﴿القانع﴾ أي الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ﴿والمعتر﴾ الاعتراض التعرض للسؤال من غير أن يسأل كما قال في «القاموس»: المعتر الفقير المعترض للمعروف من غير أن يسأل انتهى يقال: اعتره وعمرت بك حاجتي والعر الجرب الذي يعر البدن أي يعرضه.

قال الكاشفي: [درزاد المسير آورده كه قانع فقير مكة است ومعتز درويش آفاقي] **﴿كذلك﴾** مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله صواف. **﴿سخرناها لكم﴾** ذللناها لمنافعكم: وبالفارسية [رام كردانيم] مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصي عليكم حتى تأخذونها منقاداً فتعقلونها وتحسبونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها أي مناحرها من الصدور ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن أعجز من بعض الوحوش التي هي أصغر منها جرماً وأقل قوة. **﴿لعلكم تشكرون﴾** لتشكروا إنعامنا عليكم بالتقرب والإخلاص ولما كان أهل الجاهلية ينضحون البيت أي الكعبة بدماء قرايينهم ويشرحون اللحم ويضعونه حوله زاعمين أن ذلك قربة قال تعالى نهياً للمسلمين **﴿لن ينال الله﴾** لن يصيب ويبلغ ويدرك رضاه ولا يكون مقبولاً عنده. **﴿لحومها﴾** المأكولة والمتصدق بها **﴿ولا دماؤها﴾** المهرقة بالنحر من حيث أنها لحوم ودماء **﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾** وهو قصد الائتثار وطلب الرضى والاحتراز عن الحرام والشبهة.

وفيه دليل على أنه لا يفيد العمل بلانية وإخلاص: وبالفارسية: [وليكن ميرسد بمحل قبول وي پرهيز كاري از شماكه آن تعظيم امر خداوندست وتقرب بدو بقربان پسنديده]. **﴿كذلك سخرها لكم﴾** تكرير للتذكير والتعليل بقوله: **﴿لتكبروا الله﴾** أي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحده بالكبرياء. **﴿على ما هداكم﴾** على متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وما مصدرية أي على هدايته إياكم أو موصولة أي على ما هداكم إليه وأرشدكم وهو طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها. **﴿وبشر المحسنين﴾** أي المخلصين في كل ما يأتون وما يذرون في أمور دينهم بالجنة أو بقبول الطاعات.

قال ابن الشيخ: هم الذين يعبدون الله كأنهم يروونه يبتغون فضله ورضوانه لا يحملهم على ما يأتونه ويزرون إلا هذا الابتغاء وأمرة ذلك أن لا يستثقل ولا يتبرم بشيء مما فعله أو تركه والمقصود منه الحث والتحريض على استصحاب معنى الإحسان في جميع أفعال الحج. واعلم أن كل مال لا يصلح لخزانة الرب ولا كل قلب يصلح لخدمة الرب فعجل أيها العبد في تدارك حالك وكن سخيّاً محسناً بمالك فإن لم يكن فبالنفس والبدن وإن كان لك قدرة على بذلها فيهما معاً ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام كيف أعطى ماله الضيافة وبدنه النيران وولده للقربان وقلبه للرحمن حتى تعجب الملائكة من سخاوته فأكرمه الله بالخلة.

قالوا للحجاج يوم عيد للقربان مناسك. الأول: الذهاب من منى إلى المسجد الحرام فلغيرهم الذهاب إلى المصلى موافقة لهم. والثاني: الطواف فلغيرهم صلاة العيد لقوله عليه السلام: «الطواف بالبيت صلاة». والثالث: إقامة السنن من الحلق وقص الأظفار ونحوهما فلغيرهم إزالة البدعة وإقامة السنة. والرابع: القران فلغيرهم أيضاً ذلك إلى غير ذلك من البعادات وأفضل القران بذل المجهود وتطهير كعبة القلب لتجليات الرب المعبود وذبح النفس بسكين المجاهدة والفناء عن الوجود.

قال مالك بن دينار رحمه الله: خرجت إلى مكة فرأيت في الطريق شاباً إذا جن عليه الليل رفع وجهه نحو السماء وقال: يا من تسره الطاعات ولا تضره المعاصي هب لي ما يسرك واغفر لي ما لا يضرك فلما أحرم الناس ولبوا قلت له لم لا تلي فقال يا شيخ وما تغني التلبية عن الذنوب المتقدمة والجرائم المكتوبة أخشى أن أقول لبيك فيقال لي لا لبيك ولا سعديك لا

أسمع كلامك ولا أنظر إليك ثم مضى فما رأيته إلا بمنى وهو يقول؛ اللهم اغفر لي إن الناس قد ذبحوا وتقربوا إليك وليس لي شيء أتقرب به إليك سوى نفسي فتقبلها مني ثم شق شقه وخر ميتاً.

جان كه نه قربانيء جانان بود جيفة تن بهتر از آن جان بود
هر كه نشد كشته بشمشير دوست لاشة مردار به از جان اوست
وفي «المثنوي»:

معنىء تكبير اينست أي اميم كاي خدا پيش توما قربان شديم
وقت ذبح الله اكبر ميكنى همچنان در ذبح نفس كشتني
تن چو اسماعيل وجان شد چون خليل كرد جان تكبير بر جسم نبيل
كشته كشته تن ز شهوتها وآز شد ببسم الله بسمل در نماز
﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٢٨) اُذْنٌ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ
بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾.

﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾، قال الراغب: الدفع إذا عدي بآلى اقتضى معنى الإنالة نحو قوله تعالى: ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦] وإذا عدي بعن اقتضى معنى الحماية نحو: ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ أي: يبالغ في دفع ضرر المشركين عن المؤمنين ويحميهم أشد الحماية من أذاهم ﴿إن الله لا يحب كل خوان﴾ بليغ الخيانة في أمانة الله أمراً كانت أو نهياً أو غيرهما من الأمانات ﴿كفور﴾ بليغ الكفران لنعمته فلا يرضى فعلهم ولا ينصرهم. والكفران في جحود النعمة أكثر استعلاءً والكفر في الدين أكثر والكفور فيهما جميعاً وصيغة المبالغة فيهما لبيان أنهم كانوا كذلك لا لتقييد البعض بغاية الخيانة والكفر فإن نفي الحب كناية عن البغض والبغض نفار النفس من الشيء الذي ترغب عنه وهو ضد الحب فإن الحب انجذاب النفس إلى الشيء الذي ترغب فيه قال عليه السلام: «إن الله يبغض المتفحش» فذكر بغضه له تنبيه على بعد فيضه وتوفيق إحسانه منه.

وفي الآية: تنبيه على أنه بارتكاب الخيانة والكفران يصير بحيث لا يتوب لتماديه في ذلك وإذا لم يتب لم يحبه الله المحبة التي وعد بها التائبين والمتطهرين وهي إصابتهم والإنعام عليهم فإن محبة الله للعبد إنعامه عليه ومحبة العبد له طلب الزلفى لديه.

واعلم أن الخيانة والنفاق واحد لأن الخيانة تقال اعتباراً بالعهد والأمانة والنفاق يقال اعتباراً بالدين ثم يتداخلان فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر ونقيض الخيانة الأمانة ومن الخيانة الكفر فإنه إهلاك للنفس التي هي أمانة الله عند الإنسان وتجرى في الأعضاء كلها قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عِنْدَ مَشْغُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] ويجري في الصلاة والصوم ونحوهما إما بتركها أو بترك شرط من شرائطها الظاهرة والباطنة فأكل السحور مع غلبة الظن بطلوع الفجر أو الإفطار مع الشك بالغروب خيانة للصوم ومن أكل السحور فنام عن صلاة الصبح حتى طلع الشمس فقد كفر بنعمة الله التي هي السحور وخانه بالصلاة أيضاً فترك الفرض من أجل السنة تجارة خاسرة. روي: أن واحداً ضاع له تسعة دراهم فقال من وجدهم وبشرني فله عشرة دراهم فقبل له في ذلك فقال: إن في الوجدان لذة لا تعرفونها أنتم فأهل الغفلة

وجدوا في المنام لذة هي أفضل عندهم من ألف صلاة نعوذ بالله تعالى .
ومن الخيانة النقص في المكيال والميزان . حكى : أنه احتضر رجل فإذا هو يقول جبلين
من نار جبلين من نار فسئل أهله عن عمله فقالوا كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال
بالأخرة .

ومن الخيانة التسبب إلى الخيانة .

وكتب رجل إلى الصاحب بن عباد أن فلاناً مات وترك عشرة آلاف دينار ولم يخلف إلا
بتناً واحدة فكتب على ظهر المكتوب النصف للبنت والباقي يرد عليها وعلى الساعي ألف ألف
لعنة .

ثم إن المؤمن الكامل منصور على كل حال فلا يضره كيد الخائنين فإن الله لا يحب
الخائنين فإذا لم يحبهم لم ينصرهم ويحب المؤمن فينصره .
وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى يدافع خيانة النفس وهواها عن المؤمنين وأن مدافعة
النفس وهواها عن أهل الإيمان إنما كان لإزالة الخيانة وكفران النعمة لأنه لا يحب المتصفين
بها وأنه يحب المؤمنين المخلصين عنها فالآية تنبيه على إصلاح النفس الأمانة وتخليصها عن
الأوصاف الرذيلة .

وجود تو شهريست پرنيك ويد تو سلطان ودستور دانا خرد
همانا که دونان کردن فراز درين شهر کبرست وسود او آرز
چو سلطان عنایت کند بآبدان کجا ماند آسایش بخردان
قال الله تعالى :

﴿أذن﴾ الاذن في الشيء إعلام بإجازته والرخصة فيه والمأذون فيه محذوف ، أي رخص
في القتال . ﴿للدّين﴾ للمؤمنين الذين ﴿يقاتلون﴾ بفتح التاء على صيغة المجهول ، أي يقاتلهم
المشركون . ﴿بأنهم ظلموا﴾ أي : بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب النبي عليه السلام كان
المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه عليه السلام بين مضروب ومشجوج ويتظلمون إليه فيقول عليه
السلام لهم : «اصبروا فإنني لم أؤمر بالقتال» حتى هاجروا فنزلت وهي أول آية نزلت في القتال
بعدها نهى عنه في نيف وسبعين آية ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ وعد للمؤمنين بالنصر
والتغليب على المشركين بعدما وعد بدفع أذاهم وتخليصهم من أيديهم .

قال الراغب : القدرة إذا وصف بها الإنسان فاسم لهيئة له بها يتمكن من فعل ما وإذا
وصف الله بها فنفي للعجز عنه ومحال أن يوصف غير الله بالقدرة المطلقة معنى وإن أطلقت
عليه لفظاً بل حقه أن يقال قادر على كذا ومتى قيل : هو قادر فعلى سبيل معنى التقييد ولهذا لا
أحد غير الله يوصف بالقدرة من وجه إلا ويصح أن يوصف بالعجز من وجه والله تعالى هو
الذي ينتفي عنه العجز من كل وجه والقدير هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضي الحكمة لا
زائداً عليه ولا ناقصاً عنه ولذلك لا يصح أن يوصف به غير الله تعالى .

تعالى الله زهى قيوم ودانا توانايي ده هر ناتوانا

وفي الآية إشارة إلى أن قتال الكفار بغير إذن الله لا يجوز ولهذا لما وكز موسى عليه
السلام القبطي الكافر وقتله قال هذا من عمل الشيطان لأنه ما كان مأذوناً من الله في ذلك وبهذا
المعنى يشير إلى أن الصلاح في قتال كافر النفس وجهاده أن يكون بإذن الله على وفق الشرع

وأوانه وهو بعد البلوغ فإن قبل البلوغ تحلى المجاهدة باستكمال الشخص الإنساني الذي هو حامل أعباء الشريعة ولهذا لم يكن مكلفاً قبل البلوغ وينبغي أن تكون المجاهدة محفوظة عن طرفي التفريط والإفراط بل يكون على حسب ظلم النفس على القلب باستيلائها عليه فيما يضره من اشتغالها بمخالفة الشريعة وموافقة الطبيعة في استيفاء حظوظها وشهواتها من ملاذ الدنيا فإن منها يتولد رين مرآة القلب وقسوته واسوداده وإن ارتاضت النفس ونزلت عن ذميم صفاتها وانقادت للشريعة وتركت طبعها واطمأنت إلى ذكر الله واستعدت لقبول جذبة ﴿أَرْجِيْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّخِضَةً﴾ [الفجر: ٢٨] تصان من فرط المجاهدة ولكن لا يؤمن مكر الله المودع في مكر النفس وآخر الآية يشير إلى أن الإنسان لا يقدر على النفس وتزكيتها بالجهد المعتدل إلا بنصر الله تعالى .

چورويي بخدكت نهی بر زمين خدا را ثنا كوی وخود را مبین

كراز حق نه توفیق خیری رسد كي ازبنده خیری بگیری رسد

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [٤١] .

﴿الذين أخرجوا من ديارهم﴾ في حيز الجر على أنه صفة للموصول .

قال ابن الشيخ: لما بين أنهم إنما أذنوا في القتال لأجل أنهم ظلموا فسر ذلك الظلم بقوله: الذين إلى آخره والمراد بديارهم مكة وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيها للتصرف يقال: ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالى مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد . قال الراغب: الدار المنزل اعتباراً بدورانها الذي لها بالحائط وقيل: وجمعها ديار ثم تسمى البلدة داراً ﴿بغير حق﴾ أي خرجوا بغير موجب استحقاق الخروج فالحق مصدر قولك حق الشيء يحق بالكسر أي وجب ﴿إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ بدل من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجباً للإقرار والتمكين دون الإخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين في كل عصر

وزمان ﴿لهدمت﴾ الهدم إسقاط البناء والتهديم للتكثير أي لخربت باستيلاء المشركين ﴿صوامع﴾ للرهبانية ﴿وبيع﴾ للنصارى وذلك في زمان عيسى عليه السلام الصوامع جمع صومعة وهي موضع يتعبد فيه الرهبان وينفردون فيه لأجل العبادة .

قال الراغب: الصومعة كل بناء منصمع الرأس متلاصقة والأصمع اللاصق أذنه برأسه والبيع جمع بيعة وهي كنائس النصارى التي يبنونها في البلدان ليجتمعوا فيها لأجل العبادة والصوامع لهم أيضاً إلا أنهم يبنونها في المواضع الخالية كالجبال والصحارى .

قال الراغب: البيعة مصلى النصارى فإن يكن ذلك عربياً في الأصل فتسميته بذلك لما

قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١] الآية ﴿وصلوات﴾ كنائس لليهود في أيام موسى عليه السلام .

قال الكاشفي: [صومعهاي راهبان وكليساهاي ترسايان وكنشتهاي جهودان] سميت بالصلوات لأنها تصلى فيها.

قال الراغب: يسمى موضع العبادة بالصلاة ولذلك سميت الكنائس صلوات. وقال بعضهم: هي كلمة معربة وهي بالعبرية «صلوئا» بالثاء المثلثة وهي في لغتهم بمعنى المصلى ﴿ومساجد﴾ للمسلمين في أيام شريعة محمد ﷺ وقدم ما سوى المساجد عليها في الذكر لكونه أقدم في الوجود بالنسبة إليها. وفي «الأسئلة المقحمة»: تقديم الشيء بالذكر لا يدل على شرفه كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] ﴿يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ أي ذكراً كثيراً أو وقتاً كثيراً صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل أهلها ويجوز أن يكون صفة للأربع لأن الذكر في الصوامع والبيع والصلوات كان معتبراً قبل انتساخ شرائع أهلها.

وفي الآية إشارة إلى أنه تعالى لو لم ينصر القلوب على النفوس ويدافع عن القلوب استيلاء النفوس لهدمت صوامع أركان الشريعة وبيع آداب الطريقة وصلوات مقامات الحقيقة ومساجد القلوب التي يذكر فيها اسم الله كثيراً فإن الذكر الكثير لا يتسع إلا في القلوب الواسعة المنورة بنور الله. ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ أي: بالله لينصرن الله من ينصر أوليائه أو من ينصر دينه ولقد أنجز الله وعده حيث سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرة الروم وأورثهم أرضهم وديارهم. ﴿إن الله لقوي﴾ على كل ما يريده. ﴿عزيز﴾ لا يمانعه شيء ولا يدافعه، وفي «بحر العلوم»: يغني بقدرته وعزته في إهلاك أعداء دينه عنهم وإنما كلفهم النصر باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة الأعداء وبذل الأرواح والأموال لينتفعوا به ويصلوا بامثال الأمر فيها إلى منافع دينية ودنيوية.

فإن قلت فإذا كان الله قوياً عزيزاً غالباً غلبة لا يجد معها المغلوب نوع مدافعة وانفلات فما وجه انهزام المسلمين في بعض وقد وعدهم النصر.

قلت: إن النصر والغلبة منصب شريف فلا يليق بحال الكافر لكن الله تعالى تارة يشدد المحنة على الكفار وأخرى على المؤمنين لأنه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الأوقات وأزالها عن المؤمنين في جميع الأوقات لحصل العلم الاضطرابي بأن الإيمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا المعنى تارة يسلط الله المحنة على أهل الإيمان وأخرى على أهل الكفر لتكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الإسلام فيعظم ثوابه عند الله ولأن المؤمن قد يقدم على بعض المعاصي فيكون تشديد المحنة عليه في الدنيا كفارة له في الدنيا وأما تشديد المحنة على الكافر فإنه يكون غضباً من الله كالطاعون مثلاً فإنه رحمة للمؤمنين ورجز أي عذاب وغضب للكافرين.

مرّ عامر برجل قد صلبه الحجاج قال: يا رب إن حلمك على الظالمين أضر بالمظلومين، فرأى في منامه أن القيامة قد قامت وكأنه دخل الجنة فرأى المصلوب فيها في أعلى عليين فإذا منادٍ ينادي حلمي على الظالمين أحل المظلومين في أعلى عليين.

واعلم أن الله تعالى يدفع في كل عصر مدبراً بمقبل ومبطلاً بمحق وفرعوناً بموسى ودجالاً بعبسى فلا تستبطىء ولا تنصجر. قال الحافظ:

اسم أعظم بكند كارخود أي دل خوش باش كه بتلبيس وحيل ديو سليمان نشود

قال بعض الكبار: الأمراء يقاتلون في الظاهر وأولياء الله في الباطن فإذا كان الأمير في قتاله محقاً والطرف المقابل مستحقاً للعقوبة أعانه رجال الغيب من الباطن وإلا فلا.

وفي التوراة في حق هذه الأمة: أناجيلهم في صدورهم أي يحفظون كتابهم لا يحضرون قتالاً إلا وجبريل عليه السلام معهم وهو يدل على أن كل قتال حق يحضره جبريل ونحوه إلى قيام الساعة بل القتال إذا كان حقاً فالواحد يغلب الألف. قال الحافظ:

تبغي كه آسمانش از فيض خود دهد آب تنها جهان بكيرد بي منت سپاهي

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (١١)

﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾ وصف من الله للذين أخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكنه تعالى إياهم في الأرض وإعطائه إياهم زمام الأحكام ﴿أقاموا الصلاة﴾ لتعظيمي.

قال الراغب: كل موضع مدح الله بفعل الصلاة أو حث عليه ذكر بلفظ الإقامة ولم يقل المصلين إلا في المنافقين نحو: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤] وإنما خص لفظ الإقامة تنبيهاً على أن المقصود من فعلها توفية حقوقها وشرائطها لا الإتيان بهيئتها فقط ولهذا روي أن المصلين كثير والمقيمين لها قليل ﴿وآتوا الزكاة﴾ لمساعدة عبادي ﴿وأمرؤا بالمعروف﴾ وكل ما عرف حسنه شرعاً وعرفاً. ﴿ونہوا عن المنکر﴾ هو ما يستقبحه أهل العلم والعقل السليم.

قال الراغب: المعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ما ينكر بهما. وفي الآية إشارة إلى أن وصف القلوب المنصورة أنهم إن مكنتهم الله في أرض البشرية استداموا المواصلات وآتوا زكاة الأحوال وهي أن يكون من مائتي نفس من أنفاسهم مائة وتسعة وتسعون ونصف جزء منها لهم والباقي إيثار على خلق الله في الله مهما كان زكاة أموال الأغنياء من مائتي درهم خمسة للفقراء والباقي لهم وأمرؤا بالمعروف حفظ الحواس عن مخالفة أمره ومراعاة الأنفاس معه إجلالاً لقدره ونهوا عن المنكر ومن وجوه المنكرات الرياء والإعجاب والمساكنة والملاحظة ﴿ولله﴾ خاصة ﴿عاقبة الأمور﴾ فإن مرجعها إلى حكمه وتقديره فقط: يعني [انجام امور آن كه اوميخواهد].

اين دولت فقر وها وهو ميخواهد وأن كلشن وحوض وآب جوميخواهد

از حق همه كس حال نكو ميخواهد آنست سرانجام كه اوميخواهد

وعن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه إلى النبي عليه السلام: «أن من أشراط الساعة إماتة الصلوات واتباع الشهوات والميل إلى الهوى ويكون أمراء خونة ووزراء فسقة» فوثب سلمان فقال: بأبي وأمي إن هذا لكائن قال: «نعم يا سلمان عندها يذوب قلب المؤمن كما يذوب الملح في الماء ولا يستطيع أن يغير» قال: أو يكون ذلك؟ قال: «نعم يا سلمان إن أذل الناس يومئذ المؤمن يمشي بين أظهرهم بالمخالفة إن تكلم أكلوه وإن سكت مات بغيظه». قال عمر رضي الله عنه للنبي عليه السلام: أخبرني عن هذا السلطان الذي ذلت له الرقاب وخضعت له الأجساد ما هو فقال: «ظل الله في الأرض فإذا أحسن فله الأجر وعليكم الشكر وإذا أساء فعليه الاصر وعليكم الصبر» وفي الحديث: «عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة»، قال الحافظ:

شاه رابه بود از طاعت صد ساله وزهد
قال الشيخ سعدي قدس سره:
بقومي که نيکي پسندد خدای
چو خواهد که ویران کند عالمي
نخواهي که نفرين کنند از پست
نخفتست مظلوم از آهش بترس
نترسي که پاک اندروني شبي
نمی ترسي أي كرك ناقص خرد
ألا تابغفلت نخسبي که نوم
غم زیر دستان بخور زینهار
وعن ازدشير لا سلطان إلا برجال ولا رجال إلا بمال ولا مال إلا بعمارة ولا عمارة إلا
بعدل وحسن سياسية قيل السياسة أساس الرياسة.

﴿وَإِنْ يَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿١١﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿١٢﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٣﴾﴾.

﴿وإن يكذبوك﴾ یا محمد وصیغه المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما أن المقصود تسليته عليه السلام عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع أي وإن تحزن على تكذيب قومك إياك فاعلم أنك لست بأوحد في ذلك. ﴿فقد كذبت قبلهم﴾ قبل تكذيبهم. ﴿قوم نوح﴾ أي: نوحاً ﴿وعاد﴾ أي: هوداً ﴿وتمود﴾ أي: صالحاً ﴿وقوم إبراهيم﴾ أي: إبراهيم ﴿وقوم لوط﴾ أي: لوطاً.

﴿وأصحاب مدين﴾ أي: شعيباً ومدين كان ابناً لإبراهيم عليه السلام ثم صار علماً لقريّة شعيب ﴿وكذب موسى﴾ كذبه القبط واصرروا إلى وقت الهلاك وأما بنو إسرائيل فإنهم وإن قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحوه فما استمروا على العناد بل كلما تجدد لهم المعجزة جددوا الإيمان هكذا ينبغي أن يفهم هذا المقال وغير النظم بذكر المفعول وبناء الفعل له للإيذان بأن تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكون آياته في كمال الوضوح. ﴿فأمليت للكافرين﴾ أمهلتهم إلى أجلهم المسمى ﴿ثم أخذتهم﴾ أي: أخذت كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة إملائه وامهاله بعذاب الطوفان والريح الصرصر والصيحة وجند البعوض والخسف والحجارة وعذاب يوم الظلة والغرق في بحر القلزم.

قال الراغب: الأخذ وضع الشيء وتحصيله وذلك تارة بالتناول نحو معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده وتارة بالقهر ومنه الآية. ﴿فكيف كان نكير﴾ أي: انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكاً والعمارة خراباً أي فكان ذلك في غاية الهول والفضاعة، فمعنى الاستفهام التقرير ومحصول الآية قد أعطيت هؤلاء الأنبياء ما وعدتهم من النصرة فاستراحوا فاصبر أنت إلى هلاك من يعاديك فتستريح ففي هذا تسليّة للنبي عليه السلام.

﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْرِئُ مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ

﴿فَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ﴾

قال المولى الجامي في «شرح الكافية»: من الكناية كَأَيُّنَ وإنما بني لأن كاف التشبيه دخلت على أي وأي كان في الأصل معرباً لكنه انمحي عن الجزأين معناهما الإفرادي فصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية فصار كأنه اسم مبني على السكون آخره نون ساكنة كما في من لا تنوين تمكن ولهذا يكتب بعد الياء نون مع أن التنوين لا صورة له في الخط انتهى .

والمعنى فكثير من القرى: وبالفارسية: [پس بسيارديه وشهر] وهو مبتدأ وقوله: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ خبره ﴿وهي ظالمة﴾ جملة حالية من قوله أهْلَكْنَاهَا والمراد ظلم أهلها بالكفر والمعاصي وهو بيان لعذله وتقدهس عن الظلم حيث أخبر بأنه لم يهلكهم إلا إذا استحقوا الإهلاك بظلمهم. ﴿فهي خاوية﴾ عطف على أهْلَكْنَاهَا والمراد بضمير القرية حيطانها والخواء بمعنى السقوط من خوى النجم إذا سقط أي ساقطة حيطان تلك القرية. ﴿على عروشها﴾ أي سقوفها بأن تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف فالعروش السقوف لأن كل مرتفع أظلك فهو عرش سقفاً كان أو كرمأ أو ظلة أو نحوها .

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى خراب قلوب أهل الظلم فإن الظلم يوجب خراب أوطان الظالم فيخرب أولاً أوطان راحة الظالم وهو قلبه فالوحشة التي هي غالبية على الظلمة من ضيق صدورهم وسوء أخلاقهم وفرط غيظهم على من يظلمون عليهم كل ذلك من خراب أوطان راحتهم وهي في الحقيقة من جملة العقوبات التي تلحقهم على ظلمهم ويقال: خراب منازل الظلمة ربما يستأخر وربما يستعجل وخراب نفوسهم في تعطلها عن العبادات بشؤم ظلمها كما قال: ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ وخراب قلوبهم باستيلاء الغفلة عليهم خصوصاً في أوقات صلواتهم وأوان خلواتهم غير مستأخر. ﴿وبئر معطلة﴾ البئر في الأصل، حفيرة يستر رأسها لئلا يقع فيها من مر عليها وعطلت المرأة وتعطلت إذا لم يكن عليها حلي فهي عاطل والتعطيل التفرغ، يقال لمن جعل العالم بزعمه فارغاً من صانع أتقنه وزينه معطل وهو عطف على قرية أي وكم بئر عامرة في البوادي، أي فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها. ﴿وقصر﴾ يقال: قصرت كذا ضمنت بعضه بعضه إلى بعض ومنه سمي القصر .

قال في «القاموس»: القصر خلاف الطول وخلاف المد والمنزل وكل بيت من حجر وعلم لسبعة وخمسين موضعاً ما بين مدينة وقرية وحصن ودار أعجبها قصر بهرام جور من حجر واحد قرب همذان. ﴿مشيد﴾ مبني بالشيء أخليناه عن ساكنيه، وأهل المدينة يسمون الجص شيداً وقيل: مشيد أي مطول مرفوع البنيان وهو يرجع إلى الأول كما في «المفردات» ويقال: شيد قواعده أحكمها كأنه بناها بالشيء. وفي «القاموس»: شاد الحائط يشيده طلاه بالشيء وهو ما طلي به حائط من جص ونحوه والشيء المعمول به وكؤيد المطول روي أن هذه بئر نزل عليها صالح النبي عليه السلام مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وإنما سمي بذلك لأن صالحاً حين حضرها، مات وثمة بلدة عند البئر اسمها حاضرواء، بناها قوم صالح وأمروا عليهم جليس بن جلاس وأقاموا بها زماناً ثم كفروا وعبدوا صنماً فأرسل الله عليهم حنظلة بن صفوان، نبياً وكان حمالاً فيهم فقتلوه في السوق فأهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم .

قال الإمام السهيلي: قيل: إن البثر الرس وكانت بعدن لأمة من بقايا ثمود وكان لهم ملك عدل حسن السيرة يقال له العلس وكانت البثر تسقي المدينة كلها وباديتها وجميع ما فيها من الدواب والغنم والبقر وغير ذلك لأنها كانت لها بكرات كثيرة منصوبة عليها ورجال كثيرون موكلون بها وإيازن بالنون من رخام وهي تشبه الحياض كثيرة تملأ للناس وآخر للدواب، وآخر للغنم والبقر والهوام، يستقون عليها بالليل والنهار يتداولون ولم يكن لهم ماء غيره فطال عمر الملك، فلما جاءه الموت طلي بدهن لتبقى صورته ولا يتغير وكذلك يفعلون إذا مات منهم الميت وكان ممن يكرم عليهم فلما مات شق ذلك عليهم ورأوا أن أمرهم قد فسد وضجوا جميعاً بالبكاء واغتنمها الشيطان منهم، فدخل في جثة الملك بعد موته بأيام كثيرة فكلمهم فقال: إني لم أمت ولكني قد تغيت عنكم حتى أرى صنعكم بعدي، ففرحوا أشد الفرح وأمر خاصته أن يضربوا له حجاباً بينه وبينهم يكلمهم من ورائه كيلا يعرف الموت في صورته ووجهه فنصبوه صنماً من وراء حجاب لا يأكل ولا يشرب وأخبرهم أنه لا يموت أبداً وأنه إله لهم وذلك كله يتكلم به الشيطان على لسانه فصدق كثير منهم وارتاب بعضهم وكان المؤمن المكذب منهم أقل من المصدق فكلما تكلم ناصح منهم زجر وقهر فاتفقوا على عبادته فبعث الله تعالى لهم نبياً كان الوحي ينزل عليه في النوم دون اليقظة وكان اسمه حنظلة بن صفوان فأعلمهم أن الصورة صنم لا روح له وأن الشيطان فيه وقد أضلهم وأن الله تعالى لا يتمثل بالخلق وأن الملك لا يجوز أن يكون شريكاً لله وأوعدهم ونصحهم وحذرهم سطوة ربهم ونقمته فأذوه وعادوه حتى قتلوه وطرحوه في بئر فعند ذلك حلت عليهم النعمة فباتوا شباعاً رواء من الماء وأصبحوا والبثر قد غار ماؤها وتعطل رشاؤها فصاحوا بأجمعهم وضج النساء والولدان وضجت البهائم عطشاً حتى عمهم الموت، وشملهم الهلاك، وخلفهم في أرضهم السباع وفي منازلهم الثعالب والضباع، وتبدلت بهم جناتهم وأموالهم بالسدر والشوك، شوك العضاة والقتاد فلا تسمع فيها إلا عزيف الجن وزئير الأسد نعوذ بالله من سطوته ومن الإصرار على ما يوجب نقماته.

وأما القصر المشيد: فقصر بناه شداد بن عاد بن إرم لم يبن في الأرض مثله فيما ذكر وحاله كحال هذه البثر المذكورة في إيحاشه بعد الإنس وإقفاره بعد العمران، وإن أحداً لا يستطيع أن يدنو منه على أميال لما يسمع فيه من عزيف الجن والأصوات المنكرة بعد النعيم والعيش الرغيد، وبها الملك وانتظام الأهل كالسلك فبادوا وما عادوا فذكرهم الله تعالى في هذه الآية موعظة وذكراً وتحذيراً من سوء عاقبة المخالفة والمعصية.

قال الكاشفي: [در تيسير آورده كه پادشاهي كافر بر وزير مسلمان غضب كرد وخواست اورا بكشد وزير بكريخت باچهار هزاركس ازاھل ایمان ودرپايان كوه حضموت كه هواي خوش داشت منزل ساخت هرچند چاه كندند آب تلخ بيرون آمديكي ازرجال الغيب بديشان رسیده موضعي جهت چاه نشان كرد چون بكنندن آبي درغایت صفا لطافت ونهايت رقت وعذوبت بيرون آمد.

درمرزه چون شیره شاخ نبات در حوشي همشیره آب حیات ایشان آن چاه راكشاده ساختند وازپايان تابالابخشتهاي زر ونقره برآوردند وپرستش پرور دكار خود مشغول كشتند بعد ازمدتي متمادي شيطان بصورت عجوز صالحه برآمد زنانرا دلالت

کرد برآنکه بوقت غیبت شوهران سحافی اشتغال کند و دیگر باره بشکل مردی زاهد برایشان ظاهر شد مردانرا بوقت دوری ازواج ازایشان باتیان بهائم ثم فرمود و چون این عمل قبیح در میان ایشان بدید آمد حق سبحانه حظلة یا قحافة بن صفوان رابه پیغمبری بدیشان فرستاد و بدو نکردیدند آب ایشان غائب شد و بعد از وعدة ایمان پیغمبر دعا فرموده آب باز آمد و هم فرمان نبردند حق تعالی فرمود که بعد از هفت سال و هفت ماه و هفت روز عذاب بدیشان میفرستم ایشان قصر مشیدرا بنا کردند بخشتهای زر و نقره و یواقیت و جواهر مرصع ساختند و بعد از انقضای زمانه مهلت رجوع بآن قصر کرده درها فرو بستند و جبرائیل فرود آمد و ایشانرا بکوشک بر زمین فرو برد و چاه ایشان مانده است و دود سیاه متنن از انجا بر می آمد و دران نواحی ناله هلاک شد کان میشوند[.

نه هرگز شنیدم درین عمر خویش که بدمردرا نیکی آمد به پیش
 رطب ناورد چوب خرزهره بار چه تخم افکنی بر همان چشم دار
 غم و شاد مانی نماند ولیک جزای عمل ما ند و نام نیک
 ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾

﴿أفلم یسیروا﴾ ای: کفار مکه، ای أغفلوا فلم یسافروا ﴿فی الأرض﴾ فی الیمن و الشام لیروا مصارع المهلکین. ﴿فتکون لهم﴾ بسبب ما یشاهدونه من مواد الاعتبار وهو منصوب علی جواب الاستفهام وهو فی التحقیق منفی. ﴿قلوب یعقلون بها﴾ ما یجب أن یعقل من التوحید ﴿أو آذان یسمعون بها﴾ ما یجب أن یسمع من أخبار الأمم المهلکه ممن یجاورهم من الناس فإنهم أعرف منهم بحالهم وهم وإن كانوا قد سافروا فیها ولكنهم حیث لم یسافروا للاعتبار جعلوا غیر مسافرین فحثوا علی ذلك فالاستفهام للإنکار. ﴿فإنها﴾ أي القصة و بالفارسیة [بس قصه اینست] ﴿لا تعمی الأبصار ولكن تعمی القلوب التي فی الصدور﴾ ای: لیس الخلل فی مشاعرهم وإنما هو فی عقولهم باتباع الهوی والانهماک فی الغفلة، و بالفارسیة [نابینا نشود دیدههای حس یعنی در مشاعر ایشان خلل نیست همه چیز می بینند و لكن نابینا شود از مشاهده اعتبار آن دلها که هست درسینها یعنی چشم دل ایشان پوشیده است از مشاهده أحوال کذشتکان لا جرم بدان عبرتی نمی گیرند] أولا یعتقد بعمی الأبصار فکأنه لیس بعمی بالإضافة إلى عمی القلوب والعمی یقال فی افتقاد البصر و افتقاد البصيرة و ذکر الصدور للتأکید و نفی التجوز قصداً للتنبيه علی أن العمی الحقیقی لیس المتعارف الذي یختص بالبصر، و فی الحديث: «ما من عبد إلا وله أربع أعین عینان فی رأسه یتبصر بهما أمر دنیاه، و عینان فی قلبه یتبصر بهما أمر دینة»، و اکثر الناس عیمان بصر القلب لا یتبصرون به أمر دینهم.

چشم دل بکشاببین بی انتظار هر طرف آیات قدرت آشکار
 چشم سر جز پوست خود چیزی ندید چشم سردر مغز هر چیزی رسید

قال فی «حقائق البقلی»: قدس سره: الجهال یرون الأشياء بأبصار الظاهر و قلوبهم محجوبة عن رؤية حقائق الأشياء التي هي تابعة أنوار الذات و الصفات أعماهم الله بغشاوة الغفلة و غطاء الشهوة.

قال سهل: اليسير من نور بصر القلب يغلب الهوى والشهوة فإذا عمي بصر القلب عما فيه غلبت الشهوة وتواترت الغفلة فعند ذلك يصير البدن متخبطاً في المعاصي غير منقاد للحق بحال.

وفي «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى أن العقل الحقيقي إنما يكون من نتائج صفاء القلب بعد تصفية حواسه عن العمى والصمم فإذا صح وصف القلوب بالسمع والبصر صح وصفها بسائر صفات الحي من وجوه الإدراكات فكما تبصر القلوب بنور اليقين تدرك نسيم الإقبال بمشام السر وفي الخبر: «إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن» وقال تعالى خبراً عن يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩٤] وما كان ذلك إلا بإدراك السرائر دون اشتمام ريح في الظاهر فعلى العاقل أن يجتهد في تصفية الباطن وتجلية القلب وكشف الغطاء عنه بكثرة ذكر الله تعالى وعن مالك بن أنس رضي الله عنه بلغني أن عيسى ابن مريم عليهما السلام قال: «لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله فتقسو قلوبكم والقلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون».

وقال مالك بن دينار من لم يأنس بحديث الله عن حديث المخلوقين فقد قل عمله وعمي قلبه وضاع عمره، وفي الحديث: «لكل شيء صقالة وصقالة القلب ذكر الله».

وقال أبو عبد الله الأنطاكي: دواء القلب خمسة أشياء: مجالسة الصالحين وقراءة القرآن وإخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند الصبح كذا في «تنبيه الغافلين».

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٤٧)

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ (٤٨).

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ كانوا يقولون له عليه السلام ائتنا بما وعدتنا إن كنت من الصادقين: والمعنى بالفارسية [وبشتاب ميخواهند از تو کافران مکه چون نصر بن حارث وإضراب أو يعني تعجيل ميمنايد بطريق استهزاء وتعجيل بنزول عذاب موعودا].

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى عدم تصديقهم كما قال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الشورى: ١٨] ولو آمنوا لصدقوا ولو صدقوا لسكتوا عن الاستعجال وهو طلب الشيء وتحريره قبل أوانه. ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ أبداً وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتماً وقد أنجز الله ذلك يوم بدر.

قال في «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن الخلف في وعيد الكفار لا يجوز كما أن الخلف في الوعد للمؤمنين لا يجوز الخلف في وعيد المؤمنين لأنه سبقت رحمة الله غضبه في حق المؤمنين ووعدهم بالمغفرة بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وبقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] انتهى وأحسن يحيى بن معاذ في هذا المعنى حيث قال الوعد والوعيد حق فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم إذا فعلوا ذلك أن يعطيهم كذا ومن أولى بالوفاء من الله والوعيد حقه على العباد قال لا تفعلوا كذا فأعذبكم ففعلوا فإن شاء عفا وإن شاء أخذ لأنه حقه وأولاهما العفو والكرم لأنه غفور رحيم.

قال السري الموصلي:

إذا وعد السرّاء أنجز وعده وإن أوعد الضراء فالعفو مانعه
كذا في «شرح العضد» للجلال الدواني: ثم ذكر أن لهم مع عذاب الدنيا في الآخرة عذاباً

طويلاً وهو قوله: ﴿وإن يوماً عند ربك﴾ أي: من أيام عذابهم ﴿كألف سنة مما تعدون﴾ وذلك أن لليوم مراتب فيوم كالآن وهو أدنى ما يطلق عليه الزمان فمئة يمتد الكل وهو مشار إليه بقوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ۲۹] فالشأن الإلهي بمنزلة الروح يسري في أدوار الزمان ومراتبه سريان الروح في الأعضاء ويوم خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة ويوم كألف سنة وهو يوم الآخرة والخطاب للرسول ومن معه من المؤمنين كأنه قيل: كيف يستعجلون بعذاب ويوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنيكم إما من حيث طول أيام عذابه حقيقة أو من حيث أن أيام الشدائد مستطالة كما يقال: ليل الفراق طويل وأيام الوصل قصار ويقال: سنة الوصل سنة وسنة الهجر سنة.

ويوم لا أراك كألف شهر وشهر لا أراك كألف عام
قال الحافظ:

أندم كه باتو باشم يكساله هست روزي واندم كه بي تو باشم يك لحظه هست سالي
ويجوز أن يكون قوله: وإن يوماً الخ، متعلقاً بقوله: ولن يخلف الخ والمعنى ما وعده تعالى ليصيبنهم ولو بعد حين لكنه تعالى حلیم صبور لا يعجل بالعذاب وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون لكمال حلمه ووقاره وتأنيه، حتى استقصر المدد الطوال شبه المدة القصيرة عنده بالمدة الطويلة عند المخاطبين إشارة إلى أن الأيام تساوى عنده إذ لا استعجال له في الأمور فسواء عنده يوم واحد وألف سنة، ومن لا يجري عليه الزمان فسواء عليه وجود الزمان وعدم الزمان وقلة الزمان وكثرة الزمان إذ ليس عنده صباح ولا مساء، وبالفارسية: [نزدیک خدای تعالی یکروز برابر هزار سالست زیرا که حکم زمان بروجاری نیست پس وجود وعدم وقلت وکثرت آن نزدیک خدای یکسانست هرگاه که خواهد عذاب فرستد وبر استعجال زمان عقوبت هیچ اثری مرتب نشود.

تادر نرسد وعدة هرکارکه هست هرچند کنی جهد بجانى نرسد
فعلى العاقل أن يلاحظ أن كل آت قريب ولا يغتر بالإمهال فإن بطش الله شديد وعذابه لا يطاق ويسارع إلى رضى الله تعالى بامثال أوامره والاجتناب عن نواهيه وترك الاستهزاء بالدين وأهله بأحكام الله ووعدته ووعيدته فإن الله صادق في قوله حكيم في فعله وليس للعبد إلا تعظيمه وتعظيم أمره.

﴿وكأين من قرية﴾ وكثير من أهل قرية ﴿أمليت لها﴾ أمهلتها بتأخير العذاب كما أمهلت لهؤلاء. ﴿وهي ظالمة﴾ أي والحال أنها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء. ﴿ثم أخذتها﴾ بالعذاب بعد طول الإمهال: يعني [پس کرفتیم ایشانرا چون توبه نکردند بعدایی سحت دردنيا]. ﴿والى المصير﴾ أي: إلى حكمي مرجع الكل لا إلى أحد غيري لا استقلالاً ولا شركة فأفعل بهم ما أفعل مما يليق بأعمالهم وفيه إشارة إلى أن الإمهال يكون من الله تعالى والإمهال لا يكون فإنه يمهل ولا يهمل ويدع الظالم في ظلمه ويوسع له الحبل ويطيّل به المهل فيتوهم أنه يفلت من قبضة التقدير وذلك ظنه الذي أراد ويأخذه من حيث لا يرتقب فيعلوه ندامة ولات حينه، وكيف يستبقي بالحيلة ما حق في التقدير عدمه وإلى الله مرجعه فالظلم من العبد سبب للأخذ من الله فلا يلومن إلا نفسه، قال الحافظ:

توبتقصير خود افتادى ازين محروم ازكه مي نالي وفرياد جرا ميداري

﴿قُلْ يَتَايَهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين﴾ أنذركم إنذاراً بيناً بما أوحى إليّ من أخبار الأمم المهلكة من غير أن يكون لي دخل في إتيان ما توعدونه من العذاب حتى يستعجلوني والافتقار على الإنذار مع بيان حال الفريقين بعده؛ لأن صدر الكلام ومساقه للمشرّكين وعقابهم وإنما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى إنذار أهل النسيان أي قل لهم يا محمد إني أشابهكم من حيث الصورة لكن أبيانكم من حيث السيرة فأنا لمحسنكم بشير ولمسيئكم نذير وقد أيدت بإقامة البراهين ما جئتكم به من وجوه الأمر بالطاعة والإحسان والنهي عن الفجور والعصيان. ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة﴾ تجاوز لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ نعيم الجنة: يعني [رزق بي رنج ومنّت] والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِرِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٢١﴾﴾.

﴿والذين سعوا﴾ أسرعوا واجتهدوا ﴿في آياتنا﴾ في رد آياتنا وإبطالها بالطعن فيها ونسبتها إلى السحر والشعر وغير ذلك من الافتراء. ﴿معاجزين﴾ حال كونهم يعاجزون الأنبياء وأوليائهم، أي يقابلونهم ويمانعونهم ليصيروهم إلى العجز عن أمر الله أو ظانين أنهم يعجزوننا فلا نقدر عليهم أو معاندين مسابقين من عاجز فلان فلاناً سابقه فعجزه سبقه كما قال الكاشفي: [درحالي پیشي گیرند مانند بر ما بکمال خود یعنی خواهند که از ما درگذرند و عذاب ما ازیشان فوت] ﴿أولئك﴾ الموصوفون بالسعي والمعاجة ﴿أصحاب الجحيم﴾ أي: ملازمون النار الموقدة وقيل: هو اسم دركة من دركاتها. وفي «المنثوي»:

هرکه برشمع خدا آرد تفو شمع کی میرد بسوزد پوزاو

کی شود دریا زپوزسک نجس کی شود خورشید ازپف منطمس

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من عاند أهل آياته من خواص أوليائه أولئك أصحاب جحيم الحقد والعداوة ورد الولاية والسقوط عن نظر الله وجحيم نار جهنم في الآخرة وإذا أراد الله تعالى بعبد خيراً يحوله عن الإنكار ويوفقه للتوبة والاستغفار. روي: أن رجلاً قال كنت أبغض الصوفية فرأيت بشراً الحافي يوماً قد خرج من صلاة الجمعة فاشترى خبزاً ولحماً مشوياً وفالودجاً وخرج من بغداد فقلت إنه زاهد البلد فتبعته لأنظر ماذا يصنع وظننت أنه يريد التمتع في الصحراء فمشى إلى العصر فدخل مسجداً في قرية وفيه مريض فجعل يطعمه فذهبت إلى القرية لأنظر ثم جئت فلم أجد بشراً فسألت المريض فقال: ذهب إلى بغداد، فقلت: كم بيني وبين بغداد، قال: أربعون فرسخاً، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون ولم يكن عندي ما أكتري به وأنا عاجز عن المشي فبقيت إلى جمعة أخرى فجاء بشر ومعه طعام للمريض فقال المريض: يا أبا نصر رد هذا الرجل إلى منزله فنظر إليّ مغضباً وقال: لم صحبتني فقلت: أخطأت فأوصلني إلى محلي فقال: اذهب ولا تعد فتبت إلى الله وأنفقت الأموال وصحبتهم، وفي الحكاية أشارت منها أن كرامات الأولياء حق ومنها أن إنكار ما ليس للعقل فيه مجال خطأ ومنها أن الرجوع إلى باب وارث الرسول ينظم العبد في سلك القبول. قال الحافظ:

کلید کنج سعادت قبول اهل دلست مبادکس که درین نکته شک وریب کند

قال بعض الكبار: الاستمداد من أهل الرشاد وإن كان صالحاً عظيماً في نيل المراد إلا أن حسن الاعتقاد مع مباشرة الأسباب يسهل الأمور الصعاب ويوصل إلى رب الأرباب والله مفتاح الأبواب والهادي إلى سبيل الصواب.

وقال بعضهم: المنكر على العلماء بالله إنما أنكر لقصور فهمه وقلة معرفته، فإن علومهم مبنية على الكشف والعيان وعلوم غيرهم من الخواطر الفكرية والأذهان وبداية طريقهم التقوى والعمل الصالح وبداية طريق غيرهم مطالعة الكتب والاستمداد من المخلوقين في حصول المصالح ونهاية علومهم الوصول إلى شهود حضرة الحي القيوم ونهاية علوم غيرهم تحصيل الوظائف والمناصب والخصام الذي لا يدوم فلا طريق إلا طريق السادة الأئمة الهداة القادة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٢)

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ هذا دليل بين على تغاير الرسول والنبي والرسول إنسان أرسله الله إلى الخلق لتبليغ رسالته وتبيين ما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدارين وقد يشترط فيه الكتاب بخلاف النبي فإنه أعم ويعضده ما روي أنه عليه السلام سأل عن الأنبياء فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً» قيل: فكم الرسل منهم قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً» وفي رواية «مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفاً».

وقال القهستاني: الرسول من بعث لتبليغ الأحكام ملكاً كان أو إنساناً بخلاف النبي فإنه مختص بالإنسان.

قال الكاشفي في «تفسيره»: [در بعض تفاسير قصة إلقاء الشيطان در امنيت پيغمبر وبر وجهي آورده اندكه مرضى أهل تحقيق نیست وما از تأویلات علم الهدی وتیسیر و دیگر کتب معتبره چون معتمد فی المعتقد و ذروة الأحياب مدت أنوار جمال مؤلفه إلى يوم الحساب آنرا انيجا ایراد کردیم بطریقی که موافق أهل سنت است آورده اندكه چون والنجم نازل شد سيد عالم عليه السلام آنرا در مسجد الحرام در مجمع قریش میخواند و در میان آیتها توقف می نمود تا مردم تلقی نموده یاد گیرند پس طریق مذکور بعد از تلاوت آیت. ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُرَىٰ (١٩) وَمَوَآءَ النَّالَةِ الْآخَرَىٰ (٢٠)﴾ [النجم: ١٩-٢٠] متوقف شد و شیطان دران میان مجال یافت بکوش مشرکان رسانیدکه تلك الغرائق العلی وأن شفاعتهن لترتجی حاصل معنی آنکه ایشان بزرگان یامرغان بلند پروازند و امید بشفاعت ایشان میتوان داشت کفار باستماع آین کلمات خوش دل شده پنداشتندکه حضرت پیغمبر خواند و بتان ایشانرا ستایش کرد لا جرم در آخر سوره که آن حضرت بامؤمنان سجده کردند أهل شرك اتفاق کردند جبرائیل فرود آمد و صورت حال بعرض رسانید و دل مبارک حضرت بسیار اندوهناک شد و حق تعالی جهت تسلیت خاطر عاطر سید عالم آیت فرستاد و فرمود وما أرسلنا الخ] ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا﴾ تمنیٰ أي قرأ.

قال في «القاموس»: تمنى الكتاب قرأه.

قال الراغب: التمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها والأمنية الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمَيُّونٌ لَا يَقْلُمُونَ أَلْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ [البقرة: ٧٨]

معناه إلا تلاوة مجردة عن المعرفة من حيث أن التلاوة بلا معرفة المعنى تجري عند صاحبها مجرى أمنية تمنّاها على التخمين ﴿ألقى الشيطان في أمنيه﴾ أي: قراءته كما فسرّه الراغب وغيره.

قال الكاشفي: [بيفكند شيطان نزيديك تلاوت از آنچه خواست جنانكه بوقت تلاوت حضرت پيغمبر ما عليه السلام شيطاني كه اورا ابيض كويند بهنجار آواز حضرت آن كلمات برخواند وكمان بردند آن تلاوت پيغمبراست]. ﴿فينسخ الله﴾ يزيل ويبطل فالمراد بالنسخ هو النسخ اللغوي لا النسخ الشرعي المستعمل في الأحكام. ﴿ما يلقي الشيطان﴾ من كلمات الكفر ﴿ثم يحكم الله﴾ يثبت. ﴿آياته﴾ التي تلاها الأنبياء عليهم السلام، حتى لا يجد أحد سبيلاً إلى إبطالها ﴿والله عليم﴾ بما أوحى وبما ألقى الشيطان. ﴿حكيم﴾ ذو الحكمة في تمكينه من ذلك يفعل ما يشاء ليميز به الثابت على الإيمان من المتزلزل فيه وقولهم: لو جَوَزَ مثل هذا لأدى إلى اشتباه أحوال الأنبياء من حيث أن ما يسمع عند تلاوتهم من قولهم أو من إلقاء الشيطان فيتعذر الاقتداء مدفوع بأن ما ألقى الشيطان أمر ظاهر بطلانه عند المؤمنين المخلصين ألا ترى أن القرآن ورد بإبطال الأصنام فكيف يجوز كون قوله: تلك الغرانيق الخ من القرآن ولو سلم فالنسخ والأحكام والإيقاف على حقيقة الأمر ولو بعد حين يجلي كل مشتبّه فيكون إلقاء الشيطان من باب الامتحان والتعليل الآتي يرفع النقاب ويهدي المتردد إلى طريق الصواب وهو قوله:

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿ليجعل﴾ أي: مكنه الله من الإلقاء في قراءة النبي عليه السلام خاصة ليجعل أن تمكينه تعالى إياه من الإلقاء في حق سائر الأنبياء لا يمكن تعليله بما سيأتي فأول الآية عام وآخرها خاص. ﴿ما يلقي الشيطان فتنة﴾ [ازمايشي وابتلايي]. ﴿للذين في قلوبهم مرض﴾ أي: شك ونفاق لأنه مرض قلبي مؤد إلى الهلاك الروحاني كما أن المرض القلبي مؤد إلى الهلاك الجسماني. ﴿والقاسية قلوبهم﴾ أي المشركين والقسوة غلظ القلب وأصله من حجر قاس والمقاساة معالجة ذلك.

قال الكاشفي: [مرد آنست منافق ومشرک از آلقاي شيطان درشک وخلاف افتند] ﴿وإن الظالمين﴾ أي: المنافقين والمشركين وضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم. ﴿لفي شقاق﴾ خلاف ﴿بعيد﴾ عن الحق، أي لفي عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع أن الموصوف به حقيقة هو معروضة للمبالغة. ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه﴾ أي: القرآن.

وفي «التفسير الجلالين»: أن الذي أحكم الله من آيات القرآن. ﴿الحق من ربك﴾ أي هو الحق النازل من عنده ليس للشيطان مجال تصرف فيه من حق الأمر إذا ثبت ووجب. ﴿فيؤمنوا به﴾ القرآن أي يثبتوا على الإيمان به أو يزدادوا إيماناً برد ما يلقي الشيطان وهو عطف على قوله ليعلم ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ تخشع وتواضع وقد مر بيان الإخبات في هذه السورة.

قال الكاشفي: [بس نرم شود براي قرآن دلهاي ايشان وأحكام آنرا قبول كنند] ﴿وإن الله لهادي الذي آمنوا﴾ أي في الأمور الدينية خصوصاً في المباحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر ﴿إلى صراط مستقيم﴾ هو النظر الصحيح الموصل إلى الحق الصريح.

وفي «التأويلات النجمية»: إن الله ليبثلي المؤمن المخلص بفتنة وبلاء ويرزقه حسن بصيرة يميز بها بين الحق والباطل فلا يظله غمام الريب وينجلي عنه غطاء الغفلة فلا يؤثر فيه دخان الفتنة والبلاء كما لا تأثير للضباب الغداة في شعاع الشمس عند متوع النهار أي ارتفاعه وأن الهداية من الله ومن تأييده لا من الإنسان وطبعه وأن من وكله الله إلى نفسه وخذله بطبعه لا يزول عنه الشك والكفر والضلالة إلى الأبد ولو عالجه الصالحون. قال المولى الجامي:

آنراكه زمين كشد درون چون قارون ني موسيش آورد برون ني هارون
فاسد شده راز روزكار وارون لا يمكن أن يصلحه العطارون
وقال الشيخ:

توان پاك كردن زژنك آينه وليكن نيابد زسنك آينه
فعلى العاقل أن يستسلم لأمر القرآن المبين ويجتهد في إصلاح النفس الأمانة إلى أن يأتي اليقين فإن النفس سحارة ومكارة ومحتالة وغدارة. قال الشيخ المغربي:

ملك بودكه افتاد درچه بابل چه سحرها ست درين قعر جاه بابل ما

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ (٥٥) الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٥٦).

﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه﴾ أي: في شك وجدال من القرآن.

قال الراغب: المرية التردد في الأمر وهي أخص من الشك. ﴿حتى تأتيهم الساعة﴾ القيامة وقد سبق وجه تسميتها بها مراراً. ﴿بغتة﴾ فجاءت على غفلة منهم. وبالفارسية [ناكهان] ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ أصل العقم اليبس المانع من قبول الأثر والعقيم من النساء التي لا تقبل ماء الفحل والمعنى عذاب يوم لا يوم بعده كأن كل يوم يلد ما بعده من الأيام فما لا يوم بعده يكون عقيماً والمراد به الساعة أيضاً بشهادة ما بعد الآية من تخصيص الملك فيه بالله والحكم بين الفريقين كأنه قيل أو يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل كذا في «الإرشاد».

يقول الفقير: إن الساعة شفعت في القرآن بالعذاب الدنيوي في مواضع كثيرة كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [يوسف: ١٠٧] وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ [مریم: ٧٥] ونحوها فالظاهر أن اليوم العقيم يوم لا يلد خيراً وليس لهم فيه فرج ولا فرح أصلاً كيوم بدر ونحوه ولما كان زمان الموت آخر زمان من أزمنة الدنيا وأول زمان من أزمنة الآخرة أثبت فيه تخصيص التصرف بالله والحكم بين الفريقين في الآية الآتية من حيث اتصال زمان الموت بزمان القيامة.

﴿الملك﴾ أي: السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الإطلاق. وبالفارسية [پادشاهي وفرمان دهی]. ﴿يومئذ﴾ يوم إذ تأتيهم الساعة أو العذاب ﴿لله﴾ وحده بلا شريك

أصلاً لا مجازاً ولا حقيقة. يعني [امروز ملوك وسلاطين دعوى سلطنت وملك داري ميکنند دران روز کمر تکبر ازميان متجبران بکشایند وتاج ازسر خسروان بريابند ودعويها منقطع وکمالها مرتفع گردد ومالك ملك رخت تخيلات وتصورات ملوك را در قعر دريائي عدم أفکند ورسوم توهمات وتفكرات سلاطين را بصدمت لمن الملك اليوم درهم شکندهمه را جزا ظاهر عبوديت واقرار بعجز وبيچارگي چاره نباشد:

آن سرکه صيت افسرش از چرخ درگذشت روزي برآستانه او خاک در شود
قال الشيخ سعي قدس سره:

همه تخت وملكي پذيرد زوال بجز ملك فرمان ده لا يزال
قال ابن عطاء الملك على دوام الأوقات وجميع الأحوال له تعالى ولكن يكشف للعوام الملك يومئذ لإبراز القهارية والجبارية فلا يقدر أحد أن يجحد ما عين. ﴿يحكم بينهم﴾ كأنه قيل: فماذا يصنع بهم حينئذ فويل: يحكم بين فريقين المؤمنين بالقرآن والمجادلين فيه بالمجازاة ثم فسر هذا الحكم وفصله بقوله: ﴿فالذين آمنوا﴾ بالقرآن ولم يجادلوا فيه ﴿وعملوا الصالحات﴾ امتثالاً بما أمر في تضاعيفه ﴿في جنات النعيم﴾ مستقرون فيها.
قال الكاشفي: [در بوستانهاي ناز ونعمت أند بي رنج ومحت].

قال الراغب: النعيم النعمة الكثيرة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ﴾ (٥٧)

﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ أي أصروا على ذلك واستمروا ﴿فأولئك﴾ مبتدأ خبره جملة قوله: ﴿لهم عذاب مهين﴾، [خوار کننده ورسوا سازنده].

قال السمرقندي: مهين يذهب بعزهم وكبرهم رأساً وبالكلية ويلحقهم من الخزي والصغار ما لا يحيط به الوصف.

قال في «الإرشاد»: ومهين صفة لعذاب مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة وإدخال الفاء في خبر الثاني دون الأول تنبيه على أن إثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لإيجاب الأعمال الصالحة إياها وأن عقاب الكافرين بسبب أعمالهم السيئة.

واعلم أن الفصل والحكومة العادلة كائن لا محالة وإن كان الكفار في شك من القرآن وما نطق به من البعث والمجازاة روي أن لقمان وعظ ابنه وقال يا بني إن كنت في شك من الموت فادفع عن نفسك النوم ولن تستطيع ذلك وإن كنت في شك من البعث فإذا نمت فادفع عن نفسك الانتباه ولن تستطيع ذلك فإنك إذ فكرت في هذا علمت أن نفسك بيد غيرك فإن النوم بمنزلة الموت واليقظة بعد النوم بمنزلة البعث بعد الموت فإذا عرف العبد مولاه قبل أمره ونال به عزة لا تنقطع أبداً وهي عزة الآخرة التي تستصغر عندها عزة الدنيا. روي أن عابداً رأى سليمان عليه السلام في عزة الملك فقال: يا ابن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً فقال سليمان لتسبيحة واحدة خير مما فيه سليمان فإنها تبقى وملك سليمان يفنى فإذا كانت التسبيحة الواحدة أفضل من ملك سليمان فما ظنك بتلاوة القرآن الذي هو أفضل الكتب الإلهية.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في «الفتوحات المكية»: يستحب لقارئ القرآن في المصحف أن يجهر بقراءته ويضع يده على الآية يتبعها فيأخذ اللسان حظه من الرفع

ويأخذ البصر حظه من النظر وتأخذ اليد حقها من المس قال: وهكذا كان يتلو ثلاثة من أشياخنا منهم عبد الله بن مجاهد فعلى العاقل أن يجتهد في الوصول إلى أعالي درجات الجنان بالإذكار وتلاوة القرآن.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ (٥٨) لِيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾.

﴿والذين هاجروا﴾ فارقوا أوطانهم ﴿في سبيل الله﴾ في الجهاد الموصل إلى جنته ورضاه حسبما يلوح به قوله تعالى: ﴿ثم قتلوا﴾، [بس كشته شدند در جهاد بادشمنان دين] والقتل إزالة الروح عن الجسد لكن إذا اعتبر بفعل المتولي لذلك يقال: قتل وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال: موت. ﴿أو ماتوا﴾ أي: في تضاعيف المهاجرة. وبالفارسية [يا بمردن شربت شهادت ناچشیده] ليرزقنهم الله رزقاً حسناً ﴿مرزوقاً حسناً والمراد نعيم الجنة الغير المنقطع أبداً﴾.

قال الكاشفي: [هر آينه روزي دهد خداي تعالى ايشانرا روزي نيكر كه نعيم بهشت است نه تعبي رسد در تحصيل آن و نه علتی بود در تناول آن و نه دغدغه انقطاع باشد دران روزي].
﴿وإن الله لهو خير الرازقين﴾ فإنه يرزق بغير حساب مع أن ما يرزقه لا يقدر عليه أحد غيره والرزق العطاء الجاري دنيوياً كان أو آخروياً ثم بين مسكنهم بقوله:

﴿ليدخلنهم مَدْخَلًا﴾ اسم مكان أريد به الجنة ﴿يرضونه﴾ لما أنهم يرون فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿وإن الله لعليم﴾ بأحوال كل ﴿حليم﴾ لا يعاجل بعقوبة الأعداء مع غاية الاقتدار روي: أن إبراهيم عليه السلام رأى عاصياً في معصيته فدعا عليه وقال: اللهم أهلكه ثم رأى ثانياً وثالثاً ورابعاً فدعا عليه فقال الله تعالى: يا إبراهيم لو أهلكنا كل عبد عصى ما بقي إلا القليل ولكن إذا عصى أمهلناه فإن تاب قبلناه وإن استغفر أخرنا العذاب عنه لعلمنا أنه لا يخرج عن ملكنا.

قال الكاشفي: [آوردہ اندكہ بعضی ازصحابہ گفتند یا رسول اللہ باجمع برادران دینی بجهاد میرویم ایشان شهید میشوند وبعطیات إلهی اختصاص میگردند اگر ما بمیریم وشهید نمیشویم حال ما چون باشد این آیت فرود آمد] یعنی: سوى في الآية بين المقتول والمتوفى على حاله في الوعد لاستوائهما في العقد وهو التقرب إلى الله ونصرة الدين. ونظيره ما قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في «الفتوحات المكية»: إنما قال المؤذن قد قامت الصلاة بلفظ الماضي مع أن الصلاة مستقبله بشرى من الله لعباده لمن جاء إلى المسجد ينتظر الصلاة، أو كان في الطريق آتياً أو كان في حال الوضوء بسببها، أو كان في حال القصد إلى الوضوء قبل الشروع فيه ليصلي بذلك الوضوء فيموت في بعض هذه المواطن قبل وقوع الصلاة منه فبشره الله بأن الصلاة قد قامت له في هذه المواطن كلها فله أجر من صلاها وإن كانت ما وقعت منه فلذلك جاء بلفظ الماضي لتحقيق الحصول فإذا حصلت بالفعل أيضاً فله أجر الحصول كذلك وقد ورد أن أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة انتهى روي: أن جنازتين أصيب أحدهما بمنجنيق والآخر توفي فجلس فضالة بن عبيد عند قبر المتوفى فقبل له: تركت الشهيد فلم تجلس عنده فقال: ما أبالي من أي حفريتهما بعثت إن الله تعالى يقول: ﴿والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا﴾ الآية، وفي الحديث: «من خرج حاجباً فمات كتب له أجر

الحاج إلى يوم القيامة ومن خرج معتمراً فمات كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة ومن خرج غازياً فمات كتب له أجر الغازي إلى يوم القيامة» روي: أن أبا طلحة رضي الله عنه لما غزا في البحر فمات طلبوا جزيه يدفنونه فيها فلم يقدروا عليها إلا بعد سبعة أيام وما تغير جسده وهذا من صفة الشهداء.

وقال بعضهم: مراتب حسن الأرزاق متفاوتة تفاوت حسن حال المرزوقين فلا تقتضي الآية تساوي المقتول والمتوفى على كل حال، فللمقتول في سبيل الله مزية على الميت بما أصابه في ذات الله تعالى فهو أفضل منه ويدل عليه دلائل كثيرة منها قوله عليه السلام لما سئل أي الجهاد أفضل: «أن يعقر جوادك ويهراق دمك»، وأيضاً المقتول في سبيل الله يجيء وريح دمه ريح المسك والميت لم ينل ذلك وأيضاً المقتول يتمنى الرجعة إلى الدنيا ليقتل في سبيل الله مرة ثانية لما يرى من فضل الشهادة وليس كذلك الميت وأيضاً القتل في سبيل الله يكفر كل ذنب ولم يرد ذلك في الموت وأيضاً الميت في سبيل الله يغسل والمقتول لا يغسل وأيضاً الشهيد المقتول يشفع ولم يرد ذلك في الميت وأيضاً الشهيد يرى الحور العين قبل أن يجف دمه وليس كذلك الميت.

وفي الآية إشارة إلى المهاجرة عن أوطان الطبيعة في طلب الحقيقة وقتل النفس بسيف الصدق أو الموت عن الأوصاف البشرية وأجر هذا هو الرزق المعنوي في الدنيا فرزق القلوب حلاوة العرفان ورزق الأسرار مشاهدات الجمال ورزق الأرواح مكاشفات الجلال. وفي «المنثوي»:

أي بسا نفس شهيد معتمد مرده دردنيا وزنده مي رود
أي بساخامي كه ظاهر خویش ریخت ليك نفس زنده آن جانب كريخت
آتش بشكست و ره زن زنده ماند نفس زنده است ارچه مركب خون فشاند

﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْنَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ﴾ (١٠) ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُؤْلِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤْلِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَنْعُوتُ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٢﴾.

﴿ذلك﴾ خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك الذي قصصنا عليكم وبيننا لكم والجملة لتقرير ما قبله والتنبية على أن ما بعده كلام مستأنف. ﴿ومن﴾ [وهركه] عاقب بمثل ما عوقب به ﴿أي﴾ من جازى الظالم بمثل ما ظلم ولم يزد في الاقتصاص والعقوبة اسم لما يعقب الجرم من الجزاء وإنما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية، أي مع أنه ليس بجزاء يعقب الجريمة للمشاكلة أو على سبيل المجاز المرسل فإنه ما وقع ابتداء سبب لما وقع جزاء وعقوبة فسمي السبب باسم المسبب. ﴿ثم بغى عليه﴾ ظلم عليه بالمعاودة إلى العقوبة يقال: بغى عليه بغياً علا وظلم.

قال الراغب: البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى تجاوزه أو لم يتجاوزه فتارة يعتبر في القدرة التي هي الكمية وتارة يعتبر في الوصف الذي هو الكيفية يقال: بغيت الشيء إذا طلبت أكثر ما يجب. ﴿لينصرنه الله﴾ على من بغى عليه لا محالة وهو خبر من ﴿إن الله لعفو غفور﴾ مبالغ في العفو والغفران فيعفو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام

على العفو والصبر المندوب إليهما بقوله: ﴿وَلَكِنْ صَبْرٌ وَعَفْوٌ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] فالعفو وإن اقتضى سابقة الجناية من المعفو عنه لكن الجناية لا تلزم أن تكون بارتكاب المحرم بل قد يعد ترك ما ندم إليه جناية على سبيل الزجر والتغليظ وفي «بحر العلوم»: العفو محاء للذنوب بإزالة آثارها من ديوان الحفظلة والقلوب بالكلية كي لا يطالبهم بها يوم القيامة ولا يخجلوا عند تذكرها وبأن يثبت مكان كل ذنب عملاً صالحاً كما قال: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] غفور، أي مريد لإزالة العقوبة عن مستحقها من الغفر وهو الستر أي ستور عليهم وقدم العفو لأنه أبلغ يشعر بالمحو الذي هو أبلغ من الستر وفيه إشارة إلى أن الأليق بالمنتصر والأقرب بحاله أن يعفو ويغفر عن كل من ظلمه ويقابله بالإحسان.

بدي را بدي سهل باشد جزا اكر مردي أحسن إلى من أساء ولا يذكر ما صدر منه من أنواع الجفاء والأذى فإنه متى فعل ذلك فإن الله أكرم الأكرمين أولى أن يفعل ذلك على أن الانتصار لا يؤمن فيه تجاوز التسوية والاعتداء خصوصاً في حال الغضب والحرب والتهاب الحمية فربما كان المنتصر من الظالمين وهو لا يشعر انتهى كلام «البحر».

يقول الفقير سمعت من في حضرة شيخني وسندي قدس سره وهو يقول الإنسان الكامل كالبحر فمن آذاه واغتابه أو قصد إليه بسوء فإنه لا يتكدر به بل يعفو عنه ألا يرى أن البول إذا وقع في البحر فالبحر يطهره وكذا من أجنب إذا دخل البحر واغتسل فإنه يتطهر ولا يتغير البحر لا بالبول ولا بدخول الجنب وقال روح الله روحه من قال في حقنا قولاً فاحشاً أو فعل فعلاً مكروهاً فهو في حل فإنه إرادة الانتقام له أو وقوعه في أمر مكروه من باب الشرك في طريقنا فنحن لا نلتفت إليه أصلاً بل إلى ما وتر الله لنا من الأمور وكل فعله حسن وقد أخفى جماله في جلاله وأطال في ذلك وهو مذكور في كتابنا المسمى «بتمام الفيض».

قال في «الخلاصة»: في كتاب الحدود رجل قال لآخر يا خبيث هل يقول له بل أنت الأحسن أن يكف عنه ولا يجيب ولو رفع الأمر إلى القاضي ليؤدب يجوز ومع هذا لو أجاب لا بأس به، وفي «مجمع الفتاوى» في كتاب الجنایات لو قال لغيره: يا خبيث، فجازاه بمثله جاز لأنه انتصار بعد الظلم، وذلك مأذون فيه قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَنْتَصِرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١] والعفو أفضل قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] وإن كانت تلك الكلمة موجبة للحد لا ينبغي له أن يجيبه بمثلها تحرزاً عن إيجاب الحد على نفسه انتهى. كما قال في «التنوير»: لو قال لآخر: يا زاني، فقال الآخر: لا بل أنت الزاني حد بخلاف ما لو قال له مثلاً: يا خبيث فقال: أنت تكافئنا.

وفي «التنوير»: أيضاً ضرب غيره بغير حق وضربه المضروب يعزران ويبدأ في إقامة التعزير بالبادي:

﴿ذلك﴾ النصر هو مبتدأ خبره قوله: ﴿بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ أي بسبب أن القادر على ما يشاء من التغليب وغيره من آيات قدرته البالغة الدالة على التغليب أنه يحصل ظلمة الليل في مكان ضياء النهار بتغييب الشمس وضياء النهار في مكان ظلمة الليل باطلاعها وجعلها طالعة أو يزيد في أحد الملوك ما ينقص من الآخر من الساعات.

قال الراغب: الولوج الدخول في مضيق قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] وقوله: ﴿يولج الليل﴾ الخ تنبيه على ركب الله عليه العالم من زيادة الليل في

النهار في الليل وذلك بحسب مطالع الشمس ومغاربها ﴿وَأَن الله سميعٌ﴾ يسمع قول المعاقب والمعاقب: ﴿بصيرٌ﴾ يرى أفعالهما فلا يهملهما.

﴿ذلك﴾ الوصف بكمال العلم والقدرة ﴿بأن الله هو الحق﴾ في الألوهية ﴿وأن ما يدعون﴾ يعبدون، ﴿من دونه هو الباطل﴾ إلهية ﴿وأن الله هو العلي﴾ على جميع الأشياء، ﴿الكبير﴾ عن أن يكون به شريك لا شيء أعلى منه شأنًا وأكبر سلطانًا.

وفي «التأويلات النجمية»: أعلى من ما يجده الطالبون بداية والعظيم الذي لا يدرك الواصلون نهايته.

وفي «بحر العلوم»: هو العلي شأنه أي أمره وجلاله في ذاته وأفعاله لا شيء أعلى منه شأنًا لأنه فوق الكل بالإضافة وبحسب الوجوب وهو فاعل من العلو في مقابلة السفلى وهما في الأمور المحسوسة كالعرش والكرسي مثلاً، وفي الأمور المعقولة كما بين النبي ﷺ وأُمته وبين الخليفة والسلطان والعالم والمتعلم من التفاوت في الفضل والشرف والكمال والرفعة ولما تقدس الحق سبحانه عن الجسمية تقدس علوه عن أن يكون بالمعنى الأول وهو الأمور المحسوسة فتعين واختص بالثاني.

قال الإمام الغزالي رحمه الله العبد لا يتصور أن يكون علياً مطلقاً إذ لا ينال درجة إلا ويكون في الوجود ما هو فوقها وهي درجات الأنبياء والملائكة نعم يتصور أن ينال درجة لا يكون في جنس الإنس من يفوقه وهي درجة نبينا عليه الصلاة والسلام ولكنه قاصر بالإضافة إلى العلو المطلق لأنه علو بالإضافة إلى بعض الموجودات والآخر أنه علو بالإضافة إلى الوجود لا بطريق الوجوب بل يقارنه إمكان وجود إنسان فوقه فالعلي المطلق هو الذي له الفوقية لا بالإضافة وبحسب الوجوب لا بحسب الوجود الذي يقارنه إمكان نقيضه والكبير هو ذو الكبرياء عبارة عن كمال الذات المعنى به كمال الوجود وكمال الوجود بشيئين أحدهما: أن يصدر عنه كل موجود والثاني أن يدوم إذ كل وجود مقطوع بعدم سابق أو لاحق فهو ناقص ولذلك يقال للإنسان: إذا طالت مدة وجوده أنه كبير السن طويل مدة البقاء ولا يقال: عظيم السن، فالكبير يستعمل فيما لا يستعمل فيه العظيم والكبير من العباد هو الكامل الذي لا تقتصر عليه صفات كماله بل تسري إلى غيره ولا يجالسه أحد إلا ويفيض عليه من كماله شيء وكمال العبد في عقله وورعه وعلمه فالكبير هو العالم التقي المرشد للخلق الصالح لأن يكون قدوة يقتبس من أنواره وعلومه ولهذا قال عيسى عليه السلام: «من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء» وقيل لعيسى عليه السلام: يا روح الله من نجالس فقال: من يزيد في علمكم منطقه ويذكركم الله رؤيته ويرغبكم في الآخرة عمله.

وفي الآية إشارة إلى أن ما سوى الله باطل أي غير موجود بوجود ذاتي، وفي «المثنوي»:

كل شيء ما خلا الله باطل أن فضل الله غيم هاطل

ملك ملك أوست أو خود ما لكست غير ذاتش كل شيء هالكست

قال الشيخ أبو الحسن الكبري: استغفر الله ممّا سوى الله، أي لأن الباطل يستغفر من إثبات وجوده لذاته فعلى العاقل أن يجتهد في تحصيل الشهود واليقين ويصل في التوحيد إلى مقام التمكين.

تادم وحدت زدي حافظ شوریده حال خامه توحيد كش برورق این وآن

نسأل الله التوفيق لدرك الحقيقة على التحقيق.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾
لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٤﴾﴾

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة﴾ [سبز كشته يكبار بعد از پرمردكي وخشكي].

قال الراغب: الخضرة أحد الألوان بين البياض والسود وهو إلى السواد أقرب ولهذا يسمى الأسود أخضر والأخضر أسود وقيل: سواد العراق للموضع الذي تكثر فيه الخضرة قوله: ألم تر استفهام تقرير ولذلك رفع فتصبح عطفاً على أنزل إذ لو نصب جواباً للاستفهام لدل على نفى الاخضرار والمقصود إثباته كما يدل النصب على نفى النظر في قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾ [محمد: ١٠] وأورد تصبح بصيغة المضارع ليدل على بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان ﴿إن الله لطيف﴾ يصل لطفه إلى الكل من حيث لا يعلم ولا يحسب.

وقال الكاشفي: [لطف كنده است بر بندگان بارويدين كياه تا ايشانرا ازان روزي دهد] ﴿خبير﴾ بما يليق من التدابير الحسنة ظاهراً وباطناً.
وقال الكاشفي: [داناست بحال رزقاً ومرزوقاً].

﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ خلقاً وملكاً وتصرفاً، ﴿وإن الله لهو الغني﴾ في ذاته عن كل شيء. وبالفارسية: [هر آينه اوست بي نياز در ذات خود از همه أشياء].
وفي «التأويلات النجمية» لا ينقص غناه من مواهبه ﴿الحميد﴾ المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله.

وفي «التأويلات النجمية»: في ذاته مستغن عن الحامدين.

قال الإمام الغزالي رحمه الله الحميد هو المحمود المثنى عليه والله تعالى هو الحميد لحمده لنفسه أولاً ولحمد عباده له أبداً ويرجع هذا إلى صفات الجلال والعلو والكمال منسوباً إلى ذكر الذاكرين له فإن الحمد هو ذكر أوصاف الكمال من حيث هو كمال.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَخْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿١٦﴾﴾.

﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض﴾ أي جعل ما فيها من الأشياء مذلة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيه كيف شئتم فلا أصلب من الحجر، ولا أشد من الحديد ولا أهيب من النار وهي مسخرة منقاداً لكم ﴿والفلك﴾ عطف على ما أو على اسم أن ﴿تجري في البحر بأمره﴾، حال من الفلك والمراد، بالأمر التيسير والمشية ﴿ويمسك السماء﴾ من ﴿أن تقع على الأرض﴾ بأن خلقها على صورة متداعية إلى الاستمساك يقال أمسك الشيء إذا أخذه والوقوع السقوط ﴿إلا بإذنه﴾ أي بمشيئته.

قال الراغب: في الشيء الإعلام بإجازته والرخصة فيه انتهى.

وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فإنها مساوية لسائر الأجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط كقبول غيرها.

يقول الفقير: من الغرائب ما رأيت في بعض الكتب أن طائراً كان يتدلى من الشجرة برجله كل ليلة إلى الصباح ويصبح خوفاً من وقوع السماء عليه ونظيره ما ذكره الحافظ أن الكركي لا يطأ الأرض بقدميه بل بأحدهما فإذا وطئها لم يعتمد عليها خوفاً أن تخسف الأرض وفي هذين عبرة لأولي الأبصار. ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ [مهربان وبخشاینده است] حيث هيا لهم أسباب معاشهم وفتح لهم أبواب المنافع ودفع عنهم أنواع المضار وأوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية والرؤوف بمعنى الرحيم أو الرأفة أشد الرحمة أو أرقها كما في «القاموس».

قال في «بحر العلوم»: لرؤوف لمريد للتخفيف على عباده رحيم مريد للإنعام عليهم. ﴿وهو الذي أحياكم﴾ بعد أن كنتم جماداً عناصر ونطفاً حسبما فصل في مطلع السورة الكريمة. ﴿ثم يميتكم﴾ عند مجيء آجالكم. ﴿ثم يحييكم﴾ عند البعث ﴿إن الإنسان لكفور﴾ أي: لجحود للنعم مع ظهورها فلا يعبد المنعم الحقيقي وهذا وصف للجنس بوصف بعض أفرادهم.

قال الجنيد قدس سره أحياكم بمعرفته ثم يميتكم بأوقات الغفلة والفترة ثم يحييكم بال جذب بعد الفترة ثم يقطعكم عن الجملة فيوصلكم إليه حقيقة أن الإنسان لكفور يذكر ما له وينسى ما عليه.

اعلم أن الله تعالى كرم الإنسان وعظم شأنه فنقله من عالم الجماد إلى عالم النبات ثم منه إلى عالم الحيوان ثم جعله ناطقاً وأفاض عليه نعمة الصورية والمعنوية وجعل الموجودات خادمة له فلا بد من الشكر لألطافه والشكر إظهار النعمة والكشف عنها ونقيضه الكفران وهو سترها وإخفاؤها وكل نعمة فهي سبيل إلى معرفة المنعم لأنها أثره فيلزم الاستدلال بالأثر على المؤثر وهو الإيمان اليقيني وفي الحديث: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتحببت إليهم بالنعم حتى عرفوني» فعلى العاقل أن لا يغتر بالنعم والغنى ويلاحظ التوفيق في كل حال وفي الخبر أن الله تعالى قال للنبي ﷺ: «قل للقوي لا تعجبك قوتك فإن أعجبك قوتك فادفع الموت عن نفسك، وقل للعالم لا يعجبك علمك فإن أعجبك علمك فأخبرني متى أجلك، وقل للغني لا يعجبك مالك وغناؤك فإن أعجبك فأطعم خلقي غداً واحداً» فالإنسان عاجز والله على كل شيء قدير ومنه النعمة إلى الصغير والكبير قال الشيخ سعدى قدس سره:

ادیم زمین سفرة عام اوست برین خوان یغماچه دشمن چه دوست
ولکل عضو من أعضاء الإنسان طاعة تخصه فإذا لم يصرفه إلى مصارفه ولم يستخدمه
فیما یناسب فقد تعرض لسخط الله تعالى وفي «البستان»:

یکي کوش کودک بمالید سخت	که آی بو العجب رأی وبرکشته بخت
تراتیسه دادم که هیزم شکن	نکفتم که دیوار مسجد بکن
زبان آمد بهر شکر وسپاس	بغیبت نکرداندش حق شناس
کذراکاه قرآن وپندست کوش	به بهتان وباطل شنیدن مکوش
دوچشم از پی صنع باری نکوست	زعیب برادر فروگیر ودوست

یقال: علامة المنیب أي المقبل إلى الله تعالى في ثلاث خصال:

أولاهما: أن يجعل قلبه للتفكر في صفات الله والأمور الأخروية.

والثانية: أن يجعل لسانه للذكر والشكر.

والثالثة: أن يجعل بدنه للخدمة في سبيل الله تعالى بلا فتور إلى أن يأتي الموت نسأل الله

سبحانه أن يوفقنا لطاعته وخدمته ويشرفنا بجنته ووصلته.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَيَّ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿لكل أمة﴾ معينة من الأمم الماضية والباقية والأمة جماعة أرسل إليهم رسول. ﴿جعلنا﴾ [معين ساختيم] ﴿منسكاً﴾ مصدر مأخوذ من النسك وهو العبادة أي شريعة خاصة لا لأمة منهم على معنى عينا كل شريعة لأمة معينة من الأمم بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها إلى شريعة أخرى لا استقلالاً ولا اشتراكاً. ﴿هم ناسكوه﴾ صفة لمنسكاً مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل أمة باعتبار خصوصها أي تلك الأمة المعينة ناسكوه والعاملون به لأمة أخرى فالأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى عليهما السلام، منسكهم التوراة هم ناسكوها والعاملون بها لا غيرهم والأمة التي من مبعث عيسى إلى مبعث النبي عليه السلام، منسكهم الإنجيل هم ناسكوه والعاملون به لا غيرهم وأما الأمة الموجودة عند بعث النبي عليه السلام ومن بعدهم من الموجودين إلى يوم القيامة فهم أمة واحدة منسكهم الفرقان ليس إلا. ﴿فلا ينازعنك﴾ أي: من يعاصرك من أهل الملل يقال: نزع الشيء جذبه من مقره كنزع القوس عن كبده المخاصمة ﴿في الأمر﴾ أي: في أمر الدين زعماً منهم أن شريعتهم ما عين لأبائهم الأولين من التوراة والإنجيل فإنهما شريعتان لمن مضى من الأمم قبل انتساخهما وهؤلاء أمة مستقلة منسكهم القرآن المجيد فحسب. وبالفارسية [پس بايد که نزاع نکنند سائر ارباب اديان باتو در کار دين چه امردين توازان ظاهر ترست که تصور نزاع دران توان درنور آفتاب چه جاي تأمل است]. ﴿وادع﴾ الناس كافة ولا تخص أمة دون أمة بالدعوة فإن كل الناس أمتك ﴿إلى ربك﴾ إلى توحيده وعبادته حسبما بين لهم في منسكهم وشريعتهم ﴿إنك لعلی هدى مستقيم﴾ أي: طريق موصل إلى الحق سوي وهو الدين.

﴿وإن جادلوك﴾ وخاصموك بعد ظهور الحق ولزوم الحجة وأصله من جدلت الحبل أي حكمت فتلته فكأن المجادلين يقتل كل واحد منهما الآخر عن رأيه. ﴿فقل﴾ لهم على سبيل الوعيد ﴿الله أعلم بما تعملون﴾ من الأباطيل التي من جملتها المجادلة فيجازيكم عليها.

﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿الله يحكم بينكم﴾ يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين ﴿يوم القيامة﴾ بالثواب والعقاب كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات ﴿فيما كنتم فيه تختلفون﴾ من أمر الدين.

﴿ألم تعلم﴾ الاستفهام للتقرير أي قد علمت ﴿أن الله يعلم ما في السماء والأرض﴾ فلا يخفى عليه شيء من الأشياء التي من جملتها ما يقول الكفرة وما يعملونه. ﴿إن ذلك﴾ أي: ما في السماء والأرض ﴿في كتاب﴾ هو اللوح قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك أمرهم مع

علمنا به وحفظنا له. ﴿إِنْ ذَلِكَ﴾ أي ما ذكر من العلم والإحاطة به وإثباته في اللوح ﴿على الله يسير﴾ سهل: وبالفارسية: [آسانست] فإن علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شيء ولا يعسر عليه مقدور.

وفي الآيات إشارات: منها أن لكل فريق من الطلاب شرعة هم وارادوها ولكل قوم طريقة هم سالكوها ومقاماً هم سكانه ومحلاً هم قطانه ربط كل جماعة بما أهلهم وأوصل كل ذوي رتبة إلى ما جعله محلهم فبسطا التعبد موطوء بأقدام العابدين ومشاهد الاجتهاد معمورة بأصحاب الكلف من المجتهدين ومجالس أصحاب المعارف مأنوسة بلوازم العارفين ومنازل المحبين مأهولة بحضور الواجدين ولتفاوت مقامات السلوك والموصول تفاوتت الدعوة إلى الله تعالى فمنهم من يدعو الخلق من باب الفناء في حقيقة العبودية وهو قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مریم: ٩] ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة العبودية وهو الذلة والافتقار وما يقتضيه مقام العبودية ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة الأخلاق الرحمانية ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة الأخلاق بالقهرية ومنهم من يدعوهم من باب الأخلاق الإلهية وهو أرفع باب وأجله وقد قالوا الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق وبعدد الأنفاس الإلهية فإن الشؤون المتجددة من الله تعالى في كل مظهر أنفاس الإلهية.

ومنها: أن أهل المجادلة هم أهل التأني والإنكار والاعتراض والله أعلم بأحوالهم ويحكم يوم القيامة بين كل فريق بما يناسب حاله أما الأجانب فيقول لهم: ﴿كُنْ يَنْفِيكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] وأما الأولياء فقوم منهم يحاسبهم حساباً يسيراً وصنف منهم يؤتون أجورهم بغير حساب وأما الأحباب فيقعدون في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ومنها: أن السماء سماء القلب وفيه نور اليقين والصدق والإخلاص والمحبة والأرض أرض البشرية والنفس الأمارة وفيها ظلمة الشك والكذب والشرك وحرص الدنيا فيزيل الله عن أرباب القلوب البلوى ويجعل لهم النعمى وتنزل بأرباب النفوس البلوى ولا يسمع منهم الشكوى إن ذلك في كتاب مكتوب بقلم التقدير في القدم كما قال الشيخ سعدى.

كرت صورت خال بد يانكوست نكاريدة دست تقدير أوست
إن ذلك على الله يسير مجازاتهم على وفق التقدير سهلة على الله تعالى ولكن ليعرف المؤمن أن كلاً ميسر أو مهياً لما خلق له فمن وفق للعلم والعمل كان ذلك علامة للسعادة العظمى ومن ابتلي بالجهل والكسل كان ذلك أماراً للشقاوة الكبرى فلم يبق إلا التسليم للأحكام الإلهية والاجتهاد في طريق الحق بالشرعية والطريقة إلى أن يحصل الوصول إلى المعرفة والحقيقة وأما قوله:

قضا كشتي آنجا كه خواهد برد وكر ناخدا جامه برتن درد
فناظر إلى عالم القضاء والعبد أعمى وليس له التفحص عن ذلك والله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (٧١) وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِآيَاتِنَا تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ يَكَادُرُونَ يُسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَلَوْنَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَُمُ النَّارُ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَصِيرُ (٧٢) .

﴿ويعبدون﴾ أي: أهل الشرك ﴿من دون الله﴾ أي: متجاوزين عبادة الله تعالى ﴿وما لم ينزل به﴾ أي بجواز عبادته وما عبارة عن الأصنام. ﴿سلطاناً﴾ أي حجة وبرهاناً ﴿وما ليس لهم به﴾ أي بجواز عبادته ﴿علم﴾ حصل لهم من ضرورة العقل أو استدلاله فهم إنما يعبدون الأصنام بمجرد الجهل ومحض التقليد ﴿وما للظالمين﴾ أي: المشركين الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم ﴿من نصير﴾ يدفع عنهم العذاب الذي يعتريهم بسبب ظلمهم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى من كان من جملة خواصة أفرده ببرهان وأيده ببيان وأعزه بسلطان وما لأهل الخذلان فيما عبدوه من أصناف الأوثان ولا برهان على ما طلبوه وما لهم نصرة من الله بل خذلان.

﴿وإذا تتلى عليهم﴾ أي على المشركين ﴿آياتنا﴾ من القرآن حال كونها ﴿بينات﴾ واضحات الدلالة على العقائد الخفية والأحكام الإلهية. ﴿تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر﴾ أي الإنكار بالعبوس والكراهة كالمكرم بمعنى الإكرام. وبالفارسية: [يعني چون قرآن برکافران خوانی انر کراحت و نفرت در روی ایشان به بینی از فرط عناد و لجاج که با حق دارند].

واعلم أن الوجوه كالمرائي فكل صورة من الإقرار والإنكار تظهر فيها فهي أثر أحوال الباطن وكل إناء يترشح بما فيه كتلون وجوه قوم صالح فما ظهر عليهم في ظاهرهم إلا حكم ما استقر في باطنهم. قال الفقير:

هرکرا صورت بیاض الوجوه بود صورت حال درونش رونمود
کرسپاه ویا کبودی بود رنک رنک او ظاهر شد ازل بی دل نک

﴿يكادون﴾ يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ﴿أي يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لأباطيل أخذوها تقليداً من السطوة وهي البطش برفع اليد يقال سطا به ﴿قل﴾ رداً عليهم وإقناطاً مما يقصدونه من الإضرار بالمسلمين. ﴿أفأنبئكم﴾ أي: أخطبكم فأخبركم ﴿بشر من ذلكم﴾ الذي فيكم من غيظكم على التالين وسطوتكم بهم. ﴿النار﴾ أي: هو النار على أنه جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ما هو. ﴿وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير﴾ أي: النار والمصير المرجع.

وفيه إشارة إلى أن نار القطيعة والطرود والإبعاد شر من الإنكار الذي في قلوب المنكرين فعلى العاقل أن يجتنب عن كل ما يؤدي إلى الشرك والإنكار ويصحب أهل التوحيد والإقرار ويقبل الحقائق والأسرار ويحب أرباب الولاية ويغض أصحاب الضلالة. وفي بعض الأخبار يقول الله تعالى غداً: يا ابن آدم أما زهدك من الدنيا فإنما طلبت الراحة لنفسك وأما انقطاعك إلي فإنما طلبت العزة لنفسك ولكن هل عادت لي عدواً أو واليت لي ولياً.

واعلم أن الكفر والإنكار يؤديان إلى النار كما أن التوحيد والإقرار يفضيان إلى الجنة وهما من أفضل النعم فإن العبد يصل بسبب التوحيد إلى السعادة الأبدية ولذلك كل عمل يوزن إلا شهادة أن لا إله إلا الله وإذا رسخ التوحيد في قلب المؤمن لم يجد بداً من الإقرار والذكر كلما وجد مجالاً صالحاً له حكى: أن بعض الصالحين رأى زبيدة امرأة هارون الرشيد في المنام بعد الموت وسأل عن حالها فقالت: غفر لي ربي فقال: أبالحياض التي حفرتها بين

الحرمين الشريفين فقالت: لا فإنها كانت أموالاً مغصوبة فجعل ثوابها لأربابها فقال: فيم قالت: كنت في مجلس شرب الخمر فأمسكت عن ذلك حين أذن المؤذن وشهدت ما شهد المؤذن فقال الله تعالى لملائكته أمسكوا عن عذابها لو لم يكن التوحيد راسخاً في قلبها لما ذكرتني عند السكر فغفر لي وأحسن حالي وأما أهل النار والمؤاخذة فالأدنى منهم عذاباً يتنعل من نار يغلى منه دماغه ولذلك قال الله تعالى: ﴿وبئس المصير﴾ فإنه لا راحة فيها لأحد عصمنا الله وإياكم من نار البعد وعذاب السعير إنه خير عاصم ومجبر.

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا كَذَبُوا اللَّهَ حَقًّا قَدْ رَزَقْنَاهُ إِنْ اللَّهَ لَقَوَّى عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿يا أيها الناس ضرب مثل﴾ أي: بين لكم حالة مستغربة أو قصة بديعة حقيقة بأن تسمى مثلاً وتسير في الأمصار والأعصار. ﴿فاستمعوا له﴾ أي: للمثل استماع تدبر وتفكر: وبالفارسية: [پس بشنويد آن مثل را بکوش هوش ودران تأمل کنید].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بقوله: ﴿يا أيها الناس﴾ إلى أهل النسيان عن حقيقة الأمر بالعيان فلا بد لهم من ضرب مثل لعلهم ينبهون من نوم الغفلة فالخطاب لناسي عهد الميثاق عامة وللمستعدين للمستعدين لإدراك فهم الخطاب بقوله: ﴿فاستمعوا له﴾ خاصة وهذا الأمر أمر التكوين بسمعهم الخطاب ويتعظون به ثم بين المعنى فقال: ﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ يعني الأصنام التي تعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى وهو بيان للمثل وتفسير له. قال الكاشفي: [وَأَن سِيصَد وَشَصَتْ بَت بَوْدَنَد بِرَحَوَالِي خَانَهُ نِهَادَهُ حَقَّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَرَمُودَكِهِ اَيْنَ هَمَهُ بَت كَه مِي پَرَسْتِيد بِجَزْ خَدَايِ تَعَالَى].

وفي «التأويلات»: من أنواع الأصنام الظاهرة والباطنة ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ أي لن يقدروا على خلقه أبداً مع صغره وحقارته فإن لن بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب أي يمنع ويدفع. قال في «المفردات»: الذباب يقع على المعروف من الحشرات الطائرة وعلى النحل والزناير وفي قوله: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ فهو المعروف.

وفي «حياة الحيوان»: في الحديث: «الذباب في النار لا النحل» وهو يتولد من العفونة لم يخلق لها أجفان لصغر أحداقها ومن شأن الأجفان أن تصقل مرآة الحدقة من الغبار فجعل الله لها يدين تصقل بهما مرآة حدقتها فلهذا ترى الذباب أبداً يمسح بيديه عينيه وإذا بخر البيت بورق القرع ذهب منه الذباب. ﴿ولو اجتمعوا له﴾ أي لخلقته وهو مع الجواب المقدر في موضع حال جيء بها للمبالغة أي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف إذا كانوا منفردين ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ أي: أن يأخذ الذباب منهم شيئاً ويخطفه ﴿لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ أي: لا يستردوه من الذباب مع غاية ضعفه لعجزهم، وبالفارسية: [نمیتوانند رهانید یعنی باز نمیتوانند ستانند آن چیز را] قيل: كانوا يطيبون الأصنام بالطيب والعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله.

قال الكاشفي: [رسم ایشان آن بود که بتان را بعسل وخلوق می اندودند ودرهای تنجانه

برایشان می بستند مکسان از روزن در آمده آنها میخوردند وبعد از چند روز اثر طیب و غسل برایشان نبود شادی مینمودند که آنها را خورده اند حق سبحانه و تعالی از عجز و ضعف بتان خبر مید هد که نه برآفریدن مکس قادرند و نه بردفع ایشان از خود]. ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾ أي: عابد الصنم ومعبوده أو الذباب الطالب لما يسلبه عن الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ أي: ما عرفوه حق معرفته أو ما عظموه حق تعظيمه حيث أشركوا ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصر منه وسموا باسم ما هو أبعد الأشياء منه مناسبة. ﴿إن الله لقوي﴾ على خلق الممكنات بأسرها وإفناء الموجودات عن آخرها. ﴿عزيز﴾ غالب على جميع الأشياء لا يغلبه شيء وألتهتهم التي يدعونها عجزة عن أقلها مقهورة من أذلها.

قال ابن عطاء دلهم بقوله: ﴿وإن يسلبهم﴾ الخ على مقادر الخليفة فمن كان أشد هيبة وأعظم ملكاً لا يمكنه الاحتراز من أهون الخلق وأضعفه ليعلم بذلك عجزه وضعفه وعبوديته وذلته ولثلا يفتخر على أبناء جنسه من بني آدم بما يملكه من الدنيا:

عاجز انكه عاجزاً نرا بنده اند گون فتدكاري زهم شرمنده اند
عجزو إمكان لازم یکدی کردند پس همه خلقي زهم عاجز ترند
قوت أزحق است وقوت حق أوست آن او مغزاست وآن خلق پوست

قال الواسطي: في الآية الأخيرة لا يعرف قدر الحق إلا الحق وكيف يقدر قدره أحد وقد عجز عن معرفة قدر الوسائط والرسل والأولياء والصديقين ومعرفة قدره أن لا يلتفت منه إلى غيره ولا يغفل عن ذكره ولا يفتره عن طاعته إذ ذاك عرفت ظاهر قدره وأما حقيقة قدره فلا يقدر قدرها إلا هو.

قال الكاشفي: [محققان برآنند که چنانچه اهل شرك بحق المعرفة اورا تشناخته اند اهل علم نیز بحقیقت معرفت اورا نبرده اند زیرا که دورباشي ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ [طه: ١١٠] کسی را در حوالی بارگاه کبریا نمیکذارد وبعیب هویت خود هیچ رهبر ورهنمارا راه نمیدهد میان او و ماسوی بهیچ نوع نسبتی نیست تادر طریق معرفتش شروع تواند کرد و معرفت بی مناسبت از قبیل محالات است ماللطین ورب العالمین.

چه نسبت خاک را با عالم پاک

قال بعض الكبار ما عرفناك حق معرفتك أي بحسبك ولكن عرفناك حق معرفتك أي بحسبنا.

وفي «شرح مفتاح الغيب» لحضرة شيخه وسندي قدس الله سره العلم الإلهي الشرعي المسمى في مشرب أهل الله علم الحقائق هو العلم بالحق سبحانه من حيث الارتباط بينه وبين الخلق وانتشاء العالم منه بقدر الطاقة البشرية وهو ما وقع فيه الكمل في ورطة الحيرة وأقروا بالعجز عن حق المعرفة انتهى.

قال الشيخ أبو العباس رحمه الله: معرفة الولي أصعب من معرفة الله فإن الله معروف بكماله وجماله متى يعرف مخلوقاً مثله يأكل كما يأكل ويشرب كما يشرب انتهى.

وهذا الكلام موافق لما في «شرح المفتاح» ولما قبله كما لا يخفى على من له أدنى ذوق في هذا الباب.

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٧٥) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ .

﴿الله يصطفي﴾ [بركزیند] ﴿من الملائكة رسلاً﴾ يتوسطون بينه وبين الأنبياء بالوحي مثل جبرائيل وميكائيل وإسرافيل .

قال في «المفردات»: أصل الصفاء خلوص الشيء من الشوب والاصطفاء تناول صفو الشيء كما أن الاختيار تناول خيره والاجتباء تناول جبايته واصطفاء الله بعض عباده قد يكون بإيجاد تعالى إياها صافياً عن الشوب الموجود في غيره وقد يكون باختياره وبحكمه وإن لم يتعر ذلك من الأول .

وفي «التأويلات»: يصطفي من الملائكة رسلاً بينه وبين العباد ولتربيتهم بأداء الرسالة إذا لم يكونوا بعد مستأهلين لاستماع الخطاب بلا واسطة فيريهم بواسطة رسالة الملائكة . ﴿ومن الناس﴾ [ومي كزیند از آدمیان پیغمبران تا خلق را دعوت کند بوي] وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلام العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون إلى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل إلى جانب الحق فيدعونهم إليه تعالى بما أنزل عليهم ويعلمونهم شرائعه وأحكامه ﴿إن الله سميع﴾ بجميع المسموعات .

وقال الكاشفي [شنواست مقالة پیغمبر رادر وقت تبلیغ] ﴿بصير﴾ مدرك لجميع المبصرات فلا يخفى عليه شيء من الأقوال والأفعال .

وقال الكاشفي [بینا بحال امت اودر رد وقبول دعوت] .

وفي «التأويلات النجمية»: سمیع یسمع ضراعتهم في احتیاج الوجود وهم في العدم بصیر، من يستحق للرسالة وهو معدوم ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ عالم بواقع الأشياء ومتربحها .

وقال الكاشفي: [میداند آنچه در پیش آدمیانست یعنی عملها که کرده اند و آنچه از پس ایشانست یعنی کارها خواهند کرد] ﴿والى الله﴾ لا إلى أحد غيره لا اشتراكاً ولا استقلالاً ﴿ترجع﴾ ترد من الرجوع القهقري ﴿الأمور﴾ كلها لأنه مالکها بالذات لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون روي: أنه تكلم رجل في زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وافتري عليه فقال له زين العابدين: إن كنت كما قلت فاستغفر الله وإن لم أكن كما قلت فغفر الله لك فقام إليه الرجل وقبل رأسه وقال جعلت فداءك لست كما قلت فاغفر لي قال غفر الله لك فقال الرجل الله اعلم حيث يجعل رسالته .

وخرج يوماً من المسجد فلقيه رجل فسبه فثارت إليه العبيد والموالي فقال لهم زين العابدين: مهلاً على الرجل ثم أقبل على الرجل، وقال ما ستر عنك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها فاستحى الرجل فالتقى إليه حميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول ولا يتوهم أنهم كانوا أهل دنيا ينفقون منها الأموال إنما كانوا أهل سخاء وفتوة ومروءة وجود ومكارم كانت تأتيهم الدنيا فيخرجونها في العاجل وفيهم يصدق قول القائل:

تعود بسط الكف حتى لو أنه ثناها لقبض لم تطعه أنامله
فلو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتنق الله سائله
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ أي في صلاتكم أمرهم بها لما أنهم ما كانوا يفعلونها أول إسلام.

قال أبو الليث: كانوا يسجدون بغير ركوع فأمرهم الله بأن يركعوا ويسجدوا وقال بعضهم كانوا يركعون بلا سجود ويسجدون بلا ركوع.

قال الكاشفي: [در أول إسلام همين قعود وقيام بدين آيت ركوع وسجود داخل شد] أو المعنى صلوا عبر عن الصلاة بهما لأنهما أعظم أركانها. ﴿واعبدوا ربكم﴾ بسائر ما تعبدكم به ﴿وافعلوا الخير﴾ وتحروا ما هو خير وأصلح في كل ما تأتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الأرحام ومكارم الأخلاق وفي الحديث: «حسنوا نوافلكم فيها تكمل فرائضكم» وفي المرفوع: «النافلة هدية المؤمن إلى ربه فليحسن أحدكم هديته وليطيبها».

قال في «المفردات»: الخير ما يرغب فيه الكل كالعقل مثلاً والعدل والفضل والشيء النافع والشر ضده وقيل: الخير ضربان خير مطلق وهو أن يكون مرغوباً فيه بكل حال وعند كل أحد وصف عليه السلام الجنة فقال: «لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة» وخير مقيد وهو أن يكون خير الواحد شر الآخر كالمال الذي ربما كان خيراً لزيد وشرّاً لعمرو ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي افعلوا هذه كلها وأنتم راجون بها الإفلاح غير متيقنين له واثقين بأعمالكم. قال الشيخ سعدى قدس سره:

بضاعت نياوردم إلا أميد خدايا زعفوم مكن نا أميد
والفلاح الظفر وإدراك البغية وذلك ضربان دنيوي وآخرى، فالدنيوي الظفر بالسعادات التي يطيب بها حياة الدنيا وهو البقاء والغنى والعز والعلم والآخرى أربعة أشياء بقاء بلا فناء وغنى بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل ولذلك قيل لا عيش إلا عيش الآخرة.

زنها دل مبند براسباب دنيوي

قالوا: الآية آية سجدة عند الشافعي وأحمد لظاهر ما فيها من الأمر بالسجود.

قال الكاشفي: [اين سجد، مختلف فيه است وبمذهب إمام شافعي سجدة هفتم باشد از سجرات قرآن وحضرت شيخ اين راسجدة الفلاح كفته] وقال الإمام الأعظم والإمام مالك: دل مقارنة السجود بالركوع في الآية على أن المراد سجود الصلاة.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الآية إلى الرجوع من تكبر قيام الإنسانية إلى تواضع خشوع الحيوانية فإن الحيوانات على أربع في الركوع لقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾ [النور: ٤٥] والرجوع من الركوع إلى الانكسار والذلة والنباتية في السجود فإن النبات في السجود لقوله: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦] لأن الروح بهذه المنازل كان مجيئه من عالم الأرواح عبر على المنزل النباتي ثم على المنزل الحيواني إلى أن بلغ المنزل الإنساني فعند رجوعه إلى الحضرة يكون عبوره على هذه المنازل وهذا سر

قوله ﷺ «الصلاة معراج المؤمنين» ثم قال: ﴿واعبدوا ربكم﴾ يعني: بهذا الرجوع إليه خالصاً لوجه تعالى: ﴿وافعلوا الخير﴾ بالتوجه إلى الله في جميع أحوالكم وأعمال الخير كلها ﴿لعلكم تفلحون﴾ بالعبور على هذا المنازل من حجب الظلمات النفسانية والأنوار الروحانية.

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قُلَّةٌ أَيْكُمْ لِإِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَنَكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٧٨)

﴿وجاهدوا﴾ الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو ﴿في الله﴾ أي في سبيل الله كما في «تفسير الجلالين».

وقال في غيره: أي لله ولأجله أعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس ﴿حق جهاده﴾ [چنانکه سزاوار جهاد أو باشد یعنی بدل صافی و نیت خالص] أي جهاداً فيه حقاً خالصاً لوجهه فعكس وأضيف الحق إلى الجهاد مبالغة وأضيف الجهاد إلى الضمير الراجع إلى الله اتساعاً.

قال الإمام الراغب: الجهاد ثلاثة أضرب مجاهدة العدو الظاهر ومجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس وتدخل ثلاثها في قوله تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ وفي الحديث: «جاهدوا الكفار بأيديكم وألستكم»، وفي الحديث: «جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم» وعنه ﷺ أنه رجع من غزوة تبوك فقال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» فجهاد النفس أشد من جهاد الأعداء والشياطين وهو حملها على اتباع الأوامر والاجتناب عن النواهي. وفي «المثنوي»:

أي شهان کشتیم ما خصم برون ماند ازو خصمی بتر در اندرون
کشتن این کار عقل وهوش نیست شیر باطن سخرة خرکوش نیست
﴿هو اجتباکم﴾ أي: هو اختاركم لدينه ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضي الجهاد ويدعو إليه.

قال ابن عطاء الاجتباية أورثت المجاهدة لا المجاهدة أورثت الاجتباية. وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ بأن تجاهدوا النفوس في تزكيتها بأداء الحقوق وترك الحظوظ وتجاهدوا القلوب في تصفيتها بقطع تعلقات الكونين ولزوم المراقبات عن الملاحظات وتجاهدوا الأرواح في تحليتها بإفناء الوجود في وجوده ليبقى بوجوده وجوده ﴿هو اجتباکم﴾ لهذه الكرامات من بين سائر البريات ولولا أن اجتباكم واستعداد هذا الجهاد أعطاكم وإليه هداكم لما جهدتم في الله كما قيل:

فلولا كمو ما عرفنا الهوى ولولا الهوى ما عرفنا كمو
ومن مبادئ الحق الجهاد وهو أن لا يفتر مجاهدة النفس لحظة كما قال قائلهم:
يا رب أن جهادي غير منقطع فكل أرضك لي ثغر وطرطوس
﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ أصل الحرج والحراج مجتمع الشيء وتصور منه ضيق ما بينهما فليل للضيق حرج أي ما جعل فيه من ضيق بتكليف ما يشق عليه إقامته ولذلك أزال الحرج في الجهاد عن الأعمى والأعرج وعادم النفقة والراحلة والذي لا يأذن له أبواه.

قال الكاشفي: [يعني برشمانتك فرانكرت ودر أحكام دين تكليف ما لا يطاق نكرد بوقت ضرورت رخصتها دادچون قصر تميم وإفطار در مرض وسفر].

وفي «التأويلات النجمية»: أي ضيق في السير إلى الله والوصول إليه لأنك تسير إلى الله بسيره لا بسيرك وتصل إليه بتقربه إليك لا بتقربك إليه وإن كنت ترى أن تقربك إليه منك ولا ترى أن تقربك إليه من نتائج تقربه إليك وتقربه إليك سابق على تقربك إليه كما قال: «من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً» فالذراع إشارة إلى الشبرين شبر سابق على تقربك إليه وشبر لاحق يتقربك إليه حتى لو مشيت إليه فإنه يسارعك من قبل مهرولاً انتهى. ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف المضاف أي وسع عليكم دينكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم أو اتبعوا ملة أبيكم كما في «الجلالين».

قال الراغب: الملة كالدين وهو اسم لما شرع الله لعباده على لسان الأنبياء ليتوصلوا به إلى جوار الله تعالى والفرق بينها وبين الدين أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي الذي تسند إليه نحو اتبعوا ملة إبراهيم واتبعت ملة آبائي ولا يكاد يوجد مضافاً إلى الله تعالى ولا إلى آحاد أمة النبي ولا يستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها ولا يقال ملة الله ولا ملتي وملة زيد كما يقال دين الله، وأصل الملة من مللت الكتاب ويقال: الملة اعتباراً بالنبي الذي شرعها والدين يقال اعتباراً بمن يقيمه إذا كان معناه الطاعة هذا كله في «مفردات الراغب» وإنما جعله أباهم لأنه أبو رسول الله وهو كالأب لأتمته من حيث أنه سبب لحياتهم الأبدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة أو لأن أكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم.

قال ابن عطية ملة إبراهيم هو السخاء والبذل وحسن الأخلاق والخروج عن النفس والأهل والمال والولد.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن السير والذهاب إلى الله من سنة إبراهيم عليه السلام لقوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ [الصفات: ٩٩] وإنما سماه بأبيكم لأنه كان أباكم في طريقة السير إلى الله كما قال النبي ﷺ: «أنا لكم كالوالد لولده» ﴿هو﴾ أي: الله تعالى ﴿سماكم المسلمين من قبل﴾ أي في الكتب المتقدمة ﴿وفي هذا﴾ أي في القرآن ﴿ليكون الرسول﴾ يعني حضرة محمد يوم القيامة متعلق بسماكم واللام لام العاقبة ﴿شهيذاً عليكم﴾ بأنه بلغكم فيدل على شهادته لنفسه اعتماداً على عصمته أو بطاعة من أطاع وعصيان من عصى. ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ بتبليغ الرسل إليهم ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ أي: فتقربوا إلى الله بأنواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف وتخصيصهما بالذكر لفضلها فإن الأول دال على تعظيم أمر الله والثاني على الشفقة على الخلق. ﴿واعتصموا بالله﴾ أي ثقوا به في مجامع أموركم ولا تطلبوا الإعانة والنصرة إلا منه. وبالفارسية: [وچنك در زنيذ بفضل خدای يعني در مجامع أمور خود اعتماد بدو كنيد يابكتاب وسنت متمسك شويد سلمی فرموده كه اعتصام بحبل الله أمر عوام است وبالله كار خواص أما اعتصام بحبل الله متمسك بأوامر وتنفر ازناهي واعتصام بالله خلوت دلست ازماسواي حضرت الهي]. ﴿هو مولاكم﴾ ناصركم ومتولي أموركم. ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ إذ لا مثل له في الولاية والنصرة، بل لا ولي ونصير في الحقيقة سواه تعالى. قال الكاشفي: [پس نيك ياريست أو ونيكو مدد كاري بياري عيها ببوشد وبمدد كاري كناهان ببخشد ياري ازو جوي كه ازبادي درنما ند مدد كاري ازوي

طلب که از مدد کاري عاجز نشود].

از ياري خلق بگذراي مرد خدا ياري طلب آنچنان که ازروي وفا
کارتوتواندکه بسازد همه وقت دست تو تواند که بکيرد همه جا
قال فيثاغورث: متى التمسست فعلاً من الأفعال فابدأ إلى ربك بالابتهاال في النحج فيه .
وشکا رجل إلى أخيه الحاجة والضيق فقال له: يا أخي أغير تدبير ربك تريد لا تسأل
الناس وسل من أنت له .

ودخل سليمان بن عبد الملك الكعبة فقال لسالم بن عبد الله: ارفع حوائجك فقال: والله
لا أسأل في بيت الله غير الله فينبغي للبعد الطالب لعصمة الله تعالى أن يعتصم به في كل الأمور
ويجتهد في رضاه في الخفاء والظهور ولا يقول إن هذا الأمر عسير فإن ذلك على الله يسير فإنه
هو المولى فنعم المولى ونعم النصير قال تعالى ذلك أي النصر بأن الله مولى ﴿الذين آمنوا﴾
الآية .

تمت سورة الحج في أواخر جمادى الأولى
من سنة ألف ومائة وسبع .

مكية وهي مائة وعشر آيات عند البصريين ومائة وثمانى عشرة عند الكوفيين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾.

﴿قد أفلح المؤمنون﴾ سعد المصدقون ونالوا البقاء في الجنة ويدل عليه «أن الله تعالى لما خلق جنة عدن بيده قال: تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون فقال: طوبى لك، منزل الملوك أي ملوك الجنة وهم الفقراء الصابرون».

فصيغة الماضي للدلالة على تحقق الدخول في الفلاح وكلمة قد لإفادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لأن المؤمنين كانوا متوقعين ذلك الفلاح من فضل الله والفلاح البقاء والفوز بالمراد والنجاة من المكروه والإفلاح الدخول في ذلك كالإبشار الذي هو الدخول في البشارة وقد يجيء متعدياً بمعنى الإدخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للمفعول ولما كان الفلاح الحقيقي لا يحصل بمطلق الإيمان وهو التصديق بما علم ضرورة أنه من دين نبينا عليه السلام، من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها بل يحصل بالإيمان الحقيقي المقيد بجميع الشرائط قال بطريق الإيضاح أو المدح.

﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ الخشوع الخوف والتذلل.

وفي «المفردات»: الخشوع: الضراعة وأكثر ما يستعمل فيما يوجد على الجوارح والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد على القلب ولذلك قيل فيما ورد: «إذا ضرع القلب خشعت الجوارح» أي خائفون من الله متذللون له ملزمون أبصارهم مساجدهم.

قال الكاشفي: [كشم برسجده كاه نهاده ويدل بردرگاه مناجات حاضر شده] روي: أنه عليه السلام كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وأنه رأى مصلياً يعبث بلحيته فقال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه».

وفي «النتف»: يكره تقليب الوجه إلى نحو السماء عند التكبيرة الأولى، وجه النهي أن النظر إلى السماء من قبيل الالتفات المنهي عنه في الصلاة، وأما في غيرها فلا يكره لأن السماء قبلة الدعاء ومحل نزول البركات.

قال الكاشفي: [درلباب فرموده كه درحالت قيام ديده برسجده كاه بايد نهاده مكر بمكة معظمه كه درخانه مكرمه بايد نكريست]، وفي الحديث: «إن العبد إذا قام إلى الصلاة فإنما هو بين يدي الرحمن فإذا التفت يقول الله تعالى: إلى من تلتفت إلى خير مني أقبل يا ابن آدم إلي فانا خير ممن تلتفت إليه».

وفي «التأويلات النجمية»: خاشعون أي بالظاهر والباطن. أما الظاهر فخشوع الرأس

بانتكاسه وخشوع العين بانغماضها عن الالتفات وخشوع الأذن بالتذلل للاستماع وخشوع اللسان القراءة والحضور والتأني وخشوع اليدين وضع اليمين على الشمال بالتعظيم كالعبيد وخشوع الظهر انحناؤه في الركوع مستوياً وخشوع الفرج ينفي الخواطر الشهوانية وخشوع القدمين بثباتهما على الموضع وسكونهما عن الحركة.

وأما الباطن: فخشوع النفس سكونها عن الخواطر والهواجس وخشوع القلب بملازمة الذكر ودوام الحضور وخشوع السر بالمراقبة في ترك اللحظات إلى المكونات وخشوع الروح استغراقه في بحر المحبة وذوبانه عند تجلي صفة الجمال والجلال [محققي فرموده كه در نماز أول ازخود بيزار بايد شد پس طالب وصول بقرب يار بايد كذشت].

يار بيزاراست ازتو تاتويي أول ازخود خویش رابيزاركن
 كرزتويكذره باقي مانده است خرقه وتسبيح با زنار كن
 ترك خویش وهردو عالم كيرورو ذرة منديش وچون عطاركن
 ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

﴿والذين هم عن اللغو أي: عما لا يعينهم من الأقوال والأفعال.

وفي «المفردات»: اللغو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذي يورد لا عن روية وفكر ويجري مجرى اللغا وهو صوت العصافر ونحوها من الطيور.

وفي «التأويلات النجمية»: اللغو كل فعل لا لله وكل قول لا من الله ورؤية غير الله وكل ما يشغلك عن الله فهو لغو.

قال الكاشفي: [أمام قشيري فرمودكه هرچه براي خدانيست حشواست وأنچه ازخدا بازدارد سهواست وأنچه بنده رادران حظي باشد لهواست وأنچه ازخدا نبود لغواست وحقيقت آنست كه لغو چیزی راكوينداز اقوال وأفعال بهيج كارنياید]، ﴿معرضون﴾ يقال: أعرض أظهر عرضه أي ناحيته فإذا قيل عرض لي كذا أي بدا عرضه فأمكن تناوله وإذا قيل أعرض فمعناه ولي مبدئياً عرضه، أي معرضون في عامة أوقاتهم كما ينبىء عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل في ذلك إعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلاة دخلاً أولاً ومدار إعراضهم عنه، ما فيه من الحالة الداعية إلى الإعراض عنه لا مجرد الاشتغال بالجد في أمور الدين فإن ذلك ربما يوهم أن لا يكون في اللغو نفسه ما يجرهم عن تعاطيه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُؤُوسِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾

﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ للصدقة مؤدون والتعبير عن الأداء بالفعل مذكور في كلام العرب قال أمية بن أبي الصلت: المطعمون الطعام في السنة الأزمة والفاعلون للزكوات. وتوسيط حديث الإعراض بين الطاعة البدنية والمالية لكمال ملاسته بالخشوع في الصلاة والزكاة مصدر لأنه الأمر الصادر عن الفاعل لا المحل الذي هو موقعه.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الزكاة إنما وجبت لتزكية النفس عن الصفات الذميمة النجسة من حب الدنيا أو غيره كقوله: ﴿حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] فإن الفلاح في تزكية النفس كقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿٧﴾ [الأعلى: ١٤]، وقوله:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (١٠) [الشمس: ٩-١٠]، ولم يكن المراد مجرد إعطاء المال وجهه في القلب وإنما كان لمصلحة إزالة حب الدنيا عن القلب ومثل حب الدنيا جميع الصفات الذميمة إلى أن تتم إزالتها:

﴿والذين هم لفروجهم﴾ الفرج والفرجة الشق بين الشيتين كفرجة الحائط والفرج ما بين الرجلين وكني به عن السوء وكثر حتى صار كالصريح فيه. ﴿حافظون﴾ ممسكون لها من الحرام ولا يرسلونها ولا يبذلونها.

﴿إلا على أزواجهم﴾ زوجاتهم فإن الزوج يقع على الذكر والأنثى. ﴿أو ما ملكت أيماهم﴾ يعني: [كنيز كان كه مليكة يمين اند] فما ملكت أيماهم وإن كان عاماً للرجال أيضاً لكنه مختص بالنساء إجماعاً وإنما قال ما اجراء للممالك مجرى غير العقلاء إذ الملك أصل شائع فيه.

قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف يجوز أن يسمى الرقيق ملك يمين ولا يسمى به سائر الأملاك الجواب ملك الجارية والعبد أخص لأنه يختص بجواز التصرف فيه ولا يعم كسائر الأملاك فإن مالك الدار مثلاً، يجوز له نقض الدار ولا يجوز لمالك العبد نقض بنيته انتهى. وإفراد ذلك بعد تعميم قوله ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ لأن المباشرة أشهى الملاهي إلى النفس وأعظمها خطراً. ﴿فإنهم﴾ [پس بدرستي كه نكاه دار ندكان فروج] ﴿غير ملومين﴾ على عدم حفظها منهن [بشرط أنكه در حیض ونفاس وروزه واحرام نباشد]، واللوم عدل إنسان بنسبته إلى ما فيه لوم.

وفي «التهذيب»: اللوم: [ملامت كردن].

قال في «الأسئلة المقحمة»: أي فرق بين الذم واللوم الجواب أن الذم يختص بالصفات يقال الكفر مذموم واللوم يختص بالأشخاص يقال فلان ملوم.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني يحفظون عن التلذذ بالشهوات أي لا يكون أزواجهم وإمائهم عدواً لهم بأن يشغلهم عن الله وطلبه فحينئذ يلزم الحذر منه، كقوله: ﴿عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] وإنما ذكر بلفظ على لاستيلائهم على أزواجهم لا لاستيلائهم عليهم وكانوا عليهم لا مملوكين لهم فإنهم غير ملومين إذا كانت المناكحة لا بتغاء النسل ورعاية السنة وفي أوانها.

﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحْفَظُونَ﴾ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١٠)

﴿فمن ابتغى﴾ طلب: وبالفارسية [پس هرکه جوید برای مباشرت]، ﴿وراء ذلك﴾ الذي ذكر من الحد المتسع وهو أربع من الحرائر وما شاء من الإماء. وبالفارسية: [غير زنان وكنیزان خود]، ﴿فأولئك هم العادون﴾ الكاملون في العدوان المتناهون فيه أو المتعدون من الحلال إلى الحرام والعدوان الإخلال بالعدالة والاعتداء مجاوزة الحق: وبالفارسية، [کاملند درست مکاری با ایشان ودرکذرندهاند از حلال بحرام وانکه استمنا بیدکندهم ازین قبل است] كما في «تفسير الفارسي».

قال في «أنوار المشارق في الحديث»: «ومن لم يستطع» أي التزوج «فعليه بالصوم»

استدل به بعض المالكية على تحريم الاستمناء لأنه أرشد عند العجز عن التزوج إلى أن الصوم الذي يقطع الشهوة جائز وفي رواية «الخلاصة»: الصائم إذا عالج ذكره حتى أمني يجب عليه القضاء ولا كفارة عليه ولا يحل هذا الفعل خارج رمضان إن قصد تسكين شهوته وأرجو أن لا يكون عليه ويل.

وفي بعض «حواشي البخاري»: والاستمناء باليد حرام بالكتاب والسنة قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ أي: الظالمون المتجاوزون الحلال إلى الحرام.

قال البغوي: في الآية دليل على أن الاستمناء باليد حرام.

قال ابن جريج: سألت عطاء عنه فقال: سمعت أن قوماً يحشرون وأيديهم حبالى وأظنهم هؤلاء.

وعن سعيد بن جبير عذب الله أمة كانوا يبعثون بمذاكرهم والواجب على فاعله التعزير كما قال ابن الملقن وغيره، نعم يباح عند أبي حنيفة وأحمد إذا خاف على نفسه الفتنة وكذلك يباح الاستمناء بيد زوجته أو جاريته لكن قال القاضي حسين مع الكراهة لأنه في معنى العزل. وفي «التاتارخانية» قال أبو حنيفة: حسبه أن ينجو رأساً برأس.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق. وبالفارسية يعني: [أيشانرا بران امين ساخته باشند از امانات وودايح خلق يا انچه امانت حق است چون نماز وروزه و غسل جنابت وبرعهد پاك باحق وخلق بندند] والأمانة اسم لما يؤتمن عليه الإنسان والعهد حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال ويسمى الموثق الذي يلزم مراعاته عهداً ﴿رَاعُونَ﴾ أي قائمون عليها وحافظون لها على وجه الإصلاح.

وفي «التأويلات النجمية»: الأمانة التي حملها الإنسان وهي الفيض الإلهي بلا واسطة في القبول وذلك الذي يختص الإنسان بكرامة حمله وعهدهم أي الذي عاهدهم عليه يوم الميثاق على أن لا يعبدوا إلا إياه كقوله: ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يونس: ٦١] راعون بأن لا يخونوا في الأمانات الظاهرة والباطنة ولا يعبدوا غير الله فإن أبغض ما عبد غير الله الهوى لأنه بالهوى عبد ما عبد من دون الله انتهى.

قال محمد بن الفضل: جوارحك كلها أمانات عندك أمرت في كل واحدة منها بأمر فأمانة العين الغض عن المحارم والنظر بالاعتبار وأمانة السمع صيانتها عن اللغو والرفث وإحضارها مجالس الذكر وأمانة اللسان اجتناب الغيبة والبهتان ومداومة الذكر وأمانة الرجل المشي إلى الطاعات والتباعد عن المعاصي وأمانة الفم أن لا يتناول به إلا حلالاً وأمانة اليد أن لا يمدّها إلى حرام ولا يمسكها عن المعروف وأمانة القلب مراعاة الحق على دوام الأوقات حتى لا يطالع سواه ولا يشهد غيره ولا يسكن إلا إليه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾ المفروضة عليهم ﴿يَحَافِظُونَ﴾ يواظبون عليها بشرائطها وآدابها ويؤدونها في أوقاتها.

قال في «التأويلات النجمية»: يحافظون لثلاث يقع خلل في صورتها ومعناها ولا يضيع منهم الحضور في الصف الأول صورة ومعنى.

وفي الحديث: «يكتب للذي خلف الإمام بحذائه في الصف الأول ثواب مائة صلاة،

وللذي في الأيمن خمس وسبعون، وللذي في الأيسر خمسون، وللذي في سائر الصفوف خمس وعشرون» كما في «شرح المجمع» والصف الأول أعلم بحال الإمام فتكون متابعتة أكثر وثوابه أتم وأوفر كما في «شرح المشارق» لابن الملك، وفي الحديث: «أول زمرة تدخل المسجد هم أهل الصف وإن صلوا في نواحي المسجد» كما في «خالصة الحقائق» ولفظ يحافظون لما في الصلاة من التجدد والتكرر وهو السر في جمعها وليس فيه تكرير الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة.

قال الكاشفي: [ذكر صلاة در مبدأ ومنتهاي اين اوصاف كه موجب فلاح مؤمنانست اشارتست بتعظيم شان نماز].

﴿أُولَئِكَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُنتَعِتُونَ بِالنَّعُوتِ الْجَلِيلَةِ الْمَذْكُورَةِ. وَبِالْفَارَسِيَّةِ: [آن كروه مؤمنان كه جامع اين شش صفت اند ﴿هم الوارثون﴾ أي: الأحقاء بأن يسموا وارثاً دون من عداهم ممن ورث رغائب الأموال والذخائر وكرائمها. والورثة انتقال مال إليك من غيرك من غير عقد ولا ما يجري مجرى العقد وسمي بذلك المتقل عن الميت فيقال للمال المورث ميراث.﴾

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدُوسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ ﴿١٣﴾.

﴿الذين يرثون الفردوس﴾ بيان لما يرثونه وتقييد للمواريث بعد إطلاقها وتفسير لها بعد إبهامها تفخيماً لشأنها ورفعاً لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس بأعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه؛ لأن الورثة أقوى سبب يقع في ملك الشيء ولا يتعقبه رد ولا فسخ ولا إقالة ولا نقض. ﴿هم فيها﴾ أي: الفردوس والتأنيث لأنه اسم للجنة أو لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لأصناف الثمر روي: «أنه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الأذفر وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان» ﴿خالدون﴾ يخرجون منها ولا يموتون. والخلود تبرئ الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي هو عليها والخلود في الجنة بقاء الأشياء على الحالة التي هي عليها من غير اعتراض الكون والفساد عليها.

وفي «التأويلات النجمية»: الفردوس أعلى مراتب القرب قد بقي ميراثاً عن الأموات قلوبهم فيرثه الذين كانوا أحياء القلوب انتهى.

وفي «تفسير الفاتحة» للمولى الفناري رحمه الله: اعلم أن الجنان ثلاث: الأولى جنة الاختصاص الإلهي وهي التي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا حد العمل وحدهم من أول ما يولد ويستهل صارخاً إلى انقضاء ستة أعوام ويعطي الله من شاء من عباده من جنات الاختصاص ما شاء ومن أهلها المجانين الذين ما عقلوا ومن أهلها أهل التوحيد العلمي ومن أهلها أهل الفترات ومن لم يصل إليهم دعوة رسول.

والجنة الثانية: ميراث ينالها كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن المؤمنين وهي الأماكن التي كانت معينة لأهل النار لو دخلوها.

والجنة الثالثة: جنة الأعمال وهي التي ينزل الناس فيها بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر سواء كان الفاضل بهذه الحالة دون المفضول أو لم

يكن فما من عمل إلا وله جنة يقع التفاضل فيها بين أصحابها ورد في الحديث الصحيح عن النبي عليه السلام أنه قال لبلال: «يا بلال بم سبقتني إلى الجنة فما وطئت فيها موضعاً إلا سمعت خشخشتك أمامي» فقال: يا رسول الله ما أحدثت قط إلا توضأت وما توضأت إلا صليت ركعتين فقال عليه السلام «بهما» فعلمنا أنها كانت جنة مخصوصة بهذا العمل فما من فريضة لا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرم ومكروه إلا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص بمن دخلها ثم فصل مراتب التفاضل فمن أراد ذلك فليطلب هناك فما ذكره موافق لما قيل في الآية أنهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لأنه تعالى خلق لكل إنسان منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار كما قال الكاشفي: [منزل مؤمنان ازدوزخ إضافة منازل كفار كئند ومنزلهاي ايشان ازبهشت برمنزل مؤمنان افزايند ودرزاد المسير آورده بهشت بنظر كفار در آرند ومقامهاي ايشانرا اكر ايمان آوردندي بریشان نمايند تاحسرت ايشان زياده كردد:

نظر ازدور درجانان بدان ما ندكه كافرا بهشت ازدور بنمايند وآن سوز دكرباشد اللهم اجعلنا من الذين يرثون الفردوس ويتنعمون بنعيمها ويصلون إلى نسيمها واحفظنا عن الأسباب المؤدية إلى النار وجحيمها.

﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ اللام جواب قسم أي وبالله لقد خلقنا جنس الإنسان في ضمن خلق آدم خلقاً إجمالياً ﴿من سلالة﴾ يقال: سل الشيء من الشيء نزع كسل السيف من الغمد وسل الشيء من البيت على سبيل السرقة وسل الولد من الأب ومنه للولد سليل، والسلالة اسم ما سل من الشيء واستخرج منه فإن فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة يكون مقصوداً منه كالخلاصة وأخرى غير مقصود منه كالقلامة والكناسة والسلالة من القبيل الأول فإنها مقصودة ما يسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق، أي من خلاصة سلت من بين الكدر كما في «الجلالين»، ﴿من طين﴾ من بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة أي خلقنا من سلالة كائنة من طين: وبالفارسية: [خلاصة وازنقاوه كه بيرون كشيده شده ازل] والطين التراب والماء المختلط به.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى سلالة سلت من جميع طبيها وسبخها وسهلها وجبلها باختلاف ألوانها وطبائعها المتفاوتة ولهذا اختلفت ألوانهم وأخلاقهم لأنه مودع في طبيعتهم ما هو من خواص الطين الذي اختص بخاصية منها نوع من الحيوان من جنس البهائم والسباع والجوارح والحشرات المؤذيات الغالبة على كل أحد منها صفة من الصفات الذميمة والحميدة. فأما الذميمة فكالحرص في الفأرة والنملة وكالشهوة في العصفور وكالغضب في الفهد والأسد وكالكبر في النمر وكالبخل في الكلب وكالشره في الخنزير وكالحقد في الحية وغير ذلك من الصفات الذميمة وأما الحميدة فكالشجاعة في الأسد والسخاوة في الديك والقناعة في البوم وكالحلم في الجمل والتواضع في الهرة وكالوفاء في الكلب وكالبكور في الغراب وكالهمة في البازي والسلحفاة وغير ذلك من الصفات الحميدة فقد جمعها كلها مع خواصها وطبائعها ثم أودعها في طينة الإنسان وهو آدم عليه السلام. ﴿ثم جعلناه﴾ أي: الجنس باعتبار أفرادها المغايرة لآدم وقال بعضهم: ثم جعلناه أي نسله فحذف المضاف فيكون المراد بالإنسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين. ﴿نطفة﴾ بأن خلقناه منها والنطفة الماء الصافي ويعبر بها عن ماء الرجل. ﴿في قرار﴾ أي مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة. ﴿مكين﴾ أي حصين وهو وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر. وبالفارسية:

[درد قرار کاهی که استوار یعنی رحم و جهل روز اورا نگاه داشتیم سفید].

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عِلْقَةً فَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلاً فَكَسَوْنَا الْعِظَماً لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النطفة علقه﴾ بأن أحلنا النطفة البيضاء علقه حمراء.

قال الراغب: العلق الدم الجامد ومنه العلقه التي يكون منها الولد ﴿فخلقنا العلقه مضغه﴾ المضغه قطعة لحم تمضغ أي فصيرناها قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها. وبالفارسية: [پس ساختیم آن خون را آن مقدار گوشت که بخایند یکبار کوشتی بی استخوان بستره جهل روز دیگر] ﴿فخلقنا المضغه﴾ أي: غالبها ومعظمها ﴿عظاماً﴾ بأن صلبناها بعد ثلاث وأربعين وجعلناها عموداً للبدن على هيئات وأوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة. ﴿فكسونا﴾ [پس بیوشانیدیم] ﴿العظام﴾ المعهودة ﴿لحماً﴾ من بقية المضغة أي كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيئات مناسبة له: وبالفارسية: [برو برویانیدیم گوشت بعد از رستن عروق و اعصاب و اوتار و عضلات برو] واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها. ﴿ثم أنشأناه﴾ الإنشاء إيجاد الشيء وتربيته وأكثر ما يقال ذلك في الحيوان وبالفارسية [پس بیافریدیم اورا]. ﴿خلقاً آخر﴾ بنفخ الروح فيه. وبالفارسية: [روح درو دمیده تازنده شد بعد از آنکه مرده بود یا بعد از خروج اورادندان وموی دادیم وراه پستان برو کشادیم وازمقام رضاع بقطام رسانیدیم وبغذاهای کونا کونا تربیت فرمودیم وچون قدم در حد بلوغ نهاد و قلم تکلیف برو جاری کردیم وبر مراتب شباب وکهنوت وشيوخوت بگذارانیدیم] وثم لکمال التفاوت بین الخلقین واحتج به أبو حنیفة رحمه الله على أن من غصب بیضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ فإنه خلق آخر.

قال في «الأسئلة المقحمة»: خلق الله الآدمي أطواراً ولو خلقه دفعة واحدة كان أظهر في كمال القدرة وأبعد عن نسبة الأسباب فما معناه فالجواب لا بل الخلق بتقليب الأعيان واختراع الأشخاص أظهر في القدرة فإنه تعالى خلق الآدمي من نطفة متماثلة الأجزاء ومن أشياء كثيرة مختلفة المراتب متفاوتة الدرجات من لحم وعظم ودم وجلد وشعر وغيرها ثم خص كل جزء منها بتركيب عجيب وباختصاص غريب من السمع والبصر واللمس والمشي والذوق والشم وغيرها وهي أبلغ في إظهار كمال الإلهية والقدرة. ﴿فتبارك الله﴾ فتعالى شأنه من علمه الشامل وقدرته الباهرة ﴿أحسن الخالقين﴾ بدل من الجلالة أي أحسن الخالقين خلقاً أي المقدرين تقديراً حذف المميز لدلالة الخالقين عليه فالحسن للخلق.

وفي «الأسئلة المقحمة»: هذا يدل على أن العبد خالق أفعاله ويكون الرب أحسن منه في الخالقية فالجواب معناه أحسن المصورين لأن المصور يصور الصورة ويشكلها على صورة المخلوق أخبر به لأنه لا يبلغ في تصويره إلى حد الخالق لأنه لن يقدر على أن ينفخ فيها الروح وقد ورد الخلق في القرآن بمعنى التصوير قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [المائدة: ١١٠] أي وإذ تصور كذلك ههنا انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ يعني خلقاً غير المخلوقات التي خلقها من قبل وهو أحسنهم تقويماً وأكملهم استعداداً وأجلهم كرامة وأعلاهم رتبة وأخصهم فضيلة فلهذا

أثنى على نفسه عند خليفته بقوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ لأنه خلق أحسن المخلوقين حيث جعله معدن العرفان وموضع المحبة ومتعلق العناية [أي عزيز حق سبحانه وتعالى عرش وكرسي ولوح وقلم وملائكة ونجوم وسموات وأرضين بياضين وذات مقدس را بدين نوع ثناءكه بعد از آفرینش انسان فرموده نفر موده واين دليل تفضيل وتكريم ايشانست .

بر ورق روی لطف إله آيينه حسن كه تحرير كرد
وفي «المثنوي»:

أي رخ چزن زهره است شمس الضحی	أي كداي رنك توكلكونها
تاج كرمناست بر فرق سرت	طوق فضلناست آویزبرت
هیچ كرمنا شنید آين آسمان	كه شنید آن آدمي پرغمان
أحسن التقويم در والتين بخواند	كه كرامي كوهرست أي دوست جان
كر بكويم قيمت آن ممتنع	من بسوزم هم بسوزد مستمع

[بعضي از اهل وجدان كويندكه چون درين آيت احوال بني آدم وترقي از مقامي بمقامي بيان فرموده وآنست كه اورا زباني باداء مراسم حمد وثنائي كه مستحق بارگاه قدم باشد نخواهد بود در ستايش ذات مقدس از جناب او نيابت نموده گفت:] ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ روي: أن عبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله الوحي فلما انتهى عليه السلام إلى قوله ﴿خَلَقًا﴾ آخره سارع عبد الله إلى النطق به قبل إملائه عليه السلام فقال عليه السلام: اكتب هكذا أنزلت فشك عبد الله فقال: إن كان محمد يوحى إليه فأنا كذلك فلحق بمكة كافراً ثم أسلم يوم الفتح وقيل: مات على كفره ولما نزلت هذه الآية قال عمر رضي الله عنه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ فقال عليه السلام: «هكذا نزلت يا عمر» وكان يفتخر بتلك الموافقة انظر كيف وقعت هذه الواقعة سبباً لسعادة عمر رضي الله عنه وشقاوة ابن أبي سرح حسبما قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦] لا يقال قد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القرآن وذلك فادح في إعجازه لما أن الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار أقصر سورة.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتَوْنَ﴾ (١٥) ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تَبْعَثُونَ﴾ (١٦) وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ .

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي بعدما ذكر من الأمور العجيبة ﴿لَمِتَوْنَ﴾ لصاثرون إلى الموت لا محالة كما تؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث الذي يفيد صيغة الفاعل . وبالفارسية: [يعني مآل حال شما بمرك خواهد کشید وسافر فنا از دست ساقي أجل خواهید چشید].

قال بعضهم: من مات من الدنيا خرج إلى حياة الآخرة ومن مات من الآخرة خرج منها إلى الحياة الأصلية وهو البقاء مع الله تعالى .

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي عند النفخة الثانية ﴿تَبْعَثُونَ﴾ تخرجون من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب .

وفي الآية إشارة إلى أن الإنسان بعد بلوغه إلى رتبة الإنسانية يكون قابلاً للموت مثل موت القلب وموت النفس وقابلاً لحشرهما وفي موت القلب حياة النفس وحشرها مودع وفي

موت النفس حياة القلب وحشره مودع وحياة النفس بالهوى وظلمته وحياة القلب بالله ونوره كما قال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَمْ نُورًا﴾ [الأنعام: ١٢٢] الآية وهذا معنى حقيقة قوله: ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ كذا في «التأويلات النجمية».

قال في «الأسئلة المقحمة»: عد سائر أطوار الآدمي من خلقه إلى أن يبعث ولم يذكر فيها شيئاً من سؤال القبر فدل على أنه ليس بشيء فالجواب لأنه تعالى ذكر الحياة الأولى التي هي سبب العمل والحياة الثانية التي هي سبب الجزاء وهما المقصودان من الآية ولا يوجب ذلك نفى ما يذكر انتهى.

اعلم أن الموت يتعلق بصعقة سطوات العزة وظهور أنوار العظمة والحياة تتعلق بكشف الجمال الأزلي هناك تعيش الأرواح والأشباح بحياة وصالية لا يجري بعدها موت الفراق والموت والحياة الصوريان من باب التربية الإلهية لأن في الفناء تربية أخرى في التراب وفي الحياة إظهار زيادة قدرة فينا بإدخال حياة ثانية في أشباحنا وتربية ثانية في أرواحنا فافهم جداً ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ جمع طريقة كما أن الطرق جمع طريق والمراد طباق السموات السبع كما قال في «المفردات»: طرائق السماء طباقها. يعني [هفت آسمان طبقی بالای طبقه] سميت بها لأنها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فإن كل شيء فوق مثله فهو طريقه. ﴿وما كنا عن الخلق﴾ عن ذلك المخلوق الذي هو السموات. ﴿غافلين﴾ مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندير أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة،

وقال الكاشفي: [يا از جميع آفريد كان غافل نيسستم برخير وشر ونفع وضرر وكفر وشرك ايشان مطلعيم].

قال أبو يزيد قدس سره في هذه الآية: إن لم تعرفه فقد عرفك وإن لم تصل إليه فقد وصل إليك وإن غبت أو غفلت عنه فليس عنك بغائب ولا غافل.

قال بعضهم: فوقنا حجب ظاهرة وباطنة ففي ظاهر السموات حجب تحول بيننا وبين المنازل العالية من العرش والكرسي وعلى القلوب أغشية كالمني والشهوات والإرادات الشاغلة والغفلات المتراكمة والله تعالى ليس بغافل عن سكنات الغافلين وحركات المريدين ورغبات الزاهدين ولحظات العارفين.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ (١٨) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَبْنَا لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهَ كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (١٩).

﴿وأنزلنا من السماء﴾ من ابتدائية متعلقة بأنزلنا ﴿ماء﴾ هو المطر ﴿بقدر﴾ [باندازه كه صلاح بند كان در آن دانستيم].

وفي «بحر العلوم»: بتقدير يسلمون معه من الضرر ويصلون إلى النفع. ﴿فأسكناه في الأرض﴾ أي جعلنا ذلك الماء ثابتاً قاراً فيها. ﴿وإننا على ذهاب به﴾ أي إزالته بالافساد أو التصعيد أو التغوير بحيث يتعذر استنباطه حتى تهلكوا أنتم ومواشيكم عطشاً. ﴿لقادرون﴾ كما كنا قادرين على إنزاله. وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي عليه السلام: «إن الله تعالى أنزل من الجنة خمسة أنهار جيحون وسيحون ودجلة والفرات والنيل فأنزلها الله تعالى

من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس»، فذلك قوله: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض﴾ وإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر الأسود من البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة إلى السماء فذلك قوله: ﴿وإننا على ذهاب به لقادرون﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خيري الدين والدنيا هذا حديث حسن كما في «بحر العلوم».

﴿فأنشأنا لكم﴾ [پس بیافریدیم برای شما] ﴿به﴾ بسبب ذلك الماء ﴿جنات﴾ [بستانها] ﴿من نخيل﴾ [زخرما بنان].

قال في «المفردات»: النخل: معروف ويستعمل في الواحد والجمع وجمعه نخيل ﴿وأعناب﴾ [وازتاك بنان].

قال في «المفردات»: العنب يقال لثمرة الكرم والكرم نفسه الواحدة عنبه انتهى.

قال الكاشفي: [تخصيص اين دو درخت جهت اختصاص أهل مدينة بخمرها وأهل طائف بانكوراست ونخل وعنب در زمين حجاز ازهمه ديار عرب بيشرت مي باشد] ﴿لكم فيها﴾ أي في تلك الجنات ﴿فواكه كثيرة﴾ تفكّهون بها.

قال في «المفردات»: الفاكهة قيل هي الثمار كلها وقيل: بل هي الثمار ما عدا العنب والرمّان وقائل هذا كأنه نظر إلى اختصاصهما بالذكر وعطفهما على الفاكهة انتهى.

قال أبو حنيفة رحمه الله إذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل رطباً أو عنباً أو رماناً لم يحنث لأن كلاً منها وإن كان فاكهة لغة وعرفاً إلا أن فيه معنى زائداً على التفكه، أي التلذذ والتنعيم وهو الغذائية وقوام البدن فيه فهذه الزيادة يخص من مطلق الفاكهة وخالفه صاحبه ﴿ومنها﴾ أي من الجنات ثمارها وزروعها ﴿تأكلون﴾ تغذياً أو ترزقون وتحصلون معاشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته كما قال الكاشفي [وما ما لا بد معيشت ازان حاصل ميكنيد].

وفي الآية إشارة إلى أنه كما أنزل من السماء ماء المطر الذي هو سبب حياة الأرضين كذلك أنزل من سماء العناية ماء الرحمة فيحيي القلوب ويزيل به دون العصاة وآثار زلثهم وينبت في رياض قلوبهم فنون أزهار البسط وصنوف أنوار الروح وإلى أنه كما يحيي الغياض بماء السماء ويثمر الأشجار ويجري به الأنهار فكذلك ماء سماء العناية ينشئ شجرة العرفان ويؤتي أكلها من الكشف والعيان وما تنقاصر العبارات عن شرحه ولا تطمع الإشارات في حصره ثم إن الله تعالى عد نعمه على العباد وأحسن الإرشاد فمن تجاوز من النعم إلى المنعم فقد فاز بالمطلوب الحقيقي.

فإن قلت: لم أمر الله بالزهد في الدنيا مع أنه خلقها له؟.

قلت السكر إذا نثر على رأس الختن فإنه لا يلتقطه لعلو همته ولو التقطه لكان عيباً والأولياء زهدوا فيها ومنعوا أنفسهم عن طيباتها وقنعوا بالقليل رجاء رفع الدرجات، وفي الحديث: «جوعوا أنفسهم لوليمة الفردوس» والضيف إذا كان حكيماً لا يشبع من الطعام رجاء الحلوى حكى: أن واحداً من أهل الرياضة مرّ من تحت شجرة فإذا ثمرها قد أدرك فحملته عليه نفسه للأكل منه فقال لها إن صمت سنة وإلا فلا فصامت حتى إذا كان وقت الثمر من السنة الآتية ذهب ليأكل منه فتناول من الساقط تحتها فقالت النفس إن على الشجرة أعلى الثمر فكل

منه فقال لها: إن شرطي معك أن أكل منه مطلقاً لا من جيده الذي على الشجرة. قال الشيخ سعدى قدس سره:

مرو در هرچه دل خواهدت كه تمكين تن نور جان كاهدت
كند مردرا نفس إماره خوار اكر هوشمندي عزيزش مدار
اكر هرچه باشد مرادت خوري زدوران بسي نامرادي برى
قال بعضهم الجوز واللوز والفسق والبندق والشاه بلوط الصنوبر والرمان والنانج والموز
والخشخاش والرطب والزيتون والمشمش والخوخ والإجاص والعناب والغبيراء والدراق
والزعرور والنبق والتفاح والكمثري والسفرجل والتين والعنب والأترج والخرنوب والقثاء
والخيار والبطيخ كلها من فواكه الجنة فالعشرة الأولى لها قشر والثانية لا قشر لها والعشرة الثالثة
ليس لها قشر ولا نوى كما لا يخفى.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلْأَكْلِينَ﴾

﴿وشجرة﴾ بالنصب عطف على جنات وتخصيصها بالذكر من بين سائر الأشجار لاستقلالها بمنافع معروفة قيل: هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان وهي شجرة الزيتون. قال في «إنسان العيون»: شجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة.

وفي «المفردات»: الشجر من النبت ما له ساق يقال شجرة وشجر نحو ثمرة وثمر. ﴿تخرج من طور سيناء﴾ هو جبل بين مصر وآيلة نودي منه موسى عليه السلام. وبالفارسية: [وديكربيا فرديد] برآي شما درختي كه بيرون مي آيد از كوه زيبا كه جبل موسى است درميان مصر وآيله] ويقال له: طور سنين ومعناه الحسن أو المبارك.

قال أهل التفسير: فإما أن يكون الطور اسم الجبل وسيناء اسم البقعة أضيف إليها أو المركب منهما علم له كأمريء القيس وهو بالفتح فعلاء كصحراء فمنع صرفه للتأنيث وبالكسر فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور فمنع صرفه للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للألف وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع أيضاً لتعظيمها ولأنه المنشأ الأعلى لها.

قال في «الجلالين»: أول ما نبت الزيتون نبت هناك. ﴿تنبت بالدهن﴾ [مي رويد باروغن] صفة أخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالاً منها أي تنبت ملتبسة به ومستصحبة له كما قال الراغب معناه تنبت والدهن موجود فيها بالقوة ويجوز كونها صلة معدية لتنبت كما في قولك: ذهبت بزيد أي تنبته بمعنى تتضمنه وتحصله فإن النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن. ﴿وصبغ﴾ [نان خورش] «للأكلين» أي إدام لهم وذلك من قولهم اصطبغت بالحل وهو معطوف على الدهن جار على إعرابه عطف أحد وصفي الشيء على الآخر أي تنبت الجامع بين كونه دهناً يدهن به ويسرج به وكونه أداماً يصبغ فيه الخبز أي: يغمس للاتدام ويلون به كالدهن والخل مثلاً.

وفي «التأويلات النجمية»: هي شجرة الخفي الذي يخرج من طور سيناء الروح بتأثير تجلي أنوار الصفات تنبت بالدهن وهو حسن الاستعداد لقبول الفيض الإلهي بلا واسطة ومقر هذا الدهن هو الخفي الذي فوق الروح وهو سر بين الله وبين الروح لا تطلع عليه الملائكة المقربون وهو إدام لا أكلي الكونين بقوة الهمة.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّذِكْرِ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ٢٣ ﴿وَعَلَى الْفَلَكَ تَحْمِلُونَ﴾ ٢٤ .

﴿وإن لكم في الأنعام﴾ [درجهار پايان يعني إبل وبقر وغنم] ﴿لعبرة﴾ لآية تعتبرون بحالها وتستدلون على عظيم قدرة خالقها ولطيف حكمته . وبالفارسية: [چیزی که بدان اعتبار کريد وبر قدرت إلهي استدلال نمايند] فکأنه قيل: كيف العبرة؟ فقيل: ﴿نسقيکم﴾ [مي اشامانيم شمارا]. ﴿مما في بطونها﴾ ما عبارة إما عن الألبان فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف أو عن العلف الذي يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها .

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه كما يخرج من بطون الأنعام من بين الفرث والدم لبناً خالصاً وفيه عبرة لأولي الأبصار فكَذَلِكَ يخرج من بين فرث الصفات النفسانية وبين دم الصفات الشيطانية لبناً خالصاً من التوحيد والمحبة يسقي به أرواح الصديقين كما قال بعضهم:

سقاني شربة أحى فؤادي بكأس الحب من بحر الوداد

﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ غير ما ذكر من أصوافها وأوبارها وأشعارها .

قال الكاشفي: [ومر شماراست در ايشان سودهاي بسيار که بعضي راسوار ميشويد وبرخي رابارميکنيد واز بعضي نتاج مستانيد وازيشم وموي ايشان بهره ميکيريد] ﴿ومنها تأكلون﴾ فتنفعون بأعيانها كما تنفعون بما يحصل منها وفي الحديث: «عليكم بالبان البقر فإنها تؤم من كل الشجر» أي تجمع وفي الحديث: «عليكم بالبان البقر وسمنائها وإياكم ولحومها فإن ألبانها وسمنائها دواء وشفاء ولحومها داء» وقد صح أن النبي عليه السلام ضحى عن نسائه بالبقر .

قال الحليمي: هذا ليبس الحجاز ويبوسة لحم البقر ورطوبة لبنها وسمنائها فکأنه يرى اختصاص ذلك به وهذا التأويلات مستحسن وإلا فالنبي عليه السلام لا يتقرب إلى الله تعالى بالداء فهو إنما قال ذلك في البقر لتلك اليبوسة . وجواب آخر أنه عليه السلام ضحى بالبقر لبيان الجواز ولعدم تيسر غيره كذا في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي .

﴿وعليها﴾ أي على الأنعام فإن الحمل عليها لا يقتضي الحمل على جميع أنواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالإبل ونحوها وقيل: المراد هي الإبل خاصة لأنها المحمول عليها عندهم والمناسب للفلک فإنها سفائن البر ﴿وعلى الفلك﴾ أي السفينة .

قال الراغب: ويستعمل ذلك للواحد والجمع وتقديرهما مختلفان فإن الفلك إذا كان واحداً كان كبناء قفل وإذا كان جمعاً فكبناء حمر ﴿تحملون﴾ يعني [برشتران درخشك وبركشتيها برتری برداشته مي شويد يعني شتر وكشتي شمارا بر میدارند وازهر موضعي بموضعي ميبرند] وإنما لم يقل وفي الفلك كقوله: ﴿قُلْنَا أَتَجَلَّ فِيهَا﴾ [هود: ٤٠] لأن معنى الإيعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لأن الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وأيضاً هو يطابق قوله عليها ويزاوجه كذا في «بحر العلوم» .

ودلت الآية على جواز ركوب البحر للرجال والنساء على ما قاله الجمهور وكره ركوبه للنساء لأن التستر فيه لا يمكنهن غالباً ولا غض البصر من المتصرفين فيه ولا يمكن عدم انكشاف عوراتهن في تصرفهن لا سيما فيما صغر من السفن مع ضرورتهن إلى قضاء الحاجة بحضرة الرجال كما في «أنوار المشارق» .

قال في «الذخيرة»: إذا أراد أن يركب السفينة في البحر للتجارة أو لغيرها فإن كان بحال لو غرقت السفينة أمكنه دفع الغرق عن نفسه بكل سبب يدفع الغرق به حل له الركوب في السفينة وإن كان لا يمكنه دفع الغرق لا يحل له الركوب انتهى فالمفهوم من هذه المسألة حرمة الركوب في السفينة لمن لا يقدر على دفع الغرق عن نفسه مطلقاً سواء كان لطلب العلم أو التجارة أو الحج أو زيارة الأقارب أو صلة الرحم أو نحو ذلك وسواء كانت السلامة غالبية أو لا لكن المفهوم من بعض المسائل جوازه عند غلبة السلامة وإلا فلا.

قال في «شرح حزب البحر»: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمر بن العاص صف لي البحر فقال: يا أمير المؤمنين مخلوق عظيم يركبه خلق ضعيف دود على عود فقال عمر لا جرم لولا الحج والجهاد لضربت من يركبه بالدرة ثم منع ركوبه ورجع عن ذلك بعد مدة وكذلك وقع لعثمان رضي الله عنه ومعاوية ثم استقر الإجماع على جوازه بشرائطه انتهى.

والسباحة في الماء من سنن النبي، قال في «إنسان العيون»: كانت وفاة أبيه عليه السلام عبد الله بالمدينة ودفن في دار المتابعة بالتاء المثناة فوق وبالباء الموحدة والعين المهملة وهو رجل من بني عدي بن النجار أخوال أبيه عبد المطلب والنجار هذا اسمه تميم وقيل له: النجار لأنه اختتن بقدوم وهو آلة النجار ولما هاجر عليه السلام إلى المدينة ونظر إلى تلك الدار عرفها وقال: ههنا نزلت بي أُمِّي وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله وأحسنتم القوم السباحة في بئر بني عدي بن النجار ومن هذا ومما جاء عن عكرمة عن ابن عباس أنه عليه السلام كان هو وأصحابه يسبحون في غدير في الجحفة فقال عليه السلام لأصحابه: «ليسبح كل رجل منكم إلى صاحبه» وبقي النبي عليه السلام وأبو بكر فسبح النبي إلى أبي بكر حتى اعتنقه وقال: «أنا وصاحبي أنا وصاحبي» وفي رواية: «أنا إلى صاحبي أنا إلى صاحبي» يعلم رد قول بعضهم: وقد سئل هل عام عليه السلام الظاهر لا لأنه لم يثبت أنه عليه السلام سافر في بحر ولا بالحرمين بحر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَفْقَهُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٢٣)

﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ اللام جواب قسم وتصدير القصة به لإظهار كمال الاعتناء بمضمونها أي وبالله لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه وجاء في قصيدة جمال الدين:

من كثير الذنب نوحوا نوح نوح في الرسل

إنه عمراً طويلاً من قليل النطق ناح

وهو أنه عليه السلام مر على كلب به جرب فقال: بش الكلب هذا ثم ندم فناع من أول عمره إلى آخر ﴿فقال﴾ داعياً لهم إلى التوحيد ﴿يا قوم﴾ [أي كروه من] وأصله يا قومي ﴿اعبدوا الله﴾ وحده كما دل عليه التعليل وهو ﴿ما لكم من إله غيره﴾ أي: ما لكم في الوجود أو في العالم غير الله فغير بالرفع صفة لآلة باعتبار محله الذي هو الرفع على أنه فاعل ومن زائدة أو مبتدأ خبره لكم. ﴿أفلا تتقون﴾ الهمزة لإنكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام، أي ألا تعرفون ذلك أي مضمون قوله ما لكم من إله غيره فلا تتقون عذابه بسبب إشراككم به في العبادة ما لا يستحق الوجود لولا إيجاد الله فضلاً عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه.

قال الكاشفي: يعني [ترسيداز عذاب وي وعبادت غير أو ميل مكيند].

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً﴾ نوح الروح إلى قومه من القلب والسر والنفس والقلب وجوارحه: ﴿فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ من الهوى والشيطان فعبادة القلب بقطع العلاقات والمحبة وعبادة السر بالتفرد بالتوحيد وعبادة النفس بتبديل الأخلاق وعبادة القلب بالتجريد وعبادة الجوارح بإقامة أركان الشريعة. ﴿أفلا تتقون﴾ بهذه العبادات عن الحرمان والخذلان وعذاب النيران.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٤) **جِنِّ** (٢٥) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُوا (٢٦).

﴿فقال الملاء﴾ أي: الأشراف والسادة ﴿الذين كفروا من قومه﴾ أي: قالوا لعوامهم مبالغة في وضع الرتبة العالية وحطها عن منصب النبوة.

قال الكاشفي: [چون اكابر قوم اصاغر را بدین ودعوت نوح مائل دیدند ایشانرا تنفیر نمودہ گفتند] ﴿ما هذا﴾ [نیست این کس کہ می خواند بتوحید] ﴿إلا بشر مثلكم﴾ أي في الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه.

قال الكاشفي: [مانند شما درخوردن و آشامیدن و غیر آن] ﴿یرید أن یتفضل علیکم﴾ أي یرید أن یطلب الفضل علیکم ویتقدمکم بإدعاء الرسالة مع كونه مثلكم.

قال في «الجلالین»: یتشرف علیکم فیکون أفضل بأن یکون متبوعاً وتكونوا له تبعاً کقوله وتكون لکما الکبرياء في الأرض وصفوه بذلك إغضاباً للمخاطبین علیه وإغراء علی معاداته ﴿ولو شاء الله لأنزل ملائكة﴾ أي: لو شاء الله إرسال الرسول لأرسل رسلاً من الملائكة [تأمر سل از مرسل إلیهم متمیز بودی] وإنما قیل: لأنزل لأن إرسال الملائكة لا یکون إلا بطریق الإنزال فمفعول المشیئة مطلق الإرسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما في قوله ولو شاء لهداکم ونظائرہ.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بهذا إلى مقالات بعض البطلة من الطلبة فإن بعضهم یتکاسلون في الطلب فيقولون لو شاء الله سعینا في الطلب لأیدنا بالصفات الملكية والتوفیق الرباني ﴿ما سمعنا بهذا﴾ أي بمثل هذا الکلام الذي هو الأمر بعبادة الله خاصة ﴿في آبائنا الأولین﴾ أي: الماضین قبل بعثته.

وفي «بحر العلوم»: بهذا أي بإرسال البشر وإن جاء ذکر من الله علی رجل منهم كما قال الکاشفي: [مانشنوده ایم این راکه آدمی رسول خدا تواند بود بخلقان] قالوه إما لفرط غلوهم في التکذیب والعناد وإما لکونهم وآبائهم في فترة متطولة یعنی [میان ادريس ومیان ایشان مدتی مدید کذشته بود وشنوده بودند که از اولاد آدم پیغمبری بوده].

﴿إن هو﴾ ما هو ﴿إلا رجل به جنة﴾ أي: جنون ولذلك یقول ما یقول [اگر جنون نداشتی که بشر قابلیت رسالت ندارد] والجنون اختلال حائل بین النفس والعقل.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن أحوال أهل الحقيقة عند أرباب الطبیعة جنون كما أن أحوال أرباب الطبیعة عند أهل الحقيقة جنون انتهى والجنون المعتبر هو ترك العقل واختیار العشق: قال الحافظ:

درره منزل لیلی که خطر هاست درو شرط اول قدم آنست که مجنون باشی

وقال الصائب:

روزن عالم غیبست دل اهل جنون من وآن شهرکه دیوانه فراوان باشد
﴿فتربصوا به﴾ اصبروا علیه وانتظروا. وبالفارسیة [پس انتظار برید ویرا وچشم دارید].
قال الراغب: التربص الانتظار بالشيء ساعة يقصد بها غلاء أو رخصاً أو أمراً ينتظر زواله
أو حصوله ﴿حتى حين﴾ إلى وقت يفیق من الجنون.

قال الكاشفي: [تاهنکامی از زمان یعنی صبر کنیدکه اندک وقتی بمیرد وازوی بازرهیم یا
از جنون باهوش آید وترك گفتن این سخنان نموده پی کار خود کیرد].

﴿قال﴾ نوح بعدما آیس من ایمانهم ﴿رب﴾ [أي پروردکار من]. ﴿انصرني﴾ بایهلاکهم
بالکلیة ﴿بما کذبون﴾ أي بسبب تکذیبهم إیای أو بدل تکذیبهم.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنْثُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ
كُلِّ زَوْجٍ مِّنَ الْبَهِيمِ وَارْتَمِكْ بِهَا بِرَبِّكَ وَأَوَّلَ وَثْقَاءٍ عَلَيْكَ وَأَنْتَ بِرَبِّكَ فَاعْلَمْ﴾
﴿٢٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾
وَقُلْ رَبِّ ارْزُقْنِي مِزْلًا مَّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمَرْزُقِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿فأوحینا إلیه﴾ عند ذلك، أي فأعلمناه في خفاء فإن الإیحاء والوحي إعلام في خفاء
﴿أن اصنع الفلک﴾ أن مفسرة لما في الوحي من معنى القول والصنع إجادة الفعل ﴿بأعيننا﴾
ملتبساً بحفظنا نحفظه من أن تخطيء في صنعته أو يفسده عليك مفسد يقال: فلان بعيني أي
أحفظه وأراعیه كقولك: هو مني بمرأى وسمیع.

قال الجنید قدس سره: من عمل علی مشاهدة أورثه الله علیها الرضى قال الله تعالى:
﴿أن اصنع الفلک بأعيننا ووحینا﴾ وأمرنا وتعلیمنا لکیفیة صنعها روي: أنه أوحى إلیه أن یصنعها
على مثال الجؤجؤ.

وفي «التأویلات النجمية»: ألهمنا إلى نوح الروح أن اصنع فلك الشریعة باستصواب نظرنا
وأمرنا لا بنظر العقل وأمر الهوى كما یعمل الفلاسفة والبراهمة. ﴿فإذا جاء أمرنا﴾ أي: إذا
اقترب أمرنا بالعذاب ﴿وفار التنور﴾ [وبجوشد تنور یعنی بوقتی که زن تونان بزد ازمیان آتش
آب برآید] كما في «تفسیر الفارسی». والفور شدة الغلیان ویقال ذلك في النار نفسها إذا هاجت
وفي القدر وفي الغضب وفوارة الماء سمیت تشبیهاً بغلیان القدر ویقال الفور الساعة والتنور تنور
الخبز ابتداء منه النبوع على خرق العادة وكان في الکوفة موضع مسجدها كما روي إنه قيل له
علیه السلام: إذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك وكان تنور آدم فصار إلى نوح فلما
نبح منه الماء أخبرته امرأته فركبوا. ﴿فاسلك فیها﴾ أي أدخل فی الفلک یقال: سلك فیها أي
دخل وسلكه فیها أي أدخله ومنه قوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ [المدر: ٤٢] ﴿من كل﴾ من
كل أمة ونوع ﴿زوجین﴾ فردین مزدوجین ﴿اثنین﴾ تأکید والمراد الذکر والأنثی [ودر تیسیر
کوید درکشتی نیوارد مکر آنهاراکه می زایندا بابیضه می نهند]. ﴿وأهلك﴾ منصوب بفعل
معطوف على فاسلك أهلك والمراد به امرأته وبنوه وتأخیر الأهل لما فیهم من ضرب تفصیل
بذكر الاستثناء وغيره ﴿إلا من سبق علیه القول منهم﴾ أي القول بایهلاک الکفرة ومنهم ابنه
کنعان وأمه واغلة وإنما جيء بعلی لکونه السابق ضاراً كما جيء باللام في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ ﴿۱۰۱﴾ [الأنبياء: ۱۰۱] لكونه نافعاً ﴿وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالدعاء وإنجائهم ﴿إِنَّهُمْ مَفْرُقُونَ﴾ مقضي عليهم بالإغراق لا محالة لظلمهم بالإشراك وسائر المعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف لا وقد أمر بالحمد على النجاة منهم بإهلاكهم بقوله تعالى:

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ﴾ أي من أهلك وأشياحك أي اعتدلت في السفينة راكباً.

قال الراغب: استوى يقال على وجهين أحدهما أن يسند إليه فاعلان فصاعداً نحو استوى زيد وعمرو كذا أي تساويا قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ۱۹] والثاني أن يقال لا اعتدال الشيء في ذاته نحو فإذا استويت ومتى عدي بعلى اقتضى معنى الاستعلاء نحو ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ۵] ﴿على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين﴾ أفرد بالذكر مع شركة الكل في الاستواء والنجاة لإظهار فضله والإشعار بأن في دعائه وثنائه مندوحة عما عداه ﴿وقل ربي أنزلني﴾ أي: في السفينة أو منها.

قال الكاشفي [قولي آنست كه امر بدین دعا در وقت خروج از کشتی بوده واشهر آنست كه در وقت دخول وخروج این دعا فرموده] ﴿منزلاً مباركاً﴾ أي: إنزالاً أو موضع إنزال يستتبع خيراً كثيراً وقرىء منزلاً بفتح الميم أي موضع نزول والنزول في الأصل هو الانحطاط من علو يقال: نزل عن دابته ونزل في مكان كذا حطاً رحله فيه وأنزله غيره ﴿وأنت خير المنزلين﴾ ، وفي «الجلالين»: استجاب الله دعاءه حيث قال: ﴿أَقِطْ يَسْلَئِرَ مِنَّا وَبَرَكَتٌ عَلَيْكَ﴾ [هود: ۴۸] فبارك فيهم بعد إنزالهم من السفينة حتى كان جميع الخلق من نسل نوح ومن كان معه في السفينة.

قال الكاشفي: [سلمی از ابن عطا نقل میفرماید که منزل مبارک آن منزلست که دراو از هوا جس نفسانی ووساوس شیطانی آیمن باشند واثار قرب از جمال قدس نازل باشد:

هر کجا پرتو أنوار جمال بیشتر برکت آن منزل از همه منازل افزونتر
در منزلی که یاری روزی رسیده باشد باذره های خاکش داریم مرحبائی

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ ﴿۴۰﴾

﴿إن في ذلك﴾ الذي ذكر مما فعل به وبقومه. ﴿آيات﴾ جلیلة يستدل بها أولو الأبصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار ﴿وإن كنا لمبتلين﴾ إن مخففة من إن واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف أي وإن الشأن كنا مصيبي قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر.

قال الراغب: إذا قيل: ابتلى فلان بكذا وأبلاه فذلك يتضمن أمرين أحدهما: تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره والثاني: ظهور جودته ورداءته دون التعرف بحاله والوقوف على ما يجهل من أمره إذا كان الله علام الغيوب انتهى.

واعلم أن البلاء كالملاح وإن أكابر الأنبياء والأولياء إنما كانوا من أولي العزم ببلايا ابتلاهم الله بها فصبروا ألا ترى إلى حال نوح عليه السلام كيف ابتلى ألف سنة إلا خمسين عاماً فصبر حتى قيل له: ﴿فَقُلِ اتَّخَذُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنَ الْقَوَمِ الْأَقْلِيلِ﴾ [المؤمنون: ۲۸] قال الحافظ:

کرت چو نوح نبی صبر هست برغم طوفان بلا بکردد وکام هزار ساله برآید

ثم إن نوحاً عليه السلام دعا بهلاك قومه مأذوناً من الله تعالى فجاء القهر الإلهي إذ لم يؤثر فيهم اللطف الرحماني والمقصود من الدعاء إظهار الضراعة وهو نافع عند الله تعالى.

يحيى بن معاذ رحمه الله: [كفت عبادت قفلست كليدش دعا ودندانة كليد لقمة حلال واز جملة دعاء أو أين بودي بار خدايا اكر آن نكنى كه خواهم صبر برآنچه توخواهي] وفي الآية إشارة إلى أن المؤمن ينبغي له أن يطلب منزلاً مباركاً يبارك له فيه حيث دينه ودنياه:

سعد يا حب وطن كرچه يشست صحيح نتوان مرد بسختي كه من ايجا زادم
ولو تفكرت في أحوال الأنبياء وكمل الأولياء لوجدت أكثرهم مهاجرين إذ لا يمن في الإقامة بين قوم ظالمين.

يقول الفقير: أحمد الله تعالى على نعمه المتوافرة لا سيما على المهاجرة التي وقعت مراراً وعلى المنزل وهي بلدة بروسه حيث جاء الفال بلدة طيبة ورب غفور وعلى الإنجاء من القوم الظالمين حيث أن كل من عاداني ورد موعظتي هلك مع الهالكين فجاءت عاقبة الابتلاء نجاة والقهر لطفًا والجلال جمالاً.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [٦٦] فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلقاءِ الْآخِرَةِ وَآتَرْتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾.

﴿ثم أنشأنا من بعدهم﴾ أي: أوجدنا وأحدثنا من بعد إهلاك قوم نوح ﴿قرناً آخرين﴾ هم عاد لقوله تعالى حكاية عن هود. ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: ٦٩] والقرن القوم المقترنون من زمن واحد أي أهل زمان واحد.

﴿فأرسلنا فيهم﴾ [پس فرستاديم درميان ایشان] ﴿رسولاً منهم﴾ أي: من جملتهم نسباً وهو هود لا هود وصالح على أن يكون المراد بالقرن عاداً وشمود لأن الرسول بمعنى المرسل لا بد وأن يشي ويجمع بحسب المقام كقوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧] وجعل القرن موضعاً للارسال كما في قوله: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ﴾ [الرعد: ٣٠] ونحوه لا غاية له كما في مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [العنكبوت: ١٤] للإيذان من أول الأمر بأن من أرسل إليهم لم يأتهم من غير مكانهم بل إنما نشأ فيما بين أظهرهم ﴿أن اعبدوا الله﴾ أن مفسرة لأرسلنا لما في الإرسال من معنى القول أي قلنا لهم على لسان الرسول أن اعبدوا الله تعالى وحده لأنه ﴿ما لكم من إله غيره﴾ مر إعرابه ﴿أفلا تتقون﴾.

قال في «بحر العلوم»: أتشركون بالله فلا تخافون عذابه على الاشراك انتهى فالشرك وعدم الالتقاء كلاهما منكران.

﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا﴾. قال الراغب: الملأ الجماعة يجتمعون على رأي فيملؤون العيون روعاء والنفوس دلالة وبهاء أي أشراف قومه الكافرين وصفوا بالكفر ذماً لهم وذكره بالواو دون الفاء كما في قصة نوح لأن كلامهم لم يتصل بكلام الرسول ومعناه أنه اجتمع في الحصول ذلك القول الحق وهذا القول الباطل وشتان ما بينهما.

قال في «برهان القرآن»: قدم من قومه في هذه الآية وآخر فيما قبلها لأن صلة الذين فيما قبل اقتضت على فعل وضمير الفاعلين ثم ذكر بعده الجار والمجرور ثم الفاعل ثم المفعول

وهو المقول وليس كذلك هذه فإن صلة الموصول طالت بذكر الفاعل والمفعول والعطف عليه مرة أخرى فقدم الجار والمجرور لأن تأخير ملبس وتوسطه ركيك فخص بالتقديم. ﴿وكذبوا بقاء الآخرة﴾ أي: بالمصير إلى الآخرة بالبعث والحشر أو بقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب ﴿وأترفناهم﴾ أي: نعمناهم ووسعنا عليهم. وبالفارسية: [ونعمت دادة بودم ايشانرا] يقال: ترف فلان أي توسع في النعمة وأترفه النعمة أطغته. ﴿في الحياة الدنيا﴾ بكثرة الأموال والأولاد أي قالوا لأعقابهم مضلين لهم. ﴿ما هذا﴾ أي: هود ﴿إلا بشر مثلكم﴾ في الصفات والأقوال البشرية ﴿يأكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ أي تشربون منه وهو تقرير للمماثلة. يعني [بغذاء محتاجست مانند شما اكر نبي بودي بايستي كه متصف بصفات ملائكة بودي نخوردي ونياشاميدي].

﴿وَلَيْنَ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ (٢٤) ﴿أَبَعِدْتُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ﴾ (٢٥)

﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم﴾ أي فيما ذكر من الأحوال والصفات أي وبالله إن امتثلتم أوامره ﴿إنكم إذا﴾ أي: على تقدير الإطاعة: وبالفارسية [آنكاه]. ﴿لخاسرون﴾ عقولكم ومغبونون في أرائكم حيث اذلتهم أنفسهم.

وقال الكاشفي: [زيان زد كانيدكه خودرا مأمور ومتبوع مثل خود سازيد] انظر كيف جعلوا أتباع الرسول الحق الذي يوصلهم إلى سعادة الدارين خسراناً دون عبادة الأصنام التي لا خسران وراءها قاتلهم الله وإذن وقع بين اسم إن وخبرها لتأكيد مضمون الشرط والجملة جواب لقسم محذوف.

قال بعض الفضلاء: إذن ظرف حذف منه ما أضيف إليه ونون عوضاً. وفي «العيون»: إذن جواب شرط محذوف أي إنكم إن أطعتموه إذن لخاسرون.

﴿أبعدكم﴾ [ايا وعده ميدهد شمارا اين پيغمبر]. ﴿أنكم إذا متم﴾ بكسر الميم من مات يمات وقرئ بضمها من مات يموت ﴿وكنتم﴾ وصرتم. ﴿تراباً وعظاماً﴾ نخرة مجردة عن اللحوم والأعصاب أي كان بعض أجزائكم من اللحم ونظائره تراباً وبعضها عظاماً وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الأجزاء البادية أو كان متقدموكم تراباً صرفاً ومتأخروكم عظاماً. يقول الفقير: الظاهر أن مرادهم بيان صيرورتهم عظاماً ثم تراباً لأن الواو لمطلق الجمع. ﴿أنكم﴾ تأكيد للأول لطول الفصل بينه وبين خبره الذي هو قوله: ﴿مخرجون﴾ أي من القبور أحياء كما كنتم.

﴿هَيَاتَ هَيَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ (٣٦) ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (٣٧) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٨) ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون﴾ (٣٩) ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَدِيمِينَ﴾ (٤٠).

﴿هيات هيات﴾ اسم فعل وهو بعد وتكريره لتأكيد البعد، أي: بعد الوقوع. ﴿لما توعدون﴾ يعني: [آنچه وعده داده ميشويد ازبعث وجزا هرگز نباشد] أو بعدما توعدون واللام لبيان المستبعد كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل: لماذا هذا الاستبعاد فليل لما توعدون. ﴿إن هي﴾ إن بمعنى ما، أي ما الحياة ﴿إلا حياتنا الدنيا﴾ الدانية الفانية ﴿نموت ونحيا﴾

مفسرة للجملة المتقدمة أي يموت بعضنا ويولد بعض إلى انقراض العصر أو يصيبنا الأمران الموت والحياة يعنون الحياة المتقدمة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة. ﴿وما نحن بمبعوثين﴾ بمنشرين بعد الموت كما تزعم يا هود انظر كيف عميت قلوبهم حتى لم يروا أن الإعادة أهون من الابتداء وأن الذي هو قادر على إيجاد شيء من العدم وإعدامه من الوجود يكون قادراً على إعادته ثانياً. ﴿إن هو﴾ أي: ما هود ﴿إلا رجل افترى على الله كذباً﴾ أي: اخترع الكذب على الله فيما يدعيه من الإرسال والبعث.

قال الراغب: الفري قطع الجلد للخز والإصلاح والإفراء للإفساد والافتراء فيهما وفي الإفساد أكثر ولذلك استعمل في القرآن في الكذب والشرك والظلم ﴿وما نحن له بمؤمنين﴾ بمصدقين فيما يقول.

﴿قال﴾ هود بعد ما يش من إيمانهم ﴿رب انصرنني﴾ عليهم وانتقم لي منهم: وبالفارسية [أي پروردگار من یاری کن مرا بغالبیت وایشانرا مغلوب کردان] ﴿بما كذبون﴾ أي بسبب تكذيبهم إياي وإصرارهم عليه. ﴿قال﴾ تعالى إجابة لدعائه وعدة بالقبول ﴿عما قليل﴾ أي عن زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتأكيد معنى القلة ﴿ليصبحن﴾ أي ليصيرن أي الكفار المكذبون. ﴿نادمين﴾ على الكفر والتكذيب وذلك عند معاينتهم العذاب. والندامة بالفارسية: [پشیمانی].

﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿فأخذتهم الصيحة﴾ صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا والصيحة رفع الصوت.

فإن قلت: هذا يدل على أن المراد بالقرن المذكور في صدر القصة ثمود قوم صالح فإن عاداً أهلكوا بالريح العقيم.

قلت: لعلمهم حين أصابتهم الريح العقيم أصيبوا في تضاعفها بصيحة هائلة أيضاً كما كان عذاب قوم لوط بالقلب والصيحة كما مر وقد روي أن شداد بن عاد حين أتم بناء إرم سار إليها بأهله فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل: الصيحة نفس العذاب والموت.

وفي «الجلالين»: فأخذتهم صيحة العذاب ﴿بالحق﴾ متعلق بالأخذ أي بالوجه الثابت الذي لا دافع له.

وفي «الجلالين»: بالأمر من الله. ﴿فجعلناهم﴾ فصيرناهم ﴿غثاء﴾ أي كغثاء السيل لا ينتفع به وهو ما يحمله السيل على وجهه من الزبد والورق والعيدان كقولك: سال به الوادي لمن هلك.

قال الكاشفي: [غثاء: چون خاشاك آب آورده يعني هلاك كرديم و نابود ساختيم چون خس و خاشاك كه سيل آنرا بأطراف افكند و سياه كهنه كردد]. ﴿فبعداً للقوم الظالمين﴾ يحتمل الإخبار والدعاء.

قال الكاشفي: [پس دوری باد از رحمت خدای مكرهه ستمكارانرا] وبعداً مصدر بعد إذا

هلك وهو من المصادر التي لا يكاد يستعمل ناصبها، والمعنى بعدوا بعداً أي هلكوا واللام لبيان من قيل له بعداً. وفي الآية إشارة إلى أن أهل الدنيا حين بغوا في الأرض وطغوا على الرسل.

چومنعم كند سفله را روزگار نهد بر دل تنك درویش بار
چو بام بندش بود خود پرست كند بول وخاشاك بربام پست
وقالوا لرسلمهم ما قالوا لا يعلمون أن الرسل وأهل الله وإن كانوا يأكلون مما يأكل أهل الدنيا ولكن لا يأكلون كما يأكل هؤلاء فإنهم يأكلون بالإسراف وأهل الله يأكلون ولا يسرفون كما قال النبي عليه السلام: «المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء».

لا جرم كافر خورد در هفت بطن دين ودل باريك ولا غرزفت بطن
بل أهل الله يأكلون ويشربون بأفواه القلوب مما يطعمهم ربهم ويسقيهم حيث يبيتون عند ربهم. قال حضرة الشيخ الشهير بأفتاده أفندي قدس سره: كان عليه السلام يبيت عند ربه فيطعمه ويسقيه من تجلياته المتنوعة وإنما أكله في الظاهر لأجل أمته الضعيفة وإلا فلا احتياج له إلى الأكل والشرب وما روي من أنه كان يشد الحجر فهو ليس من الجوع بل من كمال لطافته لئلا يصعد إلى الملكوت بل يستقر في الملك للإرشاد وقد وصف الله الكفار بشر الصفات وهي الكفر بالخالق وبيوم القيامة والانغماس في حب الدنيا ثم سجل عليهم بالظلم وأشار إلى أن هلاكهم إنما كان بسبب ظلمهم.

نماند ستمكار بدروزكار بماند برو لعنت پايدار
فالظلم من شيم أهل الشقاوة والبعد وأنهم كالغثاء في عدم المبالاة بهم كما قال: «هؤلاء في النار ولا أبالي».

﴿ثم أنشأنا﴾ خلقنا ﴿من بعدهم﴾ أي بعد هلاك القرون المذكورة وهم عاد على الأشهر. ﴿قروناً آخرين﴾ هم قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم عليهم السلام إظهاراً للقدرة وليعلم كل أمة استغنا عنهم وأنهم إن قبلوا دعوة الأنبياء وتابعوا الرسل تعود فائدة استسلامهم وانقيادهم وقيامهم بالطاعات إليهم.

﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾ من مزيدة للاستغراق أي ما تتقدم أمة من الأمم المهلكة الوقت الذي عين لهلاكهم. ﴿وما يستأخرون﴾ ذلك الأجل بساعة وطرفة عين بل تموت وتهلك عندما حد لها من الزمان.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رُسُلُهُمْ كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بِعَصَابٍ مَقْشُورَةٍ وَأَعْيَيْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعَدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٤٤ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ٤٥ ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ ٤٦ ﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ﴾ ٤٧ ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ ٤٨

﴿ثم أرسلنا رسلنا﴾ عطف على أنشأنا لكن لا على معنى أن إرسالهم متأخر ومتراخ عن إنشاء القرون المذكورة جميعاً بل على معنى أن إرسال كل رسول متأخر عن إنشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كأنه قيل: ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين قد أرسلنا إلى كل قرن منهم رسولاً خاصاً به. ﴿تتري﴾ مصدر من المواترة وهي التعاقب في موضع الحال أي

متواترين واحداً بعد واحد. وبالفارسية: [بي دربی یعنی یکی در عقب دیگری]. قال في «الإرشاد»: وغيره من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو والألف للتأنيث لأن الرسل جماعة ﴿كلما جاء أمة رسولها﴾ المخصوص أي جاء بالبينات وللتبليغ ﴿كذبوه﴾ نسبوا إليه الكذب يعني أكثرهم بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: ٧١] كما في «بحر العلوم».

قال الكاشفي: [تكذيب كردند اورا وأنچه گفت از توحيد ونبوت وبعث وحشر دروغ پنداشتند وبتقليد پدران ولزوم عادات ناپسندیده ازدولت تصديق محروم ماندند] ﴿فأتبعنا بعضهم﴾ أي بعض القرون ﴿بعضاً﴾ في الإهلاك أي أهلكنا بعضهم في أثر بعض حسبما تبع بعضهم بعضاً في مباشرة الأسباب التي هي الكفر والتكذيب وسائر المعاصي.

قال الكاشفي: [يعني هیچ کدام را مهلت ندادیم وآخرین را چون اولین معاقب کردانیم] ﴿وجعلناهم﴾ بعد إهلاكهم ﴿أحاديث﴾ لمن بعدهم، أي لم يبق عين ولا أثر إلا حكايات يسمر بها ويتعجب منها ويعتبر بها المعتبرون من أهل السعادة وهو اسم جمع للحديث أو جمع أحداثه وهي ما يتحدث به تلهياً وتعجباً وهو المراد ههنا كأعاجيب جمع أعجوبة وهي ما يتعجب منها.

قال الكاشفي: [وساختیم آتراسخنان یعنی عقوبت خلق کردانیدیم که دائم عذاب ایشانرا یاد کنند وبدان مثل زنده خلاصه سخن آنکه از ایشان غیر حکایتی باقی نماند که مردم افسانه وار میگویند واکر سخن نیکوی ایشان بماندی به بودی بزرگی گفته است].

تفنى وتبقى عنك أحداثه فاجهد بأن تحسن أحداثتك
[و در ترجمه آن فرموده اند].

پس از تو این همه افسانهها که می خوانند دران بکوش که نیکو بماند افسانه يقول الفقير: في البيت العربي دلالة على أن الأحداث تقال على الخير والشر وهو خلاف، ما قال الأخفش من أنه لا يقال في الخير: جعلتهم أحداث وأحداث وإنما يقال: جعلت فلاناً حديثاً انتهى.

ويمكن أن يقال في البيت الأحداث الثانية وقعت بطريق المشاكلة ﴿فبعداً لقوم لا يؤمنون﴾ [پس دوری باد از رحمت حق مر کروهي راکه نمی کروند بأنبياء وتصديق ایشان نمی کنند] وفي أكثر التفاسير بعدوا بعداً أي هلكوا واللام لبيان من قيل له: بعداً وخصهم بالنكرة لأن القرون المذكورة منكراً بخلاف ما تقدم من قوله: فبعداً للقوم الظالمين حيث عرف بالألف واللام لأنه في حق قوم معينين كما سبق.

وفي الآية دلالة على أن عدم الإيمان سبب للهلاك والعذاب في النيران كما أن التصديق مدار للنجاة والتنعيم في الجنان.

قال يعقوب عليه السلام للبشير: على أي دين تركت يوسف؟ قال: على الإسلام قال: الآن تمت النعمة على يعقوب وعلى آل يعقوب إذ لا نعمة فوق الإسلام وحيث لا يوجد فجميع النعم عدم وحيث يوجد فجميع النقم عدم.

وسأل رجل علياً رضي الله عنه هل رأيت ربك؟ فقال: أفأعبد ما لا أرى فقال: كيف تراه قال: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلب بحقائق الإيمان.

وعنه: من عرف ربه جل ومن عرف نفسه ذل، يعني: عرفان الرب يعطي جلاله في المعنى وعرفان النفس يعطي ذلة في الصورة فالكفار وسائر أهل الظلم عدوا أنفسهم أعزة فذلوا صورة ومعنى حيث بعدوا من الله تعالى في الباطن وهلكوا مع الهالكين في الظاهر والمؤمنون وسائر العدول عدوا أنفسهم أذلة فعزوا صورة ومعنى حيث تقربوا إلى الله تعالى في الباطن ونجوا من الهلاك في الظاهر فجميع التنزل إنما يأتي من جهة الجهل بالرب والنفس.

رونق كار خسان كاسد شود همچو میوه تازه زوفاسد شود
فعلى العاقل الانقياد لأهل الحق فإن جمع الفيض إنما يحصل من مشرب الانقياد وبالاتقياد يحصل العرفان التام وشهود رب العباد.

كى رسانند آن امانت را بتو تانباشى پيششان راكع دوتو
اللهم اعصمنا من العناد أثبتنا على الانقياد.

﴿ثم أرسلنا موسى وآخاه هارون بآياتنا﴾ هي الآيات التسع من اليد والعصا والظوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون ولا مساغ لعد فلق البحر منها؛ إذ المراد الآيات التي كذبوها. ﴿وسلطان مبین﴾ حجة واضحة ملزمة للخصم وهي العصا وخصصها لفضلها على سائر الآيات أو نفس الآيات عبر عنها بذلك على طريق العطف تنبيهاً على جمعها لعنوانين جليلين وتنزيلاً لتغايرها منزلة التغاير الذاتي. ﴿إلى فرعون وملئه﴾ أي: أشراف قومه من القبط خصوا بالذكر لأن إرسال بني إسرائيل منوط بأرائهم لا بآراء أعقابهم. ﴿فاستكبروا﴾ عن الإيمان والمتابعة وعظم الكبر أن يتهاون العبيد بآيات ربهم وبرسالته بعد وضوحها وانقضاء الشك عنها ويتعظموا عن امثالها وتقبلها. ﴿وكانوا قوماً عالين﴾ متكبرين مجاوزين للحد في الكبر والطغيان أي كانوا قوماً عادتهم الاستكبار والتمرد ﴿فقالوا﴾ عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار أي قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة ﴿أنؤمن﴾ الهمزة للإنكار بمعنى لا نؤمن وما ينبغي أن يصدر منا الإيمان. ﴿لبشرين مثلنا﴾ وصف بالمثل الاثنان لأنه في حكم المصدر العام للإفراد والتثنية والجمع المذكر والمؤنث. ﴿وقومهم﴾ يعنون بني إسرائيل ﴿لنا﴾ متعلقة بقوله: ﴿عابدون﴾ والجملة حال من فاعل نؤمن، أي: خادمون منقادون لنا كالعبيد وكأنهم قصدوا بذلك التعرض لشأنهما وحط رتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه آخر غير البشر.

قال الكاشفي: [در بعضی تفاسیر آورده اند كه بني إسرائيل فرعون رامي پرستيدند نعوذ بالله واوبت مي پرستيد ياكوساله] أي فتكون طاعتهم لهم عبادة على الحقيقة.

﴿فكذبوهم﴾ أي فاصروا على تكذيب موسى وهارون حتى يشا من تصديقهم ﴿فكانوا﴾ فصاروا ﴿من المهلكين﴾ بالغرق في بحر القلزم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ وَحَمَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأَتَيْنَاهُ آيَةً وَءَاوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَعَيْنٍ ﴿٥٠﴾ يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾.

﴿ولقد آتينا موسى﴾ أي: بعد إهلاكهم وإنجاء بني إسرائيل من أيديهم ﴿الكتاب﴾ التوراة ﴿لعلهم﴾ لعل بني إسرائيل ﴿يهتدون﴾ إلى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع والأحكام.

﴿وجعلنا ابن مريم﴾ أي: عيسى ﴿وأمه آية﴾ دالة على عظم قدرتنا بولادته منها من غير ميسس بشر فالآية أمر واحد مضاف إليهما أو جعلنا ابن مريم آية بأن تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وأمه آية بأنها ولدته من غير ميسس فحذف الأولى لدلالة الثانية عليها.

قال في «العيون»: آية أي عبرة لبني إسرائيل بعد موسى لأن عيسى تكلم في المهد وأحيا الموتى ومريم ولدته من غير ميسس وهما آيتان قطعاً فيكون هذا من قبيل الاكتفاء بذكر إحداهما انتهى.

وتقديمه عليه السلام لأصالته فيما ذكر من كونه آية كما أن تقديم أمه في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١] لأصالتها فيما نسب إليها من الإحصان والنفع - وروي - أن رسول الله عليه السلام صلى الصبح بمكة فقرأ سورة المؤمنین فلما أتى على ذكر عيسى وأمه أخذته شرقة فركع أي شرق بدمعه فعي بالقراءة ﴿وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رُبُوعٍ﴾ [وجاي دادیم مادر وپسر را وقتی که از یهود فرار کردند و باز آوردیم بسوی ربوة از زمین بیت المقدس] أي أنزلناهما إلى مكان مرتفع من الأرض وجعلناه مأواهما ومنزلهما وهي إيليا أرض بيت المقدس فإنها مرتفعة وإنها كبد الأرض وأقربها إلى السماء بثمانية عشر ميلاً على ما يروى عن كعب. وقال الإمام السهيلي: أوت مريم بعيسى طفلاً إلى قرية من دمشق يقال لها ناصرة وبناصره تسمى النصارى واشتق اسمهم منها.

قال الكاشفي: [آوردانده مريم باپسر وپسر عم خود يوسف بن ماتان دوازده سال دران موضع بسر بردند و طعام عيسى از بهاي ريسمان بود که که مادرش مي رشت و می فروخت]. يقول الفقير فيه إشارة إلى أن غزل القطن والكتان ونحوهما لكونه من أعمال خيار النساء، أحب من غزل القز ونحوه على ما أكب عليه أهل بروسه والديار التي يحصل فيها دود القز مع أن القز من زين أهل الدنيا وبه غالباً شهرة أربابها وافتخارهم. ﴿ذات قرار﴾ [خداوند قرار يعني مقري منسبط وسهل که برو آرام توان گرفت] وقيل: ذات ثمار وزروع فإن ساكنيها يستقرون فيها لأجلها.

قال الراغب قز في المكان يقر قراراً إذا ثبت ثبوتاً خامداً وأصله من القر وهو البرد لأجل أن البرد يقتضي السكون والحر يقتضي الحركة ﴿ومعين﴾ وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء إذا جرى وقيل: من العين والميم زائدة ويسمى الماء الجاري معيناً لظهوره وكونه مدركاً بالعيون وصف ماء تلك الربوة بذلك للإيذان بكونه جامعاً لفنون المنافع من الشرب وسقي ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره الحسن المعجب ولولا أن يكون الماء الجاري لكان السرور الأوفر فائتاً وطيب المكان مفقوداً ولأمر ما جاء الله بذكر الجنات مشفوعاً بذكر الماء الجاري من تحتها مسوقين على قران واحد ومن أحاديث «المقاصد الحسنة»: «ثلاث يجلون البصر النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري وإلى الوجه الحسن» أي مما يحل النظر إليه فإن النظر إلى الأمرد الصبيح ممنوع. قال الشيخ سعدی في حق من يديم النظر إلى النقاش عند نظر إلى النقش.

چرا طفل یکروزه هوشش نبرد که در صنع دیدن چه بالغ چه خرد
محقق همی بیند اندر ابل که در خوب رویان چین وچکل
وهما علماں بلدین من بلاد الترك یکنر فیہما المحایب.

وفي «التأويلات النجمية»: قوله: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ يشير به إلى عيسى الروح الذي تولد من أمركن بلا أب من عالم الأسباب وهو أعظم آية من آيات الله المخلوقة التي تدل على ذات الله ومعرفته لأنه خليفة الله وروح منه. ﴿وأويناهما إلى ربوة﴾ أي: ربوة القلب فإنه مأوى الروح ومأوى الأمر بالأوامر والنواهي. ﴿ذات قرار ومعين﴾ هو منزلهما ودار قرارهما يعني ما دام القلب يكون مأوى الروح ومقره، يكون مأوى الأمر ومقره بأن لا تسقط عنه التكاليف وأما المعين فهو عين الحكمة الجارية من القلب على اللسان انتهى.

اللهم يا معين اجعلنا من أهل المعين.

﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ خطاب لجميع الرسل لا على أنهم خوطبوا بذلك دفعة لأنهم أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة بل على معنى أن كل رسول منهم خوطب به في زمانه ونودي ووصى ليعلم السامع أن إباحة الطيبات للرسل شرع قديم وأن أمراً نودي له جميع الأنبياء ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه أي وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحاً فعبّر عن تلك الأوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية إجمالاً للإيجاز.

وقال بعضهم إنه خطاب لرسول الله وحده على دأب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجمع للتعظيم وفيه إبانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم.

وقد جمع الرحمن فيك لمعاجزا

أنكه خويبان همه دارند توتنها داري

والطيبات ما يستطاب ويستلذ من مباحات المأكّل والفواكه. ﴿واعملوا صالحاً﴾ أي عملاً صالحاً فإنه المقصود منكم والنافع عند ربكم وهذا الأمر للوجوب بخلاف الأول وفيه رد وهدم لما قال بعض المبيحين من أن العبد إذا بلغ غاية المحبة وصفا قلبه واختار الإيمان على الكفر من غير نفاق سقط عنه الأعمال الصالحة من العبادات الظاهرة وتكون عبادته التفكير، وهذا كفر وضلال فإن أكمل الناس في المحبة والإيمان هم الرسل خصوصاً حبيب الله مع أن التكاليف بالأعمال الصالحة والعبادات في حقهم أتم وأكمل. ﴿إني بما تعملون﴾ من الأعمال الظاهرة والباطنة ﴿عليم﴾ فأجازيكم عليه.

وفي الآية دلالة على بطلان ما عليه الرهبانة من رفض الطيبات يعني على تقدير اعتقادهم بأن ليس في دينهم أكل الطيبات.

واعلم أن تأخير ذكر العمل الصالح يدل على أن تكون نتيجته أكل الحلال. وفي «المثنوي».

علم وحكمت زايد ازلقمه حلال	عشق ورقّت آيد ازلقمه حلال
چون زلقمه توحسد بيني ودام	جهل وغفلت زايد آنرا دان حرام
هيچ كندم كاري وجو بردهد	ديده اسبي كه كره خر دهد
لقمه تخمست وبرش انديشها	لقمه بحر وكوهرش انديشها
زايد ازلقمه حلال اندر دهان	ميل خدمت عزم رفتن آن جهان

قال الراغب: أصل الطيب ما تستلذه الحواس والنفوس والطعام الطيب في الشرع ما كان متناولاً من حيث ما يجوز وبقدر ما يجوز من المكان الذي يجوز فإنه متى كان كذلك كان طيباً

عاجلاً وأجلاً لا يستوخم وإلا فإنه وإن كان طيباً عاجلاً لم يطب أجلاً، وفي الحديث: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً»: قال صاحب «روضة الأخبار».

فرموده لقمه كه دراصل نباشد حلال زونقتد مرد مكر درضلال

قطرة باران توچون صاف نیست كوهر دريای توشفاف نیست

وكان عيسى عليه السلام يأكل من غزل أمه وكان رزق نبينا عليه السلام من الغنائم وهو أطيب الطيبات روي: عن أخت شداد أنها بعثت إلى رسول الله بقدر من لبن في شدة الحر عند حظره وهو صائم فرده إليها وقال: من أين لك هذا فقالت: من شاة لي ثم رده وقال من أين هذه الشاة فقالت اشتريتها بمالي فأخذه ثم إنها جاءت وقالت يا رسول الله لم رددته فقال: بذلك أمرت الرسل أن لا يأكلوا إلا طيباً ولا يعملوا إلا صالحاً.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: إذا كان ظاهر الإنسان الصلاح والستر فلا حرج عليك في قبول صلاته وصدقته ولا يلزمك البحث بأن تقول قد فسد الزمان فإن هذا سوء ظن بذلك الرجل المسلم بل حسن الظن بالمسلمين مأمور به.

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: لأن أصوم النهار وأفطر الليل على لقمة حلال أحب إلى من قيام الليل وصوم النهار وحرام على شمس التوحيد أن تحل قلب عبد في جوفه لقمة حرام ثم إن أكل الطيبات وإن رخص فيه لكنه قد يترك قطعاً للطبيعة عن الشهوات.

قال أبو الفرج بن الجوزي ذكر القلب في المباحات يحدث له ظلمة فكيف تدبير الحرام إذا غير المسك الماء منع الوضوء به فكيف ولوغ الكلب ولذا قال بعض الكبار من اعتاد بالمباحات حرم لذة المناجاة اللهم اجعلنا من أهل التوجه والمناجاة.

﴿وإن هذه﴾ أي: ملة الإسلام والتوحيد وأشير إليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور أمرها في الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة ﴿أمتكم﴾ أي: ملتكم وشريعتكم أيها الرسل.

قال القرطبي الأمة هنا الدين ومنه إنا وجدنا آباءنا على أمة أي على دين مجتمع. ﴿أمة واحدة﴾ حال من هذه أي ملة وشريعة متحدة في أصول الشرائع التي لا تتبدل بتبدل الأعصار وأما الاختلاف في الفروع فلا يسمى اختلافاً في الدين فالحائض والطاهر من النساء دينهما واحد وإن اختلفت تكليفهما.

وقيل: هذه إشارة إلى الأمم المؤمنة للرسل والمعنى أن هذه جماعتكم واحدة متفقة على الإيمان والتوحيد في العبادة ولا يلائمه قوله تعالى: ﴿وأنا ربكم﴾ من غير أن يكون لي شريك في الربوبية ﴿فاتقون﴾ أي: في شق العصا ومخالفة الكلمة والضمير للرسل والأمم جميعاً على أن الأمر في حق الرسل للتهيج والإلهاب وفي حق الأمم للتحذير والإيجاب.

وفي «التفسير الكبير»: فيه تنبيه على أن دين الجميع واحد فيما يتصل بمعرفة الله تعالى واتباع معاصيه.

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ٥٢ ﴿فَذَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ٥٣ ﴿أَيَحْسَبُونَ

أَنَّمَا يُدْهِمُهُمْ مِنْ مَالٍ وَنِسَاءٍ﴾ ٥٤ ﴿سَاءَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلَّ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٥٥ ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ

مُتَشَفِّقُونَ﴾ ٥٦ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَأْتِيَتْ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ٥٧ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ ٥٨

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي جعلوا أمر دينهم مع اتحاده قطعاً متفرقة وأدياناً مختلفة

﴿زبراً﴾ حال من أمرهم، أي قطعاً جمع زبور بمعنى الفرقة. وبالفارسية: [بارها يعني كروه كروه شدتد واختلاف كردند]. ﴿كل حزب﴾ أي جماعة من أولئك المتحزبين ﴿بما لديهم﴾ من الدين الذي اختاروه ﴿فرحون﴾ معجبون معتقدون أنه الحق.

قال بعض الكبار: كيف يفرح العبد بما لديه وليس يعلم ما سبق له في محتوم العلم ولا ينبغي للعارفين أن يفرحوا بما دون الله من العرش إلى الثرى بل العارف الصادق إذا استغرق في بحار المعرفة فهمومه أكثر من فرحه لما يشاهد من القصور في الإدراك.

قال الشيخ سعدي: [عاكفان كعبة جلالش بتقصير عبادت معتر فندكه ما عبدناك حق عبادتك وواصفان حلية جمالش بتحير منسوب كه ما عرفناك حق معرفتك:

كرکسي وصف اوز من پرسد بي دل از بي نشان چه كويد باز
عاشقان كشتكان معشوقند برنيايد زكشتكان آواز
﴿فذرهم في غمرتهم﴾ شبه ما هم فيه من الجهالة بالماء الذي يغمر القامة ويسترها لأنهم مغمورون فيها لا عبون بها.

قال الراغب: أصل الغمر إزالة أثر الشيء ومنه قيل للماء الكثير الذي يزيل أثر مسيله غمر وغامر والغمرة معظم الماء الساترة لمقرها وجعل مثلاً للجهالة التي تغمر صاحبها والخطاب لرسول الله ﷺ أي اتركهم يعني الكفار المتفرقة على حالهم ولا تشغل قلبك بهم وبتفرقهم. ﴿حتى حين﴾ هو حين قتلهم أو موتهم على الكفر أو عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والآخرة وتسليّة لرسول الله ونهى له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيرهم. ﴿أيحسبون أنما نمدهم به﴾ الهمزة لإنكار الواقع واستقباحه وما موصولة، أي أيظن الكفرة أن الذي نعطيههم إياه ونجعل مدداً لهم ﴿من مال وبنين﴾ بيان للموصول وتخصيص البنين لشدة افتخارهم بهم. ﴿نسارع﴾ به ﴿لهم في الخيرات﴾ فيما فيه خيرهم وإكرامهم.

قال الكاشفي: [يعني كمان ميبرندكه إمداد ما ايشانرا بمال وفرزند مسارعتست ازما براى، ايشان درنيكوبي وأعمال ايشانرا استحقاق آن هست كه ما پاداش آن با ايشان نيكوبي كنيم] ﴿بل﴾ [نه چنين است كه مي پندارند بلکه] ﴿لا يشعرون﴾ [نميدانندكه اين امداد استدراجست نه مسارعت در خير] فهو عطف على مقدر أي كلاً لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشيء أصلاً كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا ويعرفوا أن ذلك الإمداد استدراج واستجرار إلى زيادة الإثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات - روي - في الخبر: إن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء أيفرح عبدي أن أبسط له في الدنيا فهو أبعد له مني أيجزع عبدي المؤمن أن أقبض عنه الدنيا وهو أقرب له مني ثم قال أيحسبون أن ما نمدهم الخ.

قال بعض الكبار: إن الله تعالى امتحن الممتحنين بزيينة الدنيا ولذتها وجاهها ومالها وخيراتها فاستلذوها واحتجبوا بها عن مشاهدة الرحمن وظنوا أنهم نالوا جميع الدرجات وأنهم مقبولون حين أعطوا هذه الفانيات ولم يعلموا أنها استدراج لا منهج.

قال عبد العزيز المكي: من تزين بزيينة فانية فتلك الزينة تكون وبالأعلى عليه إلا من تزين بما يبقى من الطاعات والموافقات والمجاهدات، فإن الأنفس فانية والأموال عواري والأولاد فتنة فمن تسارع في جمعها وحظها وتعلق قلبه بها قطع عن الخيرات أجمع وما عبد الله بطاعة أفضل من مخالفة النفس والتقلل من الدنيا وقطع القلب عنها لأن المسارعة في الخيرات هو اجتناب

الشروع وأول الشرور حب الدنيا لأنها مزرعة الشيطان فمن طلبها وعمرها فهو حزيه وعنده وشر من الشيطان من يعين الشيطان على عمارة داره. ومن كلمات سلطان ولد:

بكذار جهان راکه جهان آن تونیست وین دم که همی زنی بفرمان تونیست
کرمال جهان جمع کنی شاد مشو ورتکیه بجان کنی جان آن تونیست
قال الشيخ سعدي قدس سره:

بر مرد هشیار دنیا خسست که هر مدتی جای دیگر کسست
برفتند هرکس درود آنچه کشت نماند بجز نام نیکو وزشت

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ أي من خوف عذابه حذرون والخشية خوف يشوبه تعظيم والإشفاق عناية مختلطة بخوف لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه وقد سبق تحقيقه في سورة الأنبياء وعن الحسن أن المؤمن جمع إحساناً وخشية والكافر جمع إساءة وأمناً.

هرکه ترسد مرورا ایمن کنند

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ الْمُنْصُوبَةِ فِي الْآفَاقِ وَالْمَنْزِلَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.﴾ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون مدلولها ولا يكذبونها بقول وفعل.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يَشْرَكُونَ﴾ غيره شركاً جلياً ولا خفياً ولذلك عبر عن الإيمان بالآيات.

قال الجنيد قدس سره من فتش سره فرأى فيه شيئاً أعظم من ربه أو أجل منه فقد أشرك به أو جعل له مثلاً.

وفي «التأويلات النجمية»: ومن أعظم الشرك ملاحظة الخلق في الرد والقبول، وهي الاستبشار بمدحهم والانكسار بدمهم وأيضاً ملاحظة الأسباب فلا ينبغي أن يتوهم أن حصول الشفاء من شرب الدواء والشيع من أكل الطعام فإذا جاء اليقين بحيث ارتفع التوهم أي توهم أن الشيء من الحدثنان لا من التقدير فحينئذ يتقي أمن الشرك: قال الحامي قدس سره:

جیب خاص است که کنج کهر اخلاص است

نیست ابن در ثمین در بغل هر دغلی

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهُمْ سَعْيُونَ ﴿١١﴾ وَلَا تَكْفُفْ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ ﴿١٣﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾ أي: يعطون ما أعطوه من الزكوات والصدقات وتوسلوا به إلى الله تعالى من الخيرات والمبرات وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار والماضي على التحقق ﴿وقلوبهم وجله﴾ حال من فاعل يؤتون أي والحال أن قلوبهم خائفة أشد الخوف.

قال الراغب: الوجمل استشعار الخوف ﴿أنهم إلى ربهم راجعون﴾ أي: من أن رجوعهم إليه تعالى على أن مناط الوجمل أن لا يقبل منهم ذلك وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا مجرد رجوعهم إليه تعالى والموصولات الأربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر في حيز صلاتها من الأوصاف الأربعة لا عن طوائف كل واحدة منها متصفة بواحد من

الأوصاف المذكورة كأنه قيل: إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبآيات ربهم يؤمنون الخ وإنما كرر الموصول إيذاناً باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها وتنزيلاً لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها.

قال بعض الكبار: وجل العارف من طاعته أكثر من وجله من مخالفته لأن المخالفة تمحى بالتوبة والطاعة تطلب بتصحيحها والإخلاص والصدق فيها فإذا كان فاعل الطاعات خائفاً مضطرباً فكيف لا يخاف غيره قال الشيخ سعدى قدس سره:

دران روزگز فعل پرسند وقول أولو العزم راتن بلرزد زهول

بجایبی که دهشت خورد انبیاء توعذر کنه راجه داری بیا

﴿أولئك﴾ المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم. ﴿يسارعون﴾ [مي شتابند] ﴿في الخيرات﴾ أي: في نيل الخيرات التي من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الأعمال الصالحة كما قال تعالى: ﴿فَقَالَتْ لَهُمْ أَلَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨] ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ أَجْرًا فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٧] لأنهم إذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها فيكون أثبت لهم ما نفى عن الكفار.

قال في «الإرشاد»: إثار كلمة في على كلمة إلى للإيذان بأنهم متقبلون في فنون الخيرات لا أنهم خارجون عنها متوجهون إليها بطريق المسارعة كما في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣] الخ ﴿وهم لها سابقون﴾ أي: إياها سابقون متقدمون واللام لتقوية عمل اسم الفاعل أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا.

قال بعض الكبار: بالمسارعات إلى الخيرات تبتغي درجة السابقين ويطلب مكارم الواصلين لا بالدواعي والإهمال وتضييع الأوقات من أراد الوصول إلى المقامات من غير آداب ورياضات ومجاهدات فقد خاب وخسر وحرّم الوصول إليها.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿أولئك يسارعون في الخيرات﴾ الخ، أي: هم المتوجهون إلى الله المعرضون عما سواه المسارعون بقدم الصدق والسعي الجميل على حسب ما سبقت لهم من الله الحسنى ﴿وهم لها سابقون﴾ على قدر سبق العناية انتهى.

يعني بقدر سبق العناية يسبق العبد على طريق الهداية فلكل سالك حظوة ولذا قال بعض الكبار: جنة النعيم لأصحاب العلوم وجنة الفردوس لأصحاب الفهوم وجنة المأوى لأصحاب التقوى وجنة عدن للقائمين بالوزن وجنة الخلد للمقيمين على الودّ وجنة المقامة لأهل الكرامة وليس في مقدور البشر مراقبة الله تعالى في السر والعلن مع الأنفاس فإن ذلك من خصائص الملأ الأعلى وأما رسول الله ﷺ فكانت له هذه الرتبة لكونه مسرعاً في جميع أحواله فلا يوجد إلا في واجب أو مندوب أو مباح فهذا هو السبق الأعلى والمسارة العليا حيث لا قدم فوقه نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المسارعين إلى الخيرات ومراقبي الأنفاس مع الله في جميع الحالات كما قال ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣].

﴿ولا تكلف نفساً﴾ من النفوس ﴿إلا وسعها﴾ قدر طاقتها فقول لا إله إلا الله والعمل بما يترتب عليه من الأحكام من قبيل ما هو الوسع،

قال مقاتل: من لم يستطع القيام فليصل قاعداً ومن لم يستطع القعود فليومئ إيماء.

قال الحريري: لم يكلف الله العباد معرفته على قدره وإنما كلفهم على أقدارهم ولو

كلفهم على قدره لما عرفوه لأنه لا يعرفه على الحقيقة أحد سواه. قال الجامي:

عمري خرد چو چشمه هاشمشما كشاد تابر کمال کنه إله افکند نکاه

لیکن کشید عاقبتش در دو دیده نیل شکل ألف که حرف نخست است إزاله

﴿ولدينا﴾ عندنا ﴿كتاب﴾ صحائف أعمال قد أثبت فيها أعمال كل أحد على ما هي عليه ﴿ينطق بالحق﴾ بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع، أي يظهر الحق ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهر للسامع فينظر هناك أعمالهم ويترتب عليها أجزيتها إن خيراً فخير وإن شراً فشر. وبالفارسية: [ونزد ما هست نامه أعمال هرکس که سخن کوید براستی وکواهي دهد برکردار هرکس]. ﴿وهم لا يظلمون﴾ في الجزاء بنقص ثواب أو بزيادة عذاب بل يجزون بقدر أعمالهم التي كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق.

﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا﴾ أي بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة أي ساترة لها من هذا الذي بين في القرآن من أن لديه كتاباً ينطق بالحق ويظهر لهم أعمالهم السيئة على رؤوس الأشهاد فيجزون بها. ﴿ولهم أعمال﴾ خبيثة كثيرة ﴿من دون ذلك﴾ الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما سيأتي من طعنهم في القرآن. ﴿هم لها عاملون﴾ معتادون فعلها.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿١٦﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ ﴿١٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تُنْكِرُونَ ﴿١٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمَرًَا تَهْجُرُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم﴾ غاية لأعمالهم المذكورة ومبتدأ لما بعدها من مضمون الشرطية أي لا يزالون يعملون أعمالهم إلى حيث إذا أخذنا متنعميهم ورؤساءهم ﴿بالعذاب﴾ الأخرى إذ هو الذي يفاجئون عنده الجوار فيجابون بالرد والإقنات وأما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جوار فالضمير في قوله: ﴿إذا هم يجأرون﴾ راجع إلى المترفين أي فاجؤوا الصراخ بالاستغاثة أي يرفعون أصواتهم بها ويتضرعون في طلب النجاة فإن أصل الجوار دفع الصوت بالتضرع وجأ الرجل إلى الله تضرع بالدعاء.

قال الراغب: جأ إذا أفرط في الدعاء والتضرع تشبيهاً بجوار الوحشيات كالظباء ونحوها وتخصيص المترفين بأخذ العذاب ومفاجأة الجوار مع عمومهم لغيرهم أيضاً لغاية ظهور انعكاس حالهم وأيضاً إذا كان لقاؤهم هذه الحالة الفظيعة ثابتاً واقعاً فما ظنك بحال الأصاغر والخدم. وقال بعضهم: المراد بالمترفين المعذبين أبو جهل وأصحابه الذين قتلوا بيد والذين هم يجأرون أهل مكة فيكون الضمير راجعاً إلى ما رجع إليه ضمير مترفيهم وهم الكفرة مطلقاً.

﴿لا تجأروا اليوم﴾ على إضمار القول أي فيقال لهم وتخصيص اليوم بالذكر وهو يوم القيامة لتحويله والإيدان بتفويتهم وقت الجوار. ﴿إنكم منا لا تنصرون﴾ أي لا يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم.

﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم﴾ في الدنيا لتنتفعوا بها ﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ الأعقاب جمع عقب وهو مؤخر الرجل ورجع على عقبه إذا انثنى راجعاً والنكوص الرجوع القهقري أي معرضون عن سماعها أشد الإعراض فضلاً عن تصديقها والعمل بها. ﴿مستكبرين به﴾ أي حال كونكم مكذبين بكتابي الذي عبر عنه بآياتي على تضمين

الاستكبار معنى التكذيب ﴿سامراً﴾ حال بعد حال وهو اسم جمع كالحاضر.

قال الراغب: قيل: معناه سماراً فوضع الواحد موضع الجمع وقيل بل السامر الليل المظلم والسمر سواد الليل ومنه قيل: للحديث بالليل سمر وسمر فلان إذا تحدث ليلاً وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل ويسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرًا وشعرًا. ﴿تهجرون﴾ حال أخرى من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان أو الترك أي تهذون في شأن القرآن وتركونه وفيه ذم لمن يسمر في غير طاعة الله تعالى وكان عليه السلام يؤخر العشاء إلى ثلث الليل ويكره النوم قبلها والحديث بعدها.

قال القرطبي: اتفق على كراهية الحديث بعدها لأن الصلوات حد كفرت خطايا الإنسان فينام على سلامة وقد ختم الحفظه صحيفته بالعبادة فإن سمر بعد ذلك فقد لغا وجعل خاتمتها اللغو والباطل.

وكان عمر رضي الله عنه لا يدع سامراً بعد العشاء ويقول: ارجعوا فعل الله يرزقكم صلاة أو تهجداً.

قال الفقيه أبو الليث رحمه الله السمر على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون في مذاكرة العلم فهو أفضل من النوم ويلحق به كل ما فيه خير وصلاح للناس فإنه كان سمر رسول الله ﷺ بعد العشاء في بيت أبي بكر رضي الله عنه ليلاً في الأمر الذي يكون من أمر المسلمين.

والثاني: أن يكون في أساطير الأولين والأحاديث الكذب والسخرية والضحك فهو مكروه.

والثالث: أن يتكلموا للمؤانسة ويجتنبوا الكذب وقول الباطل فلا بأس به والكف عنه أفضل للنهي الوارد فيه وإذا فعلوا ذلك ينبغي أن يكون رجوعهم إلى ذكر الله والتسبيح والاستغفار حتى يكون رجوعهم بالخير وكان عليه السلام إذا أراد القيام عن مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك ثم يقول علمنيهن جبريل.

قال في «روضة الأخبار»: من قال ذلك قبل أن يقوم من مجلسه كفر الله ما كان في مجلسه ذلك كذا في الحديث انتهى.

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لا سمر إلا لمسافر أو لمصل» ومعنى ذلك أن المسافر يحتاج إلى ما يدفع عنه النوم للمشي فأبيح له ذلك وإن لم يكن فيه قرينة وطاعة والمصلي إذا سمر ثم صلى يكون نومه على الصلاة وختم سمره بالطاعة.

فعلى العاقل أن يجتنب عن الفضول وعن كل ما يفضي إلى البعد عن حريم القبول وبقي عمره من تضييع الأوقات في اكتساب ما هو من الآفات. قال الحافظ:

ما قصة سكندر وداراً بخوانده ايم از ما بجز حكايت مهر ووفامپرس
وقال بعضهم:

جزباد دوست هرچه كنم جمله ضايعست جز سر شوق هرچه بكويم بطالتست

﴿أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ

مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَثُرُوا لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ .

﴿أفلم يدبروا القول﴾ الهمة لإنكار الواقع واستقبحه والفاء للعطف على مقدر أي أفعل الكفار ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من إعجاز النظم وصحة المدلول والإخبار عن الغيب أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلاً عما فعلوا في شأنه من القبائح والتدبر إحضار القلب للفهم.

قال الراغب: التدبر التفكير في دبر الأمور ﴿أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ أم منقطعة مقدرة ببل والهمة قيل: للإضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بآخر والهمة لإنكار الواقع أي بل أجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الأولين حتى استبعده فوقعوا في الكفر والضلال يعني أن مجيء الكتب من جهته تعالى إلى الرسل سنة قديمة له تعالى لا يكاد يتسنى إنكارها وأن مجيء القرآن على طريقته فمن أين ينكرونه؟

﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾ إضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بوجه آخر والهمة لإنكار الوقوع أيضاً أي بل ألم يعرفوه عليه السلام بالأمانة والصدق وحسن الأخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من أحد إلى غير ذلك من صفة الأنبياء. ﴿فهم له منكرون﴾ أي: جاهدون بنبوته فحيث انتفى عدم معرفتهم بشأنه عليه السلام ظهر بطلان إنكارهم لأنه مترتب عليه.

﴿أم يقولون به جنة﴾ انتقال إلى توبيخ آخر والهمة لإنكار الواقع أي بل يقولون به جنون. وبالفارسية [ياميكويند درو ديوكيست] مع أنه أرجح الناس عقلاً وأثبهم ذهنياً وأتقنهم رأياً وأوفرهم رزاة. ﴿بل جاءهم بالحق﴾ أي ليس الأمر كما زعموا في حق القرآن والرسول بل جاءهم الرسول بالصدق الثابت الذي لا ميل عنه ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه. قال الكاشفي: [يعني إسلام يا سخن راست كه قرآنست]. ﴿وأكثرهم للحق﴾ من حيث هو حق أي حق كان لا لهذا الحق فقط كما ينبئ عنه الإظهار في موقع الإضمار. ﴿كارهون﴾ لما في جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الأبلج وزاغوا عن الطريق الأنهج وتخصيص أكثرهم بهذا الوصف لا يقتضي إلا عدم كراهة الباقيين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافي كراحتهم لهذا الحق المبين.

يقول الفقير: لعل وجه التخصيص أن أكثر القوم وهم الباقون على الكفر كارهون للحق ولذا أصروا وأقلهم وهم المختارون للإيمان غير كارهين ولذا أقروا فإن الحكمة الإلهية جارية على أن قوم كل نبي أكثرهم معاند كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَلَّ بِلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٧١﴾ [الصفات: ٧١] قال الحافظ:

كوهر پاك ببايدكه شود قابل فيض ورنه هرسنك وكلي لؤلؤ ومرجان نشود
فالأقل وهم المستعدون كالجواهر النفيسة والأزهار الطيبة والأكثر وهم غير المستعدين
كالأحجار الخسيسة والنباتات اليابسة.

واعلم أن الكفار كرهوا الحق المحبوب المرغوب طبعاً وعقلاً ولو تركوا الطبع والعقل

واتبعوا الشرع وأحبوه لكان خيراً لهم في الدنيا والآخرة.

إن قلت هل يعتد في الآخرة بما يفعل الإنسان في الدنيا من الطاعة كرهاً؟.

قلت: لا فإن الله تعالى ينظر إلى السرائر ولا يرضى إلا الإخلاص ولهذا قال عليه

السلام: «إنما الأعمال بالنيات» وقال: «أخلص يكفك القليل من العمل».

عبادت باخلاص نيت نكوست وكرنه چه آید زبی مغز پوست

اكرجز بحق ميرود جاده ات در آتش فشانند سجاده ات

ومن لطائف المولى الجامي:

تهيست سبحة زاهد زكوهر اخلاص هزار بار من آنرا شمرده ام يك يك

ودلت الآية على أن ما هو مكروه عند الإنسان لا يلزم أن يكون مكروهاً عند الرحمن

والله تعالى لا يحمل العباد إلا على نعيم الأبد وقد علم الحق تعالى قلة نهوض العباد إلى

معاملته التي لا مصلحة لهم في الدارين إلا بها فأوجب عليهم وجود طاعته ورتب عليها وجود

ثوابه وعقوبته فساقهم إليها بسلاسل الإيجاب إذ ليس عندهم من المروءة ما يردهم إليه بلا علة

هذا حال أكثر الخلق بخلاف أهل المروءة والصفاء وذوي المحبة والوفا الذين لم يزدتهم التكليف

إلا شرفاً في أفعالهم وزيادة في نوالهم ولو لم يكن وجوب لقاموا للحق بحق العبودية ورعوا ما

يجب أن يراعى من حرمة الربوبية حتى أن منهم من يطلب لدخول الجنة فيأبى ذلك طلباً للقيام

بالخدمة فتوضع في أعناقهم السلاسل من الذهب فيدخلون بها الجنة قيل: ولهذا يشير عليه

السلام بقوله: «عجب ربكم من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل» وفي الحديث إشارة أيضاً إلى

أن بعض الكراهة قد يؤول إلى المحبة ألا ترى إلى أحوال بعض الأسارى فإنهم يدخلون دار

الإسلام كرهاً ثم يهديهم الله تعالى فيؤمنون طوعاً فيساقون إلى الجنة بالسلاسل فالعبرة في كل

شيء للخاتمة.

قال بعضهم: من طالع الثواب والعقاب فأسلم رغبة ورهبة فهو إنما أسلم كرهاً ومن طالع

المثيب والمعاقب لا الثواب والعقاب فأسلم معرفة ومحبة فهو إنما أسلم طوعاً وهو الذي يعتد

به عند أهل الله تعالى.

فعلى العاقل أن يتدبر القرآن فيخلص الإيمان ويصل إلى العرفان والإيقان بل إلى

المشاهدة والعيان والله تعالى أرسل رسوله بالحق فماذا بعد الحق إلا الضلال.

﴿ولو اتبع الحق الذي كرهوه ومن جملته ما جاء به عليه السلام من القرآن ﴿أهواءهم﴾

مشتبهات الكفرة بأن جاء القرآن موافقاً لمراداتهم فجعل موافقته اتباعاً على التوسع والمجاز.

﴿لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ من الملائكة والإنس والجن وخرجت عن الصلاح

والانتظام بالكلية لأن مناط النظام قوام العالم ليس إلا الحق الذي من جملته الإسلام والتوحيد

والعدل ونحو ذلك.

قال بعضهم: لولا أن الله أمر بمخالفة النفوس ومباينتها لاتبع الخلق أهواءهم وشهواتهم

ولو فعلوا ذلك لضلوا عن طريق العبودية وتركوا أوامر الله تعالى وأعرضوا عن طاعته ولزموا

مخالفته والهوى يهوى بمتابعيه إلى الهاوية. ﴿بل أتيناكم بذكرهم﴾ انتقال من تشنيعهم بكراهة

الحق الذي يقوم به العالم إلى تشنيعهم بالأعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه

خيرها والمراد بالذكر القرآن الذي فيه فخرهم وشرفهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى:

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي شرف لك ولقومك والمعنى بل أتيناكم بفخرهم وشرفهم الذي يجب عليهم أن يقبلوا عليه أكمل إقبال.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿بل أتيناكم﴾ بما فيه لهم صلاح في الحال وذكر في المال ﴿فهم﴾ بسوء اختيارهم ﴿عن ذكرهم﴾ عن صلاح حالهم وشرف مآلهم.

وفي «الإرشاد»: أي فخرهم وشرفهم خاصة ﴿معرضون﴾ لا عن غير ذلك مما لا يوجب الإقبال عليه والاعتناء به.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَيْرًا فَخَرَجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ﴾ (٧٦) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَوِّنُ ﴿٧٤﴾

﴿أم تسألهم﴾ انتقل من توبيخهم بما ذكر من قولهم أو يقولون به جنة إلى التوبيخ بوجه آخر كأنه قيل: أم يزعمون أنك تسألهم على أداء الرسالة. ﴿خرجاً﴾ أي: جعلاً وأجر فلاجل ذلك لا يؤمنون بك. ﴿فخرج ربك خير﴾ تعليل لنفي السؤال المستفاد من الإنكار أي لا تسألهم ذلك فإن رزق ربك في الدنيا وثوابه في العقبى خير لك من ذلك لسعته ودوامه ففيه استغناء لك عن عطائهم والخرج بإزاء الدخل يقال لكل ما تخرجه إلى غيرك والخرج غالب في الضريبة على الأرض ففيه إشعار بالكثرة واللزوم فيكون أبلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله إياه.

قال في «تفسير المناسبات»: وكأنه سماه خراجاً إشارة إلى أنه أوجب رزق كل أحد على نفسه بوعده لا خلف فيه ﴿وهو خير الرازقين﴾ أي خير من أعطى عوضاً على عمل لأن ما يعطيه لا ينقطع ولا يتكدر وهو تقدير لخيرية خراجه تعالى.

وفي «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن العلماء بالله الراسخين في العلم لا يندسون وجوه قلوبهم الناضرة بدنس الأطماع الفاسدة والصالحه الدنيوية والأخروية فيما يعاملون الله في دعوة الخلق إلى الله بالله الله.

زيان ميکنند مرد تفسیر دان که علم وهنر میفر وشدبنان

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في «الفتوحات المكية»: مذهبنا أن للواعظ أخذ الأجرة على وعظه الناس وهو من أحل ما يأكله وإن كان ترك ذلك أفضل وإيضاح ذلك أن مقام الدعوة إلى الله يقتضي الإجارة فإنه ما من نبي دعا إلى الله إلا قال: إن أجري إلا على الله فأنبت الأجر على الدعاء ولكن اختار أن يأخذه من الله لا من المخلوق انتهى. ﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾ تشهد العقول السلمية باستقامة لا عوج فيه يوجب اتهامهم لك ﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ وصفوا بذلك تشبيهاً لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم أن لا حياة إلا الحياة الدنيا. ﴿عن الصراط﴾ المستقيم الذي تدعوهم إليه. ﴿لنأكبون﴾ مائلون عادلون عنه فإن الإيمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهي من أقوى الدواعي إلى طلب الحق وسلوك سبيله وليس لهم إيمان وخوف حتى يطلبوا الحق ويسلكوا سبيله ففي الوصف بعدم الإيمان بالآخرة إشعار بعله الحكم أيضاً كالتشيع المذكور.

قال أبو بكر الوراق: من لم يهتم لأمر معاده ومنقلبه وما يظهر عليه في الملاء الأعلى والمسند الأعظم فهو ضال عن طريقته غير متبع لرشده وأحسن منه حالاً من لم يهتم لما جرى له في السابقة.

ثم في الآيات إخبار أن الكفار متعنتون محجوجون من كل وجه في ترك الاتباع والاستماع إلى رسول الله عليه السلام. قال الشيخ سعدى قدس سره.

كسى راكه پندار درسر بود مپندار هرگز كه حق بشنود
زعلمش ملال آيد ازوعظ ننگ شقايق بباران نرويد زسنگ

قيل: لما انصرف هارون الرشيد من الحج أقام بالكوفة أياماً فلما خرج وقف بهلول المجنون على طريقة وناداه بأعلى صوته يا هارون ثلاثاً فقال هارون تعجباً: من الذي يناديني فقيل له: بهلول المجنون فوقف هارون وأمر برفع الستر وكان يكلم الناس وراء الستر فقال له: أتعرفني قال: نعم أعرفك فقال: من أنا، قال: أنت الذي لو ظلم أحد في المشرق وأنت في المغرب سألك الله تعالى عن ذلك يوم القيامة فبكى هارون من تأثير كلامه وقال: كيف ترى حالي قال: أعرضه على كتاب الله ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [المائدة: ٢٣] وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿٢٤﴾ [الانفطار: ١٤-١٣] قال: أين أعمالنا قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] قال: وأين قرابتنا من رسول الله قال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] قال: وأين شفاعة رسول الله ﷺ إيانا قال: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرِضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩] قال هارون: هل لك حاجة قال: نعم أن تغفر لي ذنوبي وتدخلي الجنة قال: ليس هذا بيدي ولكن بلغنا أن عليك ديناً فنقضيه عنك قال: الدين لا يقضى بدين أدّ أموال الناس إليهم قال هارون: أنامر لك برزق يردّ عليك إلى أن تموت قال: نحن عبد الله تعالى أتري يذكرك وينساني فقبل نصحه ومضى إلى طريقه وأشار بهلول في قوله الأخير إلى مضمون قوله تعالى: ﴿فخارج ربك خير﴾ لأن ما ورد من حيث لا يحتسب خير مما ورد من جهة معينة. قال الحافظ قدس سره:

كنج زر كرنبود كنج قناعت باقيست آنكه آن داد بشاهان بكدايان ابن داد
قال الشيخ سعدى قدس سره:

نيرزد عسل جان من زخم نيش قناعت نكوتر بدوشاب خویش
اكر پادشاهت اكر پينه دوز چو خفتند كردد شب هردو روز

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُورُ فِي طَعْنِهِمْ يَعْصُونَ﴾ [٧٥] وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾.

﴿ولو رحمناهم﴾ روي أنه لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة عن أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز وهو شيء يتخذونه من الوبر والدم. قال الكاشفي: [وأهل مكة بحوردين مرده ومردار مبتلاً شددند] جاء أبو سفيان إلى رسول الله في المدينة فقال: أنشدك الله والرحم أي أسألك بالله وبحرمة الرحم والقرابة أأست تزعّم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ فقال بلى: فقال: قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فادع أن يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فأنزل الله هذه الآية ﴿وكشفنا﴾ أزلنا عنهم ﴿ما بهم﴾ [أنجه برايشان واقع است] ﴿من ضر﴾ من سوء الحال يعني القحط والجذب الذي غلب

عليهم وأصابهم ﴿لَلْجَوَابِ﴾ اللجاج التمادي في الخصومة والعناد في تعاطي الفعل المزجور عنه وتمادى تنأهى من المدى وهو الغاية والمعنى لتمادوا ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ الطغيان مجاوزة الحد في الشيء وكل مجاوز حده في العصيان طاغ أي في إفراطهم في الكفر والاستكبار، وعداوة الرسول والمؤمنين يعني لارتدوا إلى ما كانوا عليه ولذهب عنهم هذا التملق وقد كان ذلك.

ستيزندكى كار ديوو ددست ستيزندكى دشمني باخوداست
﴿يَعْمَهُونَ﴾ العمه التردد في الأمر من التحير أي عامهين عن الهدى مترددين في الضلالة لا يدرون أين يتوجهون كمن يضل عن الطريق في الفلاة لا رأي له ولا دراية بالطريق.
قال ابن عطاء الرحمة من الله على الأرواح المشاهدة ورحمته على الأسرار المراقبة ورحمته على القلوب المعرفة ورحمته على الأبدان آثار الجذبة عليها على سبيل السنة.
وقال أبو بكر بن طاهر كشف الضر هو الخلاص من أمانى النفس وطول الأمل وطلب الرياسة والعلو وحب الدنيا وهذا كله مما يضر بالمؤمن.

وقال الواسطي: للعلم طغيان وهو التفاخر به وللمال طغيان وهو البخل وللعمل والعبادة طغيان وهو الرياء والسمعة وللنفس طغيان وهو اتباع شهواتها.
﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ اللام جواب قسم محذوف أي وبالله لقد أخذناهم أي أهل مكة بالعذاب الدنيوي وهو ما أصابهم يوم بدر من القتل والأسر.

وفي «التأويلات النجمية»: أذقناهم مقدمات العذاب دون شدائده تنبيهاً لهم ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع لربهم ومضوا على العتو والاستكبار والاستكانة الخضوع والذلة والتضرع إظهار الضراعة أي الضعف والذلة ووزن استكان استفعل من الكون لأن الخاضع ينتقل من كون إلى كون كما قيل: استحال إذا انتقل من حال إلى حال أو افتعل من السكون أشبعت فتحة عينه وصيغة المضارع في وما يتضرعون لرعاية الفواصل.

وفي «الإرشاد»: هو اعتراض مقرر لمضمون ما قبله: أي وليس من عادتهم التضرع إليه تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا﴾ [تأجون] ﴿فَتَحْنَاهُمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو عذاب الآخرة. ﴿إِذَا هُمْ﴾ [ناكاه إيشان]. ﴿فِيهِ﴾ [دران عذاب] ﴿مَبْلُوسُونَ﴾ متحIRON آيسون من كل خير أي محناهم بكل محنة من القتل والأسر والجوع وغير ذلك فما روي منهم انقياد للحق وتوجه إلى الإسلام وأما ما أظهره أبو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع إليه في شيء وإنما هو نوع قنوع إلى أن يتم غرضه فحاله كما قيل: إذا جاع ضغاً وإذا شبع طغاً وأكثرهم مستمررون على ذلك إلى أن يروا عذاب الآخرة فحينئذ يبلسون كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم: ١٢] وقوله تعالى: ﴿لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥].

قال عكرمة: هو باب من أبواب جهنم عليه من الخزنة أربعمئة ألف سود وجوههم كالحة أنيابهم قد قلعت الرحمة من قلوبهم إذا بلغوه فتحه الله عليهم نسأل الله العافية من ذلك.

قال وهب بن منبه: كان يسرج في بيت المقدس ألف قنديل فكان يخرج من طور سيناء زيت مثل عنق البعير صاف يجري حتى ينصب في القناديل من غير أن تمسه الأيدي وكانت تنحدر نار من السماء بيضاء تسرج بها القناديل وكان القربان والسرج من ابني هارون شبر وشبير فأمر أن لا يسرجا بنار الدنيا فاستعجلا يوماً، فأسرجا بنار الدنيا فوقعت النار فأكلت ابني هارون

فصرخ الصارخ إلى موسى عليه السلام فجاء يدعو ويقول: يا رب إن ابني هارون قد عملت مكانهما مني فأوحى الله إليه يا ابن عمران هكذا افعل بأوليائي إذا عصوني فكيف بأعدائي .
 وخرج على سهل الصعلوكي من مستوقد حمام يهودي في طمر أسود من دخانه فقال:
 ألستم ترون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فقال سهل على البداة إذا صرت إلى عذاب الله كانت هذه جنتك وإذا صرت إلى نعيم الله كانت هذه سجني فتعجبوا من كلامه فعلم منه أن عذاب الآخرة ليس كعذاب الدنيا ومن عرف حقيقة الحال يقع في خوف المآل قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط» قال: «ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار» .
 واعلم أن المجاهدات والرياضات عذاب للنفس والطبيعة لإذابة جوهرهما من حيث الهوى والشهوات وإرجاعهما إلى الفطرة الأصلية لكن لا بد مع ذلك من التضرع والبكاء وتغفير الوجوه بالتراب لأنه بالاعتماد على الكسب يصعب طريق الوصول وبالاقتدار والذلة يفتح باب القبول .

جز خضوع وبندكي واضطرار اندرين حضرت ندادد اعتبار
 وعن أبي يزيد البسطامي قدس سره كابدت العبادة ثلاثين سنة فرأيت قائلاً يقول لي: يا أبا يزيد خزائنه مملوءة من العبادة إن أردت الوصول إليه فعليك بالذلة والاقتدار فعلم منه أن العذاب لا ينقطع إلا بإفراد العبودية لله تعالى والتواضع على وجه ليس فيه شائبة أنانية أصلاً نسأل الله سبحانه أن يكشف عنا ظلمة النفس وينورنا بنور الإنس والقدس إنه المسؤول في كل أمل والمأمول من كل عمل .

﴿وهو الذي أنشأ﴾ خلق ﴿لكم﴾ لمنافعكم ﴿السمع﴾ وهي قوة في الأذن بها تدرك الأصوات والفعل يقال له السمع أيضاً ويعبر تارة بالسمع عن الأذن وبالفارسية . [كوش] .
 ﴿والأبصار﴾ جمع بصر يقال للجراحة النازرة وللقوة فيها . وبالفارسية : [ديده] ﴿والأفئدة﴾ جمع فؤاد : وبالفارسية [دل] .

قال الراغب: هو كالقلب لكن يقال: فؤاد إذا اعتبر فيه معنى النفوذ، أي التوقد يقال: فأدت اللحم شويته ولحم فئيد مشوي وخص هذه الثلاثة بالذكر لأن أكثر المنافع الدينية والدنيوية متعلق بها ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ ما صلة لتأكيد القلة أي شكراً قليلاً تشكرون هذه النعم الجليلة لأن العمدة في الشكر استعمالها فيما خلقت لأجله وأنتم تخلون بها إخلالاً عظيماً .
 وفي «العيون»: لم تشكروه لا قليلاً ولا كثيراً .

يقول الفقير: وهذا لأن القلة ربما تستعمل في العدم وهو موافق لحال الكفار .
 ثم في الآية إشارة إلى معاني ثلاثة .
 إحداها: إظهار إنعامه العظيم وأفضاله الجسيم بهذه النعم الجليلة من السمع والأبصار والأفئدة .

وثانيها: مطالبة العباد بالشكر على هذه النعم .
 وثالثها: الشكاية من العباد إذ الشاكر منهم قليل كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبا: ١٣] وشكر هذه النعم استعمالها في طاعة المنعم وعبوديته فشكر السمع حفظه عن استماع المنهيات وأن لا يسمع إلا الله وبالله وعن الله .
 كذكره قرآن وپندست كوش به بهتان وباطل شنیدن مكوش

وشكر البصر حفظه عن النظر إلى المحرمات وأن ينظر بنظر العبرة لله وبالله وإلى الله .
 دوجشم از پی صنع باری نکوست زعیب برادر فروکیرو دوست
 وشكر القلب تصفيته عن رين الأخلاق الذميمة وقطع تعلقه عن الكونين فلا يشهد غير الله
 ولا يحب إلا الله .

ترابکوه دل کرده اند اما نتدار زردا مانت حق رانکاه دارو ومخسب
 ﴿وهو الذي ذرأكم في الأرض﴾ خلقكم وبثكم فيها بالتناسل يقال: ذرأ الله الخلق أي
 أوجد أشخاصهم ﴿وإليه﴾ تعالى لا إلى غيره ﴿تحشرون﴾ تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم فما
 لكم لا تؤمنون ولا تشكرون .

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ
 الْأَوَّلُونَ ﴿٨٧﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٨﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا
 مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٩﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ ﴿٩٠﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٩١﴾

﴿وهو الذي يحيي ويميت﴾ من غير أن يشاركه في ذلك شيء من الأشياء أي يعطي
 الحياة النطف والتراب والبيض والموتى يوم القيامة ويأخذ الحياة من الأحياء ولم يقلل أحياء
 وأمات كما قال: أنشأكم وذرأكم ولكن جاء على لفظ المضارع ليدل على أن الإحياء والإماتة
 عادته . ﴿وله﴾ خاصة ﴿اختلاف الليل والنهار﴾ أي هو المؤثر في تعاقبهما لا الشمس أو في
 اختلافهما ازدياداً وانتقاصاً ﴿أفلا تعقلون﴾ أي: أتفعلون عن تلك الآيات فلا تعقلون بالنظر
 والتأمل أن الكل منا وأن قدرتنا تعم الممكنات وأن البعث من جملتها . ﴿بل قالوا﴾ عطف على
 مضمير يقتضيه المقام، أي لم يعقلوا بل قالوا أي: كفار مكة . ﴿مثل ما قال الأولون﴾ أي: كما
 قال من قبلهم من الكفار ثم فسر هذا القول المبهم بقوله:

﴿قالوا أنذا متنا﴾ [اياجون بميريم] ﴿وكنا تراباً﴾ [وباشيم خاك] ﴿وعظاماً﴾ [واستخواني
 خاكي كهنة] ﴿أننا لمبعوثون﴾ [أياما برانكيخته شدكان شويم استفهام برسبيل انكاراست يعني
 چون كرديم حشر وبعث چگونه بماراه يابد] استبعدوا ولم يتأملوا أنهم كانوا قبل ذلك أيضاً
 تراباً فخلقوا والعامل في إذا ما دل عليه لمبعوثون وهو نبعث لأن ما بعد أن لا يعمل فيما
 قبلها .

﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا﴾ أي البعث وهو مفعول ثان لوعدنا ﴿من قبل﴾ متعلق
 بالفعل من حيث اسناده إلى آبائهم لا إليهم أي وعد آباؤنا من قبل محمد فلم يروا له حقيقة .
 يعني [مارا ويدران مارا بوعده حشر ونشر تخويف کردهاند وأين وعده راست نشد] ﴿إن هذا﴾
 ما هذا ﴿إلا أساطير الأولين﴾ أكاذيبهم التي سطورها من غير أن يكون لها حقيقة جمع أسطورة
 لأنه يستعمل فيما يتلهى به كالأعاجيب والأضاحيك .

وفيه إشارة إلى أن الناس كلهم أهل تقليد من المتقدمين والمتأخرين إلا من هداه الله بنور
 الإيمان إلى التصديق بالتحقيق فإن المتأخرين ههنا قلدوا آباءهم المتقدمين في تكذيب الأنبياء
 والجحود وإنكار البعث قال الجامي قدس سره:

خواهي بصوت كعبة تحقيق ره بري بي بربي مقلد كم کرده ره مرو

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ من المخلوقات تغليبا للعقلاء على غيرهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ شيئا ما فأخبروني به فإن ذلك كاف في الجواب وفيه من المبالغة في وضوح الأمر في تجهيلهم ما لا يخفى .

﴿سَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ لأن بديهية العقل تضطرهم إلى الاعتراف بأنه تعالى خالقها ﴿قُلْ﴾ عند اعترافهم بذلك تبكيئا لهم . ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي تقولون ذلك فلا تذكرون أن من فطر الأرض وما فيها ابتداء قادر على إعادتها ثانياً فإن البدء ليس بأهون من الإعادة بل الأمر بالعكس في قياس العقول .

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوُتُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدِينُهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُمَيِّتُهُ إِنَّ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَنزَلْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ .

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ترقى في الأمر بالسؤال من الأدنى والأصغر إلى الأعلى والأكبر، فإن السموات والعرش أعظم من الأرض ولا يلزم منه أن يكون من في السموات أجل ممن في الأرض حتى تكون الملائكة أفضل من جنس البشر كما لا يخفى ﴿سَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ باللام نظراً إلى معنى السؤال، فإن قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد يعني إذا قلت من رب هذا فمعناه لمن هذا فالجواب لفلان . ﴿قُلْ﴾ توبيخاً لهم ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي أنعملون ذلك فلا تتقون عذابه بعد العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكاً في الربوبية قدم التذكر على التقوى لأنهم بالتذكر يصلون إلى المعرفة وبعد أن عرفوه علموا أنه يجب عليهم اتقاء مخالفته .

﴿قُلْ مَنْ يَدِينُهُ﴾ اليد في الأصل اسم موضوع للجراحة من المنكب إلى أطراف الأصابع وهو العضو المركب من لحم وعظم وعصب وكل من هذه الثلاثة جسم مخصوص بصفة مخصوصة والله تعالى متعال عن الأجسام وعن مشابقتها فلما تعذرت وجب الحمل على التجوز عن معنى معقول هو القدرة وبه نفس قوله عليه السلام : «أن الله خمر طينة آدم بيده» أي : بقدرته الباهرة فإن العضو المركب منها محال على الله ليس كمثل شيء لأنه يلزم تركبه وتحيزه وذلك أمانة الحدوث المنافي للأزلية والقدم وكذلك الأصابعان في قوله عليه السلام : «إن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» فإن أهل الحق على أن الأصبعين وكذا اليدين في قوله : ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] مجازان عن القدرة فإنه شائع أي خلقت بقدرة كاملة ولم يرد بقدرتين ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مما ذكر ومما يذكر أي ملكه التام فإن الملكوت الملك والتاء للمبالغة .

قال الراغب : الملكوت مختص بملك الله تعالى .

وفي «التأويلات النجمية» : يشير إلى أن لكل شيء ملكوتاً وهو روحه من عالم الملكوت الذي هو قائم به يسبح الله تعالى به كقوله : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] وروح ذلك بيد الله انتهى .

يقول الفقير : وهو الموافق لما قبل الآية فإنه تعالى لما بين أنه يهب كل جسم وجرم بين أن بيده روح ذلك الجسم والجرم . ﴿وهو يجير﴾ أي : يغيث غيره إذا شاء . ﴿ولا يجار عليه﴾

أَي: ولا يَغات أحد عليه أي لا يمنع أحد منه بالنصر عليه وتعديته بعلی لتضمن معنى النصرة. وفي «التأويلات النجمية»: وهو يجير الأشياء من الهلاك بالقيومية ولا يجار عليه أي لا مانع له ممن أراد هلاكه. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فأجيبوني.

﴿سَيَقُولُونَ اللَّهُ أَي: الله ملكوت كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه﴾ ﴿قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ﴾ أَي: فمن أين تخذعون وتصرفون عن الرشيد مع علمكم به ما أنتم عليه من الغي فإن من لا يكون مسحوراً مختلاً عقله لا يكون كذلك والخادع هو الشيطان والهوى.

أَي كه پی نفس وهوی میروی ره اینست خطا میروی
راه روان زان ره دیکر روند پس توبیدین راه چرا میروی
منزل مقصود ازان جانبست پس توازین سو بکجامیروی

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾ من التوحيد والوعد بالبعث. ﴿وإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما قالوا من الشرك وإنكار البعث بين أنهم أصروا على جحودهم وأقاموا على عتوهم ونبوهم بعد أن أزيحت العلل فلات حين عذر وليس المساهلة موجب بقاء وقد انتقم الله منهم فإنه يمهل ولا يمهل. قال سقراط: أهل الدنيا كسطور في صحيفة كلما نشر بعضها طوى بعضها.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة فقد مضى ستة آلاف سنة وليأتين عليها مئون من سنين ليس عليها موحدین يعني عند آخر الزمان فكل من السعيد والشقي لا يبقى على وجه الدهر فيموت ثم يبعث فيجازى وفي «المثنوي»:

خاک را ونطفه را ومضغه را پیش چشم ما همی دارد خدا
کز کجا آوردمت أي بدنیت که ازان آید همی خفريقیت
تو بدان عاشق بدی در دورآن منکر این فضل بودی آن زمان
این کرم چون دفع آن انکارتست که میان خاک میکردي نخست
حجت انکار شد انشار تو از دوا بهتر شد این بیمار تو
خاک را تصویر این کار از کجا نطفه را خصمي وإنکار از کجا
چون دران دم بي دل وبی سربدي فکرت وإنکار را منکر بدی
از جمادی چونکه إنکارت برست هم آزين إنکار حشرت شد درست
پس مثال تو چو آن حلقه زنیست کز درونش خواجه کوید خواجه نیست
حلقه زن زین نیست دریابدکه هست پس زحلقه بر ندارد هیچ دست
پس هم انکارت مبین میکند کز جماداو حشر صد فن میکند
چند صنعت رفت از انکارتا آب وکل إنکار زاد از هل آتی
آب وکل میگفت خود انکارنیست بانک میزد بیخبر کاخبار نیست

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (٩١) عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَى أَنْ تُرِيكَ مَا نَعْدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾

﴿ما اتخذ الله من ولد﴾ كما يقول النصارى والقائلون أن الملائكة بنات الله لأنه لم

يجانس أحداً ولم يمثله حتى يكون من جنسه وشبهه صاحبة فيتوالدا. ﴿وما كان معه من إله﴾ يشاركه في الألوهية كما يقول عبدة الأصنام وغيرهم والآية حجة على من يقول: خالق النور غير خالق الظلمة. ﴿إِذَا﴾ [آن هنكام] وهو يدخل على جواب وجزاء وهو ﴿لذهب كل إله بما خلق﴾ ولم يتقدمه شرط لكن قوله: ﴿وما كان معه من إله﴾ يدل على شرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة لانفرد كل إله بما خلقه واستبد به دون الإله الآخر وامتناز ملكه عن ملك الآخر. وبالفارسية: [ببرد خدای آنراکه آفریده بود ودرآن مستقل و مستبد باشد پس مخلوقات این خدای از مخلوق دیگر و مشاهده میروند که میان هیچ مخلوقات علامت تمیز نیست پس ثابت شد که باو هیچ خدای نیست وحده لا شریک له].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن اتخاذ الولد لا يصح كاتخاذ الشريك والأمران جميعاً داخلان في حد الاستحالة لأن الولد والشريك يوجب المساواة في القدر والصمدية تقدر عن جواز أن يكون له مثل أو جنس ولو تصورنا جوازه إذاً لذهب كل إله بما خلق فكل أمر نيط باثنين فقد انتفى عن النظام وصحة الترتيب.

بروحدثش صحیفة لا ریب حجتست اینک نوشته ازشهد الله بران کواه ﴿ولعلا﴾ لغلب ﴿بعضهم على بعض﴾ كما هو الجاري فيما بين ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء وهو باطل لا يقول به عاقل قط.

قال الكاشفي: [اگر باو خدایی بودی و چنانچه شد مخلوق خود را خدا کردی و ملک آواز ملک این ممتاز شدی هر آینه طرح نزاع و حرب میان ایشان بید آمدی چنانچه از حال ملوک دنیا معلومست و بإجماع و استقرا معلوم شد که این تجارب و تنازع واقع نیست پس اورا شریک نبود]. قال في «الأسئلة المقحمة»: ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ أي لغلب منهما القوى على الضعيف وهو دليل على أنه لو كان إلهان لوقع التمانع بالعلم والقدرة فإنه إذا أراد أحدهما إحياء زيد والآخر إفناؤه استوت قدرتهما بمنع كل واحد منهما فعل صاحبه ومهما ارتفع مراد أحدهما غلب صاحبه بالقدرة ونظيره حبل يتجاذبه اثنان فإذا استويا في القدرة بقيا متجاذبين فإن غلب أحدهما بال جذب لم يبق لفعل الآخر أثر فهو معنى الآية ﴿سبحان الله﴾ نزوه تنزيهاً. وقال الكاشفي: [پاکست خدای تعالی].

وفي «بحر العلوم»: تنزيه أو تعجيب ﴿عما يصفون﴾ أي يصفونه ويضيفونه إليه من الأولاد والشركاء.

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ بالجر على أنه بدل من الجلالة أي عالم السر والعلانية. وبالفارسية: [پوشیده و آشکارا].

وفي «التأويلات النجمية»: عالم الملك والملکوت والأرواح والأجساد انتهى. ثم إن الغيب بالنسبة إلينا لا بالنسبة إليه تعالى فهو عالم به وبالشهادة على سواء وهو دليل آخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم في تفرد تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى: ﴿فتعالى﴾ الله وتنزه ﴿عما يشركون﴾ به مما لا يعلم شيئاً من الغيب ولا يتكامل عليه بالشهادة فإن تفرد بذلك موجب لتعالیه عن أن يكون له شریک.

قال الراغب: شرك الإنسان في الدين ضربان أحدهما الشرك العظيم وهو إثبات شريك لله تعالى يقال: أشرك فلان بالله وذلك أعظم كفر، والثاني الشرك الصغير وهو مراعاة غير الله معه

في بعض الأمور وذلك كالرياء والنفاق، وفي الحديث: «والشرك في هذه الأمة أخفى من ديب النمل على الصفا».

مرايي هرکسي معبود سازد مرايي را ازان کفتند مشرک
قال الشيخ سعدي قدس سره:

منه آب زرجان من بر پشيز که صراف دانا نکيرد بچيز
قال يحيى بن معاذ: إن للتوحيد نوراً وللشرك ناراً وإن نور التوحيد أحرق سيئات الموحدين كما أن نار الشرك أحرقت حسنات المشركين روي: أن قاتلاً قال: يا رسول الله فبم النجاة غداً قال: «أن لا تخادع الله» قال: وكيف نخادع الله؟ قال: «أن لا تعمل بما أمرك الله وتريد به غير وجه الله».

زعمرو أي پسر چشم أجرت مدار چو درخانه زيد باشي بکار
والعمدة في هذا الباب التوحيد فإنه كما يتخلص من الشرك الأكبر الجلي بالتوحيد كذلك يتخلص من الشرك الأصغر به فينبغي أن يشتغل به ويجتهد قدر الاستطاعة لينال على درجات أهل الإيمان والتوحيد من الصديقين ولكن برعاية الشريعة النبوية والاجتناب عن الصفات الذميمة للنفس حتى يتخلق بأخلاق الله نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المنقطعين عما سواه والعاملين بالله لله في الله.

﴿قل رب﴾ [أي پروردگار من] ﴿إما﴾ أصله إن ما وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط كالنون في قوله: ﴿تريني﴾ أي: إن كان لا بد من أن تريني وبالفارسية. [اكر نمايي مرا] ﴿ما يوعدون﴾ أي: المشركون من العذاب الدنيوي المستأصل والوعد يكون في الخير والشر يقال: وعدته بنفع وضر.

﴿رب﴾ يا رب ﴿فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ أي قريناً لهم في العذاب وأخرجني من بين أيديهم سالمأ والمراد بالظلم الشرك وفيه إيذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب أن يستعيذ منه من لا يكاد يمكن أن يحقق به ورد لإنكارهم إياه واستعجالهم به على طريقة الاستهزاء وهذا يدل على أن البلاء ربما يعم أهل الولاء وأن للحق أن يفعل ولو عذب البر لم يكن ذلك منه ظلماً ولا قبيحاً ﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم﴾ من العذاب. ﴿لقدادرون﴾ ولكننا نؤجره لعلنا بأن بعضهم أو بعض أعقابهم سيؤمنون أو لأننا لانعذبهم وأنت فيهم.

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَكْثَرُ عِلْمًا بِمَا يَصِفُونَ﴾ (٩٦) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠).

﴿ادفع بالتي﴾ بالطريقة التي ﴿هي أحسن﴾ أي أحسن طرق الدفع من الحلم والصفح ﴿السيئة﴾ التي تأتيك منهم من الأذى والمكروه وهو مفعول ادفع والسيئة الفعلة القبيحة وهو ضد الحسنه.

قال بعضهم: استعمل معهم ما جعلناك عليه من الأخلاق والشفقة والرحمة فإنك أعظم

خطراً من أن يؤثر فيك ما يظهرونه من أنواع المخالفات.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني مكافأة السيئة جائزة لكن العفو عنها أحسن ويقال ادفع بالوفاء الجفاء ويقال: الأحسن ما أشار إليه القلب بالمعافاة والسيئة ما تدعو إليه النفس للمكافأة.

ويقال: [دفع كن ظلمت خلائق را بنور حقائق يا حظوظ خود را بحقوق خدایي كن تيه حوادث را بقدم سلوك در طريق معرفت.

چو طي كشت تيه حوادث از آنجا بملك قدم ران بيك حمله محمل دران قلزم نور شو غوطه زن فروشوي از خويشتن ظلمت ظل بكی خوان يكي دان يكي كويكي جو سوى الله والله زوراست وباطل ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ بما يصفونك به على خلاف ما أنت عليه كالسحر والشعر والجنون والوصف ذكر الشيء بحليته ونعته قد يكون حقاً وقد يكون باطلاً وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله وإرشاد له إلى تفويض أمره إليه تعالى.

﴿وقل رب﴾ يا رب ﴿أعوذ بك﴾ العوذ الالتجاء إلى الغير والتعلق به. ﴿من همزات الشياطين﴾ أي وسواسهم المغوية على خلاف ما أمرت به من المحاسن التي من حملتها دفع السيئة بالحسنة وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض أي معلم الدواب ونحو الهمز الأز في قوله ﴿تَوَزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣].

قال الراغب: الهمز كالعصر يقال: همزت الشيء في كفي ومنه الهمز في الحروف انتهى شبه حثهم للناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على الإسراع أو الوثب والجمع للمرات أو لتنوع الوسوس أو لتعدد المضاف إليه.

﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ أصله يحضرونني فحذفت إحدى النونين ثم حذفت ياء المتكلم اكتفاء بالكسرة، أي من أن يحضروني ويحوموا حولي في حال من الأحوال صلاة أو تلاوة أو عند الموت أو غير ذلك.

قال الحسن: كان عليه السلام يقول عند استفتاح الصلاة: «لا إله إلا الله ثلاثاً الله أكبر ثلاثاً اللهم إني أعوذ بك من همزات الشياطين من همزها ونفثها ونفخها وأعوذ بك رب أن يحضرون» يعني بالهمز الجنون وبالنفث الشعر وبالنفخ الكبر روي: إنه اشتكى بعضهم أرقاً فقال عليه السلام: «إذا أردت النوم فقل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون» وكلمات الله كتبه المنزل على أنبيائه أو صفات الله كالعزة والقدرة وصفها بالتمام لعرائها عن النقص والانقصام.

قال بعضهم هذا مقام من بقي له التفات إلى غير الله فأما من توغل في بحر التوحيد بحيث لا يرى في الوجود إلا الله لم يستعد إلا بالله ولم يلتجئ إلا إلى الله والنبي عليه السلام لما ترقى عن هذا المقام قال: «أعوذ بك منك» وكان عليه السلام إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث» أي: من ذكور الجن وإنائهم مما اتصف بالخبائث وأجمعت الأمة على عصمة النبي عليه السلام فإن قرينه من الجن قد أسلم أو أنه قد نزع منه مغمز الشيطان فالمراد من الاستعاذة تحذير غيره من شر الشيطان ثم إن الشيطان يوسوس في صدور الناس فيغوي كل أحد من الرجال والنساء ويوقع الأشرار في البدع والأهواء، وفي الحديث:

«صنفان من أهل النار لم أرهما» يعني: في عصره عليه السلام لطهارة ذلك العصر بل حدثاً بعده «قوم معهم سياط» يعني: أحدهما في أيديهم سياط جمع سوط تسمى تلك السياط في ديار العرب بالمقارح جمع مقرعة وهي جلدة طرفها مشدود عرضها كعرض الأصبع الوسطى يضربون بها السارقين عراة قيل: هم الطوافون على أبواب الظلمة كالكلاب يطردون الناس عنها بالضرب والسباب «كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء» يعني ثانيهما: نساء «كاسيات» يعني: في الحقيقة «عاريات» يعني: في المعنى لأنهن يلبسن ثياباً رقاقاً تصف ما تحتها أو معناه عاريات من لباس التقوى وهن اللاتي يلقيهن ملاحفهن من ورائهن فتتكشف صدورهن كنساء زماننا أو معناه كاسيات بنعم الله عاريات عن الشكر يعني أن نعيم الدنيا لا ينفع في الآخرة إذا خلا عن العمل الصالح وهذا غير مختص بالنساء «مميلات» أي قلوب الرجال إلى الفساد بهن أو مميلات أكتافهن وأكفالهن كما تفعل الراقصات أو مميلات مقانعهن عن رؤوسهن لتظهر وجوههن «مائلات» إلى الرجال أو معناه متبخترات في مشيهن «رؤوسهن كأسنمة البخت» يعني: يعظمن رؤوسهن بالخمير والقلنسوة حتى تشبه أسنمة البخت أو معناه ينظرن إلى الرجال برفع رؤوسهن «المائلة» لأن أعلى السنام يميل لكثرة شحمه «لا يدخلن ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا» أي: من مسيرة أربعين عاماً.

﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت﴾ حتى التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الاسمية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون أي يستمرون على سوء الذكر حتى إذا جاء أحدهم كافراً، أي أحد كان الموت الذي لا مرد له وظهرت له أحوال الآخرة ﴿قال﴾ تحسراً على ما فرط فيه من الإيمان والعمل. ﴿رب﴾ يا رب ﴿ارجعون﴾ ردني إلى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب لأن العرب تخاطب الواحد الجليل الشأن بلفظ الجماعة وفيه رد على من يقول الجمع للتعظيم في غير المتكلم إنما ورد في كلام المولدين ثم إنه يقول له إلى أي شيء تذهب إلى جمع المال أو غرس الغراس أو بناء البنيان أو شق الأنهار فيقول: ﴿لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾ أي: في الإيمان الذي تركته أي لعلي أعمل في الإيمان الذي أتى به البتة عملاً صالحاً فلم ينظم الإيمان في سلك الرجاء كسائر الأعمال الصالحة بأن يقول لعلي أو من فأعمل الخ للإشعار بأنه أمر مقرر الوقوع غني عن الإخبار بوقوعه فضلاً عن كونه مرجو الوقوع. وقال في «الجلالين»: ﴿لعلي أعمل صالحاً﴾ أي أشهد بالتوحيد ﴿فيما تركت﴾ حين كنت في الدنيا انتهى.

قال بعضهم: الخطاب في ارجعون لملك الموت وأعوانه وذكر الرب للقسم كما في «الكبير» واستعان بالله أولاً ثم بهم كما في «الأسئلة المقحمة» وكما قال الكاشفي: [أمام ثعلبي بأجمعي مفسران برانذكه خطاب با ملك الموت وأعوان أوست أول بكلمة رب استعانة مي نمايند بخداي وبكلمة ارجعون رجوع مي نمايند بملائكة].

ويدل عليه قوله عليه السلام: «إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا: أنرجعك إلى الدنيا فيقول: إلى دار الهموم والأحزان بل قدوماً إلى الله تعالى وأما الكافر فيقول: ارجعون» وقيل: أريد بقوله: فيما تركت فيما قصرت فتدخل فيه العبادات البدنية والمالية والحقوق.

قال في «الكبير»: وهو أقرب كأنهم تمنوا الرجعة ليصلحوا ما أفسدوه. يقول الفقير فالمراد بالعمل الصالح هو العمل المبني على الإيمان لأنه وإن كان عمل

عملاً في صورة الصالح لكنه كان فاسداً في الحقيقة حيث أحبطه الكفر فلما شاهد بطلانه رجا أن يرجع إلى الدنيا فيؤمن ويعمل عملاً صالحاً صورة وحقيقة.

وقال القرطبي: سؤال الرجعة غير مختص بالكافر أي بل يعم المؤمن المقصر.

قال في «حقائق البقلي»: بين الله سبحانه أن من كان ساقطاً عن مراتب الطاعات لم يصل إلى الدرجات ومن كان محروماً من المراقبات في البدايات كان محجوباً عن المشاهدات والمعانيات في النهايات وأن أهل الدعاوى المزخرفات والترهات تمنوا في وقت النزاع أن لم تمض عليهم أوقاتهم بالغفلة عن الطاعات ولم يشتغلوا بالدعاوى المخالفات والمحالات فأقبل على طاعة مولاك واجتنب الدعاوى واطلاق القول في الأحوال فإن ذلك فتنة عظيمة هلك في ذلك طائفة من المريرين وما فرع أحد إلى تصحيح المعاملات إلا أداه بركة ذلك إلى قرب الرب ومقام الأمن ولا ترك أحد هذه الطريقة إلا تعطل وفسد ووقع في الخوف العظيم وتمنى حين لا ينفع التمني. قال الحافظ:

كاري كنيم ورنه خجالت بر آمرد روزي كه رخت جان بجهان ذكر كشم
وقال الخجندي:

علم وتقوى سر بسر دعويست ومعنى ديكرست

مرد معنى ديكر وميدان دعوى ديكرست

﴿كلا﴾ ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها أي لا يرد إلى الدنيا أبداً. ﴿إنها﴾ أي قوله رب ارجعون. ﴿كلمة﴾ الكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضه مع بعض ﴿هو﴾ أي ذلك الأحد ﴿قائلها﴾ عند الموت لا محالة لتسلط الحزن عليه ولا يجاب لها. ﴿ومن ورائهم﴾ فعال ولامه همزة عند سيبويه وأبي علي الفارسي وياء عند العامة وهو من ظروف المكان بمعنى خلف وأمام أي من الأضداد. والمعنى أمام ذلك الأحد والجمع باعتبار المعنى لأنه في حكم كلهم كما أن الأفراد في قال وما يليه باعتبار اللفظ. ﴿برزخ﴾ حائل بينهم وبين الرجعة وهو القبر.

وفي «التأويلات النجمية»: وهو ما بين الموت إلى البعث، أي بين الدنيا والآخرة وهو غير البرزخ الذي بين عالم الأرواح المثالي وبين هذه النشأة العنصرية. ﴿إلى يوم يبعثون﴾ يوم القيامة وهو إقناط كلي من الرجعة إلى الدنيا لما علم أن لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا وأما الرجعة حينئذ فإلى الحياة الآخرة.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْتَأْذِنُ ۚ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ يَكْفِئُونَ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۚ﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۖ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١١٤﴾

﴿فإذا نفخ في الصور﴾ لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي عندها البعث والنشور والنفخ نفخ الريح في الشيء والصور مثل قرن ينفخ فيه فيجعل الله ذلك سبباً لعود الأرواح إلى أجسادها. ﴿فلا أنساب بينهم﴾ تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه أو لا أنساب يفتخرون بها والنسب القرابة بين اثنين فصاعداً أي اشتراك من جهة أحد الأبوين وذلك ضربان نسب بالطول كالاشتراك بين

الآباء والأبناء ونسب بالعرض كالنسب بين الإخوة وبني الأعمام ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ كما بينهم اليوم ﴿ولا يتساءلون﴾ أي لا يسأل بعضهم بعضاً فلا يقول له من أنت ومن أي قبيلة ونسب أنت ونحو ذلك لا اشتغال كل منهم بنفسه لشدة الهول فلا يتعارفون ولا يتساءلون كما أنه إذا عظم الأمر في الدنيا لم يتعرف الوالد لولده ولا يناقضه قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٥٠] لأن عدم التساؤل عند ابتداء النفخة الثانية قبل المحاسبة والتساؤل بعد ذلك وأيضاً يوم القيامة يوم طويل فيه خمسون موطناً كل موطن ألف سنة ففي موطن يشتد عليهم الهول والفزع بحيث يشغلهم عن التساؤل والتعارف فلا يفطنون لذلك وفي موطن يفيقون إفاقة فيتساءلون وتعارفون.

وعن الشعبي: قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله أما نتعارف يوم القيامة أسمع الله يقول: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون﴾ فقال عليه السلام: «ثلاثة مواطن تذهل فيها كل نفس حين يرمي إلى كل إنسان كتابه عند الموازين وعلى جسر جهنم» قال ابن مسعود رضي الله عنه: يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينصب على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادي مناد ألا إن هذا فلان ابن فلان فمن كان له عليه حق فليأت إلى حقه فيفرح العبد يومئذٍ أن يثبت له حق على والده وولده أو زوجته وأخيه فلا أنساب بينهم يومئذٍ.

وعن قتادة لا شيء أبغض إلى الإنسان يوم القيامة من أن يرى من يعرفه أن يثبت له عليه شيء ثم تلا ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرَّةُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [الآية [عبس: ٣٤]. قال محمد بن علي الترمذي قدس سره: الأنساب كلها منقطعة إلا من كانت نسبته صحيحة في عبودية ربه فإن تلك نسبة لا تنقطع أبداً وتلك النسبة المفتخر بها لا نسبة الأجناس من الآباء والأمهات والأولاد.

قال الأصمعي: كنت أطوف بالكعبة في ليلة مقمرة فسمعت صوتاً حزيناً فتبعته الصوت فإذا أنا بشاب حسن ظريف تعلق بأستار الكعبة وهو يقول: نامت العيون وغارت النجوم وأنت الملك الحي القيوم وقد غلقت الملوك أبوابها وأقامت عليها حرسها وحجابها وبابك مفتوح للسائلين فما أنا سائلك ببابك مذنباً فقيراً مسكيناً أسيراً جئت أنتظر رحمتك يا أرحم الراحمين ثم أنشأ يقول:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم	يا كاشف الضر والبلوى مع القسم
قد نام وفدي حول البيت وانتبهوا	وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
أدعوك ربي ومولاي ومستندي	فارحم بكائي بحق البيت والحرم
أنت الغفور فجد لي منك مغفرة	أو اعف عني يا ذا الجود والنعيم
إن كان عفوك لا يرجوه ذو جرم	فمن وجود على العاصين بالكرم

ثم رفع رأسه نحو السماء وهو ينادي: يا إلهي وسيدي مولاي إن أطعك فلك المنة علي وإن عصيتك فبجهلي فلك الحجة علي اللهم فيأظهار منتك علي وإثبات حجتك لدي ارحمني وأغفر ذنوبي ولا تحرمني رؤية جدي قرّة عيني وحبيبك وصفيك ونيك محمد ﷺ ثم أنشأ يقول:

ألا أيها المأمول في كل شدة	إليك شكوت الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي	فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي

فزادي قليل ما أراه مبلغني على الزاد أبكي أم لبعد مسافتي
 أتيت بأعمال قباح رديئة وما في الوري خلق جني كجنايتي
 فكان يكرر هذه الأبيات حتى سقط على الأرض مغشياً عليه فدنوت منه فإذا هو زين
 العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فوضعت رأسه في حجري وبكيت لبكائه بكاءً
 شديداً شفقة عليه فقطر من دموعي على وجهه فأفاق من غشيته وفتح عينه وقال: من الذي
 شغلني عن ذكر مولاي فقلت أنا الأصمعي يا سيدي ما هذا البكاء وما هذا الجزع وأنت من
 أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
 الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال: فاستوى جالساً وقال يا أصمعي هيهات إن الله تعالى
 خلق الجنة لمن أطاعه وإن كان عبداً حبشياً وخلق النار لمن عصاه وإن كان ملكاً قرشياً أما
 سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن نفخة العناية الربوبية إذا نفخت في صور القلب
 قامت القيامة وانقطعت الأسباب فلا يلتفت أحد إلى أحد من أنسابه لا إلى أهل ولا إلى ولد
 لا اشتغاله بطلب الحق تعالى واستغراقه في بحر المحبة فلا يسأل بعضهم بعضاً عما تركوا من
 أسباب الدنيا ولا عن أحوال أهاليهم وأخذانهم وأوطانهم وإذا فارقوها كان لكل امرئ منهم
 يومئذ شأن في طلب الحق يغنيه عن مطالبة الغير.

﴿فمن ثقلت موازينه﴾ موزونات حسناته من العقائد والأعمال أي فمن كان له عقائد
 صحيحة وأعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله فهو جمع موزون بمعنى العمل الذي لا
 وزن وخطر عند الله وباقي الكلام في هذا المقام سبق في تفسير سورة الأعراف. ﴿فأولئك هم
 المفلحون﴾ الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مهروب ولما كان حرف من يصلح للواحد
 والجمع وحد على اللفظ وجمع على المعنى.

﴿ومن خفت موازينه﴾ أي ومن لم يكن له من العقائد والأعمال ما له وزن وقدر عند الله
 تعالى وهم الكفار لقوله تعالى: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] ﴿فأولئك الذين
 خسروا أنفسهم﴾ ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها. والخسر
 والخسران انتقاص رأس المال كما في «المفردات».

قال الكاشفي [پس كروه آندك زيان كرده اند از نفسهای یعنی سرمایه عمر بباد غفلت
 برداند واستعدادات حصول كمال را بطلب آرزوهای نفس ومتابعته شهوات ضایع ساختند]
 ﴿في جهنم خالدون﴾ بدل من صلة أو خبر ثان لأولئك.

قال في «التأويلات النجمية»: الإنسان كالبيضة المستعدة لقبول تصرف ولاية الدجاجة
 وخروج الفروخ منها فما لم تتصرف فيها الدجاجة يكون استعدادها باقياً فإذا تصرف الدجاجة
 فيها فتغيرت عن حالها إلى حال الفروخية ثم انقطع تصرف الدجاجة عنها تفسد البيضة فلا
 ينفعها التصرف بعد ذلك لفساد الاستعداد ولهذا قالوا مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة وهذا
 معنى قوله: ﴿في جهنم خالدون﴾ أي في جهنم أنفسهم فلا يخرجون بالفروخية وليس من سنة
 الله إصلاح الاستعداد بعد إفساده. قال الجامي:

آنراکه زمین کشد درون چون قارون نی موسیش آورد برون هارون
 فاسد شده راز روز کار وارون لا يمكن أن يصلحه العطارون

﴿تلفح وجوههم النار﴾ تحرقها يقال: لفحته النار بحرهما أحرقتة كما في «القاموس» واللفح كالنفح إلا أنه أشد تأثيراً كما في «الإرشاد» وغيره وتخصيص الوجوه بذلك لأنها أشرف الأعضاء وأعظم ما يصاب منها فبيان حالها أزجر عن المعاصي المؤدية إلى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل. ﴿وهم فيها كالخون﴾ من شدة الاحتراق. والكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان كما ترى الرؤوس المشوية.

وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام أنه مر في السوق برأس أخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة أيام ولياليهن، وفي الحديث: «تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرتة» انتهى.

فيقال لهم تعنيفاً وتوبيخاً وتذكيراً لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب.

﴿أَلَمْ تَكُنْ مِّنَ الَّذِينَ عَلَّمْنَا بِهَا تَكْدِيبُهَا ۖ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (١١٥) ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ (١١٦) ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (١١٧) ﴿قَالَ أَخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (١١٨) ﴿إِنَّكُمْ كَانْتُمْ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١١٩) ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَاءَ حَتَّىٰ أَسْوَكَم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ (١٢٠).

﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ في الدنيا ﴿فكنتم بها تكذبون﴾ حينئذ.

﴿قالوا﴾ يا ﴿ربنا غلبت علينا﴾ أي ملكتنا ﴿شقوتنا﴾ التي اقترفناها بسوء اختيارنا فصارت

أحوالنا مؤدية إلى سوء العاقبة.

قال القرطبي: وأحسن ما قيل في معناه غلبت علينا لذاتنا وأهواؤنا فسمى اللذات

والأهواء شقوة لأنهما تؤديان إليها.

قال أبو تراب: الشقوة حسن الظن بالنفس وسوء الظن بالخلق. ﴿وكنا﴾ بسبب ذلك

﴿قوماً ضالين﴾ عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وسائر المعاصي.

﴿وبنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ متجاوزون الحد في الظلم لأنفسنا. ﴿قال﴾

تعالى بطريق القهر: ﴿اخسأوا فيها﴾ اسكتوا في النار سكوت هوان فإنها ليست مقام سؤال وانزجروا انزجار الكلاب إذا زجرت من خسأت الكلب إذا زجرته مستهيناً به فحسأ، أي انزجر. ﴿ولا تكلمون﴾ أي: باستدعاء الإخراج من النار والرجع إلى الدنيا فإنه لا يكون أبداً.

﴿إنه﴾ تحليل لما قبله من الزجر عن الدعاء أي إن الشأن. ﴿كان فريق من عبادي﴾ وهم

المؤمنون. ﴿يقولون﴾ في الدنيا ﴿ربنا آمنا﴾ صدقنا بك وجميع ما جاء من عندك. ﴿فاغفر

لنا﴾ ﴿وارحمنا﴾ وأنعم علينا بنعمك التي من جملتها الفوز بالجنة والنجاة من النار. ﴿وأنت

خير الراحمين﴾ لأن رحمتك منبع كل رحمة.

﴿فاتخذتموهم سخرياً﴾ مهزواً بهم أي اسكتوا عن الدعاء بقولكم: ربنا الخ لأنكم كنتم

تستهزئون بالداعين بقولهم: ربنا آمنا الخ وتشاغلون ﴿حتى أسوكم﴾ أي: الاستهزاء بهم فإن

أنفسهم ليست سبب الإنساء. ﴿ذكرى﴾ أي ذكركم إياي والخوف مني والعمل بطاعتي من فرط

أشتغالكم باستهزائهم. ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ وذلك غاية الاستهزاء.

وقال مقاتل: نزلت في بلال وعمار وسلمان وصهيب وأمثالهم من فقراء الصحابة كان

كفار قريش كأبي جهل وعتبة وأبي بن خلف وأضرابهم يستهزئون بهم وبأسلامهم ويؤذونهم.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ١١٣ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٤ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِينَ ١١٥ قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ١١٦

﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ بسبب صبرهم على أذيتهم والصبر حبس النفس عن الشهوات. ﴿أنهم هم الفائزون﴾ ثاني مفعولي الجزاء أي جزيتهم فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به.

وفي «التأويلات النجمية»: وفيه من اللطائف أن أهل السعادة كما ينتفعون بمعاملاتهم الصالحة مع الله من الله ينتفعون بإنكار منكريهم واستخفاف مستهزئيهم وأن أهل الشقاوة كما يخسرون بمعاملاتهم الفاسدة مع أنفسهم يخسرون باستهزائهم وإنكارهم على الناصحين المرشدين ﴿قال﴾ الله تعالى تذكيراً لما لبثوا فيما سألوا الرجوع إليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالتة بقوله ﴿اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾.

﴿كم لبثتم في الأرض﴾ التي تدعون أن ترجعوا إليها يقال لبث بالمكان أقام به ملازماً له. ﴿عدد سنين﴾ تمييز لكم ﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ استقصاراً لمدة لبثهم فيها بالنسبة إلى دخولهم في النار أو لأنها كانت أيام السرور قصار أو لأنها منقضية والمنقضي كالمععدم. هردم از عمر كرامي هست كنج بي بدل ميرود كنجي چنين هر لحظه برباد آه آه ﴿فاسأل العادين﴾ أي الذين يعلمون عد أيامها إن أردت تحقيقها فإننا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها وإحصائها.

وفي «التأويلات النجمية»: فاسأل العادين يعني الذين يعدّون أنفاسنا وأيامنا وليالينا من الملائكة الموكلين علينا. ﴿قال﴾ الله تعالى.

﴿إن﴾ ما ﴿لبثتم إلا قليلاً﴾ تصديقاً لهم في تقليلهم لسني لبثهم في الدنيا وقليلاً صفة مصدر محذوف أي لبثاً قليلاً أو زمان محذوف أي زماناً قليلاً ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم.

وفي «بحر العلوم»: أي لو كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لما أجبتم بهذه المدة فعلى العاقل أن يتدارك حاله ويصلح أعماله قبل أن تنفد الأنفاس وينهدم الأساس قيل:

ألا إنما الدنيا كظل سحابة أظلتك يوماً ثم عنك اضمحلت

فلا تك فرحاناً بها حين أقبلت ولا تك جزعاناً بها حين ولت

قال أردشير بن بابك بن ساسان وهو أول ملك من آل ساسان: لا تركن إلى الدنيا فإنها لا تبقى على أحد ولا تركها فإن الآخرة لا تنال إلا بها.

قال العلامة الزمخشري استغنم تنفس الأجل وإمكان العمل واقطع ذكر المعاذير والعلل فإنك في أجل محدود وعمر غير ممدود قال الشيخ سعدى قدس سره:

كنون وقت تخمست اكر پروري كراميد وار أي كه خرمن بري

بشهر قيامت مرو تنكدست كه وجهي ندارد بغفلت نشست

غنيمت شمر أين كرامي نفس كه پي مرغ قيمت ندارد قفس

مكن عمر ضايع بافسوس وحيف كه فرصت عزيز بزست والوقت سيف

قال بعض الكبار: لو علمت أن ما فات من عمرك لا عوض له لم يصح منك غفلة ولا

إهمال ولكنك تأخذ بالعزم والحزم بحيث تبادر الأوقات وتراقب الحالات خوف الفوات عاملاً على قول القائل:

السباق السباق قولاً وفعلًا حذر النفس حسرة المسبوق
وما حصل من عمرك إذا علمت أن لا قيمة له كنت تستغرق أوقاتك في شكر الحاصل وتحصيل الواصل فقد قال علي رضي الله عنه بقية عمر المرء ما لها ثمن يدرك به منها ما فات ويحيي ما مات، وفي الحديث: «ما من ساعة تأتي على العبد لا يذكر الله فيها إلا كانت عليه حسرة يوم القيامة».

واعلم أن العباد على قسمين في أعمارهم فرب عمر اتسعت أماده وقلّت أمداده كأعمار بعض بني إسرائيل إذ كان الواحد منهم يعيش الألف ونحوها ولم يحصل على شيء مما يحصل لهذا الأمة مع قصر أعمارها ورب عمر قليلة أماده كثيرة أمداده كعمر من فتح عليه من هذه الأمة فوصل إلى عناية الله بلمحة فمن بورك له في عمره أدرك في يسير من الزمان ما لا يدخل تحت العبارة فالخذلان كل الخذلان أن تتفرع من الشواغل ثم لا تتوجه إليه بصدق النية حتى يفتح عليك بما لا تصل الهمم إليه وأن تقل عوائقك ثم لا ترحل إليه عن عوالم نفسك والاستئناس بيومك وأمسك فقد جاء خصلتان مغبون فيهما كثير من الناس والفراع ومعناه أن الصحيح ينبغي أن يكون مشغولاً بدين أو دنياً فهو مغبون فيهما.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥)

﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء للعطف على مقدر. والحسبان بالكسر الظن وعبثاً حال من نون العظمة بمعنى عابثين وهو ما ليس لفاعله غرض صحيح أو ارتكاب أمر غير معلوم الفائدة.

والمعنى أغفلتم وظننتم من فرط غفلتكم أنا خلقناكم بغير حكمة. ﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ عطف على أنما خلقناكم أي وحسبتم عدم رجوعكم إلينا يعني أن المصلحة من خلقكم الأمر بالعمل ثم البعث للجزاء ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى حيث لا مالك ولا حاكم سواه.

قال الترمذي: إن الله خلق الخلق ليعبدوه فيشبههم على العبادة ويعاقبهم على تركها فإن عبدوه فإنهم عبيد أحرار كرام من رق الدنيا ملوك في دار السلام وإن رفضوا العبودية فهم اليوم عبيد أباق سقاط لثام وغداً أعداء في السجون بين أطباق النيران.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ بلا معنى ينفعكم أو يضركم حتى عشتم كما يعيش البهائم فما تقرّبتم إلينا بالأعمال الصالحات للتقرب وحسبتم ﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ باللفظ والقهر.

فالرجوع باللفظ بأن يموت بالموت الاختياري قبل الموت الاضطراري وهو بأن ترجعوا من أسفل سافلين الطبيعة على قدمي الشريعة والطريقة إلى أعلى عليين عالم الحقيقة.

والرجوع بالقهر بأن ترجعوا بعد الموت الاضطراري فتقادون إلى النار بسلاسل تعلقاتكم بشهوات الدنيا وزينتها وأغلال صفاتكم الذميمة.

وعن بهلول قال: كنت يوماً في بعض شوارع البصرة فإذا بصبيان يلعبون بالجوز واللوز وإذا أنا بصبي ينظر إليهم ويبكي فقلت: هذا صبي يتحسر على ما في أيدي الصبيان ولا شيء

معه فیلعب به فقلت أي بني ما یشیک اشتري لك من الجوز واللوز ما تلعب به مع الصبیان
 فرفع بصره إلیّ وقال: یا قليل العقل ما للعب خلقنا فقلت: أي بني فلماذا خلقنا فقال: للعلم
 والعبادة فقلت من أين لك ذلك باریک الله فیک قال: من قول الله تعالی: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا
 خلقناکم عبثاً وأنکم إلینا لا ترجعون﴾ قلت له: بني أراك حکیماً فعظني وأرجز فأنشأ يقول:

أرى الدنيا تجهز بانطلاق مشمرة على قدم وساق
 فلا الدنيا بباقية لحي ولا حي على الدنيا بباق
 كأن الموت والحدثان فیها إلی نفس الفتی فرسا سباق
 فیما مغرور بالدنيا رویداً ومنها خذ لنفسک بالوثاق
 ثم رمق السماء بعینه وأشار إلیها بكفیه ودموعه تنحدر على خدیهِ وهو يقول:

یا من إلیه المبتهل یا من علیه المتکل
 یا من إذا ما أمل يرجوه لم یخط الأمل

قال: فلما أتم كلامه خر مغشياً علیه فرفعت رأسه إلی حجري ونفضت التراب عن وجهه
 بکمی فلما أفاق قلت: له أي بني ما نزل بك وأنت صبی صغیر لم یکتب علیک ذنب قال إلیک
 عني یا بهلول أني رأیت والدتي توقد النار بالحطب الکبار فلا تقد إلا بالصغار واني أخشى أن
 أكون من صغار حطب جهنم قال: فسألت عنه فقالوا ذاک من أولاد الحسین بن علي بن أبي طالب
 رضي الله عنهم قلت قد عجت من أن تكون هذه الثمرة إلا من تلك الشجرة نفعنا الله به وبآبائه.

قال الشیخ أبو بکر الواسطي: [روزی این آیت می خواند فرمود که نی نی خلق بعبث نیا فرید
 بلکه خواست که هستی و آشکارا شود و از مصنوعات وی بصفات کمالیه آوراه برند. و گفته اند
 شمارا ببازی نیافریده ایم بلکه برای ظهور نور محمد علیه السلام آفریده ایم جودر ازل مقرر شده
 بود که آن کوهر تابان از صدق جنس انس بیرون آید پس اواصلست و شما همه فرع اوید:

هفت ونه وچارکه پرداختند خاص بی موکب او ساختند
 اوست شه و آدمیان جمله خیل اصل وی و جملة عالم طفیل

در بحر الحقائق گفته که شمارا برای آن آفریدم تا بر من سود کنی و بجهت آنکه من
 بر شما سود کنم كما قال تعالی: «خلقنا الخلق لیربحوا علی لا لأربح علیهم» وگویند ملائکه را
 آفرید تا منظر قدرت باشند و آدمیان را خلق کرد تا مخزن جوهر محبت باشند. در بعضی کتب
 سماوی هست که أي فرزند آدم همه اشیا برای شما آفریدم و شمارا برای خودسر «کنت کنزاً
 مخفیاً» اینجا ظهور تمام دارد[كما أشار إلیه المولوی قدس الله سره فی «المثنوی»:

أي ظهور تو بکلی نور کنج مخفی از تو آمد در ظهور
 کنج مخفی بود زپر چاک کرد خاک را تابان تر از افلاک کرد
 کنج مخفی بدزپری چوش کرد خاک را سلطان باطلس پوش کرد
 خویش را تشناخت مسکین آدمی از فزونی آمد و شد در کمی
 خویشتن آدمی ارزان فروخت بود اطلس خویش را بردلق دوخت
 أي غلامت عقل تدبیرات هوش چون چنینی خویش را ارزان فروش

﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَوْبَرِ﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ

لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١٧٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٧٨﴾ .

﴿فتعالى الله﴾ ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وأفعاله وعن خلو أفعاله عن الحكم والمصالح والغايات الجليلة ﴿الملك الحق﴾ الذي يحق له الملك على الإطلاق إيجاداً وإعداماً بدأ وإعادة وإحياء وإماتة وعقاباً وإثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكه العظيم .

قال الإمام الغزالي رحمه الله : الملك هو الذي يستغني في ذاته وصفاته وأفعاله عن كل موجود ويحتاج إليه كل موجود . وفي «المفردات» : الحق موجد الشيء بسبب ما يقتضيه الحكمة . وفي «التأويلات النجمية» : ذاته وصفاته حق وقوله صدق ولا يتوجه لمخلوق عليه حق وما يفعل من إحسانه بعباده فليس شيء منها بمستحق . ﴿لا إله إلا هو﴾ فإن كل ما عده عبيده ﴿رب العرش الكريم﴾ فكيف بما هو تحته ومحاط به من الموجودات كائناً ما كان وإنما وصف العرش بالكريم لأنه مقسم فيض كرم الحق ورحمته منه تنقسم آثار رحمته وكرمه إلى ذرات المخلوقات ﴿ومن﴾ [هركه] [يدع] يعبد ﴿مع الله إلهاً آخر﴾ إفراداً أو اشتراكاً ﴿لا برهان له به﴾ أي بدعائه معه ذلك . وبالفارسية : [هيچ حجتی نیست برپرستنده رابپرستش آن اله] وهو صفة لازمة لها كقوله ﴿يَعْلَمُ بِمَا حَاجُّوهُ﴾ [الأنعام: ٣٨] إذ لا يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان إذ الباطل ليس له برهان جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليها تنبيهاً على أن الدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بداهة العقول بخلافه ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ فهو مجازي له على قدر ما يستحقه جواب يدع ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ أي : الشأن لا ينجو من كفر من سوء الحساب والعذاب . ﴿وقل رب اغفر وارحم﴾ أمر رسول الله ﷺ بالاستغفار والاسترحام إيداناً بأنهما من أهم الأمور الدينية حيث أمر به من غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عده كما قال في «التأويلات النجمية» : الخطاب مع محمد عليه السلام يشير إلى أنه مع كمال محبوبيته وغاية خصوصيته ورتبة نبوته ورسالته محتاج إلى مغفرته ورحمته فكيف بمن دونه وبمن يدعو مع الله إلهاً آخر أي فلا بد لأتمته من الاقتداء به في هذا الدعاء ﴿وأنت خير الراحمين﴾ يشير إلى أنه يحتمل تغير كل راحم بأن يسخط على مرحومه فيعذبه بعد أن يرحمه وإن الله جل ثناؤه إذا رحم عبده لم يسخط عليه إبدأً لأن رحمته أزلية لا تحتل التغير .

وفي «حقائق البقلي» : اغفر تقصيري في معرفتك وارحمني بكشف زيادة المقام في مشاهدتك وأنت خير الراحمين إذ كل الرحمة في الكونين قطرة مستفادة من بحار رحمتك القديمة . وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه مرّ بمصاب مبتلى فقرأ في أذنه ﴿أفحسبتم﴾ حتى ختم السورة فبرئ بإذن الله فقال عليه السلام : «ما قرأت في أذنه» فأخبره فقال : «والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال» روي أن أول هذه السورة وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع آيات من آخرها فقد نجا وأفلح .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان عليه السلام إذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يده وقال : «اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا» ثم قال : «لقد أنزل عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة» ثم قرأ ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ حتى ختم العشر .

وهي مدنية اثنتان أو أربع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال القرطبي: مقصود هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر كتب عمر رضي الله عنه إلى الكوفة علموا نساءكم سورة النور وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ لا «تنزلوهن» أي: النساء «في الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور والغزل».

﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَنْتَهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١).

﴿سورة﴾ سورة القرآن طائفة منه محيطة بما فيها من الآيات والكلمات والعلوم والمعارف مأخوذة من سورة المدينة وهو حائطها المشتمل عليها وهي خبر مبتدأ محذوف، أي هذه سورة وإنما أشير إليها مع عدم سبق ذكرها لأنها باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر المشاهد والتكثير مفيد للفخامة من حيث الذات كما أن قوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ مفيد لها من حيث الصفة أي أنزلناها من عالم القدس بواسطة جبريل. ﴿وفرضناها﴾ أي: أوجبنا ما فيها من الأحكام إيجاباً قطعياً فإن أصل الفرض قطع الشيء الصلب والتأثير فيه كقطع الحديد والفرض كالإيجاب لكن الإيجاب يقال اعتباراً بوقوعه وثباته والفرض بقطع الحكم فيه كما في «المفردات». ﴿وأَنْزَلْنَا فِيهَا﴾ أي: في تضاعيف السورة. ﴿آيات﴾ هي الآيات التي نيطت بها الأحكام المفروضة كما هو الظاهر لا مجموع الآيات. ﴿بينات﴾ واضحات دلالاتها على أحكامها وتكرير أنزلنا مع استلزام إنزال السورة لإنزالها لإبراز كمال العناية بشأنها. ﴿لعلكم تذكرون﴾ [شایدکه شما بپند پذیرید واز محارم پرهیزید] وهو بحذف إحدى التاءين أي تذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية إلى إجراء أحكامها وفيه إيذان بأن حقها أن تكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة إليها استحضروها.

قال بعضهم لو لم يكن من آيات هذه السورة إلا براءة الصديقة بنت الصديق حبيبة الله لكان كثيراً فكيف وقد جمعت من الأحكام والبراهين ما لم يجمعها غيرها.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَدَاهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

﴿الزانية والزاني﴾ شروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان أحكامها والزني وطء المرأة من غير عقد شرعي وقد يقصر وإذا مد يصح أن يكون مصدر المفاعلة والنسبة إليه زنوي كذا في «المفردات» والزانية هي المرأة المطاوعة للزني الممكنة منه كما ينبىء عنه الصيغة لا المزينة كرهاً وتقديماً على الزاني لما أن زنى النساء من إماء العرب كان فاشياً في ذلك

الزمان أو لأنها الأصل في الفعل لكون الداعية فيها أوفر والشهوة أكثر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفها على الابتداء والخبر قوله: ﴿فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط إذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التي زنت والذي زنى. والجلد ضرب الجلد بالكسر وهو قشر البدن يقال: جلده نحو بطنه وظهره إذا ضرب وظهره أو معنى جلده ضربه بالجلد نحو عصاه إذا ضربه بالعصا ومائة نصب على المصدر. والمعنى بالفارسية: [پس بزیند أي أهل بلد وأحكام هربكي را ازان هردو صد تازیانه] وكان هذا عاماً في المحصن وغيره وقد نسخ في حق المحصن قطعاً ويكفيها في حق الناسخ القطع بأنه عليه السلام قد رجم ماعزاً وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة فحد المحصن هو الرجم وحد غير المحصن هو الجلد.

وشرائط الإحصان في باب الرجم ست عند أبي حنيفة: الإسلام والحرية والعقل والبلوغ والنكاح الصحيح والدخول فلا إحصان عند فقد واحدة منها وفي باب القذف الأربع الأول والعفة فمعنى قولهم رجم محصن أي مسلم حر عاقل بالغ متزوج وذو دخول ومعنى قولهم قذف محصناً أي مسلماً حراً عاقلاً بالغاً عفيفاً وإذا فقدت واحدة منها فلا إحصان. ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾ رحمة ورقة. وفي «البحر»: الرأفة أرق الرحمة. وبالفارسية: [مهرباني كردن] وتنكيرها للتقليل أي لا يأخذكم بهما شيء من الرأفة قليل من هذه الحقيقة. وبالفارسية: [وفرانكیر شمارا باین روزنا کنده مهربانی]. ﴿في دين الله﴾ في طاعته وإقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه بعدم الإيجاع ضرباً والتكميل حداً وذلك أن المضروب يفعل أثناء الضرب أفعالاً غريبة ويتضرع ويستغيث ويسترحم وربما يغشى عليه فيRAF به الإمام أو الضارب أو بعض الحاضرين لا سيما إذا كان أحب الناس إليه كالولد والأخ مثلاً فلا يستوفي حد الله وحقه ولا يكمل جلد مائة بل ينقصه بترك شيء أو يخفف الضرب فنهاهم الله عن ذلك.

وفيه تنبيه على أن الله تعالى إذا أوجب أمراً قبح استعمال الرحمة فيه وفي الحديث: «يؤتى بوال نقص من حد سوطاً فيقال: لم نقصت فيقول: رحمة لعبادك فيقال له: أنت أرحم مني انطلقوا به إلى النار ويؤتى بمن زاد سوطاً فيقال لم زدت فيقول: لينهوا عن معاصيك فيقال له أنت أحكم مني فيؤمر به إلى النار».

قال في «الأسئلة المقحمة» إن الله نهى عن الرأفة والرحمة وعلى هذا إن وجدنا واحداً بقلبه إشفاق على أخيه المسلم حيث وقع في المعصية يؤاخذ بها، والجواب أنه لم يرد الرأفة الجبيلية والرحمة الغريزية فإنها لا تدخل تحت التكليف وإنما أراد بذلك الرأفة التي تمنع عن إقامة حدود الله وتفضي إلى تعطيل أحكام الشرع فهي منهية عنها.

قال في «بحر العلوم»: وفيه دلالة على أن المخاطبين يجب عليهم أن يجتهدوا في حد الزنى ولا يخففوا الضرب بل يوجعوا ضرباً وكذلك حد القذف عند الزهري لا حد الشرب وعن قتادة يخفف في حد الشرب والقذف ويجتهد في حد الزنى. ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ من باب التهيج والتهاب الغضب لله ولدينه فإن الإيمان بهما يقتضي الجد في طاعته والاجتهاد في إجراء الأحكام.

قال الجنيّد رحمه الله: الشفقة على المخالفين كالإعراض عن الموافقين وذكر اليوم الآخر لتذكر ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل وإنما سمي يوم القيامة اليوم الآخر لأنه

لا يكون بعده ليل فيصير كله بمنزلة يوم واحد وقد قيل إنه تجتمع الأنوار كلها وتصير في الجنة يوماً واحداً وتجتمع الظلمات كلها وتصير في النار ليلة واحدة. ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ الشهود الحضور والعذاب الإيذاء الشديد.

قال بعضهم: التعذيب إكثار الضرب بعذبة السوط أي طرفه وقيل غير ذلك وفي تسميته عذاباً دليل على أنه عقوبة ويجوز أن يسمى عذاباً لأنه ألم مانع من المعاودة كما سمي نكالاً أي عقاباً يردع عن المعاودة والطائفة فرقة يمكن أن تكون حافة حول الشيء وحلقة من الطوف والمراد به جمع يحصل به التشهير والزجر وقوله: من المؤمنين لأن الفاسقين من صلحاء قومه أخجل وظاهر الأمر الوجوب لكن الفقهاء قالوا بالاستحباب، والمعنى لتحضره زيادة في التنكيل فإن التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب. وبالفارسية: [وأياد كه حاضر شوندر وقت عذاب آن دوتن يعني در زمان أقامت براي شان كروهي ازمؤمنان تاتشهير ايشان حاصل وآن تفضيح مانع كردد ازمعاودت بأمثال آن عمل] فحد غير المحصن جلد مائة وسطاً بسوط لا ثمة له ويجلد الرجل قائماً وينزع عنه ثيابه إلا إزاره ويفرق على بدنه إلا رأسه ووجهه وفرجه وتجلد المرأة قاعدة لا ينزع من ثيابها إلا الحشو والفرو وجاز الحفر لها لا له ولا يجمع بين جلد ورجم ولا بين جلد ونفي إلا سياسة ويرجم مريض زنى ولا يجلد حتى يبرأ وحامل زنت ترحم حين وضعت وتجلد بعد النفاس وللعبد نصفها ولا يحده سيده إلا بإذن الإمام خلافاً للشافعي وفي الحديث: «إقامة حد بأرض خير لأهلها من مطر أربعين ليلة».

واعلم أن الزنى حرام وكبيرة روى حذيفة رضي الله عنه، عنه عليه السلام: «يا معشر الناس اتقوا الزنى فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة. أما التي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر. وأما التي في الآخرة فسخط الله وسوء الحساب وعذاب النار» ومن الزنى زنى النظر والنظرة سهم مسموم من سهام إبليس: وفي «المنوي»:

أين نظر ازدور چون تيراست وسم عشقت افزون ميكنند صبر توكم
وفي «التأويلات النجمية»: قوله: ﴿الزانية والزاني﴾ يشير إلى النفس إذا زنت وزناها بأن استسلمت لتصرفات الشيطان والدنيا فيها بما نهاها الله عنه وإلى الروح إذا زنى وزناه تصرفه في الدنيا وشهواتها مما نهاه الله عنه. ﴿فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ من الجوع وترك الشهوات والمرادات تزكية لهما. وتأديباً ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ يعني: إذا ادعيتم محبة الله فابغضوا مخالفتي أمره ولا ترجموا أنفسكم وأرواحكم على مخالفة الله فإنهم يظلمون أنفسهم بجهلهم بحالهم وأن رحمتكم عليهم في ترك تزكيتهم وتأديبهم كترك الولد علاج ولده المريض شفقة عليه لينهكه المرض فأدبوهما ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ يشير إلى شهود أهل الصحبة وأن يزكي النفس ويؤدب الروح بمشهد شيخ وأصل كامل ليحفظه من طرفي الإفراط والتفريط ويهديه إلى صراط مستقيم هو صراط يسلكه فيه.

قطع أين مرحله بي همريء خضر مكن ظلماً تست بترس از خطر كمراهي

﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾

﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك﴾ النكاح إنما ورد في القرآن بمعنى العقد أي الزواج لا الوطء.

قال الراغب أصل النكاح للعقد ثم استعير للجماع ومحال أن يكون في الأصل للجماع ثم استعير للعقد لأن أسماء الجماع كلها كنايةات لاستباحهم ذكره كاستقباح تعاطيه ومحال أن يستعير من لا يقصد فحشاً ما يستفظونه لما يستحسنونه انتهى .

وهذا حكم مؤسس على الغالب المعتاد جيء به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنى بهن يعني الغالب أن المائل إلى الزنى والتعجب لا يرغب في نكاح الصوالج من النساء وإنما يرغب في نكاح فاسقة من شكله أو مشركة والمسافحة لا يرغب في نكاحها الصلحاء وينفرون عنها وإنما يرغب فيها فاسق مثلها أو مشرك فإن المشكلة سبب الائتلاف والاجتماع كما أن المخالفة سبب الوحشة والافتراق .

وقدم الزاني في هذه الآية لأن الرجل أصل في النكاح من حيث أنه هو الطالب ومنه تبدأ الخطبة ولأن الآية نزلت في فقراء المهاجرين الذين رغبوا في نكاح موسرات كانت بالمدينة من بقايا المشركين لينفقن عليهن من أكسابهن على عادة الجاهلية كما قال الكاشفي: [بقايا از يهود بامشر كان مدينة در بيوت نواخير نشسته هريك برد رخانة خود رايتي نصب كردندي ومردم را يخود دعوت نموده اجرت كرفتندي ضعفة مهاجرين كه مسكني وعشرتي نداشتند واز تنك پریشان مي گذرانيدند داعية كردندكه ايشانرا بنكاح درآ ورده كه وكراين نفس ازايشان گرفته برعادت أهل جاهليت معاش گذرانند] فاستأذنوا رسول الله ﷺ في ذلك فنفروا عنه ببيان أنه أفعال من الزناة وخصائص المشركين كأنه قيل: الزاني لا يرغب إلا في نكاح إحداهما والزانية لا يرغب في نكاحها إلا أحدهما فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا في سلكهما أو تتسموا بسمتهما فأيراد الجملة الأولى مع أن مناط التنفير هي الثانية لتأكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتنفير لا مجرد الإشراف وإنما تعرض لها في الأولى إشباعاً في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة . ﴿وحرم ذلك﴾ أي نكاح الزاني: ﴿على المؤمنين﴾ لما فيه من التشبيه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب بسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد لا يكاد يليق بأحد من الأداني والأراذل فضلاً عن المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر والحكم إما مخصوص بسبب النزول أو منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢] فإنه متناول للمسافحات ويؤيده ما روي أنه عليه السلام سئل عن ذلك فقال: «أو له سفاح وآخره نكاح» والحرام لا يحرم الحال .

وفي الآية إشارة إلى الحذر عن أخذان السوء والحث عن مخالطة أهل الصحبة والأخذان في الله تعالى فإن الطبع من الطبع يسرق والمقارنة مؤثرة والأمراض سارية وفي الحديث: «لا تسكنوا المشركين ولا تجامعوه» فمن ساكنهم أو جامعهم فهو منهم وليس منا» أي: لا تسكنوا مع المشركين في المسكن الواحد ولا تجتمعوا معهم في المجلس الواحد حتى لا يسري إليكم أخلاقهم وسيرهم القبيحة بحكم المقارنة وللناس أشكال يطير بشكله .

همه مرغان کند باجنس پرواز كبوتر با كبوتر باز با باز
وكل مساكن مثله كما قال قائلهم:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فإن القرين بالمقارن يقتدي
فأما أهل الفساد فالفساد يجمعهم وإن تناءت ديارهم وأما أهل السداد فالسداد يجمعهم
وإن تباعد مزارهم .

قال الكاشفي: [جنسيت علت ضمنت ومشاكله سبب الفت:

هركس مناسب كهر خود كرفت يار بلبل بباغ رفت وزغن سوى خارزار
وحرّم محافظة أخذان السوء على المؤمنين لثلا يؤثر فيهم فساد حالهم وسوء أخلاقهم.
ومن بلاغات الزمخشري: لا ترضى لمجالستك إلا أهل مجانستك أي لا ترض أن تكون
جليس أحد من غير جنسك فإنه العذاب الشديد ليس إلا. فقال بعضهم: الممينة موجودة في
المؤمنات أيضاً ولكن علة الضم الجنسية فعلى العاقل أن يصون نفسه بقدر الإمكان فإن الله
غيور ينبغي أن يخاف منه كل آن.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ
هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿والذين يرمون المحصنات﴾ الرمي يقال في الأعيان كالسهم والحجر ويقال في المقال
كناية عن الشتم كالقذف فإنه في الأصل الرمي بالحجارة ونحوها مطلقاً.

قال في «الإرشاد» في التعبير عن التفوه بما قالوا في حقهن بالرمي المنبئ عن صلابه
الآلة وإيلا المرمى وبعده إيذان بشدة تأثيره فيهن والمحصنات العفاف وهو بالفتح يقال إذا
تصور حصنها من نفسها وبالكسر يقال إذا تصور حصنها من غيرها والحصن في الأصل معروف
ثم تجوز به في كل تحرز ومنه درع حصينة لكونها حصناً للبدن وفرس حصان لكونه حصناً
لراكبه وامرأة حصان للضعف والمعنى والذين يقذفون العفاف بالزنى بدليل ذكر المحصنات
عقيب الزواني وتخصيص المحصنات لشيوع الرمي فيهن وإلا فقذف الذكر والأنثى سواء في
الحكم الآتي والمراد المحصنات الأجنبية لأن رمي الأزواج أي النساء الداخلات تحت نكاح
الرايين حكمه سيأتي.

وأجمعوا على أن شروط إحصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والإسلام والعفة
من الزنى حتى أن من زنى مرة في أول بلوغه ثم تاب وحسنت حاله فقذفه شخص لا حد عليه
والقذف بالزنى أن يقول العاقل لمحصنة: يا زانية يا ابن الزاني يا ابن الزانية يا ولد الزنى أو
لست لأبيك يا ابن فلان في غضب والقذف بغيره أن يقول: يا فاسق يا شارب الخمر يا أكل
الربا يا خبيث يا نصراني يا يهودي يا مجوسي فيوجب التعزير كقذف غير المحصن وأكثر
التعزير تسعة وثلاثون سوطاً وأقله ثلاثة لأن التعزير ينبغي أن لا يبلغ أقل الحد أربعين وهي حد
العبيد في القذف بالزنى والشرب وأما أبو يوسف فاعتبر حد الأحرار وهو ثمانون سوطاً ونقص
منها سوطاً في رواية وخمسة في رواية وقال الإمام أن يعزر إلى المائة والفرق بين التعزير والحد
أن الحد مقدر والتعزير مفوض إلى رأي الإمام وأن الحد يندرى بالشبهات دونه وأن الحد لا
يجب على الصبي والتعزير شرع والحد يطلق على الذمي إن كان مقدراً والتعزير لا يطلق عليه
لأن التعزير شرع للتطهير والكافر ليس من أهل التطهير وإنما سمي في حق أهل الذمة إذا كان
غير مقدر عقوبة وأن التقادم يسقط الحد دون التعزير وأن التعزير حق العبد كسائر حقوقه ويجوز
فيه الإبراء والعفو والشهادة على الشهادة ويجري فيه اليمين ولا يجوز شيء منها في الحد ثم
لم يأتوا بأربعة شهداء يشهدون عليهن بما رموهن به ولا يقبل فيه شهادة النساء كما في سائر
الحدود وفي كلمة ثم إشعار بجواز تأخير الإتيان بالشهود وفي كلمة لم إشارة إلى العجز عن

الإتيان بهم ولا بد من اجتماع الشهود عند الأداء عند أبي حنيفة رحمه الله أي الواجب أن يحضروا في مجلس واحد وإن جاؤوا متفرقين كانوا قذفة وفي قوله: بأربعة شهداء دلالة على أنهم إن شهدوا ثلاثة يجب حدهم لعدم النصاب وكذا إن شهدوا عمياناً أو محدودين في قذف أو أحدهم محدود أو عبد لعدم أهلية الشهادة. ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ انتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز أي اضربوا كل واحد من الرامين ثمانين ضربة إن كان القاذف حراً وأربعين إن كان عبداً لظهور كذبهم واقترائهم بعجزهم عن الإتيان بالشهداء. وبالفارسية: [پس بزید ایشانرا هشتاد تازیانه] وإن كان المقدوف زانياً عزز القاذف ولم يحد إلا أن يكون المقدوف مشهوراً بما قذف به فلا حد ولا تعزيز حينئذ ويجلد القاذف كما يجلد الزاني إلا أنه لا ينزع عنه من الثياب إلا ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو والقاذفة أيضاً في كيفية الجلد مثل الزانية وضرب التعزير أشد ثم للزنى ثم للشرب ثم للقذف لأن سبب حده محتمل للصدق والكذب وإنما عوقب صيانة للأعراض. وبالفارسية: [حد قذف از حد زنی وحد شرب اخص است زیرا که حد زنی بقرآن ثابت شده وثبوت حد شرب يقول صحابه أست وسبب حد قذف محتمل است مر صدق رائي] وإن كان نفس الحد ثابتاً بالنص وإنما يحد بطلب المقدوف المحصن لأن فيه حقه من حيث دفع العار عنه ولا بد أن يكون الطلب بالقول حتى لو قذف الأخرس وطلبه بالإشارة لا يجب الحد وكون المقدوف غائباً عن مجلس القاذف حال القذف أو حاضراً سواء فاحفظه ويجوز للمقدوف أن يعفو عن حد القذف قبل أن يشهد ويثبت الحد والإمام أيضاً ويحسن منه أن يحمل المقدوف على كظم الغيظ ويقول له أعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبوت الحد فإذا ثبت لم يكن لواحد منهما أن يعفو لأنه خالص حق الله ولهذا لم يصح أن يصلح عنه بمال وإذا تاب القاذف قبل أن يثبت الحد سقط وإذا قذف الصبي أو المجنون امرأته أو أجنبياً فلا حد عليهما ولا لعان لا في الحال ولا إذا بلغ أو أفاق ولكن يعذران تأديباً ولو قذف شخصاً مراراً فإن أراد زنية واحدة وجب حد واحد وإن أراد زنيات مختلفة كقوله: زينت بزيد ويعمرو لتعدد اللفظ كما في «الكبير» ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة﴾ عطف على اجلدوا داخل في حكمه تنمة له لما فيه من معنى الزجر لأنه مؤلم للقلب كما أن الجلد مؤلم للبدن وقد أذى المقدوف بلسانه فعوقب بإهدار منافعه جزاء وفاقاً واللام في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها لكونها نكرة وفائدتها تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن أهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والإسلام لأنها ليست ناشئة عن أهليته السابقة بل أهليته حدثت له بعد إسلامه فلا يتناول الرد والمعنى لا تقبلوا من القاذفين شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند القذف. ﴿أبدأ﴾ أي مدة حياتهم وإن تابوا وأصلحو. ﴿وأولئك هم﴾ لا غيرهم ﴿الفاسقون﴾ الكاملون في الفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود كأنهم هم المستحقون لإطلاق اسم الفاسق عليهم من الفسقة.

قال في «الكبير»: يفيد أن القذف من الكبائر لأن الفسق لا يقع إلا على صاحبها.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

﴿إلا الذين تابوا﴾ استثناء من الفاسقين ﴿من بعد ذلك﴾ أي من بعد ما اقترفوا ذلك

الذنب العظيم ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ أعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف .
﴿فإن الله غفور رحيم﴾ تعليل لما يفيد الاستثناء من العفو عن المؤاخذه بموجب الفسق كأنه
قيل : فحينئذ لا يؤاخذهم الله بما فرط منهم ولا ينظّمهم في سلك الفاسقين لأنه مبالغ في
المغفرة والرحمة .

وفي الآية إشارة إلى غاية كرم الله ورحمته على عباده بأن يستر عليهم ما أراد بعضهم
إظهاره على بعض ولم يظهر صدق أحدهما أو كذبه ولتأديبهم أوجب عليهم الحد ورد قبول
شهادتهم أبداً وسماهم الفاسقين وليتصفوا بصفاته الستارية والكرمية والرحمية فيما يسترون
عيوب إخوانهم المؤمنين ولا يتبعوا عوراتهم وقد شدد النبي على من يتبع عورات المسلمين
ويفشي أسرارهم : «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن من قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فإنه
من يتبع عوراتهم يفضحه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد» وقال عليه السلام : «من ستر
على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة» ، قال الشيخ سعدي :

منه عيب خلق فرومايه پيش كه چشمت فرودزداز عيب خویش
كرت زشت خوبي بود درسرشت نه پیني زطاوس جزپاي زشت
طريق طلب كز عقوبت رهي نه حرفي كه انكشت بروي نهی
وفي الآية إشارة أيضاً إلى كمال عنايته تعالى في حق عباده بأنه يقبل توبتهم بعد ارتكاب
الذنوب العظام ولكن بمجرد التوبة لا يكون العبد مقبولاً إلا بشرط إزالة فساد حاله وإصلاح
أعماله .

قال بعضهم : علامة تصحيح التوبة وقبولها ما يعقبها من الصلاح والتوبة هي الرجوع عن
كل ما يذمه العلم واستصلاح ما تعدى في سالف الأزمنة مداومتها باتباع العلم ومن لم يعقب
توبته الصلاح كانت توبة بعيدة عن القبول :

فراشو چوبیني در صلح باز كه ناكه درتوبه كردد فراز
مروزیر بار كنائه أي پشیر كه حمال عاجز بود درسفر
بهشت اوستاندكه طاعت برد كرا نقد باید بضاعت برد
اكر مرغ دولت زقیدت بجست هنوزش سررشته داري بدست
أي فاسع إلى إصلاح عملك قبل حلول أجلك .

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ
الْصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَذَرُهَا الْعَذَابُ أَنْ تَشْهَدَ
أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾﴾ .

﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ بيان لحكم الرامين لزوجاتهم خاصة بعد بيان حكم الرامين
لغيرهن أي والذين يقذفون نساءهم بالزنى بأن يقول لها يا زانية أو زنت أو رأيتك تزني .
قال في «بحر العلوم» : إذا قال يا زانية وهما محصنان فردت بلا بل أنت حدث لأنها
قذفت الزوج وقذفه إياها لا يوجب الحد بل اللعان وما لم ترفع القاذف إلى الإمام لم يجب
اللعان .

قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزل قوله تعالى : ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم

يأتوا بأربعة شهداء ﴿ قال عاصم بن عدي الأنصاري: أن دخل رجل منا بيته فرأى رجلاً على بطن امرأته فإن جاء بأربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وإن قتله قتل به وإن قال: وجدت فلاناً مع تلك المرأة ضرب وإن سكت سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويم وكان له امرأة يقال لها خولة بنت قيس فأتى عويم عاصماً فقال: لقد رأيت شريكاً ابن السحماء على بطن امرأتي خولة فاسترجع عاصم وأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما أسرع ما ابتليت بهذا السؤال في أهل بيتي فقال عليه السلام: «وما ذاك» قال أخبرني عويم ابن عمي أنه رأى شريكاً على بطن امرأته خولة فدعا رسول الله ﷺ إياهم جميعاً فقال لعويم: «اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها» فقال: يا رسول الله تالله لقد رأيت شريكاً على بطنها وإني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإنها حبلى من غيري فقال لها رسول الله ﷺ: «اتقي الله ولا تخبري إلا بما صنعت» فقالت: يا رسول الله إن عويماً رجل غيور وإنه رأى شريكاً يطيل النظر إليّ ويحدثني فحملته الغيرة على ما قال: فأنزل الله تعالى قوله: ﴿والذين يرمون أزواجهن﴾ وبين به أن حكم قذف الزوجة اللعان فأمر رسول الله ﷺ بأن يؤذن الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويم: قم وقل: «أشهد بالله أن خولة لزانية وإني لمن الصادقين» فقال: ثم قال في الثانية: «أشهد أنني رأيت شريكاً على بطنها وإني لمن الصادقين» ثم قال في الثالثة: «أشهد بالله أنها حبلى من غيري وإني لمن الصادقين» ثم قال في الرابعة: «أشهد بالله أنها زانية وإني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإني لمن الصادقين» ثم قال في الخامسة: «لعنة الله على عويم يعني نفسه: «إن كان من الكاذبين» ثم قال له: أقعد وقال لخولة: قومي فقامت وقالت: «أشهد بالله ما أنا بزانية وإن زوجي لمن الكاذبين» وقالت في الثانية: «أشهد بالله ما رأى شريكاً على بطني وإنه لمن الكاذبين» وقالت في الثالثة: «أشهد بالله ما أنا حبلى إلا منه وإنه لمن الكاذبين» وقالت في الرابعة: «أشهد بالله ما رأيته على فاحشة قط وإنه لمن الكاذبين» وقالت في الخامسة: «غضب الله على خولة إن كان عويم من الصادقين في قوله» ففرق النبي عليه السلام بينهما وقضى أن الولد لها ولا يدعى لأب وذلك قوله تعالى: ﴿والذين يرمون أزواجهن ولم يكن لهم شهداء﴾ يشهدون بما رموهن من الزنى ﴿إلا أنفسهن﴾ بدل من شهداء جعلوا من جملة الشهداء إيذاناً من أول الأمر بعدم إلقاء قولهم بالمرة ونظمها في سلك الشهادة في الجملة ﴿فشهادة أحدهم﴾ أي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿أربع شهادات﴾ أي: فشهادتهم المشروعة أربع شهادات ﴿بالله﴾ متعلق بشهادات ﴿إنه لمن الصادقين﴾ أي: فيما رماها به من الزنى وأصله على أنه إلخ فحذف الجار وكسرت إن وعلق العامل عنها للتأكيد.

﴿والخامسة﴾ أي الشهادة الخامسة للأربع المتقدمة أي الجاعلة لها خمساً بانضمامها إليهن وهي مبتدأ خبره قوله: ﴿أن لعنة الله عليه﴾ اللعن طرد وإبعاد على سبيل السخط وذلك من الله في الآخرة عقوبة وفي الدنيا انقطاع من قبول فيضه وتوفيقه ومن الإنسان دعاء على غيره.

قال بعضهم: لعنة الكفار دائمة متصلة إلى يوم القيامة ولعنة المسلمين معناها البعد من الخير والذي يعمل معصية فهو في ذلك الوقت بعيد من الخير فإذا خرج من المعصية إلى الطاعة يكون مشغولاً بالخير. ﴿إن كان من الكاذبين﴾ فيما رماها به من الزنى فإذا لاعن الرجل حبست الزوجة حتى تعترف فترجم أو تلاعن. ﴿ويدراً عنها العذاب﴾ أي: يدفع عن المرأة

المرمية العذاب الدنيوي وهو الحبس المغيا على أحد الوجهين بالرجم الذي هو أشد العذاب يقال: درأ دفع، وفي الحديث: «ادروا الحدود بالشبهات» تنبيهاً على تطلب حيلة يدفع بها الحد ﴿أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ﴾ أي الزوج ﴿لَمَنْ الْكَاذِبِينَ﴾ فيما رمانى به من الزنى.

﴿وَالْخُمُسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾

حَكِيمٌ ﴿١١﴾

﴿والخامسة﴾ بالنصب عطفًا على أربع شهادات. ﴿أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾ الغضب ثوران دم القلب إرادة الانتقام ولذلك قال عليه السلام: «اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد في قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه» فإذا وصف الله به فالمراد الانتقام دون غيره ﴿إِنْ كَانَ﴾ أي: الزوج ﴿مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: فيما رمانى به من الزنى وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما أنها مادة الفجور ولأن النساء كثيراً ما يستعمل اللعن فربما يجترىء على التفوه به لسقوط وقعه على قلوبهن بخلاف غضبه تعالى. والفرقة الواقعة باللعان في حكم التغطية البائنة عند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله ولا يتأبد حكمها حتى إذا كذب الرجل نفسه بعد ذلك فحدّ جاز له أن يتزوجها وعند أبي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة بغير طلاق توجب تحريماً مؤبداً أليس لهما اجتماع بعد ذلك أبداً وإذا لم يكن الزوج من أهل الشهادة بأن كان عبداً أو كافراً بأن أسلمت امرأته ففقدتها قبل أن يعرض عليه الإسلام أو محدوداً في قذف وهي من أهلها حد الزوج ولا لعان لعدم أهلية اللعان وبيان اللعان مشعباً موضعه الفقه فليطلب هناك وكذا القذف. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ جواب لولا محذوف لتهويله والإشعار بضيق العبارة عن حصره كأنه قيل: ولا تفضله عليكم ورحمته أيها الرامون والمرميات وأنه تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع أفعاله وأحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته أنه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع أن الظاهر صدقه لأنه أعرف بحال زوجته وأنه لا يفترى عليها لاشتراكهما في الفضاحة وبعد ما شرع لهم ذلك لو جعل شهادته موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب أحدهما حتما دائرة لما توجه إليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلى الكاذب منها في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو أتم مما درأه عنه واطم وفي ذلك من أحكام الحكم البالغة وآثار التفضل والرحمة ما لا يخفى أما على الصادق فظاهر وأما على الكاذب فهو أمهال له والستر عليه في الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبىء عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما أعظم شأنه وأوسع رحمته وأدق حكمته.

قال الكاشفي: [واكرنه فضل خدائي تعالى بودي بر شما وبخشایش أو وأنه خدائي قبول كندة توبة است حكم كنده در حدود أحكام هر آینه شمارا فضیحت کردی ودروغ كواهی را بعذاب عظیم مبتلاً ساختی وكویند اكرنه فضل خدا بودي بتأخیر عقوبت شما هلاك شديد یا اكرنه فضل فرمودي بأقامت زواج و نهی از فواحش هر آینه نسل منقطع شدی ومردم يك ديكررا هلاك كردندي یا اكرنه خدائي تعالى بخشيدي بر شما بقبول توبة درتیه نا اميدي سر كردان

میشدید پس شما بمدد وتوفیق توبه بسر منزل رجا رسانید:

کر توبه مددکار کنهکار نبودی اوراکه بسر حد کرم راه نمودی
ورتوبه نبودی که در فیض کثودی زنک غم از آینه عاصی که زدودی
قال بعض الکبار: قال الله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ ولم يقل ولولا فضل
عبادتکم وصلاتکم وجهادکم وحسن قیامکم بأمر الله ﴿مَا زَكَّيْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ۲۱]
لنعلم أن العبادات وإن كثرت فإنها من نتائج الفضل.

چورویی بخدمت نهی برزمین خدارا ثنا کوی وخودرا مبین
اللهم اجعلنا من أهل الفضل والعطاء والمحبة والولاء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ
مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ أي ما بلغ مما يكون من الكذب والافتراء: وبالفارسية
[بدرستی آنانکه آورده اند دروغ برك در شان عائشه] وأصله الإفك وهو القلب، أي: الصرف
لأنه مأفوك عن وجهه وسننه والمراد به ما أفك على عائشة رضي الله عنها وذلك أن عائشة
كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الأمانة والعفة والشرف فمن رماها بالسوء قلب الأمر من
وجهه. روي: أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيهن خرجت قرعتها
استصحابها والقرعة بالضم طينة أو عجينة مدورة مثلاً يدرج فيها رقعة يكتب فيها السفر
والحضر ثم تسلم إلى الصبي يعطي كل امرأة واحدة منهن كذا في القهستاني في القسم فلما كان
غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة من الهجرة وهي غزوة المريسيع كما في «إنسان العيون»
خرج سهمها وبني المصطلق بطن من خزاعة وهم غزوة بنو خزيمة والمصطلق من الصلق وهو
رفع الصوت والمريسيع اسم ماء من مياه خزاعة مأخوذ من قولهم وسعت عين الرجل إذا دمعت
من فساد وذلك الماء في ناحية قديد.

قال في «القاموس»: المريسيع بئر أو ماء وإليه تضاف غزوة بني المصطلق انتهى فخرجت
عائشة معه عليه السلام وكان بعد نزول آية الحجاب وهو قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَكَ أَهْمُؤُا لَا
تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ۵۳] الآية لأنه كان ذلك سنة ثلاث من الهجرة قالت: فحملت في
هودج فسرنا فلما دنونا من المدينة قافلين أي راجعين نزلنا منزلاً ثم نزلت من الرحل فقامت
ومشيت لقضاء الحاجة حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست
صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار كقطام وهي بلد باليمن قرب صنعاء إليه نسبة الجزع وهو
بالفتح وسكون الزاي المعجمة الخرز اليماني فيه سواد وبياض يشبه به الأعين كما في
«القاموس» كان يساوي اثني عشر درهماً قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه وأقبل
الرهط الذين كانوا يرحلون بي بتخفيف الحاء أي يجعلون هودجها على الرحل وهو أبو مويهبة
مولي رسول الله ﷺ وكان رجلاً صالحاً مع جماعة معه فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم
يحسبون أنني فيه بخفتي وكان النساء إذ ذاك خفافاً لقلة أكلهن أي لأن السمن وكثرة اللحم غالباً
تشأ عن كثرة الأكل كما في «إنسان العيون» فلم يستنكروا خفة الهودج حين رفعوه وذهبوا
بالبعير فوجدت عقدي فجئت منازلهم وليس فيها أحد وأقمت بمنزلي الذي كنت فيه وظننت

أنهم سيفقدونني فيرجعون في طلبي، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي خلف الجيش.

قال القرطبي: وكان صاحب ساقفة رسول الله ﷺ لشجاعته وكان من خيار الصحابة انتهى كان يسوق الجيش ويلتقط ما يسقط من المتاع كما في الإنسان فأصبح عند منزلي فرأى سواداً أي شخص إنسان فأتاني فعرفني فاستيقظت باسترجاعه أي بقوله إنا لله وإنا إليه راجعون أي لأن تخلف أم المؤمنين عن الرفقة في مضيق مصيبة أي مصيبة فخرت وجهي في جلبابي وهو ثوب أقصر من الخمار ويقال له المقنعة تغطي به المرأة رأسها والله ما تكلمت بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه أي لأنه استعمل الصمت أدباً وهوى حتى أناخ راحلته فقامت إليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش في بحر الظهيرة أي وسطها وهو بلوغ الشمس منتهاها من الارتفاع وهم نازلون.

وبهذه الواقعة استدل بعض الفقهاء على أنه يجوز الخلوة بالمرأة الأجنبية إذا وجدها منقطعة بيرية أو نحوها بل يجب استصحابها إذا خاف عليها لو تركها.

وفي «معاني الآثار» للطحاوي: قال أبو حنيفة وكان الناس لعائشة محرماً فمع أيهم سافرت فقد سافرت مع محرم وليس غيرها من النساء كذلك انتهى.

يقول الفقير: لعل مراد الإمام رحمه الله تعالى أن أزواج النبي ﷺ وإن كان كلهن محارم للأمة لأنه تعالى قال: ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] وحرم عليهم نكاحهن كما قال: ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَكُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] إلا أن عائشة كانت أفضل نسائه بعد خديجة وأقربهن منه من حيث خلافتها عنه في باب الدين ولذا قال: «خذوا ثلثي دينكم عن عائشة» فتأكدت الحرمة من هذه الجهة إذ لا بد لأخذ الدين من الاستصحاب للسفر والحضر والله أعلم، قالت: فلما نزلنا هلك في من هلك بقول البهتان والأفتراء وكان أول من أشاعه في المعسكر عبد الله بن أبي ابن سلول رئيس المنافقين فإنه كان ينزل مع جماعة المنافقين متبعدين من الناس فمرت عليهم فقال: من هذه؟ قالوا: عائشة وصفوان فقال: فجر بها ورب الكعبة فأفشوه وخاض أهل المعسكر فيه فجعل يرويه بعضهم عن بعض ويحدث به بعضهم بعضاً قالت: فقدما المدينة فاشتكت أي مرضت حين قدمت شهراً ووصل الخبر إلى رسول الله وإلى أبوي ولا أشعر بشيء من ذلك غير أنه يرييني أن لا أعرف من رسول الله العطف الذي كنت أرى منه حين اشتكت فلما رأيت ذلك قلت: يا رسول الله لو أذنت لي فأنقلب إلى أبوي يمرضاني والتمريض القيام على المريض في مرضه قال: لا بأس فأنقلبت إلى بيت أبوي وكنت فيه إلى أن برئت من مرضي بعد بضع وعشرين ليلة فخرجت في بعض الليالي ومعني أم مسطح كمنبر وهي بنت خالة أبي بكر رضي الله عنه قبل المناصب وهي مواضع يتخلى فيها لبول أو حاجة ولا يخرج إليها إلا ليلاً وكان عادة أهل المدينة حينئذ أنهم كانوا لا يتخذون الكنيف في بيوتهم كالأعاجم بل يذهبون إلى محل متسع قالت فلما فرغنا من شأننا وأقبلنا إلى البيت عثرت أم مسطح في مرطها وهو كساء من صوف أو خز كان يؤترز به فقالت: تعس مسطح بفتح العين وكسرهما أي هلك تعني ولدها والمسطح في الأصل عمود الخيمة واسمه عوف فقلت لها: أتسبين رجلاً قد شهد بداراً فقالت: أو لم تسمعي ما قال قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً على مرض أي عاودني المرض وازددت عليه وبكيت تلك الليلة حتى

أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي.

چشمم ذكره برسر آبست روز شب جانم زناله درتب وتابست روز شب
فاستشار رسول الله في حقي فأشار بعضهم بالفرقة وبعضهم بالصبر وقد لبث شهراً لا
يوحى إليه في شأني بشيء فقام وأقبل حتى دخل عليّ وعندي أبوي ثم جلس فتشهد ثم قال:
«أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا فإن كنت بريئة فيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب
فاستغفري الله وتوبي فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب الله تاب إلى الله عليه» فلما قضى
رسول الله كلامه قلص دمعني أي ارتفع حتى ما أحس منه بقطرة فقلت لأبي: أجب عني
رسول الله فيما قال، قال: والله لا أدري ما أقول لرسول الله فقلت لأمي أجيبني عني رسول الله
قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله فقلت: لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في
نفوسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم
أنني بريئة منه لتصدقوني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا ما قال أبو يوسف أي يعقوب: ﴿فَصَبَّرْ
جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

صبري كنيم تاكرم أوجه ميکنند

قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله حينئذ أعلم أنني بريئة والله مبرئي
ببراءة ولكني والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ولشأني كان أحقر في نفسي من أن
يتكلم في بأمر يتلى ولكني كنت أرجو أن يرى النبي عليه السلام رؤيا يبرئني الله بها قالت:
فوالله ما قام رسول الله عن مجلسه ولا خرج من البيت حتى أخذه ما كان يأخذه عند نزول
الوحي أي من شدة الكرب فسجى أي غطي بثوب ووضعت له وسادة من آدم تحت رأسه وكان
ينحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الثاني من ثقل القول الذي أنزل عليه والجمان
حبوب مدرجة تجعل من الفضة أمثال اللؤلؤ فلما سرى عنه وهو يضحك ويمسح العرق من
وجهه الكريم كان أول كلمة تكلم بها «أبشري يا عائشة أما إن الله قد برأك». فقالت أُمي: قومي
إليه فقلت: والله لا أحمد إلا الله فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ الآيات.

قال السهيلي: كان نزول براءة عائشة بعد قدومهم المدينة من الغزوة المذكورة لسبع
وثلاثين ليلة في قول المفسرين فمن نسبها إلى الزنى كغلاة الرافضة كان كافراً لأن في ذلك
تكديماً للنصوص القرآنية ومكذبها كافر.

وفي «حياة الحيوان»: عن عائشة رضي الله عنها لما تكلم الناس بالإفك رأيت في منامي
فتى فقال لي: ما لك؟ قلت: حزينه مما ذكر الناس فقال: ادعى بكلمات يفرج الله عنك قلت:
وما هي؟ قال: قل لي: يا سايب النعم ويا دافع النقم ويا فارغ الغم ويا كاشف الظلم ويا عادل
من حكم ويا حسيب من ظلم ويا أول بلا بداية ويا آخر بلا نهاية اجعل لي من أمري فرجاً
ومخرجاً قالت: فانتبهت وقلت ذلك وقد أنزل الله فرجي.

قال بعضهم: برأ الله أربعة بأربعة يوسف بشاهد من أهل زليخا وموسى من قول اليهود
فيه أن له أدرة بالحجر الذي فر بثوبه ومريم بإنطاق ولدها وعائشة بهذه الآيات وبعد نزولها
خرج عليه السلام إلى الناس وخطبهم وتلاها عليهم وأمر بجلد أصحاب الإفك ثمانين جلدة.
وعن عائشة أن عبد الله بن أبي جلد مائة وستين أي حدين قال عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما وهكذا يفعل لكل من قذف زوجة نبي أي يجوز أن يفعل به ذلك.

وفي «الخصائص الصغرى»: من قذف أزواجه عليه السلام فلا توبة له البتة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ويقتل كما نقله القاضي وغيره وقيل: يختص القتل بمن قذف عائشة ويحد في غيرها حدّين كذا في «إنسان العيون».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم تبغ امرأة نبي قط وأما قوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحریم: ١٠] فالمراد آذاتهما قالت امرأة نوح في حقه أنه لمجنون وامرأة لوط دلت على أضيافه وإنما جاز أن تكون امرأة النبي كإفراة نوح ولوط ولم يجز أن تكون زانية لأن النبي مبعوث إلى الكفار ليدعوهم إلى الدين وإلى قبول ما قاله من الأحكام والثواب والعقاب وهذا المقصود لا يحصل إذا كان في الأنبياء ما ينفر الكفرة عنهم والكفر ليس مما ينفر عندهم بخلاف الفجور فإنه من أعظم المنفرات.

وعن «كتاب الإشارات»: للفخر الرازي رحمه الله أنه عليه السلام في تلك الأيام التي تكلم فيها بالإفك كان أكثر أوقاته في البيت فدخل عليه عمر فاستشاره في تلك الواقعة فقال: يا رسول الله أنا أقطع بكذب المنافقين وأخذت براءة عائشة من أن الذباب لا يقرب بدنك فإذا كان الله صان بدنك أن يخالطه الذباب لمخالطته القاذورات فكيف بأهلك ودخل عليه عثمان فاستشاره فقال: يا رسول الله أخذت براءة عائشة من ظلك لأنني رأيت الله صان ظلك أن يقع على الأرض أي لأن ظل شخصه الشريف كان لا يظهر في شمس ولا قمر لئلا يوطأ بالأقدام فإذا صان الله ظلك فكيف بأهلك ودخل عليّ فاستشاره فقال: يا رسول الله أخذت براءة عائشة من شيء هو أنا صليتنا خلفك وأنت تصلي بنعليك ثم أنك خلعت إحدى نعليك فقلنا: ليكون ذلك سنة لنا فقلت: «لا إن جبريل قال: إن في تلك النعل نجاسة» فإذا كان لا تكون النجاسة بنعليك فكيف بأهلك فسرّ عليه السلام بذلك فصدقهم الله فيما قالوا وفضح أصحاب الإفك بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإَفْكِ عَصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ خبر إن والعصبة والعصابة جماعة من العشرة إلى الأربعين والمراد هنا عبد الله بن أبي وزيد بن رفاعة ومسطح بن أثانة وحمنة بنت جحش ومن ساعدتهم واختلفوا في حسان بن ثابت والذي يدل على براءته ما نسب إليه في أبيات مدح بها عائشة رضي الله عنها منها:

مهذبة قد طيب الله خيمها	وطهرها من كل سوء وباطل
فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتمو	فلا رفعت سوطي إليّ أنا ملي
وكيف وودّي ما حييت ونصرتي	لآل رسول الله زين المحافل

كما في «إنسان العيون».

قال الإمام السهيلي في «كتاب التعريف والإعلام»: قد قيل إن حسان لم يكن فيهم أي في الذين جاؤوا بالإفك فمن قال إنه كان فيهم أنشد البيت المروي حين جلدوا الحدّ. لقد ذاق حسان الذي كان أهله وحمنة إذ قالوا لهجر ومسطح ومن برأه الإفك قال إنما الرواية في البيت.

لقد ذاق عبد الله ما كان أهله

انتهى: ومعنى الآية أن الذين أتوا الكتاب في أمر عائشة جماعة كائنة منكم في كونهم موصوفين بالإيمان وعبد الله أيضاً كان من جملة من حكم له بالإيمان ظاهراً وإن كان رئيس المنافقين خفية ﴿لا تحسبوه شراً لكم﴾ الخطاب لرسول الله وأبي بكر وعائشة وصفوان ولمن

سواء ذلك من المؤمنين تسليّة لهم من أول الأمر والضمير للإفك ﴿بل هو خير لكم﴾ لاكتسابكم الثواب العظيم لأنه بلاء مبين ومحنة ظاهرة وظهور كرامتكم على الله بإنزال ثمانى عشرة آية في نزاهة ساحتكم وتعظيم شأنكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظنّ بكم خيراً ﴿لكل امرئ منهم﴾ أي: من أولئك العصابة والامرؤ الإنسان والرجل كالمراء والألف للوصل. ﴿ما اكتسب من الإثم﴾ بقدر ما خاض فيه لأن بعضهم تكلم بالإفك وبعضهم ضحك وبعضهم سكت ولم ينههم.

قال في «التأويلات»: على حسب سعايتهم وفساد ظنهم وهتك حرمة حرم نبيهم انتهى الإثم الذنب. ﴿والذي تولى كبره﴾ أي: تحمل معظم الإفك.

قال في «المفردات»: فيه تنبيه على أن كل من سنّ سنة قبيحة يصير مقتدى به فذنبه أكبر ﴿منهم﴾ من العصابة وهو ابن أبي فإنه بدأ به وأذاعه بين الناس عداوة لرسول الله كما سبق. ﴿له عذاب عظيم﴾ أي لعبد الله نوع من العذاب العظيم المه لأن معظم الشر كان منه فلما كان مبتدئاً بذلك القول لا جرم حصل له من العقاب مثل ما حصل لكل من قال ذلك لقوله عليه السلام «من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿له عذاب عظيم﴾ يؤاخذ بجرمه وهو خسارة الدنيا والآخرة ثم أورد الحديث المذكور.

هركه بنهد سنتي بداي فتى تادر افتد بعدد أو خلق ازعمى

جمع كردد بروى آن جمله بزه كو سرى بودست وايشان دم غزه

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ (٢٤)

﴿لولا﴾ تحضيضية بمعنى هلا. وبالفارسية [چرا] ومعناها إذا دخلت على الماضي التوبيخ واللوم على ترك الفعل إذا لا يتصور الطلب في الماضي وإذا دخلت على المضارع فمعناها الحض على الفعل والطلب له فهي في المضارع بمعنى الأمر. ﴿إذ سمعتموه﴾ أيها الخائضون، أي: الشارعون في القول الباطل ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً﴾ عدول إلى الغيبة لتأكيد التوبيخ فإن مقتضى الإيمان الظن بالمؤمن خيراً وذبح الطاعنين فيه فمن ترك هذا الظن والذب فقد ترك العمل بمقتضى الإيمان والمراد بأنفسهم أبناء جنسهم النازلون منزلة أنفسهم كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] فإن المراد لا يعيب بعضكم بعضاً فإن المؤمنين كنفس واحدة إذ كان الواجب أن يظن المؤمنون والمؤمنات أول ما سمعوه ممن اخترع بالذات أو بالواسطة من غير تلثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيراً. ﴿وقالوا﴾ في ذلك الآن ﴿هذا﴾ [ابن سخن] ﴿إفك مبين﴾ أي: ظاهر مكشوف كونه إفكاً فكيف بالصديقة بنت الصديق أم المؤمنين حرم رسول الله. يعني: حق سبحانه [أزواج پیغمبر نگاه میدارد از مثل این حالها بتعظیم و تکریم ایشان].

﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ (٢٥)

فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَكُ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٦)

﴿لولا جاؤوا﴾ [چرا نیاوردند]. ﴿عليه﴾ [برین سخن را] ﴿بأربعة شهداء﴾ أي: هلا

جاء الخائضون بأربعة شهداء يشهدون على ما قالوا وهو إما من تمام القول أو ابتداء كلام

من الله. ﴿فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ﴾ الأربعة ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ المفسدون ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ في حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة. ﴿هُمْ الْكَاذِبُونَ﴾ الكاملون في الكذب المشهود عليه بذلك المستحقون لإطلاق الاسم عليه دون غيرهم.

قال الكاشفي: [إيشانند دروغ كويان در ظاهر وباطن چه اكر كواه آوردندی در ظاهر حكم كاذب نبودندی اما در باطن كاذب بودندی زیراكه اين صورت بر ازدواج انبيا ممتنع است و چون كواه نیاوردند در ظاهر اين كار نیز كاذبند].

قال القرطبي وقد يعجز الرجل عن إقامة البينة وهو صادق في قذفه ولكنه في حكم الشرع وظاهر الأمر كاذب لا في علم الله وهو سبحانه إنما رتب الحدود على حكمه الذي شرعه في الدنيا لا على مقتضى علمه الذي تعلق بالإنسان على ما هو عليه وأجمع العلماء على أن أحكام الدنيا على الظاهر وأن السرائر إلى الله. ﴿وَلَوْلَا﴾ امتناعية، أي لامتناع الشيء لوجود غيره. ﴿فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ﴾ خطاب للسامعين والمسلمين جميعاً ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ من فنون النعم التي من جملتها الإمهال بالتوبة ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ من ضروب الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة المقدران لكم ﴿لِمَسْكَمٍ﴾ عاجلاً. يعني [هر آينه بر سيدي شمارا] ﴿فِيْمَا أَفْضَيْتُمْ فِيهِ﴾ أي: بسبب ما خضتم فيه من حديث الإفك. ﴿عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ يستحقرونه التوبيخ والجلد.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾
﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾ بحذف إحدى التائين للمس أي لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكهم إياه من المخترعين. ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ يأخذه بعضكم من بعض وذلك أن الرجل منهم يلقي الرجل فيقول له: ما وراءك فيحدثه بحديث الإفك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا دار الإطار فيه يقال تلقى الكلام من فلان وتلقته وتلقفه ولقفه إذا أخذه من لفظه وفهمه.

وفي «الإرشاد»: التلقي والتلقف والتلقن معان متقاربة خلا أن في الأول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف والأخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذق والمهارة. ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ معنى بأفواهكم مع أن القول لا يكون إلا بالفم هو أن الإخبار بالشيء يجب أن تستقر صورته في القلب أولاً ثم يجري على اللسان وهذا الإفك ليس إلا قول لا يجري على الألسنة من غير علم به في القلب وهو حرام لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] والمعنى وتقولون قولاً مختصاً بالأفواه من غير أن يكون له مصداق ومنشأ في القلوب لأنه ليس بتعبير عن علم به في قلوبكم. ﴿وتحسبونه هيناً﴾ سهلاً لا تبعه له، وهي بالفارسية [عاقبة به].

أو ليس له كثير عقوبة. ﴿وهو عند الله﴾ والحال أنه عنده تعالى ﴿عظيم﴾ في الوزر واستجرار العذاب وعن بعضهم أنه جزع عند الموت فقليل له فقال: أخاف ذنباً لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك نكير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نكير، وقال عبد الله بن المبارك: ما أرى هذه الآية نزلت إلا فيمن اعتاد الدعاوى العظيمة ويجترأ على ربه في الإخبار عن أحوال الأنبياء والأكابر ولا يمنعه عن ذلك هيبة ربه ولا حياؤه.

وقال الترمذي: من تهاون بما يجري عليه من الدعاوى فقد صغر ما عظمه الله إن الله تعالى يقول: ﴿وتحسبونه﴾ الخ.

اگر مردی از مردی خود مکوی نه هر شهواری بدر برد کوی
﴿ولولا﴾ [چرا] ﴿إذ سمعتموه﴾ من المخترعين والتابعين لهم ﴿قلتم﴾ تكذيباً لهم
وتهويلاً لما ارتكبوه. ﴿ما يكون لنا﴾ ما يمكننا. ﴿أن نتكلم بهذا﴾ القول وما يصدر عنا ذلك
بوجه من الوجوه وحاصله نفی وجود التكلم به لا نفی وجوده على وجه الصحة والاستقامة.
﴿سبحانك﴾ تعجب ممن تفوه به وأصله أن يذكر عند معاينة العجب من صنائعه تنزيهاً له
سبحانه من أن يعصب عليه أمثاله ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو تنزيه له تعالى من
أن يكون حرم نبيه فاجرة فإن فجورها تنفير للناس عنه ومخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها
كما سبق. وبالفارسية: [پاکست خدای تعالی از آنکه در حرم محترم پیغمبر قدح تواند کرد]
﴿هذا﴾ الإفك الذي لا يصح لأحد أن يتكلم به. ﴿بهتان عظيم﴾ مصدر بهت، أي قال عليه ما
لم يفعل أي كذب عظيم عند الله التقاول به كما في «التأويلات النجمية» أو يبهت ويتحير من
عظمته لعظمة المبهوت عليه أي الشخص الذي يبهت عليه أي يقال عليه ما لم يفعل فإن حقارة
الذنوب وعظمتها كما تكون باعتبار مصادرها كما قال أبو سعيد الخراز قدس سره «حسنات
الأبرار سيئات المقربين» كذا تكون باعتبار متعلقاتها.

﴿يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَبَيَّنَ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ﴾

﴿يعظكم الله﴾ الوعظ النصيح والتذكير بالعواقب أي ينصحكم أيها الخائضون في أمر
عائشة. ﴿أن تعودوا لمثله﴾ كراهة أن تعودوا لمثل هذا الخوض والقول. ﴿أبدًا﴾ أي مدة
حياتكم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بالله وبرسوله واليوم الآخر فإن الإيمان يمنع عنه.
وفيه إشارة إلى أن العود إلى مثل هذا يخرجهم من الإيمان.
قال في «الكبير»: يدخل في هذا من قال ومن سمع ولم ينكر لاستوائهما في فعل ما لا
يجوز وإن كان المقدم أعظم ذنباً.

﴿وبين الله لكم الآيات﴾ الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتتعظوا
وتتأدبوا بها أي ينزلها مبينة ظاهرة الدلالة على معانيها لا أنه يبينها بعد أن لم تكن كذلك.
﴿والله عليم﴾ بأحوال جميع مخلوقاته جلائلها ودقائقها. ﴿حكيم﴾ في جميع تدابير وأفعاله
فأني يمكن صدق ما قيل في حق حرمة من اصطفاه لرسالته وبعثه إلى كافة الخلق ليرشداهم إلى
الحق ويزكيهم ويطهرهم ويطهروا.

وقال الكاشفي: [وخدای تعالی داناست بطهارت ذیل عائشة حکم کتنده بیراثت ذمت او
از عیب وعار].

تاکریبان دامنش پاکست از لوت خطا وزمذمت عیب جو آلوده از سر تابیا
وجه زیبا گفته است.

کرا رسد که کند عیب دامن پاکت که همچو قطره که بر برك کل چکدپاکی
وفي «التأويلات النجمية»: إن الله تعالى لا يجري على خواص عباده إلا ما يكون سبباً

لحقيقة اللطف وإن كان في صورة القهر تأديباً وتهذيباً وموجباً لرفعة درجاتهم وزيادة في قرابتهم وأن قصة الإفك وإن كانت في صورة القهر كانت في حق النبي عليه السلام وفي حق عائشة وأبويها وجميع الصحابة ابتلاء وامتحاناً لهم وتربية فإن البلاء للولاء كالهلب للذهب كما قال عليه السلام «إن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأئمة فالأئمة»، وقال عليه السلام: «يبتلى الرجل على قدر دينه» فإن الله غيور على قلوب خواص عباده المحبوبين فإذا حصلت مساكنة بعضهم إلى بعض يجري الله تعالى ما يرد كل واحد منهم عن صاحبه ويرده إلى حضرته وأن النبي عليه السلام لما قيل له: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة فساكنها» وقال: «يا عائشة حبك في قلبي كالعقدة» وفي بعض الأخبار أن عائشة قالت: يا رسول الله إنني أحبك وأحب قريبك فأجرى الله تعالى حديث الإفك حتى رد رسول الله قلبه عنها إلى الله بانحلال عقدة حبها عن قلبه وردت عائشة قلبها عنه إلى الله حيث قالت لما ظهرت براءة ساحتها: نحمد الله لا نحمدك فكشف الله غيابة تلك المحبة وأزال الشك وأظهر براءة ساحتها حين أدبهم وهذبهم وقربهم وزاد في رفعة درجاتهم وقرباتهم.

قال في «الحكم العطائية وشرحها»: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة عنها لما نزلت براءتها من الإفك على لسان رسول الله عليه السلام: يا عائشة اشكري رسول الله نصراً منه لوجه الكمال لها فقالت: «لا والله لا أشكر» إلا الله رجوعاً منها إلى أصل التوحيد إذ لم يسع غيره في تلك الحال قلبها دلها أبو بكر في ذلك على المقال الأكمل عند الصحو وهو مقام البقاء بالله المقتضى لإثبات الآثار وعمارة الدارين التزاماً لحق الحكم والحكمة وقد قال تعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ﴾ [لقمان: ١٤] فقرن شكرهما بشكره إذ هما أصل وجودك المجازي كما أن أصل وجودك الحقيقي فضله وكرمه فله حقيقة الشكر كما له حقيقة النعمة ولغيره مجازه كما لغيره مجازها وقال عليه السلام: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» فجعل شكر الناس شرطاً في صحة شكره تعالى أو جعل ثواب الله على الشكر لا يتوجه إلا لمن شكر عباده وكانت هي يعني عائشة في ذلك الوقت لا في عموم أوقاتها مصطلمة أي مأخوذة عن شاهدها فلم يكن لها شعور بغير ربها غائبة عن الآثار لما استولى عليها من سلطان الفرح لمنة المولى عليها فلم تشهد إلا الواحد القهار من غير اعتبار لغيره وهذا هو أكمل المقامات في حالها وهو مقام أبينا إبراهيم عليه السلام إذ قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي والله المسؤول في إتمام النعمة وحفظ الحرمة والثبات لمرادات الحق بالآداب اللائقة بها وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ثم قال في «التأويلات النجمية»: الطريق إلى الله طريقان طريق أهل السلامة وطريق أهل الملامة فطريق أهل السلامة ينتهي إلى الجنة ودرجاتها لأنهم محبسون في حبس وجودهم وطريق أهل الملامة ينتهي إلى الله تعالى لأن الملامة مفتاح باب حبس الوجود وبها يذوب الوجود ذوبان الثلج بالشمس فعلى قدر ذوبان الوجود يكون الوصول إلى الله تعالى فأكرم الله تعالى عائشة بكرامة الملامة ليخرجها بها من حبس الوجود بالسلامة وهذا يدل على ولايتها لأن الله تعالى إذا تولى عبداً يخرجهم من ظلمات وجوده المخلوقة إلى نور القدم كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] انتهى. قال الحافظ قدس سره:

وفاكنيم وملامت كشيم وخوش باشيم كه در طريقت ما كافر يست رنجيدن

وقال الجامي قدس سره:

عشق درهر دل که سازد بهر وردت خانه اول از سنک ملامت افکند بنیاد او

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٨﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ .

﴿إن الذين﴾ هم ابن ابی ومن تبعه في حديث الإفك ﴿يحبون﴾ يريدون ﴿أن تشيع الفاحشة﴾ تنشر وتظهر والفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال والمراد هنا الزنى أي خبره ﴿في الذين آمنوا﴾ أخلصوا الإيمان ﴿لهم﴾ بسبب ذلك ﴿عذاب أليم﴾ نوع من العذاب متفاقم ألمه ﴿في الدنيا﴾ كالحد ونحوه ﴿والآخرة﴾ كالنار وما يلحق بها .

قال ابن الشيخ ليس معناه مجرد وصفهم بأنهم يحبون شيوعها في حق الذين آمنوا من غير أن يشيعوا ويظهروا فإن ذلك القدر لا يوجب الحد في الدنيا بل المعنى أن الذين يشيعون الفاحشة والزنى في الذين آمنوا كصفوان وعائشة عن قصد ومجبة لإشاعتها .

وفي «الإرشاد»: يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لإشاعتها وإنما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فإنها مستتبعة له لا محالة وفي الذين آمنوا متعلق بتشيع أي تشيع فيما بين الناس وذكر المؤمنين لأنهم العمدة فيهم أو بمضمهر هو حال من الفاحشة فالموصول عبارة عن المؤمنين خاصة أي يحبون أن تشيع الفاحشة كائنة في حق المؤمنين وفي شأنهم ﴿والله يعلم﴾ جميع الأمور وخصوصاً ما في ضماير من حب الإشاعة . ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ فابنوا الأمر في الحد ونحوه على الظواهر والله يتولى السرائر .

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم﴾ جواب لولا محذوف أي لولا فضله وإنعامه عليكم وأنه بليغ الرأفة والرحمة بكم بالعقاب على ما صدر منكم وفي الآيتين إشارات:

منها: أن أهل الإفك كما يعاقبون على الإظهار يعاقبون بأسرار محبة الإشاعة فدل على وجوب سلامة القلب للمؤمنين كوجوب كف الجوارح والقول عما يضرهم وفي الحديث: «إني لأعرف قوماً يضربون صدورهم ضرباً يسمعه أهل النار وهم الهمازون الذين يلمسون عورات المسلمين ويهتكون ستورهم ويشيعون لهم الفواحش»، وفي الحديث: «أيا رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها بريء يرى أن يشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله أن يرميه بها في النار» كما في «الكبير» فالصنيع الذي ذكر من أهل الإفك ليس من صنيع أهل الإيمان فإن من صنيع أهل الإيمان ما قال عليه السلام: «المؤمن للمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضاً» وقال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كنفس واحدة إذا اشتكى منها عضو تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر» .

بني آدم اعضای یکد یکنند که در آفرینش زیك کوهرنند

چو عضوی بدر دآورد و زکار دکر عضوها را نماند قرار

توکز محنت دیکران بی غمی نشاید که نامت نهند آدمی

فمن أركان الدين مظاهرة المسلمين وإعانة أهل الدين وإرادة الخير بكافة المؤمنين والذي يود الفتنة وافتضاح الناس فهو شر الخلق كالخناس .

ومنها أن ترك المعاجلة بالعذاب تعريض للتوبة فدل على أن عذاب الآخرة إنما هو على تقدير الإصرار وعليه يحمل قوله عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة حد الله الذين شتموا عائشة ثمانين على رؤوس الخلائق فيستوهب لي المهاجرين منهم وأستأمرك يا عائشة».

قال الراوي فلما سمعت عائشة وكانت في البيت بكت وقالت: «والذي بعثك بالحق نبياً لسرورك أحب إلي من سروري» فتبسم رسول الله ضاحكاً وقال: «ابنة صديق».

ومنها غاية كرم الله ورحمته وفضله على عباده حيث يتفضل عليهم ويرحمهم ويزكيهم عن أوصافهم الذميمة مع استحقاقهم العذاب الأليم في الدنيا والآخرة فإنه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب ولو كان العذاب لكان من جهتهم بسوء اختيارهم عصمنا الله وإياكم من الأوصاف الذميمة الموجبة للعذاب الأليم وشرفنا بالأخلاق الحميدة الباعثة على الدرجات والتنعمات في دار النعيم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢١).

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ جمع خطوة بضم الخاء وهي ما بين القدمين أي ما بين رجلي الخاطي وبالفتح المرة الواحدة من الخطو ثم استعمل اتباع الخطوات في الاقتداء وإن لم يكن ثمة خطو يقال: اتبع خطوات فلان ومشى على عقبه إذا استن بسنته والمراد هنا سيرة الشيطان وطريقته.

والمعنى لا تسلكوا الطرق التي يدعوكم إليها الشيطان ويوسوس بها في قلوبكم ويزينها لأعينكم ومن جملتها إشاعة الفاحشة وحبها ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان﴾ فقد ارتكب الفحشاء والمنكر فقلوه: ﴿فإنه﴾ أي: الشيطان ﴿يأمر بالفحشاء والمنكر﴾ علة للجزاء وضعت موضعه والفحشاء والفاحشة ما عظم قبحه عرفاً وعقلاً سواء كان فعلاً أو قولاً والمنكر ما ينكره الشرع. وقال أبو الليث: المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة.

وفي «المفردات»: المنكر كل شيء تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو تتوقف في استقباحه العقول وتحكم بقبحه الشريعة واستعير الأمر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تحقيراً لشأنهم ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ بهذه البيانات والتوفيق للتوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ﴿ما زكى﴾ ما طهر من دنس الذنوب. ﴿منكم من أحد﴾ من الأولى بيانية والثانية زائدة واحد في حيز الرفع على الفاعلية. ﴿أبدأ﴾ آخر الدهر لا إلى نهاية. ﴿ولكن الله يزكي﴾ يطهر ﴿من يشاء﴾ من عباده بإفاضة آثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم.

وفيه حجة على القدرية فإنهم زعموا أن طهارة النفوس بالطاعات والعبادات من غير توفيق من الله. ﴿والله سميع﴾ مبالغ في سمع الأقوال التي من جملتها ما قالوه من حديث الإفك وما أظهروه من التوبة منه ﴿عليم﴾ بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الإخلاص في التوبة.

كر نباشد نيت خالص چه حاصل از عمل

وفي الآية أمور:

منها: أن خطوات الشيطان كثيرة وهي جملة ما يطلق عليه الفحشاء والمنكر ومن جملته القذف والشتيم والكذب وتفتيش عيوب الناس وفي الحديث: «كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو ذكر الله تعالى» وفي الحديث: «كثرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له كاذب» وفي الحديث: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس» وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة وجانب أهل الجهل والمعصية.

وعن بعضهم خطوات الشيطان النذور في معصية الله كما في «تفسير أبي الليث» فيخرج منها النذور في طاعة الله كالصلاة والصوم ونحوهما مما ينهي عن الفحشاء والمنكر فضلاً عن كونه فحشاء أو منكرأ.

ومنها: أن أمر التزكية إنما هو إلى الله فإنه بفضلته ورحمته وفق العبد للطاعات والأسباب ولكن لا بد للعبد من أستاذ يتعلم منه كيفية التزكية على مراد الله تعالى وأعظم الوسائل هو النبي عليه السلام ثم من أرشده إلى الله تعالى.

قال شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري قدس سره: مشايخي في علم الحديث وعلم الشريعة كثيرة وأما شياخي في الطريقة فالشيخ أبو الحسن الخرقاني فلولا رأيته ما عرفت الحقيقة فأهل الإرشاد هداة طريق الدين ومفاتيح أبواب اليقين فوجود الإنسان الكامل غنيمة ومجالسته نعمة عظيمة.

زمن أي دوست أين يك پند بهذیر بروفتراک صاحب دولتی کیر
که قطره تا صدف را درنیابد نکردد کوهر روشن نتابند

ثم إن التزكية الحقيقية تطهر القلب عن تعلقات الأغيار بعد تطهيره عن الميل إلى المعاصي والأوزار وقوله: ﴿من يشاء﴾ إنما هو لأن كل أحد ليس بأهل للتزكية كالمناقضين وأهل الرين والرعونة.

ومنها: الإشارة إلى مغفرة من خاض في حديث الإفك من أهل بدر كمسطح ويدل عليها الاعتناء بشأنه في الآية الآتية وقد ثبت أن الله اطلع على أهل بدر يعني نظر إليهم بنظر الرحمة والمغفرة فقال: (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) والمراد به اظهار العناية بهم واعلاء رتبهم لا الترخيص لهم في كل فعل كما يقال للمحبوب اصنع ما شئت.

وفي «المقاصد الحسنة»: كأنك من أهل بدر هو كلام يقال لمن يتسامح أو يتساهل والله المسؤول في قبول التوبة عن كل حوبة.

﴿وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

﴿ولا يأتل﴾ من الاثلاء وهو القسم. وبالفارسية: [سوکند خوردن] كما في «تاج المصادر» من الألية بمعنى اليمين أي لا يخلف نزل في شأن الصديق رضي الله عنه حين حلف أن يقطع نفقته عن مسطح ابن خالته لخوضه في عائشة رضي الله عنها وكان فقيراً بديراً مهاجراً ينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه. ﴿أولو الفضل منكم﴾ ذوو الفضل في الدين والفضل الزيادة.

﴿والسعة﴾ في المال ﴿أن يؤتوا﴾ أي على أن لا يؤتوا شيئاً ولا يحسنوا بإسقاط الخافض وهو كثير شائع. ﴿أولي القربى﴾ ذوي القرابة ﴿والمساكين والمهاجرين في سبيل الله﴾ صفات لموصوف واحد أي ناساً جامعين لها لأن الكلام فيمن كان كذلك لأن مسطحاً قريب ومسكين ومهاجر جيء بها بطريق العطف تنبيهاً على أن كلاً منها علة مستقلة لاستحقاق الإيتاء ﴿وليعفوا﴾ عن ذنبهم ﴿وليصفحوا﴾ أي ليعرضوا عن لومهم.

قال الراغب الصفح ترك التشريب وهو أبلغ من العفو وقد يعفو الإنسان ولا يصفح ﴿ألا تحبون﴾ [أيأ دوست نمی دارید] ﴿أن يغفر الله لكم﴾ أي: بمقابلة عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم ﴿والله غفور رحيم﴾ مبالغ في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذه وكثرة ذنوب العباد الداعية إليها.

وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته كأنه قيل: ألا تحبون أن يغفر الله لكم فهذا من موجباته. روي: أنه عليه السلام قرأ هذه الآية على أبي بكر رضي الله عنه فقال: بلى أحب أن يغفر الله لي فرد إلى مسطح نفقته وكفر عن يمينه وقال: والله لا أنزعها أبداً. وفي «معجم الطبراني الكبير» أنه أضعف له النفقة التي كان يعطيه إياها قبل القذف أي أعطاه ضعف ما كان يعطيه قبل ذلك.

وفي الآية دليل على أن من حلف على أمر فرأى الحنث أفضل منه فله أن يحنث ويكفر عن يمينه ويكون له ثلاثة أجور أحدها ائتماره بأمر الله تعالى والثاني أجر بره وذلك في صلة قرابته والثالث أجر التكفير. ثم في الآية فوائد:

منها: أن العلماء استدلوا بها على فضل الصديق رضي الله عنه وشرفه من حيث نهاه مغاية ونص على فضله وذكره بلفظ الجمع للتعظيم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم لا يفعلوا كيت وكيت والمنكرون يحملون الفضل على فضل المال لكن لا يخفى أن يستفاد من قوله: ﴿والسعة﴾ فيلزم التكرير فثبت كونه أفضل الخلق بعد رسول الله عليه السلام.

قال في «إنسان العيون»: وصف الله تعالى الصديق بأولي الفضل موافق لوصفه عليه السلام بذلك فقد جاء أن علياً كرم الله وجهه دخل على النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه جالس عن يمين رسول الله فتنحى أبو بكر عن مكانه وأجلس علياً بينه وبين النبي عليه السلام فتهلل وجه النبي فرحاً وسروراً وقال: «لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أولو الفضل»: قال الحكيم سنابي:

بود چندان كرامت وفضلش كه أولو الفضل خواند ذو الفضلش
صورت و سیرتش همه جان بود زان ز چشم عوان پنهان بود
روز و شب سال و ماه درهمه كار ثاني اثنين اذ هما في الغار

ومنها: أنها كفت داعيه إلى المجاملة والإعراض عن مكافأة المسيء وترك الاشتغال بها وعن أنس رضي الله عنه: بينما رسول الله ﷺ جالس إذ ضحك حتى بدت نواجذه فقال عمر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي ما الذي أضحكك؟ قال: «رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما: خذ لي مظمتي من هذا فقال الله تعالى: رد على أخيك مظلمته فقال: يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال: يا رب فليحمل عني من أوزاري» ثم فاضت عينا رسول الله

بالبكاء فقال: «إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم أوزارهم» فقال: «فيقول الله تعالى للمتكلم: ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يا رب أرى مدائن من فضة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق أو لأي شهيد قال الله تعالى: لمن أعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ذلك قال الله تعالى: أنت تملكه قال: بماذا يا رب؟ قال الله تعالى: بعفوك عن أخيك قال: يا رب قد عفوت عنه قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة».

من كان يرجو عفو من فوقه فليعف عن ذنب الذي دونه
در عفو لذت‌یست که در انتقام نیست

ومنها: بيان تأديب الله للشيوخ والأكابر أن لا يهجرُوا صاحب الزلات وأهل العثرات من المريدين ويتخلقوا بخلق الله حيث يغفر الذنوب ولا يبالي وأعلمهم أن لا يكفوا إعطاءهم عنهم ويخبروهم ما وقع لهم من أحكام الغيب فإن من له استعداد لا يحتجب بالعوارض البشرية عن أحكام الطريقة أبداً والله المعين على كل حال ويده العفو عن سيئات الأعمال.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣٣)

﴿إن الذين يرمون﴾ قد سبق معنى الرمي في أوائل السورة. ﴿المحصنات﴾ العفاف مما رمين من الفاحشة والزنى ﴿الغافلات﴾ [بيخبران] عنها على الإطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شيء منها ولا من مقدماتها أصلاً ففيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس في المحصنات.

قال في «التعريفات»: الغفلة عن الشيء هي أن لا يخطر ذلك بباله ﴿المؤمنات﴾ أي: المتصفات بالإيمان بكل ما يجب أن يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها إيماناً حقيقياً تفصيلاً كما ينبئ عنه تأخير المؤمنات عما قبلها مع أصالة وصف الإيمان والمراد بها عائشة الصديقة رضي الله عنها والجمع باعتبار أن رميها رمي لسائر أمهات المؤمنين لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة والانتساب إلى رسول الله عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء: ١٠٥) ونظائره ﴿لعنوا﴾ بما قالوا في حقهن وهتكوا حرمتهم ﴿في الدنيا والآخرة﴾ حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملائكة أبداً. وبالفارسية [دور کرده شدند در دنیا از نام نیکو در آخرت از رحمت یعنی درین عالم مردود و ملعونند و دران سراى مبعوض و مطرود] وأصل اللعنة الطرد والإبعاد على سبيل السخط وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة وفي الدنيا انقطاع عن قبول فيضه وتوفيقه ومن الإنسان دعاء على غيره. ﴿ولهم﴾ مع ما ذكر من اللعن الأبدي ﴿عذاب عظيم﴾ لعظم ذنوبهم.

قال مقاتل: هذا خاص في عبد الله بن أبي المنافق وإليه الإشارة بقول حضرة الشيخ نجم الدين في «تأويلاته» ﴿إن الذين﴾ الخ أي إن الذين لم يكونوا من أهل بدر من أصحاب الإفك اهـ. ليخرج مسطح ونحوه كما سبقت الإشارة إلى مغفرته.

وقال بعضهم: الصحيح أنه حكم كل قاذف ما لم يتب لقوله عليه السلام: «اجتنبوا الموبقات السبع الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المؤمنات الغافلات» وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من قذف أزواج النبي عليه السلام فلا توبة له ومن قذف مؤمنة سواهن قد جعل الله له توبة ثم قرأ: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ إلى قوله: ﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا﴾ الآية.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ يَوْمَذِ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ .

﴿يوم﴾ ظرف لما في الجار والمجرور والمتقدم من معنى الاستقرار ﴿تشهد﴾ الشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصر أو بصيرة. ﴿عليهم﴾ تقديمه على الفاعل للمسارعة إلى بيان كون الشهادة ضارة لهم. ﴿ألسنتهم﴾ بغير اختيار منهم وهذا قبل أن يختم على أفواههم فلا تعارض بينه وبين قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [يس: ٦٥] ﴿وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ فتخبر كل جارحة بما صدر من أفاعيل صاحبها لا أن كلا منها تخبر بجنايتها المعهودة فقط فالموصول عبارة عن جميع أعمالهم السيئة.

﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ التوفية بذل الشيء وافياً والوفاي الذي بلغ التمام والدين الجزاء والحق منصوب على أن يكون صفة للدين أي يوم إذ تشهد جوارحهم بأعمالهم القبيحة يعطيهم الله جزاءهم الثابت الواجب الذي هم أهل له وافياً كاملاً ﴿ويعلمون﴾ عند معابنتهم الأهوال والخطوب ﴿أن الله هو الحق المبين﴾ أي الظاهر حقيقته لما أنه أبان لهم حقيقة ما كان يعدهم به في الدنيا من الجزاء. ويقال: إن ما قال الله هو الحق. وفي الآية أمور:

منها بيان جواز اللعنة على من كان من أهلها.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: الصفات المقتضية لللعن ثلاث الكفر والبدعة والفسق وله في كل واحدة ثلاث مراتب الأولى اللعن بالوصف الأعم كقولك لعنة الله على الكافرين أو المبتدعة أو الفسقة والثانية اللعن بأوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى أو على القدرية والخوارج والروافض أو على الزناة والظلمة وأكلي الربا وكل ذلك جائز ولكن في لعن بعض أصناف المبتدعة خطر لأن معرفة البدعة غامضة فما لم يرد فيه لفظ مأثور ينبغي أن يمنع منه العوام لأن ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعاً وفساداً بين الناس والثالثة اللعن على الشخص فينظر فيه أن كان ممن ثبت كفره شرعاً فيجوز لعنه إن لم يكن فيه أذى على مسلم كقولك لعنة الله على النمرود وفرعون وأبي جهل لأنه ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعاً وأن كان ممن لم يثبت حال خاتمته بعد كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي أو فاسق فهذا فيه خطر لأنه ربما يسلم أو يتوب فيموت مقرباً عند الله تعالى فكيف يحكم بكونه ملعوناً.

ومنها شهارة الأعضاء وذلك بانطاق الله تعالى فكما تشهد على المذنبين تشهد للمطيعين بطاعتهم فاللسان يشهد على الإقرار وقراءة القرآن واليد تشهد بأخذ المصحف والرجل تشهد بالمشي إلى المسجد والعين تشهد بالبكاء والأذن تشهد باستماع كلام الله. ويقال شهادة الأعضاء في القيامة مؤجلة وشهادتها في المحبة اليوم معجلة من صفرة الوجه وتغير اللون ونحافة الجسم وانسكاب الدموع وخفقان القلب وغير ذلك: قال الحافظ:

باضعف وناتواني همجون نسيم خوش باش پيماری اندرین ره بهتر زتن درستی

﴿الْحَيِّثُ لِلْحَيِّثِ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٢٦﴾

ومنها أن المجازاة بقدر الاستحقاق فللفاسقين بالقطيعة والنيران وللصالحين بالدرجات وللعارفين بالوصلة والقربة ورؤية الرحمن ﴿الخبِيثَات﴾ من النساء أي الزواني: وبالفارسية [زنان ناپاك] ﴿للخبِيثِينَ﴾ من الرجال أي الزناة كابن أبي المنافق تكون له امرأة زانية أي مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم إلى غيرهم لأن الله ملكاً يسوق الأهل إلى الأهل ويجمع الأشكال بعضاً إلى بعض على أن اللام للاختصاص ﴿والخبِيثُونَ﴾ أيضاً: وبالفارسية [مردان ناپاك] ﴿للخبِيثَات﴾ لأن المجانسة من دواعي الانضمام ﴿والطيبَات﴾ منهن أي العفائف ﴿للطيبِينَ﴾ منهم أي العفيفين ﴿والطيبُونَ﴾ أيضاً ﴿للطيبَات﴾ منهن بحيث لا يكادون يجاوزونهن إلى من عداهن وحيث كان رسول الله عليه السلام أطيّب الاطيين وخيرة الأولين والآخرين تبين كون الصديقة من أطيّب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿أولئك﴾ الموصوفون بعلو الشأن يعني أهل البيت.

وقال في «الأسئلة المقحمة»: آية الإفك نزلت في عائشة وصفوان فكيف ذكرها بلفظ الجمع والجواب: لأن الشين وعار الزنى والمعرة بسببه تتعدى إلى الرسول لأنه زوجها وإلى أبي بكر الصديق لأنه أبوها وإلى عامة المسلمين لأنها أمهم فذكر الكل بلفظ الجمع ﴿مبرؤون﴾ [يزار كرده شد كان يعني منزّه ومعرا اند]. ﴿مما يقولون﴾ أي مما يقوله أهل الإفك في حقهم من الأكاذيب الباطلة في جميع الأعصار والأطوار إلى يوم القيامة ﴿لهم مغفرة﴾ عظيمة لما يخلو عنه البشر من الذنب ﴿ورزق كريم﴾ في الجنة أي كثير ويقال حسن.

قال الكاشفي: [يعني ربح وبسيار وپایدار مراد نعيم بهشت است].

قال الراغب: كل شيء يشرف في بابه فإنه يوصف بالكرم وقال بعضهم: الرزق الكريم هو الكفاف الذي لا منة فيه لأحد في الدنيا ولا تبعه له في الآخرة.

يقول الفقير: الظاهر من سوق الآيات ولا سيما من قوله: ﴿مما يقولون﴾ أن المعنى أن الخبيثات من القول: يعني [سخنان ناشا يسته ونا پاك] للخبِيثِينَ من الرجال والنساء أي مختصة ولائقة بهم لا ينبغي أن تقاتل في حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين أحقاء بأن يقال في حقهم خبائث القول والطيبات من الكلم للطيبين من الفريقين أي مختصة وحقيقة بهم وكذا الطيبون من الفريقين أحقاء بأن يقال في شأنهم طيبات الكلم أولئك الطيبون مبرؤون مما يقول الخبيثون في حقهم فمآله تنزيه الصديقة أيضاً.

وقال بعضهم: خبيثات القول مختصة بالخبِيثِينَ من فرقي الرجال والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبِيثُونَ من الفريقين مختصون بخبائث القول متعرضون لها كابن أبي المنافق ومن تابعه في حديث الإفك من المنافقين إذ كل إناء يترشح بما فيه والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين أي مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام لا يصدر عنهم غيرها أولئك الطيبون مبرؤون مما يقول الخبيثون من الخبائث أي لا يصدر عنهم مثل ذلك فمآله تنزيه القائلين سبحانه هذا بهتان عظيم.

وقد وقع أن الحسن بن زياد بن يزيد الساعي من أهل طبرستان وكان من العظماء وكان يلبس الصوف ويأمر بالمعروف وكان يرسل في كل سنة إلى بغداد عشرين ألف دينار تفرق على أولاد الصحابة فحصل عنده رجل من أشياع العلويين فذكر عائشة رضي الله عنها بالقبيح فقال الحسن لغلامه: يا غلام اضرب عنق هذا فنهض إليه العلويون وقالوا هذا رجل من شيعتنا

فقال: معاذ الله هذا طعن على رسول الله فإن كانت عائشة خبيثة كان زوجها أيضاً كذلك وحاشاه ﷺ من ذلك بل هو الطيب الطاهر وهي الطيبة الطاهرة المبرأة من السماء يا غلام اضرب عنق هذا الكافر فضرب عنقه. وفي «المنوي»:

ذرة كاندر همه أرض وسماست جنس خودرا همجو كاه وكهر باست
ناريان مر ناريانرا جازبند نوريان مر نوريانرا طالبند
أهل باطل باطلا نرا مى كشند أهل حق ازا هل حق هم سر خوشتند
طيبات آمد زبهر طيبين الخبيثات للخبيثين است بين

وقال الراغب: الخبيث ما يكره رداءة وخساسة محسوساً كان أو معقولاً وذلك يتناول الباطل في الاعتقاد والكذب في المقال والقبیح في الفعل وقوله: «الخبيثات للخبيثين» أي الأعمال الرديئة والاختيارات النبهرجة لأمثالها وأصل الطيب ما يستلذه الحواس وقوله: «والطيبات للطيبين» تنبيه على أن الأعمال الطيبة تكون من الطيبين كما روي: «المؤمن اطيب من عمله والكافر اخبث من عمله».

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى خبائث الدنيا وشهواتها أنها للخبيثين من أرباب النفوس المتمردة والخبيثون من أهل الدنيا المطمئنين بها للخبيثات من مستلذات النفس ومشتهيات هواها معناه أنها لا تصلح إلا لهم وأنهم لا يصلحون إلا لها.

وأيضاً الخبيثات من الأخلاق الذميمة والأوصاف الرديئة للخبيثين من الموصوفين بها والطيبات من الأعمال الصالحة والأخلاق الكريمة للطيبين من الصالحين وأرباب القلوب يعني خلقت الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات كقوله: ﴿وَلِلَّهِ خَلْقُهُمْ﴾ [مود: ١١٩] وقال عليه السلام: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» وقال عليه الصلاة والسلام: «خلقت الجنة وخلق لها أهل وخلقت النار وخلق لها أهل» وفي «حقائق البقلى» خبيثات هواجس النفس ووساوس الشيطان للباطلين من المرائين والمغالطين وهم لها وطيبات الهام الله بوساطة الملائكة لأصحاب القلوب والأرواح والعقول من العارفين.

وأيضاً الترهات والطامات للمرتابين والحقائق والدقائق من المعارف وشرح الكواشف للعارفين والمحبين انتهى.

وكان مسروق إذا روى عن عائشة رضي الله عنها يقول: حدثني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله المبرأة من السماء، وجاء أن ابن عباس رضي الله عنهما دخل على عائشة في موتها فوجدها وجله من القدوم على الله فقال لها: لا تخافي فإنك لا تقدمين إلا على مغفرة ورزق كريم فغشي عليها من الفرح بذلك لأنها كانت تقول متحدثة بنعمة الله عليها لقد أعطيت خصلاً ما أعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل بصورتى في راحته حتى أمر رسول الله أن يتزوجني ولقد تزوجني بكرةً وما تزوج بكرةً غيري ولقد توفي وأن رأسه لفي حجرى ولقد قبر في بيتى وأن الوحي ينزل عليه في أهله فيفترقون منه وأنه كان لينزل عليه وأنا معه في لحاف واحد وأبى رضي الله عنه خليفته وصديقه ولقد نزلت براءتي من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب لقد وعدت مغفرة ورزقاً كريماً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ روي: عن عدي بن ثابت عن رجل من الأنصار قال: جاءت امرأة إلى رسول الله عليه السلام فقالت: يا رسول الله إني أكون في بيتي على الحالة التي لا أحب أن يراني عليها أحد فيأتي الآتي فيدخل فكيف أصنع؟ قال: «ارجعي» فنزلت هذه الآية ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ [يعني بهيچ خانه بیکانه درمیایید] وصف البيوت بمغایرة بیوتهم خارج مخرج العادة التي هي سكنی كل أحد في ملكه وإلا فالآجر والمعیر أيضاً منهيان عن الدخول بغير إذن يقال آجره أكره والأجرة الكراء وأعاره دفعه عارية. ﴿حتى تستأنسوا﴾ أي تستأذنوا ممن يملك الإذن من أصحابها. وبالفارسية [تا وقتی که خبر کیرید ودستوری طلبید].

من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء إذا ابصره مكشوفاً فعلم به فإن المستأذن مستعلم للحال مستكشف أنه هل يؤذن له أو لا ومن الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش لما أن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فإذا أذن له استأنس ولهذا يقال في جواب القادم المستأذن مرحباً أهلاً وسهلاً أي وجدت مكاناً واسعاً وأتيت أهلاً لا أجنب ونزلت مكاناً سهلاً لا حزنأً ليزول به استيحاشه وتطيب نفسه فيؤول المعنى إلى أن يؤذن لكم وهو من باب الكناية حيث ذكر الاستئناس اللازم وأريد الإذن الملزوم.

وعن النبي عليه السلام في معنى الاستئناس حين سئل عنه فقال: «هو أن يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيره ويتنحج يؤذن أهل البيت».

قال في «نصاب الاحتساب»: امرأة دخلت في بيت غير بغير إذن صاحبه هل يحتسب عليها؟ فالجواب: إذا كانت المرأة ذات محرم منه حل لامرأته الدخول في منازل محارم زوجها بغير إذنهم وهذا غريب يجتهد في حفظه ذكره في سرقة «المحيط» ولهذا لو سرق من بيت محارم زوجها لا قطع عليها عند أبي حنيفة رحمه الله وما في غير ذلك يحتسب عليها كما يحتسب على الرجل لقوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ أي تستأذنوا انتهى.

فالدخول بالإذن من الآداب الجميلة والأفعال المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ﴿وتسلموا على أهلها﴾ عند الاستئذان بأن يقول: السلام عليكم أدخل ثلاث مرات فإن أذن له دخل وسلم ثانياً وإلا رجع. ﴿ذلكم﴾ الاستئذان مع التسليم ﴿خير لكم﴾ من أن تدخلوا بغتة ولو على الأم فإنها تحتل أن تكون عريانة.

وفيه إرشاد إلى ترك تحية أهل الجاهلية حين الدخول فإن الرجل منهم كان إذا دخل بيتاً غريباً صباحاً. قال: «حييتم صباحاً» وإذا دخل مساء. قال: «حييتم مساء» قال الكاشفي: [وكفته اند کسی که برعیال خود درمی آید بایدکه بکلمه یا بآ وازیا بتنحنحی اعلام کند تا أهل آن خانه بستر عورات ودفع مکروهات اقدام نمایند] ﴿لعلکم تذكرون﴾ متعلق بمضمر أي أمرتم به كي تذكروا وتعظوا وتعلموا بموجه.

اعلم أن السلام من سنة المسلمين وهو تحية أهل الجنة ومجلبة للمودة وناف للحقد والضغينة روي عنه عليه السلام قال: «لما خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال: الحمد لله فقال الله تعالى يرحمك ربك يا آدم اذهب إلى هؤلاء الملائكة وملأ منهم جلوس فقل: السلام عليكم فلما فعل ذلك رجع إلى ربه قال: هذه تحيتك وتحية ذريتك» وروي عنه عليه السلام قال: «حق المسلم على المسلم ست يسلم عليه إذا لقيه ويحييه إذا دعاه وينصح له

بالغيب ويشمته إذا عطس ويعوده إذا مرض ويشهد جنازته إذا مات» ثم إنه إذا عرض أمر في دار من حريق أو هجوم سارق أو قتل نفس بغير حق أو ظهور منكر يجب إزالته فحينئذ لا يجب الاستئذان والتسليم فإن كل ذلك مستثنى بالدليل وهو ما قاله الفقهاء من أن مواقع الضرورات مستثناة من قواعد الشرع لأن الضرورات تبيح المحظورات.

قال صاحب «الكشاف»: وكمن باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل بها وباب الاستئذان من ذلك انتهى.

وفي الآية الكريمة إشارة إلى ترك الدخول والسكون في البيوت المجازية الفانية من الأجساد وترك الاطمئنان بها بل لا بد من سلام الوداع للخلاص فإذا ترك العبد الركون إلى الدنيا الفانية وشهواتها وأعرض عن البيوت التي ليست بدار قرار فقد رجع إلى الوطن الحقيقي الذي حبه من الإيمان.

اكر خواهي وطن بیرون قدوم نه

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾

﴿فإن لم تجدوا فيها﴾ أي في تلك البيوت ﴿أحدا﴾ أي ممن يملك الإذن على أن من لا يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقده أو لم تجدوا أحدا أصلاً ﴿فلا تدخلوها﴾ فاصبروا ﴿حتى يؤذن لكم﴾ أي من جهة من يملك الإذن عند إتيانه فإن في دخول بيت فيه النساء والولدان اطلاعاً على العورات وفي دخول البيوت الخالية اطلاعاً على ما يعتاد الناس إخفاء مع أن التصرف في ملك الغير محظور مطلقاً. يعني [دخول درخانه خالي بي إذن كسى محل تهمت سرقه است].

يقول الفقير: قد ابتليت بهذا مرة غفلة عن حكم الآية الكريمة فأطال علي وعلى رفقائي بعض من خارج البيت لكوننا مجهولين عندهم فوجدت الأمر حقاً ﴿وإن قيل لكم ارجعوا﴾ انصرفوا. ﴿فارجعوا﴾ ولا تقفوا على أبواب الناس، أي أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع سواء كان الأمر ممن يملك الإذن أم لا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستئذان كما في الوجه الأول أو لا تلحوا بالإصرار على الانتظار على الأبواب إلى أن يأتي الإذن كما في الثاني فإن ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدر في المروءة أي قدح. ﴿هو﴾ أي: الرجوع ﴿أزكى لكم﴾ أي: أظهر مما لا يخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الأبواب من دنس الدناءة والرزالة. ﴿والله بما تعملون عليم﴾ فيعلم ما تأتون وما تذررون مما كلفتموه فيجزيكم عليه.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿فإن لم تجدوا فيها أحدا﴾ يشير إلى فناء صاحب البيت وهو وجود الإنسانية ﴿فلا تدخلوها﴾ بتصرف الطبيعة الموجبة للوجود ﴿حتى يؤذن لكم﴾ بأمر من الله بالتصرف فيها للاستقامة كما أمر. ﴿وإن قيل لكم ارجعوا﴾ أي إلى ربكم ﴿فارجعوا﴾ ولا تتصرفوا فيها تصرف المطمئنين بها. ﴿هو أزكى لكم﴾ لثلاث تقو في فتنة من الفتن الإنسانية وتكونوا مع الله بالله بلا أنتم. ﴿والله بما تعملون﴾ من الرجوع إلى الله وترك تعلقات البيوت الجسدانية ﴿عليم﴾ خير لكم.

﴿لَسَّ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾

﴿ليس عليكم جناح﴾.

قال في «المفردات» جنحت السفينة أي مالت إلى أحد جانبيها سمي الإثم المائل بالإنسان عن الحق جناحاً ثم سمي كل إثم جناحاً. ﴿أن تدخلوها﴾ أي: بغير استئذان ﴿بيوتاً غير مسكونة﴾ أي غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتنفع بها من يضطر إليها كائناً من كان من غير أن يتخذها سكناً كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فإنها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿فيها منافع لكم﴾ فإنه صفة للبيوت أي حق تمتع لكم وانتفاع كالاستئذان من الحر والبرد وإيواء الأمتعة والرحال والشراء والبيع والاعتقال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت ودخلها فلا بأس بدخولها بغير استئذان من قوام الرباطات والخانات وأصحاب الحوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم. ﴿والله يعلم ما تبدون﴾ تظهرون ﴿وما تكتمون﴾ تستترون وعيد لمن يدخل مدخلاً من هذه المداخل لفساد أو اطلاع على عورات.

قال في «نصاب الاحتساب»: رجل له شجرة فرصاد قد باع أغصانها فإذا ارتقاها المشتري يطلع على عورات الجار قال: يرفع الجار إلى القاضي حتى يمنعه من ذلك. قال الصدر الشهيد في «واقعات المختار» أن المشتري يخبرهم وقت الارتقاء مرة أو مرتين حتى يستروا أنفسهم لأن هذا جمع بين الحقين وإن لم يفعل إلى أن يرفع الجار إلى القاضي فإن رأى القاضي المنع كان له ذلك. ولو فتح كوة في جداره حتى وقع نظره فيها إلى نساء جاره يمنع من ذلك.

وفي «البستان»: لا يجوز لأحد أن ينظر في بيت غيره بغير إذنه فإن فعل فقد أساء وأثم في فعله فإن نظر ففقاً صاحب البيت عينه اختلفوا فيه قيل: لا شيء عليه وقيل: عليه الضمان وبه نأخذ.

وكان عمر رضي الله عنه يعس ليلة مع ابن مسعود رضي الله عنه فاطلع من خلل باب فإذا شيخ بين يديه شراب وقينة تغنيه فتسورا فقال عمر رضي الله عنه: ما صح لشيخ مثلك أن يكون على مثل هذه الحالة فقام إليه الرجل فقال: يا أمير المؤمنين أنشدك بالله إلا ما أنصفتني حتى أتكلم قال: قل قال: إن كنت عصيت الله في واحدة فقد عصيت أنت في ثلاث قال: ما هن؟ قال: تجسست وقد نهاك الله فقال: ﴿وَلَا تَجَسَّوْا﴾ [الحجرات: ١٢] وتسورت وقد قال الله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ إلى ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] ودخلت بغير إذن وقد قال الله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسْلَمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ فقال عمر: صدقت فهل أنت غافر لي فقال: غفر الله لك فخرج عمر يبكي ويقول: ويل لعمر إن لم يغفر الله له.

فإن قلت: دل هذا على أن المحتسب لا يدخل بيتاً بلا إذن وقد صح أنه يجوز له الدخول في بيت من يظهر البدع بلا إذن. قلت: هذا فيما أظهر وذلك فيما أخفى.

وفي «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى جواز تصرف السالك الواصل في بيت الجسد الذي هو غير مسكون لصاحبه وهو الإنسانية لفنائها عن وجودها بإفناء الحق تعالى فيها منافع لكم أي الآلات والأدوات التي تحتاجون إليها عند السير في عالم الله ولتحصيلها بعثت

الأرواح إلى أسفل سافلين الأجساد والله يعلم ما تبدون من تصرفاتكم بالآلات الإنسانية وما تكتُمون من نياتكم أنها لطلب رضى الله تعالى أو لهوى نفوسكم انتهى. قال الجامي قدس سره:

جيت خاص أست که کنج کهر اخلاص است

نیست این درثمین دربغل هردغلی

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (۳۰)

﴿قل﴾ یا محمد ﴿للمؤمنین﴾ حذف مفعول الأمر تعویلاً على دلالة جوابه علیه أي قل لهم: غضوا ﴿یغضوا من أبصارهم﴾ عما یحرم. وبالفارسیة [بپوشند دیدهای خود را از دیدن نا محرم که نظر سبب فتنه است].

والغض إطباق الجفن بحيث يمنع الرؤية ولما كان ما حرم النظر إليه بعضاً من جملة المبصرات تبعض البصر باعتبار تبعض متعلقه فجعل ما تعلق بالمحرم بعضاً من البصر وأمر بغضه ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ عمن لا يحل أو يسترها حتى لا تظهر والفرج الشق بين الشيتين كفرجة الحائط والفرج ما بين الرجلين وكني به عن السوء وكثر حتى صار كالصریح فيه أتى بمن التبعية في جانب الأبصار دون الفروج مع أن المأمور به حفظ كل واحد منهما عن بعض ما تعلقا به فإن المستثنى من البصر كثير فإن الرجل يحل له النظر إلى جميع أعضاء أزواجه وأعضاء ما ملكت يمينه وكذا لا بأس عليه في النظر إلى شعور محارمه وصدورهن وثديهن وأعضائهن وسوقهن وأرجلهن وكذا من أمة الغير حال عرضها للبيع ومن الحرة الأجنبية إلى وجهها وكفيها وقدميها في رواية في القدم بخلاف المستثنى من الفرج فإنه شيء نادر قليل وهو فرج زوجته وأمه فلذلك أطلق لفظ الفرج ولم يقيد بما استثنى منه لقلته وقيد غرض البصر بحرف التبعض ﴿ذلك﴾ أي ما ذكر من الغض والحفظ. ﴿أزكى لهم﴾ أي أظهر لهم من دنس الريبة ﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾ لا يخفى عليه شيء فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون روي: عن عيسى ابن مريم عليهما السلام أنه قال: إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب شهوة.

قال الكاشفي [در ذخيرة الملوك آورده که تیزرو ترین پیکی شیطانرا درو جود انسان چشم است زیرا حواس دیگر درمسما کن خود اند و تا چیری بدیشان نمیرسد باستدرج آن مشغول نمیتوانند شد امادیده حاسه ایست که ازدور و نزدیک ابتلا وانام راصید میکند]:

این همه آفت که بتن میرسد از نظر توبه شکن میرسد

دیده فروپوش چودر در صدف تانشوی تیر بلارا هدف

وفي «النصاب»: النظرة الأولى عفو والذي يليها عمد وفي الأثر: «يا ابن آدم لك النظرة الأولى فما بال الثانية» وفي الحديث: «اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعدتم وأدوا ما ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم»، وفي الحديث: «بينما رجل يصلي إذ مرت به امرأة فنظر إليها واتبعها بصره فذهبت عيناه».

قال الشيخ نجم الدين في «تأويلاته»: يشير إلى غض أبصار الظواهر من المحرمات وأبصار النفوس عن شهوات الدنيا ومألوفات الطبع ومستحسنيات الهوى وأبصار القلوب عن رؤية الأعمال ونعيم الآخرة وأبصار الأسرار عن الدرجات والقربات وأبصار الأرواح عن الالتفات لما سوى الله وأبصار الهمم عن العلل بأن لا يروا أنفسهم أهلاً للشهود من الحق سبحانه غيراً عليه تعظيماً وإجلالاً ويشير أيضاً إلى حفظ فروج الظواهر عن المحرمات وفروج البواطن عن التصرفات في الكونين لعله دنيوية أو أخروية. ﴿ذلك أذكى لهم﴾ صيانة عن تلوث الحدوث ورعاية للحقوق عن شوب الحظوظ. ﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾ يعملون للحقوق والحظوظ اللهم اجعلنا من الذين يراعون الحقوق في كل عمل.

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢٤).

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه من الرجل وهي العورة عند أبي حنيفة وأحمد. وعند مالك ما عدا الوجه والأطراف والأصبع من مذهب الشافعي أنها لا تنظر إليه كما لا ينظر هو إليها ﴿ويحفظن فروجهن﴾ بالتصون عن الزنى أو بالتستر ولا خلاف بين الأئمة في وجوب ستر العورة عن أعين الناس. واختلفوا في العورة ما هي فقال أبو حنيفة عورة الرجل ما تحت سترته إلى تحت ركبته والركبة عورة.

وفي «نصاب الاحتساب»: من لم يستر الركبة ينكر عليه برفق لأن في كونها عورة اختلافاً مشهوراً ومن لم يستر الفخذ يعنف عليه ولا يضرب لأن في كونها عورة خلاف بعض أهل الحديث. ومن لم يستر السوء يؤدب إذ لا خلاف في كونها عورة عن كراهية الهداية انتهى. ومثل الرجل الأمة وبالأولى بطنها وظهرها لأنه موضع مشتهى والمكاتبه وأم الولد والمدبرة كالأمة وجميع الحرة عورة إلا وجهها وكفيها والصحيح عنده أن قدميها عورة خارج الصلاة لا في الصلاة وقال مالك عورة الرجل فرجاء وفخذاه والأمة مثله وكذا المدبرة والمعتقة إلى أجل والحررة كلها عورة إلا وجهها ويديها ويستحب عنده لأم الولد أن تستر من جسدها ما يجب على الحررة ستره والمكاتبه مثلها وقال الشافعي وأحمد: عورة الرجل ما بين السرة والركبة وليست الركبة من العورة وكذا الأمة والمكاتبه وأم الولد والمدبرة والمعتق بعضها والحررة كلها عورة سوى الوجه والكفين عند الشافعي وعند أحمد سوى الوجه فقط على الصحيح وأما سررة الرجل فليست من العورة بالاتفاق كذا في «فتح الرحمن» وتقديم الغض لأن النظر يريد الزنى ورائد الفساد يعني أن الله تعالى قرن النهي عن النظر إلى المحارم بذكر حفظ الفرج تنبيهاً على عظم خطر النظر فإنه يدعو إلى الإقدام على الفعل وفي الحديث: «النظر سهم من سهام إبليس» قيل: من أرسل طرفه اقتنص حتفه: وفي «المثنوي»:

کرزنای چشم حظی می بری نی کباب ازپهلوی خود می خوری
این نظر ازدور چون تیرست وسم عشقت افزون می شود صبرتو کم
﴿ولا یبدین زینتهن﴾ فضلاً عن إبداء مواقعها يقال بدا الشيء بدأً وبدأً أي ظهر ظهوراً
بیناً وأبدى أظهر. ﴿إلا ما ظهر منها﴾ [مکر آنچه ظاهر شود ازان زینت بوقت ساختن کارها
چون خاتم وأطراف ثياب وكحل درعين وخضاب دركف] فإن في سترها حرجاً بيناً.
قال ابن الشيخ: الزينة ما تزینت به المرأة من حلي أو كحل أو ثوب أو صیغ فما كان
منها ظاهراً كالخاتم والفتحة وهي ما لا فص فيه من الخاتم والكحل والصبغ فلا بأس بابدائه
للأجانب بشرط الأمن من الشهوة وما خفي منها كالسوار والدملج وهي خلقة تحملها المرأة
على عضدها والوشاح والقرط فلا يحل لها إبدائها إلا للمذكورات فيما بعد بقوله: ﴿إلا
لبعولتهن﴾.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى كتمان ما زين الله به سرائرهم من صفاء الأحوال
وزكاء الأعمال فإنه بالإظهار ينقلب الزين شيئاً إلا ما ظهر منها وارد حق أو يظهر على أحد
منهم نوع كرامة بلا عمله وتكلفه فذلك مستثنى لأنه غير مؤاخذ بما لم يكن بتصرفه وتكلفه
انتهى.

قال في «حقائق البقلى»: فيه استشهاد على أنه لا يجوز للعارفين أن يبدوا زينة حقائق
معرفتهم وما يكشف الله لهم من عالم الملكوت وأنوار الذات والصفات ولا المواجيد إلا ما
ظهر منها بالغلبات من الشبهات والزعقات والاصفرار والاحمرار وما يجري على ألسنتهم بغير
اختيارهم من كلمات السطح والإشارات المشاكلة وهذه الأحوال أشرف زينة للعارفين.

قال بعضهم: أزين ما تزین به العبد الطاعة فإذا أظهرها فقد ذهب زینتها.
وقال بعضهم: الحكمة في هذه الآية لأهل المعرفة أنه من أظهر شيئاً من أفعاله إلا ما
ظهر عليه من غير قصد له فيه سقط به عن رؤية الحق لأن من وقع عليه رؤية الخلق ساقط عن
رؤية الحق. قال الشيخ سعدی قدس سره:

همان به کر آبستن کوهری که همچون صدف سر بخود دربری
وفي «المثنوي»:

داند وبوشد بأمر ذي الجلال که نباشد كشف را ازحق حلال
سر غیب آنرا سنرد آموختن که زکفتن لب تواند دوختن
﴿ولیضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ ضمن الضرب معنى الإلقاء ولذا عدي بعلی.
والخمر جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها وتسترها وما ليس بهذه الصفة فليس بخمار.
قال في «المفردات»: أصل الخمر ستر الشيء ويقال لما يستر به خمار لكن الخمار صار
في التعارف اسماً لما تغطي به المرأة رأسها. والجيوب جمع جيب وهو ما جيب من القميص
أي قطع لإدخال الرأس. والمعنى ولیلقین مقانعهن على جيوبهن لیسترن بذلك شعورهن
وقروطهن وأعناقهن عن الأجانب. وبالفارسية: [وبایدکه فرو کذا رند مقنهای خود را بر کربا
نهای خویش یعنی کردن خود را بمقنعه بپوشند تا شوی و بنا کوش و کردن وسینه ایشان پوشیده
ماند].

وفیه دلیل على أن صدر المرأة ونحرها عورة لا يجوز للأجنبي النظر إليها ﴿ولا یبدین

زينتهن ﴿أي: الزينة الخفية كالسوار والدمليج والوشاح والقرط ونحوها فضلاً عن إبداء مواقعها كرهه لبيان من يحل له الإبداء ومن لا يحل له.

وقال أبو الليث: لا يظهر مواضع زينتهن وهو الصدر والساق والساعد والرأس لأن الصدر موضع الوشاح والساق موضع الخلخال والساعد موضع السوار والرأس موضع الإكليل فقد ذكر الزينة وأراد بها موضع الزينة انتهى. ﴿إلا لبعولتهن﴾.

قال في «المفردات»: البعل هو الذكر من الزوجين وجمعه بعولة كفحل وفحولة انتهى أي إلا لأزواجهن فإنهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود خصوصاً إذا كان النظر لتقوية الشهوة إلا أنه يكره له النظر إلى الفرج بالاتفاق حتى إلى فرج نفسه لأنه يروي أنه يورث الطمس والعمى وفي كلام عائشة رضي الله عنها ما رأى مني ولا رأيت منه أي عورة.

قال في «النصاب»: أي الزينة الباطنة يجوز إبدائها لزوجها وذلك لاستدعائه إليها ورغبة فيها ولذلك لعن رسول الله عليه السلام السلقاء والمرهءاء فالسقاء التي لا تختضب والمرهءاء التي لا تكتحل. ﴿أو آبائهن﴾ والجد في حكم الأب. ﴿أو آباء بعولتهن﴾ [يا پدران شوهران خویش که ایشان حکم آباء دارند] ﴿أو أبنائهن﴾ [یا پسران شوهران خود چه ایشان در حکم پسر اند مر زنا] داخلست ﴿أو أبناء بعولتهن﴾ [یا پسران برادران خود که حکم برادران دارند]. ﴿أو بني إخوانهن﴾ [یا پسران برادران خود] ﴿أو بني أخواتهن﴾ [یا پسران خواهران خود واینها جماعتی اند که نکاح زن با ایشان روا نیست که] والعلة كثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم أن ينظروا منهن إلى ما يبدو عند الخدمة.

قال في «فتح الرحمن»: فيجوز لجميع المذكورين عند الشافعي النظر إلى الزينة الباطنة سوى ما بين السرة والركبة إلا الزوج فيباح له ما بينهما. وعند مالك ينظرون إلى الوجه والأطراف. وعند أبي حنيفة: ينظرون إلى الوجه والرأس والصدر والساقين والعصدين ولا ينظرون إلى ظهرها وبطنها وفخذها.

وعند أحمد: ينظرون إلى ما يظهر غالباً كوجه ورقبة ويد وقدم ورأس وساق. قال أبو الليث: النظر إلى النساء على أربع مراتب في وجه يجوز النظر إلى جميع أعضائهن وهو النظر إلى زوجته وأمته، وفي وجه يجوز النظر إلى الوجه والكفين وهو النظر إلى المرأة التي لا تكون محرماً له ويأمن كل واحد منهما على نفسه فلا بأس بالنظر عند الحاجة، وفي وجه يجوز النظر إلى الصدر والرأس والساق والساعد وهو النظر إلى امرأة ذي رحم أو ذات رحم محرم مثل الأم والأخت والعمة والخالة وامرأة الأب وامرأة الابن وأم المرأة سواء كان من قبل الرضاع أو من قبل النسب وفي وجه لا يجوز النظر إلى شيء وهو أن يخاف أن يقع في الإثم إذا نظر انتهى وعدم ذكر الأعمام والأخوال لما أن الأحوط أن يتسترن عنهم حذراً من أن يصفوهن لأبنائهن فإن تصور الأبناء لها بالوصف كنظرهم إليها. ﴿أو نسائهن﴾ المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فإن الكوافر لا يتأمن عن وصفهن

للرجال فيكون تصور الأجانب إياها بمنزلة نظرهم إليها فإن وصف مواقع زين المؤمنات للرجال الأجانب معدود من جملة الآثام عند المؤمنات فالمراد بنسائهن نساء أهل دينهن وهذا قول أكثر السلف.

قال الإمام: قول السلف محمول على الاستحباب والمذهب أن المراد بقوله: ﴿أو نسائهن﴾ جميع النساء.

يقول الفقير: أكثر التفاسير المعتبرة مشحون بقول السلف فإنهم جعلوا المرأة اليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنية في حكم الرجل الأجنبي فمنعوا المسلمة من كشف بدنهن عندهن إلا أن تكون أمة لها كما منعوها من التجرد عند الأجانب والظاهر أن العلة في المنع شيان عدم المجانسة ديناً فإن الإيمان والكفر فرق بينهما وعدم الأمن من الوصف المذكور فلزم اجتناب العفاف عن الفواسق وصحبته والتجرد عندها. ولذا منع المناكحة بين أهل السنة وبين أهل الاعتزال كما في «مجمع الفتاوى»: وذلك لأن اختلاف العقائد والأوصاف كالتباين في الدين والذات وأصلح الله نساء الزمان فإن غالب أخلاقهن كأخلاق الكوافر فكيف تجتمع بهن وبالكوافر في الحمام ونحوه من كانت بصدد العفة والتقوى. وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي عبيدة أن يمنع الكتابيات من دخول الحمامات مع المسلمات: ﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾ أي: من الإماء فإن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها خصياً كان أو فحلاً وهو قول أبي حنيفة رحمه الله وعليه عامة العلماء فلا يجوز لها الحج ولا السفر معه وإن جاز رؤيته إياها إذا وجد الأمن من الشهوة.

وقال ابن الشيخ: فإن قيل: ما الفائدة في تخصيص الإماء بالذكر بعد قوله ﴿أو نسائهن﴾ فالجواب والله أعلم أنه تعالى لما قال: أو نسائهن دل ذلك على أن المرأة لا يحل لها أن تبدي زينتها للكافرات سواء كن حرائر أو إماء لغيرها أو لنفسها فلما قال: ﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾ مطلقاً أي مؤمنات كنّ أو مشركات علم أنه يحل للأمة أن تنظر إلى زينة سيدتها مسلمة كانت الأمة أو كافرة لما في كشف مواضع الزينة الباطنة لأمتها الكافرة في أحوال استخدامها إياها من الضرورة التي لا تخفى ففارقت الحرة الكافرة بذلك. ﴿أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال﴾ الإربة الحاجة، أي الرجال الذين هم أتباع أهل البيت لا حاجة لهم في النساء وهم الشيوخ الأهمام والممسوخون بالخاء المعجمة وهم الذين حولت قوتهم وأعضاؤهم عن سلامتها الأصلية إلى الحالة المنافية لها المانعة من أن تكون لهم حاجة في النساء وأن يكون لهن حاجة فيهم ويقال للممسوخ المخنث وهو الذي في أعضائه لين وفي لسانه تكسر بأصل الخلقة فلا يشتهي النساء وفي المجبوب والخصي خلاف والمجبوب من قطع ذكره وخصيته معاً من الجب وهو القطع والخصي من قطع خصيته والمختار أن الخصي والمجبوب والعين في حرمة النظر كغيرهم من الفحولة لأنهم يشتهون ويشتهون وإن لم تساعد لهم الآلة. يعني [إيشانرا آرزوى مباشرة هست غايتش آنكه أنابي بران نيست].

قال بعضهم: قوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ محكم وقوله ﴿والتابعين﴾ مجمل والعمل بالمحكم أولى فلا رخصة للمذكورين من الخصي ونحوه في النظر إلى محاسن النساء وإن لم يكن هناك احتمال الفتنة.

وفي «الكشاف»: لا يحل إمساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن

أحد من السلف إمساكهم انتهى.

وفي «النصاب»: قرأت في بعض الكتب أن معاوية دخل على النساء ومعه خصي محبوب فنفرت منه امرأة فقال معاوية: إنما هو بمنزلة امرأة فقالت: أترى أن المثلة به قد أحلت ما حرم الله من النظر فتعجب من فطنتها وفقهها انتهى.

وفي «البيستان»: أنه لا يجوز خصاء بني آدم لأنه لا منفعة فيه لأنه لا يجوز للخصي أن ينظر إلى النساء كما لا يجوز للفحل بخلاف خصاء سائر الحيوانات ألا ترى أن خصي الغنم أطيب لحماً وأكثر شحماً وقس عليه غيره. ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والقدرة. وبالفارسية [تمييز ندارند واز حال مباشرت بی خبرند با آنکه قادر نیستند بر اتیان زنان یعنی بالغ نشده و بحد شهوت نرسیده] والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف كالعدو في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوا عَدُوِّي﴾ [الشعراء: ٧٧].

قال في «المفردات»: الطفل الولد ما دام ناعماً والطفيلي رجل معروف بحضور الدعوات.

وفي «تفسير الفاتحة»: للمولى الفناري حد الطفل من أول ما يولد إلى أن يستهل صارخاً إلى انقضاء ستة أعوام انتهى. والعورة سوء الإنسان وذلك كناية وأصلها من العار وذلك لما يلحق في ظهورها من العار أي المذمة ولذلك سمى النساء عورة ومن ذلك العوراء أي الكلمة القبيحة كما في «المفردات».

قال في «فتح القريب»: العورة كل ما يستحي منه إذا ظهر وفي الحديث: «المرأة عورة جعلها نفسها عورة لأنها إذا ظهرت يستحي منها كما يستحي من العورة إذا ظهرت».

قال أهل اللغة: سميت العورة عورة لقبح ظهورها ولغض الأبصار عنها مأخوذة من العور وهو النقص والعيب والقبح ومنه عور العين.

يقول الفقير: يفهم من عبارة الطفل أن التقوى منع الصبيان حضرة النساء بعد سبع سنين فإن ابن السبع وإن لم يكن في حد الشهوة لكنه في حد التمييز مع أن بعض من لم يبلغ حد الحلم مشتهى فلا خير في مخالطة النساء.

وفي «ملتقط الناصري»: الغلام إذا بلغ مبلغ الرجال ولم يكن صبيحاً فحكمه حكم الرجال وإن كان صبيحاً فحكمه حكم النساء وهو عورة من قرنه إلى قدمه يعني لا يحل النظر إليه عن شهوة. فأما السلام والنظر لا عن شهوة فلا بأس به ولهذا لم يؤمر بالنقاب حكى: أن واحداً من العلماء مات فرؤي في المنام وقد اسود وجهه فسئل عن ذلك فقال رأيت غلاماً في موضع كذا فنظرت إليه فاحترق وجهي في النار.

قال القاضي: سمعت الإمام يقول: إن مع كل امرأة شيطانين ومع كل غلام ثمانية عشر شيطاناً. ويكره مجالسة الأحداث والصبيان والسفهاء لأنه يذهب بالمهابة كما في «البيستان».

قال في «أنوار المشارق»: يحرم على الرجل النظر إلى وجه الأرمدة إذا كان حسن الصورة سواء نظر بشهوة أم لا وسواء أمن من الفتنة أم خافها ويجب على من في الحمام أن يصون نظره ويده وغيرهما عن عورة غيره وأن يصون عورته عن نظر غيره ويجب الإنكار على كاشف العورة ﴿ولا يضرين بأرجلهن ليعلم ما يخفين﴾ أي: يخفيه من الرؤية ﴿من زينتهن﴾ أي لا

يضربن بأرجلهن الأرض ليتقعقع خلخالهن فيعلم أنهن ذوات خلخال فإن ذلك مما يورث الرجال ميلاً إليهن ويوهم أن لهن ميلاً إليهم وإذا كان إسماع صوت خلخالها للأجانب حراماً كان رفع صوتها بحيث يسمع الأجانب كلامها حراماً بطريق الأولى لأن صوت نفسها أقرب إلى الفتنة من صوت خلخالها ولذلك كرهوا أذان النساء لأنه يحتاج فيه إلى رفع الصوت.

يقول الفقير: وبهذا القياس الخفي ينجلي أمر النساء في باب الذكر الجهري في بعض البلاد فإن الجمعية والجهر في حقهن مما يمنع عنه جداً وهن مرتكبات للإثم العظيم بذلك إذ لو استحب الجمعية والجهر في حقهن لاستحب في حق الصلاة والأذان والتلبية.

قال في «نصاب الاحتساب»: ومما يحتسب على النساء اتخاذ الجلاجل في أرجلهن لأن اتخاذ الجلاجل في رجل الصغير مكروه ففي المرأة البالغة أشد كراهة لأنه مبنى حالهن على التستر ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون﴾ إذ لا يكاد يخلو أحدكم من تفريط في أمره ونهيه سيما في الكف عن الشهوات. وجميعاً حال من فاعل توبوا أي حال كونكم مجتمعين. وبالفارسية [همه شما] أيها المؤمنون تأكيد للإيجاب وإيدان بأن وصف الإيمان موجب للامثال حتماً.

وفي هذه الآية دليل على أن الذنب لا يخرج العبد من الإيمان لأنه قال: ﴿أيها المؤمنون﴾ بعدما أمر بالتوبة التي تتعلق بالذنب ﴿لعلكم تفلحون﴾ تفوزون بسعادة الدارين وصى الله تعالى جميع المؤمنين بالتوبة والاستغفار لأن العبد الضعيف لا ينفك عن تقصير يقع منه وإن اجتهد في رعاية تكاليف الله تعالى.

إمام قشيري رحمه الله تعالى: [فرموده که محتاجتر بتوبه آنکس است که خودرا محتاج توبه نداند].

در كشف الأسرار آورده که همه را از مطیع و عاصی بتوبه امر فرمود تا عاصی خجل زده نشود چه اگر فرمودی که أي کنهکاران شما توبه کنید موجب رسوایی ایشان شدی چون دردنيا ایشانرا رسوا نمی خواهند امیدهست در عقبی هم رسوا نکند].

چو رسوا نکردی بچندین خطا درین عالم پیش شاه وکدا دران عالم هم برخاص و عام بیامرزد ورسوا مکن والسلام
قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن التوبة كما هي واجبة على المبتدئ من ذنوب مثله كذلك لازمة للمتوسط والمنتهي فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين وكان رسول الله ﷺ يقول: «توبوا إلى الله جميعاً فإني أتوب إليه في كل يوم مائة مرة» فتوبة المبتدئ من المحرمات وتوبة المتوسط من زوائد المحلات وتوبة المنتهي بالإعراض عما سوى الله بكلية والإقبال على الله بكلية ﴿لعلكم تفلحون﴾ ففلاح المبتدئ من النار إلى الجنة والمتوسط من أرض الجنة إلى أعلى عليين مقامات القرب ودرجاتها والمنتهي من حبس الوجود المجازي إلى الوجود الحقيقي ومن ظلمة الخلقية إلى نور الربوبية: وفي «المثنوي»:

چون تجلی کرد اوصاف قدیم پس بسوزد وصف حادث را کلیم
قرب نی بالآوپستی رفتن است قرب حق از حبس هستی رستن است
قال بعض الكبار: إن الله تعالى طالب المؤمنين جميعاً بالتوبة ومن آمن بالله وترك الشرك فقد تاب وصحت توبته ورجوعه إلى الله وإن خطر عليه خاطر أو جرى عليه معصية في حين

التوبة فإن المؤمن إذا جرى عليه معصية ضاق صدره واهتم قلبه وندم روحه ورجع سره هذا للعموم والإشارة في الخصوص أن الجميع محجوبون بأصل النكرة وما وجدوا منه من القربة وسكنوا بمقاماتهم ومشاهداتهم ومعرفتهم وتوحيدهم أي أنتم في حجب هذا المقام توبوا منها إليّ فإن رؤيتها أعظم الشرك في المعرفة لأن من ظن أنه واصل فليس له حاصل من معرفة وجوده وكنه جلال عزته فمن هذا أوجب التوبة عليهم في جميع الأنفاس لذلك هجم حبيب الله في بحر الفناء وقال: «إنه ليغان على قلبي وأني لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة» ففهم أن عقيب كل توبة توبة حتى تتوب من التوبة وتقع في بحر الفناء من غلبة رؤية القدم والبقاء اللهم اجعلنا فانيين باقين .

﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمُ وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكُم وَإِمَائِكُم إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ٣٢﴾ وَلَسْتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِن عِلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۚ وَءَاتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَىٰ الْإِعَاءِ إِن أَرَدْنَ تَخَصُّصًا فَتَخَصَّصْنَ لِمَن رَّغِبْنَ عَنُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ٣٤﴾

﴿وأنكحوا الأيامي منكم﴾ مقلوب أيام جمع أيم كيتامى مقلوب يتايم جميع يتيم فقلب قلب مكان ثم أبدلت الكسرة فتحة والياء ألفاً فصار أيامى ويتامى والأيم من لا زوج له من الرجال والنساء بكرةً كان أو ثيباً .

تال في «المفردات»: الأيم المرأة التي لا بعل لها وقد قيل للرجل الذي لا زوج له وذلك على طريق التشبيه بالمرأة لا على التحقيق . والمعنى زوجوا أيها الأولياء والسادات من لا زوج له من أحرار قومكم وحرائر عشيرتكم فإن النكاح سبب لبقاء النوع وحافظ من السفاح . ﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ .

قال في «الكواشي»: أي الخيرين أو المؤمنين . وقال في «الوسيط»: معنى الصلاح ههنا الإيمان . وفي «المفردات»: الصلاح ضد الفساد وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال وتخصيص الصالحين فإن من لا صلاح له من الأرقاء بمعزل من أن يكون خليقاً بأن يعتني مولاه بشأنه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعاً وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه أن لا يستبقيه عنده وأما عدم اعتبار الصلاح في الأحرار والحرائر فلأن الغالب فيهم الصلاح .

يقول الفقير: قد أطلق في هذه الآية الكريمة العبد والأمة على الغلام والجارية وقد قال عليه السلام: «لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاتي وفتاتي» والجواب أن ذلك إنما يكره إذا قاله على طريق التطاول على الرقيق والتحقير لشأنه والتعظيم لنفسه فسقط التعارض والحمد لله تعالى: ﴿إن يكونوا﴾ [أكرباشند أيامى وصلحاً از عباد وأما] ﴿فقراء﴾ [درویشان وتنكدستان] ﴿يغنيهم الله من فضله﴾ أي لا يمنعن فقر الخاطب والمخطوبة من المناكحة فإن في فضل الله غنية عن المال فإنه غاد ورائح [كه كاه آيدوكه رود مال وجاه] والله يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب .

قال بعضهم: من صح افتقاره إلى الله صح استغناؤه بالله ﴿والله واسع﴾ غني ذو سعة لا تنفذ نعمته إذ لا تنتهي قدرته ﴿عليم﴾ ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر على ما تقتضيه حكمته.

اتفق الأئمة على أن النكاح سنة لقوله عليه السلام: «من أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح» وقوله عليه السلام: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» فإن كان تائقاً، أي: شديد الاشتياق إلى الوطء يخاف العنت وهو الزنى وجب عليه عند أبي حنيفة وأحمد وقال مالك والشافعي هو مستحب لمحتاج إليه يجد أهبة ومن لم يجد التوقان فقال أبو حنيفة: النكاح له أفضل من نفل العبادة وقال مالك والشافعي بعكسه وعند الشافعي إن لم يتعبد فالنكاح أفضل.

واختلفوا في تزويج المرأة نفسها فأجازه أبو حنيفة لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْصُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَنْزُلَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢] نهى الرجال عن منع النساء عن النكاح فدل على أنهن يملكن النكاح ومنعه الثلاثة وقالوا: إنما يزوجهن وليها بدليل هذه الآية لأن الله تعالى خاطب الأولياء به كما أن تزويج العبيد والإماء إلى السادات واختلفوا هل يجبر السيد على تزويج رقيقه إذا طلب ذلك فقال أحمد: يلزمه ذلك إلا أمة يستمتع بها فإن امتنع من الواجب عليه فطلب العبد البيع لزمه بيعه وخالفه الثلاثة.

قال في «الكواشي»: وهذا أمر ندب أي ما وقع في الآية. قال في «ترجمة الفتوحات»: [واكرم عزم نكاح كنى جهد كن كه از قريشيات بدست كنى واكر ازا هل بيت باشد بهتر ونيكوتر رسول الله ﷺ فرموده كه بهترين زنانى كه برشتر سوار شدند زنان قريش اند] قال الزجاج: حث الله على النكاح وأعلم أنه سبب لنفي الفقر ولكن الغنى على وجهين: غنى بالمال وهو أضعف الحالين وغنى بالقناعة وهو أقوى الحالين وإنما كان النكاح سبب الغنى لأن العقد الديني يجلب العقد الدنيوي إما من حيث لا يحتسبه الفقر أو من حيث أن النكاح سبب للجد في الكسب والكسب ينفي الفقر.

رزق اكر چند بيكمان برسد شرط عقلست جستن از درها

واختلف الأئمة في الزوج إذا أعسر بالصداق والنفقة والكسوة والمسكن هل تملك المرأة فسخ نكاحها فقال أبو حنيفة رحمه الله: لا تملك الفسخ بشيء من ذلك وتؤمر بالاستدانة للنفقة لتحيل عليه فإذا فرضها القاضي وأمرها بالاستدانة صارت ديناً عليه فتتمكن من الإحالة عليه والرجوع في تركته لو مات. روي عن جعفر بن محمد أن رجلاً شكاً إليه الفقر فأمره أن يتزوج فتزوج الرجل ثم جاء فشكا إليه الفقر فأمره أن يطلقها فسل عن ذلك فقال: قلت لعله من أهل هذه الآية ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ﴾ الخ فلما لم يكن من أهلها قلت لعله من أهل آية أخرى ﴿وَإِنْ يَفْرَقَا يَحْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾ [النساء: ١٣٠].

قال بعضهم: ربما كان النكاح واجب الترك إذا أدى إلى معصية أو مفسدة وفي الحديث: «يأتي على الناس زمان لا ينال فيه المعيشة إلا بالمعصية فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة» وفي الحديث: «إذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزوبة والترهب على رؤوس الجبال» كما في «تفسير الكواشي».

قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: إذا نفذ عدد حروف بسم الله الرحمن الرحيم فإنه يكون أوان خروج المهدي من بطن أمه، وقد نظم حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر هذا المعنى في بيتين بقوله:

إذا نفذ الزمان على حروف بسم الله فالمهدي قاما
ودورات الخروج عقيب صوم ألا بلغه من عندي سلاما
ولولا الحسد لظهر سر العدد انتهى .

يقول الفقير: إن اعتبر كل راء مكرراً لأن من صفتها التكرار يبلغ حساب الحروف إلى ألف ومائة وستة وثمانين فالظاهر من حديث الكواشي أن المراد مائة وثمانون بعد الألف وعليه قوله عليه السلام: «خيركم بعد المائتين خفيف الحاذ» قالوا: ما خفيف الحاذ يا رسول الله قال: «الذي لا أهل له ولا ولد».

وفي «التأويلات النجمية» ﴿وَأَنْكَحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ يشير إلى المريدين الطالبين وهم محرومون من خدمة شيخ يتصرف فيهم ليودع في أرحام قلوبهم النطفة من صلب الولاية فندبهم إلى طلب شيخ من الرجال البالغين الواصلين الذين بهم تحصل الولادة الثانية في عالم الغيب بالمعنى وهو طفل الولاية كما أن ولادتهم أولى حصلت في عالم الشهادة بالصورة ليكون ولوجهم في الملكوت كما أن عيسى عليه السلام قال لم يلج ملكوت السموات والأرض من لم يولد مرتين والنشأة الأخرى عبارة عن الولادة الثانية والعبد في هذا المقام آمن من رجوعه إلى الكفر والموت أما أمته من الكفر فيقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَنًا﴾ [البقرة: ٢٨] يعني: إذ كنتم نطفة. ﴿فَأَخْيَكُمُ﴾ [البقرة: ٢٨] بالولادة الأولى ﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] بموت الإرادة ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] بالولادة الثانية ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨] بجذبة ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً﴾ [الفجر: ٢٨] وأما أمة من الموت فيقوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا﴾ [الأنعام: ١٢٢] يعني: بالإرادة من الصفات النفسانية الحيوانية ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] بنور الربوبية. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أي بنور الله فهو حي بحياة الله لا يموت أبداً بل ينقل من دار إلى دار ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ﴾ معدومي استعداد قبول الفيض الإلهي ﴿يَغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بأن يجعلهم مستعدي قبول الفيض فإن الطريق من العبد إلى الله مسدود وإنما الطريق من الله إلى العبد مفتوح بأنه تعالى هو الفتح ويبيده المفتاح ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ الأرحام القلوب لتستعد لقبول فيضه ﴿عَلِيمٌ﴾ بإيصاله الفيض إليها انتهى. ﴿وَلِيَسْتَغْفِرَ﴾ إرشاد للعاجزين عن مبادي النكاح وأسبابه إلى ما هو أولى لهم وأحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء والعفة حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة والمتعفف المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر والاستغفاف طلب العفة. والمعنى ليجتهد في العفة وقمع الشهوة. ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: أسباب نكاح من مهر ونفقة فإنه لا معنى لوجدان نفس العقد والتزوج وذلك بالصوم كما قال عليه السلام: «ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» معناه أن الصوم يضعف شهوته ويقهرها عن طلب الجماع فيحصل بذلك صيانة الفرج وعفته فالأمر في ﴿وَلِيَسْتَغْفِرَ﴾ محمول على الوجوب في صورة التوقان ﴿حَتَّىٰ يَغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فيجدوا ما يتزوجون به.

قال في «ترجمة الفتوحات»: [بعض از صالحاً نرا چیزی نبود وزن خواست فرزند آمد وما يحتاج آن نداشت پس فرزند را گرفت و بیرون آمدن و ندا کرد که این جزای آنکس است که فرمان حق نبرد گفتند زنا کرده گفتی و لكن حق تعالی فرمود ﴿وَلِيَسْتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ حتى يغنيهم الله من فضله] من فرمان نبردم وتزوج کردم وفضیحت شد مردمان بروی

شفقت کردند وباخير تمام بمنزل خود بازگشت] أي فكان الزوج سبباً للغنى كما في الآية الأولى.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً﴾ أي: ليحفظ الذين لا يجدون شيخاً في الحال أرحام قلوبهم عن تصرفات الدنيا والهوى والشيطان. ﴿حتى يغنيهم الله من فضله﴾ بأن يدلهم على شيخ كامل كما دل موسى على الخضر عليهما السلام، أو يقض لهم شيخاً كما كان يبعث إلى كل قوم نبياً أو يختص بجذبة عناية من يشاء من عباده كما قال تعالى: ﴿يَجْتَنِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣] فلا يخلو حال المستعفف عن هذه الوجوه. ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِنَابَ﴾ [النور: ٣٣] الابتغاء الاجتهاد في الطلب والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبه. أي الذين يطلبون المكاتبه ﴿مما ملكت أيمانكم﴾ عبداً كان أو أمة وهي أن يقول المولى لمملوكه: كاتبتك على كذا كذا درهماً تؤديه إليّ وتعتق ويقول المملوك قبلته أو نحو ذلك فإن أداه إليه عتق يقال كاتب عبده كتاباً إذا عاقده على مال منجم يؤديه على نجوم معلومة، فيعتق إذا أدى الجميع فإن المكاتب عبد ما بقي عليه درهم ومعنى المفاعلة في هذا العقد أن المولى يكتب أي يفرض ويوجب على نفسه أن يعتق المكاتب إذا أدى البدل ويكتب العبد على نفسه أن يؤدي البدل من غير إخلال وأيضاً بدل هذا العقد مؤجل منجم على المكاتب والمال المؤجل يكتب فيه كتاب على من عليه المال غالباً.

وفي «المفردات»: كتابة العبد ابتياع نفسه من سيده بما يؤديه من كسبه واشتقاقها يصح أن يكون من الكتابة التي هي الإيجاب وأن يكون من الكتب الذي هو النظم باللفظ والإنسان يفعل ذلك روي: أن صبيحاً مولى حويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكتابه فأبى عليه فنزلت الآية كما في التكملة ﴿فكاتبوهم﴾ خبر الموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط أي فاعطوهم ما يطلبون من الكتابة والأمر فيه للندب لأن الكتابة عقد يتضمن الإرفاق فلا تجب كغيرها ويجوز حالاً ومنجماً وغير منجم عند أبي حنيفة رضي الله عنه. ﴿إن علمتم فيهم خيراً﴾ أي: أمانة ورشداً وقدرة على أداء البدل لتحصيله من وجه الحلال وصلاًحاً بحيث لا يؤذي الناس بعد العتق وإطلاق العنان.

قال الجنيد: إن علمتم فيهم علماً بالحق وعملاً به وهو شرط الأمر أي الاستحباب للعقد المستفاد من قوله فكاتبوهم فاللازم من انتفائه انتفاء الاستحباب لا انتفاء الجواز ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ أمر للموالي أمر ندب بأن يدفعوا إلى المكاتبين شيئاً مما أخذوا منهم وفي معناه حظ شيء من مال الكتابة وقد قال عليه السلام: «كفى بالمرء من الشح أن يقول آخذ حقّي لا أترك منه شيئاً» وفي حديث الأصمعي: «أتى أعرابي قوماً فقال لهم هذا في الحق أو فيما هو خير منه قالوا وما خير من الحق قال التفضل والتفضل أفضل من أخذ الحق كله» كذا في «المقاصد الحسنة» للسخاوي.

قال الكاشفي: [حويطب صبيح را بصد دينار مكاتب ساخنه بود بعد از استماع اين آيت بيست دينار بدو بخشيد] يعني: وهب له منها عشرين ديناراً فأداها وقتل يوم حنين في الحرب وإضافة المال إليه تعالى ووصفه بإتيانه إياهم للحث على الامتثال بالأمر بتحقيق المأمور به فإن ملاحظة وصول المال إليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي له من أقوى الدواعي إلى صرفه إلى الجهة المأمور بها.

قال بعضهم هو أمر لعامة المسلمين بإعانة المكاتبين بالتصدق عليهم. يعني [خطاب ﴿وَأَتَوْهُمْ﴾ راجع بعامه مسلماً نانتست كه اعانت كنند أورا زكات بدهند تامل كتابت ادا كند وكردن خودرا از طوق بندكى مخلوق بپرون آرد وبدين سبب أين خير رافك رقبه مي كويند واز عقبة عقوبت بدان ميتوان گذشت].

بشنو از من نكته أي زنده دل وز پس مركم به نيكي يا دكن
كه بلطف آزاده را بنده ساز كه بلحسن بنده آزاد كن

وفي الحديث: «ثلاثة حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الأداء، والناكح يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله» واختلفوا فيما إذا مات المكاتب قبل أداء النجوم فقال أبو حنيفة رحمه الله ومالك: إن ترك وفاء بما بقي عليه من الكتابة كان حراً وإن كان فيه فضل فالزيادة لأولاده الأحرار وقال الشافعي وأحمد: يموت رقيقاً وترتفع الكتابة سواء ترك مالاً أو لم يترك كما لو تلف المبيع قبل القبض يرتفع البيع. ﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ أي: إماءكم فإن كلاً من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والأمة وباعتبار المفهوم الأصلي وهو أن الفتى الطري من الشباب ظهر مزيد مناسبة الفتيات لقوله تعالى: ﴿على البغاء﴾ وهو الزنى من حيث صدوره عن الشواب لأنهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالباً دون من عداهن من العجائز والصغائر يقال: بغت المرأة بغاء إذا فجرت وذلك لتجاوزها إلى ما ليس لها ثم الإكراه إنما يحصل متى حصل التخويف بما يقتضي تلف النفس أو تلف العضو وأما باليسير من التخويف فلا تصير مكرهه. ﴿إن أردن تحصناً﴾ تعففاً أي جعلن أنفسهن في عفة كالحصن وهذا ليس لتخصيص النهي بصورة إرادتهن التعفف عن الزنى وإخراج ما عداها من حكمه بل للمحافظة على عاداتهن المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه وكان لعبد الله بن أبي ست جوار جميلة يكرههن على الزنى وضرب عليهن ضرائب جمع ضريبة وهي الغلة المضروبة على العبد والجزية فشكت اثنتان إلى رسول الله وهما معاذة ومسيكة فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا يفعلونه من القبائح ما لا يخفى فإن من له أدنى مروءة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه من إماءه فضلاً عن أمرهن أو إكراههن عليه لا سيما عند إرادتهن التعفف وإيثار كلمة إن على إذا مع تحقق الإرادة في مورد النص حتماً للإيذان بوجوب الانتهاء عن الإكراه عند كون إرادة التحصن في حيز التردد والشك فكيف إذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع. ﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ قيد للإكراه والعرض ما لا يكون له ثبوت ومنه استعار المتكلمون العرض لما لا ثبات لها والمعنى لا تفعلوا ما أنتم عليه من إكراههن على البغاء لطلب المتاع السريع الزوال من كسبهن وبيع أولادهن.

قال الكاشفي: [در تبيان آورده كه زانى بودى كه صد شتر ازبراى فرزندى كه ازمنزنى بها داشت بدادي]. ﴿ومن﴾ [هركه] يكرههن﴾ على ما ذكر من البغاء ﴿فإن الله من بعد إكراههن﴾ أي كونهن مكرهات على أن الإكراه مصدر من المبني للمفعول. ﴿غفور رحيم﴾ أي: لهن وتوسيط الإكراه بين اسم أن وخبرها للإيذان بأن ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة. وفيه دلالة على أن المكرهين محرومون منهما بالكلية وحاجتهن إلى المغفرة المنبئة عن سابقة الإثم باعتبار أنهن وإن كن مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنى عن شائبة مطاوعة بحكم الجبلة البشرية.

وفي «الكواشي»: المغفرة ههنا عدم الإثم لأنها لا إثم عليها إذا أكرهت على الزنى بقتل أو ضرب مفض إلى التلف أو تلف العضو، وأما الرجل فلا يحل له الزنى وإن أكره عليه لأن الفعل من جهته ولا يتأتى إلا بعزيمة منه فيه فكان كالقتل بغير حق لا يبيحه الإكراه بحال انتهى.

وفي الآيتين الكريمتين إشارتان:

الأولى: أن بعض الصلحاء الذين لم يبلغوا مراتب ذوي الهمم العالية في طلب الله ولكن ملكت إيمانهم نفوسهم الأمانة بالسوء فيريدون كتابتها من عذاب الله وعتقها من النار بالتوبة والأعمال الصالحة فكاتبوهم أي توبوهم إن تفرستم فيهم آثار الصدق وصحة الوفاء على ما عاهدوا الله عليه فإنه لا يلزم التلقين لكل من يطلبه وإنما يلزم لأهل الوفاء وهم إنما يعرفون بالفراصة القوية التي أعطاها الله لأهل اليقين وآتوهم من قوة الولاية والنصح في الدين الذي أعطاكم الله فإن لكل شيء زكاة وزكاة الولاية العلم والمعرفة والنصيحة للمستنصحين والإرشاد للطالبين والتعاون على البر والتقوى والرفق بالمتقين وكما أن المال ينتقض بل يزول ويفنى بمنع الزكاة فكذا الحال يغيب عن صاحبه بمنع الفقراء المسترشدين عن الباب ألا ترى أن السلطنة الظاهرة إنما هي لإقامة المصالح وإعانة المسلمين فكذا السلطنة الباطنة:

وللأرض من كأس الكرام نصيب

والثانية: أن النفوس المتمردة إذا أردن المتحصن بالتوبة بتوفيق الله وكرمه فلا ينبغي إكراهها على الفساد طلباً للشهوات النفسانية.

واعلم أن من لم يتصل نسبه المعنوي بواحد من أهل النفس الرحماني وادعى لنفسه الكمال والتكميل فهو زان في الحقيقة ومن هو تحت تربيته هالك لأنه ولد الزنى وربما رأيت من يكره بعض أهل الطلب على التردد لباب أهل الدعوى ويصرفه عن باب أهل الحق عناداً وغرضاً ومرضاً واتباعاً لهواه فهو إنما يكرهه على الزنى لأنه بملازمة باب أهل الباطل يصير المرء هالكاً كولد الزنى إذ يفسد استعداده فساد البيضة نسأل الله تعالى أن يحفظنا من كيد الكافرين ومكر الماكرين. ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ أي: وبالله لقد أنزلنا إليكم في هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما بكم حاجة إلى بيانه من الحدود وسائر الأحكام والآداب والتبيين في الحقيقة لله تعالى وإسناده إلى الآيات مجازي. ﴿ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم﴾ أي: وأنزلنا مثلاً كائناً من قبيل أمثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والأمثال المضروبة لهم في الكتب السابقة والكلمات الجارية على السنة الأنبياء فتنتظم قصة عائشة الحاكية لقصة يوسف وقصة مريم في الغرابة وسائر الأمثال الواردة انتظاماً واضحاً فإن في قصتهما ذكر تهمة من هو بريء مما اتهم به فيوسف اتهمته زليخا ومريم اتهمها اليهود مع براءتهما ﴿وموعظة﴾ تتعظون بها وتترجون عما لا ينبغي من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير الذاتي ﴿للمتقين﴾ وتخصيصهم مع شمول الموعظة لكل حسب شمول الإنزال لأنهم المتفعلون بها.

وفي «التأويلات النجمية»: أي ليتعظ من يريد الاتقاء عما أصاب المتقدمين فإن السعيد

من وعظ بغيره. قال الشيخ سعدى قدس سره:

نرود مرغ سوى دانه فراز چون دكر مرغ بيند اندر بند
پندكير از مصائب دكران تا نكيرند ديكران ز تو پند

روي: عن الشعبي أنه قال: خرج أسد وذئب وثعلب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وغزالاً وأرنباً فقال الأسد للذئب: اقسم فقال: الحمار الوحشي للملك والغزال لي والأرنب للثعلب قال: فرفع الأسد يده وضرب رأس الذئب ضربة فإذا هو متجندل بين يدي الأسد ثم قال للثعلب: اقسم هذه بيننا فقال الحمار يتغدى به الملك والغزال يتعشى به والأرنب بين ذلك فقال الأسد: ويحك ما أقضاك من علمك هذا القضاء فقال القضاء الذي نزل برأس الذئب ويقال الموعظة هي التي تلين القلوب وتسيل العيون اليابسة وهي من صفات القرآن عند من يلقي السمع وهو شهيد وفي الحديث: «أن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد» قيل: وما جلاؤها قال: «تلاوة القرآن وذكر الله تعالى» فعلى العاقل أن يستمع إلى القرآن ويتعظ بمواعظه ويقبل إلى قبول ما فيه من الأوامر وإلى العمل بما يحويه من البواطن والظواهر.

مهتري در قبول فرمانست ترك فرمان دليل حرمانست

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كِشْفَوْهَا مِصْبَاحٌ فِي نُجَاةِ الرَّجَاةِ كَأَنَّمَا كَوَّكِبٌ ذَرِيُّ يَوْفَدٍ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾
 فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٢١﴾﴾.

﴿الله نور السماوات والأرض﴾. قال الإمام الغزالي قدس سره في شرح الاسم: النور هو الظاهر الذي به كل ظهور فإن الظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نوراً ومهما قوبل الوجود بالعدم كان الظهور لا محالة للوجود ولا ظلام أظلم من العدم فالبريء من ظلمة العدم إلى ظهور الوجود جدير بأن يسمى نوراً والوجود نور فائض على الأشياء كلها من نور ذاته فهو نور السموات والأرض فكما أنه لا ذرة من نور الشمس إلا وهي دالة على وجود الشمس النيرة فلا ذرة من وجود السموات والأرض وما بينهما إلا وهي بجواز وجودها دالة على وجود وجوب وجود موجدتها انتهى ويوافقه النجم في «التأويلات» حيث قال: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ أي: مظهرهما من العدم إلى الوجود فإن معنى النور في اللغة الضياء وهو الذي يبين الأشياء ويظهرها للأبصار انتهى، فقله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ من باب التشبيه البليغ أي كالنور بالنسبة إليهما من حيث كونه مظهرأ لهما أي موجدأ فإن أصل الظهور هي الظهور من العدم إلى الوجود فإن الأعيان الثابتة في علم الله تعالى خفية في ظلم العدم وإنما تظهر بتأثير قدرة الله تعالى كما في «حواشي ابن الشيخ».

يقول الفقير: لا حاجة إلى اعتبار التشبيه البليغ فإن النور من الأسماء الحسنى وإطلاقه على الله حقيقي لا مجازي فهو بمعنى المنور ههنا فإنه تعالى نور الماهيات المعدومة بأنوار الوجود وأظهرها من كتم العدم بفيض الجود كما قال عليه السلام: «إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره» فخلق ههنا بمعنى التقدير فإن التقدير سابق على الإيجاد ورش النور كناية عن إفاضة الوجود على الممكنات والممكن يوصف بالظلمة فإنه يتنور بالوجود فتنويره إظهاره.

واعلم أن النور على أربعة أوجه: أولها: نور يظهر الأشياء للأبصار وهو لا يراها كنور الشمس وأمثالها فهو يظهر الأشياء المخفية في الظلمة ولا يراها. وثانيها: نور البصر وهو يظهر

الأشياء للأبصار ولكنه يراها وهذا النور أشرف من الأول. وثالثها: نور العقل وهو يظهر الأشياء المعقولة المخفية في ظلمة الجهر للبصائر وهو يدركها ويراه. ورابعها: نور الحق تعالى وهو يظهر الأشياء المعدومة المخفية في العدم للأبصار والبصائر من الملك والملكوت وهو يراها في الوجود كما كان يراها في العدم لأنها كانت موجودة في علم الله وإن كانت معدومة في ذواتها فما تغير علم الله ورؤيته بإظهارها في الوجود بل كان التغير راجعاً إلى ذوات الأشياء وصفاتها عند الإيجاد والتكوين فتحقيق قوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ مظهرهما ومبديهما وموجودهما من العدم بكمال القدرة الأزلية.

در ظلمت عدم همه بودیم بی خبر نور وجود سر شهود از تو یافتیم
قال بعض الکبار [در زمان ظلمت هیچکس ساکن از متحرک نشناسد وعلو از سفلی تمیز
نکنند و قبیح را از صبیح باز نداند و چون رایت نور ظهور نمود خیل ظلام روی بانهازم آرند
ووجودات و کیفیات ظاهر گردد و صفو از کدر و عرض از جوهر متمیز شود مدرکة انسانیة
داندکه استفاده این دانش و تمیز بنور کرده اما در ادراک نور متحیر باشد چه داندکه عالم از نور
مملو است و او مخفی ظاهر بدلالات و باطن بالذات پس حق سبحانه و تعالی ما بدو دولت
ادراک یافته ایم و بمرتبة تمیز اشیا رسیده سزاوار آن باشد که آنرا نور گویند

همه عالم بنور اوست پیدا کجا او کرد از عالم هویدا
زهی نادانکه او خورشید تابان بنور شمع جوید در بیابان
در تبیان آورده که مدلول السموات والأرض چه هر دلیلی از دلائل قدرت و بدائع
حکمت که دردوا نر سپهر برین و مراکز زمین واقعست دالتی واضح دارد بر وجود قدرت
و بدائع حکمت او].

ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وجود جملة اشیا دلیل قدرت او

وقال سلطان المفسرين ابن عباس رضي الله عنهما: أي هادي أهل السموات والأرض
فهم بنوره تعالى يهتدون وبهده من حيرة الضلالة ينجون. يعني [بهدايت أو بهستيء خود راه
بردند و بارشاد أو مصالح دين و دنيا بشناسند] ولما وصلوا إلى نور الهداية بتوفيقه تعالى سمى
نفسه باسم النور جرياً على مذهب العرب فإن العرب قد تسمى الشيء الذي من الشيء باسمه
كما يسمى المطر سحاباً لأنه يخرج منه ويحصل به فلما حصل نور الإيمان والهداية بتوفيقه
سماه بذلك الاسم ويجوز أن يعبر عن النور بالهداية وعن الهداية بالنور لما يحصل أحدهما من
الآخر قال الله تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] لما اهتدوا بنور النجم جعل النجم
كالهادي لهم وجعلهم من المهتدين بنوره وعلى هذا سمي القرآن نوراً والتوراة نوراً بمعنى
الاهتداء بهما كما في «الأسئلة المقحمة» فعلى هذا شبهت الهداية بالنور في كونها سبباً للوصول
إلى المطلوب فأطلق اسم النور عليها على سبيل الاستعارة ثم أطلق النور بمعنى الهداية عليه
تعالى على طريق رجل عدل.

وقال حضرة الشيخ الشهير بأفتاده قدس سره: خطر ببالي على وجه الكشف أن النور في
قوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ بمعنى العلم وهو بمعنى العالم من باب رجل عدل
ووجه المناسبة بينهما أنه تنكشف بالنور المحسوسات وبالعلم تنكشف المعقولات بل جميع

الأمور كذا في «الواقعات المحمودية» ويقال: إنه منور السموات بالشمس والقمر والكواكب والأرض بالأنبياء والعلماء والعباد.

وقال في «عرائس البيان»: أراد بالسموات والأرض صورة المؤمن رأسه السموات وبدنه الأرض وهو تعالى بجلالة قدره نور هذه السموات والأرض إذ زين الرأس بنور السمع والبصر والشم والذوق والبيان في اللسان فنور العين كنور الشمس والقمر، ونور الأذن كنور الزهرة والمشتري، ونور الأنف كنور المريخ وزخل ونور اللسان كنور عطارد وهذه السيارات النيرات تسرى في بروج الرأس، ونور أرض البدن الجوارح والأعضاء والعضلات واللحم والدم والشعرات وعظامها الجبال. [إمام زاهد فرموده كه خدايرا نورتوان كفت ولي روشنى نتوان كفت چه روشنى ضد تاريكست وخداي تعالى آفريد كار هر دو ضد است] فالنور الذي بمقابلة الظلمة حادث لأن ما كان بمقابلة الحادث حادث فمعنى كونه تعالى نوراً هو أنه مبدأ هذا النور المقابل بالظلمة ثم إن إضافة النور إلى السموات والأرض مع أن كونه تعالى نوراً ليس بالإضافة إليها فقط للدلالة على سعة إشرافه فإنهما مثلاً في السعة قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَرِشَهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ويجوز أن يقال: قد يراد بالسموات والأرض العالم بأسره كما يراد بالمهاجرين والأنصار جميع الصحابة كما في «حواشي سعدي» المفتي ونظيره قوله تعالى في الحديث القدسي خطاباً للنبي عليه السلام: «لولاك لما خلقت الأفلاك» أي: العوالم بأسرها لكنه خصص الأفلاك بالذكر لعظمها وكونها بحيث يراها كل من هو من أهل النظر وهو اللانح بالبال والله الهادي إلى حقيقة الحال. ﴿مثل نوره﴾ أي: نوره الفائض منه تعالى على الأشياء المستنيرة وهو القرآن المبين كما في «الإرشاد» فهو تمثيل له في جلاء مدلوله وظهور ما تضمنه من الهدى بالمشكاة المنعوتة والمراد بالمثل الصفة العجيبة أي صفة نوره العجيب وإضافته إلى ضميره تعالى دليل على أن إطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كما في «أنوار التنزيل» ﴿كمشكاة﴾ أي صفة كوة غير نافذة في الجدار في الانارة وهي بلغة الحيشة. وبالفارسية [ما نندروزنه ايست در ديوارى كه او بخارج راه ندارد چون طاقى] ﴿فيها مصباح﴾ سراج ضخم ثابت. وبالفارسية [جراع فروخته ونيك روشن] ﴿المصباح في زجاجة﴾ أي: قنديل من الزجاج الصافي الأزهر وفائدة جعل المصباح في زجاجة والزجاجة في كوة غير نافذة شدة الإضاءة لأن المكان كلما تضائق كان أجمع للضوء بخلاف الواسع فالضوء ينتشر فيه وخص الزجاج لأنه أحكى الجواهر لما فيه. ﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾ متألئء وقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته كالمشتري والزهرة والمريخ ودراري الكواكب عظامها المشهورة ومحل الجملة الأولى الرفع على أنها صفة لزجاجة أو للام مغنية عن الرابض كأنه قيل: فيها مصباح هو في زجاجة هي كأنها كوكب دري وفي إعادة المصباح والزجاجة معرفين أثر سبقهما منكرين والإخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بأن يقال كمشكاة فيها مصباح في زجاجة كأنها كوكب دري من تفخيم شأنها بالتفسير بعد الإبهام ما لا يخفى. ﴿يوقد من شجرة﴾ أي يبتدأ إيقاد المصباح من زيت شجرة. ﴿مباركة﴾ أي كثيرة المنافع لأن الزيت يسرج به وهو إدام ودهان ودباغ ويوقد بحطب الزيتون ويثقله ورماده يغسل به الإبريسم ولا يحتاج في استخراج دهنه إلى عصار وفيه زيادة الإشراف وقلة الدخان وهو مصححة من الباسور. ﴿زيتونة﴾ بدل من شجرة: وبالفارسية [كه آن زيتونست كه هفتاد پيغمبر بدو دعا کرده ببركت واز جمله إبراهيم خليل عليه السلام] وخصها من بين سائر الأشجار لأن دهنها أضوء وأصفى.

قال في «إنسان العيون»: شجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة. ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ أي: لا شرقية تطلع عليها الشمس في وقت شروقها فقط ولا غربية تقع عليها حين غروبها فقط بل بحيث تقع عليها طول النهار فلا يسترها عن الشمس في وقت من النهار شيء كالتي على قلة أو صحراء فتكون ثمرتها أنضج وزيتها أصفى أو لا في مضحي تشرق الشمس عليها دائماً فتحرقها ولا في مفيأة تغيب عنها دائماً فتتركها نيئاً أو لا نابتة في شرق المعمورة نحو كنكدز وديار الصين وخطا ولا في غربها نحو طنجة وطرابلس وديار القيروان بل في وسطها وهو الشام فإن زيتونه أجود الزيتون أو في خط الاستواء بين المشرق والمغرب وهي قبة الأرض فلا توصف بأحد منهما فلا يصل إليها حر وبرد مضرين وقبة الأرض وسط الأرض عامرها وخرابها وهو مكان معتدل فيه الأزمان في الحر والبرد ويستوي الليل والنهار فيه أبداً لا يزيد أحدهما على الآخر أي يكون كل منهما اثنتي عشرة ساعة [حسن بصري رحمة الله فرموده كه أصل أين شجره از بهشت بدنیا آورده اند پس از أشجار این عالم نیست كه وصف شرقي وغربي برو تواند كرد] «يكاد زيتها يضيء» [روشنی دهد] «ولو لم تمسه نار» [واكرچه نرسیده باشد بوی آتشی يعني درخشندكي بمثابة ايست بي آتش روشنایی بخشد] أي هو في الصفاء والإنارة بحيث يكاد يضيء المكان بنفسه من غير مساس نار أصلاً وتقدير الآية يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسه نار أي يضيء كائناً على كل حال من وجود الشرط وعدمه فالجملة حالية جيء بها لاستقصاء الأحوال حتى في هذه الحال. ﴿نور﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي ذلك النور الذي عبر به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشأن بما فصل من صفة المشكاة نور كائن. ﴿على نور﴾ كذلك، أي: نور متضاعف فإن نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لأشعته فليس عبارة عن مجموع نورين اثنين فقط بل المراد به التكثير كما يقال: فلان يضع درهماً على درهم لا يراد به درهمان. ﴿يهدي الله لنوره﴾ أي: يهدي هداية خاصة موصلة إلى المطلوب حتماً لذلك النور المتضاعف العظيم الشأن. ﴿من يشاء﴾ هدايته من عباده بأن يوفقههم لفهم ما فيه من دلائل حقيقته وكونه من عند الله من الإعجاز والإخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الإيمان وهذا من قبيل الهداية الخاصة ولذا قال: من يشاء ففيه إيدان بأن مناط هذه الهداية وملاكها ليس إلا مشيئته وأن تظاهر الأسباب بدونها بمعزل من الإفضاء إلى المطالب.

قرب تو باسباب وعلل نتوان یافت بي سابقه فضل ازل نتوان یافت ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ أي: يبينها تقريباً إلى الإفهام وتسهيلاً لسبل الإدراك. يعني [معقولات را در صورت محسوسات بیان میکند برای مردم تازود در یابند و مقصود سخن برایشان کردد] وهذا من قبيل الهداية العامة ولذا قال للناس: ﴿والله بكل شيء عليم﴾ من ضرب الأمثال وغيره من دقائق المعقولات والمحسوسات وحقائق الجليات والخفيات. قالوا: إذا كان مثلاً للقرآن فالمصباح القرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة الوحي وهي لا مخلوقة ولا مختلقة [نزد يكست كه هنوز قرآن نا خوانده دلائل وحجج او برهمكناں واضح شود پس چودبر آن قراءت كند] ﴿نور على نور﴾ [باشد]. فإن قيل لم شبهه بذلك وقد علمنا أن ضوء الشمس أبلغ من ذلك بكثير؟ أجيب بأنه سبحانه أراد أن يصف الضوء الكامل الذي يلوح في وسط الظلمة لأن الغالب

على أوهام الخلق وخيالاتهم إنما هي الشبهات التي هي كالظلمات وهداية الله تعالى فيما بينهما كالضوء الكامل الذي يظهر فيما بين الظلمات وهذا المقصود لا يحصل من تشبيهه بضوء الشمس لأن ضوءها إذا ظهر امتلاً العالم من النور الخالص وإذا غاب امتلاً العالم من الظلمة الخالصة فلا جرم كان ذلك المثل ههنا أليق.

وقال بعضهم: [مراد نور إيمانست حق سبحانه وتعالى تشبيه كرد سينه مؤمن را بمشكاة ودل را درسینه بقندیل زجاجة در مشكاة وإيمانرا بچراغی افروخته در قندیل وقندیل بکوکبی درخشنده وكلمة اخلاص بشجرة مباركة ازتاب آفتاب خوف وخلال نوال رجا بهرة دارد ونزدیکست که فیض کلمه بی آنکه بزبان مؤمن كذرد عالم را منود کند چون اقرار بآن برزبان جاری شده وتصدیق جنان بآن یارکشته، ﴿نور علی نور﴾ بظهور رسید] وشبه بالزجاج دون سائر الجواهر لاختصاص الزجاج بالصفاء يتعدى النور من ظاهره إلى باطنه وبالعكس وكذلك نور الإيمان يتعدى من قلب المؤمن إلى سائر الجوارح والأعضاء وأيضاً إن الزجاج سريع الانكسار بأدنى آفة تصيبه فكذا القلب سريع الفساد بأدنى آفة تدخل فيه [وكفته اند آن نور معرفت اسرار الهیست یعنی چراغ معرفت دو زجاجة دل عارف ومشكاة سینة او افروخته است از برکت زیت تلقین شجرة مبارک حضرت محمدی علیه السلام نه شریکست ونه غربی بلکه مکینست ومکة سرة عالم وازفرا گرفتن عارف آن اسرار را از تعلیم آن سید ابرار ﴿نور علی نور﴾ معلوم توان کرد] وإنما شبه المعرفة بالمصباح وهو سريع الانطفاء وقلب المؤمن بالزجاج وهو سريع الانكسار ولم يشبهها بالشمس التي لا تطفأ ولا قلب المؤمن بالأشياء الصلبة التي لا تنكسر تنبيهاً على أنه على خطر وجدير بحذر كما في «التيسير» [در روح الأرواح آورده که آن نور حضرت محمد یست علیه السلام مکشاة آدم باشد وزجاجة نوح وزیتون ابراهیم که نه یهودیه مائل است چون یهود غرب را قبله ساختند ونه نصرانیه چون نصاری روی بشرق آورده اند ومصباح حضرت رسالتست علیه السلام یا مشكاة ابراهیم است وزجاجة دل صافی مطهر او ومصباح علم کامل او شجرة خلق شامل او که نه در جانب خلود افراط است ونه در طرف تقصیر وتفریط بلکه طریق اعتدال که «خیر الأمور أوسطها» واقع شده وصراط سوی عبارت از آنست. ودر عین المعانی فرموده که نور محبت حبیب بانور خلیل نور علی نوراست].

پدر نور پسر نور یست مشهور ازینجافهم کن نور علی نور

قال القشيري: ﴿نور علی نور﴾ نور اکتسبه بجهدهم ونظرهم واستدلّاهم ونور وجدوه بفضل الله بأفعالهم وأقوالهم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وفي «التأويلات النجمية»: هذا مثل ضربه الله تعالى للخلق تعريفاً لذاته وصفاته فلكل طائفة من عوام الخلق وخواصهم اختصاص بالمعرفة من فهم الخطاب على حسب مقاماتهم وحسن استعدادهم فأما العوام فاخصاصهم بالمعرفة في رؤية شواهد الحق وآياته بإراءته إياهم في الآفاق وأما الخواص فاخصاصهم بالمعرفة في مشاهدة أنوار صفات الله تعالى وذاته تبارك وتعالى بآراءه في أنفسهم عند التجلي لهم بذاته وصفاته كما قال تعالى في الطائفتين ﴿سَرَّيْنَهُمْ ءَايَتُنَا فِي الْآفَاقِ﴾ [فصلت: ٥٣] أي لعوامهم ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] أي لخواصهم ﴿حَقَّقَ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] فكل طائفة بحسب مقامهم تحظى من المعرفة فأما حظ العوام من رؤية شواهد الحق وآياته في الآفاق بإراءة الحق فبأن يرزقهم فهماً ونظراً في معنى الخطاب ليتفكروا

في خلق السموات والأرض أن صورتها وهي عالم الأجسام هي المشكاة والزجاجة فيها هي العرش والمصباح الذي هو عمود القنديل الذي يجعل فيه الفتيلة فهي بمثابة الكرسي من العرش وزجاجة العرش. ﴿كَأَنَّهُا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ وهي شجرة الملكوت وهو باطن السموات والأرض ومعناهما. ﴿لَا شَرْقِيَّةٌ﴾ أي ليست من شرق الأزل والقدم كذات الله وصفاته. ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٌ﴾ أي: ليست من غرب الفناء والعدم كعالم الأجسام وصورة العالم بل هي مخلوقة أبدية لا يعترئها الفناء. ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾ وهو عالم الأرواح ﴿يُضِيءُ﴾ أي يظهر من عدم في عالم الصور المتولدات بازدواج الغيب والشهادة طبعاً وخاصة كما توهمه الدهرية والطبائعية عليهم لعنات الله تترى. ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ نار القدرة الإلهية ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ أي نور الصفة الرحمانية على نور أي باستوائه على نور العرش فينقسم نور الصفة الرحمانية من العرش إلى السموات والأرض فيتولد منه متولدات ما في السموات والأرض بالقدرة الإلهية على وفق الحكمة والإرادة القديمة فهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣] فافهم جداً.

وأما حظ الخواص في مشاهدة أنوار صفات الله تعالى وذاته بإراءة الحق في أنفسهم فإنما يتعلق بالسير فيها لأن الله تعالى خلق نفس الإنسان مرآة قابلة لشهود ذاته وجميع صفاته إذا كانت صافية عن صدأ الصفات الذميمة والأخلاق الرديئة مصقولة بمصقلة كلمة لا إله إلا الله لينتفي بنفي لا إله تعلقها عما سوى الله ويثبت بإثبات إلا الله فيها نور جمال الله وجلاله فيرى بنور الله الجسد كالمشكاة والقلب كالزجاجة والسر كالمصباح. ﴿وَالزَّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ وهي شجرة الروحانية. ﴿لَا شَرْقِيَّةٌ﴾ أي: لا قديمة أزلية ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٌ﴾ أي: لا فانية تغرب في سماء الوجود في عين عدم ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾ وهو الروح الإنسانية ﴿يُضِيءُ﴾ بنور العقل الذي هو ضوء الروح وصفائه أي يكاد زيت الروح أن يعرف الله تعالى بنور العقل ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ أي: نار نور الإلهية فأبت عظمة جلال الله وعزة كبريائه أن تدرك بالعقول الموسومة بوصمة الحدوث إلا أن يتجلى نور القدم لنور العقل الخارج من عدم كما قال تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مِنْ يَشَاءُ﴾ أي: ينور مصباح سر من يشاء بنور القدم فتتنور زجاجة القلب ومشكاة الجسد ويخرج أشعتها من روزنة الحواس فاستضاءت أرض البشرية ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] وتحقق حينئذ مقام «كنت له سمعاً وبصراً» الحديث.

وفيه إشارة أن إلى نور العقل مخصوص بالإنسان مطلقاً ولا سبيل له بالوصول إلى نور الله فهو مخصوص بهداية الله إليه فضلاً وكرماً لا يتطرق إليه كسب العباد وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ﴿وَيُضْرَبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ أي: للناسين عهود أيام الوصال بلاهم في أزل الأزال. ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ في حالات وجود الأشياء وعدمها بغير التغير في ذاته وصفاته انتهى كلام «التأويلات».

قال حضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره:

اعلم أن النور الحقيقي يدرك به وهو لا يدرك لأنه عين ذات الحق من حيث تجردها عن النسب والإضافات ولهذا سئل النبي عليه السلام هل رأيت ربك قال: «نور أنى أراه» أي النور المجرد لا يمكن رؤيته وكذا أشار الحق في كتابه لما ذكر ظهور نوره في مراتب المظاهر قال:

﴿الله نور السموات والأرض﴾ فلما فرغ من ذكر مراتب التمثيل قال: ﴿نور على نور﴾ فأحد النورين هو الضياء والآخر هو النور المطلق الأصلي ولهذا تمم فقال: ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ أي: يهدي الله بنوره المتعين في المظاهر والساري فيها إلى نوره المطلق الأحدي انتهى كلامه في «الفكوك».

قال في «تفسير الفاتحة»: فالعالم بمجموع صورته المحسوسة وحقائقه الغيبية المعقولة أشعة نور الحق وقد أخبر الحق أنه نور السموات والأرض ثم ذكر الأمثلة والتفاصيل المتعينة بالمظاهر على نحو ما تقتضيه مرآتها ثم قال في آخر الآية: ﴿نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء﴾ فأضاف النور إلى نفسه مع أنه عين النور وجعل نوره المضاف إلى العالم الأعلى والأسفل هادياً إلى معرفة نوره المطلق ودالاً عليه كما جعل المصباح والمشكاة والشجرة وغيرها من الأمثال هادياً إلى نوره المقيد وتجلياته المتعينة في مراتب مظاهره وعرف أيضاً على لسان نبيه عليه السلام أنه النور وأن حجاب النور انتهى بإجمال.

قال حضرة شيخني وسندي روح الله روحه قوله: ﴿نور على نور﴾ النور الأول هو النور الإضافي المنبسط على سموات الأسماء وأرض الأشياء والنور الثاني هو النور الحقيقي المستغني عن سموات الأسماء وأرض الأشياء والنور الإضافي دليل دال على النور الحقيقي والدليل ظاهر. النور المطلق والمدلول باطنه وفي التحقيق الأتم هو دليل على نفسه لا يعرف الله إلا الله سبحانه ﴿في بيوت﴾ متعلق بالفعل المذكور بعده وهو يسبح.

قال في «المفردات»: أصل البيت مأوى الإنسان بالليل ثم قد يقال من غير اعتبار الليل فيه وجمعه أبيت وبيوت لكن البيوت بالمسكن أخص والأبيات بالشعر ويقع ذلك على المتخذ من حجر ومدر ومن صوف ووبر وبه شبه بيت الشعر وعبر عن مكان الشيء بأنه بيته والمراد بالبيوت المساجد كلها لقول ابن عباس رضي الله عنهما المساجد بيوت الله في الأرض تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم في الأرض ﴿أذن الله﴾ الإذن في الشيء إعلام بإجازته والرخصة فيه ﴿أن ترفع﴾ بالبناء أو التعظيم ورفع القدر. يعني [أنرا رفيع قدر وبزرر مرتبه دانند].

قال الإمام الراغب: الرفع يقال تارة في الأجسام الموضوعة إذا أعليتها عن مقرها نحو قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣] وتارة في البناء إذا طولته نحو قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لِرَفْعِ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدِ مِنَ الْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧] وتارة في الذكر إذا نوهته نحو قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] وتارة في المنزلة إذا شرفتها نحو قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَ دَرَجَاتِكَ﴾ [الأنعام: ١٦٥] ويذكر فيها اسمه ﴿اسم الله تعالى ما يصح أن يطلق عليه بالنظر إلى ذاته أو باعتبار صفة من صفاته السلبية كالقدوس أو الثبوتية كالعليم أو باعتبار فعل من أفعاله كالخالق لكنها توقيفية عند بعض العلماء وهو عام في كل ذكر توحيداً كان أو تلاوة قرآن أو مذاكرة علوم شرعية أو أذاناً أو إقامة أو نحوها. يعني [در آنجا بذكر ونماز اشتغال بايد نمود وازسخن دنيا وكلام ما لا يعنى بزاحتراز بايد بود] وفي الأثر: «الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش» ﴿يسبح له فيها﴾ فيها تكرير لقوله في بيوت للتأكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة وللإيدان بأن التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط والتسبيح تنزيه الله وأصله المَرّ السريع في عبادة الله فإن السبح المَرّ السريع في الماء

أو في الهواء يستعمل باللام وبدونها أيضاً وجعل عاماً في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نية أريد به ههنا الصلوات المفروضة كما ينبيء عنه تعيين الأوقات بقوله تعالى: ﴿بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ أي: بالغدوات والعشيات فالمراد بالغدو وقت صلاة الفجر المؤداة بالغداة وبالأصال ما عداه من أوقات صلوات الظهر والعصر والعشاءين لأن الأصيل يجمعها ويشملها كما في «الكواشي» وغيره. والغدو مصدر يقال: غدا يغدو غدواً أي دخل في وقت الغدوة وهي ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس والمصدر لا يقع فيه الفعل فأطلق على الوقت حسبما يشعر اقترانه بالأصال جمع أصيل وهو العشي أي من زوال الشمس إلى طلوع الفجر.

﴿رَجَالٌ لَا لُتْهِمِهِمْ كَيْدٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨).

﴿رجال﴾ فاعل يسبح ﴿لا لتهيمهم﴾ لا تشغلهم من غاية الاستغراق في مقام الشهود يقال: ألهاه عن كذا إذا شغله عما هو أهم. ﴿تجارة﴾ التجارة صفة التاجر من بيع وشراء والتاجر الذي يبيع ويشترى.

قال في «المفردات»: التجارة التصرف في رأس المال طالباً للربح وليس في كلامهم تاء بعدها جيم غير هذه اللفظة وتخصيص التجارة لكونها أقوى الصوارف عندهم وأشهرها أي لا يشغلهم نوع من أنواع التجارة. ﴿ولا بيع﴾ البيع إعطاء المثلث وأخذ الثمن والشراء إعطاء الثمن وأخذ المثلث أي ولا فرد من أفراد البياعات وإن كان في غاية الربح وإفراجه بالذكر مع اندراجة تحت التجارة لكونه أهم من قسمي التجارة فإن الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشراء أي ربح الشراء، متوقع في ثاني الحال عند البيع فلم يكن ناجزاً كربح البيع فإذا لم يلهمهم المقطوع فالمظنون أولى ﴿عن ذكر الله﴾ بالتسبيح والتمجيد. ﴿وإقام الصلاة﴾ أي إقامتها بمواقيتها من غير تأخير وقد سقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالإعلال وعوض عنها الإضافة.

قال ابن الشيخ: إقامة الصلاة اتمامها برعاية جميع ما اعتبره الشرع من الأركان والشرائط والسنن والآداب فمن تساهل في شيء منها لا يكون مقيماً لها. ﴿وإيتاء الزكاة﴾ أي: المال الذي فرض إخراجه للمستحقين وإيراده ههنا وإن لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرين إقامة الصلاة لا يفارقها في عامة المواضع. ﴿يخافون﴾ صفة ثانية للرجال والخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن إمارة مظنونة أو معلومة ويضاد الخوف الأمن. والمعنى بالفارسية [مي ترسند اين مردمان باوجود چنین توجه واستغراق] ﴿يوماً﴾ مفعول ليخافون لا ظرف والمراد يوم القيامة، أي من اليوم الذي ﴿تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ صفة ليوماً والتقلب التصرف والتغير من حال إلى حال وقلب الإنسان سمي به لكثرة تقلبه من وجه إلى وجه والبصر يقال للجارحة النازرة وللقوة التي فيها. والمعنى: تضطرب وتتغير في أنفسها وتنتقل عن إماكنها من الهول والفرع فتتقلب القلوب في الجوف وترتفع إلى الحنجرة ولا تنزل ولا تخرج كما قال تعالى: ﴿وَيَلْغِي الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠] وتقلب الأبصار شخوصها كما قال تعالى: ﴿لَيَوْمٍ تُنْخَسِفُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢] وإذ زاغت الأبصار أو تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والأبصار من أي ناحية يؤخذ بهم ومن أي جهة يأتي كتابهم.

﴿ليجزئهم الله﴾ متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكى من أعمالهم المرضية أي يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزئهم الله تعالى والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر والأجر خاص بالمشوبة الحسنى كما في «المفردات». ﴿أحسن ما عملوا﴾ أي: أحسن جزاء أعمالهم حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف. ﴿ويزيدهم من فضله﴾ أشياء لم يعدهم بها على أعمالهم ولم تخطر ببالهم وهو العطاء الخاص لا لعمل. ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الإحسان. والرزق العطاء الجاري والحساب استعمال العدد، أي يفيض ويعطي من يشاء ثواباً لا يدخل تحت حساب الخلق.

قال كثير من الصحابة رضي الله عنهم: نزلت هذه الآية في أهل الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا إليها أي لا في أصحاب الصفة وأمثالهم الذين تركوا التجارة ولزموا المسجد فإنه تعالى قال: ﴿ وإيتاء الزكاة ﴾ وأصحاب الصفة وأمثالهم لم يكن عليهم الزكاة قال الإمام الراغب: قوله تعالى: ﴿ لا تلهيهم ﴾ الآية ليس ذلك نهياً عن التجارة وكراهية لها بل نهى عن التهاوت والاشتغال عن الصلوات والعبادة بها انتهى. [أورده اندكده ملك حسين كه وإلى هرات بود از حضرت قطب الأقطاب خواجه بهاء الحق والدين محمد نقشبند قدس سره پرسيدكه در طريقة شما ذكر جهر وخلوت وسماع مي باشد فرمودندكه باشد پس كفت بنباى طريقت شما برچيست فرمودندكه «خلوت دارانجمي بظاهر باخلق وبياطن باحق»]. ازدرون شواشننا واز برون بيكانه وش اينچين زيبا روش كم مي بود اندر جهان آنچه حق سبحانه وتعالى فرما يدكه. ﴿رجال لا تلهيهم تجارة﴾ الآية اشارت بدین مقامست.

سر رشته دولت أي برادر بكف آرا وین عمر كرامی بخسارت مكذار دائم همه جا باهمه كس درهمه كار ميدار نهفت چشم دل جانب يار قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف خص الرجال بالمدح والثناء دون النساء؟ فالجواب لأنه لا جمعة على النساء ولا جماعة في المساجد. قال بعضهم: من أسقط عن سره ذكر ما لم يكن فكان يسمى رجلاً حقيقة ومن شغله عن ربه من ذلك شيء فليس من الرجال المتحققين.

وفي «التأويلات النجمية»: وإنما سماهم رجالاً لأنه لا تتصرف فيهم تجارة وهي كناية عن النجاة من دركات النيران كما قال تعالى: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَخْرَجٍ تُجَرِّكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ [الصف: ١٠] ولا بيع كناية عن الفوز بدرجات الجنان كما قال تعالى: ﴿ فَأَسْتَبْشِرُوا بِنَجْمِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ﴾ [التوبة: ١١١] وهو قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١] ولو تصرف فيهم شيء من الدارين بالتفاتهم إليه وتعلقهم به حتى شغلهم عن ذكر الله أي عن طلبه والشوق إلى لقائه لكانوا بمثابة النساء فإنهن محال التصرف فيهن وما استحقوا اسم الرجال وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال: «يا داود فرغ لي بيتاً أسكن فيه قال يا رب أنت منزله عن البيوت قال: فرغ لي قلبك» وتفرغها أي القلوب التي أشارت إليها البيوت تصفيتها عن نقوش المكونات وتصقيلها عن صدأ تعلقات الكونين وإنما هو بذكر الله

والمداومة عليه كما قال عليه السلام: «إن لكل شيء صقالة وإن صقالة القلوب بذكر الله» فإذا صقلت تحلى الله فيها بنور الجمال وهو الزيادة في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ والرزق بغير حساب في أرزاق الأرواح والمواهب الإلهية فأما أرزاق الأشباح فمحصورة معدودة.

فعلى العاقل الاجتهاد بأعمال الشريعة وآداب الطريقة فإنه سبب الوصول إلى أنوار الحقيقة ومن تنور باطنه في الدنيا تنور ظاهره وباطنه في العقبى وكل جزاء فإنما هو من جنس العمل. روي: أنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الذي فتقول لهم الملائكة: ما أعمالكم فيقولون: كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم يحشر طائفة وجوههم كالأقمار فيقولون بعد السؤال: كنا نتوضأ قبل الوقت، ثم يحشر طائفة وجوههم كالشموس فيقولون: كنا نسمع الأذان في المسجد وفي الحديث: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول» أي: ثواب من يأتي في الوقت الأول والثاني، «فإذا جلس الإمام» يعني صعد المنبر «طوا الصحف وجاءوا يسمعون الذكر» أي: الخطبة فلا يكتبون ثواب من يأتي في ذلك الوقت والمراد منه أجر مجرد مجيئه قيل لا يكتبون أصلاً وقيل يكتبونه بعد الاستماع والمراد بالملائكة كتبة ثواب من يحضر الجمعة وهم غير الحفظة اللهم اجعلنا من المسارعين المسابقين واحشرنا في زمرة أهل الصدق والحق واليقين.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ يَفْبِقُهُ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوفَتْهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

﴿والذين كفروا أعمالهم﴾ أي: أعمالهم التي هي من أبواب البر كصلة الأرحام وعتق الرقاب وعمارة البيت وسقاية الحاج وإغاثة الملهوفين وقرى الأضياف وإراقة الدماء ونحو ذلك مما لو قارنه الإيمان لاستتبع الثواب. ﴿كسراب﴾ هو ما يرى في المفازة من لمعان الشمس عليها نصف النهار فيظن أنه ماء يسرب أي يذهب ويجري وكان السراب فيما لا حقيقة له كالشراب فيما له حقيقة. ﴿بقية﴾ متعلق بمحذوف هو صفة السراب، أي كائن في قاع وهي الأرض المنبسطة المستوية قد انفرجت عنها الجبال.

قال في «المختار»: القية مثل القاع، وبعضهم يقول هو جمع. ﴿يحسبه الظمآن ماء﴾ صفة أخرى لسراب، أي يظنه الشديد العطش ماء حقيقة من ظمىء بالكسر يظماً والظمىء بالكسر ما بين الشربتين والورودين والظمأ العطش الذي يحدث من ذلك وتخصيص الحساب بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائناً من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجه الشبه وهو الابتداء المطمع والانتهاه المؤس. ﴿حتى إذا﴾ [تاجون] ﴿جاءه﴾ أي: جاء ما توهمه ماء وعلق به رجاءه ليشرب منه. ﴿لم يجده﴾ أي ما حسبه ماء ﴿شيئاً﴾ أصلاً لا متحققاً ولا متوهماً كما كان يراه من قبل فضلاً عن وجدان ماء فيزداد عطشاً. ﴿ووجد الله﴾ أي: حكمه وقضاه ﴿عنده﴾ عند المجيء كما قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤] يعني: مصير الخلق إليه ﴿فوفاه حسابه﴾ أي أعطاه وافيأ كاملاً حساب عمله يعني ظهر له بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة والقنوط أصلاً كمن يجيء إلى باب السلطان للصلة

فیضرب ضرباً وجیعاً. ﴿والله سریع الحساب﴾ لا یشغله حساب عن حساب.

قال الکاشفی: [زود حسابست حساب یکی اورا از حساب دیکری بازندارد تمثیل کرد اعمال کافر را بسراب واورا بتشنه سوخته پس همچنانکه تشنه ازسراب نا امید شده باشد شدتش زیاده می شود کافر انرا ازامید به پاداش اعمال خود چود نیایند حسرت افزون میگردد].

وفي الآية إشارة إلى أهل كفران النعمة وهم الذين يصرفون نعمة الله في معاصيه ومخالفته ثم يعاملون على الغفلة بالرسم والعادة التي وجدوا عليها آباءهم صورة بلا معنى بل رياء وسمعة وهم يحسبون بجهلهم أنهم يحسنون صنعا زين لهم الشيطان أعمالهم فمثل أعمالهم كسراب لا طائل تحته وصاحب الأعمال يحسب من غفلته وجهالته أن أعماله المشوبة هي ما يطفئ به نار غضب الله حتى إذا جاءه عند الموت لم يجده شيئاً مما توهمه ووجد الله عند أعماله للوزن والجزاء والحساب وهو غضبان عليه لسوء معاملته معه فجازاه حق جزائه والله سریع الحساب يشير إلى أن من سرعة حسابه أن يظهر على ذاته وصفاته آثار معاملته السيئة بالأخلاق الذميمة والأحوال الرديئة في حال حياته.

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُمُ لَمْ يَكْدِرْهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾

﴿أو کظلمات﴾ عطف على کسراب وأو للتنويع فإن أعمالهم إن كانت حسنة فکالسراب وإن كانت قبيحة فکالظلمات ﴿في بحر لجي﴾ أي: عمیق کثیر الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر.

قال الکاشفی: [دردریای عمیق که دم بدم]. ﴿یغشاه موج﴾ صفة أخرى للبحر أي یستره ویغطیه بالکلیة. ﴿من فوقه موج﴾ مبتدأ وخبر والجملة صفة لموج، أي یغشاه أمواج متراکمة بعضها على بعض. ﴿من فوقه سحب﴾ صفة لموج الثاني وأصل السحب الجر وسمي السحاب إما لجر الريح أو لجره الماء أي من فوق الموج الثاني الأعلى سحب غطی النجوم وحجب أنوارها.

وفیه إیماء إلى غاية تراکم الأمواج وتضاعفها حتى كأنها بلغت السحاب. ﴿ظلمات﴾ أي: هذه ظلمات. ﴿بعضها فوق بعض﴾ أي متکاثفة متراکمة حتى ﴿إذا أخرج﴾ أي من ابتلي بهذه الظلمات وإضماره من غیر ذکره لدلالة المعنی علیه دلالة واضحة. ﴿یده﴾ وهي أقرب اعضاءه المرئية إلیه وجعلها بمرأى منه قریبة من عینه لينظر إلیها ﴿لم یکد یراها﴾ لم یقرب أن یراها لشدة الظلمة فضلاً عن أن یراها ﴿ومن لم یجعل الله له نوراً﴾ أي: ومن لم یسأ الله أن یدهیه لنور القرآن ولم یوفقه للإیمان به. ﴿فما له من نور﴾ أي: فما له هداية ما من أحد أصلاً.

قال الکاشفی: [این تمثیل دیکراست مر عملهای کفار را ظلمات اعمال تیره اوست وبحر لجی دل او وموج آنچه دل اورا می پوشد از جهل وشک وسحاب مهر خذلان برآن پس کردار وکفتارش ظلمت ومدخل ومخرجش ظلمت ورجوع اودر روز قیامت هم بظلمت عکس مؤمن که اورانوراست واین را ﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾].

مؤمنان از تير كي دور آمدند لا جرم نور على نور آمدند
كافر تاريك دل را فكرتست حال كارش ظلمت اندر ظلمتست

والإشارة بالظلمات إلى صورة الأعمال التي وقعت على الغفلة بلا حضور القلب وخلوص النية فهي. ﴿كظلمات في بحر لجي﴾ وهو حب الدنيا ﴿يفشاه موج﴾ من الرياء ﴿من فوقه موج﴾ من حب الجاه وطلب الرياسة. ﴿من فوقه سحب﴾ من الشرك الخفي ﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾ يعني ظلمة غفلة الطبيعة وظلمة حب الدنيا وظلمة حب الجاه وظلمة الشرك ﴿إذا أخرج يده﴾ يعني العبد يد قصده واجتهاده وسعيه ليرى صلاح حاله ومآله في تخلصه من هذه الظلمات لم ير بنظر عقله طريق خلاصه من هذه الظلمات لأن من لم يصبه رشاس النور الإلهي عند قسمة الأنوار فما له من نور يخرج به من هذه الظلمات فإن نور العقل ليس له هذه القوة لأنها من خصوصية نور الله كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] والنكتة في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم﴾ الخ كأنه يقول أخرجت الماء من العين والمطر من السحاب والنار من الحجر والحديد من الجبال والدخان من النار والنبات من الأرض والثمار من الأشجار كما لا يقدر أحد أن يرد هذه الأشياء إلى مكانها كذلك لا يقدر إبليس وسائر الطواغيت أن يردك إلى ظلمة الكفر والشك والنفاق بعدما أخرجتك إلى نور الإيمان واليقين والإخلاص والله الهادي.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّيْتُ كُلَّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ وَاللَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٤١) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ .

﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض﴾ الهمزة للتقرير والمراد من الرؤية رؤية القلب فإن التسبيح الآتي لا يتعلق به نظر البصر، أي قد علمت يا محمد علماً يشبه المشاهدة في القوة واليقين بالوحي أو الاستدلال أن الله تعالى ينزهه على الدوام في ذاته وصفاته وأفعاله عن كل ما لا يليق بشأنه من نقص وآفة أهل السموات والأرض من العقلاء وغيرهم ومن لتغليب العقلاء. ﴿والطير﴾ بالرفع عطف على من جمع طائر كركب وراكب والطائر كل ذي جناح يسبح في الهواء وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في جملة ما في الأرض لعدم استقرارها قرار ما فيها لأنها تكون بين السماء والأرض غالباً ﴿صافات﴾ أصل الصف البسط ولهذا سمي اللحم القديد صفيفاً لأنه يبسط أي تسبجه تعالى حال كونها صافات أي باسطات أجنحتها في الهواء تصففن ﴿كل﴾ من أهل السموات والأرض. ﴿قد علم﴾ بإلهام الله تعالى ويوضحه ما قرئ علم مشدداً أي: عرف ﴿صلاته﴾ أي دعاء نفسه ﴿وتسبيحه﴾ تنزيهه ﴿والله عليم بما يفعلون﴾ أي يفعلونه من الطاعة والصلاة والتسبيح فيجازيهم على ذلك وفيه وعيد لكفرة الثقلين حيث لا تسبيح لهم طوعاً واختياراً.

﴿والله﴾ لا لغيره ﴿ملك السموات والأرض﴾ لأنه الخالق لما فيها من الذوات والصفات وهو المتصرف في جميعها إيجاداً وإعداماً وإبداءً وإعادة. ﴿وإلى الله﴾ خاصة ﴿المصير﴾ أي رجوع الكل بالفناء والبعث فعلى العاقل أن يعبد هذا المالك القوي ويسبجه باللسان الصوري والمعنوي وهذا التسبيح محمول عند البعض على ما كان بلسان المقال فإنه يجوز أن يكون لغير العقلاء أيضاً تسبيح حقيقة لا يعلمه إلا الله ومن شاء من عباده كما في «الكواشي» وقد سبق

تفصيل بديع عند قوله تعالى في سورة الإسراء ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] فارجع تنغم.

وعن أبي ثابت قال: كنت جالساً عند أبي جعفر الباقر فقال لي أتدري ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها؟ قلت: لا قال فإنهن يقدسن ربهن ويسألن قوت يومهن [أورده اندكه أبو الجناح نجم الكبرى قدس سره در رسالة فواتح الجمال ميفر ما يندكه ذكرى كه جارى بر نفوس حيوانات انفسا ضرورية ايشانست زیرا كه در برآمدن وفرو رفتن نفس حرف هاكه اشارت بغيب هويت حقيق است گفته ميشودا كر خواهند واكر نخواهند ورن حرف هاست كه در اسم مبارك الله است وألف ولام از برای تعريفست وتشديد لام از برای مبالغه در آن تعريف پس مى بايدكه طالب هو شمندر در وقت تلفظ باين حرف شريف هويت حق سبحانه وتعالى ملحوظ وى باشد ودر خروج ودخول نفس واقف بودهكه در نسبت حضور مع الله فتورى واقع نشود] ويقال لهذا عند النقشبندية [هوش دردم].

هاغيب هويت آمد أي حرف شناس انفسا ترابود بآن حرف اساس باش آكه ازان حرف دراميد وهراس حرفي كفتم شكرف اكردارى پاس يقول الفقير أيقظه القدير: رأيت في بعض الميشرات حضرة شيخي وسندي قدس سره وهو يخاطبني ويقول: هل تعرف سر قولهم: الله بالرفع دون الله بالنصب والجر فقلت: لا فقال: إنه في الأصل الله هو فبضم الشفتين في تحصل الإشارة إلى نور الذات الأحدية في الممكنات وسر الكمال الساري في المظاهر ولا تحصل هذه الإشارة في النصب والجر الحمد لله تعالى.

وقال بعض العلماء: تسبيح الحيوان والجماد محمول على ما كان بلسان الحال فإن كل شيء يدل بوجوده وأحواله على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشأنه.

وقال في «التأويلات»: اعلم أن التسبيح على ثلاثة أوجه تسبيح العقلاء وتسبيح الحيوانات وتسبيح الجمادات. فتسبيح العقلاء بالنطق والمعاملات. وتسبيح الحيوانات بلسان الحاجات وصورة الدلالات على صانعها. وتسبيح الجمادات بالخلق وهو عام في جميعها فإنها مظهر الآيات فأما تسبيح العقلاء فمخصوص بالملك والإنسان فتسبيح الملك غذاؤه يعيش به ولو قطع عنه لهلك وليس موجباً لترقيه لأنه مسبح بالطبع وتسبيح الإنسان تنزيه الحق بالأمر لا بالطبع فموجب لترقيه بأن يفنى فيه أوصاف إنسانيته ويبقى بوصف سبوحيته فإنه به ينطق عند فناء وجوده. ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ يشير إلى أن لكل شيء علماً وشعوراً مناسباً له على صلاته وهي القيام بالعبودية وعلى تسبيحه وهو ثناء الربوبية وذلك؛ لأن لكل شيء ملكوتاً هو قائم به وقيام الملكوت بيده تعالى كما قال: ﴿فَسَبِّحْ أَكْذَى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يس: ٨٣] وعالم الملكوت هو الحياة المحض والعلم كما قال: ﴿وَإِنَّ أَكْذَرَ الْآخِرَةِ لَهِيَ الْآخِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٤] والملكوت هو عالم الأرواح فلكل شيء روح منه بحسب استعداداته لقابلية الروح فخلق الإنسان في أحسن تقويم لقابلية الروح الأعظم فلهذا صار كاملهم أفضل المخلوقات وأكرمها فهو يعلم خصوصية صلاته وتسبيحه على قدر حظه من عالم الملكوت بل على قدر حظه من عالم الربوبية وهو متفرد به عما دونه والملك يعلم صلاته وتسبيحه على قدر

حظه من عالم الملكوت والحيوانات والجمادات تعلم صلاتها وتسبيحها بملكوتها بلا شعور منها بالصورة. ﴿والله عليم بما يفعلون﴾ أي: بحقيقته بالكمال وهم يعلمون بحسب استعدادهم انتهى ما في «التأويلات» وهذا لا ينفي نطق الجمادات عند إنطاق الله تعالى وكذا نطق الحيوانات العجم بطريق خرق العادة أو بطريق لا يسمعه ولا يفهمه إلا أهل الكشف والعيان كما سبق أمثله في سورة الإسراء نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن لا يمضي نفسه إلا بذكر شريف ولا يمر وقته إلا بحال لطيف أنه الفياض الوهاب الجواد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿١٢﴾﴾

﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً﴾ الإجزاء سوق الشيء برفق وسهولة لينساق غلب في سوق شيء يسير أو غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة فإنها يزجى بها كل أحد ويدفعها لقلّة الاعتداد بها. ففيه إيماء إلى أن السحاب بالنسبة إلى قدرته تعالى مما لا يعتد به ويسمى السحاب سحاباً لانسحابه في الهواء أي انجراره وهو اسم جنس يصح إطلاقه على سحابة واحدة وما فوقها والمراد ههنا قطع السحاب بقريئة إضافة بين إلى ضميره فإنه لا يضاف إلا إلى متعدد. والمعنى قد رأيت رؤية بصرية أن الله يسوق غيماً إلى حيث يريد. ﴿ثم يؤلف بينه﴾ أي: بين أجزائه بضم بعضها إلى بعض فيجعله شيئاً واحداً بعد أن كان قطعاً. ﴿ثم يجعله ركاماً﴾ أي: متراكماً بعضه فوق بعض فإنه إذا اجتمع شيء فوق شيء فهو ركوم مجتمع.

قال في «المفردات» يقال: سحاب مركوم أي متراكم والركام ما يلقي بعضه على بعض ﴿فترى الودق﴾ أي المطر أثر تكاثفه وتراكمه.

قال أبو الليث: الودق المطر كله شديده وهينه.

وفي «المفردات»: الودق قيل ما يكون خلال المطر كأنه غبار وقد يعبر به عن المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ حال من الودق لأن الرؤية بصرية والخلال جمع خلل كجبال وجبل وهو فرجة بين الشيئين والمراد ههنا مخارج القطر. والمعنى حال كون ذلك الودق يخرج من أثناء ذلك السحاب وفتوقه التي حدثت بالتراكم وانعصار بعضه من بعض.

قال كعب: السحاب غريال المطر ولولاه لأفسد المطر ما يقع عليه ﴿وينزل من السماء﴾ أي من الغمام فإن كل ما علاك سماء وسماء كل شيء أعلاه. ﴿من جبال﴾ أي: من قطع عظام تشبه الجبال في العظم كائنة. ﴿فيها﴾ أي: في السماء فإن السماء من المؤنثات السماوية. ﴿من برد﴾ مفعول ينزل على أن من تبعية والأوليان لابتداء الغاية على أن الثانية بدل اشتمال من الأولى بإعادة الجار والبرد محرّكة الماء المنعقد، أي ما يبرد من المطر في الهواء فيصلب كما في «المفردات». والمعنى ينزل الله مبتدئاً من السماء من جبال فيها بعض برد. قال بعضهم: إن الله تعالى خلق جبلاً كثيراً في السماء من البرد والثلج ووكل بها ملكاً من الملائكة فإذا أراد أن يرسل البرد والثلج على قطر من أقطار الأرض يأمره بذلك فثلج هناك ما شاء الله بوزن ومقدار في صحبة كل حبة منها ملك يضعها حيث أمر بوضعها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما لا عين تجري على الأرض إلا وأصلها من البرد والثلج

ويقال: إن الله تعالى خلق ملائكة نصف أبدانهم من الثلج ونصفها من النار فلا الثلج يطفئ النار ولا النار تذيب الثلج فإذا أراد الله إرسال الثلج في ناحية أمرهم حتى يتفرقوا بأجنحتهم من الثلج فما تساقط عن التفرق فهو الثلج الذي يقع هناك يقال: رفرफ الطائر إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه وقيل: المراد من الماء أي في الآلة المظلة أي الفلك وفيها جبال من برد كما أن في الأرض جبالاً من حجر وليس في العقل ما ينفيه والمشهور أن الابخرة إذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد اجتمعت هناك وصارت سحباً فإن لم يشتد البرد تقاطرت مطراً وإن اشتد فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل برداً وقد يبرد الهواء برداً مفراطاً فينبض وينعقد سحباً وينزل منه المطر أو الثلج وكل ذلك مستند إلى إرادة الله تعالى ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح.

وفي «إخوان الصفاء»: الأجزاء المائية والترابية إذا كثرت في الهواء وتراكت فالغيم منها هو الرقيق والسحاب هو المترام والمطر هو تلك الأجزاء المائية إذا التأم بعضها مع بعض وبردت وثقلت رجعت نحو الأرض والبرد قطر تجمد في الهواء بعد خروجه من سمك السحاب والثلوج قطر صغار تجمد في خلال الغيم ثم تنزل برفق من السحاب انتهى والأجزاء اللطيفة الأرضية تسمى دخاناً والمائية بخاراً.

قال ابن التمجيد: إذا أشرقت الشمس على أرض يابسة تحللت منها أجزاء نارية ويخالطها أجزاء أرضية يسمى المركب منهما دخاناً.

وفي «شرح القانون»: الفرق بين الدخان والبخار هو أن تركيب الدخان من الأجزاء الأرضية والنارية وتركيب البخار من المائية والهوائية فيكون البخار ألطف من الدخان. ﴿فيصيب به﴾ أي: بما ينزل من البرد والباء للتعدي. وبالفارسية [پس میرساند آن تترك را]. ﴿من يشاء﴾ فينال ما يناله من ضرر في نفسه وماله نحو الزرع والضرع والثمرة. ﴿ويصرفه عن من يشاء﴾ فيأمن غائلته ﴿يكاد سنا برقه﴾ أي: يقرب ضوء برق السحاب فإن السنا مقصوراً بمعنى الضوء الساطع وممدوداً بمعنى الرفعة والعلو والبرق لمعان السحاب.

وفي «القاموس»: البرق واحد بروق السحاب أو ضرب ملك السحاب وتحريكه إياه لينساق فترى النيران.

وفي «إخوان الصفاء»: البرق نار تنقذ من احتكاك تلك الأجزاء الدخانية في جوف السحاب ﴿يذهب بالابصار﴾ أي: يخطفها من فرط الإضاءة وسرعة ورودها.

قال الكاشفي: [واين دليل است بر كمال قدرت كه شعله آتش ازميان ابر آبدار بيرون مي آرد] فسبحان من يظهر الضد من الضد.

﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ ٢٤ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٥ ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا عَائِثَ مُبِينَتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ٢٦.

﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ بالمعاقبة بينهما أو بنقص أحدهما وزيادة الآخر أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور وغيرها مما يقع فيهما من الأمور التي من جملتها ما ذكر من إزجاء السحاب وما ترتب عليه وفي الحديث قال الله تعالى: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر

وأنا الدهر بيدي الأمر اقلب الليل والنهار» كذا في «المعالم» «والوسيط». ﴿إن في ذلك﴾ الذي فصل من الأجزاء إلى التقلب. ﴿لعبرة﴾ لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته وإحاطة علمه بجميع الأشياء ونفاذ مشيئته وتنزهه عما لا يليق بشأنه العلي وأصل العبر تجاوز من حال إلى حال والعبرة الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد. ﴿لأولي الأبصار﴾ لكل من يبصر ويقال لقوة القلب المدركة: بصيرة وبصر ولا يكاد يقال للجراحة بصيرة كما في «المفردات». يعني أن من له بصيرة يعبر من المذكور إلى معرفة المدبر ذلك من القدرة التامة والعلم الشامل الدال قطعاً على الوحدانية.

وسئل سعيد بن المسيب أي: العبادة أفضل؟ قال: التفكير في خلقه والتفقه في دينه.

ويقال: العبر بأوقار والمعتبر بمثقال فعلى العاقل الاعتبار آناء الليل وأطراف النهار.

قالت رابعة القيسية رحمها الله: ما سمعت الأذان إلا ذكرت منادي يوم القيامة وما رأيت الثلوج إلا ذكرت تطاير الكتب وما رأيت الجراد إلا ذكرت الحشر.

والإشارة في الآية الكريمة أن الله تعالى يسوق السحب المتفرقة التي تنشأ من المعاصي والأخلاق الذميمة ثم يؤلف بينها ثم يجعلها متراكماً بعضها على بعض فترى مطر التوبة يخرج من خلاله كما خرج من سحاب وعصى آدم ربه فغوى مطر ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فالإنسان من النسيان والشر جزء من البشر فإذا أذنب الإنسان فلتكن همته طلب العفو والرحمة من الله تعالى ولا يمتنع منه مستعظماً لذنبه ظاناً أن الله تعالى وصف ذاته الأزلية بالغفارية والتواوية حين لم يكن بشر ولا ذنب ولا حادث من الحوادث فاقترض ذلك وجود الذنب من الإنسان البتة لأن المغفرة إنما هي بالنسبة إلى الذنب. ولذا قال الحافظ:

سهو وخطاي بنده كرش نيست اعتبار معنى عفو ورحمت آمر زكار چيست

وينزل الله من سماء القلب من قساوة فيها جموده من قهر الحق وخذلانه فيصيب من برد القهر من يشاء من أهل الشقاوة ويصرفه عمن يشاء من أهل السعادة يكاد سنا برق القهر يذهب البصائر يقلب الله ليل معصية من يشاء نهار الطاعة كما قلب في حق آدم عليه السلام ويقلب نهار طاعة من يشاء ليل المعصية كما قلب في حق إبليس إن في ذلك التقلب لعبرة لأرباب البصائر بأن يشاهدوا آثار لطفه وقهره في مرآة التقلب كذا في «التأويلات النجمية».

﴿والله خلق كل دابة﴾ الدب والديب مشي خفيف ويستعمل ذلك في الحيوان وفي الحشرات أكثر كما في «المفردات» والدابة هنا ليست عبارة عن مطلق ما يمشي ويتحرك بل هي اسم للحيوان الذي يدب على الأرض ومسكنه هنالك فيخرج منها الملائكة والجن فإن الملائكة خلقوا من نور والجن من نار.

وقال في «فتح الرحمن»: خلق كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة والجن لأننا لا نشاهدهم انتهى. والمعنى خلق كل حيوان يدب على الأرض. ﴿من ماء﴾ هو جزء مادته أي أحد العناصر الأربعة على أن يكون التنوين للوحدة الجنسية فدخل فيه آدم المخلوق من تراب وعيسى المخلوق من روح أو من ماء مخصوص هو النطفة، أي ماء الذكر والأنثى على أن يكون التنوين للوحدة النوعية فيكون تنزيلاً للغالب منزلة الكل إذ من الحيوان ما يتولد لا عن نطفة [در تبيان از ابن عباس رضي الله عنهما نقل ميكند كه حق سبحانه جوهري آفريد ونظر هيبت برو افكند بكداخت وآب شد بعضی آنرا تغليب نمود باتش وازان جن بيافريد پس

بعض را تغليب كرد بباد وازان ملائكة فريد پس تغليب نمود مقداري را بخاك وازان آدمي وساير حيوانات خلق كرد واصل آن همه آبست].

قال في «الكواشي»: تنكير ماء مؤذن أن كل دابة مخلوقة من ماء مختص بها وهو النطفة فجميع الحيوان سوى الملائكة والجن مخلوق من نطفة وتعريف الماء في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] نظر إلى الجنس الذي خلق منه جميع الحيوان لأن أصل جميع الخلق من الماء.

قالوا: خلق الله ماء فجعل بعضه ريحاً فخلق منها الملائكة وجعل بعضه ناراً فخلق منها الجن وبعضه طيناً فخلق منه آدم انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن كل ذي روح خلق من نور محمد عليه السلام لأن روحه أول شيء تعلقت به القدرة كما قال: «أول ما خلق الله روحي» ولما كان هو درة صدف الموجودات عبر عن روحه بدرة وجوهرة فقال: «لما أراد الله أن يخلق العالم خلق درة» وفي رواية جوهره «ثم نظر إليها بنظر الهيبة فصارت ماء» الحديث فخلقت الأرواح من ذلك الماء اهـ.

فإن قيل: ما الحكمة في خلق كل شيء من الماء قيل لأن الخلق من الماء أعجب لأنه ليس شيء من الأشياء أشد طوعاً من الماء لأن الإنسان لو أراد أن يمسكه بيده أو أراد أن يبنى عليه أو يتخذ منه شيئاً لا يمكنه والناس يتخذون من سائر الأشياء أنواع الأشياء.

قيل: فالله تعالى أخبر أنه يخلق من الماء ألواناً من الخلق وهو قادر على كل شيء كذا في «تفسير أبي الليث» عليه الرحمة. ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ كالحية والحوث ونحوهما وإنما قال: يمشي على وجه المجاز وإن كان حقيقة المشي بالرجل لأنه جمعه مع الذي يمشي على وجه التبع. يعني أن تسمية حركة الحية مثلاً ومرورها شيئاً مع كونها زحفاً للمشكلة فإن المشي حقيقة هو قطع المسافة والمرور عليها مع قيد كون ذلك المرور على الأرجل. ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ كالإنس والجن والطير كما في «الجلالين» ﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾ كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشي على أكثر من أربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها كما في «الإرشاد».

وقال في «فتح الرحمن»: لأنها في الصورة كالتي تمشي على أربع وإنما تمشي على أربع منها كما في «الكواشي» وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الأصناف بمن ليوافق التفصيل الإجمال وهو هم في فمنهم والترتيب حيث قدم الزاحف على الماشي على رجلين وهو على الماشي على أربع لأن المشي بلا آلة أدخل في القدرة من المشي على الرجلين وهو أثبت لها بالنسبة إلى من مشى على أربع. ﴿يخلق الله ما يشاء﴾ مما ذكر ومما لم يذكر بسيطاً كان أو مركباً على ما يشاء من الصور والأعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والأفاعيل مع اتحاد العنصر [صاحب حقيقه فرموده

أوست قادر بهرچه خواهد وخواست كارها جمله نزد او پيدااست
وقال بعضهم:

نقشبند برون كلها أوست نقش دان درون دلها اوست

﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ فيفعل الله ما يشاء كما يشاء. ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾

أي لكل ما يليق بيانه من الأحكام الدينية والأسرار التكوينية. ﴿والله يهدي من يشاء﴾ بالتوفيق للنظر الصحيح فيها والإرشاد إلى التأمل في معانيها. ﴿إلى صراط مستقيم﴾ يعني الإسلام الذي هو دين الله وطريقه إلى رضاه وجنته.

وفي «التأويلات النجمية»: أخبر عن سيرة هذه الدواب التي خلقت من الماء فقال: ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ يعني سيرته في مشيه أن يضع عمره في تحصيل شهوات بطنه. ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ أي: يضع عمره في تحصيل شهوات فرجه فإن كل حيوان إذا قصد قضاء شهوته يمشي على رجلين عند المباشرة وإن كان له أربع قوائم. ﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾ أي: يضع عمره في طلب الجاه لأن أكثر طالبي الجاه يمشي راكباً على مركوب له أربع قوائم كالخيل والبغال والحمير كما قال تعالى: ﴿وَالْحَيْلُ وَالْغَالُ وَالْحَمِيرُ لِرَكْبِهَا وَزِينَتُهَا وَمَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨] من أنواع المخلوقات على مقتضى حكمته ومشيتته الأزلية لما يشاء كما يشاء إظهاراً للقدرة ليعلم أن الله على خلق كل نوع من أنواع المخلوقات والمقدورات قادر - ومن أخبار الرشيد - أنه خرج يوماً للصيد فأرسل بازياً أشهب فلم يزل يعلو حتى غاب في الهواء ثم رجع بعد اليأس منه ومعه سمكة فأحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل: يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضي الله عنهما أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق سكان فيه وفيه دواب تبيض وتفرخ فيه شيئاً على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذات ريش فأجاز مقاتلاً على ذلك وأكرمه. ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾ أي: أنزلنا القرآن مبينات آياته ما خلقنا من كل نوع من أنواع الإنسان المذكورة أوصافهم ولكنهم لو وكلوا إلى ما جبلوا عليه لما كانوا يهتدون إلا إلى هذه الأوصاف التي جبلوا عليها ولا يهتدون إلى صراط مستقيم هو صراط الله بإرادتهم ومشيتهم. ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ يصل به إلى الحضرة بمشيئة الله وإرادته الأزلية نسأل الله الهداية إلى سواء الطريق والتوفيق لجادة التحقيق.

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧)
وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ لِقَاءُ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفَى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠).

﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول﴾ نزلت في بشر المنافق خاصم يهودياً في أرض فدعاه إلى كعب بن الأشرف من أحبار اليهود ودعاه اليهود إلى النبي عليه الصلاة والسلام فصبغة الجمع للإيدان بأن للقائل طائفة يساعدهونه ويتابعونه في تلك المقالة كما يقال: بنو فلان قتلوا فلاناً والقاتل منهم واحد. ﴿وأطعنا﴾ أي: أطعناها في الأمر والنهي والإطاعة فعل يعمل بالأمر لا غير لأنها الانقياد وهو لا يتصور إلا بعد الأمر بخلاف العباد وغيرها. ﴿ثم يتولى﴾ يعرض عن قبول حكمه.

قال الإمام الراغب تولى إذا عدي بنفسه اقتضى معنى الولاية وحصوله في أقرب المواضع وإذا عدى بعن لفظاً أو تقديرأ اقتضى معنى الإعراض وترك القرب فإن الولي القرب والتولي قد يكون بالجسم وقد يكون بترك الإصغاء والائتمار وثم يجوز أن يكون للتراخي الزماني وأن

يكون لاستبعاد أمر التولي عن قولهم آمنا وأطعنا. ﴿فريق منهم﴾ أي من القائلين.

قال في «المفردات»: الفرق القطعة المنفصلة ومنه الفرقة للجماعة المنفردة من الناس والفريق الجماعة المنفردة عن آخرين. ﴿من بعد ذلك﴾ القول المذكور. ﴿وما أولئك﴾ إشارة إلى القائلين فإن نفي الإيمان عنهم مقتضى لنفيه عن الفريق المتولي بخلاف العكس أي وما أولئك الذين يدعون الإيمان والإطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم في الاعتقاد والعمل. ﴿بالمؤمنين﴾ حقيقة كما يعرب عنه اللام أي ليسوا بالمؤمنين المعهودين بالإخلاص في الإيمان والثبات عليه ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم﴾ أي: الرسول ﴿بينهم﴾ لأنه المباشر للحكم حقيقة وإن كان الحكم حكم الله حقيقة وذكر الله لتفخيمه عليه السلام والإيدان بجلالة محله عنده تعالى والحكم بالشيء أن تقضى بأنه كذا وليس بكذا سواء أُلزمت بذلك غيرك أو لم تلزمه. ﴿إذا فريق منهم معرضون﴾ أي: فاجأ فريق منهم الإعراض عن المحاكمة إليه عليه السلام لكون الحق عليهم وعلمهم بأنه عليه السلام يحكم بالحق عليهم ولا يقبل الرشوة وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وأعرض أظهر عرضه، أي: ناحيته.

﴿وإن يكن لهم الحق﴾ أي: الحكم لا عليهم ﴿يأتوا إليه﴾ إلى صلة يأتوا فإن الإتيان والمجيء يعديان بإلى. ﴿مذعنين﴾ متقادين لجزمهم بأنه عليه السلام يحكم لهم.

﴿أنفي قلوبهم مرض﴾ إنكار واستقباح لإعراضهم المذكور وبيان لمنشأه أي أذلك الإعراض لأنهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم. ﴿أم﴾ لأنهم ﴿ارتابوا﴾ أي: شكوا في أمر نبوته عليه السلام مع ظهور حقيقتها. ﴿أم﴾ لأنهم ﴿يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ في الحكومة. والحيف الجور والظلم الميل في الحكم إلى أحد الجانبين يقال حاف في قضيته أي جار فيما حكم ثم اضرب عن الكل وأبطل منشئته وحكم بأن المنشأ شيء آخر من شنائعهم حيث قيل: ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ أي: ليس ذلك لشيء مما ذكر أما الأولان فلأنه لو كان لشيء منهما لأعرضوا عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما اتوا إليه مذعنين لحكمه لتحقيق نفاقهم وارتبابهم حينئذ أيضاً وأما الثالث فلانتفائه رأساً حيث كانوا لا يخافون الحيف أصلاً لمعرفة أمانته عليه السلام وثباته على الحق بل لأنهم هم الظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة إليه عليه السلام لعلهم بأنه يقضى عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الإضراب في الأولين هو وصف منشئتهما في الإعراض فقط مع تحققهما في نفسيهما وفي الثالث هو الوصف مع عدم تحققه في نفسه وفي الرابع هو الأصل والوصف جميعاً.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٥١) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَّقِ اللَّهَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢).

﴿إنما كان قول المؤمنين﴾ بالنصب على أنه خبر كان وإن مع ما في حيزها اسمها. ﴿إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم﴾ أي: الرسول ﴿بينهم﴾ وبين خصومهم سواء كانوا منهم أو من غيرهم. ﴿أن يقولوا سمعنا﴾ الدعاء ﴿وأطعنا﴾ بالإجابة والقبول والطاعة موافقة الأمر طوعاً وهي تجوز لله ولغيره كما في «فتح الرحمن» [بهرچه کنی در میان حکمی]. ﴿وأولئك﴾ المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل ﴿هم المفلحون﴾ الفائزون بكل مطلب والناجون من كل محذور.

قال في «المفردات»: الفلاح الظفر وإدراك البغية. ﴿ومن﴾ [وهركه] ﴿يطع الله ورسوله﴾ أي: من يطعمها كائناً من كان فيما أمرا به من الأحكام الشرعية اللازمة والمتعدية. ﴿ويخش الله﴾ على ما مضى من ذنوبه أن يكون مأخوذاً بها. ﴿ويتقه﴾ فيما بقي من عمره وأصله يتقيه فحذف الياء للجزم فصار يتقه بكسر القاف والهاء ثم سكن القاف تخفيفاً على خلاف القياس لأن ما هو على صيغة فعل إنما يسكن عينه إذا كانت كلمة واحدة نحو كتف في كتف ثم أجري ما أشبه ذلك من المنفصل مجرى المتصل فإن تقه في قولنا: يتقه بمنزلة كتف فسكن وسطه كما سكن وسط كتف ﴿فأولئك﴾ الموصوفون بالطاعة والخشية والالتقاء. ﴿هم الفائزون﴾ بالنعيم المقيم لا من عداهم. والفوز الظفر مع حصول السلامة كما في «المفردات» [در كشاف آورده كه ملكی از علما التماس آیتی کردكه بدان عمل کافی باشد ومحتاج بآیات دیگر نباشد علمای عصر او برین آیت اتفاق کردند چه حصول فوز وفلاح جز بفرمان برداری وخشیت وتقوی میسر نیست].

اینك ره اكر مقصد اقصى طلبي وينك عمل ار رضای مولى طلبي
فلا بد من الإطاعة لله ولرسوله في أداء الفرائض واجتناب المحارم فقد دعا الله تعالى فلا بد من الإجابة.

قال ابن عطاء رحمه الله: الدعوة إلى الله بالحقيقة والدعوة إلى الرسول بالنصيحة فمن لم يجب داعي الله كفر ومن لم يجب داعي الرسول ضلّ وسبب عدم الإجابة المرض.

قال الإمام الراغب: المرض الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان وذلك ضربان: جسمي وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١] والثاني: عبارة عن الرذائل كالجهل والجبن والبخل والنفاق ونحوها من الرذائل الخلقية نحو قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠] ويشبه النفاق والكفر وغيرهما من الرذائل بالمرض إما لكونها مانعة عن إدراك الفضائل كالمرض المانع للبدن عن التصرف الكامل وإما لكونها مانعة عن تحصيل الحياة الأخروية المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ لَيْسَ الْبَحْثُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] وأما لميل النفس بها إلى الاعتقادات الرديئة ميل البدن المريض إلى الأشياء المضرة انتهى، وفي الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» معناه لا يبلغ العبد كمال الإيمان ولا يستكمل درجاته حتى يكون ميل نفسه منقاداً لما جاء به النبي عليه السلام من الهدى والأحكام ثم إن حقيقة الإطاعة والإجابة إنما هي بترك ما سوى الله والإعراض عما دونه فمن أقبل على غيره فهو لآفات عرضت له وهي انحراف مزاج قلبه عن فطرة الله التي فطر الناس عليها من حب الله وحب الآخرة والشك في الدين بمقالات أهل الأهواء والبدع من المتفلسفين والطبائعيين والدهريين وغيرهم من الضلال وخوف الحيف بأن يأمره الله ورسوله بترك الدنيا ونهى النفس عن الهوى وأنواع المجاهدات والرياضات المؤدية إلى تزكية النفس وتصفية القلب لتحلية الروح بحلية أخلاق الحق والوصول إلى الحضرة ثم لا يوفيان بما وعدا بقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنٍ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ويظلمان عليه بعدم أداء حقوقه أما علم أن الله لا يظلم مثقال ذرة.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أي حلف المنافقون بالله وأصله من القسامة وهي إيمان تقسم على المتهمين في الدم ثم صار اسماً لكل حلف. ﴿جهد أيمانهم﴾ الجهد بالفتح الطاقة واليمين في اللغة القوة وفي الشرع تقوي أحد طرفي الخبر بذكر الله.

قال الإمام الراغب: اليمين في الحلف مستعار من اليد اعتباراً بما يفعله المجاهد والمعاهد عنده.

قال في «الإرشاد»: جهد نصب على أنه مصدر مؤكد لفعله الذي هو في حيز النصب على أنه حال من فاعل أقسموا أي أقسموا به تعالى يجهدون أيمانهم جهداً ومعنى جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وطاقتها أي جاهدين بالغين أقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة فمن قال: أقسم بالله فقد جهد يمينه ومعنى الاستعارة أنه لما لم يكن لليمين وسع وطاقه حتى يبلغ المنافقون أقصى وسع اليمين وطاقتها كان أصله يجهدون إيمانهم جهداً ثم حذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافاً إلى المفعول نحو فضرب الرقاب وبالفارسية: [وسوكند كردند منافقان بخداى تعالى سخرين سوكندان خود] «لئن أمرتهم» أي: بالخروج إلى الغزو فإنهم كانوا يقولون لرسول الله أينما كنت نكن معك ولئن خرجت خرجنا معك وإن أقمت أقمنا وإن أمرتنا بالجهد جاهدنا. «ليخرجن» جواب لأقسموا لأن اللام الموطئة للقسم في قوله لئن أمرتهم جعلت ما يأتي بعد الشرط المذكور جواباً للقسم لاجزاء للشرط وكان جزاء الشرط مضمرأ مدلولاً عليه بجواب القسم وجواب القسم وجزاء الشرط لما كانا متماثلين اقتصر على جواب القسم وحيث كانت مقاتلتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة أمر عليه السلام بردها حيث قيل ﴿قل لا تقسموا﴾ لا تحلفوا بالله على ما تدعون من الطاعة ﴿طاعة معروفة﴾ خبر مبتدأ محذوف والجملة تعليل للنهي أي لأن طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطأة من القلب وإنما عبر عنها بمعروفة للإيذان بأن كونها كذلك مشهور معروف لكل أحد كذا في «الإرشاد».

وقال بعضهم: طاعة معروفة بالإخلاص وصدق النية خير لكم وأمثل من قسمكم باللسان فالمطلوب منكم هي لا اليمين الكاذبة المنكرة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿قل لا تقسموا﴾ بالكذب قولاً بل أطيعوا فعلاً فإنه ﴿طاعة معروفة﴾ بالأفعال غير دعوى القيل والقال. ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ بالحال صدقاً وبالقال كذباً أو بطاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل فيجازيكم على ذلك.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَاسُ الْمَيْتِ ۚ﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ في الفرائض والسنن على رجاء الرحمة والقبول. ﴿فإن تولوا﴾ بحذف إحدى التاءين، أي تتولوا وتعرضوا عن هذه الطاعة أثر ما أمرتم بها. ﴿فإنما عليه﴾ أي فاعلموا إنما عليه ﷺ. ﴿ما حمل﴾ أي ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة.

﴿وعليكم ما حملتم﴾ ما أمرتم به من الإجابة والطاعة ولعل التعبير عنه بالتحمل للإشعار بثقله وكونه مؤونة باقية في عهدتهم بعد كآنه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل. ﴿وإن تطيعوه﴾ أي فيما أمركم به من الطاعة ﴿تهتدوا﴾ إلى الحق الذي هو المقصد الأقصى الموصول إلى كل خير والمنجي من كل شر وتأخيره عن بيان حكم التولي لما في تقديم الترهيب من تأكيد الترغيب. ﴿وما على الرسول﴾ محمد ويبعد أن يحمل على الجنس لأنه أعيد معروفاً. ﴿إلا البلاغ المبين﴾ التبليغ الموضح لكل ما يحتاج إلى الإيضاح وقد فعل وإنما بقي ما حملتم فإن أديتم فلکم وإن توليتم فعليكم.

قال أبو عثمان رحمه الله: من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلًا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة لأن الله تعالى قال: ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾.

يقال: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل واحدة منها بغير قرينتها: أولها قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] فمن صلى ولم يؤد الزكاة لم تقبل منه الصلاة. والثانية قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩] فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه. والثالثة قوله تعالى: ﴿أَن أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ﴾ [لقمان: ١٤] فمن شكر الله في نعمائه ولم يشكر الوالدين لا يقبل منه ذلك فاطاعة الرسول مفتاح باب القبول ويرشدك على شرف الإطاعة أن كلب أصحاب الكهف لما تبعهم في طاعة الله وعدله دخول الجنة فإذا كان من تبع المطيعين كذلك فما ظنك بالمطيعين.

قال حاتم الأصم رحمه الله: من ادعى ثلاثاً بغير ثلاث فهو كذاب: من ادعى حب الجنة من غير إنفاق ماله فهو كذاب، ومن ادعى محبة الله من غير ترك محارم الله فهو كذاب، ومن ادعى محبة النبي عليه السلام من غير محبة الفقراء فهو كذاب.

محب درويشان كليلد جنت است

واعلم أن أحمد بن حنبل رحمه الله لما راعى الشريعة بين جماعة كشفوا العورة في الحمام قيل له في المنام: إن الله تعالى جعلك إماماً للناس برعايتك الشريعة. وفي «المنوي»: رهرو راه طريقت ايـن بود كاو باحكام شريعت ميرود نسأل الله التوفيق.

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات﴾ الخطاب لعامة الكفرة ومن تبعيضية أوله عليه السلام ولمن معه من المؤمنين ومن بيانية وتوسيط الظرف بين المعطوفين لإظهار أصالة الإيمان. ﴿ليستخلفنهم في الأرض﴾ جواب للقسم إما بإضمار على معنى وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو بتنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقيق إنجازه لا محالة أي ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في ممالكهم.

قال الكاشفي: [في الأرض: درزمين كفار ازعرب وعجم] لقوله عليه السلام: «ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل».

قال الراغب الخلافة النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أوليائه في الأرض. ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ أي: استخلفاً كأننا كاستخلاف الذين من قبلهم وهم بنو إسرائيل استخلفهم الله في مصر والشام بعد إهلاك فرعون والجبابرة. ﴿وليمكن لهم دينهم﴾ التمكين جعل الشيء

مكاناً لآخر يقال: مكن له في الأرض أي جعلها مقرأ له.

قال في «تاج المصادر»: التمكين [دست دادن وجای دادن] يقال مكنتك ومكنت لك مثل نصحتك ونصحت لك.

وقال أبو علي: يجوز أن يكون على حد ردف لكم انتهى. والمعنى ليجعلن دينهم مقرأً ثابتاً بحيث يستمرون على العمل بأحكامه من غير منازع ﴿الذي ارتضى لهم﴾ الارتضاء [پسندیدن] كما في «التاج».

قال في «التأويلات النجمية»: يعني يمكن كل صنف من الخلفاء حمل أمانته التي ارتضى لهم من أنواع فُرَاتَب دينهم فإنهم أئمة أركان الإسلام ودعائم الملة الناصحون لعباده الهادون من يسترشد في الله حفاظ الدين وهم أصناف. قوم هم حفاظ أخبار الرسول عليه السلام وحفاظ القرآن وهم بمنزلة الخزنة. وقوم هم علماء الأصول من الرادين على أهل العناد وأصحاب البدع بواضح الأدلة غير مخلطين الأصول بعلوم الفلاسفة وشبههم، فإنها مهلكة عظيمة لا يسلم منها إلا العلماء الراسخون والأولياء القائمون بالحق وهم بطارقة الإسلام وشجعانه، وقوم هم الفقهاء الذين إليهم الرجوع في علوم الشريعة من العبادات وكيفية المعاملات وهم في الدين بمنزلة الوكلاء والمتصرفين في الملك، وآخرون هم أهل المعرفة وأصحاب الحقائق وأرباب السلوك الكاملون المكمّلون وهم خلفاء الله على التحقيق وأقطاب العالم وعمد السماء وأوتاد الأرض بهم تقوم السموات والأرض وهم في الدين كخواص الملك وأعيان مجلس السلطان فالدين معمور بهؤلاء على اختلاف طبقاتهم إلى يوم القيامة. ﴿وليبذلهم﴾ التبديل جعل الشيء مكان آخر وهو أعم من العوض فإن العوض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول والتبديل يقال للتغيير وإن لم تأت ببذله. والمعنى بالفارسية [وبدل دهد ايشانرا]. ﴿من بعد خوفهم﴾ من الأعداء ﴿أمناً﴾ منهم وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف وكان أصحاب النبي عليه السلام قبل الهجرة أكثر من عشر سنين خائفين ثم هاجروا إلى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى نجز الله وعده فأظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب.

دمبدم صيت كمال دولت خدام أو عرصه روى زمین راسر بسر خواهد كرفت شاهباز همتش چون بر كشاید بال قدر از ثریا تا ثری در زیر پراخواهد كرفت ﴿يعبدونني﴾ حال من الذين آمنوا لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد. ﴿لا يشركون بي شيئاً﴾ حال من الواو أي يعبدونني غير مشركين بي في العباد شيئاً. ﴿ومن كفر﴾ ومن ارتد ﴿بعد ذلك﴾ الوعد أو اتصف بالكفر بأن ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مرّ من الترغيب والترهيب فإن الإصرار عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائد على الأصل أو كفر هذه النعمة العظيمة. ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ الكاملون في الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان.

قال المفسرون: أول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه فلما قتلوه غير الله ما بهم من الأمن وأدخل عليهم الخوف الذي رفع عنهم حتى صاروا يقتلون بعد أن كانوا إخواناً متحابين والله تعالى لا يغير نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وفي الحديث: «إذا وضع السيف في أمتي لا يرفع عنها إلى يوم القيامة»: وفي «المثنوي»: هرچه باتوا آید از ظلمات غم آن زبى شرمی وكستاخته است هم

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: مشيت في زرع إنسان فنناداني صاحبه: يا بقر فقلت: غير اسمي بزلة فلو كثرت لغير الله معرفتي.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٥٦) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِي النَّارِ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾.

﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ عطف على مقدر يستدعيه المقام أي فآمنوا واعملوا صالحاً وأقيموا الخ. ﴿وأطيعوا الرسول﴾ في سائر ما أمركم به فهو من باب التكميل. ﴿لعلكم ترحمون﴾ أي افعلوا ما ذكر من الإقامة والإيتاء والإطاعة راجين أن ترحموا فهو متعلق بالأوامر الثلاثة.

﴿لا تحسبن﴾ يا محمد أو يا من يصلح للخطاب كائناً من كان ﴿الذين كفروا﴾ مفعول أول للحسبان. ﴿معجزين في الأرض﴾ العجز ضد القدرة وأعجزت فلاناً جعلته عاجزاً أي معجزين لله عن إدراكهم وإهلاكهم في قطر من الأقطار بما رحبت وإن هربوا منها كل مهرب. ﴿وماؤاهم النار﴾ عطف على جملة النهي بتأويلها بجملة خبرية، أي لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض فإنهم مدركون وماؤاهم النار. ﴿ولبئس المصير﴾ جواب لقسم مقدر والمخصوص بالمدح محذوف أي وبالله لبئس المصير والمرجع هي أي النار يقال صار إلى كذا أي انتهى إليه ومنه صير الباب لمصيره الذي ينتهي إليه في تنقله وتحركه.

وفي الآية إشارة إلى كفران النعمة فإن الذين أنفقوا النعمة في المعاصي وغيروا ما بهم من الطاعات وماؤاهم نار القطيعة.

قال علي رضي الله عنه: أقل ما يلزمكم الله أن تستعينوا بنعمه على معاصيه.

قال الحسن رحمه الله: إذا استوى يومك فأنت ناقص قيل: كيف ذاك قال إن الله زادك في يومك هذا نعماً فعليك أن تزداد فيه شكراً وكل ما أوجد لفعل ما فشرفه لتمام وجود ذلك الفعل منه كالفرس للعدو في الكرّ والفرّ والسيف للعمل والأعضاء خصوصاً اللسان للشكر ومتى لم يوجد فيه المعنى الذي لأجله أوجد كان ناقصاً فالإنسان القاصر في عباداته كالإنسان الناقص في أعضائه وآلاته.

واعلم أن رسول الله ﷺ قد دعا جميع الناس إلى الله تعالى وإلى توحيده وطاعته فأجاب من أجاب وهم أهل السعادة وأولهم الصحابة رضي الله عنهم وأعرض من أعرض وهم أهل الشقاوة وأقدمهم الكفرة والمنافقون المعاصرون له عليه السلام ولما هربوا من باب الله تعالى بترك إطاعة رسوله وأصروا عليه عاقبهم الله تعالى عاجلاً أيضاً حيث قتلوا في الوقائع وأصيبوا بما لا يخطر ببالهم فانظر كيف أدركهم الله تعالى فلم يعجزوه كما أدرك الأمم السالفة العاصية نسأل الله تعالى أن يجعلنا في حصين عصمته ويتغمدنا برحمته ويحرسنا بعين عنايته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ إِيمَانِكُمْ وَالَّذِينَ لَا يَقُولُوا الْحَلْمُ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْدَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَفَاتٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٨)

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ روي: أن غلاماً لأسماء بنت أبي مرثد دخل عليها في وقت كراهته

فنزلت والخطاب للرجال المؤمنين والنساء المؤمنات جميعاً بطريق التغليب. ﴿ليستأذنكم﴾ هذه اللام لام الأمر والاستئذان طلب الإذن في الشيء إعلام بإجازته والرخصة فيه. والمعنى بالفارسية [بأيده دستورى طلبند از شما]. ﴿الذين ملكت أيما نكم﴾ من العبيد والجواري. ﴿والذين لم يبلغوا الحلم﴾ أي: الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عن البلوغ بالاحتلام لكونه أظهر دلائله وبلوغ الغلام صيرورته بحال لو جامع أنزل. قال في «القاموس»: الحلم بالضم والاحتلام الجماع في النوم والاسم الحلم كعنت انتهى.

وفي «المفردات»: ليس الحلم في الحقيقة هو العقل لكن فسروه بذلك لكونه من مسببات العقل وتسمى البلوغ بالحلم لكونه جديراً صاحبه بالحلم. ﴿منكم﴾ أي: من الأحرار ﴿ثلاث مرات﴾ ظرف زمان ليستأذن أي ليستأذنوا في ثلاثة أوقات في اليوم واللييلة لأنها ساعات غرة وغفلة ثم فسر تلك الأوقات بقوله: ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ لظهور أنه وقت القيام عن المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحل نصب على أنه بدل من ثلاث مرات. ﴿وحين تضعون ثيابكم﴾ أي ثيابكم التي تلبسونها في النهار وتخلعونها لأجل القيلولة وهي النوم نصف النهار ﴿من الظهيرة﴾ بيان للحين وهي شدة الحر عند انتصاف النهار.

قال في «القاموس»: الظهيرة حد انتصاف النهار وإنما ذلك في القبط والتصريح بمدار الأمر أعني وضع الثياب في هذا الحين دون الأول والآخر لما أن التجرد عن الثياب فيه لأجل القيلولة لقلّة زمانها ووقوعها في النهار الذي هو مظنة لكثرة ورود والصدور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما في الوقتين فإن تحقق التجرد واطراده فيهما أمر معروف لا يحتاج إلى التصريح به. ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ الآخرة ضرورة أنه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف وهو كل ثوب تغطيت به ﴿ثلاث عورات﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هن ثلاثة أوقات كائنة ﴿لكم﴾ يختل فيها التستر عادة والعورة الخلل الذي يرى منه ما يراد ستره وسميت الأوقات المذكورة عورات مع أنها ليست نفس العورات بل هذه أوقات العورات على طريق تسمية الشيء باسم ما يقع فيه مبالغة في كونه محلاً له. ﴿ليس عليكم ولا عليهم﴾ أي: على المماليك والصبيان ﴿جناح﴾ إثم في الدخول بغير استئذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الأمر والإطلاع على العورات ﴿بعدهن﴾ أي: بعد كل واحدة من تلك العورات الثلاث وهي الأوقات المتخللة بين كل وقتين منهن فلا استئذان لهؤلاء مشروع فيها لا بعدها ولغيرهم في جميع الأوقات. ﴿طوافون﴾ أي: هم يعني المماليك والأطفال طوافون. ﴿عليكم﴾ للخدمة طوافاً كثيراً والطواف الدوران حول الشيء ومنه الطائف لمن يدور حول البيت حافاً ومنه استعير الطائف من الجن والخيال والحادثة وغيرها. ﴿بعضكم﴾ طائف ﴿على بعض﴾ أي: هم يطوفون عليكم للخدمة وأنتم تطوفون للاستخدام ولو كلفهم الاستئذان في كل طوفة أي في هذه الأوقات الثلاثة وغيرها لضاق الأمر عليهم فلذا رخص لكم في ترك الاستئذان فيما وراء هذه الأوقات. ﴿كذلك﴾ إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده والكاف مقحمة أي مثل ذلك التبيين. ﴿يبين الله لكم الآيات﴾ الدالة على الأحكام أي ينزلها مبينة واضحة الدلالات عليها لا أنه تعالى بينها بعد أن لم تكن كذلك ﴿والله عليم﴾ مبالغ في العلم بجميع المعلومات فيعلم أحوالكم. ﴿حكيم﴾ في جميع أفاعيله فيشرع لكم ما فيه صلاح أمركم معاشاً ومعاداً روي: عن

عكرمة أن رجلين من أهل العراق سألا ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية فقال: إن الله ستير يحب الستر وكان الناس لم يكن لهم ستور على أبوابهم ولا حجال في بيوتهم فربما فاجأ الرجل ولده أو خادمه أو يتيم في حجره ويرى منه ما لا يحبه فأمرهم الله تعالى أن يستأذنوا الثلاث ساعات التي سماها ثم جاء باليسر وبسط الرزق عليهم فاتخذوا الستور والحجال فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم عن الاستئذان الذي أمروا به.

ففيه دليل على أن الحكم إذا ثبت لمعنى فإذا زال المعنى زال الحكم فالتبسط في اللباس والمعاش والسكنى ونحوها مرخص فيه إذا لم يؤد إلى كبر واغترار.

قال عمر رضي الله عنه: إذا وسع الله عليكم فوسعوا على أنفسكم. ويقال: اليسار مفسدة للنساء لاستيلاء شهوتهن على عقولهن، وفي الحديث: «أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» يعني إذا أتى الله عبده نعمة من نعم الدنيا فليظهرها من نفسه وليلبس لباساً نظيفاً يليق بحاله ولتكن نيته في لبسه إظهار نعمة الله عليه ليقصده المحتاجون لطلب الزكاة والصدقات وليس لبس الخلق مع اليسار من التواضع.

وفي الآية رخصة اتخاذ العبيد والإماء للخدمة لمن قام بحقهم وبيان أن حق الموالى عليهم الخدمة، وفي الحديث: «حسنة الحر بعشر وحسنة المملوك بعشرين» يضاعف له الحسنة وهذا لمن أحسن عبادة الله ونصح لسيده أي أراد له خيراً وأقام بمصالحه على وجه الخلوص كذا في «شرح المشارق».

قال في «نصاب الاحتساب»: وينبغي أن يتخذ الرجل جارية لخدمة داخل البيت دون العبد البالغ لأن خوف الفتنة في العبد أكثر من الأحرار الأجانب لأن الملك يقلل الحشمة والمحرمية منتفية والشهوة داعية فلا يأمن الفتنة. وقيل: من اتخذ عبداً لخدمة داخل البيت فهو كسحان بالسين المهملة أي أعرج أو مقعد. وابتاع بعض المشايخ غلاماً فقيل: بورك لك فيه فقال: البركة مع من قدر على خدمة نفسه واستغنى عن استخدام غيره فخفت مؤنته وهانت تكاليفه وكفى سياسة العبد والمرء في بيته بمنزلة القلب وقلما تنتفع خدمة الجوارح إلا بخدمة القلب.

ودلت الآية على أن من لم يبلغ وقد عقل يؤمر بفعل الشرائع وينهى عن ارتكاب القبائح فإنه تعالى أمرهم بالاستئذان في الأوقات المذكورة، وفي الحديث: «مروهم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم على تركها وهم أبناء عشر» وإنما يؤمر بذلك ليعتاده ويسهل عليه بعد البلوغ ولذا كره إلباسه ذهباً أو حريراً لثلاً يعتاده والإثم على الملبس كما في «القهستاني»: قال الشيخ سعدى قدس سره:

بخردي درش زجر وتعليم كن به نيك وبدش وعده وبيم كن
قال ابن مسعود رضي الله عنه إذا بلغ الصبي عشر سنين كتبت له حسناته ولم تكتب سيئاته حتى يحتلم.

قال في «الأشباه»: وتصح عبادة الصبي وإن لم تجب عليه واختلفوا في ثوابها والمعتمد أنه له وللمعلم ثواب التعليم وكذا جميع حسناته وليس كالبالغ في النظر إلى الأجنبية والخلو بها فيجوز له الدخول على النساء إلى خمس عشرة سنة كما في «الملقط». وفي الشيخ سعدى:

پسر چون زده بر کذشته سنین زنا محرمان کوفراتر نشین
بر پنبه آتش نشاید فروخت که تا چشم برهن زنی خانه سوخت
﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (۵۹).

﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم﴾ أي: الأطفال الأحرار الأجانب فيخرج العبد البالغ فإنه لا يستأذن في الدخول على سيده في غير الأوقات الثلاثة المذكورة كما قال في «التتمة» يدخل العبد على سيده بلا إذنها بالإجماع. ﴿فليستأذنوا﴾ أي: إن أرادوا الدخول عليكم. ﴿كما استأذن الذين﴾ بلغوا الحلم. ﴿من قبلهم﴾ أو ذكروا من قبلهم كما قال تعالى فيما تقدم: ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾ الآية فالمعنى فليستأذنوا استئذاناً كائناً مثل استئذان المذكورين قبلهم بأن يستأذنوا في جميع الأوقات ويرجعوا إن قيل لهم: ارجعوا. ﴿كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾ كرره للتأكيد والمبالغة في الأمر بالاستئذان.

اعلم أن بلوغ الصغير بالإحبال والإنزال والاحتلام وبلوغ الصغيرة بهما وبالجبيل والحيض فإن لم يوجد فيهما شيء من الأصل وهو الإنزال والعلامة وهو الباقي فيبلغان حين يتم لهما خمس عشرة سنة كما هو المشهور وبه يفتي لقصر أعمار أهل زماننا.

قال بعض الصحابة: كان الرجل فيمن قبلكم لا يحتلم حتى يأتي عليه ثمانون سنة.

قال وهب: إن أصغر من مات من ولد ابن آدم ولد مائتي سنة وأدنى مدة البلوغ للغلام اثنتا عشرة سنة ولذا تطرح هذه المدة من سن الميت الذكر ثم يحسب ما بقي من عمره فتعطى فدية صلاته على ذلك وأدنى مدته للجارية تسع سنين على المختار ولذا تطرح هذه المدة من الميت الأنثى فلا تحتاج إلى إسقاط صلاتها بالفدية ثم هذا بلوغ الظاهر وأما بلوغ الباطن فبالوصول إلى سر الحقيقة وكماليته في أربعين من أول كشف الحجاب وربما يحصل للبعض علامة ذلك في صباه.

قال أيوب عليه السلام: إن الله يزرع الحكمة في قلب الصغير والكبير فإذا جعل الله العبد حكيماً في الصبي لم تضع منزلته عند الحكماء حدائة سنه وهم يرون عليه من الله نور كرامته. ودخل الحسين بن فضل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم فأحب أن يتكلم فمنعه فقال أصبي يتكلم في هذا المقام؟ فقال: إن كنت صبيّاً فلست بأصغر من هدهد سليمان ولا أنت أكبر من سليمان حين قال ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ [النمل: ۲۲] [حكما كفته اند توانكرى بهنرست نه بمال وبزركى بعقلست نه بسال] فالاعتبار لفضل النفس لا للصغر والكبر وغيرهما.

قال هشام بن عبد الملك لزید بن علی: بلغني أنك تطلب الخلافة ولست لها بأهل قال: لم؟ قال: لأنك ابن أمة فقال: فقد كان إسماعيل ابن أمة وإسحاق ابن حرة وقد اخرج الله من صلب إسماعيل خير ولد آدم صلوات الله عليه وعليهم أجمعين. قال المولى الجامي قدس سره:

چه غم زمنقصت صورت أهل معنی را چوجان زروم بود کوتن از حبش می باش
قال السعدي قدس سره.

چو کنعانرا طبیعت بی هنر بود پیمبر زاد کی قدرش نیفزود
 هنر بنمای آکر داری نه کوهر کل ازخارست و ابراهیم از آزر
 ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٦٠)

﴿والقواعد﴾ مبتداً جمع قاعد بلا هاء لاختصاصها بالمرأة وإذا أردت القعود بمعنى الجلوس قلت: قاعدة كحامل من حمل البطن وحاملة من حمل الظهر.

قال في «القاموس»: القاعدة التي قعدت عن الولد وعن الحيض وعن الزوج. ﴿من النساء﴾ حال من المستكن في القواعد أي العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل. وبالفارسية [ونشستگان درخانها و باز ما ندکان]. ﴿اللاتي لا يرجون نکاحاً﴾ صفة للقواعد لا للنساء، أي لا يطمعن في النکاح لكبرهن فاعتبر فيهن القعود عن الحيض والحمل والكبر أيضاً لأنه ربما ينقطع الحيض والرغبة فيهن باقية. وبالفارسية: [آنانکه امید ندارند نکاح خود را یعنی طمع نمی کنند که کسی ایشانرا نکاح کند بجهت پیری و عجز]. ﴿فلیس علیهن جناح﴾ الجملة خبر مبتداً أي إثم ووبال في. ﴿أن يضعن﴾ عند الرجال ﴿ثيابهن﴾ أي الثياب الظاهرة كالجلباب والإزار فوق الثياب والقناع فوق الخمار ﴿غير متبرجات بزينة﴾ حال من فاعل يضعن. وأصل التبرج التكلف في إظهار ما يخفى خص بكشف عورة زينتها ومحاسنها للرجال. والمعنى حال كونهن غير مظهرات لزينة خفية كالسوار والخلخال والقلادة لكن لطلب التخفيف جاز الوضع لهن ﴿وأن يستعففن﴾ بترك الوضع أي يطلبن العفة وهي حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة وهو مبتداً خبره قوله: ﴿خير لهن﴾ من الوضع لبعده من التهمة. ﴿والله سمیع﴾ مبالغ في جميع ما يسمع فيسمع ما يجري بينهما وبين الرجال من المقالوة. ﴿علیم﴾ فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى.

اعلم أن العجوز إذا كانت بحيث لا تشتهي جاز النظر إليها لأمن الشهوة. وفيه إشارة إلى أن الأمور إذا خرجت عن معرض الفتنة وسكنت نائرة الآفات سهل الأمر وارتفعت الصعوبة وأباحت الرخص ولكن التقوى فوق أمر الفتوى كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وأن يستعففن خير لهن﴾ وفي الحديث: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس».

قال ابن سيرين ما غشيت امرأة قط لا في يقظة ولا في نوم غير أم عبد الله وأني لأرى المرأة في المنام فأعلم أنها لا تحل لي فأصرف بصري.

قال بعضهم: ليت عقلي في اليقظة كعقل ابن سيرين في المنام.

وفي «الفتوحات المكية»: يجب على الورع أن يجتنب في خياله كما يجتنب في ظاهره لأن الخيال تابع للحس ولهذا كان المرید إذا وقع له احتلام فليشيخه معاقبته على ذلك لأن الاحتلام برؤيا في النوم أو بالتصور في اليقظة لا يكون إلا من بقية الشهوة في خياله فإذا احتلم صاحب كمال فإنما ذلك لضعف أعضائه الباطنة لمرض طراً في مزاجه لا عن احتلام لا في حلال ولا في حرام انتهى. ثم إن العجوز في حكم الرجل في ترك الحجاب لا في مرتبته كما قال حكيم: إن خير نصفي الرجل آخره يذهب جهله ويتقرب حلمه ويجتمع رأيه وشر نصفي

المرأة آخرها يسوء خلقها ويحد لسانها ويعقم رحمها.

وعدم رجاء النكاح إنما هو من طرف الرجل لا من طرف العجوز غالباً فإنه حكى أن عجوزاً مرضت فأتى ابنها بطبيب فرأها متزينة بأثواب مصبوغة فعرف حالها فقال ما أحوجها إلى الزوج فقال الابن: ما للعجائز والأزواج فقالت: ويحك أنت أعلم من الطبيب وحكي: لما مات زوج رابعة العدوية استأذن عليها الحسن البصري وأصحابه فأذنت لهم بالدخول عليها وأرخت ستراً وجلست وراء الستر فقال لها الحسن وأصحابه: إنه قد مات بعلك ولا بد لك منه قالت نعم وكرامة لكن من أعلمكم حتى أزوجه نفسي؟ فقالوا: الحسن البصري فقالت: إن أجبتني في أربع مسائل فأنا لك فقال: سلي إن وفقني الله أجبتك قالت: ما تقول لو مت أنا وخرجت من الدنيا مت على الإيمان أم لا؟ قال: هذا غيب لا يعلمه إلا الله ثم قالت: ما تقول لو وضعت في القبر وسألني منكر ونكير أقدر على جوابهما أم لا؟ قال: هذا غيب أيضاً قالت: إذا حشر الناس يوم القيامة وتطارت الكتب أعطى كتابي بيمينني أم بشمالني؟ قال: هذا غيب أيضاً ثم قالت: إذا نودي في الخلق فريق في الجنة وفريق في السعير كنت أنا من أي الفريقين؟ قال: هذا غيب أيضاً قالت: من كان له علم هذه الأربعة كيف يشتغل بالتزوج ثم قالت: يا حسن أخبرني كم خلق الله العقل؟ قال: عشرة أجزاء تسعة للرجال وواحد للنساء ثم قالت: يا حسن كم خلق الله الشهوة؟ قال: عشرة أجزاء تسعة للنساء وواحد للرجال قالت يا حسن أنا أقدر على حفظ تسعة أجزاء من الشهوة بجزء من العقل وأنت لا تقدر على حفظ جزء من الشهوة بتسعة أجزاء من العقل فبكي الحسن وخرج من عندها.

وعن سليمان عليه السلام: الغالب على شهواته أشد من الذي يفتح المدينة وحده: قال الشيخ سعدى قدس سره:

مبـر طاعت نفس شهوت پرست كه هر ساعتش قبله ديكـرست

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُم مَفَاحِشُهُمْ أَوْ صَدِيقَهُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾﴾.

﴿ليس على الأعمى﴾ مفتقد البصر. وبالفارسية [نا بينا] ﴿حرج﴾ إثم ووبال ﴿ولا على الأعرج حرج﴾ العرج ذهـاب في صعود وعرج مشى مشي العارج أي الذهاب في صعود فـعرج كـدخل إذا أصابه شيء في رجله فمشى مشية العرجان وعرج كطرب إذا صار ذلك خلقـة له والأعرج بالفارسية [لنك] ﴿ولا على المريض حرج﴾ المريض بالفارسية [بیمار] والمرض الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان كانت هذه الطوائف يتخرجون من مواكـلة الأصحاء حذراً من استـقذارهم إياهم وخوفاً من تأذيهم بأفعالهم وأوضاعهم فإن الأعمى ربما سبقت إليه عين مواكـله ولا يشعر به والأعرج يتفسح في مجلسه فيأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جلسيه والمريض لا يخلو عن حالة تؤذي قرينه أي برائحة كريهة أو جرح يبدو أو أنف يسيل أو نحو

ذلك فقال تعالى لا بأس لهم بأن يأكلوا مع الناس ولا مآثم عليهم. ﴿ولا على أنفسكم﴾ أي: عليكم وعلى من يماثلكم في الأحوال من المؤمنين حرج. ﴿أن تأكلوا﴾ الأكل تناول المطعم، أي أن تأكلوا أنتم ومن معكم ﴿من بيوتكم﴾ أصل البيت مأوى الإنسان بالليل ثم قد يقال من غير اعتبار الليل فيه لكن البيوت بالمسكن أخص والأبيات بالشعر وليس المعنى أن تأكلوا من البيوت التي تسكنون فيها بأنفسهم وفيها طعامكم وسائر أموالكم لأن الناس لا يخرجون من أكل طعامهم في بيوت أنفسهم، فينبغي أن يكون المعنى من بيوت الذين كانوا في حكم أنفسكم لشدة الاتصال بينهم وبينكم كالأزواج والأولاد والمماليك ونحوهم فإن بيت المرأة كبيت الزوج وكذا بيت الأولاد فلذلك يضيف الزوج بيت زوجته إلى نفسه وكذا الأب يضيف بيت ولده إلى نفسه، وفي الحديث: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه» وفي حديث آخر: «أنت ومالك لأبيك» فإذا كان هذا حال الأب مع الولد فقس عليه حال المملوك مع المولى. ﴿أو بيوت آبائكم﴾ الأب الوالد أي حيوان يتولد من نطفته حيوان آخر. ﴿أو بيوت أمهاتكم﴾ جمع أم زیدت الهاء فيه كما زیدت في إهراق من أراق والأم بإزاء الأب أي الوالدة. ﴿أو بيوت إخوانكم﴾ الأخ المشارك لآخر في الولادة من الطرفين أو من أحدهما، أو من الرضاع ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في صناعة، أو في معاملة أو في مودة أو في غير ذلك من المناسبات. ﴿أو بيوت أخواتكم﴾ الأخت تأنث الأخ وجعل التاء فيها كالعوض عن المحذوف منه. ﴿أو بيوت أعمامكم﴾ العم أخ الأب والعمة أخته وأصل ذلك من العموم وهو الشمول ومنه العامة لكثرتهم وعمومهم في البلد والعمامة لشمولها. ﴿أو بيوت عماتكم﴾ [خواهران پدران خود] ﴿أو بيوت أخوالكم﴾ الحال أخ الأم والخالة أختها: وبالفارسية [برادران ما دران خود]. ﴿أو بيوت خالاتكم﴾ [خوهران مادران خود] ﴿أو ما ملكتكم مفاتيحه﴾ جمع مفتاح والمفاتيح جمع مفتاح كلاهما آلة الفتح والفتح إزالة الإغلاق والأشكال. والمعنى: ﴿أو ما ملكتكم مفاتيحه﴾ أي: أو من البيوت التي تملكون التصرف فيها بإذن أربابها كما إذا خرج الصحيح إلى الغزو وخلف الضعيف في بيته ودفع إليه مفتاحه وأذن له أن يأكل مما فيه من غير مخافة أن يكون أذنه لا عن طيب نفس منه.

وقال بعضهم: هو ما يكون تحت أيديهم وتصرفهم من ضيعة أو ماشية وكالة أو حفظاً فملك المفاتيح حينئذ كناية عن كون المال في يد الرجل وحفظه. فالمعنى ليس عليكم جناح أن تأكلوا من أموال لكم يد عليها لكن لا من أعيانها بل من أتباعها وغلاتها كثمر البستان ولبن الماشية. ﴿أو صديقكم﴾ الصداقة صدق الاعتقاد في المودة وذلك مختص بالإنسان دون غيره فالصديق هو من صدقك في مودته. وبالفارسية [دوست حقيقي].

قال أبو عثمان رحمه الله الصديق من لا يخالف باطنه باطنك كما لا يخالف ظاهره ظاهرك إذ ذاك يكون الانبساط إليه مباحاً في كل شيء من أمور الدين والدنيا. ونعم ما قيل: صديقك من صدقك لا من صدقك. والمعنى أو بيوت صديقك وإن لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية فإنهم أرضى بالتبسط وأسر به من كثير من الأقرباء روي: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الصديق أكبر من الوالدين وروي: أن الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالأباء والأمهات وإنما قالوا: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم.

وعن الحسن أنه دخل يوماً بيته فرأى جماعة من أصدقائه قد أخذوا طعاماً من تحت

سريره وهم يأكلون فتهلل وجهه سروراً وقال هكذا وجدناهم يعني من لقي من البدرين .
قال الكاشفي: [فتح موصلي رحمه الله در خانه دوستي آمد واو حاضر نبود كيسة اوريا
زجاريه طلبيد زو درم برداشت وباقي بكنيزك باز داد و چون خواجه بخانه رسيد وصورت واقعه
زجاريه بشنيد شكرانه آن انبساط كنيزك را آزاد كرد وبنواخت: درنكارستان آورده]

شبی گفتم نهان فرسوده را که بود آسوده در کنج رباطی
زلذ تهاچه خوشتر در جهان گفت میان دوستداران انبساطی
[و در عوارف المعارف فرموده که چون کسی یا رخود را گوید «اعطني من مالک» و در
جواب گوید کمترست دوستي را نمی شاید يعني بايد که هرچه در میان دارد ميدهد و از استفسار
چند و چون بگذرد که دوست جاني بهترست از مال فاني و درين باب گفته اند أي دوست برو
بهرچه داری یاری بخر بهیچ مفروش]: والله در من قال:

یا ران بجان مضایقه باهم نمیکنند آخر کسی بحال جدایی چرا کند
بسیار جد و جهد ببايد که تا کسی خود را بآدمی صفتي آشنا کند
قال المفسرون هذا كله إذا علم رضى صاحب البيت بصريح الإذن أو بقرينة دالة كالقراءة
والصدقة ونحو ذلك ولذلك خص هؤلاء بالذكر لاعتیادهم التبسط فيما بينهم يعني ليس عليكم
جناح أن تأكلوا من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا ويعلموا من غير أن تتزودوا
وتحملوا.

قال الإمام الواحدي في «الوسيط»: وهذه الرخصة في أكل مال القربات وهم لا يعلمون
ذلك كرخسته لمن دخل حائطاً وهو جائع أن يصيب من ثمره أو مَرّ في سفر بغنم وهو عطشان
أن يشرب من رسلها توسعة منه تعالى ولطفاً بعباده ورغبة بهم عن دناءة الأخلاق وضيق النظر .
واحتج أبو حنيفة بهذه الآية على من سرق من ذي محرم لا تقطع يده أي إذا كان ماله
غير محرز كما في «فتح الرحمن»: لأنه تعالى أباح لهم الأكل من بيوتهم ودخولها بغير إذنهم
فلا يكون ماله محرزاً منهم أي إذا لم يكن مقفلاً ومخزناً ومحفوظاً بوجه من الوجوه المعتادة
ولا يلزم منه أن لا تقطع يده إذا سرق من صديقه لأن من أراد سرقة المال من صديقه لا يكون
صديقاً له بل خائناً عدواً له في ماله بل في نفسه فإن من تجاسر على السرقة تجاسر على
الإهلاك فرب سرقة مؤدية إلى ما فوقها من الذنوب فعلى العاقل أن لا يغفل عن الله وينظر إلى
أحوال الأصحاب رضي الله عنهم كيف كانوا إخواناً في الله فوصلوا بسبب ذلك إلى ما وصلوا
من الدرجات والقربات وامتازوا بالصدق الأتم والإخلاص الأكمل والنصح الأشمل عمن
عداهم فرحمهم الله تعالى ورضي عنهم وألحقنا بهم في نياتهم وأعمالهم . ﴿ليس عليكم
جناح﴾ في ﴿أن تأكلوا﴾ حال كونكم ﴿جميعاً﴾ أي: مجتمعين ﴿أو أشتاتاً﴾ جمع شت بمعنى
متفرق على أنه صفة كالحق أو بمعنى تفرق على أنه مصدر وصف به مبالغة . وأما شتى فجمع
شتيت كمرضى ومريض .

نزلت في بني ليث بن عمرو وهم حي من كنانة كانوا يتخرجون أن يأكلوا طعامهم
منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفاً يأكل معه فإن لم يجد من
يوأكله لم يأكل شيئاً وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح إلى الرواح وربما
كان معه الإبل الحفل أي المملوءة الضرع لبناً فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فإذا

أمسى ولم يجد أحداً أكل فرخص في هذه الآية الأكل وحده لأن الإنسان لا يمكنه أن يطلب في كل مرة أحداً يأكل معه وأما إذا وجد أحداً فلم يشاركه فيما أكله فقد جاء الوعيد في حقه كما قال عليه السلام: «من أكل وذو عيين ينظر إليه ولم يواسه ابتلى بداء لا دواء له».

قال الإمام النسفي رحمه الله: دل قوله تعالى: ﴿جميعاً﴾ على جواز التناهد في الأسفار وهو إخراج كل واحد من الرفقة نفقة على قدر نفقة صاحبه أي على السوية.

وقال بعضهم في خلط المال ثم أكل الكل منه الأولى أن يستحل كل منهم غذاء كل أو يتبرعون لأمين ثم يتبرع لهم الأمين. ﴿فإذا دخلتم بيوتا﴾ أي: من البيوت المذكورة بقرينة المقام، أي للأكل وغيره وهذا شروع في بيان أدب الدخول بعد الترخيص فيه. ﴿فسلموا على أنفسكم﴾ أي: فابدؤوا بالتسليم على أهلها الذين بمنزلة أنفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك ﴿تحية﴾ ثابتة ﴿من عند الله﴾ أي: بأمره مشروعة من لدنه ويجوز أن يكون صلة للتحية فإنها طلب الحياة التي من عنده تعالى. والتسليم طلب السلامة من الله للمسلم عليه وانتصابها على المصدرية لأنها بمعنى التسليم أي فسلموا تسليماً. ﴿مباركة﴾ مستتعبة لزيادة الخير والثواب ودوامها ﴿طيبة﴾ تطيب بها نفس المستمع ﴿كذلك﴾ إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده أي: مثل ذلك التبيين. ﴿يبين الله لكم الآيات﴾ الدالة على الأحكام أي ينزلها مبينة واضحة الدلالات عليها. ﴿لعلكم تعقلون﴾ أي لكي تفقهوا ما في تضاعيفها من الشرائع والأحكام والآداب وتعلمون بموجبها وتفوزون بذلك بسعادة الدارين.

وعن أنس رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال شيء فعلته لم فعلته ولا شيء كسرت له لم كسرت وكنت قائماً أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال: «ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها؟ فقلت: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال: متى لقيت أحداً من أمتي فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خيرك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأوابين».

يقول الفقير: لاحظ عليه السلام في التسليم الخارجي المعنى اللغوي للتحية فرتب عليه طول العمر لأنه ربما يستجيب الله تعالى دعاء المسلم عليه فيطول عمر المسلم بمعنى وجدان البركة فيه ولاحظ في التسليم الداخلي معنى البركة فرتب عليه كثرة الخير لأنها المطلوبة غالباً بالنسبة إلى البيت ولما كان الوقت وقت الوضوء لصلاة الضحى والله أعلم ألحقها بالتسليم وأوردها بعد الداخلي منه إشارة إلى أن الأفضل إخفاء النوافل بأدائها في البيت ونحوه.

قالوا: إن لم يكن في البيت أحد يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقد روي أن الملائكة ترد عليه وكذا حال المسجد، وفي الحديث: «إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها وإذا طعم أحدكم طعاماً فليذكر اسم الله عليه فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته معه، وإذا ذكر الله على طعامه قال لا مبيت لكم ولا عشاء وإن لم يسلم حين يدخل بيته ولم يذكر اسم الله على طعامه قال أدركتم العشاء والمبيت» والتسليم على الصبيان العقلاء أفضل من تركه كما في «البستان». ولا يسلم على جماعة النساء الشواب كيلا يحصل بينهما معرفة وانسباط فيحدث من تلك المعرفة فتنة. ولا يبتدىء اليهود والنصارى بالسلام فإنه حرام لأنه إعزاز الكافر وإذا لا يجوز. وكذا السلام على أهل البدعة ولو سلم على من لا يعرفه فظهر ذمياً أو مبتدعاً يقول استرجعت سلامي تحقيراً له ولو احتاج إلى سلام أهل الكتاب يقول السلام على من اتبع

الهدى ولو رد يقول وعليكم فقط وقد مر ما يتعلق بالسلام مشبعاً في الجلد الأول عند قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾ [النساء: ٨٦] الآية فارجع.

قال في «حقائق البقلى» قدس سره: إذا دخلتم بيوت أولياء الله بالحرمة والاعتقاد الصحيح فأنتم من أهل كرامة الله فسلموا على أنفسكم بتحية الله فإنها محل كرامة الله في تلك الساعة.

يقول الفقير: وكذا الحال في دخول المزارات والمشاهد المتبركة وإن كان العامة لا يعرفون ذلك ولا يعتقدون. قال الكمال الخجندی.

صوفيم ومعتقد صوفيان كيست چو من صوفىء نيك اعتقاد
قال الحافظ:

برسر تربت ما چون كذرى همت خواه كه زیارتكه رندان جهان خواهند بود
وقال الجامي:

نسیم الصبح زرعتی ربی نجد و قبلها كه بوی دوست می آیدازان پا کیزه منزلها
اللهم اجعلنا من الذين يجدون النفس الرحمانی من قبل الیمن فی کل حین وزمن.
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ
الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن
شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢٢).

﴿إنما المؤمنون﴾ نزلت حين جمع النبي عليه السلام المسلمين يوم الجمعة ليستشيرهم في أمر الغزو وكان يثقل المقام عنده على البعض فيخرج بغير إذنه أو في حفر الخندق، وكان المنافقون ينصرفون بغير أمر رسول الله وكان الحفر من أهم الأمور حتى حفر رسول الله بنفسه وشغل عن أربع صلوات حتى دخلت في حد القضاء فقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون﴾ أي: الكاملون في الإيمان وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿الذين آمنوا بالله ورسوله﴾ عن صميم قلوبهم وأطاعوهما في جميع الأحكام في السر والعلانية. ﴿وإذا كانوا معه﴾ مع النبي عليه السلام ﴿على أمر جامع﴾ إلى آخره معطوف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة أي على أمر مهم يجب اجتماعهم في شأنه كالجمعة والأعياد والحروب والمشاورة في الأمور وصلاة الاستسقاء وغيرها من الأمور الداعية إلى الاجتماع ووصف الأمر بالجمع للمبالغة في كونه سبباً لاجتماع الناس فإن الأمر لكونه مهماً عظيم الشأن صار كأنه قد جمع الناس فهو من قبيل إسناد الفعل إلى السبب. ﴿لم يذهبوا﴾ من المجمع ولم يفترقوا عنه عليه السلام ﴿حتى يستأذنوه﴾ عليه السلام في الذهاب فيأذن لهم واعتبر في كمال الإيمان عدم الذهاب قبل الاستئذان لأنه المميز للمخلص من المنافق ثم قال لمزيد التأكيد. ﴿إن الذين يستأذنونك﴾ يطلبون الإذن منك ﴿أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾ لا غير المستأذنين.

قال الكاشفي: [تعريض جمع منافقاً نست كه در غزوة تبوك بتخلف از جهاد دستوری جستند ودر بارة ایشان نازل شدكه]. ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: ٤٥] الآية أي فبعض المستأذنين وكل غير المستأذنين دخلوا في الترهيب وذلك بحسب الأغراض الفاسدة ولأنه فرق بين الاستئذان في التخلف وبين الاستئذان في الانصراف ألا ترى إلى عمر رضي الله

عنه استأذنه عليه السلام في غزوة تبوك في الرجوع إلى أهله فأذن له فقال: «انطلق فوالله ما أنت بمنافق» هكذا لاح بالبال. ﴿فإذا استأذنوك﴾ أي: وبعد ما تحقق أن الكاملين في الإيمان هم المستأذنون فإذا استأذنوك في الانصراف ﴿لبعض شأنهم﴾ الشأن الحال والأمر ولا يقال إلا فيما يعظم من الأحوال والأمور كما في «المفردات» لبعض أمرهم المهم أو خطبهم الملم لم يقل لشؤونهم بل قيد بالبعض تغليظاً عليهم في أمر الذهاب عن مجلس رسول الله مع العذر المبسوط ومساس الحاجة ﴿فائذن لمن شئت منهم﴾ لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة فلا اعتراض عليك في ذلك ﴿واستغفر لهم الله﴾ بعد الإذن فإن الاستئذان وإن كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تفضيل أمر الدنيا على الآخرة.

ففيه إشارة إلى أن الأفضل أن لا يحدث المرء نفسه بالذهاب فضلاً عن الذهاب. ﴿إن الله غفور﴾ مبالغ في مغفرة فرطات العباد ﴿رحيم﴾ مبالغ في إفاضة أثر الرحمة عليهم. وفي الآية بيان حفظ الأدب بأن الإمام إذا جمع الناس لتدبير أمر من أمور المسلمين ينبغي أن لا يرجعوا إلا بإذنه ولا يخالفوا أمير السرية ويرجعوا بالإذن إذا خرجوا للغزو ونحوه وللإمام أن يأذن وله أن لا يأذن إلا على ما يرى فمن تفرق بغير إذن صار من أهل الهوى والبدع وكان عليه السلام إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد رجل الخروج وقف حيث يراه فيأذن له إن شاء ولذا قال عظماء الطريقة قدس الله أسرارهم: إن المرید إذا أراد أن يخرج لحاجة ضرورية ولم يجد الشيخ مكانه فإنه يحضر الباب ويتوجه بقلبه فيستأذن من روحانية الشيخ حتى لا يستقل في خروجه بل يقع ذلك من طريق المتابعة فإن للمتابعة تأثيراً عظيماً.

قال في «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن المرید الصادق من يكون مستسلماً لتصرفات شيخه وأن لا يتنفس إلا بإذن شيخه ومن خالف شيخه في نفسه سرّاً أو جهراً لا يشم رائحة الصدق وسيره غير سريع وإن بدر منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والإفصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه شيخه إلى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في الغرامة بما يحكم به عليه وإذا رجع المرید إلى الله وإلى شيخه بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمه فإن المریدین عيال على الشيوخ فرض عليهم أن ينفقوا عليهم من قوت أموالهم بما يكون جبراناً لتقصيرهم انتهى.

فعلى المریدین أن يوافقوا مشايخهم في جميع الأحوال وأن لا يستبدوا بآرائهم في أمور الشريعة والطريقة وأن لا يخالفوهم بالاستبعاد بالخروج من عندهم إلى السفر والحضر والمجاهدة والرياضة.

قال عبد الله الرازي: قال قوم من أصحاب أبي عثمان لأبي عثمان قدس سره: أوصنا قال: عليكم بالاجتماع على الدين وإياكم ومخالفة الأكابر والدخول في شيء من الطاعات إلا بإذنهم ومشورتهم وواسوا المحتاجين بما أمكنكم فأرجو أن لا يضيع الله لكم سعياً انتهى فمن وقع منه تقصير فلا يقنط فإن الله تعالى قبولاً ثم قبولاً. قال المولى الجامي:

بلى نبود درین ره نا امیدی	سیاهی را بود رو در سفیدی
ز صد در کر امیدت بر نیاید	بنو میدی جگر خوردن نشاید
در دیکر ببايد زد که ناکاه	ازان در سوى مقصود آوری راه

والله تعالى يقبل التوبة والاستغفار.

واعلم أن هذه الأبيات تشير إلى أبواب الشفاعة وكثرتها وإلا فمن رده باب من الأبواب الحقّة فلا تقبله سائر الأبواب ألا ترى أن من رده الله تعالى لا يقبله النبي عليه السلام، ومن رده النبي عليه السلام لا يقبله الخلفاء الأربعة ولا غيرهم من أمته، فمن ترك الاستئذان من رسول الله لا يأذن له أحد ولو أذن لا يفيد وكذا حال من ترك الاستئذان من وارث رسول الله يعني أنه لا يفيد إذن غير الوارث وأما إذن وارث آخر فلا يتصور؛ لأن الوارثين كالحلقة المفرغة فإذا لم ينطبع في مرآة واحد منهم صورة صلاح أحد لم ينطبع في مرآة الآخر نسأل الله القبول بحرمة الرسول.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لَوْ أَدَّاءٌ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٣)

﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم﴾ المصدر مضاف إلى الفاعل أي لا تجعلوا دعوته وأمره إياكم في الاعتقاد والعمل بها. ﴿كدعاء بعضهم بعضاً﴾ أي: لا تقيسوا دعوته إياكم إلى شيء من الأمور على دعوة بعضهم بعضاً في جواز الأعراض والمساهلة في الإجابة والرجوع بغير إذن فإن المبادرة إلى إجابته واجبة والمراجعة بغير إذنه محرمة.

وقال بعضهم: المصدر مضاف إلى المفعول والمعنى لا تجعلوا نداءكم إياه وتسميتكم له كنداء بعضهم بعضاً باسمه مثل يا محمد ويا ابن عبد الله ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤] ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١] قال الكاشفي: [حضرت عزت همه انبيارا بنداى علامت خطاب كرده وحبیب خودرا بنداى كرامت].

يا آدمست با پدرانبيبا خطاب يا أيها النبي خطاب محمد است

قال أبو الليث في «تفسيره»: وفي الآية بيان توقير معلم الخير لأن رسول الله ﷺ كان معلم الخير فأمر الله بتوقيره وتعظيمه وفيه معرفة حق الأستاذ وفيه معرفة أهل الفضل. قال في «حقائق البقلي»: احترام الرسول من احترام الله ومعرفته من معرفة الله والأدب في متابعتهم من الأدب مع الله.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى تعظيم المشايخ فإن الشيخ في قومه كالنبي في أمته أي عظموا حرمة الشيوخ في الخطاب واحفظوا في خدمتهم الأدب وعلقوا طاعتهم على مراعاة الهيئة والتوقير ﴿قد يعلم الله الذين يستللون منكم﴾ قد للتحقيق بطريق الاستعارة لاقتضاء الوعيد إياه كما أن رب يجيء للتكثير. وفي «الكواشي»: قد هنا مؤذنة بقلّة المتسللين لأنهم كانوا أقل من غيرهم.

والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية يقال: تسلل الرجل أي انسرق من الناس وفارقهم بحيث لا يعلمون والمعنى يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلاً قليلاً على خفية ﴿لوأذا﴾ هو أن يستتر بشيء مخافة من يراه كما في «الوسيط».

قال في «القاموس»: اللوذ بالشيء الاستتار والاحتصان به كاللواذ مثلثة انتهى. والمعنى ملاوذة بأن يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج أو بأن يلوذ بمن يخرج بالإذن، إراءة أنه من أتباعه وانتصابه على الحالية من ضمير يستللون أي ملاوذين أو على أنه مصدر مؤكد بفعل مضممر هو

الحالة في الحقيقة أي يلاوذون لوأذاً وهو عام للتسلل من صف القتال ومن المسجد يوم الجمعة وغيرهما من المجامع الحقة.

وقال بعضهم: كان يثقل على المنافقين خطبة النبي يوم الجمعة فيلوذون ببعض أصحابه أو بعضهم ببعض فيخرجون من المسجد في استتار من غير استئذان فأوعدهم الله تعالى بهذه الآية ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ يخالفون أمره بترك مقتضاه ويذهبون سمتاً بخلاف سمته وعن لتضمينه معنى الإعراض والميل والضمير لله لأنه الأمر حقيقة أو للرسول لأنه المقصود بالذكر. ﴿أن﴾ أي: من أن ﴿تصيبهم﴾ [برسدبریشان] ﴿فتنة﴾ محنة في الدنيا في البدن أو في المال أو في الولد كالمرض والقتل والهلاك وتسلط السلطان.

قال الكاشفي: [يا مهر غفلت بردل يا روى تويه. جنيد قدس سره فرموده كه فتنة سختی دلست ومتأثر ناشدن أو ازمعرفت إلهي] ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ أي: في الآخرة. وفي «الجلالين» ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ بلية تظهر نفاقهم ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ عاجل في الدنيا انتهى وكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع وإعادة الفعل صريحاً للاعتناء بالتحذير وفي ترتيب العذابين على المخالفة دلالة على أن الأمر للوجوب.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أي: عن أمر شيخهم ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ من موجبات الفترة بكثرة المال أو قبول الخلق أو التزويج بلا وقته أو السفر بلا أمر الشيخ أو مخالفة الأحداث والنسوان والافتتان بهم أو صحبة الأغنياء أو التردد على أبواب الملوك أو طلب المناصب أو كثرة العيال فإن الاشتغال بما سوى الله فتنة. ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ بالانقطاع عن الله انتهى.

وفي «حقائق البقلي»: الفتنة ههنا والله أعلم فتنة صحبة الأضداد والمخالفين والمنكرين وذلك أن من صاحبهم يسوء ظنه بأوليائه الله لأنهم أعداء الله وأعداء أوليائه يقعون كل وقت في الحق ويقبحون أحوالهم عند العامة لصرف وجوه الناس إليهم وهذه الفتنة أعظم الفتن. قال أبو سعيد الحراز رحمه الله الفتنة هي إسباغ النعم مع الاستدراج من حيث لا يعلم العبد.

وقال رويم: الفتنة للعوام والبلاء للخواص.

وقال أبو بكر بن طاهر: الفتنة مأخوذ بها والبلاء معفو عنه ومثاب عليه.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦﴾﴾.

﴿ألا﴾ [بدانيدو آكاه باشيد] ﴿إن لله ما في السموات والأرض﴾ من الموجودات بأسرها خلقاً وملكاً وتصريفاً إيجاداً وإعداماً بدأ وإعادة ﴿قد﴾ كما قبله. ﴿يعلم ما أنتم عليه﴾ أيها المكلفون من الأحوال والأوضاع التي من جملتها الموافقة والمخالفة والإخلاص والنفاق. ﴿ويوم يرجعون إليه﴾ عطف على ما أنتم عليه ويوم مفعول به لا ظرف أي يعلم تحقيقاً يوم يرد المنافقون المخالفون للأمر إليه تعالى للجزاء والعقاب فيرجعون من الرجوع المتعدي لا من الرجوع اللازم والعلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على أبلغ وجه ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ من الأعمال السيئة أي يظهر لهم على رؤوس الأشهاد ويعلمهم أي شيء شنيع عملوا

في الدنيا ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وعبر عن اظهاره بالتنبيه لما بينهما من الملازمة في أنهما سببان للعلم تنبيهاً على أنهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبهوا غافلين عن سوء عاقبته لغلبة أحكام الكثرة الخلقية الإمكانية وآثار الأمزجة الطبيعية الحيوانية في نشأتهم. ﴿والله بكل شيء عليم﴾ لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وإن كان المنافقون يجتهدون في ستر أعمالهم عن العيون وأخفائها.

آنكس كه بيا فريد پیدا ونهان چون نشناسد نهان وپیدا بجهان وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ألا إن الله ما في السموات والأرض﴾ من نعيم الدنيا والآخرة فمن تعلق بشيء منه يبعده الله عن الحضرة ويؤاخذ به بقدر تعلقه بغيره. ﴿ويوم يرجعون إليه﴾ بسلاسل المتعلقات ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ عند مطالبتهم بمكافأة الخير خيراً ومجازاة الشر شراً ﴿والله بكل شيء عليم﴾ أي بكل شيء من مكافأة الخير ومجازاة الشر عليم بالنقيير والقطمير مما عملوا من الصغير والكبير انتهى.

واعلم أن التعلق بكل من نعيم الدنيا ونعيم الآخرة حرام على أهل الله تعالى نعم إن أهل الله يحبون الآخرة بمعنى أن الآخرة في الحقيقة هو الآخر بالكسر وهو الله تعالى.

قال بعض أهل الحقيقة: ما ألهاك عن مولاك فهو دنياك. فعلى العاقل أن يقطع حبل العلاقات ويتصل بسر تجرد الذات والصفات ويتفكر في أمره ويحاسب نفسه قبل أن يجيء يوم الجزاء والمكافآت فإن عقب هذه الحياة ممات وهذا البقاء ليس على الدوام والثبات وفي الحديث: «ما قال الناس لقوم طوبى لكم إلا وقد خبا لهم الدهر يوم سوء» قال الشاعر:

إن الليالي لم تحسن إلى أحد ألا اساءت إليه بعد إحسان
وقال آخر:

أحسننت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف شر ما يأتي به القدر
وقال آخر:

لا صحة المرء في الدنيا تؤخره ولا يقدم يوماً موته الوجع ﴿والله بكل شيء عليم﴾ من يوم الموت والرجوع اختياراً واضطراً و غير ذلك من الأمور سراً وجهراً فطوبى لمن شاهد ولاحظ هذا الأمر وختم بالخوف والمراقبة الوقت والعمر.

تمت سورة النور يوم السبت الثالث من شهر الله رجب من سنة ثمان ومائة وألف.

مكية آيها سبع وسبعون في قول الجمهور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾.

﴿تبارك الذي نزل الفرقان﴾ أي تكاثر خير الذي الخ فالمضاف محذوف من البركة وهي كثرة الخير وترتيبه على تنزيل الفرقان لما فيه من كثرة الخير دينياً ودنيوياً أو معناه تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله فإن البركة تتضمن معنى الزيادة فترتيبه عليه لدلالته على تعاليه.

قال المولى الفناري في «تفسير الفاتحة»: يروى أن صاحب بن عباد كان يتردد في معنى الرقيم وتبارك والمتاع ويدور على قبائل العرب فسمع امرأة تسأل أين المتاع؟ ويجيب ابنها الصغير بقوله جاء الرقيم وأخذ المتاع وتبارك الجبل فاستفسر عنهم وعرف أن الرقيم الكلب وأن المتاع هو ما يبل بالماء فيمسح به القصاع وأن تبارك بمعنى صعد.

وقال بعضهم: البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء وسمي محبس الماء بركة لدوام الماء فيها وثبوته. فمعنى تبارك دام دواماً ثابتاً لا انتقال له ولهذا لا يقال له يتبارك مضارعاً لأنه للانتقال.

قال في «برهان القرآن»: هذه لفظة لا تستعمل إلا لله ولا تستعمل إلا بلفظ الماضي وخص هذا الموضع بالذكر لأن ما بعده أمر عظيم وهو القرآن المشتمل على معاني جميع كتب الله. والفرقان مصدر فرق بين الشيتين أي فصل وسمي به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل والمؤمن والكافر ﴿على عبده﴾ الأخلص ونبيه الأخص وحببيه الأعلى وصفيه الأولى محمد المصطفى ﷺ وفيه تشريف له بالعبدية المطلقة وتفضيل بها على جميع الأنبياء فإنه تعالى لم يسم أحداً منهم بالعبد مطلقاً كقوله تعالى: ﴿عَبْدُهُ زَكْرِيَّا﴾ [مريم: ٢] وتنبيه على أن الرسول لا يكون إلا عبداً للمرسل رداً على النصارى ولذا قدم في التشهد عبده على رسوله. ﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾ غاية للتزليل أي ليكون العبد منذراً بالقرآن للإنس والجن فمن عاصره أو جاء بعده ومخوفاً من عذاب الله وموجبات سخطه. فالنذير بمعنى المنذر والإنذار إخبار فيه تخويف كما أن التبشير إخبار فيه سرور.

قال الإمام الراغب: العالم اسم للفلك وما يحويه من الجواهر والأعراض وهو في الأصل اسم لما يعلم به كالتابع والخاتم لما يطبع ويختتم به وجعل بناؤه على هذه الصيغة لكونه كالآلة فالعالم آلة في الدلالة على صانعه وأما جمعه فلأن كل نوع قد يسمى عالماً فيقال:

عالم الإنسان وعالم الماء وعالم النار وأما جمعه السلامة فلكون الناس في جملتهم والإنسان إذا شارك غيره في اللفظ غلب حكمه انتهى.

قال ابن الشيخ: جمع بالواو والنون لأن المقصود استغراق أفراد العقلاء من جنس الجن والإنس فإن جنس الملائكة وإن كان من جملة أجناس العالم إلا أن النبي عليه السلام لم يكن رسولاً إلى الملائكة فلم يبق من العالمين المكلفين إلا الجن والإنس فهو رسول إليهما جميعاً انتهى أي فتكون الآية، وقوله عليه السلام: «أرسلت للخلق كافة» من العام المخصوص ولم يبعث نبي غيره عليه السلام إلا إلى قوم معينين وأما نوح عليه السلام فإنه وإن كان له عموم بعثة لكن رسالته ليست بعامة لمن بعده وأما سليمان عليه السلام فإنه كان مبعوثاً إلى الجن فإنه من التسخير العام لا يلزم عموم الدعوة.

والآية حجة لأبي حنيفة رضي الله عنه في قوله: ليس للجن ثواب إذا أطاعوه سوى النجاة من العذاب ولهم عقاب إذا عصوا حيث اكتفى بقوله: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ولم يذكر البشارة.

قال في «الإرشاد»: عدم التعرض للتبشير لانسحاق الكلام على أحوال الكفرة.
﴿الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكُوتِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رُفِعَ نَقِيرًا﴾

﴿الذي﴾ أي هو الذي ﴿له﴾ خاصة دون غيره استقلالاً أو اشتراكاً ﴿ملك السموات والأرض﴾ الملك هو التصرف بالأمر والنهي في الجمهور.

قال الكاشفي: [بادشاهي] أسما نهاراً وزمينها چه وي منفرد داست بآ فريد آنها پس اورا رسد تصرف دران] ثم قال رداً على اليهود والنصارى: ﴿ولم يتخذ ولداً﴾ ليرث ملكه لأنه حي لا يموت وهو عطف على ما قبله من الجملة الظرفية.

قال في «المفردات»: اتخذ بمعنى أخذ واتخذ افتعل منه والولد المولود ويقال للواحد والجمع والصغير والكبير والذكر والأنثى ثم قال رداً على قريش: ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ أي: في ملك السموات والأرض لينازعه أو ليعاونه في الإيجاد. وفي «المنثوي»:

واحد اندر ملك اورا يارنى بندگانش را جز اوسالارنى
نيست خلقتش رادكرس مالكي شركتش دعوت كند جزهالكي

﴿وخلق كل شيء﴾ أحدث كل موجود من الموجودات من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الأحكام والآثار. ﴿فقدره تقديراً﴾ أي: فهيأه لما أراد منه من الخصائص والأفعال اللاتقة به كهيئة الإنسان للإدراك والفهم والنظر والتدبر في أمور المعاش والمعاد واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الأعمال المختلفة وهكذا أحوال سائر الأنواع.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا شَوْراً﴾

﴿واتخذوا﴾ أي: المشركون لأنفسهم ﴿من دونه﴾ أي حال كونهم متجاوزين عبادة الذي خلق هذه الأشياء. ﴿آلهة﴾ من الأصنام ﴿لا يخلقون شيئاً﴾ أي: لا تقدر تلك الآلهة على خلق شيء من الأشياء أصلاً لا على ذهاب ولا على غيره وإنما ذكر الأصنام بلفظ العقلاء لأن الكفار

يجعلونهم بمنزلة العقلاء فخطبهم بلغتهم كما في «تفسير أبي الليث». ﴿وَهُمْ يَخْلُقُونَ﴾ كسائر المخلوقات ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: لا يستطيعون ﴿ضُرّاً﴾ أي دفع ضرر قدم لكونه أهم من النفع ﴿وَلَا نَفْعاً﴾ ولا جلب نفع فكيف يملكون شيئاً منهما لغيرهم فهم أعجز من الحيوان فإنه ربما يملك دفع الضرر وجلب النفع لنفسه في الجملة. ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نَشْوراً﴾ أي: لا يقدرون على إماتة الأحياء وإحيائهم أولاً وبعثهم ثانياً ومن كان كذلك فبمعزل عن الألوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها.

وفيه تنبيه على أن الإله يجب أن يكون قادراً على البعث والجزاء يعني أن الضار والنافع والمميت والمحيي والباعث هو الله تعالى فهو المعبود الحقيقي وما سواه فليس بمعبود بل عابد لله تعالى كما قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

وفي الآية إشارة إلى الأصنام المعنوية وهم المشايخ المدعون والدجاجلة المضلون فإنهم ليسوا بقادرين على إحياء القلوب وإماتة النفوس فالتابعون لهم في حكم عابدي الأصنام فليحذر العاقل من اتخاذ أهل الهوى متبوعاً فإن الموت الأكبر الذي هو الجهل إنما يزول بالحياة الأشرف الذي هو العلم فإن كان للعبد مدخل في إفادة الخلق العلم النافع ودعائهم إلى الله على بصيرة فهو الذي رقى غيره من الجهل إلى المعرفة وأنشأ نشأة أخرى وأحياء حياة طيبة بإذن الله تعالى وهي رتبة الأنبياء ومن يرثهم من العلماء العاملين وأما من سقط عن هذه الرتبة فليس الاستماع إلى كلامه إلا كاستماع بني إسرائيل إلى صوت العجل. قال المولى الجامي قدس سره.

بلاف نا خلفان زمانه غره مشو مروجو سامرى ازره ببانك كوساله
وقد قال تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] أي: كونوا في جملة الصادقين ومصاحبين لهم وبعضهم ولذا قالوا يلزم للمرء أن يختار من البقاء أحسنها ديناً حتى يتعاون بالإخوان الصادقين.

قيل لعيسى عليه السلام يا روح الله من نجالس؟ فقال: من يزيدكم في علمه منطقته ويزدركم الله رؤيته ويرغبكم في الآخرة عمله. قال الصائب قدس سره.

نورى ازپشانیء صاحب دلان دریوزه کن شمع خودرا می بری دل مرده زین محفل چرا
أي كه روى عالمي را جانب خود كرده رونمى آرى بروى صائب بيدل چرا
اللهم بحق الفرقان اجعلنا مع الصادقين من الإخوان.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً﴾
﴿وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾

﴿وقال الذين كفروا﴾ كنضر بن الحارث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد ومن تابعهم. ﴿إن هذا﴾ أي: ما هذا القرآن ﴿إلا إفك﴾ كذب مصروف عن وجهه لأن الإفك كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه ومنه قيل للرياح العادلة عن المهاب المؤتفكات ورجل مأفوك مصروف عن الحق إلى الباطل. ﴿افتراه﴾ اختلقه محمد من عند نفسه. والفرق بين الافتراء والكذب أن الافتراء هو افتعال الكذب من قول نفسه والكذب قد يكون على وجه التقليد للغير فيه كما في «الأسئلة المقحمة» ﴿وأعانه عليه﴾ أي: على اختلاقه ﴿قوم آخرون﴾

أي اليهود فإنهم يلقون إليه أخبار الأمم وهو يعبر عنها بعبارته ﴿فقد جاؤوا﴾ فعلوا بما قالوا فإن جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته. ﴿ظلماً﴾ عظيماً بجعل الكلام المعجز إفكاً مختلقاً مفتعلاً من اليهود يعني وضعوا الإفك في غير موضعه ﴿وزوراً﴾ أي كذباً كبيراً حيث نسبوا إليه عليه السلام ما هو بريء منه.

قال الإمام الراغب: قيل للكذب زور لكونه مائلاً عن جهته لأن الزور ميل في الزور أي وسط الصدر والأزور المائل الزور.

﴿وقالوا﴾ في حق القرآن هذا ﴿أساطير الأولين﴾ ما سطره المتقدمون من الخرافات والأباطيل مثل حديث رستم واسفنديار. وبالفارسية [أفسانه‌ای] أو ليانست كه در كتابها نوشته اند] وهو جمع اسطر جمع سطر أو أسطورة كأحدثة وأحاديث.

قال في «القاموس» السطر الصف من الشيء الكتاب والشجر وغيره والخط والكتابة والقطع بالسيف ومنه الساطر للقصاب وأسطره كتبه والأساطير الأحاديث التي لا نظام لها. ﴿اكتتبها﴾ أمر أن تكتب له لأنه عليه السلام لا يكتب وهو كاحتجم واقتصد إذا أمر بذلك.

قال في «المفردات» الاكتتاب متعارف في الاختلاق. ﴿فهى﴾ أي: الأساطير ﴿تملى عليه﴾ تلقى على محمد وتقرأ عليه بعد اكتتابها وانتساخها ليحفظها من أفواه من يملئها عليه لكونه أمياً لا يقدر على أن يتلقاها منه بالقراءة والإملاء في الأصل عبارة عن إلقاء الكلام على الغير ليكتبه ﴿بكرة وأصيل﴾ أول النهار وآخره أي دائماً أو خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون إلى مساكنهم.

وفي «ضرام السقط»: أول اليوم الفجر ثم الصباح ثم الغداة ثم البكرة ثم الضحى ثم الهجيرة ثم الظهر ثم الرواح ثم المساء ثم العصر ثم الأصيل ثم العشاء الأولى ثم العشاء الأخيرة عند مغيب الشفق.

﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْخُورًا ﴿٨﴾ .

﴿قل﴾ يا محمد رداً عليهم وتحقيقاً للحق ﴿أنزله الذي يعلم السر﴾ الغيب ﴿في السموات والأرض﴾ لأنه أعجزكم لفصاحته عن آخركم وتضمن إخباراً عن مغيبات مستقبلية أو أشياء مكنونة لا يعلمها إلا عالم الأسرار فكيف تجعلونه أساطير الأولين. ﴿إنه كان غفوراً رحيماً﴾ أي إنه تعالى أزلاً وأبداً مستمر على المغفرة والرحمة فلذلك لا يعجل على عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم أن يصب عليكم العذاب صباً.

وفيه إشارة إلى أن أهل الضلالة من الذين نسبوا القرآن إلى الإفك لو رجعوا عن قولهم وتابوا إلى الله يكون غفوراً لهم رحيماً بهم كما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢].

در توبه بازست وحق دستگیر

اعلم أن الله تعالى أنزل القرآن على وفق الحكمة الأزلية في رعاية مصالح الخلق ليهتدي به أهل السعادة إلى الحضرة وليضل به أهل الشقاوة وينسبوه إلى الإفك كما قال

تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسَّوُلُونَهُ هَذَا إِفْكٌ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ١١] والقرآن لا يدرك إلا بنور الإيمان والكفر ظلمة وبالظلمة لا يرى إلا الظلمة بظلمة الكفر رأى الكفار القرآن النوراني القديم كلاماً مخلوقاً ظلمانياً من جنس كلام الإنس فكذلك أهل البدعة لما رأوا القرآن بظلمة البدعة رأوا كلاماً مخلوقاً ظلمانياً بظلمة الحدوث وظلموا أنفسهم بوضع القرآن في غير موضعه من كلام الإنس وفي الحديث: «القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق فمن قال بكونه مخلوقاً فقد كفر بالذي أنزله» نسأل الله العصمة والحفظ من الإلحاد وسوء الاعتقاد.

ثم اعلم أن من الأمور اللازمة لتعليم الجهلاء ورد الملاحدة والمبتدعة فإنه كوضع الدواء على جراحة المجرّوح أو قتل الباغي المضر وردهم بالأجوبة القاطعة مما لا يخالف الشريعة والطريقة ألا ترى أن الله تعالى أمر حبيبه عليه السلام بالجواب للطاعنين في القرآن وقد أجاب السلف عمن أطال على القرآن وذهب على حدوثه ومخلوقيته وكتبوا رسائل وكذا علماء كل عصر جاهدوا المخالفين بما أمكن من المعارضة حتى ألقموهم الحجر وأفخموهم وخصلوا الناس من شبهاتهم وشكوكهم وفي الحديث: «من انتهر» أي: منع «بكلام غليظ صاحب بدعة سيئة مما هو عليه من سوء الاعتقاد والفحش من القول والعمل ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله تعالى يوم القيامة من الفزع الأكبر» أي: النفخة الأخيرة التي تفزع الخلائق عندها أو الانصراف إلى النار أو حين يطبق على النار أو يذبح الموت وأطلق الأمن في صورة الانتهاز والمراد الأمن في الدنيا مما يخاف خصوصاً من مكر من انتهره ويدل عليه ما بعده وهو الإيمان فإنه من مكاسب الدنيا نسأل الله الأمن والأمان وكمال الإيمان والقيام بأوامره والانتعاظ بمواعظه وزواجه.

﴿وقالوا﴾ أي المشركون من أشراف قريش كأبي جهل وعتبة وأمّية وعاص وأمثالهم وذلك حين اجتماعهم عند ظهر الكعبة ﴿ما﴾ استفهامية بمعنى إنكار الوقوع ونفيه مرفوعة على الابتداء خبرها قوله ﴿ل هذا الرسول﴾ وجدت اللام مفصولة عن الهاء في المصحف واتباعه سنة وفي هذا تصغير لشأنه عليه السلام وتسميته رسولاً بطريق الاستهزاء أي أي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه. ﴿يأكل الطعام﴾ كما نأكل والطعام ما يتناول من الغذاء. ﴿ويمشي في الأسواق﴾ لطلب المعاش كما نمشي جمع سوق وهو الموضع الذي يجلب إليه المتاع للبيع ويساق أنكرُوا أن يكون الرسول بصفة البشر يعني إن صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا.

قال بعضهم: ليس بملك ولا ملك وذلك لأن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون والملوك لا يتسوقون ولا يبتذلون فعجبوا أن يكون مثلهم في الحال ولا يمتاز من بينهم بعلو المحل والجلال لعدم بصيرتهم وقصور نظرهم على المحسوسات فإن تمييز الرسل عمن عداهم ليس بأمور جسمانية وإنما هو بأحوال نفسانية فالبشرية مركب الصورة والصورة مركب القلب والقلب مركب العقل والعقل مركب الروح والروح مركب المعرفة والمعرفة قوة قدسية صدرت عن كشف عين الحق.

قال الكاشفي: [ند استندك نبوت منا في بشرية ليست بلكه مقتضى آنت تاتناسب وتجانس كه سبب افاده واستفاده است بحصول يوندد].

جنس بايد تادر آميزد بهم

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الكفار صم بكم عمي فهم لا يعقلون لأنهم نظروا إلى الرسول بنظر الحواس الحيوانية وهم بمعزل من الحواس الروحانية والربانية فما رأوا منه إلا ما يرى من الحيوان وما رأوه بنظر يرى به النبوة والرسالة ليعرفوه أنه ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين فلماذا قال تعالى: ﴿وَتَرْنَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] وذلك لأنه لهم قلوب لا يفقهون بها النبوة والرسالة ولهم أعين لا يبصرون بها الرسول والنبي ولهم آذان لا يسمعون بها القرآن ليعلموا أنه معجزة الرسول فيؤمنوا به. ﴿لولا﴾ حرف تحضيض بمعنى: هلا وبالفارسية [چرا]. ﴿أنزل إليه ملك﴾ أي على هيئته وصورته المبينة لصورة البشر والجن ﴿فيكون﴾ نصب لأنه جواب لولا ﴿معه﴾ مع الرسول ﴿نذيراً﴾ معيناً له في الإنذار معلوماً صدقه بتصديقه.

﴿أو يلقي إليه كنز﴾ من السماء يستظهر به ويستغنى عن تحصيل المعاش. والكنز المال المكنوز أي المجموع المحفوظ. وبالفارسية [كنج] ﴿أو تكون له جنة يأكل منها﴾ أي إن لم يلق إليه كنز فلا أقل من أن يكون له بستان يتعيش بفائدة كما لأهل الغنى والقرى ﴿وقال الظالمون﴾ وهم القائلون الأولون لكن وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوا لكونه اضلالاً خارجاً عن حد الضلال أي قالوا للمؤمنين: ﴿إن تتبعون﴾ أي ما تتبعون ﴿إلا رجلاً مسحوراً﴾ قد سحر فغلب على عقله.

قال بعض أهل الحقائق: كانوا يرون قبح حالهم في مرآة النبوة وهم يحسبون أنه حال النبي عليه السلام. والسحر مشتق من السحر الذي هو اختلاط الضوء والظلمة من غير تخلص لأحد الجانبين والسحر له وجه إلى الحق ووجه إلى الباطل فإنه يخيل إلى المسحور أنه فعل ولم يفعل.

﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا﴾ ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾.

﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ أي: كيف قالوا في حقك تلك الأقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الأمثال واخترعوا لك تلك الأحوال الشاذة البعيدة من الوقوع وذلك من جهلهم بحالك وغفلتهم عن جمالك.

قال بعضهم: مثلك بالمسحور والفقير الذي لا يصلح أن يكون رسولاً والناقص عن القيام بالأمور إذ طلبوا أن يكون معك مثلك. ﴿فضلوا﴾ عن الحق ضلالاً مبيناً ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ إلى الهدى ومخرجاً من ضلالهم.

قال بعض الأكابر: وقد أبطلوا الاستعداد بالاعتراض والإنكار على النبوة فحرموا من الوصول إلى الله تعالى.

﴿تبارك الذي﴾ أي: تكاثر وتزايد خير الذي ﴿إن شاء جعل لك﴾ في الدنيا لأنه قد شاء أن يعطيه ذلك في الآخرة ﴿خيراً من ذلك﴾ مما قالوا من إلقاء الكنز وجعل الجنة ولكن آخره إلى الآخرة لأنه خير وأبقى وخص هذا الموضع بذكر تبارك لأن ما بعده من العظائم حيث ذكر النبي عليه السلام والله تعالى خاطبه بقوله: «لولاك يا محمد ما خلقت الكائنات» كذا في «برهان

القرآن». ﴿جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ بدل من خيراً ومحقق لخيريته مما قالوا لأن ذلك كان مطلقاً عن قيد التعدد وجريان الأنهار ﴿وَيَجْعَلُ لَكَ قَصُوراً﴾ بيوتاً مشيدة في الدنيا كقصور الجنة. وبالفارسية [كوشكهای عالی ومسکنهای رفیع].

قال الراغب: يقال قصرت كذا ضمنت بعضه إلى بعض ومنه سمي القصر انتهى والجملة عطف على محل الجزء الذي هو جعل، وفي الحديث: «أن ربي عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً قلت: لا يا رب ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليه وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك».

قال الكاشفي: [دراسباب نزول مذكور راست كه چون ما لداران قريش حضرت رسالت را بفقر وفاقه سرزنش كردند رضوان كه آراينده روضات جنانست با أين آيت نازل شد ودرجی از نور بیش حضرت نهاد وفر مودكه پروردگار تو میفر ما يدكه مفاتيح خزائن دنیا دراينجاست آنرا بدست تصرف توميد هيم بي آنكه از كرامت ونعمتي كه نامزد توكرده ايم در آخرت مقدار برپشه كم نكردد حضرت فرمود كه أي رضوان مرا بدینها حاجت نیست فقرا دوستر میدارم ومیخواهم كه بنده شكور وصبور باشم رضوان گفت «أصببت أصاب الله» يك نشانه علو همت آن حضرت همینست كه باوجود تنكدستي واحتیاج كوشه چشم التفات بر خزائن روی زمین نیفكند آنرا ملاحظه باید نموده درشب معراج مطلقاً نظر بما سوی الله نكشوده وبهیچ چیز از بدائع ملكوت وغرائب عرصه جبروت التفاوت نفرمود تا عبارات ازان این آمدكه ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا كُنَّ﴾ [النجم: ۱۷].

زرنك آمیزیء ریحان آن باغ نهاده چشم خودرا مهر ما زاغ
نظر چون برکوفت از نقش کونین قدم زد در حریم قباب قوسین
وعن عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع وشد الحجر على بطنه من السغب فقال: «يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقرها على غناها وحزن الدنيا على فرحها. يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد».

يقول الفقير عصمه الله القدير: كان عليه السلام من أهل الإكسير الأعظم والحجر المكرم فإن شأنه على من شأن سائر الأنبياء من كل وجه وقد أوتوا ذلك العلم الشريف وعمل به بعضهم كإدريس وموسى ونحوهما على ما في كتب الصناعة الحجرية لكنه عليه السلام لم يلتفت إليه ولم يعمل به ولو عمل به لجعل مثل الجبال ذهباً ولملك مثل ملك كسرى وقیصر لأنه ليس بمناف للحكمة بالكلية فإن بعض الأنبياء قد أوتوا في الدنيا مع النبوة ملكاً عظيماً.

وإنما اختار الفقر لنفسه لوجوه. أحدها أنه لو كان غنياً لقصده قوم طمعاً في الدنيا فاختر الله له الفقر حتى أن كل من قصده علم الخلائق أنه قصده طلباً للعقبى. والثاني ما قيل إن الله اختار الفقر له نظراً لقلوب الفقراء حتى يتسلى الفقير بفقره كما يتسلى الغني بماله. والثالث ما قيل إن فقره دليل على هوان الدنيا على الله تعالى كما قال عليه السلام: «لو كانت الدنيا وزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء» فالله تعالى قادر على أن يعطيه ذلك الذي عيروه بفقره وما هو خير من ذلك بكثير ولكنه يعطي عباده على حسب المصالح وعلى وفق

المشيئة ولا اعتراض لأحد عليه في شيء من أفعاله فيفتح على واحد أبواب المعارف والعلوم ويستد عليه أبواب الدنيا وفي حق الآخر بالعكس من ذلك في القصيدة البردية:

وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شمم
الشم جمع الأشم والشمم الارتفاع أي أراها ترفعاً أي ترفع لا يكتنه كنهه.
وأكدت زهده فيها ضرورته أن الضرورة لا تعدو على العصم
جمع عصمة يعني أن شدة حاجته لم تعد ولم تغلب على العصمة الأزلية بل أكدت
ضرورته زهده في الدنيا الدنية فما زاع بصر همته في الدنيا وما طغى عين نهمته في العقبى.
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم
يقال دعاه إليه أي طلبه إليه وحمله عليه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أوحى الله تعالى إلى عيسى أن صدق محمداً
واثمر أمتك من أدركه منهم أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولاه ما خلقت الجنة
والنار ولقد خلقت العرش فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن» فمن
كانت الدنيا رشحة من فيض نعمه فكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة فاقتنه كذا في «شرح القصيدة»
لابن الشيخ: وفي «المثنوي»:

كرك كرك مرده را هرگز كزد	راهزن هرگز كدايي را نزد
تا تواند كشتی از فجار رست	خضر كشتی را برای آن شكست
امن در فقرست اندر فقر رو	چون شكسته می رهدا شكسته شو
كشت پاره پاره از زخم كلند	آنكهی كوداشت از كان نقد چند
سايه فاكندست بروی رحم نیست	تيغ بهراوست كورا كردنیست

يعني فليلازم العبد التواضع والفقر.

﴿بل كذبوا بالساعة﴾ أي القيامة والحشر والنشر. والساعة جزء من أجزاء الزمان ويعبر
بها عن القيامة تشبيهاً بذلك لسرعة حسابه كما قال: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِيبِ﴾ [الأنعام: ٦٢] أو لما نبه
عليه قوله تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً﴾ [الأحقاف: ٣٥] كما في
«المفردات» وهو إضراب عن توبيخهم بحكاية جنائهم السابقة وانتقال منه إلى توبيخهم بحكاية
جنائهم الأخرى للتخلص إلى بيان مالهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب ﴿وأعدنا﴾ هيأنا
وأصله أعدنا ﴿لمن كذب بالساعة﴾ وضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التشنيع
﴿سعيراً﴾ ناراً عظيمة شديدة الاشتعال.

قال بعض أهل الحقائق سعيير الآخرة إنما سعرت من سعيير الدنيا وهي حرص العبد على
الدنيا وملاذها.

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَبَعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا﴾ (٢٢) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَنَا ضَيْقًا مُّقَرَّبِينَ دَعَوْا
هُنَالِكَ ثُبُورًا (٢٣) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (٢٤) قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ
جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (٢٥) هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ
كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا (٢٦)

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ صفة للسعيير أي إذا كانت تلك السعيير بمرأى منهم وقابلتهم بحيث صاروا

بإزائها كقولهم: داري تنظر دارك أي تقابلها فأطلق الملزوم وهو الرؤية وأريد اللازم وهو كون الشيء بحيث يرى والانتقال من الملزوم إلى اللازم مجاز. ﴿من مكان بعيد﴾ هو أقصى ما يمكن أن يرى منه قيل: من المشرق إلى المغرب وبهي خمسة عام.

وفيه إشارة بأن بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج عن حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة. ﴿سمعوا لها تغيظاً﴾ أي: صوت تغيظ على تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاط أي الغضبان إذا غلى صدره من الغيظ فعند ذلك يهمهم والهمهمة ترديد الصوت في الصدر.

قال ابن الشيخ: يقال: أما رأيت غضب الملك إذا رأى ما يدل عليه فكذا ههنا ليس المسموع التغيظ الذي هو أشد الغضب بل ما يدل عليه من الصوت.

وفي «المفردات»: التغيظ إظهار الغيظ وهو أشد الغضب وقد يكون ذلك مع صوت مسموع والغضب هو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه. ﴿وزفيراً﴾ وهو صوت يسمع من جوفه وأصله ترديد النفس حتى يتفتح الضلوع منه.

وقال عبيد بن عمير: إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا خر لوجهه ترعد فرائصهم حتى إن إبراهيم عليه السلام ليحشو على ركبتيه ويقول: يا رب لا أسألك إلا نفسي.

قال أهل السنة: البنية ليست شرطاً في الحياة فالنار على ما هي عليه يجوز أن يخلق الله فيها الحياة والعقل والرؤية والنطق.

يقول الفقير: وهو الحق كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَئِيَّ الْحَيَوانِ﴾ [العنكبوت: ٦٤] فلا احتياج إلى تأويل أمثال هذا المقام. ﴿وإذا ألقوا منها مكاناً﴾ أي في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالاً منه والضمير عائد إلى السعير. ﴿ضيقاً﴾ صفة لمكاناً مفيدة لزيادة شدة حال الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة وهو السر في وصف الجنة بأن عرضها السموات والأرض.

واعلم أنه تضيق ههنا عليهم كما تضيق حديدة الرمح على الرمح أو تكون لهم كحال التودد في الحائط فيضم العذاب وهو الضيق الشديد إلى العذاب وذلك لتضيق قلوبهم في الدنيا حتى لم تسع فيها الإيمان. ﴿مقرنين﴾ أي حال كونهم قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم مشدودة إليها بسلسلة أو يقرون مع شياطينهم سلسلة في سلسلة: يعني [هريك را بقرين أو ازجن بسبب آتشين بهم بازبسته] يقال: قرنت البعير جمعت بينهما وقرنته بالتشديد على التكثير. ﴿دعوا﴾ [بخوانند برخود] «هناك» أي في ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة. ﴿ثبوراً﴾ هو الويل والهلاك [واين كلمه كسي كويده آرزومند هلاك باشد] أي يتمنون هلاكاً وينادون فيقولون: يا ثبوراً يا ويله يا هلاكه تعال فهذا أوانك وفي الحديث: «أول من يكسى يوم القيامة إبليس حلة من النار بعضها على حاجبيه فيسحبها من خلفه وذريته خلفه وهو يقول واثبورا وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادي ياثبورا وينادون يا ثبورهم» فيقول الله تعالى أو فيقال لهم على ألسنة الملائكة تنبيهاً على خلود عذابهم.

﴿لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً﴾ أي لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد ﴿وادعوا ثبوراً كثيراً﴾ أي بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا يحسب كثرة في نفسه فإن ما يدعون ثبوراً واحداً

في حد ذاته وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحداً وادعوا أدعية كثيرة فإن ما أنتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء في كل آن.

﴿قل أذلك﴾ العذاب ﴿خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون﴾ أي: وعدا المتقون أي المتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية أو الثالثة منها فقط فالمؤمن متق وإن كان عاصياً وجنة الخلد هي الدار التي لا ينقطع نعيمها ولا ينقل عنها أهلها فإن الخلود هو تبري الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي هو عليها وإضافة الجنة إلى الخلد للمدح وإلا فالجنة اسم للدار المخلدة ويجوز أن تكون الجنة اسماً لا يدل على البستان الجامع لوجوه البهجة ولا يدخل الخلود في مفهومها فاضيفت إليه للدلالة على خلودها.

فإن قيل: كيق يتصور الشك في أنه أيهما خير حتى يحسن الاستفهام والترديد وهل يجوز للعاقل أن يقول: السكر أحلى أم الصبر وهو دواء مَرَّ يقال ذلك في معرض التقرير والتهكم والتحسير على ما فات.

وفي «الوسيط» هذا التنبيه على تفاوت ما بين المنزلتين لا على أن في السعير خيراً. وقال بعضهم: هذا على المجاز وإن لم يكن في النار خير والعرب تقول العافية خير من البلاء وإنما خاطبهم بما يتعارفون في كلامهم. ﴿كانت﴾ تلك الجنة ﴿لهم﴾ في علم الله تعالى ﴿جزاء﴾ على أعمالهم بمقتضى الكرم لا بالاستحقاق والجزاء الغنى والكفاية فالجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر. والجزية ما يؤخذ من أهل الذمة وتسميتها بذلك للاحتزاء بها في حقن دمهم. ﴿ومصيراً﴾ مرجعاً يرجعون إليه وينقلبون. والفرق بين المصير والمرجع أن المصير يجب أن يخالف الحالة الأولى ولا كذلك المرجع.

﴿لهم﴾ فيها ما يشاؤون أي ما يشاؤونه من أنواع النعيم واللذات مما يليق بمرتبتهم فإنهم بحسب نشأتهم لا يريدون درجات من فوقهم فلا يلزم تساوي مراتب أهل الجنان في كل شيء. ومن هذا يعلم فساد ما قيل في «شرح الأشباه» بجواز اللوطة في الجنة لجواز أن يريدها أهل الجنة ويشتهيها وذلك لأن اللوطة من الخبائث التي ما تعلقت الحكمة بتحليلها في عصر من الأعصار كالزنى فكيف يكون ما يخالف الحكمة مراداً ومشتهى في الجنة فالقول بجوازها ليس إلا من الخبائث. والحاصل أن عموم الآية إنما هو بالنسبة إلى المتعارف ولذا قال بعضهم: في الآية دليل على أن كل المرادات لا تحصل إلا في الجنة ولما لم تكن اللوطة مرادة في الدنيا للطيبين فكذا في الآخرة ﴿خالدين﴾ فيها حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ ﴿كان﴾ المذكور من الدخول والخلود وما يشاؤون. ﴿على ربك وعداً مسؤولاً﴾ أي موعوداً حقيقة بأن يسأل ويطلب وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده.

واعلم أن أهم الأمور الفوز بالجنة والنجاة من النار كما قال النبي عليه السلام للأعرابي الذي قال له: إني أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار: «إني لا أعرف دندنتك ولا دندنة معاذ» قوله: «دندن» معناه إني لا أعرف ما تقول أنت ومعاذ يعني من الأذكار والدعوات المطولة ولكنني اختصر على هذا المقدار فأسأل الله الجنة وأعوذ به من النار فقال له النبي عليه السلام حولها دندن أي حول الجنة والنار أو حول مسألتيهما والمسألة الأولى سؤال طلب والثانية سؤال استعاذة كما في «أبكار الأفكار» ومعنى الحديث أن المقصود بهذا الذكر الطويل الفوز بهذا الوافر الجزيل كما في «عقد الدرر والآلى».

قال في «رياض الصالحين»: العبد في حق دينه إما سالم وهو المقتصر على أداء الفرائض وترك المعاصي أو رابح وهو المتبرع بالقربات والنوافل أو خاسر وهو المقتصر في اللوازم فإن لم تقدر أن تكون رابحاً فاجتهد أن تكون سالماً وإياك أن تكون خاسراً وفي الحديث: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان في يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك» رواه البخاري وغيره.

قال بعض المشايخ: في هذا الحديث دليل على تفضيل الصوفية ويؤخذ ذلك من جعل هذا الأجر العظيم لمن هذا القول مائة مرة فكيف من يومه كله هكذا فإن طريقتهم مبنية على دوام الذكر والحضور وكان عليه السلام طويل الصمت كثير الذكر.

هرآن كو غافل از حق يكرز مانست دران دم كافرست اما نهانست

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا آلَهِمْ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿٨﴾.

﴿ويوم يحشرهم﴾ أي: واذكر يا محمد لقومك يوم يحشر الله الذين اتخذوا من دونه آلهة ويجمعهم. ﴿وما يعبدون من دون الله﴾ ما عام يعم العقلاء وغيرهم لكن المراد هنا بقرينة الجواب الآتي العقلاء من الملائكة وعيسى وعزير. ﴿فيقول﴾ أي الله تعالى للمعبودين ﴿أنتم أضللتم﴾ [كمراه كردید]. ﴿عبادي هؤلاء﴾ بأن دعوتهم إلى عبادتكم وأمرتموهم بها ﴿أم هم ضلوا السبيل﴾ عن السبيل بأنفسهم لإخلالهم بالنظر الصحيح وإعراضهم عن المرشد النصيح فحذف الجار وأوصل الفعل إلى المفعول كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤] والأصل إلى السبيل أو للسبيل.

يقول الفقير: والظاهر أنه محمول على نظيره الذي هو أخطؤوا الطريق وهو شائع.

فإن قلت: إنه تعالى كان عالماً في الأزل بحال المسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال.

قلت: فائدته تقرير العبدية وإلزامهم كما قيل لعيسى عليه السلام: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا مِنِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] لأنهم إذا سئلوا بذلك وأجابوا بما هو الحق الواقع تزداد حسرة العبيد وحيرتهم ويكتون بتكذيب المعبودين إياهم وتبريهم منهم ومن أمرهم بالشرك وعبادة غير الله.

﴿قالوا﴾ استئناف كأنه قيل: فماذا قالوا في الجواب؟ فقيل: قالوا: ﴿سبحانك﴾ هو تعجب مما قيل لهم أو تنزيه لله تعالى عن الأنداد ويجوز أن يحمل ما يعبدون على الأصنام وهي وإن كانت جمادات لا تقدر على شيء لكن الله تعالى يخلق فيها الحياة ويجعلها صالحة للخطاب والسؤال والجواب ﴿ما كان ينبغي لنا﴾ أي ما صح وما استقام لنا. ﴿أن نتخذ من دونك﴾ أي متجاوزين إياك ﴿من أولياء﴾ من مزينة لتأكيد النفي وأولياء مفعول نتخذ وهو من الذي يتعدى إلى مفعول واحد كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذُوا وَلِيًّا﴾ [الأنعام: ١٤] والمعنى معبودين نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له وهي العصمة أو عدم القدرة فأنى يتصور أن تحمل

غيرنا على أن يتخذ ولياً غيرك فضلاً عن أن يتخذنا ولياً.

قال ابن الشيخ: جعل قولهم: ما كان ينبغي الخ كناية عن استبعاد أن يدعوا أحداً إلى اتخاذ ولي دونه لأن نفس قولهم بصريحه لا يفيد المقصود وهو نفي ما نسب إليهم من إضلال العباد وحملهم على اتخاذ الأولياء من دون الله.

وفي «التأويلات النجمية»: نزهاه الله عن أن يكون له شريك ونزهاه أنفسهم عن أن يتخذوا ولياً غير الله ويرضوا بأن يعبدوا من دون الله من الإنسان فهذا قال تعالى فيهم: ﴿أُولَٰئِكَ هُم شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦] ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ التمتع [برخورداري دادن] أي ما أضللناهم ولكن جعلتهم وآباءهم بالعمر الطويل وأنواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا فيها ﴿حتى نسوا الذكر﴾ أي: غفلوا عن ذكرك وتركوا ما وعظوا به أو عن التذكر لآلائك والتدبر في آياتك فجعلوا أسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة إلى الغواية وهو نسبة الضلال إليهم من حيث أنه يكسبهم وإسناد له إلى ما فعل الله بهم فحملهم عليه كأنه قيل: إنا لا نضلهم ولم نحملهم على الضلال ولكن أضللت أنت بأن فعلت لهم ما يؤثرون به الضلال فخلقت فيهم ذلك وهو مذهب أهل السنة وفيه نظر التوحيد وإظهار أن الله هو السبب للأسباب.

درين چمن مکنم سرزنش بخود رویی چنانکه پرورشم میدهند میرویم ﴿وكانوا﴾ في قضائك الأزلي ﴿قوماً بوراً﴾ هالکین جمع باثر كما في «المفردات» أو مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع يقال: رجل باثر وقوم بور وهو الفاسد الذي لا خير فيه.

قال الراغب: البوار فرط الكساد ولما كان فرط الكساد يؤدي إلى الفساد كما قيل: كسد حتى فسد عبر بالبوار عن الهلاك.

﴿فَقَدْ كَذَّبَكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمُ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ ﴿١٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾.

﴿فقد كذبوكم﴾ أي: فيقول الله تعالى للعبد فقد كذبكم المعبودون أيها الكفرة. ﴿بما تقولون﴾ أي: في قولكم أنهم آلهة والباء بمعنى في ﴿فما تستطيعون صرفاً﴾ أي ما تملكون أيها المتخذون الشركاء. ﴿صرفاً﴾ دفعاً للعذاب عنكم بوجه من الوجوه لا بالذات ولا بالواسطة. ﴿ولا نصراً﴾ أي: أفراداً من أفراد النصر لا من جهة أنفسكم ولا من جهة غيركم مما عبدتم وقد كنتم زعمتم أنهم يدفعون عنكم العذاب وينصرونكم. ﴿ومن﴾ [وهرکه] ﴿يظلم منكم﴾ أيها المكلفون أي يشرك كما دل عليه قوله: ﴿نذقه﴾ [بجشانیم أورا در آخرت] ﴿عذاباً كبيراً﴾ هي النار والخلود فيها فإن ما ترتب عليه العذاب الكبير ليس إلا الظلم العظيم الذي هو الشرك وفيه وعيد أيضاً لفساق المؤمنين ثم أجاب عن قولهم: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق بقوله.

﴿وما أرسلنا قبلك﴾ أحداً ﴿من المرسلين إلا﴾ رسلاً ﴿إنهم﴾ كسرت الهمزة لوقوعها في صدر جملة وقعت صفة لموصوف محذوف أو إلا قيل: إنهم وإن تكسر بعد القول كما في

«الأسئلة المقحمة». ﴿لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمَشُوا فِي الْأَسْوَاقِ﴾ فلم يكن ذلك منافياً لرسالتهم فأنت لا تكون بدعاً منهم. ﴿وجعلنا بعضكم﴾ أيها الناس ﴿لبعض فتنة﴾ ابتلاء ومحنة الفقراء بالأغنياء والمرسلين بالمرسل إليهم ومناصبهم لهم العداوة وأذاهم لهم والسقماء بالأصحاء والأسافل بالأعالي والرعايا بالسلاطين والموالي بذوي الأنساب والعميان بالبصراء والضعفاء بالأقوياء.

قال الواسطي رحمه الله ما وجد موجود إلا لفتنة وما فقد مفقود إلا لفتنة ﴿أتصبرون﴾ غاية للجعل أي لنعلم أنكم تصبرون وحث على الصبر على ما افتتنوا به.
قال أبو الليث اللفظ لفظ الاستفهام والمراد الأمر يعني اصبروا كقوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَيَّ﴾ [المائدة: ٧٤] أي: توبوا.

وفي «التأويلات النجمية»: وجعلنا بعضكم يا معشر الأنبياء لبعض فتنة من الأمم بأن يقول بعضهم لبعض الأنبياء: اثتنا بمعجزة النبي الفلاني أتصبرون يا معشر الأنبياء على ما يقولون ويا معشر الأمم عما تقولون انتهى وفيه تسلية لرسول الله ﷺ على ما قالوه كأنه قيل: لا تتأذى بقولهم فإننا جعلنا بعض الناس سبباً لامتحان البعض والذهب إنما يظهر خلوصه بالنار ومن النار الابتلاء. ﴿وكان ربك بصيراً﴾ بمن يصبر وبمن يجزع.

قال الإمام الغزالي: البصير هو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى وأبصاره أيضاً منزّه عن أن يكون بحدقة وأجفان ومقدس أن يرجع إلى انطباع الصور والألوان في ذاته كما تنطبع في حدقة الإنسان فإن ذلك من التغير والتأثر المقضي للحدوث وإذا نزه عن ذلك كان البصير في حقه عبارة عن الوصف الذي به ينكشف كمال نعوت المبصرات وذلك أوضح وأجلى مما يفهم من إدراك البصر من ظواهر المرئيات وحظ العبد من حيث الحس من وصف البصر ظاهر ولكنه ضعيف قاصر إذ لا يمتد إلى ما بعد ولا يتغلغل إلى باطن ما قرب بل يتناول الظواهر ويقصر عن البواطن والسرائر.

وإنما حظّه الديني منه أمران أحدهما أن يعلم أنه خلق البصر لينظر إلى الآيات وعجائب الملكوت والسموات فلا يكون نظره إلا عبرة.

قيل لعيسى عليه السلام: هل أحد من الخلق مثلك؟ فقال: من كان نظره عبرة وصمته فكرة وكلامه ذكراً فهو مثلي. والثاني أن يعلم أنه بمراى من الله تعالى ومسمع فلا يستهين بنظره إليه وإطلاعه عليه ومن أخفى عن غير الله ما لا يخفيه عن الله فقد استهان بنظر الله والمراقبة إحدى ثمرات الإيمان بهذه الصفة فمن قارب معصية فهو يعلم أن الله يراه فما أجسره فأخسره ومن ظن أنه لا يراه فما أكفره انتهى كلام الغزالي رحمه الله في «شرح الأسماء الحسنى».

ثم إن العبد لا بد له من السكون إلى قضاء الله تعالى في حال فقره وغناه ومن الصبر على كل أمر يرد عليه من مولاة فإنه تعالى بصير بحاله مطلع عليه في كل فعالة وربما يشدد المحنة عليه بحكمته ويمنع مراده عنه مع كمال قدرته. قال حضرة الشيخ العطار قدس سره:

مكر ديوانه شوریده میخواست	برهنه بد زحق کرباس میخواست
که الهی پیرهن در تن ندارم	وکر تو صبر داری من ندارم
خطابی آمد آن بی خویشتن را	که کرباست دهم أما کفن را
زبان بکشاد آن مجنون مضطر	که من دانم ترا أي بسده پرور

که تا اول نمیرد مرد عاجز توندهی هیچ کرباسیش هرگز
بباید مرد اول مفلس و عور که تا کرباس باید از تو درکور
وفي الحكاية إشارة إلى الفناء عن المراتد وأن النفس ما دامت مغضوبة باقية بعض
أوصافها الذميمة وأخلاقها القبيحة فإن فيض رحمة الله وإن كان يجري عليها لكن لا كما يجري
عليها إذا كانت مرحومة مطهرة عن الرذائل هذا حال أهل السلوك وأما من كان من أهل النفس
الأماراة وقد جرى عليه مراده بالكلية فهو في يد الاستدراج والله تعالى حكمة عظيمة في إغناؤه
وتنعيمه وإغراقه في بحر نعيمه فمثل هذا هو الفتنة الكبيرة لطلاب الحق الباعثة لهم على الصبر
المطلق والله المعين وعليه التكلان.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ
وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ۝١١ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ جِئْنَا بِجُورٍ ۝١٢
وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ۝١٣﴾

﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ أصل الرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة واللقاء يقال
في الإدراك بالحس بالبصر وبالبصيرة وملاقاة الله عبارة عن القيامة وعن المصير إليه أي الرجوع
إلى حيث لا حاكم ولا مالك سواه. والمعنى وقال الذين لا يتوقعون الرجوع إلينا أي ينكرون
البعث والحشر والحساب والجزاء وهم كفار أهل مكة.

وفي «تاج المصادر»: الرجاء [امید داشتن و ترسیدن] انتهى فالمعنى على الثاني بالفارسية
[نمی ترسند از دیدن عذاب ما]. ﴿لولا﴾ حرف تحضيض بمعنى هلا ومعناها بالفارسية [چرا]
﴿أنزل علينا الملائكة﴾ [فروفر ستاده نمی شو دبر ما فرشتگان] أي بطريق الرسالة لكون البشرية
منافية للرسالة بزعمهم. ﴿أو نرى ربنا﴾ جهرة و عياناً فيأمرنا بتصديق محمد واتباعه لأن هذا
الطريق أحسن وأقوى في الإفضاء إلى الإيمان وتصديقه ولما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أراد
تصديقه.

ومن لطائف الشيخ نجم الدين في تأويله أنه قال: يشير إلى أن الذين لا يؤمنون بالآخرة
والحشر من الكفرة يتمنون رؤية ربهم بقولهم: ﴿أو نرى ربنا﴾ فالمؤمنون الذين يدعون أنهم
يؤمنون بالآخرة والحشر كيف ينكرون رؤية ربهم وقد ورد بها النصوص فلمنكري الحشر عليهم
فضيلة بأنهم طلبوا رؤية ربهم وجوزوها كما جوزوا إنزال الملائكة ولمنكري الرؤية ممن يدعي
الإيمان شركة مع منكري الحشر في جحد ما ورد به الخبر والنقل لأن النقل كما ورد بكون
الحشر ورد بكون الرؤية لأهل الإيمان. ﴿لقد استكبروا﴾ اللام جواب قسم محذوف أي والله
استكبروا. والاستكبار أن يشبع فيظهر من نفسه ما ليس له أي أظهروا الكبر باطلاً. ﴿في
أنفسهم﴾ أي في شأنها يعني وضعوا لأنفسهم قدراً ومنزلة حيث أرادوا لأنفسهم الرسل من
الملائكة ورؤية الرب تعالى.

وقال الكاشفي: [بخداي که بزرگي کردند در نفسهاي خود يعني تعاضم و رزیدن و جرات
نمودن درین تحکم] ﴿وعتو﴾ أي تجاوزا الحد في الظلم والطغيان والعتو الغلو والنبو عن
الطاعة. ﴿عتواً كبيراً﴾ بالغاً إلى أقصى غاياته من حيث عاينوا المعجزات القاهرة واعرضوا عنها
واقترحوا لأنفسهم الخبيثة معاينة الملائكة الطيبة ورؤية الله تعالى التي لم ينلها أحد في الدنيا من

أفراد الأمم وآحاد الأنبياء غير نبينا عليه السلام وهو إنما رآه تعالى بعد العبور عن حد الدنيا وهو الأفلاك السبعة التي هي من عالم الكون والفساد.

وفي «الوسيط»: إنما وصفوا بالعتو عند طلب الرؤية لأنهم لبوها في الدنيا عناداً للحق وإباء على الله ورسوله في طاعتها فغلوا في القول والكفر غلواً شديداً.

وفي «الأسئلة المقحمة»: فإذا كان رؤية الله جائزة فكيف وبخهم على سؤالهم لها؟ قلنا: التوبيخ بسبب أنهم طلبوا ما لم يكن لهم طلبه لأنهم بعد أن عاينوا الدليل قد طلبوا دليلاً آخر ومن طلب الدليل بعد الدليل فقد عتا عتواً ظاهراً ولأنهم كلفوا الإيمان بالغيب فطلبوا رؤية الله وذلك خروج عن موجب الأمر وعن مقتضاه فإن الإيمان عند المعايينة لا يكون إيماناً بالغيب فلهذا وصفهم بالعتو.

﴿يوم يرون الملائكة﴾ أي ملائكة العذاب فيكون المراد يوم القيامة ولم يقل يوم تنزل الملائكة إيداناً من أول الأمر بأن رؤيتهم ليست على طريق الإجابة إلى ما اقترحوه بل على وجه آخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى: ﴿لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾ لأنه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمون لا بنفس بشرى لأنه مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله وكذا لا يجوز أن يعمل ما بعد لا فيما قبلها وأصل الجرم قطع الثمرة من الشجر واستعير ذلك لكل اكتساب مكروه ووضع المجرمون موضع الضمير تسجيلاً عليهم بالإجرام مع ما هم عليه من الكفر ويومئذ تكرير للتأكيد بين الله تعالى أن الذي طلبوه سيوجد ولكن يلقون منه ما يكرهون حيث لا بشرى لهم بل إنذار وتخويف وتعذيب بخلاف المؤمنين فإن الملائكة تنزل عليهم ويبشرونهم ويقولون لا تخافوا ولا تحزنوا. ومعنى الآية بالفارسية [هيچ مرده نیست آنروز مر کافران اهل مکه را]. ﴿ويقولون﴾ أي: الكفرة المجرمون عند مشاهدة الملائكة وهو معطوف على ما ذكر من الفعل المنفي. ﴿حجراً محجوراً﴾ الحجر مصدر حجره إذا منعه والمحجور الممنوع وهو صفة حجراً إرادة للتأكيد كيوم أيوم وليل أليل كانوا يقولون هذه الكلمة عند لقاء عدو وهجوم مكروه. والمعنى أنهم يطلبون نزول الملائكة عليهم ويقترحونه وهم إذا رأوهم يوم الحشر يكرهون لقاءهم أشد كراهة ويقولون هذه الكلمة وهي ما كانوا يقولون عند نزول بأس استعاذة وطلباً من الله أن يمنع لقاءهم منعاً ويحجر المكروه عنهم حجراً فلا يلحقهم [درزاد آورده که چون کفار در شهر حرام کسی را دیدند که از وتر سیدندی می گفتند که] حجراً محجوراً يريدون أن يذكروه أنه في الشهر الحرام [تا از شراو ایمن میشدند اینجانیز خیال بستند که مکر بدین کلمه از شدت هول قیامت خلاص خواهند یافت] ويقال: إن قریشاً كانوا إذا استقبلهم أحد يقولون: حاجوراً حاجوراً حتى يعرف أنهم من الحرم فيكف عنهم فأخبر تعالى أنهم يقولون ذلك يوم القيامة فلا ينفعهم.

﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾ القدوم عبارة عن مجيء المسافرين بعد مدة والهباء الغبار الذي يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهو الغبار ومنثوراً صفته بمعنى مفرقاً مثل تعالى حالهم وحال أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف وفك أسير وإكرام یتیم ونحو ذلك من المحاسن التي لو عملوها مع الإيمان لنالوا ثوابها بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقصد إلى ما تحت أيديهم من الدار والعقار ونحوهما فمزقها وأبطلها بالكلية ولم يبق لها أثر أي قصدنا إليها

وأظهرنا بطلانها بالكلية لعدم شرط قبولها وهو الإيمان فليس هناك قدوم على شيء ولا نحوه وهذا هو تشبيه الهيئة وفي مثله تكون المفردات مستعملة في معانيها الأصلية وشبه أعمالهم المحببة بالغبار في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمشهور منه في الانتثار بحيث لا يمكن نظمه وفيه إشارة إلى أن أعمال أهل البدعة التي عملوها بالهوى ممزوجة بالرياء فلا يوجد لها أثر ولا يسمع منها خبر: قال الشيخ سعدى قدس سره:

شنيديم كه نابالغي روزه داشت	بصد محنت آورد روزي بچاشت
بكفتا پس آن روز سائق نبرد	بزرگ آمدش طاعت از طفل خرد
پدر دیده پوسید و مادر سرش	فشانند بادام وزر بر سرش
چو بروی کذر کرد يك نیمه روز	فتاداند رو آتش معده سوز
بدل کفت اگر لقمه چندی خورم	چه داند پدر عیب یا مادرم
چو روی پسر در پدر بود وقوم	نهان خورد و پیدا بسر برد صوم
که داند چودر بند حق نیستی	اگر بی وضو در نماز ایستی
پس این پیرازان طفل نادان ترست	که از بهر مردم بطاعت درست
کلید در دوز خست آن نماز	که در چشم مردم کزاری دراز
اگر جز بحق می رود جاده ات	در آتش نشانند سجاده ات

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾.

﴿أصحاب الجنة﴾ أي: المؤمنون ﴿يومئذ﴾ أي: يوم إذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم: حجراً محجوراً وجعل أعمالهم هباء منثوراً. ﴿خير مستقراً﴾ المستقر المكان الذي يستقر فيه في أكثر الأوقات للتجالس والتحدث. والمعنى خير مستقراً من هؤلاء المشركين المتنعمين في الدنيا. وبالفارسية: [بهترند از روی قرارگاه یعنی مساكن ایشان در آخرت به از منازل كافر انست كه در دنیا داشتند] ويجوز أن يكون التفضيل بالنسبة إلى ما للكفرة في الآخرة.

فإن قلت: كيف يكون أصحاب الجنة خير مستقراً من أهل النار ولا خير في النار ولا يقال العسل أحلى من الخل.

قلت: إنه من قبيل التقرير والتهكم كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ [الفرقان: ١٥] كما سبق ويجوز أن يكون التفضيل لإرادة الزيادة المطلقة أي هم في أقصى ما يكون من خير وعلى هذا القياس قوله تعالى: ﴿وأحسن مقيلاً﴾ أي من الكفرة في دار الدنيا. وبالفارسية: [و نيکو ترست اجهت مكان قيلولة] أو في الآخرة بطريق التهكم أو هم في أقصى ما يكون من حسن المقييل وهو موضع القيلولة والقيلولة الاستراحة نصف النهار في الحر يقال: قلت قيلولة نمت نصف النهار والمراد بالمقييل ههنا المكان الذي ينزل فيه للاستراحة بالأزواج والتمتع بمغازلتهم أي محادثتهم ومرادتهم وإلا فليس في الجنة حر ولا نوم بل استراحة مطلقة من غير غفلة ولا ذهاب حس من الحواس وكذا ليس في النار مكان استراحة ونوم للكفار بل عذاب دائم وألم باق.

وإنما سمي بالمقييل لما روي أن أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قدر النهار من أوله

إلى وقت القائلة حتى يسكنون مساكنهم في الجنة وأهل النار في النار وأما المحبوسون من العصاة فطول عليهم المدة مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا والعياذ بالله تعالى .
ثم في أحسن رمز إلى أن مقيل أهل الجنة مزين بفنون الزين والزخارف كبيت العروس في الدنيا .

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿أصحاب الجنة﴾ يعني المؤمنين بالحشر والموقنين بالرؤية ﴿يومئذ خير مستقراً﴾ لأن مستقر عوامهم الجنة ودرجاتها ومستقر خواصهم حضرة الربوبية وقرباتها لقوله تعالى إلى ربك يومئذ المستقر ﴿وأحسن مقيلاً﴾ لأن النار مقيل منكري الحشر والجنة مقيل المؤمنين والحضرة مقيل الراجعين المجذوبين انتهى .

فعلى العاقل تحصيل المستقر الأخروي والمقيل العلوي .
وصار الشيخ الحجازي ليلة يردد قوله تعالى ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ويبكي فليل له : لقد أبكتك آية ما يبكي عند مثلها أي لأنها بيان لسعة عرض الجنة فقال : وما ينفعني عرضها إذا لم يكن لي فيها موضع قدم وفي الحديث «من سعادة المرء المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء» .

وسئل بعضهم عن الغني فقال : سعة البيوت ودوام القوت ثم إن سعادات الدنيا كلها مذكرة لسعادات الآخرة فالعاقل من لا تغرّه الدنيا الدنية . وفي «المثنوي» :

افتخار ازرنك وبوو ازمكان هست شادي وفريب كودكان
هر كجا باشدشه مارا بساط هست صحرا كربود سم الخياط
هر كجا يوسف رحى باشد چوماه جنت است آن چه كه باشد قعرجاه
فجنة العارف هي القلب المطهر ومعرفة الله فيه كما قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى في الدنيا جنة من دخلها لم يشق إلى الجنة قيل : وما هي قال : معرفة الله .

چوداد صورت خوب وصفت هم بيا تابدهدت اين معرفت هم
چو خوني مشك كردد ازدم پاك بود ممكن كه تن جانبي شود پاك
﴿وَيَوْمَ تَشْقَىٰ السَّمَاءُ بِأَلْغَمِمْ وَزُلَّ الْمَلَكُتُكَ تَنْزِيلًا﴾ (١٥) الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَبِيرُ وَالْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابًا ﴿١٦﴾

﴿ويوم تشقى السماء﴾ أي : واذكر يوم تفتح . وبالفارسية : [بشكافد] كما قال في «تاج المصادر» : التشقق : [شكافته شدن] وأصله تشقق فحذف إحدى التاءين كما في تلظى .
﴿بالغمام﴾ هو السحاب يسمى به لكونه ساتراً لضوء الشمس والغم ستر الشيء أي بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْفَكَاكِرِ وَالْمَلَكُوتِ﴾ [البقرة: ٢١٠] قيل : هو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن إلا لبني إسرائيل . يعني [ظلة بني إسرائيل بود درتیه] .

وقال أبو الليث : الغمام شيء مثل السحاب الأبيض فوق سبع سموات كما روي في الخبر : «دعوة المظلوم ترفع فوق الغمام» .

قال الإمام النسفي رحمه الله : الغمام فوق السموات السبع وهو سحاب أبيض غليظ كغلف السموات السبع ويمسكه الله اليوم بقدرته وثقله أثقل من ثقل السموات فإذا أراد الله أن

يشقق السموات ألقى ثقله عليها فانشقت فذلك قوله تعالى: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ أي: بثقل الغمام فيظهر الغمام ويخرج منها وفيه الملائكة كما قال تعالى: ﴿ونزل الملائكة تنزيلاً﴾ أي تنزيلاً عجيباً غير معهود قيل: تشقق سماء سماء وتنزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد - وروي - في الخبر أنه تشقق السماء الدنيا فتنزل الملائكة الدنيا بمثل من في الأرض من الجن والأنس فيقول لهم الخلق: أفيكم ربنا يعنون هل جاء أمر ربنا بالحساب فيقولون لا وسوف يأتي ثم ينزل ملائكة السماء الثانية بمثلي من في الأرض من الملائكة والإنس والجن ثم ينزل ملائكة كل سماء على هذا التضعيف حتى ينزل ملائكة سبع سموات فيظهر الغمام وهو كالسحاب الأبيض فوق سبع سموات ثم ينزل الأمر بالحساب فذلك قوله تعالى: ﴿ويوم تشقق﴾ الآية إلا أنه قد ثبت أن الأرض بالقياس إلى سماء الدنيا كحلقة في فلاة فكيف بالقياس إلى سماء الدنيا فملائكة هذه المواضع بأسرها كيف تسعها الأرض كذا في «حواشي ابن الشيخ».

يقول الفقير: يمد الله الأرض يوم القيامة مد الأديم فتسع مع أن السموات مقبية فكلما زالت واحدة منها ونزلت تتسع الأرض بقدرها فيكفي لملائكتها أطرافها وقد ثبت أن الملائكة أجسام لطيفة رقيقة فلا تتصور بينهم المزاحمة كمزاحمة الناس.

﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ الملك مبتدأ والحق صفة وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدأ. والمعنى أن السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلي العام صورة ومعنى بحيث لا زوال له أصلاً ثابت للرحمن يومئذ وفائدة التقييد أن ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يوم القيامة.

چو مدعیان زبان دعوی از ما لکیت در بستنه باشند
وأما ما عداه من أيام الدنيا فيكون غيره أيضاً له تصرف صوري في الجملة ﴿وكان﴾ ذلك اليوم. ﴿يوماً على الكافرين عسيراً﴾ أي عسيراً عليهم شديداً لهم. وبالفارسية: [دشوار از شدت أهوال] وهو نقیض اليسير وأما على المؤمنين فيكون يسيراً بفضل الله تعالى وقد جاء في الحديث: «إنه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا» والحاصل أن الكافرين يرون ذلك اليوم عسيراً عظيماً من دخول النار وحسرة فوات الجنان بعدما كانوا في اليسير من نعيم الدنيا وأهل الإيمان والطلب والجد والاجتهاد يرون فيه اليسر من نعيم الجنان ولقاء الرحمن بعد أن كانوا في الدنيا راضين بالعسر تاركين لليسر موقنين أن مع العسر يسراً.

وخرج على سهل الصعلوكي من سجن حمام يهودي في طمر أسود من دخانه فقال: أستم ترون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فقال سهل على البدهة: إذا صرت إلى عذاب الله كانت هذه جنتك وإذا صرت إلى نعيم الله كانت هذه سجني فتعجبوا من كلامه.
وقيل للشبلي رحمه الله: في الدنيا أشغال وفي الآخرة أهوال فمتى النجاة؟ قال: دع أشغالها تأمن من أهوالها فلله در قوم فرغوا عن طلب الدنيا وشهواتها ولم يغتروا بها ولم يلتفتوا إليها لأنه قيل:

این جهان جیفه است و مردار ورخیص برچنین مردار چوان باشم حریص
وقيل: [نوشته اند بر ایوان جنة المأوى كه هر كه عشوة دنیا خرید وای بوی].

بل وقلعوا من قلوبهم أصل حب ما سوى الله تعالى ونصبوا نفوسهم لمقاساة شدائد الجهاد إلى أن يصلوا إلى اليسر الذي هو المراد.

وفي الآية إشارة إلى أن أهل الإنكار يلقون يوم القيامة عسراً لأنهم وقعوا في أعراض الأولياء في الدنيا تنفيراً للناس عنهم وصرفاً لوجوه العامة إليهم إرادة اليسر من المال والمعاش والإعانة ونحو ذلك فيجدون في ذلك اليوم كل ملك لله فلا يملكون لأنفسهم صرفاً ولا نصراً فلا بد من الإقرار وتجديد الإيمان كما ورد «جددوا أيمانكم بقول لا إله إلا الله». فإن قلت: يفهم منه أن الإيمان يخلق.

قلت: معنى خلاقة الإيمان أن لا يبقى للمؤمن شوق وانجذاب إلى المؤمن به فتكرار الكلمة الطيبة يورث تجديد الميل والانجذاب والمحبة الإلهية فعلى الطالب الصادق أن يكررها في جميع الأحوال حتى لا ينقطع عن الله الملك المتعال.

جدايي مبادا مرا از خدا ذكر هرچه پيش آيدم شايدم
نسأل الله الوقوف عند الأمر إلى حلول الأجل وانتهاء العمر.

﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ بَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا﴾ (٢٧) يَوَلَّيْتَنِي لَيْتَنِي لَوْ أَخَذْتُ
فَلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ
حَذُولًا ﴿٢٩﴾.

﴿ويوم يعص الظالم على يديه﴾ يوم منصوب بذكر المقدر. والعض بالأسنان. وبالفارسية: [كزیدن بدندان] وعض اليدين عبارة عن الندم لما جرى به عادة الناس أن يفعلوه عند ذلك وكذا عض الأنامل وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كناية عن الغيظ والحسرة لأنها من روافدها.

قال في «الكواشي»: ويجوز أن تكون على زائدة فيكون المراد بالعض حقيقة العض والأكل كما روي أنه يأكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم تنبتان ثم يأكلهما هكذا كلما نبتتا أكلهما تحسراً وندامة على التفريط والتقصير. والمعنى على الأول بالفارسية: [وياد كن روزي راکه ازفرط حسرت مي خايد ظالم بردستهاي خود يعني بدندان مي کزد دسترا چنانچه متحيران ميکنند] والمراد بالظالم الجنس فيدخل فيه عقبة بن أبي معيط وذلك أن عقبة كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً وكان يدعو إلى الطعام من أهل مكة من أراد وكان يكثر مجالسة النبي ﷺ ويعجبه حديثه فقدم ذات يوم من سفره وصنع طعاماً ودعا رسول الله ﷺ إلى طعامه.

قال الكاشفي: [وبسبب جوار سيد الأبرار را طلبیده بود] فأتاه رسول الله ﷺ فلما قدم الطعام إليه أبى أن يأكل فقال: «ما أنا بالذي أكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني سول الله» وكان عندهم من العار أن يخرج من عندهم أحد قبل أن يأكل شيئاً فألح عليه بأن يأكل فلم يأكل فشهد بذلك عقبة فأكل رسول الله ﷺ من طعامه وكان أبي بن خلف الجمحي غائباً وكان خليل عقبة وصديقه فلما قدم أخبر بما جرى بين عقبة وبين رسول الله ﷺ فأتاه فقال: صبوت يا عقبة أي ملت عن دين آبائك إلى دين حدث فقال: لا والله ما صبوت ولكن دخل علي رجل فأبى أن يأكل من طعامي إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي قبل أن يطعم فشهدت فقال: ما أنا بالذي أرضى منك أبداً حتى تأتية فتبزق في وجهه وتشتمه وتكذبه نعوذ

بالله تعالى فاتاه فوجده ساجداً في دار الندوة ففعل ذلك: يعني [آب دهن حواله روى دلاراي رسول الله كرد] والعياذ بالله تعالى: [در ترجمة أسباب نزول آورده كه آب دهن أو شعله آتش جانسوز كشت وبران حضرت نرسيد وبرزوى باز كشت وهر دو كرانه روى وي بسوخت تازنده بود آن داغها مي نمود]: وفي «المثنوي»:

هر كنه بر شمع خدا آرد پفو شمع كي ميرد بسوزد پوز او
 كي شود ذر يا زپو سنك نجس كي شود خور شيداز پف منطمس
 فقال رسول الله ﷺ لعقبة: «لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف» فأسر يوم بدر فأمر عليه السلام علياً رضي الله عنه أو عاصم بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه فقتله وطمعن عليه السلام بيده الطاهرة الكاسرة ألباً اللعين يوم أحد في المباراة فرجع إلى مكة فمات في الطريق بسرف بفتح السين المهملة وكسر الراء وهو مناسب لوصفه لأنه مسرف وفي الحديث: «شر الناس رجل قتل نبياً أو قتل نبي» أما الأول فلأن الأنبياء لهم العلو التام فلا يقابلهم إلا من هو في إنزال الدرجات ولذا يعادي السافل العالي وإذا كملت المضادة وقع القتل لأن الضد يطلب إزالة ضده. وأما الثاني: فلأن الأنبياء مجبولون على الشفقة على الخلق فلا يقدمون على قتل أحد إلا بعد اليأس من فلاحه والتيقن بأن خيانتته سبب لمزيد شقائه وتعدي ضرره فقتلهم من قتلوا من أحكام الرحمة. وفي «المثنوي».

چونكه دندان تو كرمش درفتاد نيست دندان بر كنش أي أوستاد
 تاكه باقي تن نكردد زار ازو كرجه بود آن تو شو بيزار ازو
 قال في «إنسان العيون»: ولم يقتل عليه السلام بيده الشريفة قط أحداً إلا أبي بن خلف لا قبل ولا بعد «يقول» الخ حال من فاعل يعرض. «يا» هؤلاء «ليتنى» [كاشكي من] فالمنادى محذوف ويجوز أن يكون يا لمجرد التنبيه من غير قصد إلى تعيين المنبه. «اتخذت» في الدنيا «مع الرسول» محمد ﷺ «سبيلاً» طريقاً إلى النجاة من هذه الورطات يعني اتبعته وكنت معه على الإسلام.

«يا ويلتا» أي [واي بر من] والويل والويلة الهلكة ويا ويلتا كلمة جزع وتحسر وأصله يا ويلتي بكسر التاء فأبدلت الكسرة فتحة وياء المتكلم ألفاً فراراً من اجتماع الكسر مع الياء أي يا هلكتي تعالي واحضري فهذا أوان حضورك والنداء وإن كان أصله لمن يتأتى منه الإقبال وهم العقلاء إلا أن العرب تتجاوز وتنادي ما لا يعقل إظهاراً للتحسر. «ليتنى لم أنخذ فلاناً خليلاً» الخليل الصديق من الخلطة وهي المودة لأنها تتخلل النفس أي تتوسطها والمراد من أضله في الدنيا كائناً من كان من شياطين الجن والإنس فيدخل فيه أبي المذكور.

قال في «القاموس»: فلان وفلانة مضمومتين كناية عن أسمائهما أي فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم إناثهم وبال أي باللام يعني الفلان والفلانة كناية عن غيرنا أي عن غير العاقل واختلف في أن لام فلان واو أو ياء. «لقد» والله لقد «أضلني» [كمراه كردم أو بازداشت]. «عن الذكر» أي: عن القرآن المذكور لكل مرغوب ومرهوب «بعد إذ جاءني» وتمكنت من العمل به وعمرت ما يتذكر فيه من تذكر. «وكان الشيطان» أي: إبليس الحامل على مخالفة المضلين ومخالفة الرسول وهجر القرآن. «للإنسان» المطيع له «خذولاً» كثير الخذلان ومبالغاً في حبه يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه وكذا حال من حمله

على صداقته. والخذلان ترك النصرة ممن يظن به أن ينصر وفي وصفه بالخذلان إشعار بأنه كان يعده في الدنيا ويمنيه بأنه ينفعه في الآخرة وهذا اعتراض مقرر لمضمون ما قبله إما من جهته تعالى وإما من تمام كلام الظالم.

وهذه الآية عامة في كل متحابين اجتماعاً على معصية الله تعالى والخلة الحقيقية هي أن لا تكون لطمع ولا لخوف بل في الدين ولذا ورد: «كونوا في الله إخواناً» أي: في طريق الرحمن لا في طريق الشيطان وفي الحديث: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» وفي الحديث: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي».

قال مالك بن دينار: إنك إن تنقل الحجارة مع الأبرار خير من أن تأكل الخبيص مع الفجار. قال بعضهم: المراد بالشيطان قرين السوء سماه شيطاناً لأنه الضال المضل فمن لم يكن فيه طلب الله فهو الشيطان كالأنعام بل هو أضل لأن الأنعام ليست بمضلة والشيطان ضال مضل وأنشد أبو بكر محمد بن عبد الله الحامدي رحمه الله.

اصحب خيار الناس حين لقيتهم خیر الصحابة من يكون عفيفا
والناس مثل دراهم ميزتها فوجدت فيهم فضة وزیوفا
وفي الحديث: «مثل الجليس الصالح مثل العطار إن لم ينلك من عطره يعبق بك من ريعه ومثل الجليس السوء مثل الكير إن لم يحرقك بناره يعبق بك ريعه» قدم ناس إلى مكة وقالوا: قدمنا إلى بلدكم فعرفنا خياركم من شراركم في يومين قيل: كيف؟ قالوا: ألحق خيارنا بخياركم وشرارنا بشاركم فالف كل شكله. وأخذ جماعة من اللصوص فقال أحدهم: أنا كنت مغنياً لهم وما كنت منهم فقيل له: غنّ فغنى بقول عدي:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
فقيل: صدقت وأمر بقتله. وفي «المثنوي»:

حق ذات پاک الله الصمد	که بود به مار بد از یار بد
مار بد جانی ستاند از سلیم	یار بد آرد سوی نار جحیم
ازقرین بی قول وکفت وکوی او	خو بدزد دل نهان ازخوی او
آی خنک آن مرده کز خود رسته شد	در وجود زنده پیوسته شد
وای آن زنده که بامرده نشست	مرده کشت وزندگی ازوی بجست
چون تو درقرآن حق بکریختی	باروان انبیا او یختی
هست قرآن حالهای انبیا	ماهیان بحر پاک کبریا
وربخوانی ونه قرآن پذیر	انبیا وأولیارا دیده کیر
ورپذیرایی چو برخوانی قصص	مرغ جانست تنک آید درقفص
مرغ کو اندر قفص زندانیست	می نجوید رستن از زندانیست
روحهایی کز قفصها رسته اند	انبیاو رهبر شایسته اند
از برون آواز شان آید زدیّن	که ره رستن ترا این است این
ما بدین رستیم زین تنکین قفص	جزکه این ره نیست چاره این قفص
نسأل الله الخلاص والالتحاق بأرباب الاختصاص والعمل بالقرآن في كل زمان وعلى كل حال.	

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾

﴿وقال الرسول﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [يونس: ۷] وما بينهما اعتراض أي قالوا: كيت وكيت وقال الرسول محمد ﷺ أثر ما شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث إلى ربه: ﴿يا رب﴾ [أي پرورد کارمن] ﴿إِنْ قَوْمِي﴾ قريشاً ﴿اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ أي متروكاً بالكلية ولم يؤمنوا به وصدوا عنه.

وفيه تلويح بأن حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن أي التحفظ والقراءة كل يوم وليلة كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم وفي الحديث: «من تعلم القرآن وعلق مصحفاً لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول: يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجوراً أقض بيني وبينه» ومن أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل آية من القرآن أو سورة ثم ينساها والنسيان لا يمكنه القراءة من المصحف كما في «القنية» وفي الحديث: «أن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد» قيل: وما جلاؤها قال «تلاوة القرآن وذكر الله».

دل پــــر در دردا دوا قــــرآن	جان مجروح را شفا قرآن
هرچه جویی زنص قرآن جوی	که بود کنج علمها قرآن
وفي «المثنوي»:	

شاهنامه یا کليلة پیش تو	همچنان باشد که قرآن از عتو
فرق آنکه باشد از حق ومجاز	که کند کحل عنایت چشم باز
ورنه پشک ومشک پیش اخشمی	هرد ویکسانست چون نبود شمی
خویشتن مشغول کردن ازملال	باشدش قصد کلام ذو الجلال
کاتش وسواس را وغصه را	زان سخن بنشانند وسازد دوا

﴿وكذلك﴾ أي كما جعلنا لك أعداء من مجرمي قومك كأبي جهل ونحوه ﴿جعلنا لكل نبي﴾ من الأنبياء المتقدمين ﴿عدواً﴾ أي أعداء فإنه يحتمل الواحد والجمع ﴿من المجرمين﴾ أي مجرمي قومهم كمنرود لإبراهيم وفرعون لموسى واليهود لعيسى فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا.

وفيه تسلية لرسول الله وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الأنبياء الذين هم أصحاب الشريعة والدعوة إليها ﴿وكفى بربك﴾ أي ربك والباء صلة للتأكيد ﴿هادياً﴾ تمييز أي من جهة هدايته لك إلى كافة مطالبك ومنها انتشار شريعتك وكثرة الآخذين بها ﴿ونصيراً﴾ ومن جهة نصرته لك على جميع أعدائك فلا تبال بمن يعاديك وسيبلغ حكمك إلى أقطار الأرض وأكناف الدنيا.

دلت الآية بالعبارة والإشارة على أن لكل نبي وولي عدواً يمتحنه الله به ويظهر شرف اصطفاؤه.

قال أبو بكر بن طاهر رحمه الله: رفعت درجات الأنبياء والأولياء بامتحانهم بالمخالفين والأعداء.

از براي حکمتی روح القدس از طشت زر دست موسی را بسوی طشت آزر می برد

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه تعالى يقيض لكل صديق صادق في الطلب عدواً معانداً من مطرودي الحضرة ليؤذيه وهو يصبر على أذاه في الله ويختبر به حلمه ويرضى بقضاء الله ويستسلم بالصبر على بلائه ويشكره على نعمة التوفيق للتسليم وتفويض الأمر إلى الله والتوكل عليه ليسير بهذه الأقدام إلى الله بل يطير بهذه الأجنحة في الله بالله كما هو سنة الله في تربية أنبيائه وأوليائه ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وفي الخبر: «لو أن مؤمناً ارتقى على ذروة جبل لقيض الله إليه منافقاً يؤذيه فيؤجر عليه» ثم لم يغادر الله المجرم المعاند العدو لوليه حتى أذاقه وبال ما استوجبه على معاداته كما قال في حديث رباني: «من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب» وقال: «وأنا أنتقم لأوليائي كما ينتقم الليث الجريء لجروه» [دانشمندي بود درفن منطق منفرد ودرسائر علوم رياضي متبحر مولانا ميرجمال كه دركسوت قلندري مي زيست وكپنك مي پوشيد ونماز نمى كذاريد ودر ارتكاب محرمات بغايت دلير وبى حيا بود ومنكر طريق مشايخ وطائفة اولياء ودائم الأوقات غيب و مذمت حضرات ايشان ميكرد وسخنان بي ادبانه ميكفت روزي باسه طالب علم كه ايشان نيز در مقام هزل و ظرافت و تعرض و سفاهت بودند بمجلس ملانا ناصر الدين اتراري در آمدند وپيش ازآنكه بسخن آغاز كند مقداري بنك از آستين كپنك بيرون آورد ودردهان نهاد وخواست كه فرو برد در كلوي وي محكم شد وراه نفس بروي بسته كشت آخر حضرت شيخ فرمودند تامشتي محكم بركلوي وي زدندو آن بنك ازكلوي وي درميان مجلس افتاد وهمه حاضران بروخنديدندواو باخجالت تام از مجلس بيرون آمد ورسوا شد فرار نمود وديكر كسي ازو نشان نداد]: وفي «المنثوي»:

چون خدا خواهد که پرده کس درد	ميلش اندر طعنة پاكان پرد
آنکه مي دريد جامه خلق چست	شد دريده آن او ايشان درست
آن دهان کز کزو تسخير بخواند	مر محمدا دهانش کز بماند
باز آمد کاي محمد عفو کن	أي ترا الطاف وعلم من لدن
من ترا افسوس ميکردم ز جهل	من بدم افسوس را منسوب أهل

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (۲۲)

﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن﴾ [وگفتند مشرکان عرب چرا فرو فرستاده نشده بر محمد قرآن] فلولا تحضيضية بمعنى هلا والتنزيل ههنا مجرد عن معنى التدریج بمعنى أنزل كخبر بمعنى أخبر لثلا يناقض قوله: ﴿جملة واحدة﴾ دفعة واحدة كالكتب الثلاثة أي التوراة والإنجيل والزبور حال من القرآن إذ هي في معنى مجتمعاً وهذا اعتراض حيرة وبهت لا طائل تحته لأن الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو مفراً وقد تحدوا بسورة واحدة فعجزوا عن ذلك حتى أخلدوا إلى بذل المهج والأموال دون الإتيان بها مع أن للتفريق فوائد منها ما أشار إليه بقوله: ﴿كذلك لنثبت به فؤادك﴾ محل الكاف النصب على أنها صفة لمصدر مؤكد معلل بما بعده وذلك إشارة إلى ما يفهم من كلامهم أي مثل ذلك التنزيل المفروق الذي قدحوا فيه نزلناه لا تنزيلاً مغايراً له لنقوي بذلك التنزيل المفروق فؤادك أي قلبك فإن فيه تيسيراً لحفظ النظم وفهم المعنى وضبط الأحكام والعمل بها ألا ترى أن التوراة أنزلت دفعة فشق العمل على بني

إسرائيل ولأنه كلما نزل عليه وحى جديد في كل أمر وحادثة ازداد هو قوة قلب وبصيرة وبالجملة إنزال القرآن منجماً فضيلة خص بها نبينا عليه السلام من بين سائر النبيين فإن المقصود من إنزاله أن يتخلق قلبه المنير بخلق القرآن ويتقوى بنوره ويتغذى بحقائقه وعلومه وهذه الفوائد إنما تكمل بإنزاله مفرقاً ألا يرى أن الماء لو نزل من السماء جملة واحدة لما كانت تربية الزروع به مثلها إذا نزل مفرقاً إلى أن يستوي الزرع. ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ عطف على ذلك المضممر. والترتيل التفريق ومجيء الكلمة بعد الأخرى بسكوت يسير دون قطع النفس وأصله في الأسنان وهو تفريجها.

والمعنى كذلك نزلناه وقرأناه عليك شيئاً بعد شيء على تودة وتمهل في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٣٣) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُوءُ مُّكَانًا وَأُصْلُ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ زَويًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلْنَهُمْ نَدِيمًا ﴿٣٦﴾.

﴿ولا يأتونك بمثل﴾ أي بسؤال عجيب وكلام غريب كأنه مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك وحق القرآن. والمعنى بالفارسية: [ونمی آرند مشركان عرب براي تو يا محمد مثلي يعني در بيان قدح نبوت وطعن كتاب توسخن نمی كويند] ﴿إلا جئناك﴾ في مقابلته: وبالفارسية [مكر آنكه ما مي آريم براي تو] فالباء في قوله: ﴿بالحق﴾ للتعدي أيضاً أي بالجواب الحق الثابت المبطل لما جاؤوا به القاطع لمادة القيل والقال. ﴿وأحسن تفسيراً﴾ عطف على الحق.

والتفسير تفعيل من الفسر وهو كشف ما غطي.

والمعنى: وبما هو أحسن بياناً وتفصيلاً لما هو الحق والصواب ومقتضى الحكمة بمعنى أنه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته لا أن ما يأتون به له حسن في الجملة وهذا أحسن منه لأن سؤالهم مثل في البطلان فكيف يصح له حسن اللهم إلا أن يكون بزعمهم يعني لما كان السؤال حسناً بزعمهم قيل: الجواب أحسن من السؤال والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية أي لا يأتونك بمثل في حال من الأحوال إلا حال إتياننا إياك الحق الذي لا محيد عنه.

وهذا بعبارة ناطق ببطلان جميع الأسئلة وبصحة جميع الأجوبة وبإشارته منبىء عن بطلان السؤال الأخير وصحة جوابه إذ لولا أن التنزيل على التدرج لما أمكن إبطال تلك الاقتراحات الشنيعة أو يقال: كل نبي إذا قال له قومه قولاً كان النبي هو الذي يرد عليهم وأما النبي عليه السلام إذا قالوا له شيئاً فآله يرد عليهم. ﴿الذين﴾ أي: هم الذين ﴿يحشرون على وجوههم إلى جهنم﴾ أي يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليه ويجرون إلى جهنم. يعني: [روى برزمين نهاده ميروند بسوي دوزخ] وفي الحديث: «يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب، وصنف على الأقدام، وصنف على الوجوه» ف قيل: يا نبي الله كيف يحشرون على وجوههم؟ فقال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم فهو قادر على أن يمشيهم على وجوههم» ﴿أولئك﴾ [آن كروه] ﴿شر مكاناً﴾ [برتر ازوري مان يعني مكان ايشان برترست از منازل مؤمنان كه در دنيا داشتند وايشان طعنه مي زد ندكه] ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾

وَأَحْسَنُ نَذِيرًا ﴿٧٣﴾ وقال تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا﴾ [مريم: ٧٥] أي: من الفريقين بأن يشاهدوا الأمر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون أنهم شر مكاناً لا خير مقاماً ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وأخطأ طريقاً من كل أحد. وبالفارسية [وكج تر وناصوا بترند از جهت راه چه ایشان مفضى بآتش دوزخست] والأظهر أن التفضيل للزيادة المطلقة.

والمعنى أكثر ضلالاً عن الطريق المستقيم وجعل مكانهم شراً ليكون أبلغ من شرارتهم وكذا وصف السبيل بالإضلال من باب الإسناد المجازي للمبالغة.

واعلم أنهم كانوا يضللون المؤمنين ولذا قال تعالى حكاية: ﴿وَلَا آؤُا إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هٰذِي آؤُا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبا: ٢٤] فإذا أفضى طريق المؤمنين إلى الجنة وطريقهم إلى النار يتبين للكل حال الفريقين. قال الصائب:

واقف نميشوند كه كم كرده اند راه تارهروان براهنمايي نمي رسند

والمميز يوم القيامة هو الله تعالى فإنه يقول: ﴿وَأَمْتَرُوا آلِيَوْمَ إِنَّمَا الْمُعْرِفُونَ﴾ [يس: ٥٩] ولما استكبر الكفار واستعلوا حتى لم يخروا لسجدة الله تعالى حشرهم الله تعالى على وجوههم ولما تواضع المؤمنون رفعهم الله على النجائب فمن هرب عن المخالفة وأقبل إلى الموافقة نجا ومن عكس هلك وأين يهرب العاصي والله تعالى مدركه.

قال أحمد بن أبي الجواري: كنت يوماً جالساً على غرفة فإذا جارية صغيرة تقرع الباب فقلت: من بالباب؟ فقالت: جارية تسترشد الطريق فقلت: طريق النجاة أم طريق الهرب فقالت: يا بطل اسكت فهل للهرب طريق وأينما يهرب العبد فهو في قبضة مولاه فعلى العاقل أن يهرب في الدنيا إلى خير مكان حتى يتخلص في الآخرة من شر مكان وخير مكان في الدنيا هو المساجد ومجالس العلوم النافعة فإن فيها النفحات الإلهية. قال المولى الجامي قدس سره:

مانداريم مشامني كه توانيم شنيد ورنه هردم رسداز كلشن وصلت نفحات

نسأل الله نفحات روضات التوحيد وروائح حدائق التفريد.

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ اللام جواب لقسم محذوف أي وبالله لقد آتينا موسى التوراة أي أنزلناه عليه بعد إغراق فرعون وقومه. وفي «الإرشاد»: والتعرض في مطلع القصة لإيتاء الكتاب مع أنه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الآيات للإيذان من أول الأمر ببلوغه عليه السلام غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التي هي إنجاء بني إسرائيل من ملك فرعون وإرشادهم إلى طريق الحق بما في التوراة من الأحكام ﴿وجعلنا معه﴾ الظرف متعلق بجعلنا. ﴿أخاه﴾ مفعول أول له ﴿هارون﴾ بدل من أخاه اسم أعجمي ولم يرد في شيء من كلام العرب. ﴿وزيراً﴾ مفعول ثان أي معيناً يوازره ويعاونه في الدعوة وإعلاء الكلمة فإن الموازنة المعاونة. وفي «القاموس»: الوزر بالكسر الثقل والحمل الثقيل والوزير حياً الملك الذي يحمل ثقله ويعينه برأيه وحاله الوزارة بالكسر ويفتح والجمع وزراء والحبأ محركة جليس الملك وخاصته.

وقال بعضهم: الوزير الذي يرجع إليه ويتحصن برأيه من الوزر بالتحريك وهو ما يلتجأ إليه ويعتصم به من الجبل ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ١١] أي: لا ملجأ يوم القيامة والوزر بالكسر الثقل تشبيهاً بوزر الجبل ويعبر بذلك عن الإثم كما يعبر عنه بالثقل لقوله: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾ [النحل: ٢٥] وقوله: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] والوزير بالفارسية [يار ومدد كار وکار ساز].

فإن قلت: كون هارون وزيراً كالمنافي لكونه شريكاً في النبوة لأنه إذا صار شريكاً له خرج عن كونه وزيراً.

قلت: لا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لأن المشاركين في الأمر متوازنان عليه.

﴿فقلنا﴾ لهما حينئذ ﴿اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ هم فرعون وقومه أي القبط والآيات هي المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يد موسى عليه السلام ولم يوصف القوم عند إرسالهما إليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الآيات عن إظهارها المتأخر عن الأمر به بل إنما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله ﷺ بياناً لعله استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير ويقال: بآياتنا التكوينية أي بالعلامات التي خلق الله في الدنيا ويقال بالرسول وبكتب الأنبياء الذين قبل موسى كما في قوله: ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل﴾ فالباء على كل تقدير متعلقة بكذبوا لا باذهبا وإن كان الذهاب إليهم بالآيات كما في قوله في الشعراء: ﴿فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا﴾ [الشعراء: ١٥] وأما التكذيب فتارة يتعلق بالآيات كما في قوله في الأعراف: ﴿فَقُلُّوا يٰٓهَآءَ الْأَعْرَافُ ۝١٠٣﴾ أي بالآيات وقوله في طه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا بِمُوسَى وَهَارُونَ كَمَا فِي قَوْلِهِ فِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ [المؤمنون: ٤٨] فدمرناهم تدميراً التدمير إدخال الهلاك على الشيء والدمار الاستئصال بالهلاك والدمور الدخول بالمكروه وتقدير الكلام فذهب إليهم فأرياهم آياتنا كلها فكذبوها تكذيباً مستمراً فأهلكناهم أثر ذلك التكذيب المستمر إهلاكاً عجيباً هائلاً لا يدرك كنهه: وبالفارسية: [پس هلاك کردیم ایشانرا هلاك کردنی باغرق دریاي قزقم] فاقصر على حاشيتي القصه أي أولها وآخرها اكتفاء بما هو المقصود منها وهو إلزام الحجة ببعثة الرسل والتدمير بالتكذيب والفاء للتعقيب باعتبار نهاية التكذيب أي باعتبار استمراره وإلا فالتدمير متأخر عن التكذيب بأزمنة متطاولة.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ سُلَالًا وَلِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾
وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا.

﴿وقوم نوح﴾ منصوب بمضمر يدل عليه فدمرناهم، أي ودمرنا قوم نوح. ﴿لما كذبوا الرسل﴾ أي نوحاً ومن قبله من الرسل كشيث وإدريس أو نوحاً وحده لأن تكذبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والإسلام ويقال: إن نوحاً كان يدعو قومه إلى الإيمان به وبالرسل الذين بعده فلما كذبوه فقد كذبوا جميع الرسل كما ثبت أن كل نبي أخذ العهد من قومه أن يؤمنوا بخاتم النبيين إن أدركوا زمانه. ﴿أغرقناهم﴾ بالطوفان. والإغراق [غرقه كردن] والغرق الرسوب في الماء أي السفول وهو استئناف مبین لكيفية تدميرهم ﴿وجعلناهم﴾ أي: إغراقهم وقصتهم. ﴿للناس آية﴾ عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها أو سمعها. وبالفارسية [نشانی وداستانی] وهو مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغوله. ﴿وأعدنا﴾ ﴿وأماهه کردیم﴾ أي في الآخرة ﴿للظالمين﴾ أي: لهم أي للمغرقين والإظهار في موقع الإضمار للتسجيل بظلمهم والإيذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب ﴿عذاباً أليماً﴾ سوى ما حل بهم من عذاب الدنيا ومعنى أليماً وجيعاً. وبالفارسية: [دردناك].

﴿وعاداً﴾ عطف على قوم نوح. يعني: [هلاك کردیم قوم عادرا بتكذيب هود] ﴿وثموداً﴾ [وكرهه ثمودرا بتكذيب صالح] ﴿وأصحاب الرس﴾ الرس البثر وكل ركية لم تطو بالحجارة

والآجر فهو رس كما قال في «الكشاف»: الرس البثر الغير المطوية أي المبنية انتهى .

وفي «القاموس»: كالصحيح المطوية بإسقاط غير .

وأصحاب الرس قوم يعبدون الأصنام بعث الله إليهم شعباً عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرس أي بثرهم الغير المبنية التي يشربون منها ويسقون مواشيهم إذ انهارت فحسف بهم وبديارهم ومواشيهم وأموالهم فهلكوا جميعاً .

وفي «القاموس»: الرس بثر كانت لبقية من ثمود كذبوا نبينهم ورسوه في بثر انتهى أي دسوه وأخفوه فيها فنسبوا إلى فعلهم بنبيهم فالرس مصدر ونبيهم هو حنظلة بن صفوان كان قبل موسى على ما ذكر ابن كثير وحين دسوه فيها غار ماؤها وعطشوا بعد ريهم وبست أشجارهم وانقطعت ثمارهم بعد أن كان ماؤها يرويهم ويكفي أرضهم جميعاً وتبدلوا بعد الأنس الوحشة وبعد الاجتماع الفرقة لأنهم كانوا ممن يعبد الأصنام وقد كان ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم ذي عنق طويل كان فيه من كل لون فكان ينقض على صبيانهم يخطفهم إذا أعوزه الصيد وكان إذا خطف أحداً منهم أغرب به إلى جهة الغرب فقبل له لطول عنقه ولذهابه إلى جهة المغرب: عنقاء مغرب [فروبرنده ونابديد كنده] فيوماً خطف ابنة مراهقة فشكوا ذلك إلى حنظلة النبي عليه السلام وشرطوا إن كفوا شره أن يؤمنوا به فدعا على تلك العنقاء فأرسل الله عليها صاعقة فأحرقتها ولم تعقب أو ذهب الله بها إلى بعض جزائر البحر المحيط تحت خط الاستواء وهي جزيرة لا يصل إليها الناس وفيها حيوان كثير كالفيل والكركدن والسباع وجوارح الطير .

قال الكاشفي: [يغمبر دعا فرمودكه خدایا این مرغ را بکیر و نسل بریده کردان دعای پیغمبر بفراجابت رسید و آن مرغ غائب شد و دیگر ازو خبری و اثری پیدا نشد و جزنام ازو نشان نماند و در چیزهاینا یافت بدو مثل زنند كما قيل :

منسوخ شدمروت ومعدوم شد وفا وزهر دو نام ماند چو عنقا وکیمیا
[وصاحب لمعات از بی نشانیء عشق برین وجه نشان میدهد].

عشقم که دردو کون مکانم بدیدنیست عنقای مغربم که نشانم بدیدنیست
فالعنقاء المغرب بالضم وعنقاء مغرب ومغربة ومغرب بالإضافة طائر معروف الاسم لا الجسم أو طائر عظیم یبعد فی طیرانه أو من الألفاظ الدالة على غير معنى كما في «القاموس» .
ثم كان جزاؤه منهم أن قتلوه وفعلوا به ما تقدم من الرس .

يقال: وجد حنظلة في بثر بعد دهر طويل يده على شجته فرفعت يده فسال دمه فتركت يده فعادت على الشجة .

وقيل: أصحاب الرس قوم نساؤهم مساحقات ذكر أن الدلهات ابنة إبليس أتتهن فشئت إلى النساء ذلك وعلمتهن فسلط الله عليهم صاعقة من أول الليل وخسفاً في آخره وصيحة مع الشمس فلم يبق منهم أحد وفي الخبر: «أن من أشراط الساعة أن تستكفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء وذلك السحق» وفي الحديث المرفوع: «سحاق النساء زنى بينهن» وقيل: قوم كذبوا نبياً آتاهم فحبسوه في بثر ضيقة القعر ووضعوا على رأس البثر صخرة عظيمة لا يقدر على حملها إلا جماعة من الناس وقد كان آمن به من الجميع عبد أسود وكان العبد يأتي الجبل فيحتطب ويحمل على ظهره ويبيع الحزمة ويشترى بثمرها طعاماً ثم يأتي البثر فيلقي إليه الطعام من خروق الصخرة وكان على ذلك سنين ثم أن الله تعالى أهلك القوم وأرسل ملكاً فرفع

الحجر وأخرج النبي من البئر وقيل: بل الأسود عالج الصخرة فقواه الله لرفعها وألقى حبلاً إليه واستخرجه من البئر.

فأوحى الله إلى ذلك النبي أنه رفيقه في الجنة وفي الحديث: «إن أول الناس دخولاً الجنة لعبد أسود» يريد هذا العبد علي بن الحسين بن علي زين العابدين رضي الله عنهم.

[روایت کند از پدر خویش گفتا مردی آمد از بنی تمیم پیش امیر المؤمنین علی رضي الله عنه گفت یا امیر المؤمنین خبر ده ماراً از أصحاب رس از کدام قوم بودند و در کدام عصر و دیار و مسکن از ایشان کجا بود پادشاه ایشان که بود رب العزة پیغمبر بایشان فرستاد یا نفرستاد و ایشانرا بچه هلاک کرد ما در قرآن ذکر ایشان میخوانیم که أصحاب الرس نه قصه بیان کرده نه احوال ایشان گفته امیر المؤمنین علی گفت یا آخا تمیم سؤالی کردی که پیش از تو هیچ کس این سؤال از من نکرد و بعد از من قصه ایشان از هیچ کس نشود ایشان قومی بودند در عصر بنی اسرائیل پیش از سلیمان بن داود بدرخت صنوبر می پرستیدند آن درخت که یافث بن نوح کشته بود بر شفیق چشمه معروف و بیرون از آن چشمه نهري بود روان و ایشانرا دوازده پاره شهر بود بر شط آن نهر و نام آن نهر رس بود و در بلاد مشرق و در روزگار هیچ نهر عظیم تر و بزرگتر از آن نهر نبود و نه هیچ شهر آبادان تر از آن شهرهای ایشان و مهینه از شهرهای مدینه بود نام آن اسفند آباد و پادشاه ایشان از نژاد نمروذ بن کنعان بود و در آن مدینه مسکن داشت و آن درخت صنوبر در آن مدینه بود و ایشان تخم آن درخت بردند بآن دوازده پاره شهرتادرشهری درختی صنوبر برآمد و ببالید و اهل آن شهر آنرا معبود خود ساختند و آن چشمه که در زیر صنوبر اصل بود هیچ کس را دستوری نبود که از آن آب بخورد یا بر کرفتی که میکفتند که «هي حياة آلهتنا فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها» پس مردمان که آب میخوردند از نهر رس میخوردند و رسم و آیین ایشان بود در هر ماهی اهل آن شهرها گردان درخت صنوبر خویش برآ مدن و آنرا بزبور و جامهای الوان بیاراستن و قربانها کردن و آتشی عظیم افروختن و آن قربانها برآ آتش نهادن تادخان و قاتران بالا کرفتی چندانکه در آن تاریکی دود دیدههای ایشان از آسمان محجوب گشتی ایشان آن ساعت بسجود در افتادند و تضرع و زاری فرادخت مردندی تا از میان آن درخت شیطان آواز دادی که «إني قد رضيت عنكم فطوبوا نفساً و قروا عيناً» چون آواز شیطان بکوش ایشان رسیدی سر برداشتند و شادان و تازان و يك شبانروز در نشاط و طرب و خمر خوردن بسر آوردند یعنی که معبوداً از ما راضی است بدین صفت روز کار در آن بسر آوردند تا کافر و شرک ایشان بغایت رسید و تمرد و طغیان ایشان بالا گرفت رب العالمین بایشان پیغمبری فرستاد از بنی اسرائیل از نژاد یهودا بن یعقوب روزگاری دراز ایشانرا دعوت کرد ایشان نکردیدند و شرک و کفر را بیفزودند تا پیغمبر در الله زارید و در ایشان دعای بد کرد گفت «يا رب إن عبادك أبوا إلا تكذيبی والكفر بك يعبدون شجرة لا تضر ولا تنفع فأرهم قدرتك و سلطانتك» چون پیغمبر این دعا کرد درختهای ایشان همه خشک گشت گفتند این همه از شومی ابن مرد است که دعوی پیغمبری میکند و عیب خدایان ما میجوید و او را بگرفتند و در چاهی عظیم کردند آورده اند در قصه که انبوهها ساختند فراخ و آنرا بعقر آب فرو بردند و آب از آن انبوهها بر میکشیدند تا بخشک رسید آنکه از آنجا در چاهی دور فرو بردند و او را در آن چاه کردند و سنکی عظیم بر سر آن چاه استوار نهادند و انبوهها از قعر آب برداشتند گفتند اکنون دانیم که خدایان ما از ما خشنود

شوند كه عيب جوى ايشانرا هلاك كرديم پيغمبر درآن وحشتكاه بالله ناليد وكفت «سيدي ومولاي قد ترى ضيق وشدة كربى فارحم ضعف ركني وقلة حيلتي وعجل قبض روحي ولا تؤخر إجابة دعوتي حتى مات عليه السلام فقال الله لجبريل: إن عبادي هؤلاء غرهم حلمي وأمنوا مكري وعبدوا غيري وقتلوا رسولي فأنا المنتقم ممن عصاني ولم يخش عقابي وإنني حلفت لأجعلنهم عبرة ونكالا للعالمين» پس رب العالمين باد عاصف كرم بايشان فرو كشاد تاهمه بيكديكر شدند وفراهم پيوستندآنكه زمين درزير ايشان چون سنك كبريت كشت واز بالا ابري سياه برآمد وآتش فرو باريد وايشان چنانكه از زير در آتش فرو كد ازد فرو كدا ختند[نعوذ بالله من غضبه ودرك نعمته . كذا في «كشف الأسرار» للعالم الرباني الرشيد اليزدي ﴿وقرونا﴾ أي: ودمرنا أيضاً أهل أعصار جمع قرن وهم القوم المقترنون في زمن واحد .

وفي «القاموس»: الأصح أنه مائة سنة لقوله عليه السلام لغلام: «عش قرناً فعاش مائة سنة» ﴿بين ذلك﴾ المذكور من الطوائف والأمم . وبالفارسية: [ميان قوم نوح وعاد وميان عاد وثمود تا بأصحاب الرس] ﴿كثيراً﴾ لا يعلم مقدارها إلا الله كقول: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٩] ولذلك قالوا كذب النسابون أي الذين ادعوا العلم بالأنساب وهو صفة لقوله قروناً والإفراد باعتبار معنى الجمع أو العدد كما في قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١] .

﴿وَكَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكَلَّا تَبَرْنَا تَنْبِيْرًا﴾ ﴿لَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوْءِ﴾ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرْتَضُونَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

﴿وكلا﴾ منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده أي ذكرنا وأنذرنا كل واحد من الأمم المذكورين المهلكين ﴿ضربنا له الأمثال﴾ بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل ﴿وكلا﴾ أي كل واحد منهم بعد التكذيب والإصرار . ﴿تبرنا﴾ تنبيرا ﴿أهلكنا إهلاكاً عجباً هائلاً فإن التبر بالفتح والكسر الإهلاك والتبير التكريس والتقطيع .

قال الزجاج: كل شيء كسرتة وفتته فقد تبرته ومنه التبر لمكسر الزجاج وفتات الذهب والفضة قبل أن يصابا فإذا صيغا فهما ذهب وفضة .

﴿ولقد أتوا﴾ أي وبالله لقد أتى قريش في متاجرهم إلى الشام، ومروا ﴿على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ يعني: سدوم بالبدال المهملة وقيل: بالذال المعجمة أعظم قرى لوط أمطرت عليها الحجارة وأهلكت فإن أهلها كانوا يعملون العمل الخبيث وكان كل حجر منها قدر إنسان .

واعلم أن قرى قوم لوط خمس ما نجا منها إلا واحدة لأن أهلها كانوا لا يعملون العمل الخبيث وسدوم من التي أهلكت وتخصيصها هنا لكونها في ممر تجار قريش وكانوا حين مرورهم بها يرونها مؤتفكة ولا يعتبرون . وانتصاب مطر على أنه مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل في أنبته الله نباتاً حسناً أي أمطار السوء ومطر مجهولاً في الخير وأمطر في الشر وقيل: هما لغتان والسوء بفتح السين وضمها كل ما يسوء الإنسان ويغمه من البلاء والآفة . والمعنى بالفارسية: [وبركذشتند برآن شهركه باران بد باريد يعني بروسنك بارانیده شد] وفي الخبر أن رسول الله ﷺ: «رأى ليلة المعراج في السماء حجارة موضوعة فسأل عن ذلك جبريل فقال: هذه الحجارة فضلت من حجارة قوم لوط خبثت للظالمين من أمتك» أي: خفيت وأعدت

وذلك أن من أشرط الساعة أن يمطر السماء بعض الحبوب كالقمح والذرة ونحوهما وقد شاهدناه في عصرنا وسيأتي زمان تمطر الحجارة ونحوها على الظالمين نعوذ بالله تعالى: ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ [أي نمت ديدند آترا سرنكون] أي في مرار مرورهم فيخافوا ويعتبروا ويؤمنوا ﴿بل كانوا لا يرجون نشوراً﴾ حقيقة الرجاء انتظار الخير وظن حصول ما فيه مسرة وليس النشور أي إحياء الميت خيراً مؤدياً إلى المسرة في حق الكافر فهو مجاز عن التوقع والتوقع يستعمل في الخير والشر فأمكن أن يتصور النسبة بين الكافر وتوقع النشور. والمعنى بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشوراً، أي ينكرون النشور المستتبع للجزاء الأخروي ولا يرون لنفس من النفوس نشوراً أصلاً مع تحققه حتماً وشموله للناس عموماً واطراده وقوعاً فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وإنما يحملونه على الاتفاقات.

واعلم أن النشور لا ينكره إلا الكفور وقد جعل الله الربيع في الدنيا شاهداً له ومشيراً لوقوعه وفي الخبر: «إذا رأيتم الربيع فاذكروا النشور» والربيع مثل يوم النشور لأن الربيع وقت إلقاء البذر ويكون الزارع معلقاً إلى ذلك الوقت أخرج أم لا فكذلك المؤمن يجتهد في طاعته وقلبه يكون معلقاً بين الخوف والرجاء إلى يوم القيامة أيقبل الله تعالى منه أم لا ثم إذا خرج الزرع وأدرك يحصد ويداس ويذرى ثم يطحن ويعجن ويخبز وإذا خرج من التنور بلا احتراق يصلح للخوان ولو احترق ضاع عمله وبطل سعيه وكذلك العبد يصلي ويصوم ويزكي ويحج فإذا جاء ملك الموت وحصد روحه بمنجل الموت وجعلوه في القبر يكون فيه إلى يوم القيامة وإذا جاء يوم القيامة وخرج من قبره ووقع الحشر والنشور وأمر به إلى الصراط فإذا جاوز الصراط سالماً فقد صلح للرؤية وإلا فقد هلك فعلى العاقل أن يتفكر في المنشور ويتذكر عاقبة الأمور: وفي «المنثوي»:

فضل مردان برزن أي حالي پرست	زان بودکه مرد پایان بین ترست
مردکاندر عاقبت بینی خمست	أو زاهل عاقبت از زن کمست
ازجهان دو بانک می آید بضد	تاکدامین را تو باشی مستعد
آن یکی بانکش نشور اتقیا	وین ذکر بانکش فریب اشقیا

آن یکی بانک این که اینک حاضرم	بانک دیگر بنکر اندر آخرم
من شکوفه خارم أي فخر کبار	کل بریزم من نمایم شاخ خار
بانک اشکوفه اش که اینک کل فروش	بانک خارش أوکه سوی ما مکوش
أي خنک آن کو زاول آن شنید	کش عقول ومستمع مردان شنید

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَخْذُوكَ إِلَّا هُرُوءًا هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ أي: أبصروك يا محمد يعني قريشاً. ﴿إِن يَخْذُوكَ إِلَّا هُرُوءًا﴾ إن نافية أي ما يتخذونك إلا موضع هزو أي يستهزئون بك قائلين بطريق الاستحقار والتهمك. ﴿هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ أي: بعث الله إلينا رسولاً ليثبت الحجة علينا. وبالفارسية [ايا اين كس آنست كه اورا برانكيخت خدا وفرستاد پيغمبر] يعني لم يقتصروا على ترك الإيمان وإيراد الشبهات

الباطلة بل زادوا عليه الاستخفاف والاستهزاء إذا رأوه وهو قول أبي جهل لأبي سفيان وهذا نبي بني عبد مناف.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن أهل الحس لا يرون النبوة والرسالة بالحس الظاهر لأنها تدرك بنظر البصيرة بنور الله وهم عميان بهذا البصر فلما سمعوا منه ما لم يهتدوا به من كلام النبوة والرسالة ما اتخذوه إلا هزواً وقالوا مستهزئين: أهذا الذي بعث الله رسولاً وهو بشر مثلنا محتاج إلى الطعام والشراب وفي «المثنوي»:

كارپا كان را قياس ازخود مكير	كرچه مانند درنېشتن شير شير
جمله عالم زين سبب كمراه شد	كم كسى زابدال حق آكاه شد
همسري يا انبيا بر داشتند	أوليا را همچو خود پنداشتند
كفته اينك ما بشر ايشان بشر	ما وايشان بستة خوابيم وخور
اين ندانستند ايشان ازعمي	هست فرق درميان بي منتهي
هردوكون زنبور خوردند از محل	ليك شدزين نيش وزان ديكر غسل
هردوكون آهوكيا خوردندو آب	زين يكي سرकिन شدوزان مشك ناب
هردوني خوردند ازيك آبخور	اين يكي خالي وأن پراز شكر

﴿إِنْ كَادَ﴾ إن مخففة من الثقيلة واللام. ﴿ليضلنا﴾ هي الفارقة بينهما وضمير الشأن محذوف أي إنه كاد أي قارب محمد ليضلنا. ﴿عن آلهتنا﴾ أي ليصرفنا عن عبادتها صرفاً كلياً بحيث يبعدها عنها. وبالفارسية: [بدرستي نزدیک بودکه أو بسخن دلفريب و بسياري جهد در دعوت و اظهار دلائل برمد عاي خود كمراه كند و بازدارد مارا از پرستش خدايان ما ﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها قال الله تعالى في جوابهم: ﴿وسوف يعلمون﴾ البتة وإن تراخى ﴿حين يرون العذاب﴾ الذي يستوجه كفرهم أي يرون في الآخرة عياناً ومن العذاب عذاب بدر أيضاً ﴿من أضل سبيلاً﴾ نسبوه عليه السلام إلى الضلال في ضمن الإضلال فإن أحداً لا يضل غيره إلا إذا كان ضالاً في نفسه فردهم الله.

واعلم أنه لا يهملهم وإن أمهلهم وصف السبيل بالضلال مجازاً والمراد سالكوها ومن أضل سبيلاً جملة استفهامية معلقة ليعلمون فهي سادة مسد مفعوليه.

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٤٣﴾

﴿أَرَأَيْتَ﴾ [آياديدي] ﴿من اتخذ إلهه هواه﴾ كلمة أَرَأَيْتَ تستعمل تارة للإعلام وتارة للسؤال وههنا للتعجب من جهل من هذا وصفه وإلهه مفعولة ثان قدم على الأول للاعتناء به لأنه الذي يدور عليه أمر التعجب والهوى مصدر هويه إذا أحبه واشتهاه ثم سمي به المهوى المشتبه محموداً كان أو مذموماً ثم غلب على غير المحمود فقل: فلان اتبع هواه إذا أريد ذمه فالهوى ما يميل إليه الطبع وتهوى النفس بمجرد الاشتهاه من غير سند منقول ودليل معقول. والمعنى أَرَأَيْتَ يا محمد من جعل هواه إلهاً لنفسه بأن أطاعه وبنى عليه أمر دينه معرضاً عن استماع الحجة والبرهان بالكلية كأنه قيل: ألا تعجب ممن جعل هواه بمنزلة الإله في الالتزام طاعته وعدم مخالفته فانظر إليه وتعجب منه وهذا الاستفهام للتقرير والتعجب [وكفته أند قومي بودند ازعرب كه سنك مي پرستيدند هرگاه كه ايشانرا سنكي نيكو بجشم آمدي ودل ايشان آن

خواستی آنرا سجود بردندی و آنچه داشتندی بیفکندندی حارث بن قیس از ایشان بود درکاروانی میرفتند و آن داشتند از شتر بیفتاد آواز در قافله افتاد که سنک معبود از شتر بیفتاد توقف کنید تا بجویم ساعتی جستند و نیافتند کوبنده از ایشان آواز داد که [و جدت حجراً أحسن منه فسیروا وفي الحديث: «ما عبد إله أبغض على الله من الهوى» فكل من يعیش على ما یکون له فيه شرب نفسانی ولو کان استعمال الشریعة بهذه الطبیعة ومطلبه فيه الحظوظ النفسانية لا الحقوق الربانية فهو عابد هواه كما في «التأویلات النجمية» .

قال الکاشفی صاحب تأویلات فرموده که هر که بغیر خدای چیزی دوست دارد و بر و باز ماند و او را پرسته در حقیقت هوای خود را می پرستد زیرا که هوای او را بر محبت غیر خدا میدارد سید حسنی رحمه الله در طرب المجالس آورده که چون آدم صفي علیه السلام با حوا عقد بستند إبلیس و دنیا بیکدیگر پیوستند و همچنانکه از امتزاج آنان بایکدیگر آدمی وجود گرفت از وصلت اینان با همه هوا مدد می یابند رسوم و عادات مردوده و مذاهب و ادیان مختلفه همه از تأثیر او ظهور می یابد:

غباری که خیزد میان ره اوست چه کویم که هریوسفی را چه اوست قوت غلبة اوتاحدیت که «الهوى أول إله عبد في الأرض» در شان او وارد شده و زبان قرآن در حق او چنین فرموده که ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ کویی که أصل هواست و آلهه باطله همه فرع اویند و ازینجا که مخالفت هوی سبب وصول بحقیقت ایمانست.

سر زهوی نافتن از سرور نیست ترك هوی قوت پیغمبر نیست قال أبو سلیمان رحمه الله: من أتبع نفسه هواها فقد سعی في قتلها لأن حياتها بالذکر وموتها و قتلها بالغفلة فإذا غفل اتبع الشهوات وإذا اتبع الشهوات صار في حکم الأموات. وفي «المثنوي»:

این جهان شهوتی بتخانه ایست	انبیا و کافرانرا لأنه ایست
لیک شهوت بنده پا کان بود	زرنسوزد زانکه نقد کان بود
کافران قلبند و پاکان همچوزر	اندرین یوته درند این دونفر
قلب چون آمد سیه شد در زمان	زردر آمد شد زری اوعیان

[یکی را ازا کابر سمرقند گفتند که اگر سر در خواب بیند که حق سبحانه و تعالی مرده است تعبیر آن چیست وی گفت که اکابر گفته اند که اگر کسی در خواب بیند که پیغمبر ﷺ مرده است تعبیرش آنست که در شریعت این صاحب واقعه قصوری و فتوری واقع شده است و آن مردن صورت شریعت است ابن نیز مثل آن زنکی دارد و بعضی کبار می فرمودند که میتوان بود که کسی حضور مع الله بوده باشد ناکاه آن حضور نماند تعبیر آن مردن آن باشد. و مولانا نور الدین عبد الرحمن جامی رحمه الله این سخن را تأویل دیگر کرده بودند فرموده که میتواند بود که بحکم آیت کریمه ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ یکی از هواها که صاحب واقعه آنرا خدای خود گرفته بوده است. ازدل وی رخت بندند و نابود شود آن مردن خدای عبارت از نابودن این هوا بود پس این خواب دلیل باشد بر آنکه حضور اوزیاده شود کذا فی رشحات علی الصفي بن الحسين الکاشفی] ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ﴾ [آیامی باشی تو] ﴿عَلَيْهِ﴾ [بر آنکس که هوای خود را خدا ساخته] ﴿وَكَيْلًا﴾ حقیقاً تمنعه عن الشرک والمعاصي و حاله هذا أي الاتخاذ

أَي لست موكلاً على حفظه بل أنت منذر فهذا الاستفهام للإنكار وليس هذا نهياً عن دعائه إياهم بل الإعلام بأنه قد قضى ما عليه من الإنذار والأعذار .
وقال بعض المفسرين : هذه منسوخة بآية السيف .

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ .

﴿أم تحسب﴾ بل أتظن . وبالفارسية : [بلکه کمان میبری] ﴿أن أكثرهم يسمعون﴾ ما يتلى عليهم من الآيات حق سماع . ﴿أو يعقلون﴾ ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية إلى المحاسن فتهتم بشأنهم وتطمع في إيمانهم وتخصيص الأكثر لأنه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استداراً وخوفاً على الرياسة .

قال ابن عطاء رحمه الله : لا تظن أنك تسمع نداءك إنما تسمعهم إن سمعوا نداء الأزل وإلا فإن نداءك لهم ودعوتك لا تغني عنهم شيئاً وإجابتهم دعوتك هو بركة جواب نداء الأزل ودعوته فمن غفل وأعرض فإنما هو لبعده عن محل الجواب في الأزل . ﴿إن هم﴾ ما هم في عدم انتفاعهم بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات ﴿إلا كالأنعام﴾ إلا كالبهائم التي هي مثل في الغفلة وعلم في الضلالة .

وفي «التأويلات النجمية» : ليس لهم نعمة إلا في الأكل والشرب واستجلاب حظوظ النفس كالبهائم التي نهمتها الأكل والشرب . ﴿بل هم أضل سبيلاً﴾ من الأنعام لأنها تنقاد لمن يقودها وتميز من يحسن إليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه من إساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار ولأنها لم تعتقد حقاً ولم تكتسب خيراً ولا شراً بخلاف هؤلاء ولأن جهالتها لا تضر بأحد وجهالة هؤلاء تؤدي إلى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولأنها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولازم وهؤلاء مقصرون مستحقون أعظم العقاب على تقصيرهم .

واعلم أن الله تعالى خلق الملائكة وعلى العقل جبلهم وخلق البهائم وركب فيها الشهوة وخلق الإنسان وركب فيه الأمرين أي العقل والشهوة فمن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم ولذا قال تعالى : ﴿بل هم أضل سبيلاً﴾ لأن الإنسان بقدمي العقل المغلوب والهوى الغالب ينقل إلى أسفل دركة لا تبلغ البهائم إليها بقدّم الشهوة فقط ومن غلب عقله هواه أي شهوته فهو بمنزلة الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ومن كان غالباً على أمره فهو خير من الملائكة كما قال تعالى : ﴿أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة : ٧] كما قال في «المنثوي» .

خلق عالم را سه کونه آفرید
آن فرشته است او نداند جزسجود
نور مطلق زنده از عشق خدا
همچو حیوان از علف در فریبهی
از شقاوت غافلست واز شرف
از فرشته نمی و نمیی ز خر

در حدیث آمد که یزدان مجید
یک کروه را جمله عقل و علم وجود
نیست اندر عنصرش حرص و هوا
یک کروه دیگر از دانش تهی
او نبیند جز که اصطبل و علف
این سوم هست آدمی زاد و بشر

نسيم خرد خود مائل سفلي بود / نسيم ديكر مائل علوي شود
 آن دو وقسم آسوده از جنك و خراب / وين بشر باد ومخالف در عذاب
 واين بشر هم ز امتحان قسمت شدند / آدمي شكلند وسه امت شدند
 يك گروه مستغرق مطلق شدست / همچو عيسى باملك ملحق شدست
 نقش آدم ليك معنى جبرائيل / رسته از خشم وهوا وقال وقيل
 قسم ديكر باخران ملحق شدند / خشم محض وشهوت مطلق شدند
 وصف جبريلي درايشان بود رفت / تنك بود آن خانه وآن وصف رفت
 نام «كالأنعام» كرد آن قوم را / زانكه نسبت كو بيقظه نوم را
 روح حيواني ندارد غير نوم / حسهاي منعكس دارند قوم
 مانند يك قسمي ذكر اندر جهاد / نسيم حيوان نسيم حي بارشاد
 روز و شب در جنك واندر كشمكش / كرده جاليش آخرش با أولش

فعلى العاقل الاحتراز عن الأفعال الحيوانية فإنها سبب لزوال الجاه الصوري والمعنوي.

سئل بعض البرامكة عن سبب زوال دولتهم قال: نوم الغدوات وشرب العشيات.

وقيل لي وأنا مراقب بعد صلاة الفجر: من لم يترك النوم أي من لم يترك الراحة الظاهرة مطلقاً ومال كالحيوان إلى الدعة والحضور لم يتخلص من الغفلة فمدار الخلاص هو ترك الراحة والعمل بسبيل مخالفة النفس والطبيعة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْتَهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿ألم تر إلى ربك﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والهمزة للتقرير والرؤية رؤية العين.

والمعنى: ألم تنظر إلى بديع صنعة تعالى فإن المنظور يجب أن يكون مما يصح أن يتعلق به رؤية العين ﴿كيف﴾ منصوبة بقوله: ﴿مد الظل﴾ أصل المد الجزء من المدة للوقت الممتد والظل ما يحصل بالذات كالشمس أو بالغير كالقمر.

قال في «المفردات»: الظل ضد الضح وهو بالكسر الشمس وضوءها كما في «القاموس» وهو أعم من الفيء فإنه يقال: ظل الليل وظل الجنة ويقال لكل موضع لا تصل إليه الشمس ظل ولا يقال الفيء إلا لما زال عنه الشمس يعني أن الشمس تنسخ وتزيله شيئاً فشيئاً إلى الزوال ثم ينسخ الظل ضوء الشمس ويزيله من وقت الزوال إلى الغروب فالظل الآخذ في التزايد الناسخ لضوء الشمس يسمى فيئاً لأنه فاء من جانب المشرق إلى جانب المغرب فهو من الزوال إلى الغروب والظل إلى الزوال.

والمعنى كيف أنشأ الظل أي ظل كان من جبل أو بناء أو شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتداً وهو بيان لكمال قدرته وحكمته بنسبة جميع الأمور الحادثة إليه بالذات وإسقاط الأسباب العادية عن رتبة السببية والتأثير بالكلية وقصرها على مجردة الدلالة على وجود المسببات. ﴿ولو شاء﴾ ربك سكون ذلك الظل. ﴿لجعلله ساكناً﴾ أي ثابتاً على حاله من الطول والامتداد ومقيماً: وبالفارسية [ثابت وآرام يا فته بريك منوال] يقال: فلان يسكن بلد كذا إذا أقام به واستوطن والجملة اعتراضية بين المعطوفين للتنبيه من أول الأمر على أنه لا مدخل فيما ذكر من

المد للأسباب العادية وإنما المؤثر فيه المشيئة والقدرة. ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ عطف على مَد داخل في حكمه ولم يقل دالة المراد ضوء الشمس والمعنى جعلناها علامة يستدل بأحوالها المتغيرة على أحواله من غير أن يكون بينهما سببية وتأثير قطعاً حسبما نطقت به الشرطية المعترضة والالتفات إلى نون العظمة لما في جعل المذكور العاري عن التأثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبئ عن السببية من مزيدة دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في إيراد كلمة التراخي. ﴿ثم قبضناه﴾ عطف على مَد داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني أي أزلناه بعدما أنشأناه ممتداً ومحونا بمحض قدرتنا ومشيتنا عند إيقاع شعاع الشمس موقعه من غير أن يكون له تأثير في ذلك أصلاً وإنما عبر عنه بالقبض المنبئ عن جميع المنبسط وطيه لما أنه قد عبر عن إحداثه بالمد الذي هو البسط طويلاً ﴿إلينا﴾ تنصيص على كون مرجعه إلى الله تعالى كما أن حدوثه عنه عز وجل. ﴿قبضاً يسيراً﴾ أي على مهل قليلاً حسب ارتفاع دليله أي الشمس. يعني أنه كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل في جانب المغرب فلو قبضه الله تعالى دفعة لتعطلت منافع الظل والشمس قبضه يسيراً يسيراً لتبقى منافعهما والمصالح المتعلقة بهما هذا ما ارتضاه المولى أبو السعود في «تفسيره».

وقال غيره: ﴿كيف مد الظل﴾ أي: بسطه فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأنه لا شمس معه وهو أطيب الأزمنة لأن الظلمة الخالصة سبب لنفرة الطبع وانقباض نور البصر وشعاع الشمس مسخن للجو ومفرق لنور الباصرة وليس فيما بين طلوعيهما شيء من هذين ولذلك قال تعالى في وصف الجنة: ﴿وَلَا يَمَسُّهُمُ السَّيِّئُ الْوَاسِعُ﴾ [الواقعة: ٣٠] ويقال تلك الساعة تشبه ساعات الجنة إلا أن الجنة أنور فالظل هو الأمر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة ﴿ولو شاء لجعله ساكناً﴾ دائماً لا شمس معه أبداً من السكنى وهو الاستقرار ولا تنسخه الشمس بأن لا يتحرك حركة انقباض ولا انبساط بأن جعل الشمس مقيمة على موضع واحد فهو من السكون الذي هو عدم الحركة. ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ لأنه لولا الشمس لما عرف الظل كما أنه لولا النور لما عرف الظلمة والأشياء بأضدادها وهذا المعنى يؤيده تعميم الظل كما سبق من «المفردات» لكن لم يرض به أبو السعود رحمه الله لأن ما ذكر من معنى الظل في هذا الوجه وإن كان في الحقيقة ظلاً للأفق الشرقي لكنه غير معهود والمتعارف أنه حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف [درعين المعاني] أورده كه مد ظل أشارت بزمان فترتست كه مردم درحيرت بودند وشمس بنور اسلام كه طلوع سيدانام عليه الصلاة والسلام ازافق اكرام طالع كشت واكر آن سايه دائم بودي خلق درتاريكي غفلت مانده بروشني آكاهي نرسيدي.

كرنه خورشيد جمال ياركشتي رهمنون ازشب تاريك غفلت كس نبردي ره برون
[صاحب كشف الأسرار كويد اين آيت ازروي ظاهر معجزة مصطفى عليه السلام وبفهم أهل حقيقت اشارتست بقرب وكرامت وي أما بيان معجزة آنست كه حضرت رسالت عليه السلام درسفرى بوقت قيلوله درزير درختي فرودامد ياران بسيار بودند وسايه درخت اندك حق سبحانه وتعالى بقدرت كامله سايه آن درخت ممدود كردانيد چنانچه همه لشكر اسلام درآن سايه بياسودند واين آيت نازل شد ونشان خصوصيت قربت آنكه فرمود ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ موسى عليه السلام را بوقت طلب ﴿أَرَأَيْتَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] داغ ﴿لَنْ تَرِيْنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] بردل نهاده واين

حضرت رابی طلب فرمود که نه مرا بینی و در من می نکری دیگر چه خواهی:]

فرقست میان آنکه یارش در بر با آنکه دوچشم انتظارش بر در
وفي «المثنوي»:

مرغ بر بالا پران وسایه اش می دود برخاک و پران مرغ و ش
ابلهی صیاد آن سایه شود می دود چند آنکه بی مایه شود
بی خبر کان عکس آن مرغ هواست بی خبر که اصل آن سایه کجاست
تیر اندازد بسوی سایه او ترکش عمرش تهی شد عمر رفت
سایه یزدان چو باشد دایه اش از دیدن درشکار سایه تفت
سایه بیزدان بود بنده خدا وارهاند از خیال وسایه اش
دامن او کیر زو تر بی کمان نرده این عالم و زنده خدا
«کیف مد الظل» نقش اولیاست تا رهی در دامن آخر زمان
اندر این وادی مرو بی این دلیل کاو دلیل نور خورشید خداست
رو ز سایه آفتابی را بیاب «لا أحب الآفلین» کوچون خلیل
دامن شه شمس تبریزی بتاب

قال في «المصطلحات»: الظل هو الوجود الإضافي الظاهر بتعينات الأعيان الممكنة وأحكامها التي هي معدومات ظهرت باسمه النور الذي هو الوجود الخارجي المنسوب إليها فيستر ظلمة عدميتها النور الظاهر بصورها صار ظلاً لظهور الظل بالنور وعدميته في نفسه قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَ الظِّلَّ﴾ أي: بسط الوجود الإضافي على الممكنات فالظلمة بإزاء هذا النور هو العدم وكل ظلمة فهي عبارة عن عدم النور عما من شأنه أن يتنور به قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٧] والكمال المتحقق بالحضرة الواحدية والسلطان ظل الله أي ظل الحقيقة الإلهية الجامعة وهي سر الإنسان الكامل الذي صورته السلطان أعظم الظاهر أي في الجامعة والإحاطة.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ تُشُورًا﴾ ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَرَكٌ يَدَيَّ رَحْمَةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسٍ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾.

﴿وهو﴾ أي الله تعالى وحده ﴿الذي جعل لكم الليل لباساً﴾ كاللباس يسترکم بظلامه كما يستر اللباس فشبّه ظلامه باللباس في الستر وأصل اللبس ستر الشيء وجعل اللباس وهو ما يلبس اسماً لكل ما يغطي الإنسان من قبيح وجعل الزوج لزوجها لباساً في قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] من حيث أنه يمنعها عن تعاطي قبيح وجعل التقوى لباساً في قوله: ﴿وَلِبَاسُ الْقَوَى﴾ [الأعراف: ٢٦] على طريق التمثيل والتشبيه.

فإن قلت: إذا كان ظلمة الليل لباساً فلا حاجة إلى ستر العورة في صلاة الليل.

قلت: لا اعتبار لستر الظلمة فإن ستر العورة باللباس ونحوه لحق الصلاة وهو باق في الظلمة والضوء. ﴿والنوم سباتاً﴾ النوم استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد والسبت قطع العمل ويوم سبتهم يوم قطعهم للعمل وسمي يوم السبت لذلك، أو لانقطاع الأيام

عنده لأن الله تعالى ابتدأ بخلق السموات والأرض يوم الأحد، فخلقها في ستة أيام فقطع عمله يوم السبت كما في «المفردات».

والمعنى وجعل النوم الذي يقع في الليل غالباً راحة للأبدان بقطع المشاغل والأعمال المختصة بحال اليقظة أو جعله موتاً فعبر عن القطع بالسبات الذي هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة في انقطاع الحياة وعليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] فالموت والنوم من جنس واحد خلا أن الموت هو الانقطاع الكلي أي انقطاع ضوء الروح عن ظاهر البدن وباطنه والنوم هو الانقطاع الناقص أي انقطاع ضوء الروح عن ظاهره دون باطنه والمسبوت الميت لانقطاع الحياة عنه والمريض المغشى عليه لزوال عقله وتمييزه وعليه قولهم: مثل المبطلون والمفلوج والمسبوت ينبغي أن لا يبادر إلى دفنهم حتى يمضي يوم وليلة ليتحقق موتهم. ﴿وجعل النهار نشوراً﴾ النهار الوقت الذي ينتشر فيه الضوء وهو في الشرع ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس وفي الأصل ما بين طلوع الشمس إلى غروبها والنشور إما من الانتشار أي وجعل النهار ذا نشور أي انتشار ينتشر فيه الناس لطلب المعاش وابتغاء الرزق كما قال: ﴿لَتَسْكُتُوا فِيهِ وَلِتَنفُخُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣] أو من نشر الميت إذا عاد حياً أي وجعل النهار زمام بعث من ذلك السبات والنوم كبعث الموتى على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي نفس البعث على الطريق المبالغة.

وفيه إشارة إلى أن النوم واليقظة انمذج للموت والنشور.

وعن لقمان عليه السلام: يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنتشر وفي «المنثوي».

نوم ما چون شد اخ الموت أي فلان زين برادر آن برادررا بدان وفي الآية رخصة للمنام بقدر دفع الضرورة وهو فتور البدن.

قال بعض الكبار: النوم راحة للبدن والمجاهدات إتعاب البدن فيتضادان وحقيقة النوم سد حواس الظاهر لفتح حواس القلب والحكمة في النوم أن الروح القدسي أو اللطيفة الربانية أو النفس الناطقة غريبة جداً في هذا الجسم السفلي مشغولة بإصلاحه وجلب منافعه ودفع مضاره محبوسة فيه ما دام المرء يقظان فإذا نام ذهب إلى مكانه الأصلي ومعدنه الذاتي فيستريح بواسطة لقاء الأوراح ومعرفة المعاني والغيوب مما يتلقى في حين دهابه إلى عالم الملكوت من المعاني التي يراها بالأمثلة في عالم الشهادة وهو السر في تعبیر الرؤيا فإذا هجر المجاهد النوم والاستراحة ذابت عليه أجزاء الأركان الأربعة من الترابية والمائية والنارية والهوائية فيعري القلب حينئذ عن الحجب فينظر إلى عالم الملكوت بعين قلبه فيشتاق إلى ربه وربما يرى المقصود في نومه كما حكى عن شاه شجاع أنه لم ينم ثلاثين سنة فاتفق أنه نام ليلة فرأى الحق سبحانه في منامه ثم بعد ذلك كان يأخذ الوسادة معه ويضطجع حيث كان فسئل عن ذلك فأنشأ يقول:

رأيت سرور قلبي في منامي فأحببت التنعس والمنام

فهذا حال أهل النهاية فإنهم حيث كانت بصيرتهم يقظانة كان منامهم في حكم اليقظة ولذا

قال بعضهم:

مشو بمرکز زامداد أهل دل نومید که خواب مردم آگاه عین بیداریست

وأما حال غيرهم فكما قيل:

سر آنکه ببالین نهد هو شمند که خوابش بقیهر آورد در کمنند

وعن ذي النون المصري رحمه الله: ثلاثة من أعلام العبادة حب الليل للسهر في الطاعة والخلو بالصلاة وكراهة النهار لرؤية الناس والغفلة لرؤية الناس والغفلة عن الصلاة والمبادرة بالأعمال مخافة الفتنة.

قال بعضهم: جعل الليل وقتاً لسكون قوم ووقتاً لانزعاج آخرين فأرباب الغفلة يسكنون في ليلهم والمحبون يسهرون فإن كانوا في روح الوصال فلا يأخذهم النوم لكمال أنسهم وإن كانوا في ألم الفراق فلا يأخذهم النوم لكمال قلقهم فالسهر للأحباب صفة إما لكمال السرور أو لهجوم الغموم ثم الأدب عند الانتباه أن يذهب بباطنه إلى الله تعالى ويصرف فكره إلى أمر الله قبل أن يجول الفكر في شيء سوى الله ويشغل اللسان بالذكر فالصادق كالطفل الكلف بالشيء إذا نام ينام على محبة الشيء وإذا انتبه يطلب ذلك الذي كان كلفاً به وعلى هذا الكلف والشغل يكون الموت والقيام إلى الحشر فليُنظر وليعتبر عند انتباهه من النوم ما همه فإنه يكون هكذا عند القيام من القبر إن كان همه الله وإلا فهمه غير الله.

وفي الخبر: «إذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد فإن قعد وذكر الله تعالى انحلت عقدة فإن توضع انحلت أخرى وإن صلى ركعتين انحلت كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح كسلان خبيث النفس» وفي خبر آخر: «إن نام حتى يصبح بال الشيطان في أذنه» والعياذ بالله من شر النفس والشيطان.

﴿وهو﴾ تعالى وحده ﴿الذي أرسل الرياح﴾ [كشاد بادها درهوا قال في «كشف الأسرار» إرسال اينجا بمعنى كشادن است جنانكه كوي] أرسلت الطائر وأرسلت الكلب المعلم انتهى . وفي «المفردات»: قد يكون الإرسال للتسخير كإرسال الريح والريح معروفة وهي فيما قيل الهواء المتحرك وقيل في الرحمة: رياح بلفظ الجمع لأنها تجمع الجنوب والشمال والصباء وقيل في العذاب: ريح لأنها واحدة وهي الدبور وهو عقيم لا يلحق ولذا ورد في الحديث: «اللهم اجعلها لنا رياحاً ولا تجعلها ريحاً» ﴿بشراً﴾ حال من الرياح تخفيف بشر بضميتين جمع بشوراً وبشير بمعنى مبشر لأن الرياح تبشر بالمطر كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَةً﴾ [الروم: ٤٦] بالفارسية [بشارت دهندگان] «بين يدي رحمته» أي: قدام المطر على سبيل الاستعارة وذلك لأنه ريح ثم سحب ثم مطر.

وبالفارسية [پیش از نزول رحمت که اوبار انست يعني وزیدن ايشان غالباً دلالت ميکند بروقوع مطر داراوان آن باران آسمانرا رحمن نام کرد از انکه برحمت ميفرستد] ﴿وأنزلنا﴾ بعظمتنا والالتفات إلى نون العظمة لإبراز كمال العناية بالإنزال لأنه نتيجة إرسال الرياح ﴿من السماء﴾ من جهة الفوق وقد سبق تحقيقه مراراً ﴿ماء طهوراً﴾ بليغاً في الطهارة وهو الذي يكون طاهراً في نفسه ومطهراً لغيره من الحدث والنجاسة. وبالفارسية [آبی پاک وپاک کننده].

والطهور يجيء صفة كما في ماء طهوراً واسماً كما في قوله عليه السلام: «التراب طهور المؤمن» وبمعنى الطهارة كما في تطهرت طهوراً حسناً أي وضوءاً حسناً ومنه قوله عليه السلام: «لا صلاة إلا بالطهور».

قال في «فتح الرحمن»: الطهور هو الباقي على أصل خلقتة من ماء المطر والبحر والعيون والآبار على أي صفة كان من عذوبة وملوحة وحرارة وبرودة وغيرها وما تغير بمكته أو بظاهر لا يمكن صونه عنه كالتراب والطحلب وورق الشجر ونحوها فهو طاهر في نفسه مطهر

لغيره يرفع الأحداث ويزيل الأنجاس بالاتفاق قال: تغير عن أصل خلقته بظاهر يغلب على أجزائه ما يستغني عنه الماء غالباً لم يجز التطهير به عند الثلاثة وجوز أبو حنيفة رحمه الله الوضوء بالماء المتغير بالزعفران ونحوه من الطاهرات ما لم تزل رفته .

وقال أيضاً: يجوز إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة كالخل وماء الورد ونحوهما وخالفه الثلاثة ومحمد بن الحسن وزفر كما فصل في الفقه ثم في توصيف الماء بالطهور مع أن وصف الطهارة لا دخل له في ترتيب الأحياء والسقي على إنزال الماء إشعار بالنعمة فيه لأن وصف الطهارة نعمة زائدة على إنزال ذات الماء وتتميم للمنة المستفادة من قوله لنحيي به ونسقيه فإن الماء الطهور أهناً وأنفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروها كانت بواطنهم بذلك أولى لأن باطن الشيء أولى بالحفظ عن التلوث من ظاهره وذلك لأن منظر الحق هو باطن الإنسان لا ظاهره والتطهير مطلقاً سبب لتوسع الرزق كما قال عليه السلام: «دم الطهارة يوسع عليك الرزق» والماء الذي هو سبب الرزق الصوري طاهر مطهر فينبغي لطالبه أن يكون دائماً على الطهارة الظاهرة فإنها الجالبة له وأما الطهارة الباطنة فجالبة للرزق المعنوي وهو ما يكون غذاء للروح من العلو والفيوض .

﴿لنحيي به﴾ أي: بما أنزلنا من السماء من الماء الطهور وهو تعليل للإنزال ﴿بلدة ميتاً﴾ لا أشجار فيها ولا أثمار ولا مرعى وإحيائها بإنبات النبات والمراد القطعة من الأرض عامرة كانت أو غيرها . وبالفارسية [شهرى مرده يعني موضعي كه درخشك سال بوده يا مكاني راكه در زمستان خشك وافسرده كشت].

والتذكير حيث لم يقل بلدة ميتة لأنه بمعنى البلد أو الموضع والمكان ولأنه غير جار على الفعل بأن يكون على صيغة اسم الفاعل أو المفعول فأجري مجرى الجامد . ﴿ونسقيه﴾ أي ذلك الماء الطهور عند جريانه في الأودية أي اجتماعه في الحياض أو المنابع والآبار . وبالفارسية: [ويباشامانيم أن اب] وسقى وأسقى لغتان بمعنى يقال: سقا الله الغيث وأسقى والاسم السقيا .

قال الإمام الراغب: السقي والسقيا أن تعطيه ماء ليشربه والإسقاء أن تجعل له ذلك حتى يتناوله كيف يشاء والإسقاء أبلغ من السقي لأن الإسقاء هو أن تجعل له ماء يستقي منه ويشرب كقوله: أسقيته نهراً .

فالمعنى مكناهم من أن يشربوه ويسقوا منه أنعامهم ﴿مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً﴾ متعلق بقوله: نسقيه أي نسقي ذلك الماء بعض خلقنا من الأنعام والأناسي وانتصابها على البدل من محل الجار والمجرور في قوله مما خلقنا .

ويجوز أن يكون أنعاماً وأناسي مفعول نسقيه . ومما خلقنا متعلق بمحذوف على أنه حال من أنعاماً والأنعام جمع نعم وهي المال الراعية وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل .

وقال في «المغرب»: الأنعام الأزواج الثمانية في قوله: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، ﴿مِنَ الظُّكَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣] وأناسي جمع إنسان عند سيبويه على أن أصله أناسين فأبدلت النون ياء وأدغم فيها الياء التي قبلها .

وقال الفراء والمبرد والزجاج: إنه جمع أنسي وفيه نظر لأن فعالى إنما يكون جمعاً لما فيه ياء مشددة لا تدل على نسب نحو كراسي في جمع كرسي فلو أريد بكرسي النسب لم يجز

جمعه على كراسي ويبعد أن يقال أن الباء في أنسي ليست للنسب وكان حقه أن يجمع على أناسية نحو مهالية في جمع المهلى كذا في «حواشي ابن الشيخ».

وقال الراغب: الإنسي منسوب إلى الإنس يقال ذلك لمن كثر أنسه ولكل ما يؤنس به وجمع الأنسي أناسي وقال في الكرسي أنه في الأصل منسوب إلى الكرسي أي التلبد ومنه الكراسة للمتلبد من الأوراق انتهى.

قوله كثيراً صفة أناسي لأنه بمعنى بشر والمراد بهم أهل البوادي الذين يعيشون بالمطر ولذا نكر الأنعام والأناسي. يعني أن التنكير للأفراد النوعي وتخصيصهم بالذكر لأن أهل المدن والقرى يقيمون بقرب الأنهار والمنايع فلا يحتاجون إلى سقيا السماء وسائر الحيوانات من الوحوش والطيور تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالباً يقال: أعوزه الشيء إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه وخص الأنعام بالذكر لأنها قنية للإنسان أي يقتنيها ويتخذها لنفسه لا للتجارة وعامة منافعهم ومعاشهم منوطة بها فلذا قدم سقيا على سقيهم كما قدم على الأنعام إحياء الأرض فإنه سبب لحياتها وتعيشها فانظر كيف رتب ذكر ما هو رزق الإنسان ورزقه فإن الأنعام رزق الإنسان والنبات رزق الأنعام والمطر رزق النبات فقدم ذكر المطر ورتب عليه ذكر حياة الأرض بالنبات ورتب عليه ذكر الأنعام.

﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا فَآبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٥٤﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ۝٥٥﴾ فَلَا تَطِيعَ الْكَافِرِينَ وَجَنِّدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٦﴾

﴿ولقد صرفناه﴾ أي: وبالله لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر لما مر من الغايات الجليلة في القرآن وغيره من الكتب السماوية ﴿بينهم﴾ أي: بين الناس من المتقدمين والمتأخرين. ﴿ليذكروا﴾ أي: ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره حق القيام وأصله يتذكروا والتذكر التفكير ﴿فأبى﴾ الإباء شدة الامتناع ورجل أبى ممتنع من تحمل الضيم وهو متأول بالنفي ولذا صح الاستثناء، أي لم يفعل أو لم يرد أو لم يرض. ﴿أكثر الناس﴾ ممن سلف وخلف ﴿إلا كفوراً﴾ إلا كفران النعمة وقلة المبالاة بشأنها فإن حقها أن يتفكر فيها ويستدل بها على وجود الصانع وقدرته وإحسانه وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك أداء شكرها وأعظم الكفر جحود الوحداية أو النبوة أو الشريعة والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً والكفر في الدين أكثر والكفور فيهما جميعاً كما في «المفردات» وأكثر أهل التفسير على أن ضمير صرفناه راجع إلى نفس الماء الطهور الذي هو المطر. فالمعنى ﴿ولقد صرفناه﴾ أي فرقنا المطر بينهم بإنزاله في بعض البلاد والأمكنة دون غيرها أو في بعض الأوقات دون بعض أو على صفة دون أخرى بجعله تارة وإبلاً وهو المطر الشديد وأخرى طلاً وهو المطر الضعيف ومرة ديمة وهو المطر الذي يدوم أياماً فأبى أكثر الناس إلا جحوداً للنعمة وكفراً بالله تعالى بأن يقولوا: مطرنا بنوء كذا أي بسقوط كوكب كذا كما يقول المنجمون فجعلهم الله بذلك كافرين حيث لم يذكروا صنع الله تعالى ورحمته بل أسندوا مثل هذه النعمة إلى الأفلاك والكواكب فمن لا يرى الأمطار إلا من الأنواء فهو كافر بالله بخلاف من يرى أن الكل بخلق الله تعالى والأنواء أمارات بجعل الله تعالى والأنواء النجوم التي يسقط واحد منها في جانب المغرب وقت طلوع الفجر ويطلع رقبته في جانب المشرق من

ساعته والعرب كانت تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها وقيل إلى الطالع منها لأنه في سلطانه يقال: ناء به الحمل أثقله وأماله فالنوء نجم مال للغروب ويقال لمن طلب حاجة فلم ينجح أخطأ نوءك وفي الحديث: «ثلاث من أمر الجاهلية الطعن في الأنساب والنياحة والأنواء» وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى النبي ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «قال أصبح عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال: مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب» كذا في «كشف الأسرار». فعلى المؤمن أن يحترز من سوء الاعتقاد ويرى التأثير في كل شيء من رب العباد فالمطر بأمره نازل وفي إنزاله إلى بلد دون بلد وفي وقت دون وقت وعلى صفة دون صفة حكمة ومصلحة وغاية جلييلة. روي: أن الملائكة يعرفون عدد القطر ومقداره في كل عام لأنه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد. روي: مرفوعاً: «ما من ساعة من ليل ولا نهار إلا السماء المطر فيها يصرفه الله حيث يشاء» وفي الحديث: «ما من سنة بمطر من أخرى ولكن إذا عمل قوم بالمعاصي حوّل الله ذلك إلى غيرهم فإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفياضي والبحار» وفي «المثنوي».

تو بزن يا ربنا آب طهور	تا شود اين نار عالم جمله نور
آب دريا جمله در فرمان تست	آب وآتش أي خداوندان تست
كرتوخواهی آتش آب خوش شود	ورنخواهی آب آتش هم شود
اين طلب از ما هم ازيجادتست	رستن از بيداد يا رب دادتست
بي طلب تو اين طلب مان دادة	كنج احسان برهمه بكشادة

﴿ولو شئنا﴾ أردنا ﴿لبعثنا﴾ [برانكيتيم وفرستاديم].

قال الراغب: البعث إثارة الشيء وتوجيهه ﴿في كل قرية﴾ مصر ومدينة وبالفارسية: [درهر ديهی ومجمعی] فإن القرية اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس ﴿نذيراً﴾ بمعنى المنذر والإنذار إخبار فيه تخويف أي نبياً ينذر أهلها فيخفف عليك أعباء النبوة ولكن بعثناك إلى القرى كلها رسولاً وقصرنا الأمر عليك إجلالاً لشأنك وإعظاماً لأجرك وتفضيلاً لك على سائر الرسل. وبالفارسية: [أما بجهت تعظيم وعلو مكان تو نبوت را برتو ختم كرديم وترا بر كافة مردمان تا بروز قيامت مبعوث ياخيتيم].

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى كمال القدرة والحكمة وعزة النبي عليه السلام وتأديب الخواص. أما القدرة فأظهر أنه قادر على ما يشاء وليس الأمر كما زعم الفلاسفة والطبايعية أن ظهور أرباب النبوة يتعلق بالقرانات والاتصالات فحسب بل يتعلق بالقدرة كيف يشاء وما يشاء. والذي يدل على بطلان أقاويلهم وصحة ما قلنا ما روي أن موسى عليه السلام تبرّم وقتاً بكثرة ما كان يسأل فأوحى الله في ليلة واحدة إلى ألف نبي من بني إسرائيل فأصبحوا رسلاً وتفرق الناس عن موسى عليه السلام فضاق قلب موسى وقال: يا رب إنني لم أطق ذلك فقبض الله أرواحهم في ذلك اليوم. وأما الحكمة فقد اقتضت قلة الأنبياء في زمان واحد إظهاراً لعزتهم فإن في الكثرة نوعاً من الإزراء وأيضاً فيها احتمال غيرة البعض على البعض كما غار موسى على تلك الأنبياء فأماهم الله تعالى عزة لموسى عليه السلام. وأما عزة النبي عليه السلام

فبانفراده في النبوة في زمانه واختصاصه بالفضيلة على الكافة وإرساله إلى الجملة ونسخ الشرائع بشريعته وختم النبوة به وحفظ كتابه عن النسخ والتغيير والتحريف وإقامة ملته إلى قيام الساعة. وأما تأديب الخواص فبقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبعثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ إذ نوع تأديب للنبي عليه السلام بأدق إشارة كما قال: ﴿وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ۸۶] فالقصد أن يتأدب به خواص عباده وأن يكونوا معصومين من رؤية الأعمال والعجب بها انتهى. يعني [مقصود آنتست كه رب العزة ميخواهد تادوستان وخواص بندكان خود پیوسته معصوم دارد از آنكه ايشانرا باخود التفاتي بود يا باروش خویش نظري كنند].

﴿فلا تطع الكافرين﴾ فيما ندبوك إليه من عبادة الآلهة واتباع دين الآباء وأغلظ عليهم ولا تدهانهم وأثبت على الدعوة وإظهار الحق ﴿وجاهدهم﴾ [وجهاد كن با ايشان وباز كوش]. والجهاد والمجاهدة استغراق الوسع في مدافعة العدو ﴿به﴾ أي بالقرآن بتلاوة ما في تضاعيفه من المواعظ وتذكير أحوال الأمم المكذبة ﴿جهاداً كبيراً﴾ عظيماً تاماً شديداً لا يخالطه فتور فإن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف وإنما لم يحمل المجاهدة على القتال بالسيف لأنه إنما ورد الإذن بعد الهجرة بزمان والسورة مكية.

قال الإمام الراغب: المجاهدة تكون باللسان واليد وفي الحديث: «جاهدوا الكفار بأيديكم وألستكم» وفي حديث آخر: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألستكم» قوله: وألستكم أي أسمعهم ما يكرهونه ويشق عليهم سماعه من هجو وكلام غليظ ونحو ذلك كما في «مشارع الأشواق».

يقول الفقير: ويجوز أن يكون الجهاد بالألسنة بترك المداينة في حقهم وإغراء الناس على دفع فسادهم كما أن الجهاد بالأموال بالدفع إلى من يحاربهم ويستأصلهم.

ثم الإشارة بلفظ المشركين إلى أهل الرياء والبدع فإشارة الخطاب في جاهدوا أيضاً إلى أصحاب الإخلاص والسنة فإنه لا بد لأهل الحق من جهاد أهل البطلان في كل زمان خصوصاً عند غلبة الخوف فإنه أفضل الجهاد كما قال عليه السلام: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر» وإنما كان أفضل الجهاد لأن من جاهد العدو كان متردداً بين رجاء وخوف ولا يدري هل يغلب أو يغلب وصاحب السلطان مقهور في يده فهو إذا قال الحق وأمره بالمعروف فقد تعرض للتلغ فصار ذلك أفضل أنواع الجهاد من أجل غلبة الخوف كذا في «أبكار الأفكار» للسمرقندي.

ثم الإشارة في الآية إلى النفس وصفاتها فلا تطعهم وجاهدهم بسيف الصدق على قانون القرآن في مخالفة الهوى وترك الشهوات وقطع التعلقات جهاداً كبيراً لا توسيهم بالرخص وتعاندهم بالعزائم قائماً بحق الله من غير جنوح إلى غيره أو مبالاة بما سواه. وفي «المثنوي»:

أي شهان كشتيم ما خصم برون	ماند خصمي زان بتر دراندرون
كشتن اين كار عقل وهوش نيست	شير باطن سخرة خركوش نيست
دوزخست اين نفس ودوزخ ازدهاست	كوبدريهاها نكردد كم وكاست
هفت دريارا درآشامد هنوز	كم نكردد سوزش آن خلق سوز
قوت ازحق خواهم وتوفيق ولاف	تابسوزن بركنم اين كوه قاف
سهل شيري دانكه صفها بشكند	شير آنتست آنكه خودرا بشكند
اللهم سلمنا من آفات العدو مطلقاً.	

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٥٢﴾.

﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ من مرج الدابة خلاها وأرسلها ترعى ومرج أمرهم اختلط والبحر الماء الكثير عذباً كان أو ملحاً عند الأكثر وأصله المكان الواسع الجامع للماء الكثير كما في «المفردات». والمعنى خلاهما وأرسلهما في مجاريهما كما يرسل الخيل في المريج متلاصقين بحيث لا يتمازجان ولا يلتبس أحدهما بالآخر ويدل على بعد كل منهما عن الآخر مع شدة التقارب بينهما الإشارة إلى كل منهما بأداة القرب كما يجيء ويجوز أن يكون محمولاً على المقيد وهو قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝٥١﴾ [الرحمن: ١٩] ﴿هذا عذب﴾ حال بتقدير القول أي مقولاً في حقهما هذا عذب أي طيب. وبالفارسية [اين يك اب شیرين] ﴿فرات﴾ قاطع للعطش لغاية عذوبته صفة عذب والتاء أصلية.

قال الطيبي: سمي بالفرات لأنه يرفت العطش أي يكسره على القلب يعني يكفي في اعتبار معنى الكسر اشتقاق الفرات منه بالاشتقاق الكبير كجذب من الجذب ومنه سمي الفرات نهر الكوفة وهو نهر عظيم عذب طيب مخرجه من أرمينية وفي الملكوت أصله في قرية من قرى جابلقا ينحدر إلى الكوفة وآخر مصبه بعضاً في دجلة وبعضاً في بحر فارس ﴿وهذا ملح﴾ [وان ديكرشور].

قال الراغب: الملح الماء الذي تغير طعمه التغير المعروف وتجمد ويقال له ملح إذا تغير طعمه وإن لم يتجمد فيقال ماء ملح وقلما تقول العرب ماء ملح ﴿أجاج﴾ بليغ الملوحة صفة الملح قالوا: إن الله تعالى خلق ماء البحر مرّاً زعاقاً أي مرجاً غليظاً بحيث لا يطاق شربه أنزل من السماء ماء عذباً فكل ماء عذب من بئر أو نهر أو عين فمن ذلك المنزل من السماء وإذا اقتربت الساعة بعث الله ملكاً معه طست لا يعلم عظمه إلا الله فجمع تلك المياه فردّها إلى الجنة. واختلفوا في ملوحة ماء البحر فزعم قوم أنه لما طال مكثه وأحرقته الشمس صار مرّاً ملحاً واجتذب الهواء ما لطف من أجزائه فهو بقية صفته الأرض من الرطوبة فغلظ لذلك. وزعم آخرون أن في البحر عروقاً تغير ماء البحر ولذلك صار مرّاً زعاقاً. ﴿وجعل بينهما﴾ أي بين البحرين. وبالفارسية [وبساخت میان این دودریا]. ﴿برزخاً﴾ حداً وحاجزاً من قدرته غير مرئي ﴿وحجراً محجوراً﴾ الحجر بمعنى المنع والمحجور الممنوع وهو صفة الحجر على التأكيد قليل اليل ويوم أيوم وهذه كلمة استعاذة كما سبق في هذه السورة. والمعنى ههنا على التشبيه أي تنافراً بليغاً كأن كلاً منهما يتعوذ من الآخر بتلك المقالة ويقول حراماً محرماً عليك أن تغلب علي وتزيل صفتي وكيفيتي.

اعلم أن أكثر أهل التفسير حمل البحرين على بحري فارس والروم فإنهما يلتقيان في البحر المحيط وموضع التقائهما هو مجمع البحرين المذكور في الكهف ولكن يلزم على هذا أن يكون البحر الأول عذباً والثاني ملحاً مع أنهم قالوا: لا وجود للبحر العذب وذلك لأنهما في الأصل خليجان من المحيط وهو مرٌّ وإن كان أصله عذباً كما قال في «فتح القريب» عند قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] أي العذب فحين خلق الله الأرض من زبده جزر المحيط عن الأرض فأحاط بالعالم إحاطة العين لسوادها فالوجه أن يحمل العذب على واحد

من الأنهار فإن كل نهر عظيم بحر كما في «مختار الصحاح» كدجلة نهر بغداد تنصب إلى بحر فارس وتدخل فيه وتشقه وتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها كما أن الماء الذي يجري في نهر طبرية نصفه بارد ونصفه حار فلا يختلط أحدهما بالآخر والأوجه أن يمثل بالنيل المبارك والبحر الأخضر وهو بحر فارس الذي هو شعبة من البحر الهندي الذي يتصل بالبحر المحيط وبحر فارس مرفأه صرح في «خريدة العجائب» أنه يتكون فيه اللؤلؤ وإنما يتكون في الملح وذلك أن بحر النيل يدخل في البحر الأخضر قبل أن يصل إلى بحيرة الزنج ويختلط به وهو معنى المرج ولولا اختلاطه بملوحته لما قدر أحد على شربه لشدة حلاوته كما في «إنسان العيون».

وذكر بعضهم أن سيحون وجيحون والنيل والفرات تخرج من قبة من زبرجدة خضراء من جبل عال وتسلك على البحر المظلم وهي أحلى من العسل وأذكى رائحة من المسك ولكنها تتغير المجارى فالبحر الملح على هذا هو بحر الظلمة وهو البحر المحيط الغربي ويسمى المظلم لكثرة أهواله وارتفاع أمواجه وصعوبته ولا يعلم ما خلفه إلا الله تعالى وما قيل أن الماء العذب والماء الملح يجتمعان في البحر فيكون العذب أسفل والملح أعلى لا يغلب أحدهما على الآخر وهو معنى قوله وحجراً محجوراً يخالف ما قال بعضهم أن كل الأنهار تبتدىء من الجبال وتنصب في البحار وفي ضمن ممرها بطائح وبحيرات فإذا صبت في البحر المالح وأشرقت الشمس على البحر تصعد إلى الجو بخاراً وتنعقد غيوماً أي ولذا لا يزيد ماء البحار بانصباب الأنهار فيها فهو يقتضي أن يكون الماء العذب أعلى لا أسفل إذ العذب خفيف والملح ثقل ويميل الخفيف إلى الأعلى.

وقال وهب: إن الحوت والثور يتلعان ما ينصب من مياه الأرض في البحار فلذا لا يزيد ماء البحار فإذا امتلأت أجوافهما من المياه قامت القيامة ولا نهاية لقدرة الله تعالى فقد ذكروا أن بحيرة تنيس تصير عذبة ستة أشهر وتصير ملحاً أجاجاً ستة أشهر كذا دأبها أبداً.

قال الكاشفي: [محققان بر آنندكه بحرین خوف ورجاست كه دردل مؤمن هیچ يك بر دیکری غلبه نکنندکه «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا» وبرزخ حمایت الهی وعبادت متناهی] وفي «كشف الأسرار»: البحر الملح لا عذوبة فيه والعذب لا ملوحة فيه وهما في الجوهرية واحدة ولكنه سبحانه بقدرته غاير بينهما في الصفة كذلك خلق القلوب بعضها معدن اليقين والعرفان وبعضها محل الشك والكفران.

وقال بعضهم: البحران بحر المعرفة وبحر النكرة فالأول بحر الصفات يفيض لطائفة على الأرواح والقلوب والعقول ويستعد به والعارفون والثاني بحر الذات فإنه ملح أجاج لا تتناول العقول والقلوب والأرواح إذ لا تسير السيارات في بحار القدم فهي نكرة وبينهما برزخ المشيئة لا يدخل أهل بحر الصفات بحر الذات ولا يرجع أهل بحر الذات إلى بحر الصفات. وأيضاً قلوب أهل المعرفة منورة بأنوار الموافقات وقلوب أهل النكرة مظلمة بظلمة المخالفات وبينهما قلوب العامة ليس لها علم ما يرد عليها وما يصدر منها فليس معها خطاب ولا لها جواب. وفي «المثنوي»:

ما هیانرا بحر نکذارد برون خا کیانرا بحر نکذارد درون
أصل ما هي زاب وحيوان ازكلست حيله وتدبير اينجا باطلست

قفل زفتست وکشاینده خدا دست درتسلیم زن اندر رضا
قطره باقلزم چه استیزه کند ابلهست اوریش خود برمی کند
نسأل الله الفياض الوهاب أن يدخلنا في بحر فيضه الكثير وعطائه الوفير وهو على ذلك
قدير .

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۚ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۚ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ﴾ أوجد ﴿من الماء﴾ هو الماء الذي خمر به طينة آدم عليه السلام أو هو النطفة ﴿بشراً﴾ آدمياً والبشرة ظاهر الجلد كما أن الأدمة محرّكة باطنه الذي يلي اللحم وعبر عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلدة من الشعر بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر كالضأن والمعز والإبل رخص في القرآن كل موضع اعتبر من الإنسان جثته وظاهره بلفظ البشر واستوى فيه الواحد والجمع ﴿فجعله﴾ أي البشر أو الماء ﴿نسباً وصِهْرًا﴾ أي قسمه قسمين ذوي نسب أي ذكوراً ينسب إليهم فيقال فلان ابن فلان وفلانة بنت فلان .

فإنما أمهات الناس أوعية مستودعات وللاباء ابنا وذوات صهر أي إنائاً يصاهر بهن ويخالط كقوله تعالى: ﴿يَحْمِلُ يَنُ الْزَوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [القيامة: ۳۹] .

قال الإمام الراغب: النسب اشتراك من جهة الأبوين وذلك ضربان نسب بالطول كالاشتراك بين الآباء والأبناء ونسب بالعرض كالنسبة بين الإخوة وبنی العم وقيل: فلان نسيب فلان أي قریبه انتهى . والصهر زوج بنت الرجل وزوج أخته كالختن على ما في «القاموس»: وقيل غير ذلك .

وفي «تاج المصادر»: [المصاهرة: با کسی بنکاح وصلت کردن] ﴿وكان ربك قديرًا﴾ مبالغاً في القدرة حيث قدر أن يخلق من مادة واحدة بشراً ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من مادة واحدة توأمين ذكراً وأنثى .

قال في «كشف الأسرار»: [ابن سيرین گفت این آیت در مصطفی علیه السلام وعلی کرم الله وجهه فرو آمد که مصطفی دختر خویش را بزنی بعلي داد علی پسر عمش بود وشوهر دخترش هم نسب بودهم صهر وقصة تزویج فاطمة رضي الله عنها آنست که مصطفی علیه السلام روزی در مسجد آمد شاخی ریحان بدست گرفته سلمان را رضي الله عنه گفت یا سلمان رو علی را خوان سلمان رفت وكفت یا علي أجب رسول الله علی گفت یا سلمان رسول خدا را این زمان چون دیدی وچگونه اورا کذ شتی گفت یا علي سخت شادان وخندان چون ماه تابان وشمع رخشان علی آمد بنزدیک مصطفی علیه السلام ومصطفی آن شاخ ریحان فرادست علی داد عظیم خوش بوی بود گفت یا رسول الله این چه بویست بدین خوشی گفت یا علي ازان نثارهاست که حور بهشت کرده اند تزویج دخترم فاطمه گفت باکه یا رسول الله گفت باتوا یا علي من در مسجد نشسته بودم که فرشته در آمد برصفتی که هرمز چنان ندیده بودم گفت نام من محمود ست ومقام من در آسمان دنیا در مقام معلوم خود بودم ثلثی زشب ندایی شنیدم از طبقات آسمان که أي فرشتگان مقربان وروحانیان وکروبیان همه جمع شوید درآسمان چهارم

همه جمع شدند وهمچنین مکان مقعد صدق وأهل فرادیس أعلى ودرجات عدن حاضر کشتند فرمان آمدکه أي مقربان درگاه وأي خاصکیان پادشاه سورة هل أتى على الإنسان برخوانید ایشان همه بأواز دلربایی بالحن طرب افزایی سورة هل أتى خواندن گرفتند آنکه درخت طوبی را فرمان آمدتو نثارکن بر بهشتها بر تزویج فاطمة زهرا باعلی مرتضی ودرخت طوبی در بهشت هیچ قصر وغرفه ودریچه نیست که از درخت طوبی در آنجا شاخی نیست پس طوبی برخود بلر زید ودر بهشت کوهر ومرو ارید وحلها باریدن گرفت پس فرمان آمد تامنبری ازیک دانه مرو ارید سپید در زیر درخت طوبی بنهادند فرشته که نام أورا حیل است ودر هفت طبقة آسمان فرشته از وفصیحتر وکویا ترینست بآن منبر بر آمد وخدایرا جل جلاله ثنا گفت وبر پیغمبران درود داد آنکه جبار کائنات خداوند ذو الجلال قادر برکمال بی واسطه ندا کرد که أي جبرائیل وأي میکائیل شما هر دوکواه معرفت فاطمة باشید ومن که خداوندنم وای فاطمة أم وأي کروییان وأي روحانیان آسمان شما کواه باشیدکه من فاطمة زهرا بزنی بعلي مرتضی دادم آن ساعت که رب العزة این ندا کرد بری بر آمد زیر جنات عدن ابری روشن وخوش که دررن تیرکی وکرفتگی نه وبوی خوش وجواهر نثار کرد ورضوان وولدان وحور بهشت برین عقد نثار کردند پس رب العزة مرابدين بشارت بتوفیر ستاد یا محمد گفت حبیب مرا بشارت ده وباوی بکوکو ما این عقد در آسمان بستیم تونیز در زمین ببندید پس مصطفی علیه السلام مهاجر وانصار را حاضر کرد آنکه روی باعلی کرد گفت یا علي حنین حکمی در آسمان رفت اکنون من فاطمة دخترم را بچهار صد درم کابین بزنی بتودادم علی گفت یا رسول الله من پذیرفتم نگاه وی رسول گفت باریک الله فیکما].

قال في «إنسان العيون»: كان في السنة الثانية من الهجرة تزويج فاطمة لعلي رضي الله عنهما عقد عليها في رمضان وكان عمرها خمس عشرة سنة وكان سن علي يومئذ إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وأولم عليها بكبش من عند سعد وأصع من ذرة من عند جماعة من الأنصار رضي الله عنهم ولما خطبها علي قال عليه السلام: «أن علياً يخطبك فسكتت» وفي رواية قال لها: «أي بنية إن ابن عمك قد خطبك فماذا تقولين» فبكت ثم قالت: كأنك يا أبت إنما اذخرتني لفقر قريش فقال عليه السلام: «والذي بعثني بالحق ما تكلمت في هذا حتى أذن الله فيه من السماء» فقالت فاطمة: رضيت بما رضي الله ورسوله وقد كان خطبها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عليه السلام: «لكل أنتظر بها القضاء» فجاء أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إلى علي رضي الله عنه يأمرانه أن يخطبها قال علي: فنبهاني أي لأمر كنت عنه غافلاً فجثته عليه السلام فقلت: تزوجني فاطمة قال: «وعندك شيء» قال: فرسى وبدني أي درعي قال: «أما فرسك فلا بد لك منها وأما بدنك فبعها» فبعتها بأربعمائة وثمانين درهماً فجثته عليه السلام فوضعتها في حجره فقبض منها قبضة فقال: «أي بلال ابتع بها طيباً» ولما أراد أن يعقد خطب خطبة منها: «الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بوحدته الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بحكمته ثم إن الله تعالى جعل المصاهرة نسباً وصهرأ وكان ربك قديراً ثم إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي على أربعمائة مثقال فضة أرضيت يا علي» قال: رضيت بعد أن خطب علي أيضاً خطبة منها: «الحمد لله شكراً لأنعمه وأياديه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغه وترضيه» ولما تم العقد دعا عليه السلام بطبق بسر فوضعه بين يديه ثم قال

للحاضرين انتهبوا وليلة بنى بها قال عليه السلام لعلي: «لا تحدث شيئاً حتى تلقاني» فجاءت بها أم أيمن حتى قعدت في جانب البيت وعلي في جانب آخر وجاء رسول الله فقال لفاطمة: «اثنني بماء» فقامت تعثر في ثوبها من الحياء فأثنته بقعب فيه ماء فأخذه رسول الله ومج فيه ثم قال لها: «تقدمي» وتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال: اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» ثم قال: «اثنوني بماء» فقال علي رضي الله عنه: فعلمت الذي يريد فقمت وملأت القعب فأتيت به فأخذه فمج فيه وصنع بي كما صنع بفاطمة ودعا لي بما دعا لها به ثم قال: «اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في شملهما» أي الجماع وتلا قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] والمعوذتين ثم قال: «ادخل بأهلك باسم الله والبركة» وكان فراشها إهاب كبش أي جلده وكان لهما قطيفة إذا جعلها بالطول انكشفت ظهورهما وإذا جعلها بالعرض انكشفت رؤوسهما وقالت له في بعض الأيام: يا رسول الله ما لنا فراش إلا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحاً بالنهار فقال لها عليه السلام: «يا بنية اصبري فإن موسى بن عمران عليه السلام أقام مع امرأته عشر سنين ليس لهما فراش إلا عباءة قطوانية» وهي نسبة إلى قطوان موضع بالكوفة.

وفاطمة ولدتها خديجة رضي الله عنها قبل النبوة بخمس سنين ماتت بالمدينة بعد موت النبي عليه السلام بستة أشهر ولها ثمان وعشرون سنة ومناقبها كثيرة معروفة رضي الله عنها وعن أولادها واستشهد علي رضي الله عنه بالكوفة وهو ابن ثلاث وستين سنة وصلى عليه عليه الحسن ودفن ليلاً وغيب قبره بوصية منه وكان مخفياً في زمن بني أمية وصدرأ من خلافة بني العباس حتى دل عليه الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه قال عليه السلام لعلي رضي الله عنه: «يهلك فيك رجلان محب مطر وكذاب مفتر» كما في «إنسان العيون».

وفي «التأويلات النجمية»: الإشارة في الآية إلى أن الإنسان خلق مركباً من جنسين مختلفين صورته من عالم الخلق وروحه من عالم الأمر فجعل له نسباً وصهراً فنسبه إلى روحه وانتساب الروح إلى الله وإلى رسوله وانتسابه إلى الله بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [ص: ٧٢] وإلى رسوله بقوله عليه السلام: «أنا من الله والمؤمنون مني» فجعل الله خواص عباده من أهل هذا النسب وصهره بشريته التي خلقت من الماء كما قال تعالى: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي [ص: ٧١-٧٢] جمع بين الأمرين فجعل الله عوام خلقه من أهل هذا الصهر فالغالب عليهم خواص البشر وهي الحرص والشهوة والهوى والغضب فيها يرد إلى الوركات السفلية والغالب على أهل النسب خواص الروحانية وهي الشوق والمحبة والطلب والحلم والكرم وبها يجذب إلى الدرجات العلية وكان ربك قديراً على جعل الفريقين من أهل الطريقين انتهى. قال المولى الجامي قدس سره:

قرب تو باسباب وعلل نتوان يافت به سابقه فضل أزل نتوان يافت والله المرجو في كل مسؤول.

﴿ويعبدون﴾ أي المشركون حال كونهم ﴿من دون الله﴾ متجاوزين عبادة الله تعالى ﴿ما لا ينفعهم﴾ إن عبدوه مفعول يعبدون. والنفع ما يستعان به في الوصول إلى الخيرات وما يتوصل به إلى الخير فهو خير والنفع الخير وضده الضر ﴿ولا يضرهم﴾ إن لم يعبدوه وما ليس من شأنه النفع والضر أصلاً وهو الأصنام وما في حكمها من المخلوقات إذ ما من مخلوق يستقل بالنفع

والضر فلا فائدة في عبادته والاعتماد عليه واتباعه ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ﴾ بشركه وعداوته للحق ﴿عَلَى رَبِّهِ﴾ الذي ربهه بنعمته متعلق بقوله ﴿ظَهِيرًا﴾ عوناً للشيطان فالظهير بمعنى المظاهر أي المعين والمراد بالكافر الجنس أو أبو جهل فإنه أعان الشيطان على الرحمن في إظهار المعاصي والإصرار على عداوة الرسول وتشجيع الناس على محاربه ونحوها.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيَّ رِيبًا سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ في حال من الأحوال ﴿إِلَّا﴾ حال كونك ﴿مُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين بالجنة والرحمة. والتبشير إخبار فيه سرور ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذراً للكافرين بالنار والغضب. والإنذار إخبار فيه تخويف.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي على تبليغ الرسالة التي ينبيء عنها الإرسال ﴿مَنْ أَجْرٍ﴾ من جهنكم فتقولوا أنه يطلب أموالنا بما يدعونا إليه فلا تتبعه. والأجر ما يعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو آخروياً ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ﴾ إلا من فعل من يريد. ﴿أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيَّ رَبَّهُ سَبِيلًا﴾ أن يتقرب إليه ويطلب الزلفى عنده بالإيمان والطاعة حسبما أدعوكم إليه يعني إن أعطيتكم إياي أجراً فأعطوني ذلك الفعل فإني لا أسأل غيره. وبالفارسية: [مزد من إيمان وطاعت مؤمناً نست زيراً كه مرا من عند الله أجرى مقرر راست وثابت شده كه هريغمبرى را برا بر عباد وصلحاي امت أو ثواب خواهد بود] والظاهر أن الاستثناء منقطع. والمعنى لا أطلب من أموالكم جعلاً لنفسي لكن من شاء إنفاقه لوجه الله فليفعل فإني لا امنعه عنه.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ﴾ بما يتوسل به إلى من خدمة أو إنفاق أو تعظيم ﴿إِلَى رَبِّهِ﴾ قربة منزلة ولهذا قال المشايخ يصل المرید بالطاعة إلى الجنة وبالتعظيم وإجلال الشيوخ إلى الله تعالى.

وفي «الفتوحات المكية»: مذهبن أن للواعظ أخذ الأجرة على وعظ الناس وهو من أحل ما يأكل وإن كان ترك ذلك أفضل وإيضاح ذلك أن مقام الدعوة إلى الله يقتضي الإجارة فإن ما من نبي دعا إلى الله إلا قال: إن أجري إلا على الله فأثبت الأجر على الدعاء ولكن اختار أن يأخذه من الله لا من المخلوق انتهى.

وأفتى المتأخرون بصحة الأجرة للأذان والإقامة والتذكير والتدريس والحج والغزو وتعليم القرآن والفقه وقراءتهما لفتور الرغبات اليوم ولو كانت الأجرة على أمر واجب كما إذا كان المعلم والإمام والمفتي واحداً فإنها لم تصح إجماعاً كما في «الكرماني» وغيره وكذا إذا كان الغسال في القرية واحداً فإنه يتعين له غسل الميت ولا يجوز له طلب الأجرة.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْيَحْيَى الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيَحْيِي بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ ﴿٥٨﴾

﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾ في الاستكفاء عن شرورهم والإغناء عن أجورهم فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين شأنهم الموت فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وأصل التوكل أن يعلم العبد بأن الحوادث كلها صادرة من الله ولا يقدر أحد على الإيجاد غيره فيفوض أمره إلى الله فيما يحتاج إليه وهذا القدر فرض وهو من شرط الإيمان قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] وما زاد على هذا القدر من سكون

القلب وزوال الانزعاج والاضطراب فهي أحوال تلحق بالتوكل. على وجه الكمال كذا في «التأويلات النجمية».

قال الواسطي: من توكل على الله لعله غير الله فلم يتوكل على الله بل توكل على غير الله. وسئل ابن سالم: أنحن مستنون بالكسب أو التوكل؟ فقال ابن سالم: التوكل حال رسول الله ﷺ وإنما استن الكسب لضعف حالهم حين أسقطوا عن درجة التوكل الذي هو حاله فلما سقطوا عنه لم يسقطهم عن درجة طلب المعاش بالمكاسب التي هي سنة ولولا ذلك لهلكوا. يقال: عوام المتوكلين إذا أعطوا شكروا وإذا منعوا صبروا. وخواصهم إذا أعطوا آثروا وإذا منعوا شكروا.

ويقال: الحق وجود على الأولياء إذا توكلوا بتيسير السبب من حيث يحتسبون ولا يحتسبون. ويوجود على الأصفياء بسقوط الأرب وإذا لم يكن أرب فمتى يكون طلب. ويقال: التوكل أن يكون مثل الطفل لا يعرف شيئاً يأوي إليه إلا ثدي أمه كذلك المتوكل يجب أن لا يرى لنفسه مأوى إلا الله تعالى. وفي «المثنوي»:

نيسست كسبي از توكل خوبتر	جيست از تسليم خود محبوبتر
طفل تاكيرا وتاپوديانبود	مر كبش جز كردن بابا نبود
چون فضولي كشت ودست وپانمود	درعنا افتاد ودر كور وكبود
ما عيال حضريتم وشير خواه	كفت «الخلق عيال لآله»
آنكه او از آسمان باران دهد	هم تواند كو زرحمت نان دهد

﴿وسبح بحمده﴾ أي نزه تعالى عن صفات النقصان وعن كل ما يرد على الوهم والخيال حال كونك مثنياً عليه بنعوت الكمال طالباً لمزيد الإنعام بالشكر على سوابقه وفي الحديث: «من قال كل يوم: سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر» كما «فتح الرحمن» ﴿وكفى به﴾ الباء زائدة للتأكيد أي حسبك الحي الذي لا يموت وقوله ﴿بذنوب عباده﴾ ما ظهر منها وما بطن متعلق بقوله: ﴿خبيراً﴾ مطلقاً فيجزئهم جزاء وافياً فلا يحتاج معه إلى غيره.

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرٌ﴾ ﴿٦٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٦﴾.

﴿الذي خلق السموات والأرض﴾ محل الموصول الجر على أنه صفة أخرى للحي ﴿وما بينهما﴾ من الأركان والمواليد ﴿في ستة أيام﴾ في مدتها من أيام الدنيا لأنه لم يكن ثمة شمس ولا قمر وذلك مع قدرته على خلقها في أسرع لمحة ليعلم العباد أن التأني مستحب في الأمور ﴿ثم استوى على العرش﴾ أصل الاستواء الاستقرار والتساوي واعتدال الشيء في ذاته ومتى عدي بعلى اقتضى معنى الاستيلاء والغلبة كما في «المفردات» وهو المراد هنا ومعنى الاستيلاء عليه كناية عن الملك والسلطان. والمراد بيان نفاذ تصرفه فيه وفيما دونه لكنه خص العرش بالذكر لكونه أعظم الأجسام. ﴿الرحمن﴾ خبر مبتدأ محذوف أي الذي خلق الأجرام العلوية والسفلية وما بينهما هو الرحمن وهو تمهيد لما يأتي من قوله: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن﴾ وبيان أن المراد من الاستواء المذكور في الحقيقة تعيين مرتبة الرحمانية ﴿فاسأل﴾

به ﴿متعلق بما بعده وهو ﴿خبيراً﴾ كما في قوله: ﴿إِنَّكُمْ بِهِمْ رَعُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧] ونظائره أي فاسأل خبيراً بما ذكر من الخلق والاستواء يعني الذي خلق واستوى لأنه هو الخبير بأفعاله وصفاته كما قال: ﴿وَلَا يَبْنِيكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤] وقال: ﴿وَمَا يَسْأَلُكُمْ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] ومن جعل قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] عطفاً على إلا الله يكون الخبير المسؤول منه هو الراسخون في العلم وقد مر تحقيق الآية في سورة الأعراف وسورة يونس وسورة طه فارجع.

وفي «الفتوحات المكية»: لما كان الحق تعالى هو السلطان الأعظم ولا بد للسلطان من مكان يكون فيه حتى يقصد بالحاجات مع أنه تعالى لا يقبل المكان اقتضت المرتبة أن يخلق عرشاً ثم ذكر أنه استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج منه كل ذلك رحمة للعباد وتنزلاً لعقولهم ولولا ذلك لبقى العبد حائراً لا يدري أين يتوجه بقلبه وقد خلق الله تعالى القلب ذا جهة فلا يقبل إلا ما كان له جهة وقد نسب الحق تعالى لنفسه الفوقية من سماء وعرش وإحاطة بالجهات كلها بقوله: ﴿فَأَيُّكُمْ تَوَلَّوْا فَمَنْ وَجَّهَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١١٥] ويقول: ينزل ربنا إلى سماء الدنيا ويقول عليه السلام: «إن الله في قبلة أحدكم» وحاصله أن الله تعالى خلق الأمور كلها للمراتب لا للأعيان انتهى ﴿وإذا قيل لهم﴾ أي لهؤلاء المشركين ﴿اسجدوا﴾ صلوا وعبر عن الصلاة بالسجدة لأنها من أعظم أركانها ﴿لِلرَّحْمَنِ﴾ الذي برحمته أوجد الموجودات ﴿قالوا وما للرحمن﴾ أي شيء هو أو من هو لأن وضع ما أعم وهو سؤال عن المسمى بهذا الاسم لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله ولا يعرفون كونه تعالى مسمى بهذا الاسم وإن كان مذكوراً في الكتب الأولى أنه من أسماء الله تعالى أو لأنهم كانوا يعرفون كونه تعالى مسمى بهذا الاسم إلا أنهم يزعمون أنه قد يراد به غيره وهو مسيلمة الكذاب باليمامة فإنه يقال رحمن اليمامة وكان المشركون يكذبونه ولذلك غلطوا بذلك وقالوا: إن محمداً يأمرنا بعبادة رحمن اليمامة ونظيره أن المنافقين صدرت منهم كلمات وحركات في حق النبي عليه السلام بالاستهزاء والاستسغار فقال تعالى ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوشُ وَلَعَبٌ﴾ [التوبة: ٦٥] فغالطوا في الجواب عن ذلك بهاتين اللفظتين الموهمتين صدق ما كانوا فيه حتى كذبهم الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَرَسُولُهُ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥] والمغالطة هو أن المنشئ أو المتكلم يدل على معنى له مثل أو نقيض في شيء ويكون المثل أو النقيض أحسن موقعاً لإرادته الإبهام به كذا في «العقد الفريد» للعلامة ابن طلحة ﴿أنسجد لما تأمرنا﴾ بسجوده من غير أن نعرف أن المسجود له ماذا وهو استفهام إنكار أي لا نسجد للرحمن الذي تأمرنا بسجودنا له ﴿وزادهم﴾ أي الأمر بالسجود للرحمن. ﴿نفوراً﴾ عن الإيمان. والنفور الانزعاج عن الشيء والتباعد وهو نظير قوله: ﴿قَلَمَ يَذْهَبْ دُعَايَ إِلَّا فِرَاكًا﴾ [نوح: ٦] فمن جهل وجود الرحمن أو علم وجوده وفعل فعلاً أو قال قولاً لا يصدر إلا من كافر فكافر بالاتفاق كما في «فتح الرحمن» وذلك كما إذا سجد للصنم أو ألقى المصحف في المزابل أو تكلم بالكفر يكفر بلا خلاف لكونه علامة التكذيب.

وكان سفيان الثوري رحمه الله إذا قرأ هذه الآية رفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي زادني خضوعاً ما زاد أعداءك نفوراً وقال رجل لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يرزقني مرافقتك في الجنة قال: «أعني بكثرة السجود».

قال في «فتح الرحمن»: وهذا محل سجود بالاتفاق.

قال الكاشفي: [اين سجدة هفتم است بقول إمام اعظم وبقول إمام شافعي سجدة هشتم واين را در فتوحات سجدة نفور وانكار ميكو يدو ميفر ما يدكه چون مؤمن در تلاوت اين سجده كند ممتاز كردد از اهل انكار پس اين سجده را امتياز نيز توان گفت] وتكبير سجود تلاوة سنة كما في «النهاية» أو ندب كما في «الكافي» أو الثاني ركن كما في «الزاهدي» ولم يوجد أن كليهما ركن وإذا أخر عن وقت القراءة يكون قهراً كما قال أبو يوسف فهو على الفور عنده لكنه ليس على الفور عندنا فجميع العمر وقته سوى المكروه كما في كتب الأصول والفروع والتأخير ليس بمكروه. وذكر الطحاوي أنه مكروه وهو الأصح كما في «التجنيص» ذكره القهستاني في «شرحه» ثم إن قوله تعالى: ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ يدل على أن لا سجدة لغير الرحمن ولو كانت لأمرت المرأة بسجدة زوجها.

قال شمس الأئمة السرخسي: السجود لغير الله تعالى على وجه التعظيم كفر وما يفعلونه من تقبيل الأرض بين يدي العلماء فحرام. وذكر الصدر الشهيد: لا يكفر بهذا السجود لأنه يريد به التحية انتهى لكنه يلزم عليه أن لا يفعل لأنه شريعة منسوخة وهي شريعة يعقوب عليه السلام فإن السجود في ذلك الزمان كان يجري مجرى التحية كالتكرمة بالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الناشئة في التعظيم والتوقير ويدل عليه قوله تعالى في حق إخوة يوسف وأبيه ﴿وَحَرِّزُوا لَهُمْ سُبْحَانَ﴾ [يوسف: ١٠٠]. وأما الانحناء للسلطان أو لغيره فمكروه لأنه يشبه فعل اليهود كما أن تقبيل يد نفسه بعد المصافحة فعل المجوس. واختلفوا في سجود الشكر عند تجدد النعم واندفاع النقم فقال أبو حنيفة ومالك يكره فيقتصر على الحمد والشكر باللسان وخالف أبو يوسف ومحمد أبا حنيفة فقالا هي قرينة يثاب عليها وقال الشافعي وأحمد يسن وحكمه عندهما كسجود التلاوة لكنه لا يفعل في الصلاة كذا في «فتح الرحمن».

وذكر الزاهدي في «شرح القدوري» أن السجودات خمس صلواتية وهي فرض وسجدة سهو وسجدة تلاوة وهما واجبتان وسجدة نذر وهي واجبة بأن قال: لله عليّ سجدة تلاوة وإن لم يقيدها بالتلاوة لا تجب عند أبي حنيفة خلافاً لأبي يوسف وسجدة شكر ذكر الطحاوي عن أبي حنيفة أنه قال: لا أراه شيئاً.

قال أبو بكر الرازي: معناه ليس بواجب ولا مسنون بل مباح لا بدعة وعن محمد أنه كرهها قال: ولكننا نستحبها إذا أتاه ما يسره من حصول نعمة أو دفع نقمة.

قال الشافعي: فيكبر مستقبل القبلة ويسجد فيحمد الله تعالى ويشكره ويسبح ثم يكبر فيرفع رأسه أما بغير سبب فليس بقرينة ولا مكروه وأما ما يفعل عقيب الصلاة فمكروه لأن الجهال يعتقدونها سنة أو واجبة وكل مباح يؤدي إليه فمكروه انتهى والفتوى على أن سجدة الشكر جائزة بل مستحبة لا واجبة ولا مكروهة كما في «شرح المنية»:

بشكر عشق بنه جبهه دائماً برخاك كه نعمتست نخوردست ساكن افلاك

اللهم اجعلنا من المتواضعين لك في اللمع والحلك.

﴿نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ﴿١١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿١٢﴾.

﴿تبارك الذي﴾ أي تكاثر خير الفياض الذي وقد ذكر في أول هذه السورة فارجع .
قال في «برهان القرآن» خص هذا الموضع بذكر تبارك لأن ما بعده من عظام الأمور حيث ذكر البروج والسيارات والشمس والقمر والليل والنهار ولولاها ما وجد في الأرض حيوان ولا نبات ولا مثلهما ﴿جعل﴾ بقدرته الكاملة ﴿في السماء﴾ [درآسمان] ﴿بروجاً﴾ هي البروج الاثنا عشر كل برج منزلان وثلاث منزل للقمر وهي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي ثلاثون درجة للشمس وأسماء البروج الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوث فالحمل والعقرب بيتا المريخ والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والأسد بيت الشمس والقوس والحوث بيتا المشتري والجدي والدلو بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فيكون لكل واحدة منها ثلاثة بروج مثلثات الحمل والأسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدي مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوث مثلثة مائية وسميت المنازل بالبروج وهي القصور العالية لأنها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقها من التبرج لظهورها .

وقال الحسن ومجاهد وقتادة: البروج هي النجوم الكبار مثال الزهرة وسهيل والمشتري والسماك والعيوق وأشبابها سميت بروجاً لاستنارتها وحسنها وضوئها والأبرج الواسع ما بين الحاجبين ثم إن منازل القمر بأسمائها ذكرت في أوائل سورة يونس فارجع . ﴿وجعل فيها﴾ أي في البروج لا في السماء لأن البروج أقرب فعود الضمير إليها أولى وإن جاز عوده إلى السماء أيضاً ﴿سراجاً﴾ [جراغي رAKE أفتابست] .

قال الراغب: السراج الزاهر بفتيلة ويعبر به عن كل شيء مضيء والمراد به ههنا الشمس لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجاً﴾ [نوح: ١٦] شبهت الشمس والكواكب الكبار بالسراج والمصابيح كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [الملك: ٥] في الإنارة والإشراق ﴿وقمرأ﴾ بالفارسية [ماه] والهلل بعد ثلاث قمر سمي قمراً لبياضه كما في «المختار» أو لبيضاض الأرض به والأقمر الأبيض كما في «كشف الأسرار» ﴿منيراً﴾ مضيئاً بالليل .

قال في «كشف الأسرار»: [كفته اند مراد ازين آسمان آسمان قر آنست كه جملة أهل إيمان در ظل بيان وي اند هر سورتی ازان چون برجی آنجا در عالم صور سبع مباني است وانيجا در عالم سور سبع مثاني چنانكه درشب هر كه چشم برستاره داردراه زمين وى كم نشود هر كه اندرشب فتنه ازييم شك وشبهه چشم دل پرستاره آيت قرآن دارد راه دينش كم نشود] .

قال في «نفائس المجالس»: في الآية دلالة على كمال قدرته فإن هذه الأجرام العظام والنيرات من آثار قدرته .

واعلم أن الله تعالى جعل في سماء نفسك بروج حواسك وجعل فيها سراج روحك وقمر قلبك منيراً بأنوار الروحانية فعليك بالاجتهاد في تنوير وجودك وتخليص قلبك من الظلمات النفسانية لتستعد لأنوار التجليات وتتخلص من ظلمة السوي فتصل إلى المطلب الأعلى فيحصل لك البقاء بعد الفناء فتجد بعد الفقر كمال الغنى فتشاهد كمال قدرة الملك القادر هنا .

وفي «عرائس القرآن» بروج السماء مجرى الشمس والقمر وهي الحمل والنور الخ . وفي القلب بروج وهي برج الإيمان وبرج المعرفة وبرج العقل وبرج اليقين وبرج الإسلام وبرج

الإحسان وبرج التوكل وبرج الخوف وبرج الرجاء وبرج المحبة وبرج الشوق وبرج الوله فهذه اثنا عشر برجاً بها دوام صلاح القلب كما أن الاثني عشر برجاً من الحمل الخ بها صلاح الدار الفانية وأهلها وفي السماء سراج الشمس ونور القمر وفي القلب سراج الإيمان والإقرار وقمر المعرفة يتلألأ نور إيمانه ومعرفته على لسانه بالذكر وعلى عينيه بالعبرة وعلى جوارحه بالطاعة والخدمة .

وفي «التأويلات النجمية» : يشير إلى سماء القلوب وبروج المنازل والمقامات وهي اثنا عشر منزلاً التوبة والزهد والخوف والرجاء والتوكل والصبر والشكر واليقين والإخلاص والتسليم والتفويض والرضى وهي منازل سيارات الأحوال فيها شمس التجلي وقمر المشاهدة وزهرة الشوق ومشتري المحبة وعطارد الكشوف ومريخ الفناء وزحل البقاء انتهى .

هركه خواهد بجان سير بروج	آسمانرا كند چو عيسى عروج
آسما نرا طريق معراجست	دل بمعراج فلك محتاجست
چون كذر ميكنند زيرج فنا	يا بد آخر تجليات بقا
اين تجلى زسوى عرشي نه	اين تسلي زسمت فرشي نه
اين تجلى خالق الأبراج	بسراجش نديده چشم سراج

﴿وهو الذي جعل﴾ بحكمته التامة ﴿الليل والنهار خلفه﴾ الخلفة مصدر للنوع فلا يصلح أن يكون مفعولاً ثانياً لجعل ولا حالاً من مفعوله فلا بد من تقدير المضاف ويستعمل بمعنى كان خليفته أو بمعنى جاء بعده فالمعنى على الأول جعلهما ذوي خلفه يخلف كل واحد منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه فمن فرط في عمل أحدهما قضاه في الآخر فيكون توسعة على العباد في نوافل العبادات والطاعات ويؤيده ما قال عليه السلام لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد فاتته قراءة القرآن بالليل : «يا ابن الخطاب لقد انزل الله تعالى فيك آية وهو الذي الخ ما فاتك من النوافل بالليل فاقضه في نهارك وما فاتك في النهار فاقضه في الليل» وعلى الثاني جعلهما ذوي اعتقاب يجيء الليل ويذهب النهار ويجيء النهار ويذهب الليل ولم يجعل نهاراً لا ليل له وليلاً لا نهار له ليعلم الناس عدد السنين والحساب وليكون للانتشار في المعاش وقت معلوم وللإستقرار والاستراحة وقت معلوم . ففي الآية تذكير لنعمته وتنبيه على كمال حكمته وقدرته . ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ أن يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم أن لا بد له من صانع حكيم واجب بالذات رحيم على العباد فالمراد بمن هو الكافر ثم أشار إلى المؤمن بقوله : ﴿أو أراد شكوراً﴾ بضم الشين مصدر بمعنى الشكر أي أن يشكر الله بطاعته على ما فيها من النعم فتكون أو على حالها ويجوز أن تكون بمعنى الواو فالمعنى جعلناهما خلفه ليكونا وقتين للذاكرين والشاكرين من فاته ورده في أحدهما تداركه في الآخر ووجه التعبير بأو التنبيه على استقلال كل واحد منهما بكونه مطلوباً من الجعل المذكور ولو عطف بالواو لتوهم أن المطلوب مجموع الأمرين .

قال الإمام الراغب : الشكر تصور النعمة وإظهارها قيل : هو مقلوب عن الكشر أي الكشف ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها وقيل : أصله من عين شكرى أي ممتلئة والشكر على هذا هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه والشكر على ثلاثة أضرب شكر بالقلب وهو تصور النعمة وشكر باللسان وهو الثناء على النعمة وشكر بسائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقها .

عطايست هر موى از و بر تنم چه كونه بهر موى شكرى كنم
اعلم أن الآية الكريمة إشارة إلى أن ورد النفل لا يقضى إذا فات لكن على طريق
الاستحباب لا على طريق الوجوب وذلك أن دوام الورد سبب لدوام الوارد ودوام الوارد سبب
للوصله ألا ترى أن النهر إنما يصل إلى البحر بسبب إمداد الأمطار والثلوج التي في الجبال فلو
انقطع المدد فقد المرام كما قال الصائب:

از زاهدان خشك رسايي طمع مدار سيل ضعيف واصل دريا نميشود
ولذا أكب العباد والسلاك على الأوراد في الليل والنهار وجعلوها على أنفسهم بمنزلة
الواجبات ولذا لو فات عنهم ورد الليل قضوه في النهار ولو فات عنهم ورد النهار قضوه في
الليل يعني أتوا ببده مما كان مثلاً له حتى لا ينقطعوا دون السبيل فمن عرف الطريق إلى الله لا
يرجع أبداً ولو رجع عذب في الدارين بما لم يعذب به أحد من العالمين فعليك بالورد صباحاً
ومساء فإنه من ديدن السلف الصالحين وإياك والغفلة عنه فإنها من دأب من بال على أذنه
الشيطان من الفاسقين.

وعن الشيخ أبي بكر الضرير رضي الله عنه قال: كان في جوارى شاب حسن الوجه
يصوم بالنهار ولا يفطر ويقوم الليل ولا ينام فجاءني يوماً وقال: يا أستاذ إنني نمت عن وردي
الليل فرأيت كأن محرابي قد انشق وكأنني بجوار قد خرجت من المحراب لم أر أحسن وجهاً
منهن وإذا واحدة فيهن شوهاء أي قبيحة لم أر أقبح منها منظرًا فقلت: لمن أنتن ولمن هذه؟
فقلن: نحن لياليك التي مضين وهذه ليلة نومك فلو مت في ليلتك هذه لكانت هذه حظك ثم
أنشأت الشوهاء تقول:

اسأل لمولاك وارددني إلى حالي فأنت قبحتني من بين أشكالي
لا ترقذن الليالي ما حييت فإن نمت الليالي فهن الدهر أمثالي
فأجابتها جارية من الحسان:

نحن الليالي اللواتي كنت تسهرها تتلو القرآن بترجيع ورنات
نحن الحسان اللواتي كنت تخطبنا جوف الظلام بأنات وزفرات

قال: ثم شفق شهقة خرميتاً ذكره الإمام الياضي في «روض الرياحين». وروي: أن
إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال يحيى: يا
إبليس ما هذه المعاليق التي أرى عليك قال هذه الشهوات التي أصيب بهن ابن آدم قال: فهل
لي فيها من شيء قال: ربما شبعث فثقلناك عن الصلاة والذكر قال يحيى: هل غير ذلك قال:
لا والله قال: الله عليّ أن لا املأ بطني من طعام أبداً قال إبليس: والله على أن لا أنصح مسلماً
أبداً كذا في «آكام المرجان».

واحتضر عابد فقال: ما تأسفي علي دار أحزان والخطايا والذنوب وإنما تأسفي على ليلة
نمتها ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله فمن وجد الفرصة فليسارع وبقية العمر ليس
لها ثمن.

أي كه پنجاه رفت ودر خوابی مکر این پنج روز دریابی
خواب نوشین بامداد رحیل باز دارد پیاده را زسبیل
[كفته اند ایزد تعالی فلک را آفرید ومدت دوروی دو قسم کردانید يك قسم ازان شب

دیجور نهاده که اندران وقت روی زمین بسان قیرشود و قسم دیگر روز بانور نهاده که روی زمین بسان کافور شود از روی اشارب میگوید ای کسانی اندر روشنایی روز دولت آرام دارید ایمن مباشد که شب محنت بر اثرست وای کسانی که اندر تاریکی شب محنت بی آرام بوده آید نوید مباشد که روشنایی روز دولت بر اثرست].

أي دل صبور باش ومخور غم که عاقبت این شام صبح کردواین شب سحر شود نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهل اليقظة والشهود الواصلين إلى مطالعة الجمال في كل مشهود ونعوذ به من البقاء في ظلمة الوجود والحرمان من فيض الجود إنه رحيم ودود.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝﴾

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ دون عباد الدنيا والشيطان والنفس والهوى فإنهم وإن كانوا عباداً بالإيجاد لكنهم ليسوا بأهل لإضافة التشريف والتفضيل من حيث عدم اتصافهم بالصفات الآتية التي هي آثار رحمته تعالى الخاصة المفاضة على خواص العباد. والمعنى عبادته المقبولون وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾ المشي الانتقال من مكان إلى مكان بإرادة ﴿عَلَى الْأَرْضِ﴾ التي هي غاية في الطمأنينة والسكون والتحمل حال كونهم ﴿هَوْنًا﴾ هو السكينة والوقار كما في «القاموس» وتذلل الإنسان في نفسه بما لا يلحق به غضاضة كما في «المفردات» وهين لين وقد يخففان ساكن متتد ملائم رقيق أي هينين لينى الجانب من غير فظاظة أو يمشون مشياً هيناً مصدر وصف به. والمعنى أنهم يمشون بسكينة وتواضع لا بفخر وفرح ورياء وتجبر وذلك لما طالعوا من عظمة الحق وهيبته وشاهدوا من كبريائه وجلاله فخشعت لذلك ارواحهم وخضعت نفوسهم وأبدانهم وفي الحديث: «المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ» وفي «الصحيح» أنف البعير اشتكى أنفه من البرة فهو أنف ككتف، وفي الحديث: «المؤمن كالجمل إن قيد انقاد وإن استنيخ على صخرة استناخ» وذلك للوجع الذي به فهو ذلول منقاد. قوله قيد مجهول قاد والقود نقيض السوق فهو من إمام وذلك من خلف. والانقياد [كشيده شدن وكردن نهادن] يقال: أنخت الجمل فاستناخ أي أبركته فبرك.

قال الشيخ سعدي:

فروتن بود هو شمنند كزين
چوسيل اندر آمد بهول ونهيب
چوشبنم بيفتاد مسكين وخرد
بمهر آسمانش بعيوق برد

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ الجهل خلو النفس من العلم واعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه وفعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً كما يترك الصلاة عمداً وعلى ذلك قوله: ﴿الَّتِي تَخَذُ هُزُؤًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] فجعل فعل الهزؤ جهلاً. والمعنى وإذا كلمهم السفهاء مواجهة بالكلام القبيح. ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أي نطلب منكم السلامة فيكون منصوباً باضمار فعل كما في «المفردات» أو إنا سلمنا من إثمكم وأنتم سلمتم من شرنا كما في «إحياء العلوم».

وقال بعضهم: سلاماً مصدر فعل محذوف أقيم مقام التسلم أي قالوا: نتسلم منكم تسلاً

أي لا نجاهلكم. والمجاهلة [باكسى سفاهت كردن] ولا تخالط بشيء من أموركم وهو الجهل وما يبتنى على خفة العقل فلا خير بيننا وبينكم ولا شر بل متاركة. بالفارسية [جفاى يكديكر بكذاشتن] وأكثر المفسرين على أن السلام ليس عين عبارتهم بل صفة المصدر محذوف. والمعنى قالوا قولاً سلاماً أي سداداً يسلمون فيه من الأذى والإثم [مراد ترك تعرض سفهاست واعراض ازمكالمه ومجادلة ايشان] كما قال المحقق الرومي:

اكر كويند زراقى وسالوس بكوهستم دوصد چندان وميرو
وكر ازخشم دشنامى دهندت دعا كن خوش دل وخندان وميرو
قال الشيخ سعدى قدس سره:

يكى بربطى دريغل داشت مست بشب درسر پارسايى شكست
چو روز آمد آن نيك مرد سليم بر سنك دل بريك مشت سيم
كه دوشينه معذور بودى ومست ترا ومرا بربط وسر شكست
مرا به شد آن زخم وبرخاست بم ترا به نخواهد شد اليبسيم
اذان دوستان خدا بر سرنند كه از خلق بسيار بر خرخوردند

ثم إن قوله: (وإذا) بيان لحالهم في المعاملة مع غيرهم أثر بيان حالهم في أنفسهم.

وهذه الآية محكمة عند أكثرهم لأن الحلم عن السفه مندوب إليه والإغضاء عن الجاهل أمر مستحسن في الأدب والمروءة والشرعية وأسلم للعرض وأوفق للورع وفي الحديث: «إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل؟ فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعاً إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون: إنا نراكم سراعاً إلى الجنة فيقولون: نحن أهل الفضل فيقولون: ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا غفرنا وإذا جهل علينا حملنا فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين» وفي الحديث: «رأيت قوماً من أمتي ما خلقوا بعد وسيكونون فيما بعد اليوم أحبهم ويحبونني يتناصحون ويتبادلون ويمشون بنور الله في الناس رويداً في خفية وتقية يسلمون من الناس ويسلم الناس منهم بصبرهم وحلمهم قلوبهم بذكر الله تطمئن ومساجدهم بصلاتهم يعمرن يرحمون صغيروهم ويجلون كبيرهم ويتواسون بينهم يعود غنيهم على فقيرهم يعودون مرضاهم ويتبعون جنازهم» فقال رجل من القوم: في ذلك يرفقون فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: «كلا إنه لا رفيق لهم هم خدام أنفسهم هم أكرم على الله من أن يوسع عليهم لهوان الدنيا عند ربهم ثم تلا عليه السلام وعباد الرحمن» الآية.

وقال بعضهم في صفة عباد الرحمن: العبادة حليتهم والفقر كرامتهم وطاعة الله حلاوتهم وحب الله لذتهم وإلى الله حاجتهم والتقوى زادهم والهدى مركبهم والقرآن حديثهم والذكر زينتهم والقناعة مالهم والعبادة كسبهم والشيطان عدوهم والحق حارسهم والنهار عبرتهم والليل فكرتهم والحياة مرحلتهم والموت منزلهم والقبر حصنهم والفردوس مسكنهم والنظر إلى رب العالمين منيتهم.

اعلم أن عباد الله كثير فمنهم عبد الرحمن ومنهم عبد الرزاق ومنهم عبد الوهاب إلى غير ذلك ولكن لا يكون المرء بمجرد الاسم عبداً حقيقة لا عبد الله ولا نحوه وذلك لأن عبد الله هو الذي تجلى بجميع أسمائه تعالى فلا يكون في عباده أرفع مقاماً وأعلى شأناً منه لتحقيقه بالاسم الأعظم واتصافه بجميع صفاته ولذا خص نبينا عليه السلام بهذه الاسم في قوله: ﴿وَأَنْتُمْ

لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴿١٩﴾ [الجن: ١٩] فلم يكن هذا الاسم بالحقيقة إلا له وللأقطاب من ورثته بتبعيته. وعبد الرحمن هو مظهر الاسم الرحمن فهو رحمة العالمين جميعها بحيث لا يخرج أحد من رحمته بحسب قابليته واستعداده. وعبد الرحيم هو مظهر الاسم الرحيم وهو يختص رحمته بمن اتقى وأصلح ورضي الله عنه وينتقم ممن غضب الله عليه. وعبد الرزاق هو الذي وسع الله له رزقه فيؤثر به على العباد. وعبد الوهاب هو الذي تجلى له الحق باسم الجود فيهب ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي بلا عوض ولا غرض ويمد أهل عنايته تعالى بالإمداد جعلنا الله وإياكم من المتحققين بأسمائه الحسنى إنه المطلب الأعلى والمقصد الأسنى.

﴿والذين يبيتون﴾ عطف على الموصوف الأول والبيتوتة خلاف الظلول وهي أن يدركك الليل نمت أو لم تنم ولذلك يقال: بات فلان قلقاً أي مضطرباً. والمعنى [بالفارسية عباد الرحمن أنا نندكه شب بروزمى آرند]. ﴿لربهم﴾ لالخط أنفسهم وهو متعلق بما بعده والتقديم للتخصيص مع مراعاة الفاصلة. ﴿سجداً﴾ جمع ساجد أي حال كونهم ساجدين على وجوههم. ﴿وقياماً﴾ جمع قائم مثل نيام ونائم أو مصدر أجري مجراه أي قائمين على أقدامهم وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل وليعلم أن القيام في الصلاة مقدم مع أن السجدة أحق بالتقديم لما ورد: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» والكفرة عنها يستكبرون حتى قال بعضهم منهم لا أفعلها لأنني لا أحب أن تعلق رأسي استي. والمعنى يكونون ساجدين لربهم وقائمين أي يحبون الليل كلاً أو بعضاً بالصلاة كما قال تعالى في حق المتقين ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ﴾ [الذاريات: ١٧] وتخصيص البيتوتة لأن العبادة بالليل أشق وأبعد من الرياء وهو بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم ووصف ليلهم بعد وصف نهارهم.

وقد اشتهر بقيام الليل كله وصلاة الغداة بوضوء العشاء الأخيرة سعيد بن المسيب وفضيل بن عياض وأبو سليمان الداراني وحبيب العجمي ومالك بن دينار ورابعة العدوية وغيرهم.

قال في «التأويلات النجمية»: يبيتون لربهم ساجدين ويصبحون واجدين فوجود صباحهم ثمرات سجود رواحهم كما في الخبر: «من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» أي: عظم ماء وجهه عند الله وأحسن الأشياء ظاهر بالسجود محسن وباطن بالوجود مزين.

وكانت حفصة بنت سيرين أخت محمد بن سيرين تقرأ كل ليلة نصف القرآن تقوم به في الصلاة وكانت تقوم في مصلاها بالليل فربما طفئ المصباح فيضيء لها البيت حتى تصبح وكانت من عابدات أهل البصرة وكان أخوها ابن سيرين إذا أشكل عليه شيء من القرآن قال: اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ وكانت تقول يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فإنني ما رأيت العمل إلا في الشباب.

وكانت رابعة العدوية تصلي الليل كله فإذا قرب الفجر نامت نومة خفيفة ثم تقوم وتقول: يا نفس كم تنامين وكم تقومين يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا صبيحة يوم النشور فكان هذا دأبها حتى ماتت، وفي الخبر: «قم من الليل ولو قدر حلب شاة» ومن حرم قيام الليل كسلاً وفتوراً في العزيمة أو تهاوناً بقلّة الاعتداد بذلك أو اغتراراً بحاله فليبك عليه فقد قطع عليه طريق كثير من الخير. والذي يخل بقيام الليل كثرة الاهتمام بأمور الدنيا وكثرة أشغال الدنيا وإتاعاب الجوارح والامتلاء من الطعام وكثرة الحديث واللهو واللغو وإهمال القيلولة

والموفق من يغتنم وقته ويعرف داءه ودواءه ولا يهمل فيهمل.

يقول الفقير قواه الله التقدير على فعل الخير الكثير.

إن قلت: ما تقول في قوله عليه السلام: «من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة» الخ فإنه يرفع مؤونة قيام الليل.

قلت: هذا ترغيب في الجماعة وبيان للرخصة وتأثير النية فإن من نوى وقت العشاء أن يقيم الفجر بجماعة كان كمن انتظرها في المسجد فرب همة عالية تسبق الأقدام ولكن العمل مع النية أفضل من النية المجردة والعزيمة فوق الرخصة.

قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: يحتاج العبد إلى السنن الرواتب لتكميل الفرائض ويحتاج إلى النوافل لتكميل السنن ويحتاج إلى الآداب لتكميل النوافل ومن الأدب ترك الدنيا.

وقد اختلفوا في أن طول القيام أفضل أو كثرة السجود والركوع.

قال في «الدرر»: طول القيام أولى من كثرة السجود لقوله عليه السلام: «أفضل الصلوات طول القنوت» أي القيام ولأن القراءة تكثر بطول القيام وبكثرة الركوع والسجود يكثر التسبيح والقراءة أفضل منه انتهى.

وقال بعضهم بأفضلية الثاني [ابن عمر يكي را دید که در نماز قیام دراز داشت گفت اگر من اورا شنا ختمی بکثرة روع وسجود فرمودی که از رسول خدا شنیدم عليه السلام که گفت] «أن العبد إذا قام يصلي أتى بذنوبه فجعلت على رأسه وعاتقيه كلما ركع أو سجد تساقطت عنه».

وقال معدان بن طلحة: لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني بعمل يدخلني الله به الجنة فقال: سألت عن ذلك رسول الله فقال: «عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها حطية».

واعلم أن الأصل في كل عمل هو تحقيق النية وتصحيح الإخلاص.

مشايخ همه شب دعا خوانده اند سحرکه مصلی برافشانده اند

کسی کو بتابد زمحراب روی بکفرش کواهی دهند أهل کوی

توهم پشت بر قبله در نماز کرت در خدانیست روی نیاز

وجهنا الله وإياكم إلى وجهه.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (٦٥) ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (٦٦).

﴿والذين يقولون﴾ أي في أعقاب صلواتهم أو في عامة أوقاتهم ﴿ربنا﴾ [أي پروردگار ما] ﴿اصرف عنا﴾ صرفه رده ﴿عذاب جهنم﴾ العذاب الإيجاع الشديد. ﴿إن عذابها كان غراماً﴾ أي: شراً دائماً وهلاكاً لازماً غير مفارق لمن عذب به من الكفار.

قال الراغب: مأخوذ من قولهم: هو مغرم بالنساء أي يلزمهن ملازمة الغريم أي ملازمة من له الدين لغريمه أي من عليه الدين فكلاهما غريم.

قال محمد بن كعب: إن الله تعالى سأل الكفار ثمن نعمته فلم يؤدوها إليه فأغرقهم

فأدخلهم النار. ﴿إنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾ تحليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في أنفسها أثر تحليله بسوء حال عذابها فهو من تمام كلامهم والضمير في ساءت لا يعود إلى اسم إن وهو جهنم ولا إلى شيء آخر بعينه بل هو ضمير مبهم يفسره ما بعده من التمييز وهو مستقراً ومقاماً وذلك لأن فاعل أفعال الذم يجب أن يكون معرفاً باللام أو مضافاً إلى المعرف به أو مضمراً مميزاً بنكرة منصوبة. والمعنى بثست موضع قرار وإقامة هي أي جهنم. وبالفارسية [بتحقيق دوزخ بد آرامگاهست وبد جای بودنی].

وفي الآية إيذان بأنهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق خائفون من العذاب متضرعون إلى الله في صرفه عنهم. يعني يجتهدون غاية الجهد ويستفرغون نهاية الوسع ثم عند السؤال ينزلون منزلة العصاة ويقفون موقف أهل الاعتذار ويخاطبون بلسان التذلل كما قيل:

وما رمت الدخول عليه حتى حلت محلة العبد الذليل
وذلك لعدم اعتدادهم بأعمالهم ووثوقهم على استمرار أحوالهم كقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا
آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]: قال الشيخ سعدى قدس سره.
طريقت همينست كاهل يقين نكوکار بودند و تقصير بين
وقال:

بنده همان به که ز تقصير خویش عذر بدرگاه خدای آورد
ورنه سراوار خدا ونديش کس نتواند که بجای آورد
قال ابن نجيد: لا يصف لأحد قدم في العبودية حتى يكون أفعاله عنده كلها رياء وأحواله كلها دعاوى.

وقال النهرجوري: من علامة من تولاه الله في أعماله أن يشهد التقصير في إخلاصه والغفلة في أذكاره والنقصان في صدقه والفتور في مجاهدته وقلة المراعاة في فقره فيكون جميع أحواله عنده غير مرضية ويزداد فقراً إلى الله تعالى في فقره وسيره حتى يفنى عن كل ما دونه. ودلت الآية على الدعاء مطلقاً خصوصاً في أعقاب الصلوات وهو مخ العبادة فليدع المصلي مفرداً وفي الجماعة إماماً كان أو مأموماً وليقل: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي وأقل عثراتي اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفد وقرة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد اللهم ألبس وجوهنا منك الحياء واملأ قلوبنا بك فرحاً وأسكن في نفوسنا عظمتك وذلك جوارض لخدمتك واجعلك أحب إلينا مما سواك، اللهم افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله اللهم اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيراً واغفر لأعمامنا وعماتنا وأخواننا وخالاتنا وأزواجنا وذرياتنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات يا أرحم الراحمين يا خير الغافرين» وغير ذلك مما هو مذكور في «عوارف المعارف» نقلاً عن «قوت القلوب» للإمام المكي.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (٧)

﴿والذين إذا أنفقوا نفق الشيء إذا مضى ونفذ إما بالبيع نحو نفق المبيع نفاقاً وإما

بالموت نحو نفقت الدابة نفوقاً وإما بالفناء نحو نفقت الدراهم وأنفقتها. ﴿لم يسرفوا﴾ لم يجاوزوا حد الكرم ﴿ولم يفتروا﴾ ولم يضيّقوا تضيق الشحيح فإن القتر والإقتر والتقتير هو التضيق الذي هو ضد الإسراف والإسراف مجاوزة الحد في النفقة. ﴿وكان﴾ الإنفاق المدلول عليه بقوله أنفقوا ﴿بين ذلك﴾ أي بين ما ذكر من الإسراف والتقتير وهو خبر كان، وقوله: ﴿قواماً﴾ خبر بعد خبر أو هو الخبر وبين ذلك ظرف لغو لكان على رأي من يرى أعمالها في الظرف. والمعنى وسطاً عدلاً سمي به لاستقامة الطرفين واعتدالهما بحيث لا ترجح لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه لكونه وسطاً بينهما كمركز الدائرة فإنه يكون نسبة جميع الدائرة إليه على السواء ونظير القوام السواء فإنه سمي به لاستواء الطرفين فالآية نظير قوله تعالى في سورة الإسراء ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

وسط را مکن هرگز از کف رها که خیر الأمور ست أوساطها

وتحقيق المقام الإنفاق ضربان محمود ومذموم.

فالمحمود منه ما يكسب صاحبه العدالة وهو بذل ما أوجبت الشريعة بذله كالصدقة المفروضة والإنفاق على العيال ولذا قال الحسن: ما أنفق الرجل على أهله في غير إسراف ولا فساد ولا إقتار فهو في سبيل الله ومنه ما يكسب صاحبه أجراً وهو الإنفاق على من ألزمت الشريعة إنفاقه عليه ومنه ما يكسب له الحرية وهو بذل ما نذبت الشريعة إلى بذله فهذا يكتسب من الناس شكراً ومن ولي النعمة أجراً.

والمذموم ضربان إفراط وهو التبذير والإسراف وتفريط وهو الإمساك والتقتير وكلاهما يراعى فيه الكمية والكيفية فالتبذير من جهة الكمية أن يعطي أكثر ما يحتمله حاله ومن حيث الكيفية أن يضعه في غير موضعه والاعتبار فيه بالكيفية أكثر من الكمية فرب منفق درهماً من ألوف وهو في إنفاقه مسرف وببذله ظالم مفسد كمن أعطى فاجرة درهماً أو اشترى خمرأ ورب منفق ألوفاً لا يملك غيرها هو فيه مقتصد وبذله محمود كما روي في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث أنفق جميع ماله في غزوة تبوك ولما قال له رسول الله ﷺ: «ماذا أبقيت لأهلك يا أبا بكر» قال: الله ورسوله.

وقد قيل لحكيم: متى يكون بذلك القليل إسرافاً والكثير اقتصاداً؟ قال: إذا كان بذل القليل في باطل وبذل الكثير في حق ومن هذا الباب ما قال مجاهد في الآية: لو كان لرجل مثل أبي قبيس ذهباً فأنفق في طاعة الله لم يكن مسرفاً ولو أنفق درهماً في معصية الله كان مسرفاً والتقتير من جهة الكمية أن ينفق دون ما يحتمله حاله ومن جهة الكيفية أن يمنع من حيث يجب وينفق حيث لا يجب والتبذير عند الناس أحمد لأنه جود لكنه أكثر مما يجب والتقتير بخل والجود على كل حال أحمد من البخل لأن رجوع المبدّر إلى السخاء سهل وارتقاء البخل إليه صعب وأن المبدّر قد ينفع غيره وإن أضر بنفسه والمقتّر لا ينفع نفسه ولا غيره على أن التبذير في الحقيقة هو من وجه أقبح إذ لا إسراف إلا وفي جنبه حق يضيع ولأن التبذير يؤدي صاحبه إلى أن يظلم غيره ولذا قيل: الشحيح أعذر من الظالم ولأنه جهل بقدر المال الذي هو سبب استبقاء النفس والجهل رأس كل شر والمتلاف ظالم من وجهين لأخذه من غير موضعه ووضعه في غير موضعه.

قال يزيد بن حبيب في هذه الآية أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا لا يأكلون طعاماً للتنعم واللذة ولا يلبسون ثياباً للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسدّ عنهم الجوع ويقويههم على عبادة ربهم ومن الثياب ما يستر عوراتهم ويكنهم عن الحر والقرّ وفي الحديث: «ليس لابن آدم حق فيما سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يوارى عورته وجلف الخبز والماء» يعني: كسر الخبز واحداً جرة بالكسر.

وقال عمر رضي الله عنه: كفى سرفاً أن لا يشتهي الرجل شيئاً إلا اشتراه فأكله.

اكرچه باشد مرادف خوری ز دوران بسی نامرادی بری
دریغ آدمی زاده پر محل كه باشد چو انعام بل هم أضل
قال الحافظ:

خواب و خورت زمربته خویش دور کرد

آنكه رسی بخویش كه بی خواب و خورشوی

ثم إن الإسراف ليس متعلقاً بالمال بل بكل شيء وضع في غير موضعه اللائق به ألا ترى أن الله تعالى وصف قوم لوط بالإسراف لوضعهم البذر في غير المحرث فقال: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ۸۱] ووصف فرعون بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ۳۱] فالتكبر لغير المتكبر إسراف مذموم وللمتكبر اقتصاد محمود وعلى هذا فقس.

وفي الآية إشارة إلى أهل الله الباذلين عليه الوجود. ﴿إِذَا أَنْفَقُوا﴾ وجودهم في ذات الله وصفاته لم يسرفوا أي لم يبالغوا في المجاهدة والريضة حتى يهلكوا أنفسهم بالكلية كما قال: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ۱۹۵] ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ في بذل الوجود بأن لا يجاهدوا أنفسهم في ترك هواها وشهواتها كما أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال: «أنذر قومك من أكل الشهوات فإن القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عني» ﴿وكان بين ذلك قواماً﴾ بحيث لا يهلك نفسه بفرط المجاهدة ولا يفسد قلبه بتركها وتتبع الشهوات كما في «التأويلات النجمية».

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخَلَّدْ فِيهِ مُهْكًا﴾ ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿والذين لا يدعون﴾ لا يعبدون ﴿مع الله إلهاً آخر﴾ كالصنم أي لا يجعلونه شريكاً له تعالى.

يقال: الشرك ثلاثة: أولها أن يعبد غيره تعالى، والثاني: أن يطيع مخلوقاً بما يأمره من المعصية، والثالث: أن يعمل لغير وجه الله فالأول كفر والآخران معصية.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني لا يرفعون حوائجهم إلى الأغيار ولا يتوهمون منهم المسار والمضار وأيضاً لا يشربون أعمالهم بالرياء والسمعة ولا يطلبون مع الله مطلوباً ولا يحبون معه محبوباً بل يطلبون الله من الله ويحبونه به. قال الصائب.

غير حق را می دهی ره در حریم دل چرا میکشی بر صفحه هستی خط باطل چرا

﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله﴾ أي حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه مبالغة في التحريم والمراد نفس المؤمن والمعاهد ﴿إلا بالحق﴾ المبيح لقتلها أي لا يقتلون بها سبب من الأسباب إلا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها كما إذا قتل أحداً فيقتص به أو زنى وهو محصن فيرجم أو ارتد أو سعى في الأرض بالفساد فيقتل ﴿ولا يزنون﴾ الزنى وطء المرأة من غير عقد شرعي .

واعلم أن الله تعالى نفى عن خواص العباد أمهات المعاصي من عبادة الغير وقتل النفس المحرمة والزنى بعدما أثبت لهم أصول الطاعات من التواضع ومقابلة القبيح بالجميل وإحياء الليل والدعاء والإنفاق العدل وذلك إظهار لكمال إيمانهم فإنه إنما يكمل بالتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل وإشعاراً بأن الأجر المذكور فيما بعد موعود للجامع بين ذلك وتعريضاً للكفرة بأضداده أي وعباد الرحمن الذين لا يفعلون شيئاً من هذه الكبائر التي جمعتهم الكفرة حيث كانوا مع إشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جملتها المؤودة مكين على الزنى إذ كان عندهم مباحاً .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال : «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قال : قلت : ثم أي قال : «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك» قال : ثم أي قال أن تزني بحليلة جارك» .

وفي «التأويلات النجمية» : ﴿ولا يزنون﴾ أي لا يتصرفون في عجوز الدنيا بشهوة نفسانية حيوانية بل يكون تصرفهم فيها لله وفي الله وبالله أي بخلاف حال العامة ﴿ومن﴾ [هركه] ﴿يفعل ذلك﴾ شيئاً مما ذكر من الأفعال كما هو دأب الكفرة ﴿يلق أثاماً﴾ هو جزاء الإثم والعقوبة كالوبال والنكال وزناً ومعنى . وبالفارسية [به بيند جزای بزه كاری خود] تقول أثم الرجل بالكسر أذنب وأثمه جازاه .

قال في «القاموس» : هو كسحاب واد في جهنم والعقوبة وفي الحديث : «الغي والأثام بئران يسيل فيهما صديد أهل النار» .

﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة﴾ [المضاعفة : افزون كردن يعني يك دو كردن] كما قال الراغب : الضعف تركب قدرين متساويين يقال : أضعفت الشيء وضعفته وضاعفته ضمنت إليه مثله فصاعداً والجملة بدل من يلق لاتحادهما في المعنى أي يتزايد عذابه وقتاً بعد وقت وذلك لانضمام المعاصي إلى الكفر .

وفي «التأويلات النجمية» : أي يكون معذباً بعذابين عذاب دركات النيران وعذاب فرجات درجات الجنان وقربات الرحمن ﴿ويخلد﴾ [وجاويد ماند] ﴿فيه﴾ أي : في ذلك العذاب حال كونه ﴿مهاناً﴾ ذليلاً محتقراً جامعاً للعذاب الجسماني والروحاني لا يغاث . وبالفارسية [خوار وبی اعتبار] قرأ ابن كثير وحفص فيهي مهاناً بإشباع كسرة الهاء وجعلها بالياء في الوصل وذلك للتنبيه على العذاب المضاعف ليحصل التيقظ والامتناع عن سببه .

﴿إلا من تاب﴾ من الشرك والقتل والزنى ﴿وآمن﴾ وصدق بوحداية الله تعالى . ﴿وعمل عملاً صالحاً﴾ [وبكند كردار شايسته برآی تكميل إيمان] ذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغاييرته للأعمال السابقة والاستثناء لأنه من الجنس لأن المقصود الإخبار بأن من فعل ذلك فإنه يحل به ما ذكر إلا أن يتوب . وأما

إصابة أصل العذاب وعدمها فلا تعرض لها في الآية. ﴿فَأُولَئِكَ﴾ الموصوفون بالتوبة والإيمان والعمل الصالح. وبالفارسية [پس آن گروه] «يبدل الله سيئاتهم» التي عملوها في الدنيا في الإسلام ﴿حَسَنَاتٌ﴾ يوم القيامة وذلك بأن يثبت له بدل كل سيئة حسنة وبدل كل عقاب ثواباً. قال الراغب: التبديل جعل الشيء مكان آخر وهو أعم من العوض فإن العوض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول والتبديل يقال للتغيير وإن لم تأت ببذله.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال عليه السلام: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها فيقال: عملت يوم كذا وكذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من الكبائر فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول: إن لي ذنباً ما أراها ههنا، قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه» ثم تلا ﴿فَأُولَئِكَ﴾ الخ. قال الزجاج: ليس أن السيئة بعينها تصير حسنة ولكن التأويل أن السيئة تمحى بالتوبة وتكتب الحسنة مع التوبة انتهى.

قال المولى الجامي ﴿فَأُولَئِكَ يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ يعني في الحكم فإن الأعيان نفسها لا تبدل ولكن تنقلب أحكامها انتهى كلامه في «شرح الفصوص». وقال حضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره في «شرح الأربعين حديثاً» «الطاعات كلها مطهرات» فتارة بطريق المحو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتٍ﴾ [هود: ١١٤] ويقول عليه السلام: «أتبع الحسنة تمحها» وتارة بطريق التبديل المشار إليه بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ الخ فالمحو المذكور عبارة عن حقيقة العفو والتبديل من مقام المغفرة وإن تنبّهت لما أشرت إليه عرفت الفرق بين العفو والمغفرة انتهى كلامه.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ عن عبادة الدنيا وهوى النفس ﴿وَآمَنَ﴾ بكرامات وكمالات اعدّها الله لعباده الصالحين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ لتبليغه إلى تلك الكمالات وهو الإعراض عما سوى الله بجملته والإقبال على الله بكلّيته رجاء عواطف إحسانه كما قيل لبعضهم: كلي بكلك مشغول فقال: كلي لكلك مبذول ولعمري هذا هو الإكسير الأعظم الذي إن طرح ذرة منه على قدر الأرض من نحاس السيئات تبدلها إبريز الحسنات الخالصة كما قال تعالى إخباراً عن أهل هذا الإكسير. ﴿فَأُولَئِكَ يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ كما يبدل الإكسير النحاس ذهباً انتهى.

يقول الفقير: لا شك عند أهل الله تعالى في انقلاب الأعيان واستحالتها ألا ترى إلى انحلال مزاج المادة الأصلية إلى غيرها في العالم الصناعي فإذا انحل المزاج واستحالت المادة إلى الصورة الهيولانية صلحت لأن يولد الحكيم منها إنسان الفلاسفة.

قال الإمام الجلدكي: الأرض تستحيل ماء والماء يستحيل هواء والهواء يستحيل ناراً وبالعكس النار تستحيل هواء والهواء ماء والماء يستحيل أرضاً والعناصر يستحيل بعضها إلى بعض مع أن كل عنصر من العناصر ممزوج من طبيعتين فاعلة ومنفعلة فهذا برهان واضح على انحلال المزاج إلى غيره في الأصول.

وأما في «الفصول» فإن الأرض تستحيل نباتاً والنبات يستحيل حيواناً فوقف الفاضل ابن سينا وقال: إن الحيوان لا يستحيل اللهم إلا أن يفسد إلى عناصره ويرجع إلى طبائعه فنقول: إن الأرض والماء إذا لم يفسدا في الصورة عن كيانهما لما استحالا نباتاً والنبات إذا لم يفسد

عن كيانه لما استحال حيواناً فكيف خفي عليه أن النبات والحيوان يفسدان بالطبخ ويصيران للإنسان غذاء وينحل مزاجهما إلى الكيموس الغذائي ويصيران في جوف الإنسان دماً ويستحيل الدم بالحركة الشوقية بين الذكر والأنثى فيصير منياً ثم جنيناً ثم إنساناً وكذلك جسد الإنسان بعد فسادة يمكن أن يصير نباتاً ويستحيل إلى حيوانات شتى مثل الديدان وغيرها ويستحيل الجميع حتى العظام الرفات إلى أن تقبل التكوين إذا شربت ماء الحياة وإنما الأجزاء الجسدانية للإنسان محفوظة معلومة عند الله وإن استحالت من صفة إلى صفة وتبدلت من حالة إلى حالة وانحل مزاج كل منها إلى غيره إلا أن روحه وعقله ونفسه وذاته الباطنة باقية في برزخها. قال الحافظ:

دست از مس وجود چرمردان ره بشوی تا کیمیای عشق بیابی وزر شوی
«وكان الله غفوراً» ولذلك بدل السيئات حسنات «رحيماً» ولذلك أتاب على الحسنات.

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (٦١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٦٢).

«ومن تاب» أي رجع عن المعاصي مطلقاً بتركها بالكلية والندم عليها «وعمل صالحاً» يتدارك به ما فرط منه أو خرج عن المعاصي ودخل في الطاعات «فإنه» بما فعل «يتوب إلى الله» يرجع إليه تعالى بعد الموت.

قال الراغب: ذكر إلى يقتضى الإنابة. «متاباً» أي: متاباً عظيم الشأن مرضياً عنده ماحياً للعقاب محصلاً للثواب فلا يتحد الشرط والجزاء لأن في الجزاء معنى زائداً على ما في الشرط فإن الشرط هو التوبة بمعنى الرجوع عن المعاصي والجزاء هو الرجوع إلى الله رجوعاً مرضياً. قال الراغب: متاباً أي التوبة التامة وهو الجمع بين ترك القبيح وتحري الجميل اهـ وهذا تعميم بعد التخصيص لأن متعلق التوبة في الآية الأولى الشرك والقتل والزنى فقط وههنا مطلق المعاصي.

والتوبة في الشرع ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الإعادة فمتى اجتمع هذه الأربع فقد كمل شرائط التوبة. قال المولى الجامي:

باخلق لاف توبه ودل بركنه مصر کس پی برده بدین کونه کمرهم
قال ابن عطاء: التوبة الرجوع من كل خلق مذموم والدخول في كل خلق محمود أي وهي توبة الخواص.

وقال بعضهم: التوبة أن يتوب من كل شيء سوى الله تعالى أي وهي توبة الأخص فعليك بالتوبة والاستغفار فإنها صابون الأوزار وفي الحديث القدسي: «أني المذنبين أحب إليّ من زجل المسيحين» أي: من أصواتهم بالتسبيح والإصرار يؤدي إلى الشرك والموت على غير الملة الإسلامية.

قال أبو إسحاق: رأيت رجلاً نصف وجهه مغطى فسألته فقال: كنت نباشاً فنيشت ليلة قبر امرأة فلطمنتني وعلى وجهه أثر الأصابع فكتبت ذلك إلى الأوزاعي فكتب إليّ أن أسأله كيف وجد أهل القبور فسألته فقال: وجدت أكثرهم متحولاً عن القبلة فقال الأوزاعي: هو الذي مات

على غير الملة الإسلامية أي بسبب الإصرار المؤدي إلى الكفر والعياذ بالله تعالى. وذكر في أصول الفقه أن ارتكاب المنهي أشد ذنباً من ترك المأمور ومع ذلك صار إبليس مردوداً. وفي «المنهوي»:

توبه را از جانب مغرب دری باز باشد تا قیامت بر دری
تا ز مغرب برزند سر آفتاب باز باشد آن درازوی رومتاب
هشت جنت را ز رحمت هشت در که در توبه است زان هشت أي پسر
آن همه که باز باشد که فراز و آن در توبه نباشد جز که باز
هین غنیمت دار در بازست زود رخت آنجا کش بکوریء حسود
نسأل الله تعالى توبة نصوحاً ومن آثار رحمته فیضاً ونوالاً وفتحاً.

«والذين لا يشهدون الزور» من الشهادة وهي الإخبار بصحة الشيء عن مشاهدة وعيان. والزور الكذب وأصله تمويه الباطل بما يوهم أنه حق.

وقال الراغب: الأزور المائل الزور أي الصدر وقيل للكذب زور لكونه مائلاً عن جهته وانتصابه على المصدرية والأصل لا يشهدون شهادة الزور بإضافة العام إلى الخاص فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. والمعنى لا يقيمون الشهادة الكاذبة. وبالفارسية [كواهی دروغ ندهند].

واختلف الأئمة في عقوبة شاهد الزور.

فقال أبو حنيفة رحمه الله: لا يعزر بل يوقف في قومه ويقال لهم: إنه شاهد زور.

وقال الثلاثة: يعزر ويوقف في قومه ويعرفون أنه شاهد زور.

وقال مالك: يشهر في الجوامع والأسواق والمجامع.

وقال أحمد: يطاف به في المواضع التي يشتهر فيها فيقال: إنا وجدنا هذا شاهد زور فاجتنبوه.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف في الأسواق كما في «كشف الأسرار».

قال ابن عطاء رحمه الله: هي شهادة اللسان من غير مشاهدة القلب ويجوز أن يكون يشهدون من الشهود وهو الحضور وانتصاب الزور على المفعول به والأصل لا يشهدون مجالس الزور فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. والمعنى لا يحضرون محاضر الكذب ومجالس الفحش فإن مشاهدة الباطل مشاركة فيه من حيث أنها دليل الرضى به كما إذا جالس شارب الخمر يغير ضرورة فإنه شريك في الإثم.

وأما الملازمة وهم الذين لا يظهرون خيراً ولا يضمرون شراً لانفراد قلوبهم مع الله يمشون في الأسواق ويتكلمون مع الناس بكلام العامة ويحضرون بعض مواضع الشرور لمشاهدة القضاء والقدر حتى يوافقوا الناس في الشر فهم في الحقيقة عباد الرحمن وهم المرادون بقوله عليه السلام: «أولائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري»: قال الحافظ:

مكن بنامه سیاہی ملامت من مست که آکھست که تقدیر بر سرش چه نوشت
وقال الخجندي:

برخیز کمال از سرنا موس که رندان کردند اقامت بسر کوی ملامت

وقال بعضهم: المراد بالزور أعياد المشركين واليهود والنصارى [يا بازيكاه ايشان] كما في «تفسير الكاشفي».

قال في «ترجمة الفتوحات»: [نباید كه أهل ذمت ترابشرك خود فريب دهندكه نزد حق تعالى هلاك تو در آنست شيخ أكبر قدس سره الاظهر ميفر ما يدكه در دمشق اين معنى مشاهده كردم كه زنان ومردان بانصارى مسامحت ميكنند وصغار واطفال خودرا بكناييس مى برند وازآب معموديه برسبيل تبرك برايشان مى افشا نند واينها قرين كفراست يا خود نفس كفراست وآترا هيچ مسلماني نپسندد] وفي «قاضي خان»: رجل اشترى يوم النيروز شيئاً لم يشتره في غير ذلك اليوم إن أراد به تعظيم ذلك اليوم كما عظمه الكفرة يكون كفوراً وإن فعل ذلك لأجل الشرب والتنعيم يوم النيروز لا يكون كفوراً انتهى والمراد نيروز النصارى لا نيروز العجم كما هو الظاهر من كلامه.

وقال بعضهم: يدخل في مجلس الزور اللعب واللهو والكذب والنوح والغناء بالباطل. روي: عن محمد بن المنكدر قال: بلغني أن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان؟ أدخلوهم رياض المسك ثم يقول للملائكة: أسمعوا عبادي تحميدي وثنائي وتمجيدي وأخبروهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون كذا في «كشف الأسرار».

ومن سنن الصوم أن يصوم الصائم لسانه عن الكذب والغيبة وفضول الكلام والسب والنميمة والمزاح والمدح والغناء والشعر والمراد بالغناء التغني بالباطل وهو الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة ومحبة المخلوقين وأما ما يحرك الشوق إلى الله فمن التغني بالحق كما في «الإحياء».

واختلف في القراءة بالألحان فكرها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والتفهم ولذا قال في «قاضي خان»: لا ينبغي أن يقدم في التروايح «الخوشخوان» بل يقدم «الدرستخوان» فإن الإمام إذا كان حسن الصوت يشغل عن الخشوع والتدبير والتفكير انتهى.

وأباحها أبو حنيفة وجماعة من السلف للأحاديث لأن ذلك سبب للركة وإثارة الخشية كما في «فتح القريب».

قال في «أصول الحديث»: إذا جلس الشيخ من أهل الحديث مجلس التحديث يفتح بعد قراءة قارىء حسن الصوت شيئاً من القرآن انتهى وإنما استحج تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فإن أفرط زاد حرفاً أو أخفى حرفاً فهو حرام كما في «أبكار الأفكار». قال الشيخ سعدى.

به ازروى زيباست آواز خوش كه اين حظ نفسست وآن قوت روح ورأى عليه السلام ليلة المعراج ملكاً لم ير قبله مثله وكان إذا سبح اهتز العرش لحسن صوته وكان بين يديه صندوقان عظيمان من نور فيهما براءة الصائمين من عذاب النار وتفصيله في «مجالس النفائس» لحضرة الهدائي قدس سره.

وقال سهل قدس سره: المراد بالزور مجالس المبتدعين.

قال أبو عثمان قدس سره: مجالس المدعين وكذا كل مشهد ليس لك فيه زيادة في دينك

بل تنزل وفساد ﴿وإذا مروا﴾ على طريق الاتفاق ﴿باللغو﴾ أي ما يجب أن يلغى ويطرح مما لا خير فيه. وبالفارسية [بجیزی ناپسنديده] وقال في «فتح الرحمن»: يشمل المعاصي كلها وكل سقط من فعل أو قول.

وقال الراغب: اللغو من الكلام ما لا يعتد به هو يعد ذلاقة روية وفكر فيجري مجرى اللغا وهو صوت العصفير ونحوها من الطيور. ﴿مروا﴾ حال كونهم ﴿كراماً﴾ جمع كريم يقال: تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه وأكرم نفسه عنه.

قال الراغب: الكرم إذا وصف الله به فهو اسم لإحسانه وإنعامه المتظاهر وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه ولا يقال: هو كريم حتى يظهر ذلك منه.

والمعنى معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الإغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن الصريح به.

قال في «كشف الأسرار»: قيل: إذا أرادوا ذكر النكاح وذكر الفروج كنوا عنه فالكرم ههنا هو الكناية والتعريض وقوله عز وجل: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّلْعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] كناية عن البول والخلاء وقد كنى الله عز وجل في القرآن عن الجماع بلفظ الغشيان والنكاح والسر والإتيان والإفضاء واللمس والمس والدخول والمباشرة والمقاربة في قوله: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٢] والطمث في قوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْنِ﴾ [الرحمن: ٥٦] وهذا باب واسع في العربية.

قال الإمام الغزالي: أما حد الفحش وحقيقته فهو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به وأهل الصلاح يتحاشون من التعرض لها بل يكونون عنها ويدلون عليها بالرموز وبذكر ما يقاربها ويتعلق بها مثلاً يكونون عن الجماع بالمس والدخول والصحبة وعن التبول بقضاء الحاجة وأيضاً لا يقولون: قالت زوجتك كذا بل يقال: قيل في الحجرة أو قيل من وراء السترة أو قالت أم الأولاد كذا وأيضاً يقال لمن به عيب يستحي منه كالبرحة والقرع والبواسير العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه وبالجمله كل ما يخفى ويستحي منه فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فإنه فحش والفاحش يحشر يوم القيامة في صورة الكلب.

قال الشيخ سعدى: [ريشي اندرون جامه داشتم حضرت شيخ قدس سره هرروز پرسیدی که ریشتم چونست ونپرسیدی که کجاست دانستم که آزان احتراز میکند که ذکر هر عضوی روانباشد وخرد مندان کفته اند هرکه سخن نسنجد ازجوابش برنجد].

تانیك ندانی که سخن عین صوابست بایدکه بکفتمن دهن ازهم نکشایی

کراسست سخن کویی ودریند بمانی به زانکه دروغت دهد ازیند رهایی

والمراد أن الصدق أولى وإن لزم الضرر على نفس القاتل وأما جواز الكذب فإنما هو لتخليص الغير ودفع الفتنة بين الناس وهو المراد من قوله: [دروغ مصلحت آمیزه ازراست فتنه انکیز] نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الصادقين المخلصين بل من الصديقين المخلصين ويحشرنا مع الكرماء الحلماء والعلماء الأدباء إنه الموفق للأقوال الحسنة والأفعال المستحسنة.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ (۷۳) ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (۷۴)

﴿والذين إذا ذكروا﴾ وعصوا. وبالفارسية [پندداده شوند] ﴿بآیات ربهم﴾ المشتملة على المواعظ والأحكام ﴿لم يَخِرُّوا عليها﴾ خَرَّ سقط سقوطاً يسمع منه خرير والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو ﴿صمًّا﴾ جمع أصم وهو فاقد حاسة السمع وبه يشبه من لا يصغي إلى الحق ولا يقبله. ﴿وعُميَانًا﴾ جمع أعمى وهو فاقد حاسة البصر. والمعنى لم يقفوا على الآيات حال كونهم صمًّا لم يسمعوا لها وعميًّا لم يبصروها بل اكبوا عليها سامعين بأذان واعية مبصرين بعيون راعية وانتفعوا بها.

قال الكاشفي: [بكوش هوش شنیدند و بیدیده بصیرت جلوات جمال آنرا دیدند حاصلی آنکه از آیات الهی تغافل نورزیدند] انتهى وإنما عبر عن المعنى المذكور بنفي الضد تعريضاً لما يفعله الكفرة والمنافقون فالمراد من النفي نفي الصمم والعمى دون الخور وإن دخلت الأداة عليه ﴿والذين يقولون ربنا﴾ [أي پرورد كارما] ﴿هب لنا﴾ [بخش مارا] وهو أمر من وهب يهب وهباً وهبة. والهبة أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض ويوصف الله بالواهب والوهاب بمعنى أنه يعطي كلاً على قدر استحقاقه. ﴿من أزواجنا﴾ [از زنان ما] وهو جمع زوج يقال لكل ما يقترن بآخر ممثالاً له أو مضاداً زوج وأما زوجة فلغة رديئة كما في «المفردات». ﴿وذرياتنا﴾ [و فرزندان ما] وهو جمع ذرية أصلها صغار الأولاد ثم صار عرفاً في الكبار أيضاً.

قال في «القاموس»: ذرأ الشيء كثره ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين. ﴿قرة أعين﴾ [كسى كه روشنىء ديدها بود] أي بتوفيقهم للطاعة وحياسة الفضائل فإن المؤمن إذا ساعده أهله في طاعة الله يسر بهم قلبه وتقربهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة حسبما وعد بقوله: ﴿أَلْقَيْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ۲۱] فالمراد بالقرور المسؤول تفضيلهم بالفضائل الدينية لا بالمال والجاه والجمال ونحوها. وقرة منصوب على أنه مفعول هب وهي إما من القرار ومعناه أن يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه عن النظر إلى غيره ولا تطمح إلى ما فوقه وإما من القر بالضم وهو البرد والعرب تتأذى من الحر وتستريح إلى البرد فقرور العين على هذا يكون كناية عن الفرح والسرور فإن دمع العين عند السرور بارد وعند الحزن حار. ومن إما ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح، أو بيانية على أنها حال كأنه قيل: هب لنا قرة أعين ثم فسرت القرة وبينت بقوله: ﴿من أزواجنا وذرياتنا﴾ ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسداً أي أنت أسد قال بعضهم: نعم الإله على العباد كثيرة وأجلهن نجابة الأولاد

قال الشيخ سعدى قدس سره:

زن خوب فرمان بر پارسا كند مرد درویش را پادشا
جومستور باشد زن خوب روى بدیدا روى دربهشت است شوى

﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ الإمام المؤتم به إنساناً كان يقتدى بقوله وفعله أو كتاباً أو غير ذلك محققاً كان أو مبطلاً كما في «المفردات» أي: اجعلنا بحيث يقتدي بنا أهل التقوى في إقامة مراسم الدين بإفاضة العلم والتوفيق للعمل.

وفي «الإرشاد»: والظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وإن عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلني للمتقين إماماً ما خلا أنه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد إلى الإيجاز على طريقة قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَا الرُّسُلَ كُلًّا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] وأبقى إماماً على حاله ولم يقل أئمة وإعادة الموصول في المواضع السبعة مع كفاية ذكر الصلاة بطريق العطف على صلة الموصول الأول للإيذان بأن كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حدته له شأن خطير حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء من ذلك تنمة لذلك وتوسط العاطف بين الصفة والموصوف لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي.

قال القفال وجماعة من المفسرين: هذه الآية دليل على أن طلب الرياسة في الدين واجب.

وعن عروة: أنه كان يدعو بأن يجعله الله ممن يحمل عنه العلم فاستجيب دعاؤه. وأما الرياسة في الدنيا: فالسنة أن لا يتقلد الرجل شيئاً من القضاء والإمارة والفتوى والعرافة بانقياد قلب وارتضائه إلا أن يكره عليه بالوعيد الشديد وقد كان لم يقبلها الأوائل فكيف الأواخر.

بو حنيفة قضا نكرد وبمرد تو بميري اكر قضا نكني
يقول الفقير: إن قلت: قول الشيخ أبي مدين قدس سره آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الجاه قد يفسر فيه الخروج بالظهور فما معناه؟ قلت: إن الصديقين لما استكملوا مرتبة الاسم الباطن أحبوا أن يظهرها بمرتبة الاسم الظاهر ليكون لهم حصة من كمالات الأسماء الإلهية كلها وهذا المعنى لا يقتضي التقلد المعروف كأبناء الدنيا بل يكفي أن تنتظم بهم مصالح الدنيا بأي وجه كان، ولقد شاهدت من هذا أن شيخي الأجل الأكمل قدس سره رأى في بعض مكاشفاته أنه سيصير سلطاناً فلم يمض إلا قليل حتى استولى البغاة على القسطنطينية وحاصروا السلطان ومن يليه فلم تندفع الفتنة العامة إلا بتدبير حضرة الشيخ حيث دبر تدبيراً بليغاً كوشف عنه فاستأصل الله البغاة وأعتق السلطان والمؤمنين جميعاً فمثل هذا هو الظهور بالاسم الظاهر وتماهه في كتابنا المسمى بتمام الفيض هذا.

قال في «كشف الأسرار»: [جابر بن عبد الله كفت پیش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حاضر بودم که مردی بنزودوی آمد و پرسید که یا امیر المؤمنین. ﴿وعباد الرحمن﴾ الخ نزول این آیت در شان کیست و ایشان چه قوم اند که رب العالمین ایشانرا نامزد کرد جابر کفت علي رضي الله عنه آن ساعت روی بامن کرد و کفت یا جابر تدری من هؤلاء هیچ دانی که ایشان که اند و این آیت که جعفر و آمد کفتم یا امیر المؤمنین نزلت بالمدينة بمدينة فرو آمد این آیت کفت نه یا جابر که این آیت بمکه فرو آمد یا جابر. ﴿الذين يمشون على الأرض هونا﴾ أبو بكر بن أبي قحافة أستاذ اورا حلیم قریش مکيفتن بدو کار که رب العزة اورا بعز اسلام کرامی کرد اورا دیدم در مسجد مکه از هوش برفته از پس که کفار بني مخزوم و بني أمية اورا زده بودند و بنو تيم از بهر او خصومت کردند بابني مخزوم اورا بخانه بردند همجنان از هوش برفته چون باهوش آمد مادر خود را دید بر بالین وي نشسته کفت یا أمه این محمد محمد کجاست و کاروي بچه رسید پدرش بوقحافة کفت] وما سؤالك عنه ولقد أصابك من

أجله ما لا يصيب أحداً لأجل أحد [أي پسرچه جاي آنست که توزحال محمد پرسي ودل بوي چنین مشغول داري نمی بینی که برتوجه میرود از بهروى أي پسر نمی بینی بنو تیم که بتعصب تو بر خاستند و میگویند اگر توازدین محمد باز کردی و بدین پدران خویش بازایی ماثارتواز بنی مخزوم طلب داریم و ایشانرا بیچانیم و دمار آریم تا تشفیء تو بدید کنیم أبو بکر سخت حلیم بود و بر دبار و متواضع سر بر داشت و گفت «اللهم اهد بنی مخزوم فإنهم لا يعلمون یا مرونی بالرجوع عن الحق إلى الباطل» رب العزة أورا بستود در آن حلم و وقار و سخنان آزاد و ارود حق وی گفت ﴿الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ یا جابر ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ سالم است مولی أبو حذیفة که همه شب در قیام بودی متعبد و متعبد و الذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ﴿أبو ذر غفاریست که پیوسته بابکاو حزن بودی از بیم دوزخ و از آتش قطیعت تا رسول خدا أورا گفت «یا أبا ذر هذا جبریل یخبرنی أن الله تعالى أجارك من النار»﴾ والذين إذا أنفقوا لم یسرفوا ﴿الخ أبو عبیدة است أنفق ماله على نفسه وعلى أقربائه فرضی الله فعله﴾ والذين لا یعدون مع الله إلهاً آخر ﴿الخ علی بن أبی طالب است که هرگز بت نپرستید و هرگز زنانکرد و قتل بی حق نکرد﴾ والذين لا یشهدون الزور ﴿سعید بن زید بن عمرو بن نفیل درعی بفروخت پس پشیمان شد سعیدرا گفت تو دعوی کن که آن درع جد مرا بود عمرو بن نفیل و خطاب را دران حقی نه تا ترا رشوتی دهم سعید گفت مرا برشوت تو حاجتی نیست و دروغ گفتن کار من نیست فرضی الله فعله﴾ والذين إذا ذكروا ﴿الخ سعید بن أبی وقاص است﴾ والذين يقولون ربنا ﴿الخ عمر بن الخطاب است ایشانرا جمله بدین صفات ستوده و أخلاق پسندیده که نتایج أخلاق مصطفاست یا دکرد آنکه فت.]

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا كَبَرُوا وَيُلَقَوْنَ فِيهَا وَعِشَّةً وَسَلَامًا﴾ ﴿٧٥﴾ خَلَدِيكَ فِيهَا حَسَنَتٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴿﴾

﴿أولئك﴾ المتصفون بما فصل في حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به والمستجمعون لهذه الخصال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى: ﴿يجزون الغرفة﴾ الجزء الغناء والكفاية والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر. والغرف رفع الشيء أو تناوله يقال غرفت الماء والمرق والغرفة الدرجة العالية من المنازل لكل بناء مرتفع عال أي يثابون أعلى منازل الجنة وهي اسم جنس أريد به الجمع كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ۳۷] ودر فصول عبد الوهاب [كوشكهاست برپجهار قائمه نهاده از سیم وزر ولؤلؤ و مرجان] ﴿بما صبروا﴾ ما مصدرية ولم يقيد الصبر بالمتعلق بل أطلق ليشيع في كل مصبور عليه. والمعنى بصبرهم على المشاق من مفض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ومن ذلك الوصم قال عليه السلام: «الصوم نصف الصبر والصبر نصف الإيمان» أي: فيكون الصوم ربع الإيمان وهو أي الصوم قهر لعدو الله فإن وسيلة الشيطان الشهوات وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ولذلك قال عليه السلام: «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع».

جوع باشد غداي أهل صفا	محنت وابتلاي أهل هوا
جوع تنوير خانه دل تست	أكل تعمير خانه كل تست
خانه دل کذا شتی بی نور	خانه كل چه میکنی معمور

وفي الحديث: «إن في الجنة لغرفاً مبنية في الهواء لا علاقة من فوقها ولا عماد لها من تحتها لا يأتيها أهلها إلا شبه الطير لا ينالها إلا أهل البلاء» أي: الصابرون منهم.
وفي «التأويلات النجمية»: «أولئك يجزون الغرفة» من مقام العندية في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴿بما صبروا﴾.

في البداية على أداء الأوامر وترك النواهي وفي الوسط على تبديل الأخلاق الذميمة بالأخلاق الحميدة وفي النهاية على إفناء الوجود الإنساني في الوجود الرباني انتهى.
والصبر ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله.

قال بعض الكبار: من أدب العارف بالله تعالى إذا أصابه ألم أن يرجع إلى الله تعالى بالشكوى رجوع أيوب عليه السلام أدباً مع الله وإظهاراً للعجز حتى لا يقاوم القهر الإلهي كما يفعله أهل الجهل بالله ويظنون أنهم أهل تسليم وتفويض وعدم اعتراف فجمعوا بين جهالتين ﴿ويلقون فيها﴾ أي في الغرفة من جهة الملائكة ﴿تحية﴾ [التلقية: چیزی پیش کسی را آوردن] يعدى إلى المفعول الثاني بالباء وبنفسه كما في «تاج المصادر» يقال: لقبته كذا وبكذا إذا استقبلته به كما في «المفردات». والمعنى يستقبلون فيها بالتحية ﴿وسلاماً﴾ أي: وبالسلم تحييم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات فإن التحية هي الدعاء بالتعمير والسلام هو الدعاء بالسلامة.

قال في «المفردات»: التحية أن يقال: حياك الله أي جعل لك حياة وذلك إخبار ثم يجعل دعاء ويقال حيا فلان فلاناً تحية إذا قال له ذلك وأصل التحية من الحياة ثم جعل كل دعاء تحية لكون جميعه غير خارج عن حصول حياة أو سبب حياة إما لدنيا وإما لآخرة ومنه التحيات لله والسلام والسلامة التعري عن الآفات الظاهرة والباطنة وليست السلامة الحقيقية إلا في الجنة لأن فيها بقاء بلا فناء وغنى بلا فقر وعزا بلا ذل وصحة بلا سقم.

قال بعضهم: الفرق أن السلام سلامة العارفين في الوصال عن الفرقة والتحية روح تجلي حياة الحق الأزلي على أرواحهم وأشباههم فيحيون حياة أبدية.

وقال بعضهم: ويلقون فيها تحية يحيون بها حياة الله وسلاماً يسلمون به من الاستهلاك الكلي كما استحفظ إبراهيم عليه السلام من آفة البرد بالسلم بقوله تعالى: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

سلامت من دلخسته درسلم توباشد زهى سعادت أكردولت سلام تويابم
﴿خالدين فيها﴾ حال من فاعل يجزون أي حال كونهم لا يموتون ولا يخرجون من الغرفة. ﴿حسنت﴾ الغرفة ﴿مستقراً ومقاماً﴾ من جهة كونها موضع قرار وإقامة وهو مقابل ساءت مستقراً معنى ومثله إعراباً.

فعلى العاقل أن يتهيأ لمثل هذه الغرفة العالية الحسنة بما سبق من الأعمال الفاضلة المستحسنة ولا يقع في مجرد الأمانى والآمال فإن الأمانة كالموت بلا أشكال.

وبقدر الكد والتعب تكتسب المعالي ومن طلب العلى جد في الأيام والليالي
قال بعض الكبار: من أراد أن يعرف بعض محبة الحق أو محبته له فلي نظر إلى حاله الذي هو عليه من اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والأئمة المجتهدين بعده فإن وجد نفسه على هدام وأخلاقهم من الزهد والورع وقيام الليل على الدوام وفعل جميع المأمورات الشرعية وترك

جميع المنهيات حتى صار يفرح بالبلايا والمحن وضيق العيش وينشرح لتحويل الدنيا ومناصبها وشهواتها عنه فليعلم أن الله يحبه وإلا فليحكم بأن الله يبغضه والإنسان على نفسه بصيرة. وفي الإكثار من النوافل توطئة لمحبة الله تعالى قال عليه السلام حاكياً عن الله تعالى: «ما تقرب المتقربون إليّ بمثل أداء ما فرضت عليهم ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه» ومن آثار محبته تعالى لعبده المطيع له إعطاء الغرفة العالية له في الجنة لعلو قدره ومنزلته عنده وإذا وقع التجلي الإلهي يكونون جلوساً على مراتبهم فالأنبياء على المنابر والأولياء على الأسرة والعلماء بالله على الكراسي والمؤمنون المقلدون في توحيدهم على مراتب وذلك الجلوس كله يكون في جنة عدن عند الكثيب الأبيض وأما من كان موحداً من طريق النظر في الأدلة فيكون جالساً على الأرض وإنما نزل هذا عن الرتبة التي للمقلد في التوحيد لأنه تطرقه الشبه من تعارض الأدلة والمقالات في الله وصفاته فمن كان تقليده للشارع جزءاً فهو أوثق إيماناً ممن يأخذ توحيده من النظر في الأدلة ويؤولها.

واعلم أن الله تعالى إنما ذكر الغرفة في الحقيقة لأجل الطامعين الراغبين فيها وأما خواص عبادته فليس لهم طمع في شيء سوى الله تعالى فلهم فوق الغرفة ونعيمها نعيم آخر تشير إليه التحية والسلام على تقدير أن يكونا من الله تعالى إذ لا يلتذ العاشق بشيء فوق ما يلتذ بمطالعة جمال معشوقه وسماع كلامه وخطابه - حكى أنه كان لبعضهم جار نصراني فقال له: أسلم على أن أضمن لك الجنة فقال النصراني: الجنة مخلوقة لا خطر لها ثم ذكر له الحور والقصور فقال: أريد أفضل من هذا.

صحبت حور نحواهم كه بود عين قصور

فقال: أسلم على أن أضمن لك رؤية الله تعالى فقال: الآن وجدت ليس شيء أفضل من رؤية الله فأسلم ثم مات فرآه في المنام على مركب في الجنة فقال له: أنت فلان قال: نعم قال: ما فعل الله بك قال: لما خرج روحي ذهب به إلى العرش فقال الله تعالى: آمنت بي شوقاً إلى لقائي فلك الرضى والبقاء.

﴿قُلْ مَا يَعْبُودُ بِكُرِّيٍّ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝﴾

﴿قل﴾ يا محمد للناس كافة ﴿ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم﴾ هذا بيان لحال المؤمنين منهم وما استفهامية محلها النصب على المصدر أو نافية وما يعبأ ما يبالي ولا يعتد كما في «القاموس» ما أعبأ بفلان ما أبالي وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه ودعاؤكم مبتدأ خبره موجود أو واقع وهو مصدر مضاف إلى الفاعل بمعنى العبادة كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] ونظائره والمعنى على الاستفهامية أي عبء واعتبار يعتبركم ربي ويبالي ويعتني بشأنكم لولا عبادتكم وطاعتكم له تعالى فإن شرف الإنسان وكرامته بالمعرفة والطاعة وإلا فهو وسائر الحيوانات سواء.

وقال الزجاج: أي وزن ومقدار يكون لكم عند الله تعالى لولا عبادتكم له تعالى وذلك أن أصل العبء بالكسر والفتح بمعنى الثقل والحمل من أي شيء كان فمعنى ما أعبأ به في الحقيقة ما أرى له وزناً وقدرًا وإليه جنح الإمام الراغب في الآية هذا وفي الآية معانٍ آخر والأظهر عند المحققين ما ذكرناه. ﴿فقد كذبتم﴾ بيان لحال الكفرة من الناس أي فقد كذبتم أيها الكفرة بما

أخبرتكم به حيث خالفتموه وخرجتم عن أن يكون لكم عن الله اعتناء بشأنكم واعتبار أو وزن ومقدار ﴿فسوف يكون لازماً﴾ مصدر كالقتال أقيم مقام الفاعل كما يقام العدل في مقام العادل أي يكون جزاء التكذيب أو أثره وهو الأفعال المتفرعة عليه لازماً يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم في النار أي يصرعكم على وجوهكم كما يعرب عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها وإنما أضمر من غير ذكر للإيدان بغاية ظهوره وتهويل أمره للتنبيه على أنه مما لا يكتننه الوصف والبيان.

وعن بعضهم أن المراد بالجزاء جزاء الدنيا وهو ما وقع يوم بدر قتل منهم وأسر سبعون ثم اتصل به عذاب الآخرة لازماً لهم. قال الشيخ سعدي قدس سره.

رطب نأورد چوب خر زهره بار چه تخم افکنی برهمان چشم دار
واعلم أن الكفار أبطلوا الاستعداد الفطري وأفسدوا القوى بالإهمال فكان حالهم كحال النوى فإنه محال أن ينبت منه الإنسان تفاحاً فأصل الخلق والقوة لا يتغير ألبته ولكن كما أن في النوى إمكان أن يخرج ما في قوته إلى الوجود وهو النخل بالتفقد والتربية وأن يفسد بالإهمال والترك، فكذا في الإنسان إمكان إصلاح القوة وإفسادها ولولا ذلك لبطل فائدة المواعظ والوصايا والوعود والوعيد والأمر والنهي ولا يجوز العقل أن يقال للعبد لم فعلت ولم تركت وكيف يكون هذا في الإنسان ممتنعاً وقد وجدناه في بعض البهائم ممكناً فالوحشي قد ينتقل بالعادة إلى التأنس والجامح إلى السلاسة فالتوحيد والتصديق والطاعة أمر ممكن من الإنسان بإزالة الشرك والتكذيب والعصيان وقد خلق لأجلها كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية: قل ما يعبا بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم إياه. يعني أنه خلقكم لعبادته كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فالحكمة الإلهية والمصلحة الربانية من الخلق هي الطاعة وأفعال الله تعالى وإن لم تكن معللة بالأغراض عند الأشاعرة لكنها مستتبعة لغايات جليلة.

قال الإمام الراغب: الإنسان في هذه الدار الدنيا كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: الناس سفر والدار دار ممر لا دار مقر وبطن أمه مبدأ سفره والآخرة مقصده وزمان حياته مقدار مسافته وسنوه منازل وشهوره فراسخه وأيامه أمياله وأنفاسه خطاه ويسار به سير السفينة براكبها كما قال الشاعر.

رأيت أخا الدنيا وإن كان ثاوياً أخا سفر يسري به وهو لا يدري
وقد دعى إلى دار السلام لكن لما كان الطريق إليها مشكلة مظلمة جعل الله لنا من العقل الذي ركه فينا وكتبه التي أنزلها علينا نوراً هادياً ومن عبادته التي كتبها علينا وأمرنا بها حصناً واقياً فمن قال هذه الطاعات جعلها الله عذاباً علينا من غير تأويل كفر فإن أول مراده بالتعب لا يكفر ولو قال: لو لم يفرض الله تعالى كان خيراً لنا بلا تأويل كفر لأن الخير فيما اختاره الله إلا أن يؤول ويريد بالخير الأهون والأسهل نسأل الله أن يسهلها علينا في الباطن والظاهر والأول والآخر.

تمت سورة الفرقان في سادس شهر رمضان المبارك

يوم السبت من سنة ثمان ومائة وألف

مكية وهي مائتان وسبع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طس﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنَّ شَأْنُنَا نَزَّلَ عَلَيْنَا مِنْ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَضِيعِينَ ﴿٤﴾ .

﴿طسم﴾ الحروف المقطعة في أوائل السور يجمعها قولك: (سرّ حصين قطع كلامه) وأولى ما قال أهل التفسير في حق هذه الحروف الله أعلم بمراده لأنها من الأسرار الغامضة كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «إن لكل كتاب سرّاً وسر القرآن في المقطعات» كما في «رياض الأذكار» والمعاني المتعلقة بالأسرار والحقائق لا يعلمها إلا الله ومن أطلعه الله عليها من الراسخين في العلم وهم العلماء بالله فلا معنى للبحث عن مرتبة ليس للسان حظ منها ولا للقلم نصيب وأما اللوازم التي تشير إلى الحقائق فليبيانها مساغ فإنها دون الحقائق وفي مرتبة الفهم وإلى الأول يشير قول ابن عباس رضي الله عنهما في ﴿طسم﴾ عجزت العلماء عن تفسيرها كما في «فتح الرحمن» وإلى الثاني يشير ما في «كشف الأسرار» حيث قال بالفارسية: [روایت کنند از علی رضي الله عنه كه گفته آنكه كه . ﴿طسم﴾ از آسمان فرود آمد رسول خدا عليه السلام كفت «طاء» طور سيناست و«سين» سكندريه و«ميم» مكة معنى آنست والله أعلم كه رب العزة سوكنند يا دكرد باين بقاع شريف چنانكه] لا أقسم بهذا البلد. أما جبل طور سينا الذي بين الشام ومدين فهو محل مناجاة موسى عليه السلام وكلامه مع الله تعالى ومقام التجلي كما قال: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ لَبَّيْكَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وهذا الجبل إذا كسرت حجارته يخرج من وسطها صورة شجر العوسج على الدوام وتعظيم اليهود لشجرة العوسج لهذا المعنى ويقال لشجرة العوسج شجرة اليهود. وأما الإسكندرية فهي آخر مدن المغرب ليس في معمور الأرض مثلها ولا في أقاصي الدنيا كشكلها وعدت مساجدها فكانت عشرين ألف مسجد نقل أن المدينة كانت سبع قصبات متوالية وإنما أكلها البحر ولم يبق منها إلا قصبة واحدة وهي المدينة الآن وصار منار المرأة الإسكندرية في البحر لغلبة الماء على قصبة المنار.

وقصة المرأة أنه كان في أعلى المنار الذي ارتفاعه ثلاثمائة ذراع إلى القبة امرأة غريبة قد عملها الحكماء للإسكندر يرى فيها المراكب من مسيرة شهر وكان بالمرأة أعمال وحركات تحرق المراكب في البحر إذا كان فيها عدو بقوة شعاعها فأرسل صاحب الروم يخدع صاحب مصر ويقول: إن الإسكندر قد كنز على المنار كنزاً عظيماً من الجواهر النفيسة فإن صدقت فبادر إلى إخراجها ولك أيضاً من الكنز ما تشاء فانخدع لذلك وظنه حقاً فهدم القبة فلم يجد

شيئاً وفسد طلسم المرأة. وأما مكة المشرفة المكرمة فهي مدينة قديمة غنية عن البيان وفيها كعبة الإسلام وقبلة المؤمنين والحج إليها أحد أركان الدين.

ويقال: الطاء طوله أي قدرته. والسين سناؤه أي رفعته. والميم ملكه ومجده فأقسم الله بهذه.

ويقال: يشير إلى طاء طيران الطائرين بالله وإلى سين السائرين إلى الله. وإلى ميم مشي الماشين لله فالأول مرتبة أهل النهاية والثاني مرتبة أهل التوسط والثالث مرتبة أهل البداية ولكل سالك خطوة ولكل طائر جناح.

ويقال: الطاء إشارة إلى طهارة أسرار أهل التوحيد. والسين إشارة إلى سلامة قلوبهم عن مساكنة كل مخلوق. والميم إشارة إلى منة الخالق عليهم بذلك.

وقال سيد الطائفة الجنيد قدس سره: الطاء طرق التائبين في ميدان الرحمن. والسين سرور العارفين في ميدان الوصلة. والميم مقام المحبين في ميدان القرية.

وقال نجم الدين قدس سره: يشير إلى طاء طهارة قلب نبيه عن تعلقات الكونين. وإلى سين سيادته على الأنبياء والمرسلين. وإلى ميم مشاهدته جمال رب العالمين.

وقال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: أقسم الله بشجرة طوبى وسدرة المنتهى ومحمد المصطفى بالقرآن بقوله: ﴿طسم﴾ فالطاء شجرة طوبى والسين سدرة المنتهى والميم محمد المصطفى عليه الصلاة والسلام. أما سر اصطفاء طوبى فإن الله تعالى خلق جنة عدن بيده من غير واسطة وجعلها له كالقلعة للملك وجعل فيها الكثيب مقام تجلي الحق سبحانه وفيه مقام الوسيلة لخير البرية وغرس شجرة طوبى بيده في جنة عدن وأطالها حتى علت فروعها سور جنة عدن ونزلت مظلة على سائر الجنان كلها وليس في أكمامها ثمر إلا الحلي والحلل لباس أهل الجنة وزينتهم ولها اختصاص فضل لكونها خلقها الله بيده ولذلك كانت أجمع الحقائق الجنانية نعمة وأعمها بركة فإنها لجميع أشجار الجنة كآدم عليه السلام لما ظهر من البنين وما في الجنة نهر إلا وهو يجري من أصل تلك الشجرة وهي محمدية المقام. وأما سر اجتناء سدرة المنتهى فهي شجرة بين الكرسي والسماء السابعة لأفنانها حنين بأنواع التسبيحات والتحميدات والترجيعات عجيبة الألحان تطرب بها الأرواح والقلوب وتزيد في الأحوال وهي الحد البرزخي بين الدارين سماها المنتهى لأن الأرواح إليها تنتهي وتصعد أعمال أهل الأرض من السعداء وإليها تنزل الأحكام الشرعية وأم فيها رسول الله ﷺ ملائكة السموات في الوتر فكان إمام الأنبياء في بيت المقدس وإمام الملائكة عند سدرة المنتهى فظهر بذلك فضله على أهل الأرض والسماء كما في تفسير «التيسير» وهي مقام جبريل يسكن في ذروتها كما أن مقر العقل وسط الدماغ وذلك لأن جبريل سدرة العقل ومقامه إشارة إلى مقام العقل وهو الدماغ ولذلك من رأى جبريل فإنما رأى صورة عقله لأن جبريل لا يرى من مقام تعينه لغير الأنبياء عليهم السلام. وآخر الميم المشاربه إلى محمد المصطفى ﷺ لسر الختمية وكما أن ختم الأنبياء بسيد المرسلين كذلك ختم حروف الهجاء بالياء المشتغل عليها لفظ الميم فقد جمع الله في القسم بقوله: ﴿طسم﴾ ثلاث حقائق وهي أصول الحقائق كلها. الأولى حقيقة جنانية نعمة جامعة وهي شجرة طوبى ولذا أودعها الله في المقام المحمدي لكونها جامعة للنعم الجنانية ومقسماً لها كما أن النبي عليه السلام مقسم العلوم والمعارف وأنواع الكمالات. والثانية حقيقة برزخية

جامعة لحقائق الدارين وهي شجرة سدرة المنتهى فأغصانها نعيم لأهل الجنة وأصولها زقوم لأهل النار لأنها في مقعر فلك البروج وهو الفلك الأعظم ويسمى فلك الأفلاك لأنه يجمع الأفلاك وأيضاً الفلك الأطلس لأنه غير مكوكب كالثوب الأطلس الخالي عن النقش ومقعر سطحه أي الفلك الأعظم يماس محدب الفلك الوائب ومحدبه لا يماس شيئاً إذ ليس وراءه شيء لإخلاء وإملاء بل عنده ينقطع امتدادات العالم كلها.

وقيل: في ورائه أفلاك من أنوار غير متناهية ولا قائل بالخلاء فيما تحت الفلك الأعظم بل هو الملاء كذا في كتب الهيئة وعند الصوفية المقام الذي يقال له لإخلاء وإملاء فوق عالم الأرواح لا فوق العرش.

قال في «شرح التوقيم» ولما كان المذكور في الكتب الإلهية السموات السبع زعم قوم من حكماء الملة أن الثامن هو الكرسي والتاسع هو العرش وهذا يناسب قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] والثالثة حقيقة الحقائق الكلية وهي الحقيقة المحمدية لقد أقسم الله في ﴿طسم﴾ بأجمع الحقائق كلها لفضلها على جميع الحقائق لأن الحقيقة المحمدية حقيقة الحقائق وروحها دنياً وبرزخاً وآخرة ولهذا ختم به الحقائق.

هر دو عالم بستۀ فتراک أو عرش وکرسی کردہ قبلہ خاک او

بیشوای این جهان وآن جهان مقتدای آشکارا و نهان

وقال بعض كبار المكاشفين: لا يعرف حقائق الحروف المقطعة في أوائل السور إلا أهل الكشف والوجود فإنها ملائكة وأسماءهم أسماء الحروف وهم أربعة عشر ملكاً لأن مجموع المقطعات من غير تكرار أربعة عشر آخرهم. ﴿تَّ وَالْقَلَمِ﴾ [القلم: ١] وقد ظهوروا في منازل القرآن على وجوه مختلفة فمنازل ظهر فيها ملك واحد مثل «ن وص» ومنازل ظهر فيها اثنان مثل ﴿طس ويس وحم﴾ ومنازل ظهر فيها ثلاثة مثل ﴿الم وطسم﴾ ومنازل ظهر فيها أربعة مثل ﴿المص والمر﴾ منازل ظهر فيها خمسة مثل ﴿كهيعص وحمعسق﴾ وصورها مع التكرار تسعة وسبعون ملكاً بيد كل ملك شعبة من الإيمان فإن الإيمان بضع وسبعون شعبة والبضع من واحد إلى تسعة فقد استعمل في غاية البضع.

فإذا نطق القارئ بهذه الحروف كان منادياً لهم فيجيبونه يقول القارئ: ﴿الم﴾ فيقول هؤلاء الثلاثة من الملائكة ما تقول؟ فيقول القارئ: ما بعد هذه الحروف فيقال بهذا الباب الذي فتحت ترى عجائب وتكون هذه الأرواح الملكية التي هي الحروف أجسامها تحت تسخيرها وبما بيدها من شعب الإيمان تمده وتحفظ عليه إيمانه.

قال في ترجمة وصايا «الفتوحات» [از جمله شعب ایمان شهادتست بتوحید و نماز کز اریدن و زکاة دادن و روزه داشتن و حج کز اریدن و وضوء ساختن و از جنابت غسل کردن و غسل روز جمعه و صبر و شکر و ورع و حیا و آمان و نصیحت و طاعت اولو الامر و ذکر حق گرفتن و رنج خود از خلق برداشتن و امانت ادا کردن و مظلوم را یاری دادن و ترک ظلمة کردن و کسی را خوار نداشتن و ترک غیبت و ترک نیمیت و ترک بخش کردن و جون در خانه کسی خواهی در آمدن دستوری خواستن و خشم را خوابانیدن و اعتبار گرفتن و قول نیکورا سماع کردن و بر آنچه نیکوترست دفع کردن و قول بدرا بجهر ناکفتن و بیکلمه طیب اتیان کردن و حفظ فرج و حفظ زبان و توبه و توکل و خشوع و ترک لغو یعنی سخن بیهوده و ترک ما لا یعنی و حفظ عهد

وميثاق ووفاء نمودن و بر تقوی یاری دادن و بر اثم و عدوان یاری نادادن و تقوی را ملازم بودن و نیکویی کردن و صدق و ورزیدن و امر معروف کردن و نهی منکر و میان دومیان مسلمان اصلاح کردن و از بهر خلق دعا کردن و رحمت خواستن و بزرگ را مکرم داشتن و بحدود الله قیام نمودن و ترک دعوی جاهلیت کردن و از پس یکدیگر بدنا گفتن و باهم دیگر دشمنی ناکردن و کواهی دروغ و قول دروغ ناکفتن و ترک همز و لمز و غمز یعنی درپیش و پس بدنا گفتن و بچشم نازدن و غمازی ناکردن و بجماعات حاضر شدن و سلام را خاص کردن و بیکدیگر هدیه فرستادن و حسن خلق و حسن خلق و حسن عهده و سر نگاه داشتن و نکاح دادن و بنکاح گرفتن و حب اهل بیت و حب زنان و بوی خوش دوست داشتن و حب أنصار و تعظیم شعائر و ترک عیش و بر مؤمن سلاح نداشتن و تجهیز مرده کردن و بر جنازه نماز گزاردن و بیمار پرسیدن و آنچه در راه مسلمانان زحمت باشد دور کردن و هر چه برای نفس خود دوست میداری برای هریک از مؤمنان دوست داشتن و حق تعالی و رسول اُورا از همه دوست داشتن و بکفر بازنا کشتن و بملائکة و کتب و رسل و هر چه ایشان از حق آورده اند ایما داشتن] و غیر ذلك مما اشتمل علیه الكتاب والسنة وهي كثيرة جداً وفي الحديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها إمالة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» انتهى وهي خصال أهل الإيمان ولم يرد تعديدها بأعيانها في حديث واحد وأهل العلم عدوا ذلك على وجوه وأقصى ما يتناوله لفظ هذا الحديث تسعة وسبعون.

قال الإمام النسفي في تفسير «التيسير» وأنا أعدها على ترتيب اختاره وعلى الاجتهاد فأقول: بدأ فيه بالتهليل والذي يليه التكبير والتسبيح والتحميد والتمجيد والتجريد والتفريد والتوبة والإنابة والنظافة والطهارة والصلاة والزكاة والصيام والقيام والاعتكاف والحج والعمرة والقربان والصدقة والغزو والعق و قراءة القرآن وملازمة الإحسان ومجانبة العصيان وترك الطغيان وهجر العدوان وتقوى الجنان وحفظ اللسان والثناء والدعاء والخوف والرجاء والحياء والصدق والصفاء والنصح والوفاء والندم والبكاء والإخلاص والذكاء والحلم والسخاء والشكر في العطية والصبر في البلية والرضى بالقضية والاستعداد للمنية واتباع السنة وموافقة الصحابة وتعظيم أهل الشبهة والعطف على صغار البرية والافتداء بعلماء الأمة والشفقة على العامة واحترام الخاصة وتعظيم أهل السنة وأداء الأمانة وإظهار الصيانة والإطعام والإنعام وبر الأيتام وصلة الأرحام وإفشاء السلام وصدق الاستسلام وتحقيق الاستعصام والزهد في الدنيا والرغبة في العقبى والموافقة للمولى ومخالفة الهوى والحذر من لظى وطلب جنة المأوى وبث الكرم وحفظ الحرم والإحسان إلى الخدم وطلب التوفيق وحفظ التحقيق ومراعاة الجار والرفيق وحسن الملكة في الرقيق وأدناها إمالة الأذى عن الطريق فمن استكمل الوفاء بشعب الإيمان نال بوعده الله كمال الأمان وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ تلك مبتدأ خبره ما بعده أي هذه السورة آيات القرآن الظاهر إعجازه وصحة أنه كلام الله ولو لم يكن كذلك لقدروا على الإتيان بمثله ولما عجزوا عن المعارضة فهو من أبان بمعنى بان أو ظهر أو المبين للأحكام الشرعية وما يتعلق بها.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن هذه الحروف المقطعة ههنا ونفي أوائل السور

ليست من قبيل الحروف المخلوقة بل من قبيل آيات الكتاب المبين القديمة إذ كل حرف منها دال على معان كثيرة كآيات ﴿لعلك باخع نفسك﴾ لعل للإشفاق أي الخوف والله تعالى منزّه عنه فهو بالنسبة إلى النبي عليه السلام يقال: باخع نفسه قتلها غمّاً وفي الحديث: «أناهم أهل اليمن هم أرق قلوباً وأبّخ طاعة» فكانهم في قهرهم نفوسهم بالطاعة كالباخعين إياها وأصل البخع أن يبلغ بالذبح البخاع وذلك أقصى حد الذبح وهو بالكسر عرق في الصلب غير النخاع بالنون مثله فإنه الخيط الذي في جوف الفقار ينحدر من الدماغ ويتشعب منه شعب في الجسم والمعنى أشفق على نفسك وخف أن تقتلها بالحزن بلا فائدة وهو حث على ترك التأسف وتصبير وتسل له عليه السلام.

قال الكاشفي: [چو قریش قرآنرا ایمان نیاوردند وحضرت رسالت علیه السلام برایمان ایشان بغایت حریص بود این صورت بر خاطر مبارک او شاق آمد حق سبحانه وتعالی بجهت تسلی دل مقدس وی فرمود که مکتوبی یا محمد هلاک کننده وکشنده نفس خود را] ﴿ألا يكونوا مؤمنين﴾ مفعول له بحذف المضاف أي خيفة أن لا يؤمن قریش بذلك الكتاب المبين فإن الخوف والحزن لا ينفع في إيمان من سبق حكم الله بعدم إيمانه كما أن الكتاب المبين لم ينفع في إيمانه فلا تهتم فقد بلغت.

قال في «كشف الأسرار»: [أي سيد این مشتی بیکانکان که مقهور سطوت و سیاست ما اند و مطرودد رکاه عزت ما تودل خویش بایشان چرا مشغول داری و از نکار ایشان برخود چرا رنج نهی ایشانرا بحکم ما تسلیم کن و باشغل من آرام گیر].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى تأديب النبي عليه السلام لثلاث يكون مفرطاً في الرحمة والشفقة على الأمة فإنه يؤدي إلى الركون إليهم وأن التفريط في ذلك يؤدي إلى الفطاعة وغلظ القلب بل يكون مع الله مع المقبل والمدبر.

ترا مهر حق بس زجمله جهان برو از نقوش سوى ساده باش
بهار و خزانه همه در كذر چوسرو سهی دائم آزاده باش
ثم بين أن إيمانهم ليس مما تعلق به مشيئة الله تعالى فقال:

﴿إن نشأ﴾ [اكرما خواهم] ﴿ننزل عليهم من السماء آية﴾ دالة ملجئة إلى الإيمان كإنزال الملائكة أو بلية قاسرة عليه كآية من آيات القيامة ﴿فظلت﴾ فصارت ومالت أي فتظن ﴿أعناقهم﴾ أي: رقابهم. وبالفارسية [پس كردد كردنهاي ایشان]. ﴿لها﴾ أي: لتلك الآية ﴿خاضعين﴾ متقادين فلا يكون أحد منهم يميل عنقه إلى معصية الله ولكن لم نفعل لأنه لا عبرة بالإيمان المبني على القسر والإلجاء كالإيمان يوم القيامة وأصله فظلوا لها خاضعين فإن الخضوع صفة أصحاب الأعناق حقيقة فأفحمت الأعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله.

وفيه بيان أن الإيمان والمعرفة موهبة خاصة خارجة عن اكتساب الخلق في الحقيقة فإذا حصلت الموهبة نفع الإنذار والتبشير وإلا فلا فليبك على نفسه من جبل على الشقاوة. قال الحافظ:

چون حسن عاقبت نه برندي وزاهديست آن به كه كار خود بعنايت رها كنند

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهٖ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿وما يأتيهم من ذكر﴾ من موعظة من المواعظ القرآنية أو من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم كل تذكير وتنبههم أتم تنبيه كأنها نفس الذكر. ﴿من الرحمن﴾ بوجه إلى نبيه دل هذا الاسم الجليل على أن إتيان الذكر من آثار رحمة الله تعالى على عباده. ﴿محدث﴾ مجدد إنزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير فلا يلزم حدوث القرآن. ﴿إلا كانوا عنه معرضين﴾ إلا جددوا إعراضاً عن ذلك الذكر وعن الإيمان به وإصراراً على ما كانوا عليه والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال محله النصب على الحالية من مفعول يأتيهم بإضمار قد وبدونه على الخلاف المشهور أي ما يأتيهم من ذكر في حال من الأحوال إلا حال كونهم معرضين عنه.

﴿فقد كذبوا﴾ بالذكر عقيب الإعراض فالفاء للتعقيب أي جعلوه تارة سحراً وأخرى شعراً ومرة أساطير. ﴿فسياأتهم﴾ البتة من غير تخلف أصلاً والفاء للسببية، أي لسبب إعراضهم المؤدي إلى التكذيب المؤدي إلى الاستهزاء. ﴿أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: أخبار الذكر الذي كانوا يستهزئون به من العقوبات العاجلة والآجلة التي بمشاهدتها يقفون على حقيقة حال القرآن بأنه كان حقاً أو باطلاً وكان حقيقاً بأن يصدق ويعظم قدره أو يكذب فيستخف أمره كما يقفون على الأحوال الخافية عنهم باستماع الأنباء وفيه تهويل له لأن النبأ لا يطلق إلا على خبر خطير له وقع عظيم.

قال الكاشفي: [وبعد از ظهور نتایج تکذیب پشیمانی نفع ندهد امروز بدان مصلحت خویش که فردا دانی و پشیمان شوی وسود ندارد].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾

﴿أولم يروا﴾ الهمزة للإنكار التوبيخي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أفعال المكذبون من قریش ما فعلوا من الإعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا. ﴿إلى الأرض﴾ أي إلى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية إلى الإقبال إلى ما أعرضوا. ﴿كم أنبتنا فيها﴾ [چند برویانیدیم در زمین بعد از مردکی و افسردکی] ﴿من كل زوج كريم﴾ كريك [ازهر صنفی کپاه نیکو و بسندیده چون ریاحین وکل نسرين وبنفشه وياسمین و شکوفهای رنکارنک و برکهای کوناگون] وسائر نباتات نافعة مما يأكل الناس والأنعام.

قال أهل التفسير: كم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لأن كل للإحاطة بجميع أزواج النبات وكم لكثرة المحاط به من الأزواج ومن كل زوج أي صنف تمييز والكريم من كل شيء مرضيه ومحموده يقال وجه كريم أي مرضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وفارس كريم مرضي في شجاعته وبأسه. والمعنى كثير من كل صنف مرضي كثير المنافع أنبتنا فيها وتخصيص النبات النافع بالذكر دون ما عداه من أصناف الضار وإن كان كل نبت متضمناً لفائدة وحكمة لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معاً.

واعلم أنه سبحانه كما أنبت من أرض الظاهر كل صنف ونوع من النبات الحسن الكريم

كذلك أنبت في أرض قلوب العارفين كل نبت من الإيمان والتوكل واليقين والإخلاص والأخلاق الكريمة كما قال عليه السلام: «لا إله إلا الله ينبت الإيمان كما ينبت البقل».

قال أبو بكر بن طاهر: أكرم زوج من نبات الأرض آدم وحواء فإنهما كانا سبباً في إظهار الرسل والأنبياء والأولياء والعارفين.

قال الشعبي: الناس من نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لثيم ﴿إن في ذلك﴾ أي: في الإنبات المذكور أو في كل واحد من تلك الأصناف. ﴿آية﴾ عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه ونهاية سعة رحمته موجبة للإيمان زاجرة عن الكفر. ﴿وما كان أكثرهم﴾ أي أكثر قومه عليه السلام. ﴿مؤمنين﴾ مع ذلك لغاية تماديهم في الكفر والضلالة وانهماكهم في الغي والجهالة وكان صلة عند سيبويه لأنه لو حمل على معنى ما كان أكثرهم في علم الله وقضائه لتوهم كونهم معذورين في الكفر بحسب الظاهر وبيان موجبات الإيمان من جهته تعالى يخالف ذلك.

يقول الفقير: قوله تعالى: ﴿إن نشأ نزل﴾ الآية ونظائره يدل على المعنى الثاني ولا يلزم من ذلك المعذورية لأنهم صرفوا اختياراً إلى جانب الكفر والمعصية وكانوا في العلم الأزلي غير مؤمنين بحسب اختيارهم ونسبة عدم الإيمان إلى أكثرهم لأن منهم من سيؤمن. ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ الغالب القادر على الانتقام من الكفرة. ﴿الرحيم﴾ المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يأخذهم بغتة.

وقال في «كشف الأسرار»: يرحم المؤمن الذين هم الأقل بعد الأكثر.

وفي «التأويلات النجمية»: بعزته قهر الأعداء العتاة وبرحمته ولطفه أدرك أولياء بجذبات العناية. وعن السري السقطي قدس سره قال: كنت يوماً أتكلم بجامعة المدينة فوقف عليّ شاب حسن الشباب فاخر الثياب ومعه أصحابه فسمعتني أقول في وعظي: عجباً لضعيف يعصي قوياً فتغير لونه فانصرف فلما كان الغد جلست في مجلسي وإذا به قد أقبل فسلم وصلى ركعتين وقال: يا سري سمعتك بالأمس تقول: عجباً لضعيف كيف يعصي قوياً فما معناه؟ فقلت: لا أقوى من الله ولا أضعف من العبد وهو يعصيه فنهض فخرج ثم أقبل من الغد وعليه ثوبان أبيضان وليس معه أحد فقال: يا سري كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فقلت: إن أردت العبادة فعليك بصيام النهار وقيام الليل وإن أردت الله فاترك كل شيء سواه تصل إليه وليس إلا المساجد والمحارب والمقابر فقام وهو يقول: والله لا سلكت إلا أصعب الطرق وولى خارجاً فلما كان بعد أيام أقبل إليّ غلمان كثير فقالوا: ما فعل أحمد بن يزيد الكاتب فقلت: لا أعرف إلا رجلاً جاءني من صفته كذا وكذا وجرى لي معه كذا وكذا ولا أعلم حاله فقالوا: بالله عليك متى عرفت حاله فعرفنا ودلنا على داره فبقيت سنة لا أعرف له خبراً فبينما أنا ذات ليلة بعد العشاء الآخرة جالس في بيتي إذ بطارق يطرق الباب فأذنت له في الدخول فإذا بالفتى عليه قطعة من كساء في وسطه وأخرى على عاتقه ومعه زنبيل فيه نوى فقبل بين عيني وقال: يا سري أعتقك الله من النار كما أعتقتني من رق الدنيا فأومأت إلى صاحبي أن امض إلى أهله فأخبرهم فمضى فإذا زوجته قد جاءت ومعها ولده وغلماناه فدخلت وألقت الولد في حجره وعليه حلي وحلل وقالت: يا سيدي أرملتني وأنت حي وأيتمت ولدك وأنت حي قال السري: فنظر إليّ وقال: يا سري ما هذا وفاء ثم أقبل عليها وقال: والله إنك لثمرة فؤادي وحبوبة قلبي وإن هذا

ولدي لأعز الخلق علي غير أن هذا السري أخبرني أن من أراد الله قطع كل ما سواه ثم نزع ما على الصبي وقال: ضعي هذا في الأكباد الجائعة والأجساد العارية وقطع قطعة من كسائه فلف فيها الصبي فقالت المرأة: لا أرى ولدي في هذه الحالة وانتزعته منه فحين رآها قد اشتغلت به نهض وقال: ضيعتم علي ليلتي بيني وبينكم الله وولي خارجاً وضجت المرأة بالبكاء فقالت: إن عدت يا سري سمعت له خبراً فأعملني فقلت: إن شاء الله فلما كان بعد أيام أتتني عجوز فقال: يا سري بالشونيزية غلام يسألك الحضور فمضيت فإذا به مطروح تحت رأسه لبنة فسلمت عليه ففتح عينيه وقال: ترى يغفر تلك الجنائيات؟ فقلت: نعم قال: يغفر لمثلي قلت: نعم قال: أنا غريق قلت: هو منجي الغرقى فقال: علي مظالم فقلت: في الخبر أن يؤتى بالتائب يوم القيامة ومعه خصومه فيقال لهم: خلوا عنه فإن الله تعالى يعوضكم فقال: يا سري معي دراهم من لقط النوى إذا أنا مت فاشتر ما أحْتَاج إليه وكفني ولا تعلم أهلي لئلا يغيروا كفني بحرام فجلست عنده قليلاً ففتح عليه وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ثم مات فأخذت الدراهم فاشتريت ما يحتاج إليه ثم سرت نحوه فإذا الناس يهرعون إليه فقلت ما الخبر فقل: مات ولي من أولياء الله نريد أن نصلي عليه فجنّت فغسلته ودفناه فلما كان بعد مدة وفد أهله يستعلمون خبره فأخبرتهم بموته فأقبلت امرأته باكية فأخبرتها بحاله فسألتنني أن أريها قبره فقلت: أخاف أن تغيروا أكفانه قالت: لا والله فأريتها القبر فبكت وأمرت بإحضار شاهدين فأحضراً فاعتقت جواربها ووقفت عقارها وتصدقت بمالها ولزمت قبره حتى ماتت رحمة الله تعالى عليهما.

چون کند کحل عنایت دیدہ باز انیچین باشد بدنیا اهل راز

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَتِيَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ قَوْمٌ فَرَعُونَ ۖ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٨﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ إذ منصوب با ذکر المقدر والمناداة والنداء رفع الصوت وأصله من الندى وهو الرطوبة واستعارته للصوت من حيث أن من تكثر رطوبة فمه حسن كلامه ولهذا يوصف الفصيح بكثرة الريق. والمعنى اذكر يا محمد لقومك وقت نداءه تعالى وكلامه موسى أي ليلة رأى الشجرة والنار حين رجع من مدين وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم إياه وحذرهم أن يصيبهم مثل ما أصابهم. ﴿أَنْ أَتِيَ﴾ تفسير نادى فإن مفسرة بمعنى أي والإتيان مجيء بسهولة. والمعنى قال له: يا موسى ائت. ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي واستعباد بني إسرائيل وذبح أبنائهم.

﴿قَوْمٌ فَرَعُونَ﴾ بدل من القوم والاقتصار على القوم للإيذان بشهرة أن فرعون أول داخل في الحكم. ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ استئناف لا محل له من الإعراب وألا تحضيض على الفعل أتبعه إرساله إليهم لإنذار وتعجيباً من غلوهم في الظلم وإفراطهم في العدوان أي ألا يخافون الله يصرون عن أنفسهم عقابه بالإيمان والطاعة. وبالفارسية [آيا نمی ترسند یعنی باید که ترسند از عذاب حضرت الهی و دست از کفر بدارند و بنی اسرائیل را بکذا رند].

﴿قَالَ﴾ استئناف كأنه قيل: فماذا قال موسى؟ فقيل: قال متضرعاً إلى الله تعالى: ﴿رَبِّ﴾ [أي پروردگار من]. ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ الخوف توقع مكروه عن إمارة مظنوننة أو معلومة كما أن

الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمانة مظنونة أو معلومة. ﴿إِنْ يَكْذِبُونَ﴾ ينكروا نبوتي وما أقول من أول الأمر.

قال بعض الكبار: خوفه كان شفقة عليهم وأصله يكذبوني فحذفت الياء استغناء بالكسر. ﴿ويضيق صدري﴾ [وتنك شؤد دل من اذا انفعال تكذيب] وكان في موسى حدة وهو معطوف على أخاف وكذا قوله: ﴿ولا ينطلق لساني﴾ [ونكشاید زبان من وعقده كه دارد زیادة كردد] فإن الانطلاق بالفارسية [كشاده شدن ویشدن] والمراد هنا هو الأول واللسان الجارحة وقوتها قال الله تعالى: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: ٢٧] يعني من قوة لساني فإن العقدة لم تكن في الجارحة وإنما كانت في قوتها التي هي النطق بها كما في «المفردات» ﴿فأرسل﴾ جبريل عليه السلام ﴿إلى هارون﴾ ليكون معيناً لي في التبليغ فإنه أفصح لساناً وهو أخوه الكبير. وبالفارسية [أورا شريك من كردان برسالت تا با عانت أو نزد فرعونيان روم].

واعلم أن التكذيب سبب لضيق القلب وضيق القلب سبب لتعسر الكلام على من يكون في لسانه حبسة لأنه عند ضيق القلب ينقبض الروح والحرارة الغريزية إلى باطن القلب وإذا انقبضا إلى الداخل ازدادت الحبسة في اللسان فلهذا بدأ عليه السلام بخوف التكذيب ثم ثنى يضيق الصدر ثم ثلث بعدم انطلاق اللسان وسأل تشريك أخيه هارون فإنه لو لم يشرك به في الأمر لاختلفت المصلحة المطلوبة من بعثة موسى وسبب عقدة لسانه عليه السلام احتراقه من الجمرة عند امتحان فرعون كما قال العطار:

همچو موسى این زمان درطشت آتش ما نداه ایم

طل فرعونیم ما کان ودهان پراخکرست

ولم تحترق أصابعه حين قبض على الجمرة لتكون فصاحته بعد رجوعه إلى فرعون بالدعوة معجزة ولذا قال بعضهم: من قال كان أثر ذلك الاحتراق على لسانه بعد الدعوة فقد أخطأ.

قال بعض الكبار: ينبغي للواعظ أن يراقب الله في وعظه ويجتنب عن تكلم ما يشين بجمال الأنبياء ويهتك حرمتهم ويطلق السنة العامة في حقهم ويسيء الظن بهم وإلا مقتته الله وملائكته.

﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (١٤) قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا يَسَافِرَيْنِ إِنَّآ مَعَكُمْ مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأَتَيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾ .

﴿ولهم﴾ أي لقوم فرعون ﴿علي﴾ أي بذمتي ﴿ذنب﴾ أي جزاء ذنب وموجبه فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والمراد به قتل القبطي دفعاً عن السبطي وإنما سماه ذنباً على زعمهم.

وقال الكاشفي: [وايشانرا برمن دعوى كناهست مراد قتل قبطيست ويزعم ايشان كناه ميكويد]. ﴿فأخاف﴾ إن أتيتهم وحدي. ﴿أن يقتلون﴾ بمقابلته قبل أداء الرسالة كما ينبغي. وأما هارون فليس له هذا الذنب.

قال بعض الكبار: ليس بعجب طريان خوف الطبيعة وصفات البشرية على الأنبياء فالقلب ثابت على المعرفة.

واعلم أن هذا وما قبله ليس تعللاً وتوقفاً من جانب موسى وتركاً للمسارعة إلى الامتثال بل هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها واستظهار في أمر الدعوة وحقيقته أن موسى عليه السلام أظهر التلويح من نفسه ليجد التمكين من ربه وقد آمنه الله وأزال عنه كل كلفة حيث .

﴿قال﴾ تعالى ﴿كلاً﴾ أي: ارتدع عما تظن فإنهم لا يقدرّون على قتلك به لأنني لا أسلّطهم عليك بل أسلّطك عليهم ﴿فأذهباً﴾ أي أنت والذي طلبت وهو هارون فالخطاب إليهما على تغليب الحاضر ﴿بآياتنا﴾ أي حال كونكما ملتبسين بآياتنا التسع التي هي دلائل القدرة وحجة النبوة وهو رمز إلى دفع ما يخافه . ﴿إنّا معكم﴾ تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسليّة لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة والمراد موسى وهارون وفرعون فمع موسى وهارون بالعون والنصر ومع فرعون بالقهر والكسر وهو مبتدأ وخبر وقوله: ﴿مستمعون﴾ خبر ثان أو الخبر وحده ومعكم ظرف لغو وحقيقة الاستماع طلب السمع بالإصغاء وهو بالفارسية [كوش فراداشتن] والله تعالى منزّه عن ذلك فاستعير للسمع الذي هو مطلق إدراك الحروف والأصوات من غير إصغاء . والمعنى سامعون لما يجري بينكما وبينه فأظهر كما عليه مثل حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يسمع ما يجري بينهم ليمد الأولياء منهم ويظهرهم على الأعداء مبالغة في الوعد بالإعانة وجعل الكلام استعارة تمثيلية لكون وجه الشبه هيئة متترعة من عدة أمور .

﴿فائتيا فرعون﴾ [پس بياييد فرعون] وهو الوليد بن مصعب وكنيته أبو العباس وقيل: اسمه مغيب وكنيته أبو مرة وعاش أربعمئة وستين سنة ﴿فقلوا إنّا﴾ أي: كل معنا ﴿رسول رب العالمين﴾ [فرستاده پرورد کار عالمیا نیم] وقال بعضهم: لم يقل رسولاً لأن موسى كان الرسول المستقل بنفسه وهارون كان رداً يصدقّه تبعاً له في الرسالة ﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ أن مفسرة لتضمن الإرسال المفهوم من الرسول معنى القول والإرسال ههنا التخلية والإطلاق كما تقول: أرسلت الكلب إلى الصيد أي خلهم وشأنهم ليذهبوا إلى أرض الشام وكانت مسكن آبائهم: وبالفارسية [وسخن اینست كله إيشان بوده] .

وكان فرعون استعبدهم أربعمئة سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمئة ألف وثلاثين ألفاً فانطلق موسى إلى مصر وهارون كان بها فلما تلاقيا ذهباً إلى باب فرعون ليلاً ودق موسى الباب بعصاه ففزع البوابون وقالوا: من بالباب؟ فقال موسى: أنا رسول رب العالمين فذهب البواب إلى فرعون فقال: إن مجنوناً بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين فأذن له في الدخول من ساعته كما قاله السدي أو ترك حتى أصبح ثم دعاهما فدخل عليهما وأديا رسالة الله فعرف فرعون موسى لأنه نشأ في بيته فشتمه .

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَك الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفَّيْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبْدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿قال﴾ فرعون لموسى .

وقال قتادة: إنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب: ههنا إنسان يزعم أنه رسول رب العالمين فقال: ائذن له حتى نضحك منه فأديا إليه الرسالة فعرف موسى فقال عند ذلك على سبيل الامتنان: ﴿ألم نربك فينا وليداً﴾ في حجرنا ومنزلنا .

وقال الكاشفي: [نه ترا پروردیم در میان خویش ﴿ولیداً﴾ در حالتی که طفل بودی نزدیک بولادت] عبر عن الطفل بذلك لقرب عهده من الولادة.

﴿ولبت فينا من عمرك سنين﴾ [ودرنك كردي در منزلهاي ما سالها از عمر خود] قوله: من عمرك حال من سنين. والعمر بضمين مصدر عمر أي عاش وحيي. قال الراغب: العمر اسم لمدة عمارة البدن بالحياة قليلة أو كثيرة.

قيل: لبت فيهم ثلاثين سنة ثم خرج إلى مدين وأقام بها عشر سنين ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله تعالى ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين فيكون عمر موسى مائة وعشرين سنة ﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ الفعلة بالفتح المرة الواحدة يعني قتل القبطي الذي كان خباز فرعون واسمه فاتون وبعد ما عدد نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال نبه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظمه.

قال ابن الشيخ: تعظيم تلك الفعلة يستفاد من عدم التصريح باسمها الخاص فإن تنكير الشيء وإبهامه قد يقصد به التعظيم ﴿وأنت من الكافرين﴾ حال من إحدى التائين أي من المنكرين لنعمتي والجاحدين لحق تربيتي حيث عمدت إلى رجل من خواصي.

﴿قال﴾ موسى ﴿فعلتها﴾ أي تلك الفعلة. ﴿إذا﴾ أي حين فعلت أي قتلت النفس وهو حرف جواب فقط لأن ملاحظة المجازاة ههنا بعيدة. ﴿وأنا من الضالين﴾ يقال: ضل فلان الطريق أخطأه أي ضللت طريق الصواب وأخطأته من غير تعمد كمن رمى سهماً إلى طائر وأصاب آدمياً وذلك لأن مراد موسى كان تأديبه لا قتله. وبالفارسية [آگاه نبودم که بمشت زدن من آنکس کشته شود].

﴿ففررت منكم﴾ ذهب من بينكم إلى مدين حذراً على نفسي. ﴿لما خفتكم﴾ أن تصيبوني بمضرة وتؤاخذوني بما لا أستحقه بجنايتي من العقاب. ﴿فوهب لي ربي﴾ حين رجعت من مدين. ﴿حكماً﴾ أي علماً وحكمة ﴿وجعلني من المرسلين﴾ إليكم. وفي «فتح الرحمن»: حكماً أي نبوة وجعلني من المرسلين درجة ثانية للنبوة فرب نبي ليس برسول.

قال بعض الكبار: إن الله تعالى إذا أراد أن يبلغ أحداً من خلقه إلى مقام من المقامات العالية يلقي عليه رعباً حتى يفر إليه من خلقه فيكشف له خصائص أسرارهِ كما فعل بموسى عليه السلام ومعاصي الخواص ليست كمعاصي غيرهم فإنهم لا يقعون فيها بحكم الشهوة الطبيعية بل بحسب الخطأ وذلك مرفوع.

﴿وتلك﴾ أي التربية المدلول عليها بقوله: ﴿ألم نربك﴾ ﴿نعمة تمنها علي﴾ أي تمن بها عليّ ظاهراً وهي في الحقيقة. ﴿أن عبدت بني إسرائيل﴾ أي تعبيدك بني إسرائيل وقصدك إياهم بذبح أبنائهم فإن السبب في وقوعي عندك وحصولي في تربيتك يعني لو لم يفعل فرعون ذلك أي قهر بني إسرائيل وذبح أبنائهم لتكفلت أم موسى بتربيته ولما قذفته في اليم حتى يصل إلى فرعون ويربي بتربيته فكيف يمتن عليه بما كان بلاؤه سبباً له.

قوله تلك مبتدأ ونعمة خبرها وتمنيتها عليّ صفة وإن عبدت خبر مبتدأ محذوف أي وهي في الحقيقة تعبيد قومي. والتعبيد: بالفارسية [دام كردن وبنيد كي كرفتن] يقال عبدته إذا أخذته عبداً وقهرته وذلته.

رد موسى عليه السلام أولاً ما وبخه فرعون قدحاً في نبوته ثم رجع إلى ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقاً غير قادح في دعواه بل نبه على أن ذلك كان في الحقيقة نعمة لكونه مسبباً عنها.

قال بعضهم: بدأ فرعون بكلام السفلة ومنّ على نبي الله بما أطعمه والمنة النعمة الثقيلة. ويقال ذلك على وجهين:

أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل فيقال: منّ فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وذلك في الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى.

والثاني: أن يكون ذلك بالقول وذلك مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة ولقبح ذلك قيل: المنة تهدم الصنعة ولحسن ذكرها عند الكفران قيل: إذا كفرت النعمة حسنت المنة أي عد النعمة.

قال محمد بن علي الترمذي قدس سره: ليس من الفتوة تذكّار الصنائع وتعدادها على من اصطنعت إليه ألا ترى إلى فرعون لما لم يكن له فتوة كيف ذكر صنيعه وامتن به على موسى:

از نا كسان دهر ثبوت طمع مدار از طبع دير خاصيت آدمي مجوى
اعلم أن الله تعالى جعل موسى عليه السلام مظهر صفة لطفه بأن جعله نبياً مرسلأ وله في هذا المعنى كمالية لا يبلغها إلا بالتربية ومقاساة شدائد الرسالة مع فرعون وجعل فرعون مظهر صفة قهره بأن جعله مكذباً لموسى ومعانداً له وكان لفرعون كمالية في التمرد والإباء والاستكبار لم يبلغها إبليس، ليعلم أن للإنسان استعداداً في إظهار صفة اللطف لم يكن للملك ولذلك صار الإنسان مسجوداً للملك والملك ساجده، ولو لم يكن موسى عليه السلام داعياً لفرعون إلى الله تعالى وهو مكذبه لم يبلغ فرعون إلى كماليته في التمرد ليكون مظهر الصفة القهر بالتربية في التمرد كذا في «التأويلات النجمية» وقس عليهما كل موسى وكل فرعون في كل عصر إلى قيام الساعة فإن الأشياء تتبين بالأضداد وتبلغ إلى كمالها.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَعِينُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَجُكُمُ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾.

﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ ما استفهامية معناها أي شيء والرب المربي والمتكفل لمصلحة الموجودات والعالم اسم لما سوى الله تعالى من الجواهر والأعراض، والمعنى أي شيء رب العالمين الذي ادعيت أنك رسوله وما حقيقته الخاصة ومن أي جنس هو منكراً لأن يكون للعالمين رب سواه.

قال الكاشفي: [چون فرعون شنیده بود که موسی گفت أنا رسول رب العالمین أسلوب سخن بکر دانید واز روی امتحان گفت چیست پروردگار عالمیان وچه چیزاست سؤال از ماهیت کرد] ولما لم يمكن تعريفه تعالى إلا بلوازمه الخارجية لاستحالة التركيب في ذاته من جنس وفصل ﴿قال﴾ موسى مجيباً له بما يصح في وصفه تعالى. ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ عين ما أراده بالعالمين لثلاث يحملها اللعين على ما تحت مملكته ﴿إن كنتم موقنين﴾ بالأشياء المحققين لها بالنظر الصحيح الذي يؤدي إلى الإتيان وهو بالفارسية: [بي کمان شدن]

علمتم أن العالم عبارة عن كل ما يعلم به الصانع من السموات والأرض وما بينهما وأن ربها هو الذي خلقها ورزق من فيها ودبر أمورها فهذا تعريفه وجواب سؤالكم لا غير والخطاب في كنتم لفرعون وأشراف قومه الحاضرين.

قال الكاشفي: [هیچ کس را از حقیقة حق آکاهی ممکن نیست هرچه در عقل وفهم و وهم و حواس و قیاس کنجد ذات خدا وند تعالی ازان منزّه و مقدس است چه آن همه محدثاً تند و محدث جزا إدراک محدث نتوان کد].

آنکه او از حدث بر آرد دم چه شناسد که چیست سر قدم
علم راسوي حضر تش ره نیست عقل نیز از کمالش آکه نیست
فمعنی العلم بالله العلم به من حیث الارتباط بینه و بین الخلق و انتشار العالم منه بقدر
الطاقة البشرية إذ منه ما لا توفیه الطاقة البشرية وهو ما وقع فيه الکمل في ورط الحيرة وأقروا
بالعجز عن حق المعرفة.

﴿قال﴾ فرعون عند سماع جوابه خوفاً من تأثيره في قلوب قومه و انقيادهم له. ﴿لمن حوله﴾ من أشراف قومه وهم القبط [وايشان بانصد تن بود زيورها بسته وبرکر سيهاي زرین نشسته] و حول الشيء جانبه الذي يمكنه أن يحول إليه وينقلب. ﴿ألا تستمعون﴾ ما يقول فاستمعوه وتعجبوا منه في مقاله وفيه يريد ربوبية نفسه.

﴿قال﴾ موسى زيادة في البيان وخطأ له عن مرتبة الربوبية إلى مرتبة المربوبية.
قال الكاشفي: [عدول کرد از ظهر آیات باقرب آیات بناظر و واضح آن بر متأمل] ﴿وبكم ورب آبائكم الأولين﴾ وقيل: إن فرعون كان يدعي الربوبية على أهل عصره وزمانه فلم يدع ذلك على من كان قبله فبين بهذه الآية أن المستحق للربوبية هو رب كل عصر وزمان.

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ

(٢٨) قَالَ لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩)

﴿قال﴾ فرعون من سفاهته و صرفاً لقومه عن قبول الحق. ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ لا يصدر ما قاله عن العقلاء وسماء رسولاً على السخرية وإضافة إلى مخاطبيه ترفعاً من أن يكون مرسلأ إلى نفسه. والجنون حائل بين النفس والعقل كما في «المفردات».
﴿قال﴾ موسى زيادة في تعريف الحق ولم يشتغل بمجاوبته في السفاهة. ﴿رب المشرق والمغرب وما بينهما﴾ بيان ربوبيته للسموات والأرض وما بينهما وإن كان متضمناً لبيان الخافقين وما بينهما لكن أراد التصريح بذكر الشروق والغروب للتغيرات الحادثة في العالم من النور مرة والظلمة أخرى المفتقرة إلى محدث عليم حكيم.

قال ابن عطاء: منور قلوب أوليائه بالإيمان ومشرق ظواهرهم ومظلم قلوب أعدائه بالكفر ومظهر آثار الظلمة على هياكلهم. ﴿إن كنتم تعقلون﴾ شيئاً من الأشياء أو من جملة من له عقل وتمييز علمتم أن الأمر كما قلته واستدللت بالآثر على المؤثر.

وفيه تلويح بأنهم بمعزل من دائرة العقل متصفون بما رموه عليه السلام به من الجنون فمن كمال ضدية موسى وفرعون وكذا القلب والنفس يعد كل منهما ما يصدر من الآخر من الجنون وقس عليهما العاشق والزاهد فإن جنون العشق من واد و جنون الزهد من واد آخر.

زدشبیخ نارسیده بعشق توطعنه أم دیوانه را زسرزنش کودکان چه باک ﴿قال﴾ فرعون من غایه تمرده ومیلاً إلى العقوبة كما يفعله الجبابة وعدولاً إلى التهديد من المحاجة بعد الانقطاع وهكذا دیدن المعاند المحجوب وغيظاً على نسبة الربوبية إلى غيره ولعله كان دهریاً اعتقد أن من ملك قطراً وتولى أمره بقوة طالعة استحق العبادة من أهله.

وقال بعضهم: كان الملعون مشبهاً ولذلك قال وما رب العالمين أي شيء هو فنوقعه في الخيال. ﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ اللام للعهد أي لأجعلنك من الذين عرفت أحوالهم في سجوني فإنه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لأسجنك.

قال الكشافی: [هر آینه کردانیدم ترا از زندانیان آورده اندکه سجن فرعون از قتل بدتر بود زیراکه زندانیانرا در حفرة عمیق می انداختندکه در آنجا هیچ نمی دیدند ونمی شنیدند وبیرون نمی آوردند إلا مردۀ].

وفیه إشارة إلى سجن حب الدنيا فإن القلب إذا كان متوجهاً إلى الله وطلبه معرضاً عن النفس وشهواتها فلا استیلاء للنفس علیه إلا بشبكة حب الجاه والرياسة فإنه آخر ما يخرج عن رؤوس الصديقين.

باشد أهل آخرت را حب جاه همچو یوسف را دران شهراه جاه

﴿قَالَ أُولُو جِنَّتِكَ بَشِيَءٌ مُّبِينٌ﴾ (۳۲) قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴿۳۱﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿۳۲﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَشَآءٌ لِلنّٰظِرِیْنَ ﴿۳۳﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ عَلَیْكَ ﴿۳۴﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿۳۵﴾

﴿قال﴾ موسی: ﴿أولو جنتك﴾ [اکریایم ترا] ﴿بشيء مبين﴾ یعنی أتفعل بی ذلك ولو جنتك بشيء موضح لصدق دعواي یعنی المعجزة فإنها الجامعة بین الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته فالواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام للإنكار بعد حذف الفعل أي جاثياً بشيء مبين وجعلها بعضهم للعطف أي أتفعل بی ذلك لو لم أجيء بشيء مبين ولو جنتك به أي على كل حال من عدم المجيء والمجيء.

﴿قال﴾ فرعون ﴿فانت به﴾ [پس بیار آن چیزرا]. ﴿إن كنت من الصادقين﴾ فی أن لك بینة موضحة لصدق دعواك وكان فی يد موسى عصا من شجر الآس من الجنة وكان آدم جاء بها من الجنة فلما مات قبضها جبریل ودفعها إلى موسى وقت رسالته فقال موسى لفرعون: ما هذه التي بيدي قال فرعون: هذه عصا.

﴿فألقي﴾ من يده ﴿عصاه﴾ والإلقاء طرح الشيء حيث تلقاه وتراه ثم صار فی التعارف اسماً لكل طرح. ﴿فإذا هي﴾ [پس آنجا عصا پس ازافکندن] ﴿ثعبان مبين﴾ أي ظاهر الثعبانية وإنها شيء يشبه الثعبان صورة بالسحرة أو غيره والثعبان أعظم الحيات بالفارسية [ازدها] واشتقاقه من ثعبت الماء فانثعب أي فجرته فانفجر.

قال الكاشفي: [وفرعون از مشاهده او بترسید و مردمان که حاضر بودند هزیمت کردند چنانچه در وقت فراریست وپننج هزارکس کشته شد].

قال فرعون من شدة الرعب: يا موسى أسألك بالذي أرسلك أن تأخذها فأخذها فعادت

عصا ولا تناقض بينه وبين قوله ﴿كَأَنَّهُ جَانٌّ﴾ [القصص: ٣١] وهو الصغير من الحيات لأن خلقها خلق الثعبان العظيم وحركتها وخفتها كالجان كما في «كشف الأسرار».

وفيه إشارة إلى إلقاء القلب عصا الذكر وهو كلمة لا إله إلا الله فإذا هي ثعبان مبین يلتقم بقم النفي ما سوى الله.

﴿ونزع يده﴾ من جيبه. وبالفارسية [ودست راست خویش از زیر بازوی چپ خویش بیرون کشید] ﴿فإذا هي﴾ [پس آنجا دست او ﴿بیضاء﴾ ذات نور و بیاض من غیر برص. وبالفارسية [سپید در خشنده بود بعد از آنکه کندم کونه بود] ﴿للمناظرين﴾ [مر نظر کنند کانرا گفته اند شعاع دست مبارک موسی بمثابه نور آفتاب دیده را خیره ساختی] - روی - أن فرعون لما رأى الآية الأولى قال: فهل غيرها؟ فاخرج يده فقال: ما هذه؟ قال فرعون: يدك فما فيها؟ فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع كاد يغشي الأبصار ويسد الأفق.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ونزع يده﴾ أي يد قدرته ﴿فإذا هي بيضاء﴾ مؤيدة بالتأييد الإلهي منورة بنور ربي يبطش ﴿للمناظرين﴾ أي: لأهل النظر الذين ينظرون بنور الله فإن النور يرى.

﴿قال﴾ فرعون ﴿للملأ﴾ أي لأشراف قومه حال كونهم مستقرين ﴿حوله﴾ فهو ظرف وضع موضع الحال وقد سبق معناه. والملأ جماعة يجتمعون على رأي فيملؤون العيون رواء والنفوس جلاله وبهاء ﴿إن هذا﴾ [بدرستي كه اين مرد] يعني موسى. ﴿لساحر عليم﴾ فائق في علم السحر. وبالفارسية [جادويست دانا واستاد فرعون ترسيدكه كسان وي بموسى إيمان آرند حيله انكيخت وكفت اين جاد وييست كه درفن سحر مهارتي تمام دارد] «يريد» الخ والسحر تخيلات لا حقيقة لها فالساحر المحتال المخيل بما لا حقيقة له وجه الجمع بين هذا وبين قوله في الأعراف: قال الملأ من قوم فرعون حيث أسند القول بالساحرية إليهم أن فرعون قاله لحاضرين والحاضرون قالوه للغائبين كما في «كشف الأسرار».

﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم﴾ من أرض مصر ويتغلب عليكم ﴿بسحره﴾ [بجادويء خود] ﴿فماذا تأمرون﴾ [پس چه فرمايد مرا شما دركار او و اشارت كنيد].

قال في «كشف الأسرار»: هي من المؤامرة لا من الأمر وهي المشاورة وقيل للتشاور ائتمار لقبول بعضهم أمر بعض فيما أشار به أي ماذا تشيرون به علي في دفعه ومنعه قهره سلطان المعجزة وحيره حتى حطه عن دعوى الربوبية إلى مقام مشاورة عبيده بعد ما كان مستقلاً بالرأي والتدبير وأظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الإخراج والأرض إليهم لأجل تفجيرهم عن موسى.

﴿قَالُوا أَزِجُهُ وَآخَاهُ وَاتَّبَعَ فِي الدِّينِ حَشِيرَ ﴿٢٧﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِيَقْتُلَ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قالوا﴾ أي الملأ ﴿أرجه وأخاه﴾ يقال: أرجه أخر الأمر عن وقته كما في «القاموس» أي أخر أمر موسى وأخيه هارون حتى تنظر ولا تعجل بقتلهما قبل أن يظهر كذبهما حتى لا يسيء عبيدك الظن بك وتصير معذوراً في القتل. ﴿وابعث﴾ [وبرانكيز وبفرست] ﴿في المدائن﴾ في الأمصار والبلدان وأقطار مملكتك. وبالفارسية [درشهرها مملكت خود].

وفي «فتح الرحمن»: هي مدائن الصعيد من نواحي مصر. ﴿حاشرين﴾ أي: شرطاً يحشرون الناس ويجمعونهم فحاشرين صفة لموصوف محذوف هو مفعول ابعث والشرط جمع شرطة بالضم وسكون الراء وفتحها وهي طائفة من أعوان الولاة معروفة كما في «القاموس» والشرط بالفتح العلامة ومنه سمي الشرط لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها.

﴿يأتوك﴾ [تابيارتندترا] أي: الحاشرون. ﴿بكل سحار﴾ [هرجانيك جادويست] ﴿عليم﴾ [دانا وبرسر آمد درفن سحر] أي فيعارضوا موسى بمثل سحره بل يفضلوا عليه ويتضح للعلامة كذبه فتقتله حينئذ. وهذا تدبير النفس وإلقاء الشيطان في دفع الحق الصريح وكل تدبير هكذا في كل عصر فصاحبه مدبر البتة وإنما يجيء خبث القول والفعل من خبث النفس إذ كل إناء يترشح بما فيه ولو ترك فرعون وقومه التدبير في أمر موسى وقابلوه بالقبول لسلموا من كل آفة لكن منعهم حب الجاه عن الانتباه وحبك الشيء يعمي ويصم وإنما أدخلوا إلى الأرض غفلة الباقية الحاصلة بالإيمان والإطاعة والاتباع: وفي «المثنوي»:

تخت بندست آنكه تختش خوانده	صدر پنداري وپردر مانده
پادشاهان جهان از بدركي	بونبردند از شراب بندكي
ورنه ادهم وار سرکردان ودنك	ملك را برهم زدندي بي درنك
ليك حق بهر ثبات اين جهان	مهرشان بنهاد برچشم دهان
تاشود شيرين بریشان تخت وتاج	كه ستانيم ازجهانداران خراج
از خراج ارجمع آرى زرچوريك	آخر آن ازتو بماند مرده ريك
همره جانب نكردد ملك وزر	زريده سرمه ستان بهر نظر
تابيني كين جهان چاهيست تنك	يوسفانه آن رسن آرى بچنك
هست درجاه انعكاسات نظر	كمترين آنكه نمايد سنك زر
وقت بازي كودكانرا زاختلال	مي نمايد اين خزفها زرّ ومال

﴿فجمع السحرة﴾ أي: بعث فرعون الشرط في المدائن لجمع السحرة فجمعوا وهم اثنان وسبعون أو سبعون ألفاً كما يدل عليه كثرة الحبال والعصي التي خيلوها وكان اجتماعهم بالإسكندرية على ما رواه الطبري. ﴿لميقات يوم معلوم﴾ الميقات الوقت المضروب للشيء أي لما وقت به وعين من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة وهو يوم عيد لهم كانوا يتزينون ويجتمعون فيه كل سنة - روي - عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه وافق يوم السبت في أول يوم من السنة وهو يوم النيروز وهو أول يوم من فرودين ماه ومعنى نيروز بلغة القبط طلع الماء أي علا ماء النيل وبلغة العجم نوروز أي اليوم الجديد وهو أول السنة المستأنفة عندهم وإنما وقت لهم موسى وقت الضحى من يوم الزينة في قوله: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحًى﴾ [طه: ٥٩] ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك في الأقطار واختاره فرعون أيضاً ليظهر كذب موسى بمحضر الجمع العظيم فكان ما كان.

﴿وقيل﴾ من طرف فرعون ﴿للناس﴾ لأهل مصر وغيرهم ممن يمكن حضوره. ﴿هل أنتم مجتمعون﴾ [آيا هستيد شما فراهم آيد وجمع شويد].

ففيه استبطاء لهم في الاجتماع حثاً على مبادرتهم إليه فليس المراد بهل حقيقة الاستفهام بقرينة عدم الجواب.

﴿لَعَلَّنَا نَبْعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْفَلِيلِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَّا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْفَلِيلِينَ ﴿٤٧﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٨﴾ .

﴿لعلنا﴾ [شاید ما همه باتفاق]. ﴿نتبع السحرة﴾ [اگرچه ما همه راغبین] لا موسی ولس مرادهم أن يتبعوا دينهم حقيقة وإنما هو أن لا يتبعوا موسی لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حملاً لهم على الاهتمام والجد في المغالبة فالترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع لا باعتبار الاتباع.

﴿فلما جاء السحرة﴾ [پس آن هنگام که آمدند جادوان بنزدیک فرعون آیشانرا بارداد و دلنوازی بسیار کرد ایشان کستاخ شده]. ﴿قالوا لفرعون ائن لنا﴾ [آیا مارا باشد] ﴿لأجراً﴾ جعلاً عظيماً. ﴿إن كنا نحن الغالبين﴾ لا موسی.

﴿قال نعم﴾ [کم ذلك]. یعنی [آری مزد باشد شمارا] ﴿وإنكم﴾ مع ذلك ﴿إذا﴾ [ووقت یعنی إذا غلبتم] ﴿لمن المقربين﴾ [عندی تكونون أول من يدخل عليّ و آخر من يخرج من عندي و كان ذلك من أعظم المراتب عندهم و هكذا حال أرباب الدنيا في حب قرابة السلطان و نحوه و هو من أعظم المصائب عند العقلاء] چون برین وعده مستظهر کشته جادو بیهای خود را بمیدان معین آوردند و بوقت معلوم در برابر حضرت موسی صف برکشیده گفتند ای موسی تاول افکنی جادویی خود را یا ما بیفکنیم].

﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَلْفَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٥١﴾ فَأَلْفَى السَّحَرَةُ سِحْرَ مُوسَى ﴿٥٢﴾ قَالُوا أَمَناً رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾

﴿قال لهم موسی ألقوا﴾ اطرحوا ﴿ما أنتم ملقون﴾ [ما یرد به أمرهم بالسحر و التمويه لأن ذلك غير جائز بل الإذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلاً به إلى إظهار الحق و إبطال الباطل].

قال في «كشف الأسرار»: ظاهر الكلام أمر ومعناه التهاون في الأمر وترك المبالاة بهم وبأفعالهم. ﴿فألقوا حبالهم﴾ جمع حبل ﴿وعصيهم﴾ جمع عصا. یعنی [پس بیفکنند رسنها و عصاهای مجوف پرسیماب ساخته خود را که هفتاد هزار رسن و هفتاد هزار عصا بود] ﴿وقالوا﴾ [وگفتند بعد از آنکه عصا و رسنها بحرارت آفتاب در حرکت آمد و از مردمان غریو برخاست] ای قالوا عند الإلقاء حالهین ﴿بعزة فرعون﴾ [بحق بزرگی و قوت و غالبیت فرعون] ﴿إنا نحن الغالبون﴾ علی موسی و هارون أقسموا بعزته علی أن الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في أنفسهم و إتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى من السحر. والقسم بغير الله من أقسام الجاهلية وفي الحديث: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون».

قال بعض الكبار: رأوا كثرة تمويهاتهم و قلة العصا فنظروا إليها بنظر الحقارة و ظنوا غلبة الكثير علی القليل و ما علموا أن القليل من الحق يبطل كثيراً من الباطل كما أن قليلاً من النور يمحو كثيراً من الظلمة. قال الحافظ:

تیغی که آسمانش از فیض خود دهدآب تنها جهان بکیرد بی منت سپاهی

﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ﴾ بِالْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ [پس آن عصا اژدها شده] ﴿تَلْقَفُ﴾ تبتلع بسرعة من لفته كسمعه تناوله بسرعة كما في «القاموس». ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ [انچه تزوير مي ساختند وبصورت مار بخلق مي نمودند] أي ما يقبلونه والمأخوذ عند بعض أكابر المكاشفين صور الحيات من حبال السحرة وعصيتهم حتى بدت للناس حبالاً وعصياً كما هي في نفس الأمر كما يبطل الخصم بالحق حجة خصمه فيظهر بطلانها لا نفس الحبال والعصي كما عند الجمهور وإلا لدخل على السحرة الشبهة في عصا موسى والتبس عليهم الأمر فكانوا لم يؤمنوا وكان الذي جاء به موسى حينئذ من قبيل ما جاءت به السحرة إلا أنه أقوى منهم سحراً وأنه يدل على ما قلنا قوله تعالى: ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ وتلقف ما صنعوا وما أفكوا الحبال وما صنعوا العصي بسحرهم وإنما أفكوا وصنعوا في أعين الناظرين صور الحيات وهي التي تلقفته عصا موسى ذكره الإمام الشعرائي في «الكبريت الأحمر».

﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ﴾ عَلَى وجوههم ﴿سَاجِدِينَ﴾ لله تعالى [چنه دانستندكه انقلاب عصا بشعبان وفروبردن أو آنچه تزوير مي ساختند نه ازقبيل سحرا ست] أي ألقوا أثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد غير متمالكين كأن ملقياً ألقاهم لعلمهم بأن مثل ذلك خارج عن حدود السحر وأنه أمر إلهي قد ظهر على يده لتصديقه.

وفيه دليل على أن التبحر في كل فن نافع فإن السحرة ما تيقنوا بأن ما فعل موسى معجزهم إلا بمهارتهم في فن السحر، وعلى أن منتهى السحر تمويه وتزوير وتخيل شيء لا حقيقة له، وجه الدلالة أن حقيقة الشيء لو انقلبت إلى حقيقة شيء آخر بالسحر لما عدوا انقلاب العصا حية من قبيل المعجزة الخارجة عن حد السحر ولما خروا ساجدين عند مشاهدته وقد سبق تفصيل السحر في سورة طه.

قال بعض الكبار: السحر مأخوذ من السحر وهو ما بين الفجر الأول والفجر الثاني وحقيقته اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح ولا هو بنهار لعدم طلوع الشمس للأبصار كذلك ما فعله السحرة ما هو باطل محقق فيكون عدماً فإن العين أدركت أمراً لا تشك فيه وما هو حق محض فيكون له وجود في عينه فإنه ليس هو في نفسه كما تشهد العين ويظنه الرائي.

قال الشعرائي بعد ما نقله: هو كلام نفيس ما سمعنا مثله قط.

﴿قَالُوا﴾ [ازروی صدق]. ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بدل اشتغال من ألقى فلذلك لم يتخلل بينهما عاطف انظر كيف أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء مسلمين مؤمنين فالمغرور من اعتمد على شيء من أعماله وأقواله وأحواله. قال الحافظ.

بر عمل تكيه مكن زانكه دران روزازل توچه داني قلم صنع بنامت چه نوشت
وقال:

مكن بنامه سياهي ملامت من مست كه آكهست كه تقدير بر سرش چه نوشت

﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ٢٦ قَالَ ءَامَنَّا لَمْ نَقُلْ اَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ اِنَّكُمْ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَقَامُكُمْ لَافْطَمَنَّ اَيْدِيَكُمْ وَاَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَاصْلَتُكُمْ اَجْمَعِينَ ٢٧ قَالُوا لَا ضَيْرَ لَنَا اِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ٢٨

﴿رب موسى وهارون﴾ بدل من رب العالمين لدفع توهم إرادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك ولو وقفوا على رب العالمين لقال فرعون: أنا رب العالمين إياي عنوا فزادوا رب موسى وهارون فارتفع الإشكال.

﴿قال﴾ فرعون للسحرة ﴿آمنتكم﴾ على صيغة الخبر ويجوز تقدير همزة استفهام في الأعراف. ﴿له﴾ أي لموسى ﴿قبل أن أذن لكم﴾ [پیش از آنکه اجازت ودستوري دهم شمارا درایمان بوي] أي بغیر إذن لكم من جانبي كما في قوله تعالى: ﴿لَنفَعَّذَ الْبَحْرَ قَبْلَ أَنْ نَنْفَعَّذَ كَلِمَتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ۱۰۹] لا أن أذن الإيمان منه ممكن أو متوقع. ﴿إنه﴾ موسى ﴿لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ فواضعكم على ما فعلتم وتواطأتم عليه يعني [بايكديكر اتفاق كرديد درهلاك من وفساد ملك من] كما قال في الأعراف: ﴿إِنَّ هَذَا لَكُرٌّ مَكْرُومٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [الأعراف: ۱۲۳] أي قبل أن تخرجوا إلى هذا الموضع أو علمكم شيئاً دون شيء فلذلك غلبكم أراد بذلك التلبس على قومه كي لا يعتقدوا أنهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق. ﴿فلسوف تعلمون﴾ أي: وبال ما فعلتم واللام للتأكيد لا للحال فلذا اجتمعت بحرف الاستقبال ثم بين ما أودعهم به فقال: ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم﴾ لفظ التفعيل وهو التقطيع لكثرة الأيدي والأرجل كما تقول: فتحت الباب وفتحت الأبواب. ﴿من خلاف﴾ من كل شق طرفاً وهو أن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى وذلك زمانه من جانب البدن كما في «كشف الأسرار» وهو أول من قطع من خلاف وصلب كما في «فتح الرحمن».

وقال بعضهم: من للتعليل. يعني [برأي خلا في كه بامن كرديد] وذلك لأن القطع المذكور لكونه تخفيفاً للعقوبة واحترافاً عن تفويت منفعة البطش على الجاني لا يناسب حال فرعون ولما هو بصدده إلا أن يحمل على حمقه حيث أوعدهم في موضع التغليظ بما وضع للتخفيف انتهى وذلك وهم محض لأنه يدفعه قوله: ﴿ولأصلبنكم أجمعين﴾ [وهر آينه بردار كنم همه شمارا أي على شاطئ البحر تا بميريد وهمه مخالفان عبرت كيرند].

قال في «الكشف»: أي أجمع عليكم التقطيع والصلب - روي - أنه علقهم على جذوع النخل حتى ماتوا وفي الأعراف: ﴿ثُمَّ لَأَصْلَبْنَكُمْ﴾ [الأعراف: ۱۲۴] فأوقع المهلة ليكون هذا التصليب لعذابهم أشد ﴿قالوا﴾ أي: السحرة المؤمنون ﴿لا ضير﴾ مصدر ضاره يضيره ضيراً إذا ضره أي لا ضرر فيه علينا. وبالفارسية [هيچ ضرري نیست برما ازتهديد تو وما ازمرک نمی ترسیم] ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ راجعون فيثبنا بالصبر على ما فعلت ويجازينا على الثبات على التوحيد.

وفي الآية دلالة على أن للإنسان أن يظهر الحق وإن خاف القتل.

قال ابن عطاء: من اتصلت مشاهدته بالحقيقة احتمل معها كل وارد يرد عليه من محبوب ومكروه ألا نرى أن السحرة لما صحت مشاهدتهم كيف قالوا: لا ضير؟ قال السعدي في حق أهل الله:

دما دم شراب ألم در کشند وکر تلخ بینند دم درکشند
نه تلخست صبري که بریادادوست که تلخي شکر باشد از دست دوست
قال الحافظ:

عاشقا نرا کردر آتش می پسندد لطف یار تنک چشمم کرنظر چشمه کوثر کنم

وقال:

اكر بلطف بخواني مزيد الطافست وكر بقهر براني درون ما صافست
﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥١)
﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ نرجو.

قال في «المفردات»: الطمع نزوع النفس إلى شيء شهوة له ﴿أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا﴾ السالفة من الشرك وغيره ﴿أَنْ كُنَّا﴾ أي لأن كنا ﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي من أتباع فرعون أو من أهل المشهد.

قال الكاشفي: [أورده اندكه فرعون بفرمود تادست راست وپاي چب آن مؤمنان ببريدند وايشانرا از دارهاي بلند آويختند وموسى عليه السلام برايشان مي كريست حضرت عزت حجابها برداشته منازل قرب ومقامات انس ايشانرا بنظروى در آورده تاتسلي يافت].

جادوان كان دست وپا در باختند در فضاي قرب مولى تاختند
كر برفت آن دست وپا برجاي آن رست از حق بالهاي جاودان
تابدان برها بپر واز آمدند درهواي عشق شهباز آمدند
وذلك لأن ما نقص عن الوجود زاد في الروح والشهود والله تعالى يأخذ الفاني من العبد
ويأخذ بدله الباقي.

وكان جعفر ابن عم النبي ﷺ أخذ اللواء في بعض الغزوات يمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فأنابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء ولذلك قيل له جعفر الطيار وهكذا شأن من هو صادق في دعواه فليخفف ألم البلاء عنك علمك بأن الله تعالى هو المبتلي لكن هذا العلم إذا لم يكن من مرتبة المشاهدات لا يحصل التخفيف التام فحال السحرة كانت حال الشهود والجذبة ومثلها يقع نادراً إذ الانجذاب تدريجي لأكثر السالكين لا دفعي.

وكان حال عمر رضي الله عنه حين الإيمان كحال السحرة وبالجملية إن الإيمان وسيلة الإحسان فمن سعى في إصلاح حاله في باب الأعمال أوصله الله إلى ما أوصل إليه أرباب الأحوال كما قال عليه السلام: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم».

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر كما تعبد لله تعالى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بشريعة إبراهيم عليه السلام قبل نبوته عناية من الله له حتى فجأته الرواية وجاءته الرسالة فكذلك الولي الكامل يجب عليه معانقة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله له في قلبه عين الفهم عنه فيلهم معاني القرآن ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يرده الله تعالى إلى إرشاد الخلق كما كان رسول الله ﷺ حين أرسل انتهى. فإذا عرفت الطريق فعليك بالسلوك فإن أهل السلوك هم الملوك ولن يتم السلوك إلا بالانقلاب التام عن الأهل والأولاد والأموال إلى الله تعالى كما قالوا: إنا إلى ربنا منقلبون ألا ترى أن السالك الصوري يترك كل ماله في داره فإن العبد ضعيف والضعيف لا يتحمل الحمل الثقيل نسأل الله التيسير والتسهيل.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ (٥٢) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَلَأَيْنِ خَشِيرَتَيْنِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَلَهُمْ لَنَا لَا غَاطُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾

﴿وَأَوْحِينَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ الإيحاء إعلام في خفاء وسرى يسري بالكسر سرى بالضم وسرى بالفتح وأسرى أيضاً أي سار ليلاً. والمعنى: وقلنا لموسى بطريق الوحي: يا موسى اذهب ببني إسرائيل بالليل وسيرهم حتى تنتهي إلى بحر القلزم فيأتيك هناك أمري ففعل به وذلك بعد سنين أقام بين أظهرهم يدعوهم إلى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزدوا إلا عتواً وفساداً. وبالفارسية [وپیغام کردیم بسوی موسی آنکه ببر بسبب بندکان من یعنی بنی اسرائیل بجانب دریای قلزم که نجات شما و هلاک کفره در آنست] وعلم الانتهاء إلى البحر من الوحي؛ إذ من البعيد أن يؤمر بالمسير ليلاً وهو لا يعرف جهة الطريق ومن قول جبريل حين خرجوا من مصر موعد ما بيني وبينك يا موسى البحر، أي شط بحر القلزم. ﴿إِنَّكُمْ مَتَّبِعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده وهو تعليل للأمر بالإسراء أي أسر بهم حتى إذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر بل يكونون على أثركم حين تدخلون البحر فيدخلون مداخلكم فاطبقه عليهم فأغرقهم.

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنَ﴾ حين أخبر بمسيرهم في الليل. ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾ [در شهرها که بهای تحت نزدیک بود] ﴿حَاشِرِينَ﴾ أي قوماً جامعين للعساكر لیتبعوهم.

قال الكاشفي: [آخر روز خبر خروج ایشان بقبطیان رسید چه می پنداشتند که بنی اسرائیل تهینهٔ اسباب عبد در خانهای خود أقامت نموده اند روز دوم خواستند که از عقب ایشان دوند درخانهٔ هر قبطی یکی از اعزهٔ قوم بمرد بتعزیهٔ شدند و درین روز فرعون بجمع کردن لشکر امر کرد. قال في كشف الأسرار بأمداد روز یکشنبه قبطیان بدفن آن کافر مشغول و فرعون آن روز فرمود تاخیل وحشم وي همه جمع آمدند و دیگر روز روز دوشنبه فرای بنی اسرائیل نشستند].

﴿إِنْ هَؤُلَاءِ﴾ أي: قال حين جمع عساكر المدائن: إن هؤلاء يريد بنی اسرائیل. ﴿لَشَرَذْمَةٍ قَلِيلُونَ﴾ [کروه اندک اند] استقلهم وهم ستمائة ألف وسبعون ألفاً بالنسبة إلى جنوده إذ كان عدد آل فرعون لا يحصى.

قال في «التكملة»: اتبعهم في ألف ألف حصان سوى الإناث وكانت مقدمته سبعمائة ألف والشرذمة الطائفة القليلة وقليلون دون قليلة باعتبار أنهم أسباط كل سبط منهم سبط قليل. ﴿وَلَهُمْ لَنَا لِفَائِظُونَ﴾ [بخشم آرندکان] والغیظ أشد الغضب وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه. والمعنى لفاعلون ما يغیظنا ويغضبنا بمخالفتهم ديننا وذهابهم بأموالنا التي استعاروها بسبب أن لهم عيداً في هذه الليلة وخروجهم من أرضنا بغير إذن منا وهم منخرطون في سلك عبادنا. ﴿وَأَنَا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ﴾ يقال للمجموع جمع وجميع وجماعة، والحذر: احتراز عن مخيف يريد أن بنی اسرائیل لقلتهم وحقارتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع علوهم وغلبيتهم ولكنهم يفعلون أفعالا تغیظنا وتضيق صدورنا ونحن جمع وقوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور فإذا خرج علينا خارج سار عنا إلى إطفاء نائرة فسادة قاله فرعون لأهل المدائن لثلا یظن به أنه خاف من بنی اسرائیل.

وقال بعضهم: ﴿حَازِرُونَ﴾ یعنی: [سلاح وارانیم ودانندکان مراسم حرب تعریض است با رنکه قوم موسی نه سلاح تمام دارند و نه بعلم حرب دانانند] فإن الحاذر يجيء بمعنى المتهيب والمستعد كما في «الصحاح».

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ۝٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

﴿فأخرجناهم﴾ أي فرعون وقومه بأن خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه يعني أنهم وإن خرجوا باختيارهم إلا أنه أسند الإخراج إليه تعالى إسناداً مجازياً من حيث الخلق المذكور. ﴿من جنات﴾ بساتين كانت ممتدة على حافتي النيل. ﴿وعيون﴾ من الماء.

قال الراغب: يقال لمنبع الماء عين تشبيهاً بالعين الجارحة لما فيها من الماء.

قال في «كشف الأسرار»: وعيون أي أنهار جارية.

وقال الكاشفي: [وازششمه سارها].

﴿وكنوز﴾ [وازكنجها] يعني: الأموال الظاهرة من الذهب والفضة ونحوهما سماها كنزاً لأن ما لا يؤدي منه حق الله فهو كنز وإن كان ظاهراً على وجه الأرض وما أدى منه فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين والكنز المال المجموع المحفوظ.

والفرق بينه وبين الركاز والمعدن أن الركاز المال المركوز في الأرض مخلوقاً كان أو موضوعاً والمعدن ما كان مخلوقاً والكنز ما كان موضوعاً.

قال في «خريدة العجائب»: وفي أرض مصر كنوز كثيرة ويقال: إن غالب أرضها ذهب مدفون حتى قيل: إنه ما فيها موضع إلا وهو مشغول من الدفائن. ﴿ومقام كريم﴾ يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية.

وقال السهيلي في كتاب «التعريف والأعلام»: في الفيوم من أرض مصر في قول طائفة من المفسرين ومعنى الفيوم ألف يوم كما في «التكملة» وهي مدينة عظيمة بناها يوسف الصديق عليه السلام ولها نهر يشقها ونهرها من عجائب الدنيا وذلك أنه متصل بالنيل وينقطع أيام الشتاء وهو يجري في سائر الزمان على العادة ولهذه المدينة ثلاثمائة وستون قرية عامرة كلها مزارع وغلل.

ويقال: إن الماء في هذا الوقت قد أخذ أكثرها وكان يوسف جعلها على عدد أيام السنة فإذا أجدبت الديار المصرية كانت كل قرية منها تقوم بأهل مصر يوماً وبأرض الفيوم بساتين وأشجار وفواكه كثيرة رخيصة وأسماك زائدة الوصف وبها من قصب السكر كثير.

﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك الإخراج العجيب فهو مصدر تشبيهي لأخرجنا.

وقال أبو الليث: كذلك أي هكذا أفعل بمن عصاني. ﴿وأورثناها بني إسرائيل﴾ أي: مكنا تلك الجنات والعيون والكنوز والمقام إيهم على طريقة مال المورث للوارث كأنهم ملكوها من حين خروج أربابها منها قبل أن يقبضوها ويتسلموها. وبالفارسية [وميراث داديم باغ وبستان وكنج وجاريهاي إيشان فرزندان يعقوب راجه قول آنست كه بني إسرائيل بعد از هلاك فرعونيان بمصر آمده همه أموال قبطية را بحيطه تصرف آوردند وأصح آنست كه در زمان دولت داود عليه السلام بر ملك استيلا يافته متصرف جهان مصريان شدند] كما قال الطبري: إنما ملكوا ديار آل فرعون ولم يدخلوها لكنهم سكنوا الشام - القصة - [فرعون ششصد هزار سوار بر مقدمه لشكر روان كرد وششصد هزار بر ميمنه تعيين كرد وششصد هزار بر ميسره نامزد فرمود وششصد هزار درساقه لشكر مقرر كرد وخود باخلق بيشمار در قلب قرار گرفت يكي لشكر

سرپا غرق جوشن شده در موج چون دریای آهن چو چشم دلبران پرکین و خونریز بقصد خون دم تیغها تیز]. ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ بقطع الهمزة يقال: أتبعه إتباعاً إذا طلب الثاني اللحق بالأول وتبعه تبعاً إذا مر به ومضى معه. والمعنى فأردنا إخراجهم وإيراث بني إسرائيل ديارهم فخرجوا فلحقوا موسى وأصحابه. ﴿مُشْرِقِينَ﴾ يقال: أشرق وأصبح وأمسى وأظهر إذا دخل في الشروق والصباح والمساء والظهير. والمعنى حال كونهم داخلين في وقت شروق الشمس أي طلوعها على أنه حال إما من الفاعل أو من المفعول أو منهما جميعاً لأن الدخول المذكور قائم بهما جميعاً.

قال الكاشفي: [يعني بهنكام طلوع آفتاب بني إسرائيل رسیدند ودران زمان لشکر موسی بکناره دریای قلزم رسیدند تدبیر عبور میکردند که ناکاه اثر فرعونیان بدید آمد].

﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ ﴿١١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿١٢﴾.

﴿فلما تراءى الجمعان﴾ تقارباً بحيث رأى كل واحد منهما الآخر والمراد جمع موسى وجمع فرعون. وتراءى من التفاعل والتراخي [يكديكررا دیدن ودر برابر یکدیگر افتادن] كما في «التاج» ﴿قال أصحاب موسى إنا لمدركون﴾ لملحقون من ورائنا ولا طاقة لنا بقوم فرعون وهذا البحر أماناً لا منفذ لنا فيه.

﴿قال﴾ موسى ﴿كلا﴾ [نه چنین است] أي: ارتدعوا وانزعجوا عن ذلك المقال فإنهم لا يدركونكم فإن الله تعالى وعدكم الخلاص منهم. ﴿إن معي ربي﴾ بالحفظ والنصر والرعاية والعناية.

قال الجنيدي حين سئل العناية أولاً أم الرعاية قال: العناية قبل الماء والطين. ﴿سَيَهْدِينِ﴾ البتة إلى طريق النجاة منهم بالكلية [محققان گفته اند موسی علیه السلام در کلام خود معیت را مقدم داشت که ﴿إن معي ربي﴾ وحضرت پیغمبر ما علیه السلام در قول خود که ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] معیت را تأخیر فرمود تا بر ضمائر عرفا روشن گردد که کلیم از خود بحق نکریست واین مقام مریدست وحبیب از حق بخود نظر کرد واین مقام مرادست مرید را هرچه کویند آن کند و مراد هرچه کوید چنان کنند].

این یکی را روی او در روی دوست و آن دکر را روی او خود روی اوس

وفي «كشف الأسرار»: [موسی خود را درین حکم فرموده که گفت ﴿معي ربي﴾ ونکفت «معنا ربنا» زیرا که در سابقه حکم رفته بود که قومی از بني إسرائيل بعد از هلاک فرعون وقبطیان کوساله پرست خواهند شد باز مصطفی علیه السلام چون در غابودبا صدیق اکبر ازا حوال صدیق آن حقائق معانی ساخته که اورا بانفس خود قرین کرد ودر حکم معیت آورد گفت ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] وگفته اند موسی خود را گفت ﴿إن معي ربي سَيَهْدِينِ﴾ ورب العزة امت محمد را گفت ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [النحل: ١٢٨] موسی آنچه خود را گفت الله اورا بکرد واورا راه نجات نمود وکید دشمن از پیش برداشت چکوبی آنکه تعالی بخودی خود امت احمد را گفت ووعدۀ که داد اولی که وفا کند از غم کناه برهاند وبرحمت ومغفرت خود رسانند]. روي: أن مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال: أين أمرت بهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون؟ قال: أمرت بالبحر ولعلي أؤمر بما أصنع. روي عن عبد الله بن سلام أن موسى لما انتهى إلى البحر قال

عند ذلك: يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء اجعل لنا مخرجاً.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قل اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وبك المستغاث وأنت المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله» قال ابن مسعود: فما تركتهن منذ سمعتهن من النبي عليه السلام.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿١٦﴾ وَأَزْلَفْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿فأوحينا إلى موسى أن﴾ يا موسى ﴿اضرب بعصاك البحر﴾ هو بحر القلزم وسمي البحر بحراً لاستبحاره أي اتساعه وانبساطه. وبحر القلزم طرف من بحر فارس والقلزم بضم القاف وسكون اللام وضم الزاي بليدة كانت على ساحل البحر من جهة مصر وبينها وبين مصر نحو ثلاثة أيام وقد خربت ويعرف اليوم موضعها بالسويس تجاه عجرود منزل ينزله الحاج المتوجه من مصر إلى مكة وبالقرب منها غرق فرعون وبحر القلزم بحر مظلم وحش لا خير فيه ظاهراً وباطناً وعلى ساحل هذا البحر مدينة مدين وهي خراب وبها البشر التي سقى موسى عليه السلام منها غنم شعيب وهي معطلة الآن.

قال الكاشفي: [موسى عليه السلام برب دریا آمد وعصا بروی زد وكفت يا أبا خاله مارا راه ده] ﴿فانفلق﴾ الفاء فصيحة أي فضرِب فانفلق ماء البحر أي انشق فرقاً بعدد الأسباط بينهن مسالك ﴿فكان كل فرق﴾ أي كل جزء تفرق منه وتقطع.

قال في «المفردات»: الفرق يقارب الفلق لكن القلق يقال: اعتباراً بالانشقاق والفرق يقال: اعتباراً بالانفصال والفرق القطعة المنفصلة وكل فرق بالتفخيم والترقيق لكل القراء والتفخيم أولى ﴿كالطود العظيم﴾ كالجبل المرتفع في السماء الثابت في مقره.

قال الراغب: الطود الجبل العظيم ووصفه بالعظم لكونه فيما بين الأطواد عظيماً لا لكونه عظيماً فيما بين سائر الجبال فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب منها.

قال الكاشفي: [وفي الحال بادي درتک دریا وزید وکل خشک شده وهر سبطی ازراهی بدریا در آمدند] كما قال تعالى: ﴿فَأَضْرَبَ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ [طه: ٧٧]. ﴿وأزلفنا﴾ أي قربنا من بني إسرائيل.

قال في «تاج المصادر»: الإزلاف [نزدیک کردانیدن وجمع کردن] وفسر بهما قوله تعالى: ﴿وأزلفنا﴾ إلا أن الحمل على المعنى الأول أحسن انتهى. ﴿ثم﴾ حيث انفلق البحر وهو إشارة إلى المستبعد من المكان. ﴿الآخرين﴾ أي: فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مدخلهم.

﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾﴾

﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾ من الغرق بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا إلى البر. ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ بإطباقه عليهم يعني: [چون بني إسرائيل همه از دریا بیرون آمدند موسی میخواست که دریا بحال خود باز شود ازبیم آنکه فرعون وقبطیان بآن راهها

در آيند وبايشان درر سندفر مان آمدكه] يا موسى اترك البحر رهواً أي صفوفاً ساكنة فإن فرعون وقومه جند مغرقون فتركه على حاله حتى أغرقهم الله تعالى كما مر في غير موضع آورده اندكه آن روزكه موسى نجات يافت ودشمن وي غرق كشت روز دوشنبه بود دهم ماه محرم وموسى آن روز روزه داشت شكر آن نعمت را[.

﴿إِن فِي ذَلِكَ﴾ أي في جميع ما فصل خصوصاً في الإنجاء والغرق ﴿لآيَةً﴾ لعبرة عظيمة للمعتبرين. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: أكثر المصريين وهم آل فرعون. ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ قالوا: لم يكن فيه مؤمن إلا آسية امرأة فرعون وخربيل المؤمن ومريم بنت ناموشا التي دلت على عظام يوسف عليه السلام حين الخروج من مصر.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب المنتقم من أعدائه كفرعون وقومه. ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه كموسى وبني إسرائيل.

يقول الفقير: هذا هو الذي يقتضيه ظاهر السوق فإن قوله تعالى: ﴿إِن فِي ذَلِكَ﴾ الخ ذكر في هذه السورة في ثمانية مواضع. أولها في ذكر النبي عليه السلام وقومه كما سبق وذكر النبي عليه السلام وإن لم يتقدم صريحاً فقد تقدم كناية. والثاني في قصة موسى ثم إبراهيم ثم نوح ثم هود ثم صالح ثم لوط ثم شعيب عليهم السلام فتعقيب القول المذكور بكل قصة من هذه القصص يدل على أن المراد بالأكثر هو من لم يؤمن من قوم كل نبي من الأنبياء المذكورين وقد ثبت في غير هذه المواضع أيضاً أن أكثر الناس من كل أمة هم الكافرون فكون كل قصة آية وعبرة إنما يعتبر بالنسبة إلى من شاهد الواقعة ومن جاء بعدهم إلى قيام الساعة فيدخل فيهم قريش لأنهم سمعوا قصة موسى وفرعون مثلاً من لسان النبي عليه السلام فكانت آية لهم مع أن بيانها من غير أن يسمعها من أحد آية أخرى موجبة للإيمان حيث دل على أن ما كان إلا بطريق الوحي الصادق نعم إن قوله تعالى: ﴿إِن فِي ذَلِكَ﴾ إذا كان إشارة إلى جميع ما جرى بين موسى وفرعون مثلاً كان غير الإنجاء والغرق آية للمغرقين أيضاً وبذلك يحصل التلاؤم الأتم بما بعده فافهم جداً.

وقد رجح بعضهم رجوع ضمير أكثرهم إلى قوم نبينا عليه السلام فيكون المعنى إن في ذلك المذكور لآية لأهل الاعتبار كما كان في المذكور في أول السورة آية أيضاً وما كان أكثر هؤلاء الذين يسمعون قصة موسى وفرعون وهم أهل مكة مؤمنين لعدم تدبرهم واعتبارهم فليحذروا عن أن يصيبهم مثل ما أصاب آل فرعون وإن ربك لهو العزيز الغالب على ما أراد من انتقام المكذبين الرحيم البالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم إيمانهم بعد مشاهدة هذه الآيات العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك.

وفي الآية تسلية للنبي عليه السلام لأنه كان قد يغتم قلبه المنير بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات على يديه فذكر له أمثال هذه القصص ليقتردي بمن قبله من الأنبياء في الصبر على عناد قومه والانتظار مجيء الفرج كما قيل: اصبروا تظفروا كما ظفروا. قال الحافظ:

سروش عالم غيبم بشارتي خوش داد كه كس همیشه بكیستی دژم نخواهد ماند

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٢٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَظِيمِينَ ﴿٧٦﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ يَبْصُرُونَ ﴿٧٦﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا

كَذَلِكَ يَقُولُونَ ﴿٧٦﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٧﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٨﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾

﴿واتل عليهم﴾ من التلاوة وهي القراءة على سبيل التتابع والقراءة أعم أي اقرأ على مشركي العرب وأخبر أهل مكة. ﴿نبأ إبراهيم﴾ خبره العظيم الشأن.

قال الكاشفي: [خبر إبراهيم كه إيشان بدو نسبت درست میکنند وبفرزندى أو مفخرند ومستظهر]. ﴿إذ قال﴾ ظرف لنبا ﴿لأبيه﴾ آزر وهو تاريخ كما سبق ﴿وقومه﴾ أهل بابل وهو كصاحب موضع بالعراق وإليه ينسب السحر. والقوم جماعة الرجال في الأصل دون النساء كما نبه عليه قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤] وفي عامة القرآن أريدوا به والنساء جميعاً كما في «المفردات» ﴿ما تعبدون﴾ أي شيء تعبدونه، وبالفارسية. [چيست آنچه پرستيد] سألهم وقد علم أنهم عبدة الأوثان لينبههم على ضلالهم ويريهـم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة.

﴿قالوا نعبد أصناماً﴾ وهي اثنان وسبعون صنماً من ذهب وفضة وحديد ونحاس وخشب كما في «كشف الأسرار». والصنم ما كان على صورة ابن آدم من حجر أو غيره كما في «فتح الرحمن».

قال في «المفردات»: الصنم جثة متخذة من فضة أو نحاس والوثن حجارة كانت تعبد. قال الكاشفي: [مراد تماثلها ست كه ساخته بودند از انواع فلزات بر صور مختلفة وبرعبات آن مداومت ميكردند] كما قال: ﴿فنظّل لها عاكفين﴾ لم يقتصر على قوله أصناماً بل أطنبوا في الجواب بإظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على أصنامهم ابتهاجاً وافتخاراً بذلك يقال: ظللت أعمل كذا بالكسر ظلولاً إذا عملت بالنهار دون الليل والظاهر أن عبادتهم الأصنام لا تختص بالنهار فالمراد بالظلول ههنا الدوام، والمعنى بالفارسية: [پس هميشه مي باشيم مرانرا مجاور وملازم ومداوم بر عبادت].

والعكوف اللزوم ومنه المعتكف لملازمته المسجد على سبيل القرية وصلة العكوف كلمة على وإيراد اللام لإفادة معنى زائد كأنهم قالوا: فنظّل لأجلها مقبلين على عبادتها ومستديرين حولها.

وقال أبو الليث: إن إبراهيم عليه السلام ولدته أمه في الغار فلما خرج وكبر دخل المصر وأراد أن يعلم على أي مذهب هم وهكذا ينبغي للعاقل إذا دخل بلدة أن يسألهم عن مذهبهم فإن وجدهم على الاستقامة دخل معهم وإن وجدهم على غير الاستقامة أنكر عليهم فلما قال إبراهيم ما تعبدون وقالوا: نعبد أصناماً فنظّل لها عاكفين وأراد أن يبين عيب فعلهم.

﴿قال﴾ استئناف بياني. ﴿هل يسمعونكم﴾ أي: يسمعون دعاءكم على حذف المضاف فإن كم ليس من قبيل المسموعات والواو بحسب زعمهم فإنهم كانوا يجرون الأصنام مجرى العقلاء. ﴿إذ تدعون﴾ وقت دعائكم لحوائجكم فيستجيبون لكم. ﴿أو ينفعونكم﴾ على عبادتكم لها. وبالفارسية [يا سود ميرسانند شمارا] ﴿أو يضرون﴾ أو يضرونكم بترك العبادة إذ لا بد للعبادة من جلب نفع أو دفع ضرر. وبالفارسية: [يا زيان ميرسانند بشما قوم إبراهيم نتوا نستندكه أو راجواب دهند بهانه تقليد پيش آورده].

﴿قَالُوا﴾ ما رأينا منهم ذلك السمع أو النفع أو الضر ﴿بل وجدنا آباءنا كذلك﴾ منصوب بقوله: ﴿يفعلون﴾ وهو مفعول ثانٍ لوجدنا، أي وجدناهم يعبدون مثل عبادتنا فاعتدنا بهم اعترفوا بأنها بمعزل من السمع والمنفعة والمضرة بالكلية واضطروا إلى إظهار أن لا سند لهم سوى التقليد.

خواهي بسوى كعبة تحقيق ره بری پی برپی مقلدکم کرده ره مرو
﴿قال﴾ إبراهيم متبرئاً من الأصنام ﴿أفرأيتم﴾ أي: أنظرتهم فأبصرتهم أو تأملتكم فعلمتم ﴿ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون﴾ الأولون حق الإبصار أو بحق العلم فإن الباطل لا ينقلب حقاً بكثرة فاعلية وكونه دأباً قديماً وما موصولة عبارة عن الأصنام.

﴿فإنهم عدو لي﴾ بيان لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك أي لم تنظروا ولم تقفوا على حاله فاعلموا أن الأصنام أعداء لعابديهم لما أنهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من عدوه. فسمى الأصنام أعداء وهي جمادات على سبيل الاستعارة وصور الأمر في نفسه حيث قال: عدو لي. لا لكم تعريضاً لهم فإنه أنفع في النصيح من التصريح وإشعاراً بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول.

وقال الفراء: هو من المقلوب ومعناه فإني عدو لهم فإن من عاديته عاداك وإفراد العدو لأنه في الأصل مصدر أو بمعنى النسب أي ذو عداوة كتامر لذي تمر. ﴿إلا رب العالمين﴾ استثناء منقطع أي لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو وليي في الدنيا والآخرة لا يزال يتفضل عليّ بمنافعهما.

قال بعض الكبار: رأى الخليل عليه السلام نفسه بمثابة في الخلعة لم يكن له في زمانه نظير يسمع كلامه من حيث حاله فوقعت العداوة بينه وبين الخلق جميعاً. وأيضاً هذا إخبار عن كمال محبته إذ لا يليق بصحبته ومحبته أحد غير الحق.

قال سمنون: لا تصح المحبة لمن لم ينظر إلى الأكوان وما فيها بعين العداوة حتى يصح له بذلك محبة محبوبه والرجوع إليه بالانقطاع عما سواه ألا ترى الله كيف قال حاكياً عن الخليل: ﴿فإنهم عدو لي إلا رب العالمين﴾.

هـجرت الكل فيك حتى صـ	ح لي الاتصـال
بهجر ما سوي بايد	طلب كردن وصال او
كن من الخلق جانباً	وارض بالله صاحباً
قلب الخلق كيف شئـ	ت تجدهم عقارباً

يقول الفقير: اعلم أن العدو لا ينظر إلى العدو إلا بطرف العين بل لا ينظر أصلاً لفقدان الميل القلبي قطعاً فإذا كان ما سوى الله تعالى عدواً للسائق فاللائق له أن لا ينظر إليه إلا بنظر الاعتبار. وقد ركب الله في الإنسان عينين إشارة باليمنى إلى الملكوت وباليسرى إلى الملك فما دامت اليسرى مفتوحة إلى الملك فاليمنى محجوبة عن الملكوت وما دامت اليمنى ناظرة إلى الملكوت فالعبد محجوب عن الجبروت واللاهوت فلا بد من قطع النظر عن الملك والملكوت وإيصاله إلى عام الجبروت واللاهوت وهو العمى المقبول والنظر المرضي. وفي الدعاء: اللهم اشغلنا بك عن سواك.

فإن قلت: ما يطلق عليه ما سوى الله كله من آثار تجلياته تعالى فكيف يكون عدواً وغيراً؟.

قلت: هو في نفسه كذلك لكنه إشارة إلى المراتب ولا بد من العبور عن جميع المراتب مع أن كونه عدواً إنما هو من حيث كونه صنماً ومبدأ علاقة فمن شاهد الله في كل شيء فقد انقطع عن الأغيار فكل عدو له صديق والحمد لله تعالى:

جهان مرآت حسن شاهد ماست فشاهد وجهه في كل ذرات
 ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾
 وَالَّذِي يُبَسِّئُنِي ثُمَّ يُجْبِينِ ﴿٨١﴾ .

﴿الذي خلقتني﴾ [از عدم بوجود آورد] صفة رب العالمين ﴿فهو﴾ وحده ﴿يهدين﴾ يرشدني إلى صلاح الدارين بهدائته المتصلة من الخلق ونفخ الروح متجدد على الاستمرار كما ينبى عنه فاء العطف التعقيبي وصيغة المضارع وذلك أن مبدأ الهداية بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين إلى امتصاص دم الحيض من الرحم ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعيم بلذائدها، وأشار قوله: ﴿فهو يهدين﴾ إلى قطع الأسباب والاكسباب في النبوة والولاية والخلة بل أشار إلى الاصطفاء الأزلي وذلك أن جميع المقامات اختصاصية عطائية غير نسبية حاصلة للعين الثابتة من الفيض الأقدس وظهوره بالتدرج بحصول شرائطه وأسبابه يوهم المحجوب فيظن أنه كسبي بالتعمل وليس كذلك في الحقيقة. قال الحافظ:

قومي بجهد وجد نهاند وصل دوست قومي ذكر حواله بتقدير مكينند

﴿والذي﴾ الخ معطوف على الصفة الأولى وتكرير الموصول في المواقع الثلاثة للدلالة على أن كل واحدة من الصلوات مستقلة باقتضاء الحكم ﴿هو﴾ وحده ﴿يطعمني﴾ أي طعام شاء. وبالفارسية: [مبخواراند مرا غدايي كه قوام أجزاء بدن منست] ﴿ويسقيني﴾ أي شراب شاء. وبالفارسية: [ومي آشاماند مرا شرابي كه موجب تسكين عطش وسبب تربيت أعضاء] أي هو رازقي فمن عنده طعامي وشرابي وليس الإطعام والسقي عبارتين عن مجرد خلق الطعام والشراب له وتمليكهما إياه بل يدخل فيهما إعطاء جميع ما يتوقف الانتفاع بالطعام والشراب عليه كالشهوة وقت المضغ والابتلاع والهضم والدفع ونحو ذلك. ومن دعاء أبي هريرة رضي الله عنه: «اللهم اجعل لي ضرساً طحوناً ومعدة هضوماً ودبراً بثوراً». وأشارت الآية إلى مقام التوكل والرضى والتسليم والتفويض وقطع الأسباب والإقبال إليه بالكلية والإعراض عما سواه.

صاحب «بحر الحقائق»: [فرمودكه مراد طعام عبوديست كه دلها بآن زنده شود وشراب ظهور تجلی صفت ربوبيت كه ارواح بآن تازه باشد. وذو النون مصري قدس سره فرمودكه اين طعام طعام معرفتست واين شراب شراب محبت واين بيت خوانده].

شراب المحبة خير الشراب وكل شراب سواه شراب
 واز فحوای كلام شمه از أسرار كلام حقائق نظام (أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني) بي تواندبرد.

ترا نوال دمام زخانه يطعمني ترا پياله مدام از شراب يسقيني
 مراتو قبله ديني ازان سب كفتم بمردمان كه «لكم دينكم ولي ديني»
 وقد اختلف الناس في الطعام والشراب المذكورين في الحديث على قولين: أحدهما:

أنه طعام وشراب حسي للغم قالوا: وهذه حقيقة اللفظ ولا يوجب العدول عنه ما قال بعضهم: كان يؤتى بطعام من الجنة. والثاني: أن المراد به ما يغذيه الله به من معارفه وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه بقربه ونعيم محبته وتوابع ذلك من الأحوال التي هي غذاء القلوب ونعيم الأرواح وقرة الأعين وبهجة النفوس.

قال الشيخ الشهير بأفتاده افندي قدس سره: إنما أكل نبينا عليه السلام في الظاهر لأجل أتمته الضعيفة وإلا فلا احتياج له إلى الأكل والشرب وما روي من أنه كان يشد الحجر على بطنه فهو ليس من الجوع بل من كمال لطافته لثلا يصعد إلى الملكوت بل يبقى في عالم الملك ويحصل له الاستقرار في عالم الإرشاد وقد حكى له بعض أتمته أنه لم يأكل ولم يشرب سنين وهو أولى وأقوى في هذا الباب من أتمته لقوة انجذابه إلى عالم القدس وتجرده عن غواشي البشرية وكان في عهد رسول الله ﷺ سقاء تبع النبي ﷺ ثلاثة أيام يقرأ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] فرمى بقربه فاتاه آت في منامه بقدر من شراب الجنة فسقاه قال أنس رضي الله عنه: فعاش بعد ذلك نيفاً وعشرين سنة لم يأكل ولم يشرب على شهوة كما في «كشف الأسرار».

﴿وإذا مرضت﴾ [وچون بیمار شوم] ﴿فهو﴾ وحده ﴿يشفين﴾ يبرئني من المرض ويعطي الشفاء لا الأطباء وذلك أنهم كانوا يقولون: المرض من الزمان ومن الأغذية والشفاء من الأطباء والأدوية فأعلم إبراهيم أن الذي أمرض هو الذي يشفي وهو الله تعالى لكن نسب المرض إلى نفسه حيث لم يقل: وإذا أمرضني والشفاء إلى الله تعالى مع أنهما من الله تعالى لرعاية حسن الأدب في العبارة كما قال الخضر عليه السلام في العيب: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] وفي الخير: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] وكذا الجن راقبوا هذا الأدب بعينه حيث قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] قوله: ﴿وإذا مرضت﴾ الخ عطف على يطعمني ويسقيني نظمهما في سلك صلة واحدة لما أن الصحة والمرض من متفرعات الأكل والشرب غالباً فإن البطنة تورث الأسقام والأوجاع والحمية أصل الراحة والسلامة.

قالت الحكماء: لو قيل لأكثر الموتى. ما سبب آجالكم؟ لقالوا: التخم. وفي الحكمة ليس للبطن خير من خمصة تتبعها.

قال الكاشفي: [از امام جعفر صادق رضي الله عنه منقولست كه چون بیمار شوم بكناه مرا شفادهد بتوبه. سلمی رحمه الله فرمودكه مرض برؤيت اغياراست وشفا بمشاهده أنوار واحد قهار ودربحر آورده كه بيماري بتعلقات كونين است وشفا بقطع تعلق وآن وابسته بجذبهء عنا يتست كه چون دررسد سالك را از همه منقطع ساخته بيكي بيوند دهد يعني بشربت تجري از مرض تعلقش باز رهند.

چكويست كه چه خوش آمدي مسيح صفت بيكنفس همه درد مرا دوا كردد وقال بعضهم: وإذا مرضت بداء محبته وسقمت بسقم الشوق إلى لقائه ووصلته فهو يشفين بحسن وصاله وكشف جماله:

بمقدمك المبارك زال دائي وفي لُقياك عجل لي شفائي
وفي الآية إشارة إلى رفع الرجوع إلى غيره والسكون إلى التداوي والمعالجة بشيء فهو كمال التسليم.

قال في «كشف الأسرار»: [وَأَيْنَ نَهْ مَرَضِي مَعْلُومٌ بُوْدُ دَرِ اَنَ وَقْتُ بَلَكِهْ نَوْعِي بُوْدُ اَزِ مَمارَضٍ] كما يَتمارِضُ الأَحْبارُ طَمَعاً فِي العِبادَةِ:

يُودُ بِأَنْ يَمْسِيَ سَقِيماً لَعَلَّهَا إِذَا سَمِعْتَ عَنْهُ سَلِيماً تَراسِلُهْ
إِنْ كَانَ يَمْنَعُكَ الوِشاةُ زِيارَتِي فَادْخُلْ إِلَيَّ بِعِلَّةِ العَوادِ
[أَنْ شَفَايَ ذَلَّ خَلِيلُ كَهْ بُوِي أَشارَتِ مِيكَندِ اَنَسْتُ كَهْ جَبْرِيلُ كاهِ كاهِ آمَدِي بِفرمانِ حَقِّ
وَكَفَتِي «يَقُولُ مَولَاكَ: كَيْفَ أَنْتَ البَارِحَةُ؟» وَزبانِ حَالِ خَلِيلِ بِجوابِ مِيكَوِيْدُ.

خَرَسندِ شَدَمِ بَدانَكِهْ كُويِي يَكْبارِ كايِ خَستَهْ رُوزِ كارِ دُوشَتِ چُونِ بُوْدُ
وَحَكِي عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ مَرَضٌ وَضَعْفٌ أَصْفَرُ لَوْنُهُ فَقِيلَ لَهُ أَلَا نَدْعُو لَكَ طَبِيباً يَدَاوِيكَ مِنْ
هَذَا المَرَضِ؟ فَقَالَ: الطَّبِيبُ أَمْرَضَنِي ثُمَّ أَشَدَّ:

كَيْفَ أَشْكَوُ إِلَى طَبِيبِي مَا بِي وَالَّذِي بِي أَصابَنِي مِنْ طَبِيبِي
«وَالَّذِي يَمِيتُنِي» فِي الدُّنْيا عِنْدَ انْقِضاءِ الأَجَلِ «ثُمَّ يَحْيِيهِ» فِي الآخِرَةِ لِمَجازاةِ العَمَلِ
أَدْخَلَ ثُمَّ ههنا لِأَنَّ بَيْنَ الإِماتَةِ الواقِعَةِ فِي الدُّنْيا وَبَيْنَ الإِحْياءِ الحاصِلِ فِي الآخِرَةِ تَراخِياً وَنَسَبَةً
الإِماتَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّها مِنْ النِّعَمِ الإِلَهِيَّةِ فِي الحَقِيقَةِ حَيْثُ أَنَّ المَوْتَ وَصِلَةً لِأَهْلِ الكَمالِ
إِلَى الحِياةِ الأَبَدِيَّةِ وَالخِلاصِ مِنْ أَنْواعِ المَحْضِ وَالبَلِيَّةِ.

پَسِ رِجالِ اَزْنَقَلِ عالَمِ شادمانِ وَزَبَقا اَشِ شادمانِ اَيْنِ كودكانِ
چونَكِهْ آبِ خُوشِ نَدِيدِ اَنَ مَرغِ كُورِ پِيشِ او كُوشَرِ نَمايَدِ آبِ شُورِ
أَمامِ ثُعَلْبِي [كَفَتَهْ بِميرانِدِ بَعْدِلِ وَزَنَدَهْ كَنَدِ بِفَضْلِ وَكَفَتَهْ اَنَدَكِهْ أَماتِ بِمَعْصِيَتِ اسْتِ واحِيا
بِطاعَتِ يا أَماتِ بِجَهْلِ اسْتِ واحِيا بِعَقْلِ يا أَماتِ بِطَمَعِ اسْتِ واحِيا بِوَرَعِ يا أَماتِ بِفِراقِ اسْتِ
واحِيا بِتَلاقِ.

دَرِ حَقايِقِ سَلَمِي آوَرَدَهْ كَهْ بِميرانِدِ اَزِ سَماتِ رُوحانِيتِ وَزَنَدَهْ كَرَدانَدِ بِصِفا رِبانِيتِ
وَحَقِيقَتِ رَنَسْتُ كَهْ بِميرانِدِ مَرا اَزِ اَنانِيتِ مِنْ وَزَنَدَهْ سازَدِ بَهْدايَتِ خُودَكِهْ حِياتِ حَقِيقِي عِبارَتِ
اَزانِستِ.

نَجوِيْمِ عَمَرِ فَإِنِّي رَا تَوِييِ عَمَرِ عَزِيزِ مِنْ نَخِواهِمِ جانِ پَرغَمِ راتَوِييِ جانَمِ بِجانِ تُو
وَقالِ بَعْضُهُمْ:

غَمِ كِي خُورَدِ رَنَكِهْ شادمانِيشِ تَوِييِ باكيِ بَرَدِ اَنَكِهْ زَنَدكانِيشِ تَوِييِ
دَرنَسِيَهْ اَنَ جِهانِ كَجَا دَلِ بَنَدَدِ اَنَكَسِ كَهْ بَنقَدِ اَيْنِ جِهانِيشِ تَوِييِ

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٨٧) رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَالْحَقِّقْنِي بِالصِّلَاحِ (٨٣)
وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَأَغْفِرْ لَأَيِّئٍ إِنَّهُ كَانَ مِنْ
الضَّالِّينَ (٨٦)

«وَالَّذِينَ أَطْمَعُ» [طَمَعُ وَرَجَا مِدارِمِ] «أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ» أَي: يَوْمَ الجِزاءِ
وَالْحَسابِ دَعَا بِلَفْظِ الطَّمَعِ وَلَمْ يَعْزَمْ فِي سَوالِهِ كَمَا عَزَمَ فِيمَا قَبْلَ مِنَ الْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ تَأْدِياً أَوْ
لِيَعْلَمَ أَنَّ العَبْدَ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَحْكُمَ لِنَفْسِهِ بِالْإِيْمانِ وَعَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الخُوفِ وَالرَّجاءِ وَلِيَدِلَّ عَلَى
كَرَمِ اللَّهِ فَإِنَّ الكَرِیمَ إِذا أَطْمَعُ أَنْجَزَ وَأَسَدَ الخَطِيئَةِ إِلَى نَفْسِهِ وَهِيَ فِي الغالِبِ ما يَقْصِدُ بِالْعَرَضِ
لِأَنَّهُ مِنَ الخُطْأِ هُضْماً لِنَفْسِهِ وَتَعْلِيماً لِلأُمَّةِ أَنْ يَجْتَنِبُوا المَعَاصِي وَيَكُونُوا عَلَى حَذَرٍ وَطَلَبٍ لِأَنْ

يغفر لهم ما فرط منهم وتلافياً لما عسى يقع منه من الصغائر مع أن حسنات الأبرار سيئات المقربين كما أن درجاتهم دركات المقربين. [در تلخيص آورده كه مراد خطايای است محمد است عليه السلام كه حضرت خليل از ملك جليل دعاي غفران نموده] وتعليق المغفرة بيوم الدين مع أن الخطيئة إنما تغفر في الدنيا لأن أثرها يتبين وفائدته ثمة تظهر وفي ذلك تهويل له وإشارة إلى وقوع الجزاء فيه إن لم تغفر ومثله رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم فهل ذلك نافعه قال: «لا إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» يعني أنه كان كافراً ولم يكن مقرأً بيوم القيامة لأن المقر به طالب لمغفرة خطيئته فيه فلا ينفعه عمله وعبد الله بن جدعان هو ابن عم عائشة رضي الله عنها وكان في ابتداء أمره فقيراً ثم ظفر بكنز اسنغى به فكان ينفق من ذلك الكنز ويفعل المعروف ثم هدا كله احتجاج من إبراهيم على قومه وإخبار أنه لا يصلح للإلهية من لا يفعل هذه الأفعال وبعد ما ذكر فنون اللطاف الفائضة عليه من الله تعالى من مبدأ خلقه إلى يوم بعثه حملة ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد فقال: ﴿رب﴾ [أي پرورد كار من]. ﴿هب لي حكماً﴾ أي: كمالاً في العلم والعمل استعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق فإن من يعلم شيئاً ولا يأتي من العمل بما يناسب علمه لا يقال له حكيم ولا لعلمه حكم وحكمة. ﴿وألحقني بالصالحين﴾ ووفقني من العلوم والأعمال والأخلاق لما ينظمني في زمرة الكاملين الراسخين في الصلوات المنتزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها أو اجمع بيني وبينهم في الجنة فقد أجابه تعالى حيث قال: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَكِينٌ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠] وباقي الكلام هنا سبق في أواخر سورة الكهف.

﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ جاهاً وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره إلى يوم الدين ولذلك ما من أمة إلا وهم محبوبون له مثنون عليه فحصل بالأول الجاه وبالثاني حسن الذكر. وبالفارسية [وکردان براي من زبان راست يعني ثنائي نيكو درميان پس آيند كان يعني جاري كن ثنا ونيكنامي وآوازه من بر زبان كساني كه پس از من آيند] فقله: ﴿في الآخرين﴾ أي: في الأمم بعدي وعبر عن الثناء الحسن والقبول العام باللسان لكون اللسان سبباً في ظهوره وانتشاره وبقاء الذكر الجميل على ألسنة العباد إلى آخر الدهر دولة عظيمة من حيث كونه دليلاً على رضى الله عنه ومحبته والله تعالى إذا أحب عبداً يلقي محبته إلى أهل السموات والأرض فيحبه الخلائق كافة حتى الحيتان في البحر والطيور في الهواء.

قال ابن عطاء: أي أطلق لسان أمة محمد بالثناء والشهادة لي فإنك قد جعلتهم شداء مقبولين.

قال سهل: اللهم ارزقني الثناء في جميع الأمم والملل وإنما يحصل في الحقيقة بالفعل الجميل والخلق الحسن واللسان اللين فهي أسباب اللسان الصدق وبها اقتداء الآخرين به فيكون له أجره ومثل أجر من اقتدى به.

﴿واجعلني﴾ في الآخرة وارثاً ﴿من ورثة جنة النعيم﴾ شبه الجنة التي استحقها العامل بعد فناء عمله بالميراث الذي استحقه الوارث بعد فناء مورثه فأطلق عليها اسم الميراث وعلى استحقاقها اسم الورثة وعلى العامل اسم الوارث. فالمعنى واجعلني من المستحقين لجنة النعيم

والمتمتعين بها كما يستحق الوارث مال مورثه ويتمتع به. ومعنى جنة النعيم [بستان برنعمت]. وفيه إشارة إلى أن طلب الجنة لا ينافي طلب الحق وترك الطلب مكابرة للربوبية. قال بعض الكبار: إن الله تعالى هو المحبوب لذاته لا لعطائه وعطاؤه محبوب لكونه محبوباً لا لنفسه ونحبه ونحب عطائه لحبه ولنا حبان حبه وحب عطائه وهما لذاته فقط لا لغيره فيكون الحب في أصله واحداً وفي فرعه متعددأ عى ما هو مقتضى الجمع والوحدة وموجب الفرق والكثرة فحبنا له إنما هو في مقام جمع الجمع لأنه مقام الاعتدال لا في مرتبة الجمع أو الفرق فقط.

﴿واغفر لأبي﴾ المغفرة مشروطة بالإيمان وطلب المشروط يتضمن طلب شرطه فيكون الاستغفار لأحياء المشركين عبارة عن طلب توفيقهم وهدايتهم للإيمان. ﴿إنه كان من الضالين﴾ طريق الحق. وبالفارسية [ازكمراهان] وهذا الدعاء قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما تقدم في سورة التوبة روي عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل توضأ فأسبغ الوضوء ثم خرج من بيته يريد المسجد فقال حين خرج: بسم الله الذي خلقني فهو يهدين إلا هداه الله لصواب الأعمال، والذي هو يطعمني ويسقين إلا أطعمه الله من طعام الجنة وسقاه من شرابها، وإذا مرضت فهو يشفين إلا شفاه الله تعالى والذي يمينتي ثم يحيين إلا أحياه الله حياة الشهداء وأماته ميتة الشهداء والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين إلا غفر الله خطاياهم ولو كانت أكثر من زبد البحر رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين إلا وهب له حكماً وألحقه بصالح من مضى وصالح من بقي واجعل لي لسان صدق في الآخرين إلا كتب عند الله صديقاً واجعلني من ورثة جنة النعيم إلا جعل الله له القصور والمنازل في الجنة» وكان الحسن يزيد فيه واغفر لوالدي كما ربياني صغيراً كذا في «كشف الأسرار».

﴿وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَنِفِّينَ (٩٠)﴾.

﴿ولا تخزني﴾ من الخزي بمعنى الهوان والذل أي ولا تفضحني ولا تهتك سري. وبالفارسية [رسوا مساز] بمعابتي على ما فرطت من ترك الأولى وإنما قال ذلك مع علمه بأنه لا يخزيه إظهاراً للعبودية وحثاً لغيره على الاقتداء به كما قال الكاشفي: [أين دعا نيز براي تعليم امتانست ولا انبيارا خزي ورسواي نباشد] وذلك لأنهم آمنون من خوف الخاتمة ونحوها ولما كانت مغفرة الخطيئة في قوله: ﴿والذي أطمع﴾ الخ لا تستلزم ترك المعاتبة أفرد الدعاء بتركها بعد ذكر مغفرة الخطيئة. ﴿يوم يبعثون﴾ من القبور أي الناس كافة وإضماره لأن البعث عام فيدل عليه وقيد عدم الإخزاء بيوم البعث لأن الدنيا مظهر اسم الستار.

قال أبو الليث: إلى هنا كلام إبراهيم وقد انقطع كلامه ثم إن الله تعالى وصف ذلك اليوم فقال:

﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ بدل من يوم يبعثون ومفعول الفعل محذوف والتقدير لا ينفع مال أحداً وإن كان مصروفاً في الدنيا إلى وجوه البر والخيرات ولا ينفع بنون فرداً وإن كانوا صلحاء مستأهلين للشفاعة جداً.

﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ بدل من مفعوله المحذوف أي إلا مخلصاً سليم القلب من

مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالإيمان.

قال في «كشف الأسرار»: بنفس سليمة من الكفر والمعاصي وإنما أضافه إلى القلب لأن الجوارح تابعة للقلب فتسلم بسلامته وتفسد بفساده وفي الخبر: «إن في جسد ابن آدم لمضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب» قال الليث: كان الكفار يقولون: نحن أكثر أموالاً وأولاداً فأخبر الله أنه لا ينفعهم ذلك اليوم المال والبنون لعدم سلامة قلوبهم في الدنيا وأما المسلمون فينفعهم خيراتهم وينفعهم البنون أيضاً لأن المسلم إذا مات ابنه قبله يكون له ذخراً وأجراً وإن تخلف بعده فإنه يذكره بصالح دعائه ويتوقع منه الشفاعة من حيث صلاحه.

وسئل أبو القاسم الحكيم عن القلب السليم فقال: له ثلاث علامات أولاهها: أن لا يؤدي أحداً. والثانية: أن لا يتأذى من أحد. والثالثة: إذا اصطنع مع أحد معروفاً لم يتوقع منه المكافأة فإذا هو لم يؤد أحداً فقد جاء بالورع وإذا لم يتأذى من أحد فقد جاء بالوفاء وإذا لم يتوقع المكافأة بالاصطناع فقد جاء بالإخلاص.

قال الكاشفي: [كفته اند سلامت قلب إخلاص است درشهادت أن لا إله إلا الله محمد رسول الله قولي آنست که دل سليم از حب دنیا وکويند از حسد وخیانت.

ودرتيسير کويد از بغض أهل بيت وازواج وأصحاب حضرت پیغمبر عليه السلام. إمام قشيري رحمه الله فرمود که قلب سليم آنست که خالي باشد از غير خداي از طمع دنیا ورجاء عقبی يا خالي باشد از بدعت ومطمئن بسنت. واز سيد طائفة جنيد قدس سره منقولست که سليم مارکزيده بود ومارکزيده پیوسته درقلق واضطرايست پس بيان میکند که دل سليم مدام در مقام جزع وتضرع وزاري از خوف قطيعت يا از شوق وصلت].

ز شوق وصل مي نالم وکردستم دهدروزي زبیم هجر میکريم که ناکه درکمين باشد
همام از کرية خونين وسوزدل مکن چندين ندانستي که حال عشقبازان اينجين باشد
قال المولى الجامي:

محنت قرب ز بعد افزونست جکر از محنت مرهم خونست
هست درقرب همه بیم زوال نيست دربعد جز امید وصال

وفي «البحر»: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ للوصول إلى الحضرة لقبول الفيض الإلهي. ﴿إلا من أتى الله﴾ عند المراقبة. ﴿بقلب سليم﴾ وهو قلب قد سلم من انحراف المزاج الأصلي الذي هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فإنه خلق مرآة قابلة لتجلي صفات جمال الله وجلاله كما كان لآدم عليه السلام أول فطرته فتجلى فيه قبل أن يصدأ بتعلقات الكونين أشار بقوله: ﴿إلا من﴾ إلى التخلق بخلق الله والاتصاف بصفته إذ لم يكن القلب سليماً بلا عيب إلا إذا كان متصفاً بطهارة قدس الحق عن النظر إلى الخلق.

قال ابن عطاء: السليم الذي لا يشوشه شيء من آفات الكون.

وسئل بعضهم: بم تنال سلامة الصدر؟ قال: بالوقوف على حد اليقين وترك الإرادة في التلويح والتمكين.

قال أبو يزيد رحمه الله: فقطعت المفاوز حتى بلغت البوادي وقطعت البوادي حتى وصلت إلى الملكوت وقطعت الملكوت حتى بلغت إلى الملك - بفتح الميم وكسر اللام -

فقلت: الجائزة قال: قد وهبت لك جميع ما رأيت قلت: إنك تعلم أنني لم أر شيئاً من ذلك قال: فما تريد؟ قلت: أريد أن لا أريد قال: قد أعطيتك.

﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ عطف على لا ينفع وصيغة الماضي لتحقيق وقوعه كما أن صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاع النفع ودوامه أي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيفرحون بأنهم المحشورون إليها.

وفي «البحر»: أي قربت لأنهم تبعوا عنها لتقربهم إلى الله تعالى.

﴿وَبَرَزَتِ الْجَنَّةُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَئِنَّ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكَبَّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْقَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَنُودٌ إِلَيْسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ تُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ قُلُوا أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانُوا أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

﴿وبرزت الجنة للغاوين﴾ الضالين عن طريق الحق الذي هو الإيمان والتقوى أي جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع الأحوال ويوقنون بأنهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفاً فيزدادون غمّاً يقال: يؤتى بها في سبعين ألف زمام وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد فإن التبريز لا يستلزم التقريب ثم في تقديم إلزاف الجنة إيماء إلى سبق رحمته على غضبه.

وفي «البحر»: ﴿وبرزت﴾ الخ إذ توجههم كان إليها لطلب الشهوات وقد حفت بالشهوات. وفي «المثنوي»:

حفت الجنة بمكروهاتنا حفت النيران من شهواتنا
يعني جعلت الجنة محفوفة بالأشياء التي كانت مكروهة لنا وجعلت النار محاطة بالأمور التي كانت محبوبة لنا.

﴿وقيل لهم﴾ أي: للغاوين يوم القيامة على سبيل التوبيخ والقائلون الملائكة من جهة الحق تعالى، وحكمه: ﴿أين ما كنتم﴾ في الدنيا ﴿تعبدون﴾.

﴿من دون الله﴾ أي: أين آلهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شفاعتكم في هذا الموقف وتقربكم إلى الله زلفى ﴿هل ينصرونكم﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أو ينتصرون﴾ بدفعه عن أنفسهم. وبالفارسية [يا نكاه ميدارند خود را از حلول عقوبت بدیشان] وباب افتعل ههنا مطاوع فعل.

قال في «كشف الأسرار»: النصر المعونة على دفع الشر والسوء عن غيره والانتصار أن يدفع عن نفسه وإنما قال: أو ينتصرون بعد قوله: هل ينصرونكم لأن رتبة النصر بعد رتبة الانتصار لأن من نصر غيره فلا شك في الانتصار وقد ينتصر من لا يقدر على نصر غيره ثم هذا سؤال تقرير وتبكي لا يتوقع له جواب ولذلك قيل.

﴿فكبكوا فيها﴾ الكبكبة [نكو نساو كردن] أي تدهور الشيء في هوة وهو تكرير الكب وهو الطرح والإلقاء منكوساً وجعل تكرير اللفظ دليلاً على تكرير المعنى كرر عين الكب بنقله

إلى باب التفعيل فأصل كبكبوا كببوا فاستنقل اجتماع الباءات فأبدلت الثانية كافاً كما في زحزح فإن أصله زح من زحه يزحه أي نحاه عن موضعه ثم نقل إلى باب التفعيل ف قيل: زححه فأبدلت الحاء الثانية زايًا ف قيل: زحزحه أي باعده فمعنى الآية ألقوا في الجحيم مرة بعد أخرى منكوسين على رؤوسهم إلى أن يتسقروا في قعرها. ﴿هم﴾ أي: آلهتهم ﴿والغاوون﴾ الذين كانوا يعبدونهم.

﴿وجنود إبليس﴾ شياطينه، أي ذريته الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون إليهم ويسؤلون لهم ما هم عليه من عبادة الأصنام وسائر فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجه. ﴿أجمعون﴾ تأكيد لضميرهم وما عطف عليه.

﴿قالوا﴾ استئناف بياني أي قال العبداء حين فعل بهم ما فعل معترفين بخطاياهم. ﴿وهم﴾ فيها يختصمون ﴿أي: والحال أنهم في الجحيم بصدد الاختصاص مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوداتهم على أن الله تعالى يجعل الأصنام صالحة للاختصاص بأن يعطيها القدرة على النطق والفهم.

قال أبو الليث: ومعناه قالوا وهم يختصمون فيها على معنى التقديم.

﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين﴾ إن مخففة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية أي إن الشأن كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه.

﴿إذ نسويكم برب العالمين﴾ ظرف لكونهم في ضلال مبين وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية أي تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتها إياكم أيها الأصنام في استحقاق العبادة برب العالمين الذي أنتم أدنى مخلوقاته وأذلهم وأعجزهم.

﴿وما أضلنا﴾ وما دعانا إلى الضلال عن الهدى. ﴿إلا المجرمون﴾ أي الرؤساء والكبراء كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا﴾ [الأحزاب: ٦٧]: وبالفارسية: [مكر بدان وبدكاران از مهتران] وأصل الجرم قطع الثمرة عن الشجرة والجرامة رديء التمر وأجرم صار ذا جرم نحو أتمر وألبن واستعبر ذلك لكل اكتساب مكروه ولا يكاد يقال في عامة كلامهم للكسب المحمود.

﴿فما لنا﴾ [پس نیست مارا اکنون] ﴿من شافعين﴾ [هیچ کس از شفاعت کنندگان] كما للمؤمنين من الملائكة والأنبياء عليهم السلام. ﴿ولا صديق حميم﴾ [ونه دوستي مهربان وباشفقت] كما يرى لهم أصدقاء والصديق من صدقك في مودته وحميم قريب خاص وحامة الرجل خاصته كما في «فتح الرحمن».

قال الراغب هو القريب المشفق فكأنه الذي يحتد حماية لذويه وقيل: لخاصة الرجل: حامته قيل الحامة العامة وذلك لما قلنا واحتتم فلان لفلان أي احتد وذلك أبلغ من اهتم لما فيه من معنى الاهتمام.

وقال الكاشفي: [در قوت القلوب آورده که حمیم دراصل همیم بوده که هارا بحا بدل کرده اند جهت قرب مخرج وهمیم مأخوذ است از اهتمام لما فيه من معنى الاهتمام اهتمام كند درمهم كافران وشرط دوستي بجاي آرد] وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة ألا ترى أن السلطان إذا غضب على أحد ربما شفع فيه جماعة كما أن أفراد الصديق لقلته ولو قيل بعدمه لم يبعد قال الصائب:

درين قحط هو إداري عجب دارم كه خاكستر

كه در هنگام مردن چشم مي پوشاند آتش را

روي في بعض الأخبار أنه يجيء يوم القيامة عبد يحاسب فتستوي حسناته وسيئاته ويحتاج إلى حسنة واحدة ترضي عنه خصومه فيقول الله: عبدي بقيت لك حسنة إن كانت أدخلتلك الجنة انظر واطلب من الناس لعل واحداً يهب منك حسنة واحدة فيأتي ويدخل في الصفيين ويطلب من أبيه وأمه ثم من أصحابه فيقول لكل واحد في باب فلا يجيبه أحد وكل يقول: أنا اليوم فقير إلى حسنة من حسناته فيقول الله: عبدي ألم يكن لك صديق وفي فيذكر العبد صديقاً له فيأتيه ويسأله فيعطيه ويجيء إلى موضعه ويخبر بذلك ربه فيقول الله: قد قبلتها منه ولم أنقص من حقه شيئاً فقد غفرت لك وله. ففي هذا المعنى إشارة إلى أن للصدقة في الله اعتباراً عظيماً وفوائد كثيرة وفي الحديث: «أن الرجل ليقول في الجنة ما فعل بصدقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله: أخرجوا له صديقه إلى الجنة» يعني: وهبته له. قال الحسن: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعاة يوم القيامة.

وقال الحسن: ما اجتمع ملأ على ذكر الله فيهم عبد من أهل الجنة إلا شفعه فيهم وإن أهل الإيمان شفعاء بعضهم لبعض وهم عند الله شافعون مشفعون وفي الحديث: «إن الناس يمرون يوم القيامة على الصراط والصراط وخص مزلة يتكفأ بأهله والنار تأخذ منهم وإن جهنم لتنطف عليهم» أي تمطر عليهم مثل الثلج إذا وقع لها زفير وشهيق «فبينما هم كذلك إذ جاءهم نداء من الرحمن: عبادي من كنتم تعبدون؟ فيقولون: ربنا أنت تعلم أنا إياك كنا نعبد فيجيبهم بصوت لم يسمع الخلائق مثله قط: عبادي حق علي أن لا أكلكم اليوم إلى أحد غيري فقد غفرت لكم ورضيت عنكم فيقوم الملائكة عند ذلك بالشفاعة فينجون من ذلك المكان فيقول الذين تحتهم في النار: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم».

﴿فلو أن لنا كرة﴾ لو للتمني وأقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيها في معنى التقدير أي تقدير المعدم وفرضه كأنه قيل: فليت لنا كرة أي رجعة إلى الدنيا ﴿فنكون من المؤمنين﴾ بالنصب جواب التمني وهذا كلام التأسف والتحسر ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فإن من يضل الله فما له من هاد ولو رجع إلى الدنيا مراراً ألا ترى إلى الأمم في الدنيا فإن الله تعالى أخذهم بالبأساء والضراء كراراً ثم كشفه عنهم فلم يزيديداً إلا إصراراً جعلنا الله وإياكم من المستمعين المعترين لا من المعرضين الغافلين.

﴿إن في ذلك﴾ أي فيما ذكر من قصة إبراهيم مع قومه. ﴿آية﴾ لعل لمن يعبد غير الله تعالى ليعلم أنه يتبرأ منه في الآخرة ولا ينفعه أحد ولا سيما لأهل مكة الذين يدعون أنهم على ملة إبراهيم. ﴿وما كان أكثرهم﴾ أكثر قوم إبراهيم ﴿مؤمنين﴾ كحال أكثر قريش. وقد روي أنه ما آمن لإبراهيم من أهل بابل إلا لوط وابنه نمرود. ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ [أوست غلبه كنده برمشركان كه سطوت او مردود نكردد]. ﴿الرحيم﴾ [ويخشائنده] كه توبه بند كان ردنكند وبى احتجاج بدیشان عذاب نفرستد] ويمهل كما أمهل قريشاً بحكم رحمة الواسعة لكل يؤمنوا هم أو واحد من ذريتهم ولكنه لا يهمل فإنه لا بد لكل عامل من المكافأة على عمله إن خيراً فيخير وإن شراً فشر هذا وقد جوز أن يعود ضمير أكثرهم إلى قوم نبينا عليه السلام فإنهم الذين تتلى

عليهم الآية ليعتبروا ويؤمنوا وقد بين في المجلس السابق فارجع.

وفي «البحر»: النفس جبلت على الأمارية بالسوء وهو الكفر ولئن آمنت وصارت مأمورة فهو خرق عاداتها يدل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣] يعني برحمة الحق تعالى تصير مأمورة مؤمنة على خلاف طبعها ولهذا قال: ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ يعني أصحاب النفوس.

﴿وإن ربك لهُوَ العزيز﴾ ما هدى أكثر الخلق إلى الإيمان فضلاً عن الحضرة ﴿الرحيم﴾ فلرحمته هدى الذين جاهدوا فيه إلى سبيل الرشاد بل هدى الطالبين الصادقين إلى حضرة جلاله انتهى. فالهداية وإن كانت من العناية لكن لا بد من التمسك بالأسباب إلى أن تفتح الأبواب وملازمة النفس عند مخالفتها الأوامر والآداب مما ينفع في هذا اليوم دون يوم القيامة ألا ترى أن الكفار لاموا أنفسهم على ترك الإيمان وتمنوا أن لو كان لهم رجوع إلى الدنيا لقبلوا الإيمان والتكليف فما نفعهم ذلك.

امروؤ قدر پند عزیزان شناختیم یا رب روان ناصح ما ازتوشاد باد
عصمنا الله وإياكم من سطوته وغشينا برحمته وجعلنا من أهل القبور في الدنيا والآخرة إنه
الموفق لخير الأمور الباطنة والظاهرة.

﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١١٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا ﴿١١٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا ﴿١٢٠﴾

﴿كذبت﴾ تكذيباً مستمراً من حين الدعوة إلى انتهائها. ﴿قوم نوح﴾ القوم الجماعة من الرجال والنساء معاً أو الرجال خاصة وتدخل النساء على التبعية ويؤنث بدليل مجيء تصغيره على قويمة. ﴿المرسلين﴾ أي: نوحاً وحده والجمع باعتبار أن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب الجميع لاجتماع الكل على التوحيد وأصول الشرائع أو لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل.

﴿إذ قال لهم﴾ ظرف للتكذيب على أنه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبيين إلى تمام الأمر. ﴿أخوهم﴾ في النسب لثلاثي مجهول أمره في الصدق والديانة ولتعرف لغته فيؤدي ذلك إلى القبول. ﴿نوح﴾ عطف بيان لأخوهم. ﴿ألا تتقون﴾ الله حيث تعبدون غيره. وبالفارسية [أيا نمي ترسيد از خدای تعالی که ترک عبادت او میکنید].

﴿إني لكم رسول﴾ من جهته تعالى. ﴿أمين﴾ مشهور بالأمانة فيما بينكم ومن كان أميناً على أمور الدنيا كان أميناً على الوحي والرسالة.

﴿فاتقوا الله﴾ خافوا الله ﴿وأطيعوا﴾ فيما أمركم به من التوحيد والطاعة لله فإني لا أخونكم ولا أريدكم بسوء والفاء لترتيب ما بعدها على الأمانة.

﴿وما أسألكم عليه﴾ على أداء الرسالة ﴿من أجر﴾ جعل أصلاً وذلك لأن الرسل إذا لم يسألوا أجراً كان أقرب إلى التصديق وأبعد عن التهمة. ﴿إن أجري﴾ ما ثوابي فيما أتولاه. ﴿إلا﴾ على رب العالمين لأن من عمل لله فلا يطلب الأجر من غير الله وبه يشير إلى أن العلماء الذين هم ورثة الأنبياء يتأدبون بآداب أنبيائهم فلا يطلبون من الناس شيئاً في بث علومهم ولا

يرتفقون منهم بتعليمهم ولا بالتذكير لهم فإن من ارتفق من المسلمين المستمعين في بث ما يذكره من الدين ويعظ به لهم فلا يبارك الله للناس فيما يسمعون ولا للعلماء أيضاً بركة فيما يأخذون منهم يبيعون دينهم بعرض يسير ثم لا بركة لهم فيه :

زيان ميکنند مرد تفسیر دان که علم وأدب میفروشد بنان ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على تنزهه عن الطمع والتكرير للتأكيد والتنبيه على أن كلاً من الأمانة وقطع الطمع مستقل في إيجاب التقوى والطاعة فكيف إذا اجتمعا .

﴿قَالُوا أَنْزِلْ لَنَا آيَةً﴾ ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ﴾ ﴿قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿إِنْ جِئْتَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَءْيٍ لِّوَيْتَعْرِوْنَ﴾ ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ نَبْشُوحُ لَنَكُونَ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمٌ كَاذِبُونَ﴾ ﴿فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجَّيْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧٨﴾ .

﴿قالوا﴾ أي : قوم نوح ﴿أنؤمن لك﴾ الاستفهام للإنكار، أي لا نؤمن لك . ﴿وأتبعك الأرذلون﴾ أي والحال قد أتبعك الأقلون جاهاً ومالاً أي وهذه حالك كما تقول لا نصحبك وصحبك السفلة . والأرذلون جمع الأرذل والرذالة الخسة والدناءة والرذال المرغوب عنه لرداءته يعنون أن لا عبرة لاتباعهم لك إذ ليس لهم رزانة عقل وإصابة رأي قد كان ذلك منهم في بادئ الرأي وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم أنظارهم على الدنيا وكون الأشرف عندهم من هو أكثر منها حظاً والأرذل من حرمها وجهلهم أنها لا تزن عند الله جناح بعوضة، وأن النعيم هو نعيم الآخرة والأشرف من فاز به والأرذل من حرمه وهكذا كانت قریش تقول في أصحاب رسول الله، وما زالت الأتباع الأنبياء ضعفاء الناس وقس أتباع الأولياء على أتباعهم من حيث وراثتهم لدعوتهم وعلومهم وأذواقهم ومحنتهم وابتلائهم وذلك لأن الحقيقة من أرباب الجاه والثروة لم تأت إلا نادراً :

دراں سرست بزرگی که نیست فکربزرگی

﴿قال﴾ نوح جواباً عما يشير إليه من قولهم أنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة . ﴿وما علمي بما كانوا يعملون﴾ إنهم علموه إخلاصاً أو نفاقاً وما وظيفتي إلا اعتبار الظواهر وبناء الأحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم، والظاهر أن ما فيه استفهامية بمعنى أي شيء في محل الرفع على الابتداء وعلمي خبرها ويجوز أن تكون نافية والباء متعلقة بعلمي على التقدير الأول وعلى الثاني لا بد من إضمار الخبر ليتم الكلام، كما قال الكاشفي : [وإنست دانش من رسنده بآنچه هستندکه میکنند] .

﴿إن حسابهم﴾ ما محاسبتهم على بواطنهم ﴿إلا على ربي﴾ فإنه المطلع على الضمائر . وفي الخبر المعروف : «إذا شهدوا أن لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» . قال سفيان الثوري رحمه الله : لا نحاسب الأحياء ولا نحكم على الأموات ﴿لو تشعرون﴾ لو كنتم من أهل الشعور والإدراك لعملمت ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وهو من الباب الأول وأما الشعر بمعنى النظم فمن الخامس . ﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ الطرد الإزعاج والإبعاد على سبيل الاستخلاف . والمعنى

بالفارسية: [ونيسستم من راننده مؤمنان] وهو جواب عما أوهمه كلامهم أنؤمن لك من استدعاء طردهم وتعليق إيمانهم بذلك حيث جعلوا أتباعهم مانعاً عنه.

قال ابن عطاء رحمه الله: وما أنا بمعرض عمن أقبل على ربه.

﴿إن أنا إلا نذير مبين﴾ أي ما أنا إلا رسول مبعوث لإنذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من الأعداء أو الأذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء.

﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح﴾ عما تقول يعني عن الدعوة والإنذار. والانتهاه [بازاستیدن]. لتكونن من المرجومين.

قال الراغب في «المفردات»: الرجام الحجارة والرجم الرمي بالرجام يقال: رجم فهو مرجوم قال تعالى: ﴿لتكونن من المرجومين﴾ أي: المقتولين أقيح قتله انتهى قالوه قاتلهم الله في أواخر الأمر.

﴿قال رب إن قومي كذبون﴾ أصرروا على التكذيب بعدما دعوتهم هذه الأزمنة المتطاولة ولم يزدتهم دعائي إلا فراراً.

﴿فافتح بيني وبينهم فتحاً﴾ أي: احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا.

قال في «التأويلات»: افتح باباً من أبواب فضلك على مستحقه وباباً من أبواب عدلك على مستحقه انتهى من الفتاحة وهي الحكومة والفتاح الحاكم سمي لفتح المغلق من الأمر كما سمي فيصلاً لفصله بين الخصومات.

قال ابن الشيخ أراد به الحكم بإنزال العقوبة عليهم لقوله عقبه: ﴿ونجني﴾ خلصني ﴿ومن معي من المؤمنين﴾ أي: من العذاب ومن أذى الكفار.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٧﴾

﴿فأنجيناها ومن معه﴾ حسب دعائه ﴿في الفلك المشحون﴾ أي المملوء بهم وبكل صنف من الحيوان وبما لا بد لهم منه من الأمتعة والمأكولات ومنه الشحناء وهي عداوة امتلأت منها النفوس.

﴿ثم أغرقنا بعد﴾ أي: بعد إنجائهم ﴿الباقين﴾ من قومه ممن لم يركب السفينة.

وفيه تنبيه على أن نوحاً كان مبعوثاً إلى من على وجه الأرض ولذا قال في قصته الباقين وفي قصة موسى ثم أغرقنا الآخرين.

﴿إن في ذلك﴾ الذي فعل يقوم نوح لاستكبارهم عن قبول الحق واستخفافهم بفقراء المسلمين. ﴿آية﴾ لعبرة لمن بعدهم. ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ أي: أكثر قوم نوح فلم يؤمن من قومه إلا ثمانون من الرجال والنساء.

وقال الكاشفي: [هفتادونه تن] وأكثر قومك يا محمد وهم قريش فاصبر على أذاهم كما صبر نوح على أذى قومه تظفر كما ظفر.

كارتو از صبر نكوتر شود هر كه شكيباست مظفر شود

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ الغالب على ما أراد من عقوبة الكفار ﴿الرحيم﴾ لمن تاب أو بتأخير العذاب.

وفي «التأويلات النجمية»: كرر في كل قصة قوله: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ دلالة على أن عز الله وعظمته اقتضت أن يكون أكرم الخلق مؤمناً به مقبولاً له كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ﴾ [الحجرات: ۱۳] ولا ريب أن أكثر الخلق لثام وكرام قليلون كما قال الشاعر:

تعيّرنا أنا قليل عدادنا فقلت لها إن الكرام قليل
ولذلك ذكر في عقبه. ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ أي: لا يهتدي إليه الأذلاء من أرباب النفوس لخستهم ولعزته. ﴿الرحيم﴾ أي: يجتبي إليه برحمته من يشاء من أعزة أرباب القلوب لعلو مهمته وفرط رحمته.

آفرین برجان درویشی که صاحب همت است
والإشارة بنوح إلى نوح القلب ويقومه إلى النفس وصفاتها وبالمؤمنين إلى الجسد وأعضائه فإنهما آمنا بالعمل بالأركان على وفق الشرع وإلى بعض صفات النفس وذلك بتبديلها. وبالفلك إلى فلك الشريعة المملوء بالأوامر والنواهي والحكم والمواعظ والأسرار والحقائق والمعاني فمن ركب هذه السفينة نجا ومن لم يركب غرق بطوفان استيلاء الأخلاق الذميمة وابتلاء آفات الدنيا الدنيئة من المال والجاه والزينة والشهوات ولا بد للسفينة من الملاح وهو معلم الخير فإنه بصحبته تحصل النجاة كما قال الحافظ:

یا رمدان خدا باش که درکشتی نوح هست خاکی که بآبی نخرد طوفا نرا
یشیر إلى أن الأمر سهل بإشارة المرشد وأن العسير عند الغافل يسير عند الواصل.

﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [۱۲۲] إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نَنْفِقُونَ ﴿۱۲۳﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿۱۲۴﴾ فَانْقُضُوا أَلَهُمَّ وَاطِيعُونَ ﴿۱۲۵﴾ .

﴿كذبت عاد المرسلين﴾: أنث عاد باعتبار القبيلة وهو اسم أبيهم الأقصى [مقاتل: كفت عاد وثمود ابن عم يكديكر بودند عاد قوم هود بودند وثمود قوم صالح وميان مهلك عاد ومهلك ثمود پانصد سال بود قومي گفتند از أهل تاريخ كه عاد وثمود دو برادر بودند از فرزندان أرم بن سام بن نوح وسام بن نوح را پنج پسر بود ارم وارفحشه وعالم واليفر والأسود وارم مهينه فرزندان بود واورا هفت پسر بود عاد وثمود وصحار وطنم وجديس وجاسم ووبار مسكن عاد وفرزندان وي يمن بود ومسكن ثمود وفرزندان وي ميان حجاز وشام بود ومسكن طنم عمان وبحران ومسكن جدیس زمین تهامه ومسكن صحار ما بين الطائف إلى جبال طي ومسكن جاسم ما بين الحرم إلى سفوان ومسكن بار زميني است كه آنرا وبار كويند بنام وي باز خوانند اينان همه زبان ولغت عربي داشتند] وقد انقرضوا عن آخرهم فلم يبق لهم نسل.

﴿إذ قال لهم أخوهم﴾: في النسب ظرف للتكذيب. ﴿هود﴾ بن شالخ بن أرفحشد بن سام بن نوح.

قال بعضهم: كان اسم هود عابراً وسمي هوداً لوقاره وسكونه عاش مائة وخمسين سنة أرسل إلى أولاد عاد حين بلغ الأربعين ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله تعالى فتفعلون ما تفعلون: وبالفارسية [آيا پرهيز نميكنيد از شرك واز عقاب إلهي خائف نمي شويد].

﴿إني لكم رسول﴾: من جهته تعالى ﴿أمين﴾ مشهور بالأمانة فيما بينكم.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا من عقابه ﴿وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمركم به من الحق .

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ مَّائَةً تَبْشُرُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَخِدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾

﴿وما أسألكم عليه﴾ أي: على أداء الرسالة ﴿من أجر﴾ كما يسأل بعض نقلة القصص ﴿إن أجري إلا على رب العالمين﴾ لأنه هو الذي أرسلني فكان أجري عليه وهو بيان لتتزهه عن المطامع الدنية والأعراض الدنيوية. قال الحافظ:

تو بنكدي چوكد ایان بشرط مزد مکن که دوست خودروش بنده پروری داند

﴿أتبنون﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري. والمعنى بالفارسية [آيا بنا ميكنيد]. ﴿بكل ريع﴾

[بهر موضعي بکند] والريع بكسر الراء وفتحها جمع ربعة وهو المكان المرتفع ومنه استعير ريع الأرض للزيادة والارتفاع الحاصل منها. ﴿آية﴾ بناء عالياً متميزاً عن سائر الأبنية حال كونكم ﴿تعبثون﴾ ببناؤه فإن بناء ما لا ضرورة فيه وما كان فوق الحاجة عبث. روي: أن رسول الله ﷺ خرج فرأى قبة مشرفة فقال: «ما هذه؟» قال له أصحابه: هذه لرجل من الأنصار فمكث وحملها في نفسه حتى إذا جاء صاحبها رسول الله فسلم في الناس أعرض عنه وصنع به ذلك مراراً حتى عرف الرجل الغضب فيه والإعراض عنه فشكا ذلك إلى أصحابه فقال: والله إني لأنكر نظر رسول الله ما أدري ما حدث في وما صنعت قالوا: خرج رسول الله فرأى قبك فقال لمن هذه فأخبرناه فرجع إلى قبته فسواها بالأرض فخرج النبي عليه السلام ذات يوم فلم ير القبة فقال: «ما فعلت القبة التي كانت ههنا؟» قالوا: شكا إلينا صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها فقال: «إن كل بناء يبني وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما لا بد منه» هذا ما عليه الإمام الراغب وصاحب «كشف الأسرار» وغيرهما.

وقال في «الجلالين» ونحوه ﴿آية﴾ يعني أبنية الحمام وبروجها. وبالفارسية [كبوتر خانها] أنكر هود عليهم اتخاذهم بروج الحمام عبثاً ولعبهم بها كالصبيان.

قال في «نصاب الاحتساب»: من اللعب الذي يحتسب بسببه اللعب بالحمام.

قال محمد: السفلة من يلعب بالحمام ويقامر.

وفي «شرح القهستاني»: ولا بأس بحبس الطيور والدجاج في بيته ولكن يعلفها وهو خير من إرسالها في السكك. وأما إمساك الحمامات في برجها فمكروه إذا أضر بالناس.

وقال ابن مقاتل يجب على صاحبها أن يحفظها ويعلفها انتهى.

وفي «التتارخانية»: ولا يجوز حبس البلبل والطوطي والقمرى ونحوها في القفص أي إذا كان الحبس لأجل اللهو واللعب. وأما إذا كان لأجل الانتفاع كحبس الدجاج والبطة والأوز ونحوها لتسمن أو لثلا تضر بالجيران فهو جائز وكذا حبس سباع الطيور لأجل الاصطياد.

وفي فتاوى قارىء «الهداية»: هل يجوز حبس الطيور المغردة وهل يجوز إعتقها وهل في ذلك ثواب وهل يجوز قتل الوطاويط لتلوينها حصير المسجد بخربها الفاحش؟ أجاب يجوز حبسها للاستئناس بها. وأما إعتقها فليس فيه ثواب وقتل المؤذي من الدواب يجوز انتهى وفي الحديث: «لا تحضر الملائكة شيئاً من الملاهي سوى النضال والرهان» أي: المسابقة بالرمي والفرس والإبل والأرجل.

وقال بعضهم: في الآية تعبثون بمن مرّ بكم لأنهم كانوا يبنون الغرف في الأماكن العالية ليشرفوا على المارة فيسخرّون منهم ويعبثون بهم. وذهب بعض من عدّ من أجلاء المفسرين إلى أن المعنى (آية) أي علامة للمارة تعبثون ببنائها فإنهم كانوا يبنون أعلاماً طوالاً لاهتداء المارة فعد ذلك عبثاً لاستغنائهم عنها بالنجوم.

قال سعدي المفاتي: فيه بحث إذ لا نجوم بالنهار وقد يحدث في الليل ما يستر النجوم من الغيوم انتهى.

يقول الفقير: وأيضاً إن تلك الأعلام إذا كانت لزيادة الانتفاع بها كالأميال بين بغداد ومكة مثلاً كيف تكون عبثاً فالاهتداء بالنهار إما بالأعلام وإما بشم التراب كما سبق في الجلد الأول. «وتتخذون مصانع» أمكنة شريفة كما في «المفردات» أو مأخذ الماء تحت الأرض كما في «الصحاح» و«القاموس». المصنعة بفتح الميم وضم النون وفتحها كالحوض يجمع فيها ماء المطر وجمعها المصانع أي: الحياض العظيمة. «لعلكم تخلصون» راجين أن تخلصوا في الدنيا أي عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون ببناءها فلعل للتشبيه أي كأنكم تخلصون. وبالفارسية [كوييا جاويد خواهد بود دران] ذمهم أولاً بإضاعتهم المال عبثاً بلا فائدة. وثانياً بإحكامهم البناء على وجه يدل على طول الأمل والغفلة. قال الصائب:

در سراين غافلان طول أمل داني که چیست آشیان کردست ماري در كبوتر خانه

«وإذا بطشتم» بسوط أو سيف والبطش تناول الشيء بصولة أو قهر وغلبة. «بطشتم» حال كونكم «جبارين» متسلطين ظالمين بلا رافة ولا قصد تأديب ولا نظر في العاقبة فأما بالحق والعدل فالبطش جائز والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب.

«فاتقوا الله» واتركوا هذه الأفعال من بناء الأبنية العالية واتخاذ الأمكنة الشريفة وإسراف المال في الحياض والرياض والبطش بغير حق. «وأطيعون» فيما أَدْعَوْكُمْ إليه من التوحيد والعدل والإنصاف وترك الأمل ونحوها فإنه أنفع لكم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَأَنْتُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (١٣٢) ﴿وَحَنَّتْ وَعُيُونُ﴾ (١٣٣) ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٣٤) ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَارِثِينَ﴾ (١٣٥) ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣٦) ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ (١٣٧) ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٨) ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٣٩).

«واتقوا الذي أمركم» [مدد كاري كرد شمارا] والإمداد إتباع الثاني بما قبله شيئاً بعد شيء على انتظام وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب والمد في المكروه. وأما قوله تعالى: «وَالْبَحْرُ يَمُدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ» [لقمان: ٢٧] فهو من مددت الدواء أمدها لا من القبيل المذكور. «بما تعلمون» به من أنواع النعماء وأصناف الآلاء وأجلها أولاً ثم فصلها بقوله:

«أمدمكم بأنعام» [مدد كرد شمارا بجهار پايان چون شتر وكاو وكوسفندان تا ازايشان أخذ فوائد ميكنيد] «وبنين» [پسران درهمه حال يار ومدد كار شمااند]. «وجنات» [وبستانها كه از ميوه آن منتفع ميشويد] «وعيون» [ويچشمهاي روان كه مهم سقيا ونشو ونماي زرع بدان باتمام رسد].

«إني أخاف عليكم» إن لم تقوموا بشكر هذه النعم. «عذاب يوم عظيم» في الدنيا

والآخرة فإن كفران النعمة مستتبع للعذاب كما أن شكرها مستلزم لزيادتها وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو هبوب الريح الصرصر ههنا.

﴿قالوا﴾ [كفتند عاديان در جواب هود]. ﴿سواء علينا﴾ [يكسانست برما] ﴿أو عظت﴾ [يا پندد هي مارا]. ﴿أم لم تكن من الواعظين﴾ فإننا لن نرجع عما نحن عليه. والوعظ زجر يقترن بتخويف وكلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد.

وقال الخليل: هو التذكير بالخبر فيما يرق له القلب والعظة والموعظة الاسم.

﴿إن هذا﴾ أي ما هذا الذي جئنا به وبالفارسية: [نيسست اين كه تو آوردی]. ﴿إلا خلق الأولين﴾ [مكرخوي وعادت أولين كه ميكفتند كه ما پيغمبر انيم ودروغ ميكفتند] كانوا يلقون مثل هذا الكذب ويسطرونه والتلفيق [واهم آوردن] أو ما هذا الذي نحن فيه إلا عادة الأولين من قبلنا من تشييد البناء والبطش على وجه التكبر فلا نترك هذه العادة بقولك أو عادتهم وأمرهم أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب.

﴿وما نحن بمعذبين﴾ على ما نحن عليه من الأعمال والعادات.

﴿فكذبوه﴾ أي هوداً وأصروا على ذلك ﴿فأهلكناهم﴾ أي: عاداً بسبب التكذيب بريح صرصر. تلخيصه أن هوداً أنذر قومه ووعظهم فلم يتعظوا فأهلكوا. ﴿إن في ذلك﴾ [بدرستي كه در هلاك قوم عاد]. ﴿آية﴾ [نشانه ايست دلالت كند بر آنكه عاقبت أهل تكذيب بعقوبت كشد] ﴿وما كان أكثرهم﴾ أي: أكثر قوم عاد. ﴿مؤمنين﴾ [چه اندك ازان قبيله باهود بودند].

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ الغالب المنتقم ممن يعمل عمل الجبارين ولا يقبل الموعظة. ﴿الرحيم﴾ [مهربانست كه مؤمناً نرا ازان مهلكهء عقوبت بيرون آرد ونجات دهد] وهو تخويف لهذه الأمة كيلا يسلكوا مسالكهم.

قيل: خير ما أعطي الإنسان عقل يردعه فإن لم يكن فحياء يمنعه فإن لم يكن فخوف يقمعه فإن لم يكن فمال يستره فإن لم يكن فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد كالأرض إذا استولى عليها الشوك فلا بد من نسفها وإحراقها بتسليط النار عليها حتى تعود بيضاء. فعلى العاقل أن يعتبر ويخاف من عقوبة الله تعالى ويترك العادات والشهوات ولا يصير على المخالفات والمنهيات.

مكر كه عادت شوم از جنود إبليس است كه سد راه عبادت شده است عادت ما

وكل ما وقع في العالم من آثار اللطف والقهر فهو علة لأولي الألباب مدة الدهر.

عاقلاً نراكوش بر آواز طبل رحلتست هرطبيدن قاصدي باشد دل آگاه را

وقد أهلك الله تعالى قوم عاد مع شدة قوتهم وشوكتهم بأضعف الأشياء وهو الريح فإنه إذا أراد يجعل الأضعف أقوى كالبعوضة ففي الريح ضعف للأولياء وقوة على الأعداء ولأن للكامل معرفة تامة بشؤون الله تعالى لم يزلوا مراقبين خائفين كما أن الجهلاء ما زالوا غافلين آمنين ولذا قامت عليهم الطامة في كل زمان قواماً الله وإياكم بحقائق اليقين وجعلنا من أهل المراقبة في كل حين.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴿٤٢﴾ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٤٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿٤٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ أَتُكْفَرُونَ فِي مَا هُنَا

ءَامِينَ ﴿٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هُضِيمٌ ﴿٤٨﴾ وَتَجْتَنُونَ مِنْ أَلْجَالِ يُونَا
فَرِهِينَ ﴿٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُتَرَفِّينَ ﴿٥١﴾

﴿كذبت ثمود﴾ أنث باعتبار القبيلة وهو اسم جد هم الأعلى وهو ثمود بن عبيد بن عوص بن عاد بن أرم بن سام بن نوح وقد ذكر غير هذا في أول المجلس السابق فارجع. ﴿المرسلين﴾ يعني: صالحاً ومن قبله من المرسلين أو إياه وحده والجمع باعتبار أن تكذيب واحد من الرسل في حكم تكذيب الجميع لاتفاقهم على التوحيد وأصول الشرائع ثم بين الوقت الممتد للتكذيب المستمر فقال:

﴿إذ قال لهم أخوهم﴾ النسبي لا الديني فإن الأنبياء محفوظون قبل النبوة معصومون بعدها وفائدة كونه منهم أن تعرف أمانته ولغته فيؤدي ذلك إلى فهم ما جاء به وتصديقه. ﴿صالح﴾ ابن عبيد بن آسف بن كاشح بن حاذر بن ثمود. ﴿ألا تتقون﴾ [أي نمي ترسيد از عذاب خدای که بدو شرك می آرید].

﴿إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون﴾ فإن شهرتي فيما بينكم بالأمانة موجبة لتقوى الله وإطاعتي فيما أدعوكم إليه.

﴿وما أسألكم عليه﴾ أي: على النصيح والدعاء. ﴿من أجر﴾ فإن ذلك تهمة لأهل العفة. ﴿إن أجري﴾ [نيست مكافات من]. ﴿إلا على رب العالمين﴾ فإنه الذي أرسلني فالأجر عليه بل هو الأجر لعباده الخالص لقوله في الحديث القدسي: «من قتله فأنا ديته» وفي «المثنوي»:

عاشقانرا شادمانی وغم اوست دست مزد وأجرت خدمت هم اوست
﴿أتركون﴾ الاستفهام للإنكار والتوبيخ أي أتظنون أنكم تتركون. ﴿فيما ههنا﴾ أي: في النعيم الذي هو ثابت في هذا المكان أي الدنيا وأن لا دار للمجازاة. ﴿آمنين﴾ حال من فاعل تتركون: يعني [در حالي که ایمن زآفات و سالم ازفوات] وفسر النعيم بقوله:
﴿في جنات﴾ بساتين ﴿وعيون﴾ أنهار.

وقال بعضهم: لم يكن لقوم صالح أنهار جارية فالمراد بالعيون الآبار ويقال: كانت لهم في الشتاء آبار وفي الصيف أنهار لأنهم كانوا يخرجون في الصيف إلى القصور والكروم والأنهار ﴿وزروع﴾ [كشتزارها] ﴿ونخل﴾ [خرما بنان] وأفرد النخل مع دخولها في أشجار الجنات لفضلها على سائر الأشجار وقد خلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام. ﴿طلعها﴾ طلع النخل ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو تشبيهاً بالطلوع قبل طلع النخل كما في «المفردات». والشماريخ جمع شمراخ بالكسر وهو العثكال أي العذق وكل غصن من أغصانه شمراخ وهو الذي عليه البسر والقنو والعذق والكباسة بالكسر في الكل من التمر بمنزلة العنقود من الكرم ﴿هضيم﴾ لطيف لين في جسمه. وبالفارسية [خوشه] أن خرما بنان وشكوفه أو نازل ونرم أي [للطف الثمر فيكون الطلع مجازاً عن الثمر. والهضم بفتح الحين الرفة والهزال ومنه هضم الكشح والحشى أي ضامر لطيف ومنه هضم الطعام إذا لطف واستحال إلى مشاكلة البدن كما في «كشف الأسرار» أو لطيف لأن النخل أنثى ويؤيده تأنيث الضمير وطلع إناث النخل لطيف وذكره غليظ صلب.

قال ابن الشيخ: طلع البرني ألطف من طلع اللون والبرني أجود التمر وهو معرف أصله

برنیک أي الحمل الجید واللون الدقل وهو أردیء التمر وأهل المدينة یسمون ما عدا البرنی والعجوة ألواناً ویوصف بهضیم ما دام فی کفره لدخول بعضه فی بعض ولصوقه فإذا خرج منها فلیس بهضیم والكفري بضم الكاف والفاء وتشدید الراء كم النخل لأنه یستر فی جوفه .

وقال الإمام الراغب: الهضم شدخ ما فیہ رخاوة ونخل طلعها هضیم أي داخل بعضه فی بعض كأنما شدخ انتهى أو هضیم متدل متکسر من كثرة الحمل فالهضم بمعنی الكسر والتدلی التسفل والنزول من موضعه .

قال فی «المختار»: الهاضوم الذي یقال له: الجوارش لأنه یهضم الطعام أي یکسره وطعام سریع الانهضام وبطيء الانهضام .

﴿وتنتحون﴾ [ومی تراشید برای مساکن خود] ﴿من الجبال بیوتاً﴾ [کفته اندکه دروادی حجر دوهزار بارهزار وهفصد سرای تراشیدند از سنک سخت درمیان کوهها رب العالمین ایشانرا دران کارباستادی وتیزکاری وصف کرد وکفت] ﴿فارهمین﴾ [در حالتی که ما هرید در تراشیدن سنسکهها] كما قال الراغب: أي حاذقین من الفراهة وهي النشاط فإن الحاذق یعمل بنشاط وطیب قلب ومن قرأ فرهین جعله بمعنی مرحین أشربین بطرین فهو علی الأول من فره بالضم وعلی الثاني من فره بالكسر .

واعلم أن ظاهر هذه الآیات يدل علی أن الغالب علی قوم هود هو اللذات الخیالية وهو طلب الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر . والغالب علی قوم صالح هو اللذات الحسیة وهي طلب المأكول والمشروب والمساکن الطیبة وكل هذه اللذات من لذات أهل الدنیا الغافلین وفوقها لذات أهل العقبی المتقظین وهي اللذات القلبیة من المعارف والعلوم وما یوصل إليها من التواضع والوقار والتجرد والاصطبار .

﴿فأتقوا الله وأطيعوا ولا تطیعوا أمر المسرفین﴾ كان مقتضى الظاهر ولا تطیعوا المسرفین بلا إقحام أمر فإن الطاعة إنما تكون للأمر علی صیغة الفاعل كما أن الامتثال إنما یكون للأمر علی صیغة المصدر فشبه الامتثال بالطاعة من حیث أن كل واحد منهما یفرضی إلى الوجود والمأمور به فأطلق اسم المشبه به وهو الطاعة وأرید الامتثال أي لا تمتثلوا أمرهم .

﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ ﴿١٥١﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٢﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٣﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ ۖ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٤﴾ وَلَا تَسْوَأُوا يَسْوءَ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٥﴾ .

﴿الذين یفسدون فی الأرض﴾ أي: فی أرض الحجر بالکفر والظلم وهو وصف موضح لإسرافهم ﴿ولا یصلحون﴾ بالإیمان والعدل عطف علی یفسدون لبيان خلو إفسادهم عن مخالطة الإصلاح [مرادتنی چندانکه قصد هلاک صالح کردند وقصه ایشان درسوره نمل مذکور خواهد شد] .

﴿قَالُوا﴾ [کفتند ثمود در جواب صالح] ﴿إنما أنت من المسحورین﴾ أي: من المسحورین مرة بعد أخرى حتی اختل عقله واضطرب رأیه فبناء التفعیل لتکثیر الفعل .

﴿ما أنت إلا بشر مثلتنا﴾ تأکل وتشرب ولست بملك .

قال الکاشفی: [بصورت بشریت صالح علیه السلام از حقیقت حال وی محجوب شدید

وندانستدکه انسان وراي صورت چيزي ديكرست].

چند صورت بيبي آي صورت پرست جان بي معنيست كز صورت ترست

در كذر از صورت ومعنى نكر زانكه مقصود از صدف باشد كهر

[وچون قوم ثمود وابسته صورت بودند وصالح را بصورت خودديدند بهانه جويان گفتند تومثل ما بشري دعوى رسالت چراميكني وچونكه ترك نميكيري ودرين دعوى مصري] **﴿فأنت بآية﴾** [پس بيار نشانه از خوارق عادات]. **﴿إن كنت من الصادقين﴾** [في دعواك صالح؛ فرمودكه شماچه مي طلبيد يشان اقتراح كردندكه ازين سنك معين ناچه بدين هيات بيرون آر وچون بدعاي صالح مدعاي ايشان حاصل شد] كما سبق تفصيله في سورة الأعراف وسورة هود.

﴿قال هذه ناقة﴾ [اين ناچه ايست كه شما طلبيد يه]. **﴿لها شرب﴾** [أي: نصيب من الماء كالسقي للحط من السقي] **﴿ولكم شرب يوم معلوم﴾**. يعني [يكروز رب ازان اوست ودوروز ازان شماست] فاقتصروا على شربكم ولا تراحموها على شربها.

وفيه دليل على جواز قسمة المنافع بالمهاياة لأن قوله: لها شرب ولكم شرب يوم معلوم من المهاياة وهي لغة مفاعلة من الهيئة وهي الحالة الظاهرة للمتهيء للشيء. والتهايؤ تفاعل منها وهي أن يتواضعوا على أمر فيتراضوا به وحقيقته أن كلاً منهم رضي بهيئة واحدة واختارها وشرعاً قسمة المنافع على التعاقب والتناوب فلو قسم الشريكان منفعة دار مشتركة ووقعت المواضعة بينهما على أن يسكن أحدهما في بعضها والآخر في بعضها هذا في علوها وهذا في سفلها أو على أن يسكن فيها هذا يوماً أو شهراً ويسكن هذا يوماً أو شهراً وتهاياً توافقاً في دارين على أن يسكن هذا في هذه وهذا في هذه أو في خدمة عبد واحد على أن يخدم هذا يوماً ويخدم هذا يوماً أو خدمة عبيدين على أن يخدم هذا هذا وهذا هذا صح التهايؤ في الصور المذكورة بالإجماع استحساناً للحاجة إليه إذ يتعذر الاجتماع على الانتفاع فأشبه القسمة والقياس أن لا يصح لأنها مبادلة المنفعة بجنسها ولكن ترك بالكتاب وهو الآية المذكورة والسنة وهو ما روي أنه عليه السلام قسم بغزوة بدر كل بغير بين ثلاثة نفر وكانوا يتناوبون وعلى جوازها إجماع الأمة.

قال في «فتح الرحمن»: واختلفوا في حكم المهاياة فقال أبو حنيفة رحمه الله: يجبر عليها الممتنع إذا لم يكن الطائب متعتاً وقال الثلاثة هي جائزة بالتراضي ولا إيجاب فيها.

﴿ولا تمسوها بسوء﴾ [ومس ميكند ويرا بيدي يعني قصد زدن وكشتن وي ميكنيدكه اكرچنان كنيد] **﴿فياخذكم عذاب يوم عظيم﴾** [عظم اليوم بالنسبة إلى عظم ما حل فيه وهو ههنا صبيحة جبريل].

﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴿٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥٩﴾﴾

﴿فعقروها﴾ [عقرت البعير نحرته وأصل العقر ضرب الساق بالسيف كما في «كشف الأسرار»] [پس پي كردند ناچه راوبكشتند] أي يوم الأربعاء فماتت وأسند العقر إلى كلهم لأن عاقرها إنما عقر برضاهم ولذلك أخذوا جميعاً. روي أن مسطعاً ألجأها إلى مضيق في شعب

فرماها بسهم فسقطت ثم ضربها قدار في عرقوبها. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: رأيت مبركها فإذا هو ستون ذراعاً في ستين ذراعاً فقتلوا مثل هذه الآية العظيمة. ﴿فأصبحوا﴾ صاروا ﴿نادمين﴾ على عقربها خوفاً من حلول العذاب لا توبة أو عند معابنتهم العذاب ولذلك لم ينفعهم الندم وإن كان بطريق التوبة كفرعون حين ألجمه الغرق والندم والندامة التحسر من تغير رأي في أمر فائت.

﴿فأخذهم العذاب﴾ الموعود وهو صيحة جبريل وذلك يوم السبت فهلكوا جميعاً. ﴿إن في ذلك﴾ أي: في العذاب النازل بثمود. ﴿لآية﴾ دالة على أن الكفر بعد ظهور الآيات المفتوحة موجب لنزول العذاب فليعتبر العقلاء لا سيما قريش. ﴿وما كان أكثرهم﴾ أكثر قوم ثمود أو قريش. ﴿مؤمنين﴾ [أورده اندكه از قبائل ثمود چهار هزار كس إيمان آوردند وبس] وكان صالح عليه السلام نزل عليه الوحي بعد بلوغه وأرسل بعد هود بمائة سنة وعاش مائتين وعشرين سنة.

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ الغالب على ما أراد من الانتقام من قوم ثمود بسبب تكذبهم فاستأصلهم فليحذر المخالفون لأمره حتى لا يقعوا فيما وقع فيه الأمم السالفة المكذبة. ﴿الرحيم﴾ [مهربان كه بي استحقاق عذاب نكند] وكانت الناقة علامة لنبوة صالح عليه السلام فلما أهلكوها ولم يعظموها صاروا نادمين حين لم ينفعهم الندم، والقرآن علامة لنبوة نبينا عليه السلام فمن رفضه ولم يعمل بما فيه ولم يعظمه يصير نادماً غداً ويصيبه العذاب ومن جملة ما فيه الأمر بالاعتبار فعليك بالامثال ما ساعدت العقول والأبصار وإياك ومجرد القول فالفعل شاهد على حقيقة الحال. وفي «المثنوي».

حفظ لفظ اندر كواه قولی است	حفظ عهد اندر كواه فعلی است
كركواه قول كز كويد ردست	وركواه فعل كز پويد بدست
قول وفعل بي تناقص بايدت	تا قبول اندر زمان پیش آيدت
چون ترازوي تو كز بود ودغا	راست چون جويي ترازوي جزا
چونكه پاي چپ بدي درغدر وكاست	نامه چون آيدترا دردست راست
چون جزا سايه است أي قد توخم	سايه تو كزفتد درپيش هم
كافرانرا بيم كرد ايزد زنار	كافران كفتند نار اولی زعار
لا جرم افتند در نار ابد	الأمان يا رب از كردار بد

فلا تكن من أهل العار حتى لا تكون من أهل النار ومن له آذان سامعة وقلوب واعية يصيخ إلى آيات الله الداعية فيخاف من الله القهار ويصير مراقباً آناء الليل وأطراف النهار ويكثر ذكر الله في السر والجهار. حكى: أن الشبلي قدس سره رأى في سياحته فتى يكثر ذكر الله ويقول: الله فقال الشبلي: لا ينفعك قولك الله بدون العلم لأن اليهود والنصارى معك سواء لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ يَقُولُ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] فقال الفتى: الله عشر مرات حتى خر مغشياً عليه فمات على تلك الحالة فجاء الشبلي فرأى صدره قد انشق فإذا على كبده مكتوب الله فنادى منادٍ وقال: يا شبلي هذا من المحبين وهم قليل والله تعالى خلق قلوب العارفين وزينها بالمعرفة واليقين وأدخلهم من طريق الذكر الحقاني في نعيم روحاني كما أوقع للغافلين من طريق النسيان والإصرار في عذاب روحاني وجسماني فالأول من آثار رحمته

والثاني من علامات عزته فلا يهتدي إليه إلا المستأهلون لقربته ووصلته ولا يتأخر في الطريق إلا المستعدون لقهره ونقمته فنسأله وهو الكريم الرحيم أن يحفظنا من عذاب يوم عظيم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [١١٢] إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١١٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٦﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٧﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١١٨﴾.

﴿كذبت قوم لوط﴾ يعني أهل سدوم وما يتبعها. ﴿المرسلين﴾ يعني لوطاً وإبراهيم ومن تقدمهما ﴿إذ قال لهم أخوهم لوط﴾. قال الكاشفي: [إنجا مراد أخوت شفقت است] انتهى وذلك لأن لوطاً ليس من نسبهم وكان أجنبياً منهم إذ روي أنه هاجر مع عمه إبراهيم عليهما السلام إلى أرض الشام فأنزله إبراهيم الأردن فأرسله الله إلى أهل سدوم وهو لوط بن هاران وهاران أخو تارخ أبي إبراهيم ﴿ألا تتقون﴾ ألا تخافون من عقاب الله تعالى على الشرك والمعاصي.

﴿إني لكم رسول﴾ مرسل من جانب الحق ﴿أمين﴾ مشهور بالأمانة ثقة عند كل أحد. ﴿فاتقوا الله وأطيعوا﴾ فإن قول المؤمن معتمد.

﴿وما أسألكم عليه﴾ أي: على التبليغ والتعليم ﴿من أجر﴾ جعل ومكافأة دنيوية فإن ذلك تهمة لمن يبلغ عن الله. ﴿إن أجري﴾ ما ثوابي ﴿إلا على رب العالمين﴾ بل ليس متعلق الطلب إلا بإياه تعالى:

خلاف طريقته بود كاوليا تمنا كنند از خدا جز خدا

﴿أتأتون الذكران من العالمين﴾ الاستفهام للإنكار وعبر عن الفاحشة بالإتيان كما عبر عن الحلال في قوله: ﴿فَأْتُوا حُرَّتْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] والذكران والذكور جمع الذكر ضد الأنثى وجعل الذكر كناية عن العضو المخصوص كما في «المفردات». ومن العالمين حال من فاعل تأتون والمراد به النكاحون من الحيوان فالمعنى أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران وتجامعونهم وتعملون ما لا يشارككم فيه غيركم. وبالفارسية: [آيا مي آييد بمردان] يعني أنه منكر منكم ولا عذر لكم فيه ويجوز أن يكون من العالمين حالاً من الذكران والمراد به الناس. فالمعنى أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرة الإناث فيهم كأنهن قد أعوزنكم أي أفقرنكم وأعدمنكم. روي: أن هذا العمل الخبيث علمهم إياه إبليس.

﴿وتذرون﴾ تتركون يقال: فلان يذر الشيء أي يقذفه لقلة إعداده به ولم يستعمل ماضيه. ﴿ما خلق لكم ربكم﴾ لأجل استمتاعكم ﴿من أزواجكم﴾ [أزنان شما] ومن لبيان أن ما أريد به جنس الإناث وللتبعض إن أريد به العضو المباح منهن وهو القبل تعريضاً بأنهم كانوا يفعلون بنسائهم أيضاً فتكون الآية دليلاً على حرمة أديار الزوجات والمملوكات وفي الحديث: «من أتى امرأة في دبرها فهو بريء مما أنزل على محمد ولا ينظر الله إليه».

وقال بعض الصحابة: قد كفر ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ متجاوزون الحد في جميع المعاصي وهذا من جملتها.

واختلفوا في اللوطي فقال أبو حنيفة: يعزر ولا حد عليه خلافاً لصاحبيه وقد سبق شرحه

في سورة هود وقال مالك: يجب على الفاعل والمفعول به الرجم أحصنا أو لم يحصنا وعند الشافعي وأحمد حكمه حكم الزنى.

﴿قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ (١٢٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٢٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ فَنجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٣١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّجِيمُ ﴿١٣٥﴾.

﴿قالوا﴾ مهديين ﴿لئن لم تنته يا لوط﴾ أي: عن تقبيح أمرنا وإنكارك علينا ﴿لتكونن من المخرجين﴾ من المعهودين بالنفي والإخراج من القرية على عنف وسوء حال. ﴿قال إني لعملكم﴾ يعني إتيان الرجال. ﴿من القالين﴾ من المبغضين أشد البغض كأنه يقلبي الفؤاد والكبد لشدة أي ينضج لا أقف عن الإنكار عليه بالإبعاد وهو اسم فاعل من القلي وهو البغض الشديد متعلق بمحذوف، أي لقال من القالين ومبغض من المبغضين وذلك المحذوف وهو قال خبر إن ومن القالين صفته وقوله لعملكم متعلق بالخبر المحذوف ولو جعل من القالين خبر إن لعمل القالين في لعملكم فيفضي إلى تقديم الصلة على الموصول ولعله عليه السلام أراد إظهار الكراهة في مساكنتهم والرغبة في الخلاص من سوء جوارهم ولذلك أعرض عن محاورتهم وتوجه إلى الله قائلًا.

﴿رب﴾ [أي پرورد کار من] ﴿نجني﴾ خلصني ﴿وأهلي مما يعملون﴾ أي: من شؤم عملهم الخبيث وعذابه.

﴿فنجيناه وأهله أجمعين﴾ أي أهل بيته ومن اتبعهم في الدنيا بإخراجهم من بينهم وقت مشاركة حلول العذاب بهم.

﴿إلا عجوزاً﴾ هي امرأة لوط اسمها والهة استثنيت من أهله فلا يضره كونها كافرة لأن لها شركة في الأهلية بحق الزوج.

قال الراغب: العجوز سميت لعجزها عن كثير من الأمور ﴿في الغابرين﴾ أي: مقدراً كونها من الباقيين في العذاب لأنها كانت ماثلة إلى القوم راضية بفعلهم وقد أصابها الحجر في الطريق فأهلكها - وذكر - أن امرأة لوط حين سمعت الرجفة التفتت وحدها فمسخت حجراً وذلك الحجر في رأس كل شهر يحض كذا في كتاب «التعريف» للإمام السهيلي.

قال في «المفردات»: الغابر الماكث بعد مضي من معه قال تعالى: ﴿إلا عجوزاً في لغابرين﴾ يعني: فيمن طال أعمارهم وقيل فيمن بقي ولم يسر مع لوط وقيل فيمن بقي في العذاب. ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أهلكتناهم أشد الإهلاك وأفضعه بقلب بلدتهم والتدمير إدخال الهلاك على الشيء والدمار الهلاك على وجه عجيب هائل.

﴿وأمطرنا عليهم﴾ أي على الخارجين من بلادهم والكائنين مسافرين وقت الاتفاك والقلب. ﴿مطراً﴾ أي: مطراً غير معهود وهو الحجارة. ﴿فساء مطر المنذرين﴾ ينس مطر من أنذر فلم يؤمن لم يرد بالمنذرين قوماً بأعيانهم فإن شرط أفعال المدح والذم أن يكون فاعلها معرفاً بلام الجنس أو يكون مضافاً إلى المعرف به أو مضمراً مميزاً بكرة والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم.

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ الذي فعل بقوم لوط. ﴿لَايَةً﴾ لعبرة لمن بعدهم فليجتنبوا عن قبيح فعلهم كي لا ينزل بهم ما نزل بقوم لوط من العذاب. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [كه جزدو دختر لوط ودو داماد وي نكرديده بودند].

﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ﴾ بقهر الأعداء. ﴿الرَّحِيمِ﴾ بنصرة الأولياء أو لا يعذب قبل التنبيه والإرشاد وتغذيه أهل العذاب من كمال رحمته على أهل الثواب ألا ترى أن قطع اليد المتأكلة سبب لسلامة البدن كله فالعالم بمنزلة الجسد وأهل الفساد بمنزلة اليد المتأكلة وراحة أهل الصلاح في إزالة أهل الفساد. وفي «المثنوي»:

چونكه دندنان توكرممش درفتاد نيست دندنان بركنشش أي اوستاد
باقىء تن تانكردد زار ازو كرچه بود آن توشو بيزار ازو
ولو لم يكن في العزة والقهر فائدة لما وضعت الحدود. وقد قيل: إقامة الحدود خير من خصب الزمان.

قال إدريس عليه السلام من سكن موضعاً ليس فيه سلطان قاهر وقاض عادل وطبيب عالم وسوق قائمة ونهر جار فقد ضيع نفسه وأهله وماله وولده فعلى العاقل أن يحترز عن الشهوات ويهاجر العادات ويجاهد نفسه من طريق اللطف والقهر في جميع الحالات.

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ النَّكَاتِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧١) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٧٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٧٥)

﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾ أي: شعيباً ومن قبله عليهم السلام. والأيكة الغيضة التي تنبت ناعم الشجر كالسدر والإدراك وهي غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة فيبعث الله إليهم شعيباً بعد بعثه إلى مدين ولكن لما كان أخا مدين في النسب قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود: ٨٤] ولما كان أجنبياً من أصحاب الأيكة قال:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ ولم يقل أخوهم شعيب وهو شعيب بن توب بن مدين بن إبراهيم أو ابن ميكيك بن يشجر بن مدين بن إبراهيم وأم ميكيك بنت لوط ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [أيأ نمي ترسيد از عذاب حضرت پروردگار خودكه بدو شرك مي آرید].

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ بينكم وعلى الرسالة أيضاً لا أطلب إلا صلاح حالكم. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمركم به فإن أمري أمر عن الله وإطاعتي إطاعة الله في الحقيقة. ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ﴾ [ونمي خواهم از شما] ﴿عليه﴾ أي على أداء الرسالة والتبليغ والتعليم المدلول عليه بقوله رسوله: ﴿مَنْ أَجَرَ﴾ ومكافأة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجَرِي﴾ ثواب عملي وأجرة خدمتي. ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فإن الفيض وحسن التربية منه تعالى على الكل خصوصاً على من كان مأموراً بأمر من جانبه.

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ (١٨٦) فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّیْ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظَّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩)

﴿أوفوا الكيل﴾ أتموه. وبالفارسية [تمام پیماید پیمانه را]. ﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾ حقوق الناس بالتطفيف. وبالفارسية [ومباشید از کاهندکان وزیان رسانندکان بحقوق مردمان] يقال: خسرت وأخسرت نقصته.

﴿وزنوا﴾ الموزونات. وبالفارسية [وي سنجید] وهو أي زنوا أمر من وزن يزن وزناً وزنة والوزن معرفة قدر الشيء. ﴿بالقسطاس المستقيم﴾ أي: بالميزان السوي العدل.

قال في «القاموس»: القسطاس بالضم والكسر الميزان أو أقوم الموازين أو هو ميزان العدل أي ميزان كان كالقسطاس أو رومي معرب.

﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ يقال: بخس حقه إذا نقصه إياه وهو تعميم بعد تخصيص.

قال في «كشف الأسرار»: ذكر بأعم الألفاظ يخاطب به القافلة والوزان والنحاس والمحصي والصيرفي انتهى أي ولا تنقصوا شيئاً من حقوقهم، أي حق كان كنقص العد والزرع ودفع الزيف مكان الجيد والغضب والسرقة والتصرف بغير إذن صاحبه ونحو ذلك. ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ بالقتل والغارة وقطع الطريق. والعثي أشد الفساد فيما لا يدرك حساً وقوله: مفسدين حال مقيدة أي لا تعتدوا حال إفسادكم وإنما قيده وإن غلب العثي في الفساد لأنه قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحاً راجحاً قتل الخضر الغلام وخرقه السفينة.

﴿واتقوا﴾ الله الذي خلقكم والجبلة الأولين﴾ الجبلة الخلقة يقال: جبل أي خلق ولا يتعلق بها الخلق فلا بد من تقدير المضاف أي وخلق ذوي الجبلة الأولية يعني من تقدمهم من الخلائق.

﴿قالوا إنما أنت من المسحرين﴾ من المسحورين مرة بعد أخرى [تأخدي كه أثر عقل ازایشان محو شد].

﴿وما أنت إلا بشر مثلنا﴾ [ونیست تو مکر آدمی ما نند مادر صفات بشریت پس بجه چیز برما تفضل میکنی ودعوی رسالت از کجا آورده؟] إدخال الواو بين الجملتين للدلالة على أن كلاً من التسخير والبشرية مناف للرسالة مبالغة في التكذيب بخلاف قصة ثمود فإنه ترك الواو هناك لأنه لم يقصد إلا معنى واحد هو التسخير. ﴿وإن﴾ أي: وإن الشأن ﴿نظنك لمن الكاذبين﴾ في دعوى النبوة.

﴿فأسقط علينا﴾ [پس فرود آر برما و بیفکن یعنی خدای خود را بکو تابیفکنند]. ﴿كسفاً من السماء﴾ [پاره از آسمان که درو عذابى باشد] جمع كسفة بالكسر بمعنى القطعة. والسماء بمعنى السحاب أو المظلة ولعله جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى من التهديد. ﴿إن كنت من الصادقين﴾ [از راست کویان که برما عذاب فروخواهد آمد این سخن برسیبیل استهزا گفتند و تکذیب].

﴿قال﴾ شعيب: ﴿ربي أعلم بما تعملون﴾ من الكفر والمعاصي وبما تستحقون بسببه من العذاب فينزله في وقته المقدر له لا محالة:

مهلت ده روزه ظالم ببین فتنه ببین دم بدمش درکمین
اول حالش همه عیش است و ناز آخر کارش همه سوز و کداز

[آورده اند که چون قوم شعیب در انکار و استکبار از حد تجاوز کردند حق سبحانه و تعالی هفت شبانروز حرارتی سخت برایشان کماشت بمثابةی که آب چاه و حشمه ایشان همه بجوش آید و نفسهای ایشان فروگرفت بدرون خانه در آمدند حرارت زیادت شد روی به پیشه نهادند و هریک در پای درختی افتاده از کرما کریخته می شدند که ناکه ابرسیاه در هوا بدید آمد و نسیم خنک ازو وزیدن گرفت اصحاب ائیکه خوش دل شده یکدیگر را آواز دادند بیایید که در زیر سایبان ابر آسایش کنیم همین که مجموع ایشان در زیر ابر مجتمع شدند آتشی ازوی بیرون آمد و همه را بسوخت چنانچه حق سبحانه و تعالی می فرماید].

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: أصروا على تكذيبه بعد وضوح الحجة وانتفاء الشبهة. ﴿فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ حسبما اقترحوا إما إن أرادوا بالسماء السحاب فظاهر وإما إن أرادوا الظلة فلا إن نزول العذاب من جهتها والظلة سحابة تظل.

قال الكاشفي: [ظل در لغت سایبانست و آن ابرسیاه بشکل سایبان بر زیر سرایشان بوده] وفي إضافة العذاب إلى يوم الظلة دون نفسها إيدان بأن لهم يوماً آخر غير هذا اليوم كالأيام السبعة مع لياليها التي سلب الله فيها عليهم الحرارة الشديدة وكان ذلك من علامة أنهم يؤخذون بجنس النار ﴿إنه﴾ أي: عذاب يوم الظلة. ﴿كان عذاب يوم عظيم﴾ وعظمه لعظم العذاب الواقع فيه. روي: أن شعبياً أرسل إلى أمتين أصحاب مدين ثم أصحاب الأيكة فأهلك مدين بالصيحة والرجفة وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما من حدث ما عذاب يوم الظلة فكذب لعله أراد أنه لم ينج منهم أحد يخبر به كذا في «كشف الأسرار».

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (۱۹۵) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿۱۹۱﴾ وَلَئِنْ لَنُزِّلَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿۱۹۲﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿۱۹۳﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿۱۹۴﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿۱۹۵﴾.

﴿إن في ذلك﴾ المذكور من قصة قوم شعیب ﴿آیة﴾ عبرة للعقلاء. ﴿وما كان اکثرهم مؤمنین﴾ أي: اکثر اصحاب الأيكة بل کلهم إذ لم ينقل إيمان أحد منهم بخلاف اصحاب مدين فإن جميعاً منهم آمنوا.

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ الغالب القادر على كل شيء ومن عزته نصر أنبيائه على أعدائه ﴿الرحيم﴾ بالإمهال.

وهذا آخر القصص السبع المذكورة تسلياً لرسول الله ﷺ وتهديداً للمكذبين به من قريش [تا معلوم کنند که هرا متی که تکذیب پیغمبر کردند معذب شدند و ایشانرا نیز بر تکذیب حضرت پیغمبر عذابی خواهد رسید].

فإن قلت: لم لا يجوز أن يقال: إن العذاب النازل بعاد وشمود وقوم لوط وغيرهم لم يكن لكفرهم وعنادهم بل كان كذلك بسبب اقترانات الكواكب واتصالاتها على ما اتفق عليه أهل النجوم ومع قيام هذا الاحتمال لم يحصل الاعتبار بهذه القصص. وأيضاً إن الله تعالى قد ينزل العذاب محنة للمكلفين وابتلاء لهم وقد ابتلي المؤمنون بأنواع البليات فلا يكون نزول العذاب على هؤلاء الأقوام دليلاً على كونهم مبطلين مؤخذين بذلك.

قلت: اطراد نزول العذاب على تكذيب الأمم بعد إنذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء

وعدم مبالاة به يدفع أن يقال أنه كان بسبب اتصالات فلكية أو كان ابتلاء لهم لا مؤاخذه على تكذيبهم لأن الابتلاء لا يطرد.

واعلم أن هذا المذكور هو العذاب الماضي ومن إشارته العذاب المستقبل، وأما العذاب الحاضر فتعلق خاطر بغير الله الناظر فكما لا بد من تخلية القلب عن الإنكار والعزم على العصيان وتحليته بالتصديق والإيمان فكذا لا بد من قطع العلائق وشهود شؤن رب الخلائق فإن ذلك سبب للخلاص من عذاب الفراق ومدار للنجاة من قهر الخلاق وإنما يحصل ذلك من طريقه وهو العمل بالشرعية وأحكامها وقبول نصحتها والتأدب بالطريقة وآدابها، فمن وجد نفسه على هدى رسول الله وأصحابه والأئمة المجتهدين بعده وأخلاقهم من الزهد والورع وقيام الليل على الدوام وفعل جميع المأمورات الشرعية، وترك جميع المنهيات كذلك حتى صار يفرح بالبلايا والمحن وضيق العيش وينشرح لتحويل الدنيا ومناصبها وشهواتها عنه، فيعلم أن الله تعالى يحبه ومن محبته ورحمته صب على قلبه تعظيم أمره وربط جوارحه بالعمل مدة عمره وإلا فليحكم بأن الله تعالى يبغضه والمبغض في يد الاسم العزيز جعلنا الله تعالى وإياكم من أهل رحمته وعصمنا وإياكم من نقمته بدفع العلة ورفع الذلة ونعم ما قيل:

محيط از چهره سیلاب کرد راه میسويد چه أند يشد كسى با عفو حق از كرد ذلتها
والله العفو الغفور ومنه فيض الأجر الموفور.

﴿وانه﴾ راجع إلى القرآن وإن لم يجر له ذكر للعلم به. ﴿لتنزيل رب العالمين﴾ صيغة التكثير تدل على أن نزوله كان بالدفعات في مدة ثلاث وعشرين سنة وهو مصدر بمعنى المفعول سمي به مبالغة وفي وصفه تعالى بربوبية العالمين إيدان بأن تنزيله من أحكام تربيته تعالى ورأفته لكل. والمعنى أن القرآن الذي من جملة ما ذكر من القصص السبع لمنزل من جهته تعالى وإلا لما قدرت على الإخبار وثبت به صدقك في دعوى الرسالة لأن الإخبار من مثله لا يكون إلا بطريق الوحي.

﴿نزل به﴾ الباء للتعدية، أي أنزله أو للملايسة. يعني [فرو آمده باقرآن]. ﴿الروح الأمين﴾ أي جبريل فإنه أمين على وحيه وموصله إلى أنبيائه وسمي روحاً لكونه سبباً لحياة قلوب المكلفين بنور المعرفة والطاعة حيث أن الوحي الذي فيه الحياة من موت الجهالة يجري على يده ويدل عليه قوله تعالى: ﴿يُلَقِّى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عَبْدِهِ﴾ [غافر: ١٥].

وفي «كشف الأسرار»: سمي جبريل روحاً لأن جسمه روح لطيف روحاني وكذا الملائكة روحانيون خلقوا من الروح وهو الهواء.

يقول الفقير: لا شك أن للملائكة أجساماً لطيفة وللطافة نشأتهم غلب عليهم حكم الروح فسموا أرواحاً ولجبريل مزيد اختصاص بهذا المعنى إذ هو من سائر الملائكة كالرسول عليه السلام من أفراد أمته.

واعلم أن القرآن كلام الله وصفته القائمة به فكسائه الألفاظ بالحروف العربية ونزله على جبريل وجعله أميناً عليه لثلا يتصرف في حقائقه ثم نزل به جبريل كما هو على قلب محمد عليه السلام كما قال:

﴿على قلبك﴾ أي: تلاه عليك يا محمد حتى وعيته بقلبك فخص القلب بالذكر لأنه محل الوعي والتثبيت ومعدن الوحي والإلهام وليس شيء في وجود الإنسان يليق بالخطاب والفيض غيره

وهو عليه السلام مختص بهذه الرتبة العلية والكرامة السنية من بين سائر الأنبياء فإن كتبهم منزلة في الألواح والصحائف جملة واحدة على صورتهم لا على قلوبهم كما في «التأويلات النجمية» .

قال في «كشف الأسرار»: الوحي إذا نزل بالمصطفى عليه السلام نزل بقلبه أولاً لشدة تعطشه إلى الوحي ولاستغراقه به ثم انصرف من قلبه إلى فهمه وسمعه وهذا تنزل من العلو إلى السفلى وهو رتبة الخواص فأما العوام فإنهم يسمعون أولاً فيتنزل الوحي على سمعهم أولاً ثم على فهمهم ثم على قلبهم وهذا ترقى من السفلى إلى العلو وهو شأن المريدين وأهل السلوك فشتان ما بينهما [جبرائيل چو پیغام کراردي کاه کاه بصورت ملک بودي وکاه کاه بصورت بشرا کروحی وپیغام بیان احکام شرع بودي و ذکر حلال وحرام بودي بصورت بشر آمدي که . ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ (آل عمران: ٧) وذكر قلب درمیان نبودي باز چون وحي پاک حديث عشق ومحبت بودي وأسرار ورموز عارفان جبريل بصورت ملک آمدي روحاني ولطيف تابدل رسول پیوستي واطلاع اغیار بر آن نبودي حق تعالی چنین فرمود]. ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾ ثم إذا انقطع ذاك كان يقول فينقصم عني وقد وعيته .

وفي «الفتاوى الزينية»: سئل عن السيد جبريل كم نزل على النبي عليه السلام أجاب نزل عليه أربعة وعشرين ألف مرة على المشهور انتهى .

وفي «مشكاة الأنوار»: نزل عليه سبعة وعشرين ألف مرة وعلى سائر الأنبياء لم ينزل أكثر من ثلاثة آلاف مرة . ﴿لتكون من المنذرين﴾ المخوفين مما يؤدي إلى عذاب من فعل أو ترك وهو متعلق بنزل به مبين لحكمة الإنزال والمصلحة منه وهذا من جنس ما يذكر فيه أحد طرفي الشيء ويحذف الطرف الآخر للدلالة المذكور على المحذوف وذلك أنه أنزله ليكون من المبشرين والمنذرين .

يقول الفقير: الإنذار أصل وقدم لأنه من باب التخلية بالخاء المعجمة فاكتفى بذكره في بعض المواضع من القرآن .

﴿بلسان عربي مبين﴾ متعلق أيضاً بنزل وتأخيره للاغتناء بأمر الإنذار واللسان بمعنى اللغة لأنه آلة التلغظ بها أي نزل به بلسان عربي ظاهر المعنى واضح المدلول لثلاثي يبقى لهم عذر ما أي لا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فالآية صريحة في أن القرآن إنما أنزل عليه عربياً لا كما زعمت الباطنية من أنه تعالى أنزله على قلبه غير موصوف بلغة ولسان ثم أنه عليه السلام أداه بلسانه العربي المبين من غير أن أنزل كذلك وهذا فاسد مخالف للنص والإجماع ولو كان الأمر كما قالوا لم يبق الفرق بين القرآن وبين الحديث القدسي .

وفي الآية تشريف للغة العرب على غيرها، حيث أنزل القرآن بها لا بغيرها وقد سماها مبيناً ولذلك اختار هذه اللغة لأهل الجنة واختار لغة العجم لأهل النار .

قال سفيان: بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة بالسريانية فإذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية .

فإن قلت: كيف يكون القرآن عربياً مبيناً مع ما فيه من سائر اللغات أيضاً على ما قالوا كالفارسية . وهو السجيل بمعنى سنك وكل . والرومية وهو قوله تعالى: ﴿فَصُرِّهَنْ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠] أي: اقطعهن . والأرمنية وهو ﴿فِي جِيدِهَا﴾ [المسد: ٥] والسريانية وهو ﴿وَلَاتَ جِنَّ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣] بمعنى ليس حين فرار . والحبشية وهو ﴿كَفَلَيْنِ﴾ [الحديد: ٢٨] بمعنى ضعفين .

قلت: لما كانت العرب يستعملون هذه اللغات ويعرفونها فيما بينهم صارت بمنزلة العربية. قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: اعلم بأن العربية لها فضل على سائر الألسنة فمن تعلمها أو علم غيره فهو مأجور لأن الله تعالى أنزل القرآن بلغة العرب.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من تعلم الفارسية خب، ومن خب ذهب عنه مروءته يعني لو اقتصر على لسان الفارسية ولم يتعلم العربية فإنه يكون أعجمياً عند من يتكلم بالعربية فذهبت مروءته ولو تكلم بغير العربية فإنه يجوز ولا إثم عليه في ذلك. وقد روي «عن رسول الله ﷺ أنه تكلم بالفارسية» انتهى بإجمال.

يقول الفقير: الفارسية شعبة من لسان العجم المقابل للسان العرب ولها فضل على سائر لغات العجم وكذا ورد في الحديث الصحيح: «لسان أهل الجنة العربية والفارسية الدرية» بتشديد الراء كما في «الكرماني» وغيره ذكره صاحب «الكافي» والقهستاني وابن الكمال وغيرهم وصححوه وأما قوله عليه السلام: «أحب العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة في الجنة عربي» فالتخصيص فيه لا ينافي ما عداه وكذا لا ينافي كون لسان العجم مطلقاً لسان أهل النار كون الفارسية منه لسان أهل الجنة وقد تكلم بها في الدنيا كثير من العارفين. وفي «المثنوي»:

فارسي کو کرچه تازی خوشترست عشق را خود صد زبان دیکرست
وهو ترغیب فی تحصیل الفارسیة بعد تحصیل العربیة ولهذا المقام مزید تفصیل ذکرناه فی کتابنا الموسوم «بتمام الفیض».

﴿وَأَنزَلْنَا لِفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَلْعَلُوا عِلْمُهُمْ بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

﴿وإنه﴾ أي: وإن ذكر القرآن لا عينه. ﴿لفي زبر الأولين﴾ واحداها زبور بمعنى الكتاب مثل رسل ورسول، أي لفي الكتب المتقدمة. يعني أن الله تعالى أخبر في كتبهم عن القرآن وإنزاله على النبي المبعوث في آخر الزمان.

﴿أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ الهمزة لإنكار النفي والواو للعطف على مقدر ولهم حال من آية والضمير راجع إلى مشركي قريش وآية خبر للكون قدم على اسمه الذي هو قوله أن يعلمه إلخ للاعتناء بالمقدم والتنويه بالمؤخر أي أغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم آية دالة على أنه تنزيل رب العالمين وأنه في زبر الأولين أن يعلمه علماء بني إسرائيل كعبد الله بن سلام ونحوه بنعوته المذكورة في كتبهم ويعلموا من أنزل عليه أي قد كان علمهم بذلك آية على صحة القرآن وحقية الرسول [وشهادات مردم دانا برجيزي موجب تحقيق آنست]. روي: أن أهل مكة بعثوا إلى يهود المدينة يسألونهم عن محمد وبعثته فقالوا: إن هذا لزمانه وإنا نجد في التوراة نعته وصفته.

﴿ولو نزلناه﴾ أي: القرآن كما هو بنظمه المعجب المعجز. ﴿على بعض الأعجمين﴾ الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية جمع أعجم عجماء وأفعل فعلاء لا يجمع جمع السلامة. ﴿فقرأه عليهم﴾ قراءة صحيحة خارقة للعادات ﴿ما كانوا به مؤمنين﴾ مع انضمام إعجاز القراءة إلى إعجاز المقروء لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في المكابرة.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى كمال قدرته وحكمته بأنه لو أنزل هذا الكتاب بهذه اللغة على أعجمي لم يعرف هذه اللغة لكان قادراً على أن يعلمه لغة العرب ويفهمه معاني القرآن وحكمه في لفظه كما علم آدم الأسماء كلها وكما علم العربية لمن قال: «أسميت كردياً وأصبحت عربياً» ومع هذا لما كان أهل الإنكار مؤمنين به بعد ظهور هذه المعجزة إظهاراً لكمال الحكمة.

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢١٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢١١﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢١٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢١٣﴾ أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢١٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢١٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿٢١٧﴾﴾.

﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك السلك البديع وهو إشارة إلى مصدر قوله: ﴿سلكناه﴾ أي: أدخلنا القرآن ﴿في قلوب المجرمين﴾ أي: في قلوب مشركي قريش فعرفوا معانيه وإعجازه فقوله:

﴿لا يؤمنون به﴾ استئناف لبيان عنادهم. ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ الملجئ إلى الإيمان حين لا ينفعهم الإيمان.

﴿فيأتيهم﴾ العذاب ﴿بغتة﴾ أي فجأة في الدنيا والآخرة معطوف على قوله: ﴿يروا﴾. ﴿وهم لا يشعرون﴾ بإتيانه: وبالفارسية [وإیشان ندانند وقت آمدن آنرا].

﴿فيقولوا﴾ تحسراً على ما فات من الإيمان وتمنياً للإمهال لتلافي ما فرطوه وهو عطف على يأتيهم ﴿هل نحن منظرون﴾ الإنظار التأخير والإمهال أي مؤخرون لنؤمن ونصدق. وبالفارسية: [آياهستيم ما درنك داده شد كان يعني آيا مهلت دهند تابكرديم وتصديق كنيم] ولما أوعدهم النبي عليه السلام بالعذاب قالوا: إلى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب نزل قوله تعالى:

﴿أفيعذابنا يستعجلون﴾ [آيا بعذاب ما شتاب ميکنند] فيقولون تارة: أمطر علينا حجارة من السماء وأخرى فائتاً بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب النظرة والمهلة والفاء للعطف على مقدر أي يكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الأليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي ما لا يخفى على أحد.

وفي «التأويلات النجمية»: أي استعجالهم في طلب العذاب من نتائج عذابنا ولو لم يكونوا معذبين لما استعجلوا في طلب العذاب.

﴿أفرايت﴾ مرتب على قولهم: هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والخطاب لكل من يصلح له كائناً من كان ولما كانت الرؤية من أقوى أسباب الإخبار بالشيء وأشهرها شاع استعمال أرايت في معنى أخبرني فالمعنى أخبرني يا من يصلح للخطاب. ﴿إن متعناهم﴾ جعلنا مشركي قريش متمتعين منتفعين. ﴿سنين﴾ كثيرة في الدنيا مع طيب المعاش ولم نهلكهم.

وقال الكلبي: يعني مدة إعمارهم.

وقال عطاء: يريد مذ خلق الله الدنيا إلى أن تنقضي.

﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ من العذاب والإيعاد. والتخويف بالفارسية [بیم کردن].

﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ أي: لم يغن عنهم شيئاً تمتعهم المتطاول في رفع العذاب وتخفيفه فما في ما أغنى نافية ومفعول أغنى محذوف وفاعله ما كانوا يمتعون، أو أي شيء أغنى عنهم كونهم متمتعين ذلك التمتع المؤبد على أن ما في ما كانوا مصدرية أو ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا على أنها موصولة حذف عائدها فما في ما أغنى مفعول مقدم لأغنى والاستفهام للنفي وما كانوا هو الفاعل وهذا المعنى أولى من الأول لكونه أوفق بصورة الاستخبار وأدل على انتفاء الإغناء على أبلغ وجه وأكده كأن كل من شأنه الخطاب قد كلف بأن يخبر بأن تمتيعهم ما أفادهم وأي شيء أغنى عنهم فلم يقدر أحد أن يخبر بشيء من ذلك أصلاً. روي: أن ميمون بن مهران لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاء فقال له: أعطني فلم يزد على تلاوة هذه الآية فقال ميمون: لقد وعظت فأبلغت.

وروي أن عمر بن عبد العزيز كان يقرأ هذه الآية كل صباح إذا جلس على سريره تذكراً بها واتعاضاً.

جهان بي وفاييست مردم فريب كه از دل ربايد قد او شكيب
نكرتا بجاهش نكردي أسير نكردي پي مالش اندر زحير
كه آندم كه مردك اندر آيد زراه نه مالت كند دستكيري نهجاه
قال يحيى بن معاذ رحمه الله: أشد الناس غفلة من اغتر بحياته الفانية والتذ بموداته الواهية وسكن إلى مآلوفاته.

كان الرشيد حبس رجلاً فقال الرجل للموكل عليه: قل لأمر المؤمنين: كل يوم مضى من نعمك ينقص من محنتي والأمر قريب والموعد الصراط والحاكم الله فخر الرشيد مغشياً عليه ثم أفاق وأمر بإطلاقه.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ (٢٨) ذَكَرْنِي وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٣٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٣١﴾

﴿وما أهلكنا من قرية﴾ من القرى المهلكة ﴿إلا لها منذرون﴾ قد أُنذروا أهلها. قال في «كشف الأسرار»: جمع منذرين لأن المراد بهم النبي وأتباعه المظاهرون له ﴿ذكرى﴾ أي لأجل التذكير والموعظة وإلزام الحجة فمحلهما النصب على العلة ﴿وما كنا ظالمين﴾ فنهلك غير الظالمين والتعبير عن ذلك بنفي الظالمية مع أن إهلاكهم قبل الإنذار ليس بظلم أصلاً على ما تقرر من قاعدة أهل السنة لبيان كمال نزاهته عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من الظلم.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ أي من أهل قرية فالقرية الجسد الإنساني وأهلها النفس والقلب والروح وإهلاكهم بإفساد استعدادهم الفطري بترك المأمورات وإتيان المنهيات. ﴿إلا لها منذرون﴾ بالإلهامات الربانية. ﴿ذكرى﴾ أي تذكرة من ربهم كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ [الشمس: ٨٧] ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٩] بأن نضع العذاب في غير موضعه أو نضع الرحمة في غير موضعها انتهى.

﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ يقال: تنزل نزل في مهلة والباء للتعدية. والمعنى بالفارسية: [وهرکز دیوان این قرآن فرونیا وردند] أو للملابسة. والمعنى [وفرونيایند بقرآن دیوان]. مقاتل

كفت مشركان قريش كفتند محمد كاهن است وباوي كسي است از جن كه اين قرآن كه دعوى ميكندكه كلام خداست آن كسى برزيان وي مي افكند همچنانكه بزريان كاهن افكند واين از آنجا كفتندكه در جاهلية پيش از مبعث رسول الله ﷺ باهر كاهني رئي بوز از جن كه استراق سمع كردند بدر آسمان وخبر هاي دوزخ وراست برزيان كاهن افكندند مشركان پنداشتندكه وحى قرآن هم ازان جنس است تارب المعالمين ايشانرا دروغ زن كرد كفت [﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ بل نزل به الروح الأمين .

﴿وما ينبغي لهم﴾ أي: وما يصح وما يستقيم لهم أن ينزلوا بالقرآن من السماء . ﴿وما يستطيعون﴾ وما يقدرّون على ذلك أصلاً .

﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ (٢٢٢) فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمَعْذِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢٢٤﴾

﴿إِنَّهُمْ﴾ بعد مبعث الرسول ﴿عن السمع﴾ لكلام الملائكة ﴿لمعزولون﴾ ممنوعون بعد أن كانوا يمكنون لأنهم يترجمون بالشهب .

قال بعض أهل التفسير: إنهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانتهاء المشاركة بينهم وبين الملائكة في صفات الذات والاستعداد لقبول فيضان أنوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة إلا لقبول ما لا خير فيه أصلاً من فنون الشر والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها إلا من الملائكة .

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن ليس للشياطين استعدادات تنزيل القرآن ولا قوة حمله ولا وسع فهمه لأنهم خلقوا من النار والقرآن نور قديم فلا يكون للنار المخلوقة حمل النور القديم ألا ترى أن نار الجحيم كيف تستغيث عند ورود المؤمن عليها وتقول: «جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي» فإذا لم يكن لهم استطاعة لحمل القرآن وقوة سمعه كيف يمكن لهم تنزيله وإن وجدوا السمع الذي هو الإدراك ولكن حرموا الفهم المؤدي للاستجابة لما دعوا إليه فلهذا استوجبوا العذاب انتهى .

قال بعض الكبار: وصف الله تعالى أهل الحرمان أن أسماعهم وأبصارهم وعقولهم وقلوبهم في غشاوة الغفلة عن سماع القرآن والسماع بالحقيقة هو الذي له سمع قلبي عقلي غيبي روعي يسمع كل لمحة من جميع الأصوات والحركات في الأكون خطاب الحق سبحانه بحيث يهيج سره بنعت الشوق إليه فطوبى لمن فهم عن الله واستعد لحمل أمانة الله شريعة وحقيقة فهو موفق ومن سواه المعزول فيا أيها السامعون افهموا ويا أيها المدركون تحققوا فالعلم في الصدر لا عند باب الحواس ولا بالتخمين والقياس .

﴿فلا تدع مع الله إلهاً آخر﴾ إذا عرفت يا محمد حال الكفار فلا تعبد معه تعالى إلهاً آخر . ﴿فتكون﴾ [بس باشي اكر پرستش ميكني] ﴿من المعذبين﴾ خطوب به النبي عليه السلام مع ظهور استحالة وقوع المنهي عنه لأنه معصوم تهيجاً لعزيمته وحشاً على ازدياد الإخلاص ولطفاً بسائر المكلفين ببيان أن الإشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره منه فكيف بمن عداه وأن من كان أكرم الخلق عليه إذا عذب على تقدير اتخاذ إله آخر فغيره أولى .

وفي الخبر: أن الله تعالى أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له: أرميا بأن يخبر قومه بأن يرجعوا عن المعصية، فإنهم إن لم يرجعوا أهلكتهم فقال أرميا: يا رب إنهم أولاد أنبيائك أولاد إبراهيم وإسحاق ويعقوب أفتهلكهم بذنوبهم؟ قال الله تعالى: إني إنما أكرمت أنبيائي لأنهم أطاعوني ولو أنهم عصوني لعذبتهم وإن كان إبراهيم خليلي.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن عبادة غير الله من الدنيا والآخرة وطلبه بتوجه القلب إليه عمارة عذاب الله وهو البعد من الله ومن يطلب يكن عذابه أشد فكل طالب شيء يكون قريباً إليه بعيداً عما سواه فطالب الدنيا قريب من الدنيا بعيد عن الآخرة وطالب الآخرة قريب من الآخرة بعيد عن الله ولذا قال أبو سعيد الخراز قدس سره: حسنات الأبرار سيئات المقربين، فالأبرار أهل الجنة وحسناتهم طلب الجنة والمقربون أهل الله وحسناتهم طلب الله وحده لا شريك له.

﴿وأنذر﴾ العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي. ﴿عشيرتك الأقربين﴾ العشيرة أهل الرجال الذي يتكثر بهم أي يصيرون له بمنزلة العدد الكامل وذلك أن العشرة هو العدد الكامل فصارت العشيرة اسماً لكل جماعة من أقارب الرجل يتكثر بهم والعشيرة المعاشرة قريباً كان أو مقارناً كذا في «المفردات». والمراد بهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وإنما أمر بإنذار الأقربين لأن الاهتمام بشأنهم أهم فالبداية بهم في الإنذار أولى كما أن البداية بهم في البر والصلة وغيرهما أولى وهو نظير قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَنُتُوا الَّذِينَ يَكُونُكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٣] وكانوا مأمورين بقتال جميع الكفار ولكنهم لما كانوا أقرب إليهم أمروا بالبداية بهم في القتال كذلك ههنا وأيضاً إذا أنذر الأقارب فالأجانب أولى بذلك. روي: أنه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذاً فخذاً حتى اجتمعوا إليه فقال: لو أخبرتكم أن يسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقي قالوا: نعم قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. روي: أنه قال: «يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم شيئاً. ثم قال: يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر. ويا فاطمة بنت محمد. ويا صفية عمة محمد اشتريتن أنفسكن من النار فإني لا أغني عنكن شيئاً» [در خبرست كه عائشه صديقه رضي الله عنها بكريست وكفت يا رسول الله روز قيامت روزيست كه تومارا بكار نيابي كفت بلى] عائشة في ثلاثة مواطن يقول الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فعند ذلك لا أملك لكم من الله شيئاً وعند النور من شاء الله أتم له نوره ومن شاء الله كبه في الظلمات فلا أملك لكم من الله شيئاً وعند الصراط من شاء الله سلمه وأجاره ومن شاء الله كبه في النار فينبغي للمؤمن أن لا يغتر بشرف الأنساب فإن النسب لا ينفع بدون الإيمان برب الأرباب فانظر إلى حال كنعان بن نوح وإلى حال آزر والد إبراهيم عليهما السلام فإن فيها كفاية. قال الشيخ سعدى قدس سره:

چو كنعانرا طبيعت بي هنربود پيمراد كي قدرش نيفزود

هنر بنماي اكر دارى نه كوهن كل از خارست وإبراهيم از آزر

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى حقيقة قوله: ﴿فَلَا أَشَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [المؤمنون: ١٠١] وقال عليه السلام: «كل حسب ونسب ينقطع إلا حسبي ونسبي» فحسبه الإيمان والتقوى كما قال عليه السلام: «ألي كل مؤمن تقي» ويشير إلى أن من كان مصباح قلبه منوراً

بنور الإيمان لا ينور مصباح عشيرته ولو كان والداً له حتى يكون مقتبساً هو لمصباحه من نور مصباحه المنور وهذا سر متابعة النبي عليه السلام والاقتداء بالولي وقوله عليه السلام لفاطمة رضي الله عنها: «يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني لا أغني عنك من الله شيئاً» كان لهذا المعنى كما أن أكل المرء يشبعه ولا يشبع ولده حتى يأكل الطعام كما أكل والده وليعلم أنه لا ينفعهم قرابته ولا تقبل فيهم شفاعته إذا لم يكن لهم أصل الإيمان فإن الإيمان هو الأصل وما سواه تبع له ولهذا السر قال تعالى عقيب قوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قوله:

﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾

﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ أي أَلْنْ جانبك لهم وقاربهم في الصحبة واسحب ذيل التجاوز على ما يبدو منهم من التقصير واحتمل منهم سوء الأحوال وعاشروهم بجميل الأخلاق وتحمل عنهم كلهم فإن حرموك فأعطهم وإن ظلموك فتجاوز عنهم وإن قصرُوا في حقي فاعف عنهم واستغفر لهم. وبالفارسية: [وبر خویش فرورد آر بفروتنی ومهربانی یعنی مهربانی وروزِ اِكرام كن] والخفض ضد الرفع والدعة والسير اللين. يعني: [نرم رفتن شتر] وهو حث على تليين الجانب والانقياد كما في «المفردات» وجناح العسكر جانباه وهو مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحط فشبه التواضع ولين الأطراف والجوانب عند مصاحبة الأقارب والأجانب بخفض الطائر جناحه، أي كسره عند إرادة الانحطاط وأما الفاسق والمنافق فلا يخفض له الجناح إلا في بعض الأحوال إذ لكل من اللين والغلظة وقت دل عليه القرآن، فلا بد من رعاية كل منهما في وقته ومن للتبيين لأن من اتبع أعم ممن اتبع لدين أو لغيره أو للتبعيض على أن المراد بالمؤمنين المشارفون للإيمان والمصدقون باللسان.

وفي «التأويلات النجمية»: والنكتة فيه أنه قال: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ لأن كل متابع مؤمن ولم يكن كل مؤمن متابعاً لثلاث يغتر المؤمن بدعوى الإيمان وهو بمعزل عن حقيقته التي لا تحصل إلا بالمتابعة انتهى فعلى العاقل أن يختار صحبة الأخيار ويتابعهم في أعمالهم ويسعى في تحصيل أخلاقهم وأحوالهم وبشرف القرين يدخل عشرة من الحيوانات الجنة منها كلب أصحاب أهل الكهف والله در من قال:

سك أصحاب كهف روزي چند بي نيكان كرفت مردم شد

حيث دخل الجنة معهم في صورة الكباش.

﴿فإن عصوك﴾ قال في «كشف الأسرار». [خویشان وقرابت رسول الله عليه السلام چون بعداوت رسول دريستند وزبان طعن دراز کردند آيت فرود آمدكه]. ﴿فإن عصوك﴾ أي: فإن خرجت عشيرتك عن الطاعة وخالفوك ولم يتبعوك ﴿فقل إنني بريء مما تعملون﴾ أي: من عبادتكم لغير الله تعالى ولا تبرأ منهم وقل لهم قولاً معروفاً بالنصح والعظة لعلهم يرجعون إلى طاعتك وقبول الدعوة منك.

يقول الفقير: سمعت من حضرة شيخني وسندي رُوح الله روحه يقول: قطعت الوصلة بيني وبين خلفائي إلا من الوصية فإن الله تعالى يقول: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [المصر: ٣] فالوصية بالحق والصبر لا بد لي منها في حق الكل خصوصاً في حقهم.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٢١٧) الَّذِي يَرِنُّكَ مِن تَحْتِ قَوْمٍ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

﴿وتوكل﴾ في جميع حالاتك ﴿على العزيز﴾ الذي لا يذل من والاه ولا يعز من عاداه فهو يقدر على قهر أعدائه. ﴿الرحيم﴾ الذي يرحم من توكل عليه وفوض أمره إليه بالظفر والنصرة فهو ينصر أوليائه ولا تتوكل على الغير فإن الله تعالى هو الكافي لشر الأعداء لا الغير والتوكل على الله تعالى في جميع الأمور والإعراض عما سواه ليس إلا من خواص الكمل جعلنا الله وإياكم من الملحقين بهم ثم أتبع به قوله:

﴿الذي يراك﴾ الخ لأنه كالسبب لتلك الرحمة أي توكل على من يراك. ﴿حين تقوم﴾ أي إلى التهجد في جوف الليل فإن المعروف من القيام في العرف الشرعي إحياء الليل بالصلاة فيه.

وفي الحديث: «أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي عليه السلام «كان لا يدع قيام الليل وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعداً».

ومنها «إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة» رواه «مسلم».

يقول الفقير: هذا أي ما صلى عليه السلام في النهار بدل ما فات منه في الليل من ورد التهجد يدل على أن التهجد ليس كسائر النوافل بل له فضيلة على غيره ولذا يوصي بإتيان بدله إذا فات مع أن النوافل لا تقضي.

﴿وتقلبك في الساجدين﴾ القلب [بركشتن] أي ويرى ترددك في تصفح أحوال المتجهدين لتطلع على حقيقة أمرهم كما روي أنه لما نسخ فرض قيام الليل عليه وعلى أصحابه بناء على أنه كان واجباً عليه وعلى أمته وهو الأصح.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان واجباً على الأنبياء قبله طاف عليه السلام تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون أي هل تركوا قيام الليل لكونه نسخ وجوبه بالصلوات الخمس ليلة المعراج حرصاً على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القرآن ﴿إنه هو السميع﴾ لما تقوله ولدعوات عباده ومناجاة الأسرار ﴿العليم﴾ بما تنويه وبوجود مصالحهم وارادات الضمائر.

وقال بعضهم: ﴿تقلبك في الساجدين﴾ أي تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود إذا امتهم فقله في الساجدين معناه مع المصلين في الجماعة فكأن أصل المعنى يراك حين تقوم وحدك للصلاة ويراك إذا صليت مع المصلين جماعة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ أي يرى قصدك ونيتك وعزيمتك عند قيامك للأمور كلها وقد اقتطعه بهذه الآية عن شهود الخلق فإن من علم أنه بمشهد الحق راعى دقائق حالاته وخفايا أحواله مع الحق وبقوله: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ هون عليه معاناة مشاق العبادات لإخباره برؤيته له ولا مشقة لمن يعلم أنه بمرأى من مولاه ومحبوه وأن حمل الجبال الرواسي يهون لمن حملها على شعرة من جفن عينه على مشاهدة ربه.

ويقال كنت بمرأى منا حين تقلبك في عالم الأرواح في الساجدين بأن خلقنا روح كل ساجد من روحك أنه هو السميع في الأزل مقاتلك أنا سيد ولد آدم ولا فخر لأن أرواحهم خلقت من روحك العليم باستحقاقك لهذه الكرامة انتهى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبياً، أي فمعنى في الساجدين في أصلاب الأنبياء والمرسلين من آدم إلى نوح وإلى إبراهيم وإلى من بعده إلى أن ولدته أمه وهذا لا ينافي وقوع من ليس نبياً في آباءه فالمراد وقوع الأنبياء في نسبه. واستدل الرافضة على أن آباء النبي عليه السلام كانوا مؤمنين أي لأن الساجد لا يكون إلا مؤمناً فقد عبر عن الإيمان بالسجود وهو استدلال ظاهري وقوله عليه السلام: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» لا يدل على الإيمان بل على صحة أنكحة الجاهلية كما قال عليه السلام في حديث آخر: «حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط» وقد سبق نبذ من الكلام مما يتعلق بالمرام في أواخر سورة إبراهيم وحق المسلم أن يمسك لسانه عما يخل بشرف نسب نبينا عليه السلام ويصونه عما يتبادر منه النقصان خصوصاً إلى وهم العامة. فإن قلت: كيف نعتقد في حق آباء النبي عليه السلام؟.

قلت: هذه المسألة ليست من الاعتقادات فلا حظ للقلب منها وأما حظ اللسان فقد ذكرنا وذكر الحافظ السيوطي رحمه الله أن الذي للخلص أن أجداده عليه السلام من آدم إلى مرة بن كعب مصرح بإيمانهم أي في الأحاديث وأقوال السلف وبقي بين مرة وعبد المطلب أربعة أجداد ولم أظفر فيهم بنقل وعبد المطلب الأشبه أنه لم تبلغه الدعوة لأنه مات وسنه عليه السلام ثمان سنين والأشهر أنه كان على ملة إبراهيم عليه السلام أي لم يعبد الأصنام كما سبق في سورة براءة.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٣٣﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾

﴿هل أنبئكم﴾ خطاب لكفار مكة وكانوا يقولون: إن الشياطين تنزل على محمد فرد الله عليهم بيان استحالة تنزلهم عليه بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن. والمعنى هل أخبركم أيها المشركون. وبالفارسية: [أي أخبردهم شمارا]. ﴿على من تنزل الشياطين﴾ أي: تنزل بحذف إحدى التاءين وكلمة من تضمنت الاستفهام ودخل عليها حرف الجر وحق الاستفهام أن يصدر في الكلام فيقال: أعلى زيد مررت ولا يقال: على أزيد مررت ولكن تضمنه ليس بمعنى أنه اسم فيه معنى الحرف بل معناه أن الأصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستعمل على بعد حذفه كما يقال في هل أصله أهل ومعناه أقد فإذا أدخلت حرف الجر على من فقدت الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كأنك تقول أعلى من تنزل.

﴿تنزل على كل أفاك﴾ كثير الإفك والكذب.

قال الراغب: الإفك كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه. ﴿أثيم﴾ كثير الإثم وهو اسم للأفعال المبذولة عن الثواب، أي تنزل على المتصفين بالإفك والإثم الكثير من الكهنة والمتنبئة كمسيلمة وطليحة لأنهم من جنسهم وبينهم مناسبة بالكذب والافتراء والإضلال وحيث كانت ساحة رسول الله منزهة عن هذه الأوصاف استحال تنزلهم عليه.

﴿يَلْقَوْنَ السَّمْعَ وَكُنُتَهُمْ كَذِبُوتٌ ﴿٣٥﴾﴾

﴿يلقون السمع﴾ الجملة في محل الجر على أنها صفة كل أفاك أثيم لكونه في معنى الجمع، أي يلقي الأفاكون الأذن إلى الشياطين فيتلقون منهم أوهاماً وأمارات لنقصان علمهم فيضمون إليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق أكثرها الواقع. وبالفارسية:

[فروميدارند كوش را بسخن شياطين وفرا ميكنند از ايشان اخبار دروغ وديكر دروغها بآن اضافت ميكنند]. «وأكثرهم» أي: الأفاكين «كاذبون» فيما قالوه من الأقاويل وليس محمد كذلك فإنه صادق في جميع ما أخبر من المغيبات والأكثر بمعنى الكل. يعني [همه ايشان بصفت كذب موصوفند] كلفظ البعض في قوله: «وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» [آل عمران: ٥٠] أي كله وذلك كما استعملت القلة في معنى العدم في كثير من المواضع.

وقال بعضهم: إن الأكثرية باعتبار الأقوال لا باعتبار الذوات حتى يلزم من نسبة الكذب إلى أكثرهم كون أقلهم صادقين وليس معنى الأفاك من لا ينطق إلا بالإفك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الإفك فلا ينافيه أن يصدق نادراً في بعض الأحيان.

وقال في «كشف الأسرار»: استثنى منهم بذكر الأكثر سطحياً وشقاً وسواد بن قارب الذين كانوا يلهجون بذكر رسول الله وتصديقه ويشهدون له بالنبوة ويدعون الناس إليه انتهى.

قال في «حياة الحيوان»: وأما شق وسطيح الكاهنان فكان شق شق إنسان له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وكان سطح ليس له عظم ولا بنان إنما كان يطوى كالحصير لم يدرك أيام بعثة رسول الله عليه السلام وكان في زمن الملك كسرى وهو ساسان.

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (٢٢٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ .

﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون﴾ يعني: ليس القرآن بشعر ولا محمد بشاعر لأن الشعراء يتبعهم الضالون والسفهاء وأتباع محمد ليسوا كذلك بل هم الراشدون المراجيح الرزان وكان شعراء الكفار يهجون رسول الله وأصحابه ويعيبون الإسلام فيتبعهم سفهاء العرب حيث كانوا يحفظون هجاءهم وينشدون في المجالس ويضحكون. ومن لواحق هذا المعنى ما قال ابن الخطيب في «روسته»: ذهب جماعة من الشعراء إلى خليفة وتبعهم طفيلي فلما دخلوا على الخليفة قرأوا قصائدهم واحداً بعد واحد وأخذوا العطاء فبقي الطفيلي متحيراً فقيل له: اقرأ شعرك قال: لست أنا بشاعر وإنما أنا رجل ضال كما قال الله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون﴾ فضحك الخليفة كثيراً فأمر له بأنعام.

وقال بعضهم: معنى الآية أن الشعراء تسلك مسلكهم وتكون من جملتهم الضالون عن سنن الحق لا غيرهم من أهل الرشد.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الشعراء بحسب مقاماتهم ومطرح نظرهم ومنشأ قصدهم ونياتهم إذا سلكوا على أقدام التفكير مفاوز التذكر في طلب المعاني ونظمها وترتيب عروضها وقوافيها وتدبير تجنيسها وأساليبها تتبعهم الشياطين بالإغواء والإضلال ويوقعونهم في الأباطيل والأكاذيب.

قال في «المفردات»: شعرت أصبت الشعر ومنه استعير شعرت كذا أي علمته في الدقة كإصابة الشعر. قيل: وسمي الشاعر شاعراً لفطنته ودقة معرفته فالشعر في الأصل اسم للعلم الدقيق في قولهم: ليت شعري وصار في التعارف اسماً للموزون المقفى من الكلام والشاعر المختص بصناعته وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥] حملة كثير من المفسرين على أنهم رموه بكونه آتياً بشعر منظوم مقفى حتى تأولوا ما جاء في القرآن من كل لفظ يشبه

الموزون من نحو وجفان كالجوابي وقدور راسيات .

وقال بعض المحصلين : لم يقصدوا هذا المقصد فيما رموه به وذلك أنه ظاهر من هذا الكلام أنه ليس على أساليب الشعر ولا يخفى ذلك على الأغنام من العجم فضلاً عن بلغاء العرب وإنما رموه بالكذب فإن الشعر يعبر به عن الكذب والشاعر الكاذب حتى سمي قوم الأدلة الكاذبة شعراً ولهذا قال تعالى في وصف عامة الشعراء : ﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون ﴾ إلى آخر السورة انتهى .

قال الإمام المرزوقي «شرح الحماسة» : تأخر الشعراء عن البلغاء لتأخر المنظوم عند العرب لأن ملوكهم قبل الإسلام وبعده يتبححون بالخطابة ويعدونها أكمل أسباب الرياسة ويعدون الشعر دناءة لأن الشعر كان مكسبة وتجارة وفيه وصف اللثيم عند الطمع بصفة الكريم والكريم عند تأخر صلته بوصف اللثيم ومما يدل على شرف النثر أن الإعجاز وقع في النثر دون النظم لأن زمن النبي عليه السلام زمن الفصاحة .

﴿ ألم تر ﴾ يا من شأنه الرؤية أي قد رأيت وعلمت ﴿ أنهم ﴾ أي الشعراء ﴿ في كل واد ﴾ من المدح والذم والهجاء والكذب والفحش والشتم واللعن والافتراء والدعوى والتكبر والمفاخر والتحاسد والعجب والإراءة وإظهار الفضل والدناءة والخسة والطمع والتكدي والذلة والمهانة وأصناف الأخلاق الرذيلة والطنع في الأنساب والأعراض وغير ذلك من الآفات التي هي من توابع الشعر ﴿ يهيمون ﴾ يقال هام على وجهه من باب باع هيماًناً بفتحتين ذهب من العشق أو غيره كما في «المختار» أي يذهبون على وجوههم لا يهتدون إلى سبيل معين بل يتحيرون في أودية القيل والقال والوهم والخيال والغي والضلال .

قال الراغب : أصل الوادي الموضع الذي يسيل فيه الماء ومنه سمي المنفرج بين الجبلين وادياً ويستعار للطريقة كالمذهب والأسلوب فيقال : فلان في واد غير واديك وقوله : ﴿ ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ﴾ فإنه يعني أساليب الكلام من المدح والهجاء والجدل والغزل وغير ذلك من الأنواع أي في كل نوع من الكلام يغلون .

قال في «الوسيط» : فالوادي مثل لفنون الكلام وهيماهم فيه قولهم على الجهل بما يقولون من لغو وباطل وغلو في مدح أو ذم .

﴿ وأنهم يقولون ﴾ في أشعارهم عند التصلف والدعوى ﴿ ما لا يفعلون ﴾ من الأفاعيل : يعني [يفسق ناكرده برخود كواهي ميدهند وپیغا مهاي ناداده بكسی درسلك نظم ميكشند] ويرغبون في الجود ويرغبون عنه وينفرون عن البخل ويصرون عليه ويقدحون في الناس بأدنى شيء صدر عنهم ، ثم إنهم لا يرتكبون إلا الفواحش وذلك تمام الغواية والنبي عليه السلام منزّه عن ذلك متصف بمحاسن الأوصاف ومكارم الأخلاق مستقر على المنهاج القويم مستمر على الصراط المستقيم .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسِعَعُوا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَى مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾

﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين . ﴿ وذكروا الله ﴾ ذكراً ﴿ كثيراً ﴾ بأن كان أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته والحكمة

والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب في الآخرة أو بأن لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ولم يجعلوه همهم وعادتهم.

قال أبو يزيد قدس سره: الذكر الكثير ليس بالعدد لكنه بالحضور. ﴿وانتصروا﴾ [انتقام كشيدند از مشركان].

قال في «تاج المصادر» والانتصار [داد بستدن]. ﴿من بعد ما ظلموا﴾ بالهجو لأن الكفار بدؤوهم بالهجاء يعني لو وقع منهم في بعض الأوقات هجو وقع بطريق الانتصار ممن هجاهم من المشركين كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وغيرهم فإنهم كانوا يذبون عن عرض النبي عليه السلام، وكان عليه السلام يضع لحسان منبراً في المسجد فيقوم عليه يهجو من كان يهجو رسول الله. قال الكمال الأصفهاني:

هجا كفتن ارجه پسندیده نیست مبادا کسی کالت آن ندارد
چو آن شاعری کوهجا کونباشد چوشیری که چنکال ودندان ندارد

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه أنه عليه السلام قال: «اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل» وفي الحديث: «جاهدوا المشركون بأموالكم وأنفسكم وألستكم» أي أسمعوهم ما يكرهونه ويشق عليهم سماعه من هجو وكلام غليظ ونحو ذلك.

قال الإمام السهيلي رحمه الله: فهم سبب الاستثناء فلو سماهم بأسمائهم الأعلام كان الاستثناء مقصوراً عليهم والمدح مخصوصاً بهم ولكن ذكرهم بهذه الصفة ليدخل معهم في هذا الاستثناء كل من اقتدى بهم شاعراً كان أو خطيباً أو غير ذلك انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: لأرباب القلوب في الشعر سلوك على إقدام التفكير بنور الإيمان وقوة العمل الصالح وتأيد الذكر الكثير ليصلوا إلى أعلى درجات القرب وتؤيدهم الملائكة بدقائق المعاني بل يوفقههم الله لاستجلاب الحقائق ويلهمهم بالفاظ الدقائق فبالإلهام يهيمون في كل وإد من المواعظ الحسنة والحكم البالغة وذم الدنيا وتركها وتزيين الآخرة وطلبها وتشويق العباد وتحبيبهم إلى الله وتحبيب الله إليهم وشرح المعارف وبيان الموصل والحث على السير والتحذير عن الألفاظ القاطعة للسير وذكر الله وثنائه ومدح النبي عليه السلام والصحابة وهجاء الكفار انتصاراً كما قال عليه السلام لحسان: «اهج المشركين فإن جبريل معك» انتهى. والجمهور على إباحة الشعر ثم المذموم منه ما فيه كذب وقبح وما لم يكن كذلك فإن غلب على صاحبه بحيث يشغله عن الذكر وتلاوة القرآن فمذموم ولذا قال من قال:

در قیامت نرسد شعر بفریاد کسی که سراسر سخنش حکمت یونان گردد

وإن لم يغلب كذلك فلا ذم فيه وفي الحديث: «إن من الشعر لحكمة» أي: كلاماً نافعاً يمنع عن الجهل والسفه وكان علي رضي الله عنه أشعر الخلفاء وكانت عائشة رضي الله عنها أبلغ من الكل.

قال الكاشفي: [حضرت حقائق پناهي در دیباجه دیوان اول آورده اندکه هرچند قادر حکیم جل ذکره درآیت کریمه. ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون﴾ شعرا را که سیاحان بحر شعرند جمیع ساخته وکمند دام استغراق درکردن انداخته کاه درغرقابه بی حد و غایت غوایت می اندازد وکاه تشنه لب دروادیء حیرت و ضلالت سر کردان میسازد واما بسیاری ازایشان بواسطه اصلاح عمل وصدق ایمان درزورق امان. ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ تشنه

اندبوسيله بادبان ﴿وذكروا الله كثيراً﴾ بساحل خلاص وناحيت نجات پیوسته ویکي ازافاضل گفته است:]

شاعرانرا کرچه غاوی گفت درقرآن خدای هست ازیشان هم بقرآن ظاهر استثنای ما
ولما كان الشعر مما لا ينبغي للأنبياء عليهم السلام لم يصدر من النبي عليه السلام بطريق
الإنشاء دون الإنشاد إلا ما كان بغير قصد منه وكان كل كمال بشري تحت علمه الجامع فكان
يجيب كل فصيح وبليغ وشاعر وأشعر وكل قبيلة بلغاتهم وعباراتهم وكان يعلم الكتاب علم
الخط وأهل الحرف حرفتهم ولذا كان رحمة للعالمين. ﴿وسيعلم الذين ظلموا﴾ على أنفسهم
بالشعر المنهي عنه وغيره فهو عام لكل ظالم والسين للتأكيد ﴿أي منقلب ينقلبون﴾ أي:
منصوب ينقلبون على المصدر لا بقوله سيعلم لأن أيّاً وسائر أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما
قبلها وقدم على عامله لتضمنه معنى الاستفهام وهو متعلق بسيعلم ساداً مسد مفعوليه.
والمنقلب بمعنى الانقلاب أي الرجوع. والمعنى ينقلبون أي الانقلاب ويرجعون إليه بعد
ماتهم أي الرجوع أي ينقلبون انقلاباً سوءاً ويرجعون رجوعاً شراً لأن مصيرهم إلى النار.
وقال الكاشفي: [بكدام مكان خواهند كشت واو آنست كه منقلب ایشان آتش
خواهد بود]. روي: أنه لما أيس أبو بكر رضي الله عنه من حياته استكتب عثمان رضي الله عنه
كتاب العهد وهو هذا ما عهد ابن أبي قحافة إلى المؤمنين في الحال التي يؤمن فيها الكافر ثم
قال بعد ما غشى عليه وأفاق: إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه عدل
فذلك ظني فيه وإن لم يعدل ﴿سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾. والظلم هو الانحراف
عن العدالة والعدول عن الحق الجاري مجرى النقطة من الدائرة. والظلمة ثلاثة. الظالم الأعظم
وهو الذي لا يدخل تحت شريعة الله وإياه قصد تعالى بقوله: ﴿إِنَّكَ أَلْشَرُّ لَظُلْمٍ عَظِيمٍ﴾
[لقمان: ١٣] والأوسط هو الذي لا يلزم حكم السلطان. والأصغر هو الذي يتعطل عن المكاسب
والأعمال فيأخذ منافع الناس ولا يعطيهم منفعتهم ومن فضيلة العدالة أن الجور الذي هو ضدها
لا يستتب إلا بها فلو أن لصوصاً تشارطوا فيما بينهم شرطاً فلم يراعوا العدالة فيه لم ينتظم
أمرهم. فعلى العاقل أن يصيخ إلى الوعيد والتهديد الأكيد فيرجع عن الظلم والجور وإن كان
عادلاً فنعوذ بالله من الجور بعد الكور والله المعين لكل سالك والمنجي في المسالك من
المهالك.

تمت سورة الشعراء يوم الخميس

وهو التاسع من ذي القعدة من سنة ثمان ومائة وألف.

وهي مكية ثلاث أو أربع وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طسَّ تِلْكَ ءَايَتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُمِيزُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾ .

﴿طس﴾ هذه طس أي هذه السورة مسماة به .

قال في «التأويلات النجمية»: يشير بطائه إلى طاء طيب قلوب محبيه وبالسین إلى سر بينه وبين قلوب محبيه لا يسعهم فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل . وأيضاً يقسم بطاء طلب طالبيه وسين سلامة قلوبهم عن طلب ما سواه .

وفي «كشف الأسرار»: الطاء إشارة إلى طهارة قدسه والسین إشارة إلى سناء عزه يقول تعالى: بطهارة قدسي وسناء عزي لا أخيب أمل من أمل لطفني انتهى . وقال بعضهم: الطاء طوله أي فضله والسین سناؤه أي علوه وقد سبق في طسم ما يتعلق بهذا المقام فارجع إليه .

وقال عين القضاء الهمداني قدس سره في مقالاته: لولا ما كان في القرآن من الحروف المقطعات لما آمنت به .

يقول الفقير: قد كفره في قوله هذا كثير من علماء زمانه والأمر سهل على أهل الفهم ومراده بيان اطلاعه على بطون معاني الحروف التي هي دليل لأرباب الحقائق وسبب لمزيد إيمانهم العياني . ﴿تلك﴾ أي هذه السورة العظيمة الشأن أو آياتها، ﴿آيات القرآن﴾ المعروف بعلو الشأن أي بعض منه لمترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن أو عن جميع المنزل عند نزول السورة إذ هو المتسارع إلى الفهم حينئذ عند الإطلاق . ﴿وكتاب﴾ عظيم الشأن ﴿مبين﴾ مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والأحكام وأحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب أو ظاهر إعجازه وصحته على أنه من أبان، يعني بان أي ظهر وعطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى مثل غافر الذنب وقابل التوب أي آيات الكلام الجامع بين القرآنية والكتابية وكونه قرآناً بجهة أنه يقرأ وكتاباً بسبب أنه يكتب وقدم الوصف الأول لتقدم القرآنية على حال الكتابية وآخره في سورة الحج لما أن الإشارة إلى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب أدخل في المدح فإن وصفه بالكتابية مفصح عن اشتماله على صفة كمال الكتب الإلهية فكأنه كلها .

وفي «كشف الأسرار»: القرآن والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد ووصفان لأنه

يقرأ ويكتب فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ النكرة فهو الوصف.

﴿هَدَىٰ وَبَشَّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: حال كون تلك الآيات هادية لهم ومبشرة فأقيم المصدر مقام الفاعل للمبالغة كأنها نفس الهدى. والبشارة ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون أنها تزيدهم هدى قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَّادَتْهُمْ يُنَاثِرُ﴾ [التوبة: ١٢٤] الآية وأما معنى تبشيرها إياهم فظاهر لأنها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وخصهم بالذكر لانفعالهم به.

﴿الَّذِينَ يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة﴾ صفة مادية للمؤمنين وتخصيصهما بالذكر لأنهما قريتنا الإيمان وقطرا العبادات البدنية والمالية مستتبعان لسائر الأعمال الصالحة. والمعنى يؤدون الصلاة بأركانها وشرائطها في مواقيتها ويؤتون الصدقة المفروضة للمستحقين. ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ من تنمة الصلة والواو للحال أي والحال أنهم يصدقون بأنها كائنة ويعلمونها علماً يقيناً. وبالفارسية: [و حال آنكه ایشان بسرای دیگر بی کمان می شوند تکریر ضمیر اشارت باختصاص ایشانست در تصدیق آخرت] أو جملة اعتراضية كأنه قيل: وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الإيمان لا من عداهم فإن تحمل مشاق العبادات إنما يكون لخوف العقابة والوقوف على المحاسبة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِرُونَ﴾ ﴿وَأِنَّكَ لَلْغَىٰ لَلْفُرَاتِ مِنْ لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾

﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ لا يصدقون بالبعث بعد الموت. ﴿زيننا لهم﴾ [آراسته كردیم برای ایشان] ﴿أعمالهم﴾ القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبيء عنه قوله عليه السلام: «حفت النار بالشهوات» أي: جعلت محفوفة ومحاطة بالأمور المحبوبة المشتهاة.

واعلم أن كل مشيئة وتزيين وإضلال ونحو ذلك منسوبة إلى الله تعالى بالأصالة وإلى غيره بالتبعية. ففي الآية حجة قاطعة على المعتزلة والقدرية. ﴿فهم يعمهون﴾ يتحIRON ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من الضرر والعقوبة والفناء لترتيب المسبب على السبب. وبالفارسية [پس ایشان سرکردان می شوند در ضلالت خود] والعمه التردد في الأمر من التحير.

﴿أولئك﴾ الموصوفون بالكفر والعمه ﴿الذين لهم سوء العذاب﴾ أي في الدنيا كالقتل والأسر يوم بدر. والسوء كل ما يسوء الإنسان ويغمه ﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ أشد الناس خساراً لاشتراطهم الضلالة بالهدى فخسروا الجنة ونعيمها وحرمو النجاة من النار.

واعلم أن أهل الدنيا في خسارة الآخرة وأهل الآخرة في خسارة المولى فمن لم يلتفت إلى الكونين ربح المولى ولما وجد أبو يزيد البسطامي قدس سره في البادية قحف رأس مكتوب عليه خسر الدنيا والآخرة بكى وقبله وقال هذا رأس صوفي فمن وجد المولى وجد الكل ومن وجد الكل بدون وجدان المولى لم يجد شيئاً مفيداً وضاع وقته. وقال الحافظ:

أوقات خوش آن بود که بادوست بسر رفت باقی همه بی حاصل و بیخبری بود

قال بعض العارفين: كوشفت بأربعين حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من فضة وذهب وجوهر فنظرت إليهن نظرة فعوقبت أربعين يوماً ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين

حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي: انظر إليهن فسجدت وغضضت عيني في السجود وقلت: أعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا ولم أزل أتضرع حتى صرفهن عني فهذا حال العارفين حيث لا يلتفتون إلى ما سوى الله تعالى ويكونون عمياً عن عالم الملك والملوك. وأما الغافلون الجاهلون فحبهم ما سواه تعالى عميت عيون قلوبهم وصمت آذانها فإنه لا يكون في عالم المعنى إلا ويكون أصم وأبكم وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «حبك الشيء يعمي ويصم» بخلاف أعمى الصورة فإن سمعه بحاله في سماع الدعوة وقبولها. فعى العاقل أن يجتنب عن الأعمال القبيحة المؤدية للرين والردى والأخلاق الرذيلة الموجبة للعمه والعمى بل يتسارع إلى العمل بالقرآن الهادي إلى وصول المولى والناهي عن الخسران مطلقاً وعن الأعمال الصالحة والصلاة. وإنما شرعت لمناجاة الحق بكلامه حال القيام دون غيره من أحوال الصلاة للاشتراك في القيومية ولهذا كان من أدب الملوك إذا كلمهم أحد من رعيّتهم أن يقوم بين أيديهم ويكلمهم ولا يكلمهم جالساً فتبع الشرع في ذلك العرف. ومن آداب العارف إذا قرأ في صلاته المطلقة أن لا يقصد قراءة سورة معينة أو آية معينة وذلك لأنه لا يدري أين يسلك به ربه من طريق مناجاته فالعارف بحسب ما ينجيه به من كلامه وبحسب ما يلقي الله الحق في خاطره وكل صلاة لا يحصل منها حضور قلب فهي ميتة لا روح فيها وإذا لم يكن فيها روح فلا تأخذ بيد صاحبها يوم القيامة. ومن الأعمال الصالحة المذكورة الزكاة والصدقة وأفضلها ما يعطى حال الصحة دون مرض الموت وينبغي لمن قرب أجله وأراد أن يعطي شيئاً أن يحضر في نفسه أنه مؤد أمانة لصاحبها فيحشر مع الأمناء المؤدين أمانتهم لا مع المتصدقين لفوات محل الأفضل فهذه حيلة في ربح التجارة في باب الصدقة وفي الإنفاق زيادة للمال وتكثير له وإطالة لفروعه كالحبوب إذا زرعت.

﴿وإنك﴾ يا محمد ﴿لتلقى القرآن﴾ لتعطاه بطريق التلقية والتلقين يقال: تلقى الكلام من فلان ولقنه إذا أخذه من لفظه وفهمه.

قال في «تاج المصادر»: التلقية [حيزي پيش كسى وآوردن] وقد سبق الفرق بين التلقى والتلقف والتلقن في سورة النور. ﴿من لدن حكيم عليم﴾ بواسطة جبريل لا من لدن نفسك ولا من تلقاء غيرك كما يزعم الكفار. ولدن بمعنى عند إلا أنه أبلغ منه وأخص وتنوين الاسمين للتعظيم أي حكيم أي حكيم وعليم أي عليم وفي تفخيمهما تفخيم لشأن القرآن وتنصيب على طبقته عليه السلام في معرفته والإحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق فإن تلقي الحكم والعلوم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علماً في رصانة العلم والحكمة.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنك جاوزت حد كمال كل رسول فإنهم كانوا يلقون الكتب بأيديهم من يد جبريل والرسالات من لفظه وحياً وإنك وإن كنت تلقى القرآن بتنزيل جبريل على قلبك ولكنك تلقى حقائق القرآن من لدن حكيم تجلى لقلبك بحكمة القرآن وهي صفة القائمة بذاته فعلمك حقائق القرآن وجعلك بحكمته مستعداً لقبول فيض القرآن بلا واسطة وهو العلم اللدني وهو أعلم حيث يجعل رسالته. وفي الجمع بين الحكيم والعليم إشعار بأن علوم القرآن منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والأخبار الغيبية. ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم فقال:

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَآئَاتِكُمْ بِشَهَابٍ مِّنَ السَّمَاءِ فَصَلُّوا۟ لِّيَ كَمَا مَلَكْتُ لَكُمْ ۖ فَصَلُّوا۟ لِّيَ كَمَا مَلَكْتُ لَكُمْ ۖ فَصَلُّوا۟ لِّيَ كَمَا مَلَكْتُ لَكُمْ ۖ﴾ (٧)

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ﴾ أهل الإنسان من يختص به أي أي اذكر لقومك يا محمد وقت قول موسى لزوجه ومن معها في وادي الطور وذلك أنه مكث بمدين عند شعيب عشر سنين ثم سار بأهله بنت شعيب إلى مصر. يعني [يقصد أنكه تا مادر خویش ودو خواهر خویش یکی زن قارون و یکی زن یوشع بود ازا نجایارد] فضل الطريق في ليلة مظلمة شديدة البرد وقد أخذ امرأته الطلق ففدح فأصلد زنده فبدا له من جانب الطور نار فقال لأهله: اثبتوا مكانكم، ﴿إني آنست نارا﴾ أبصرت.

قال في «التاج»: [الإيناس: ديدن] والباب يدل على ظهور الشيء وكل شيء خالف طريقة التوحش.

قال مقاتل: النار هو النور وهو نور رب العزة رآه ليلة الجمعة عن يمين الجبل بالأرض المقدسة وقد سبق سر تجلي النور في صورة النار في سورة طه. ﴿سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ أي: عن حال الطريق أين هو والسين للدلالة على بعد المسافة أو لتحقيق الوعد بالإتيان وإن أبطأ فيكون للتأكيد. وبالفارسية [زور باشد که بیارم از نزدیک آن آتش خبری یعنی از کسی که بر سر آن آتش باشد خبر راه پرسم. ﴿أو آتیکم﴾ [یا بیارم] ﴿بشهاب قیس﴾ أي بشعلة نار مقبوسة أي مأخوذة من معظم النار ومن أصلها إن لم أجد عندها من يدلني على الطريق فإن عادة الله أن لا يجمع حرمانين على عبده يقال: اقتبست منه نارا وعلما استفدته منه.

وفي «المفردات»: الشهاب الشعلة الساطعة من النار المتوقدة والقبس المتناول من الشعلة والاقباس طلب ذلك ثم استعير لطلب العلم والهداية انتهى.

فإن قلت: قال في طه: ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ﴾ [طه: ١٠] ترجياً وهنا ﴿سَآتِيكُم﴾ إخباراً وتيقناً وبينهما تدافع.

قلت: لا تدافع لأن الراجي إذا قوي رجاؤه يقول: سأفعل كذا مع تجويزه خلاف ذلك ﴿لعلكم تصطلون﴾ رجاؤه أن تدفعوا البرد بحرهما. والصلاء النار العظيمة والاصطلاء [كرم شدن بآتش].

قال بعضهم: الاصطلاء بالنار يقسي القلب ولم يرو أنه عليه السلام اصطلى بالنار.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ ٱللَّهُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ (٨) ﴿يُؤْمِنُ بِهِۦٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (٩)

﴿فلما جاءها﴾ [پس آن هنگام که آمد موسی نزدیک آن آتش نورانی دید بی إحراق از درختی بسزد کویند آتشی بود محرق چون سائر آتشها] وكانت الشجرة سمرة ﴿نودي﴾ جاءه النداء وهو الكلام المسموع من جانب الطور.

قال في «عرائس البيان»: كان موسى عليه السلام في بداية حاله في مقام العشق والمحبة وكان أكثر أحوال مكاشفته في مقام الالتباس فلما كان بدو كشفه جعل تعالى الشجرة والنار مرآة فعلية فتجلى بجلاله وجماله من ذاته لموسى وأوقعه في رسوم الإنسانية حتى لا يفزع ويدنو من النار والشجرة ثم ناداه فيها بعد أن كاشف له مشاهدة جلاله ولولا ذلك لفني موسى في أول سطوات عظمتة وعزته ﴿أن﴾ مفسرة لما في النداء من معنى القول، أي: ﴿بورك﴾ أو بأن بورك

على أنها مصدرية حذف منها الجار جرياً على القاعدة المستمرة وبورك مجهول بارك وهو خبر لادعاء أي جعل مباركاً وهو ما فيه الخير والبركة والقائم مقام الفاعل قوله: ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ أي من في مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى: ﴿تُودِيكَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ [القصر: ٣٠] ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي ومن حول مكانها والظاهر أن المبارك فيه عام في كل من في تلك البقعة وحوايلها من أرض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الأنبياء وكفاتهم أحياء وأمواتاً وخصوصاً تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وفي ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه بشارة بأنه قد قضى له أمر عظيم ديني تنتشر بركاته في أقطار الأرض المقدسة وهو تكليمه تعالى إياه واستنباؤه له وإظهار المعجزات على يده وكل موضع يظهر فيه مشاهدة الحق ومكالمته يكون ذا بركة ألا ترى إلى قوله القائل:

إذا نزلت سلمى بواد فماؤه زلال وسلسال وجشجائه ورد

ولم يزل يخضر مواطىء أقدام رجال الله في الصحارى والجبال من بركات حالاتهم مع الله الملك المتعال. ثم إن بعض المفسرين حمل بورك على التحية كما قال الكاشفي: [بركت داده باد] وبعضهم حمل من في النار على الملائكة وذلك أن النور الذي بان قد بارك فيه وفي الملائكة الذين كانوا في ذلك النور.

وقال بعض العارفين: إن الله أراد بمن في النار ذاته المقدسة وهو الذي أفاض بركة مشاهدته على موسى وله تعالى أن يتجلى بوصف النار والنور والشجرة والطور وغيرها مما يليق بحال العاشق مع تنزه ذاته وصفاته عن الجهة في الحقيقة وفي الحديث: «إن الله يرى هيئة ذاته كيف يشاء» ﴿وسبحان الله رب العالمين﴾ من تمام ما نودي به لثلاثتهم من سماع كلامه تشبيهاً وللتعجب من عظمة ذلك الأمر. وبالفارسية [پاکست خداي تعالی پرورد کار عالمیان زتشبیه آورده اندکه چون موسی این ندا شنید گفت ندا کنندہ کیست باز ندا آمدکہ].

﴿يا موسى إنه﴾ أي: الشأن ﴿أنا الله﴾ جملة مفسرة للشأن ﴿العزیز الحکیم﴾ أي: القوي القادر على ما يبعد من الأوهام الفاعل كل ما يفعله بحكمة وتدبير تام.

قال في «الأسئلة المقحمة»: قوله: «إنه أنا الله» سمعه من الشجرة فدل ذلك على حدوثه لأن المسموع من الجهات علامة الحدوث والجواب نحن ننزه كلام الله تعالى عن الجهة والمكان كما نحن ننزه ذاته عن الجهة والمكان فكذلك ننزه كلامه عن الأصوات والحروف وإنما كان سماع كلام الله لموسى حصل من جانب الشجرة فالشجرة ترجع إلى سماع موسى لا إلى الله تعالى.

فإن قلت: كيف سمع موسى كلام الله من غير صوت وحرف وجهة؟.

قلت: إن كان هذا سؤالاً عن كيفية الكلام فهذا لا يجوز فإن سؤال كيفية محال في ذات الله وصفاته إذ لا يقال: كيف ذاته من غير جسم وجوهر وعرض وكيف علمه من غير كسب وضرورة وكيف قدرته من غير صلاية وكيف إرادته من غير شهوة وأمنية وكيف تكلمه من غير صوت وحرف وإن كان سؤال كيفية عن سماع موسى قلنا: خلق الله لموسى علماً ضرورياً علم به أن الذي سمعه هو كلام الله القديم الأزلي من غير حرف ولا صوت ولا جهة وقد سمعه من الجوانب الستة فصار جميع جوارحه كسمعه أي صار الوجود كله سمعاً ثم يصير في الآخرة كذلك والكامل الواصل له حكم الآخرة في الدنيا.

﴿وَأَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ .

﴿وَألق عصاك﴾ عطف على بورك أي نودي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك .
وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من سمع نداء الحق وشاهد أنوار جماله يلقي من يد همته كل ما كان متوكأه غير الله فلا يتوكأ إلا على فضل الله وكرمه .

تكيه برغير خدا كفريست از كفر طريق جز بفضل حق ممكن تكيه درين ره اي رفيق
﴿فلما رآها تهتز﴾ الفاء فصيحة تفصح عن جملة محذوفة كأنه قيل: فألقاها فانقلبت حية تسعى فلما أبصرها تتحرك بحركة شديدة وتذهب إلى كل جانب حال كونها . ﴿كأنها جان﴾ حية خفيفة سريعة فشبه الحية العظيمة المسماة بالفارسية [أزدها] بالجان في سرعة الحركة والالتواء والجان ضرب من الحيات أي حية كحلاء العين لا تؤذي كثيرة في الدور كما في «القاموس» .

وقال أبو الليث: الصحيح أن الثعبان كان عند فرعون والجان عند الطور وفيه إشارة إلى أن كل متوكأ غير الله في الصورة ثعبان له في المعنى ولهذا جاء في «المثنوي»:
هر خيالي كوكنند دردل وطن روز محشر صورتي خواهد شدن
﴿ولي﴾ رجع وأعرض موسى . وبالفارسية [روى بكردانيذ] . ﴿مدبراً﴾ [در حالتي كه كريزان بود از خوف] .

قال في «كشف الأسرار»: أدبر عنها وجعلها تلي ظهره . ﴿ولم يعقب﴾ ولم يرجع على عقبه من عقب المقاتل إذا كَرَّ بعد الفَرِّ وإنما اعتراه الرعب لظنه أن ذلك الأمر أريد به هلاك نفسه ويدل عليه قوله: ﴿يا موسى﴾ أي قيل له: يا موسى ﴿لا تخف﴾ أي: من غيري ثقة بي أو مطلقاً لقوله: ﴿إني لا يخاف لدي﴾ عندي ﴿المرسلون﴾ فإنه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقاً لكن لا في جميع الأوقات بل حين يوحى إليهم بوقت الخطاب فإنهم حينئذ مستغرقون في مطالعة شؤون الله لا يخطر ببالهم خوف من أحد أصلاً وأما سائر الأحيان فهم أخوف الناس منه سبحانه أو لا يكون لهم عند سوء عاقبة فيخافون منه .

وفي «التأويلات النجمية»: يعني من فر إلى الله عما سواه يؤمنه الله مما سواه ويقول له: لا تخف فإنك لدي ولا يخاف لدي من غيري القلوب المنورة الملهمة المرسله إليها الهدايا والتحف من الطافي .

وفي «عرائس البيان»: لا تخف من الثعبان فإن ما ترى ظهور تجلي عظمي ولا يخاف من مشاهدة عظمي وجلالي في مقام الالتباس المرسلون فإنهم يعلمون أسرار ربوبيتي ولما علم أن موسى كان مستشعراً حقيقة من قتله القبطي قال تعريضاً به:

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾﴾

﴿إلا من ظلم﴾ استثناء منقطع أي لكن من ظلم نفسه من المرسلين بذنب صدر منه كآدم ويونس وداود وموسى وتعبير الظلم لقول آدم ربنا ظلمنا أنفسنا وموسى رب إني ظلمت نفسي .
﴿ثم بدل حسناً بعد سوء﴾ [پس بدل كند و بجاي آرد نيكويي بعد از بدی یعنی توبه كند بعد از كناه] . ﴿فإني غفور﴾ للتائبين ﴿رحيم﴾ مشفق عليهم .

اختلفوا في جواز الذنب على الأنبياء وعدمه قال الإمام والمختار: عندنا أنه لم يصدر عنهم ذنب حال النبوة لا الصغير ولا الكبير وترك الأولى منهم كالصغيرة منا لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين .

وفي «الفتوحات» اعلم أن معاصي الخواص ليست كمعاصي غيرهم بحكم الشهوة الطبيعية وإنما تكون معاصيهم بالخطأ في التأويل وإيضاح ذلك أن الحق تعالى إذا أراد إيقاع المخالفة من العارف بالله زين له الوقوع في ذلك العمل بتأويل؛ لأن معرفة العارف تمنعه من الوقوع في المخالفة دون تأويل يشهد فيه وجه الحق فإن العارف لا يقع في انتهاك الحرمة أبداً ثم إذا وقع في ذلك المقدور بالتزيين، أو التأويل يظهر له تعالى فساد ذلك التأويل الذي أداه إلى ذلك الفعل كما وقع لآدم عليه السلام فإنه عصى بالتأويل فعند ذلك يحكم العارف على نفسه بالعصيان كما حكم عليه بذلك لسان الشريعة وكان قبل الوقوع غير عاص لأجل شبهة التأويل كما أن المجتهد في زمان فتواه بأمر ما اعتقاده أنه أن ذلك عين الحكم المشروع في المسألة لا يوصف بخطأ ثم في ثاني الحال إذا ظهر له بالدليل أنه أخطأ حكم عليه لسان الظاهر أنه أخطأ في زمان ظهور الدليل لا قبل ذلك فعلم أنه يمكن لعبد أن يعصي ربه على الكشف من غير تأويل أو تزيين أو غفلة أو نسيان أبداً وأما قول أبي يزيد قدس سره لما قيل له أيعصي العارف الذي هو من أهل الكشف؟ فقال: نعم وكان أمر الله قدراً مقدوراً فلا ينافي ذلك أي لأن من أدب العارفين أن لا يحكموا عليه بتقييد كأنه يقول: إن كان الحق تعالى قدر عليهم في سابق علمه بشيء فلا بد من وقوعه وإذا وقع فلا بد له من حجاب أدناه التأويل أو التزيين فاعلم ذلك .

﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تَبِعِ مَائِكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (١٧) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ .

﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ [در آردست خود را در کربیان پیرهن خود] ولم يقل في كمك لأنه كان عليه مدرعة من صوف لا كم لها ولا أزرار فكانت يده الكريمة مكشوفة فأمر بإدخال يده في مدرعته وهي جبة صغيرة يتدرع بها أي تلبس بدل الدرع وهو القميص ﴿تخرج﴾ حال كونها ﴿بيضاء﴾ براءة لها شعاع كشعاع الشمس أي إن أدخلتها تخرج على هذه الصفة ﴿من غير سوء﴾ أي آفة كبرص ونحوه . ﴿في تسع آيات﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هما داخلتان في جملتها فتكون الآيات تسعاً بالعصا واليد وهن العصا واليد البيضاء والجذب في البوادي ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم . ﴿إلى فرعون﴾ أي: حال كونك مبعوثاً إليه ﴿وقومه﴾ القبط ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ تعليل للبعث، أي خارجين عن الحدود في الكفران والعدوان .

﴿فلما جاءتهم آياتنا﴾ التسع بأن جاءهم موسى بها وظهرت على يده حال كونها . ﴿مبصرة﴾ مستنيرة واضحة اسم فاعل أطلق على المفعول إشعاراً بأنها لفرط إنارتها ووضوحها للأبصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر . ﴿قالوا هذا سحر مبين﴾ واضح سحريته . يعني [همه كس داندكه اين سحر است] .

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٩)

﴿وجحدوا بها﴾ كذبوا بالاستهتة كونها آيات إلهية . والجحود إنكار الشيء بعد المعرفة

والإيقان تعنتاً وأريد هنا التكذيب لئلا يلزم استدراك قوله: ﴿وَاسْتَيْقَنْتَهَا أَنْفُسَهُمْ﴾ الواو للحال. والاستيقان: [بي كمان شدن] أي وقد علمتها أنفسهم أي قلوبهم وضمائرهم علماً يقيناً أنها من عند الله وليست بسحر.

قال أبو الليث: وإنما استيقنتها قلوبهم لأن كل آية رأوها استغاثوا بموسى وسألوا منه بأن يكشف عنهم فكشف عنهم فظهر لهم بذلك أنها من الله تعالى. ﴿ظُلُمًا﴾ نفسانياً علة لجحدوا ﴿وَعُلُوًّا﴾ إباء واستكباراً شيطانياً. ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ﴾ [يس بنكر يا محمد كه چكونه بود] عاقبة المفسدين وهو الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة. وبالفارسية: [عاقبت كار تباه كاران كه در دنيا بآب غرقه شدند ودر عقبي بآتش خواهند سوخت].

هم حالت مفسدان خوش است سر انجام أهل فساد آتش است وفي هذا تمثيل لكفار قريش إذ كانوا مفسدين مستعجلين فمن قدر على إهلاك فرعون كان قادراً على إهلاك من هو على صفته وذلك إلى يوم القيامة فإن جلال الله تعالى دائم للأعداء كما أن جماله باق للأولياء مستمر في كل عصر وزمان.

فعلى العاقل أن يتعظ بحال غيره ويترك الأسباب المؤدية إلى الهلاك مثل الظلم والعلو الذي هو من صفات النفس الأمارة ويصلح حاله بالعدل والتواضع وغير ذلك مما هو من ملكات القلب.

والإشارة في الآية إلى أن الذين أفسدوا استعداد الإنسانية لقبول الفيض الإلهي بلا واسطة كان عاقبتهم أنهم نزلوا منازل الحيوانات من الأنعام والسباع وقرنوا مع الشياطين في الدرك الأسفل من النار، فانظر إلى أن الارتقاء إلى السؤدد صعب والانحطاط إلى الدناءة سهل إذ النفس والطبيعة كالحجر المرمي إلى الهواء تهوي إلى الهاوية فإذا اجتهد المرء في تلطيفها بالمجاهدات والرياضات تشرف بالارتقاء في الدرجات وتخلص من الانحطاط إلى الدركات. قال الحافظ:

بال بكشا وصفير از شجر طوبى زن حيف باشد چو تومرغي كه أسير قفسي
فما أقيح المرء أن يكون حسن جسمه باعتبار قبح نفسه كجنة يعمرها يوم وصرمة يحرسها
ذئب وأن يكون اعتباره بكثرة ماله وحسن أثائه كثور عليه حلي ففضل الإنسان بالهمم العالية
والاتباع بالحق والأدب والعقل الذي يعقله عن الوقوع في الورطات بارتكاب المنهيات نسأل الله
سبحانه أن يجعلنا من القابلين لإرشاده والعاملين بكتابه المحفوظين عن عذابه المغبوطين بثوابه.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥) وَوَرِثَ
سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَاءَتِيهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ
الْمُبِينُ (١٦) وَخُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧)

﴿ولقد﴾ أي وبالله قد ﴿آتيناه﴾ أعطيناه ﴿داود وسليمان﴾ أي: كل واحد منهما.

قال في «مشكاة الأنوار»: قالت نملة لسليمان عليه السلام: يا نبي الله أتدري لم صار اسم أبيك داود واسمك سليمان؟ قال: لا قالت: لأن أباك داوى قلبه عن جراحة الالتفات إلى غير الله فود وأنت سليم تصغير سليم آن لك أي حان لك أن تلحق بأبيك. ﴿علماً﴾ أي: طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والأحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصناعة لبوس

وتسييح الجبال ومنطق الطير والدواب فإن الله تعالى علم سبعة نفر سبعة أشياء: علم آدم أسماء الأشياء فكان سبباً في حصول السجود والتحية، وعلم الخضر علم الفراسة فكان سبباً لأن وجد تلميذاً مثل موسى ويوشع. وعلم يوسف التعبير فكان سبباً لوجدان الأهل والمملكة، وعلم داود صنعة الدروع فكان سبباً لوجدان الرياسة والدرجة، وعلم سليمان منطق الطير فكان سبباً لوجدان بلقيس. وعلم عيسى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل فكان سبباً لزوال التهمة عن الشر، وعلم محمداً ﷺ الشرع والتوحيد فكان سبباً لوجود الشفاعة.

وقال الماوردي: المراد بقوله: ﴿علماء﴾ علم الكيمياء وذلك لأنه من علوم الأنبياء والمرسلين والأولياء العارفين كما قال حضرة مولانا قدس سره الأعلى:

از کرامات بلند اولیا أولا شعرت وآخر کیمیا
والکیمیا فی الحقیقة القناعة بالموجود وترك التشوف إلى المفقود:

کیمیای ترا کنم تعلیم که دراکسیر ودر صناعت نیست
رو قناعت کزین که در عالم کیمیایی به از قناعت نیست
قال في «كشف الأسرار»: [داود أز أنبياء بني إسرائيل بيود از فرزندان يهوذا بن يعقوب وروز کاروي بعد از روز کار موسی بود بصد هفتاد ونه سال وملك وي بعد از ملك طالوت بود وبني إسرائيل همه يتبع وي شدند وملك بروي مستقيم كشت اینست رب العالمين گفت. ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكُهُمْ﴾ [ص: ۲۰] هرشب سي و هزار مرد از بزرگان بني اسرائيلي اورا حارس بودند وباوي ملك علم بود ونبوت چنانكه گفت جل جلاله ﴿آتيناه داود وسليمان علماً﴾ وحكم که رانندند وعمل که کردند از احكام توراۀ كردنكه كتاب وي زيور همه موعظت بود دران احكام أمر ونهی نبود].

قال ابن عطاء قدس سره: ﴿علماء﴾ أي علماً بربه وعلماً بنفسه وأثبت لهما علمهما بالله علم أنفسهما وأثبت لهما علمهما بأنفسهما حقيقة العلم بالله لذلك.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «من عرف نفسه فقد عرف ربه». بروجود خدای عز وجل هست نفس توحجت قاطع
چون بدانی تونفس را دانی کوست مصنوع وایزدش صانع
واعلم أن العلم علما علم البيان وهو ما يكون بالوسائل الشرعية وعلم العيان وهو ما يستفاد من الكشوفات الغيبية فالمراد بقوله عليه السلام: «سائل العلماء وخالط الحكماء وجالس الكبراء» أي: سائل العلماء بعلم البيان فقط عند الاحتياج إلى الاستفتاء منهم وخالط العلماء بعلم العيان فقط وجالس الكبراء بعلم البيان والأحكام وعلم المكاشفة والأسرار فأمر بمجالستهم لأن في تلك المجالسة منافع الدنيا والآخرة.

توخود بهتري جوي وفرصت شمار که باچون خودي کم کنی روزکار
﴿وقالاً﴾ أي: كل واحد منهما شكراً لما أوتيته من العلم ﴿الحمد لله الذي فضلنا﴾ بما آتانا من العلم. ﴿على كثير من عباده المؤمنين﴾ على أن عبارة كل منهما فضلني إلا أنه عبر عنهما عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير إيجازاً وبهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو إذ المتبادر من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على إيتاء ما أوتي كل منهما لا على إيتاء ما أوتي نفسه فقط.

وقال البيضاوي: عطفه بالواو إشعاراً بأن ما قاله بعض ما أتيا به في مقابلة هذه النعمة كأنه قال: ففعلاً شكراً له ما فعلاً وقال الحمد لله الخ انتهى والكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما لا من لم يؤت علماً أصلاً فإنه قد بين الكثير بالمؤمنين وخلوهم من العلم بالكلية مما لا يمكن وفي تخصيصهما الكثير بالذكر رمز إلى أن البعض متفضلون عليهما.

وفيه أوضح دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما أوتيا من الملك الذي لم يؤته غيرهما وتحريض للعلماء على أن يحمدا الله تعالى على ما آتاهم من فضله ويتواضعوا ويعتقدوا أنهم وإن فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذي علم عليم ونعم ما قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كل الناس أفتة من عمر.

وفي الآية إشارة إلى داود الروح وسليمان القلب وعلمهما الإلهام الرباني وعلم الأسماء الذي علم الله آدم عليه السلام وحمدهما على ما فضلهما على الأعضاء والجوارح المستعملة في العبودية فإن شأن الأعضاء العبودية والعمل وشأن الروح والقلب العلم والمعرفة وهو أصل. وسأل رجل رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال فقال: «العلم بالله والفقه في دينه» وكررها عليه فقال: يا رسول الله أسألك عن العمل فتخبرني عن العلم فقال: «إن العلم ينفعك معه قليل العمل وإن الجهل لا ينفعك معه كثير العمل» والمتعبد بغير علم كحمار الطاحونة يدور ولا يقطع المسافة.

قال فتح الموصلي قدس سره: أليس المريض إذا منع عنه الطعام والشراب والدواء يموت فكذا القلب إذا منع عنه العلم والفكر والحكمة يموت ثم إن الامتلاء من الأغذية الظاهرة يمنع التغذية بالأغذية الباطنة كما قال الشيخ سعدى رحمه الله: [عابدي حكايت كنندكه هرشب ده من طعام بخوردي وتابسحر ختمي درنماز بكردي صاحب دلي بشنيد وكفت اكر نيم نان بخوردي وبختفي بساء ازين فاضلتر بودي].

اندرون از طعام خالي دار تادرو نور ومعرفت بيني
نهى از حكمتي بعلت آن كه پرى از طعام تابيني
وكذا العجب والكبر يمنع النور والصفاء كما قال في «البستان»:

تراكي بود چون چراغ التهاب كه از خود پرى همچو قنديل از آب
فإذا أصلح المرء ظاهره بالشرعية وباطنه بالطريقة كان مستعداً لفيض العلم الذي أوتوه الأنبياء والأولياء وفضلوا بذلك على مؤمني زمانهم وهذا التفضيل سبب لمزيد الحمد والشكر لله تعالى فإن الثناء بقدر الموهبة والعطية، نحمد الله تعالى على آلائه ونعمائه ونستزيد العلم وقطراته من دأمانه ونسأله التوفيق في طريق التحقيق والثبات على العمل الصالح بالعلم النافع الذي هو للهوى قانع وللشهوات دافع إنه المفضل المنعم الكبير والوهاب الفياض الرحيم.

«وورث سليمان داود» أي: صار إليه العلم والنبوة والملك بعد موت أبيه دون سائر أولاده فسمي ميراثاً تجوزاً لأن حقيقة الميراث في المال والأنبياء إنما يرثون الكمالات النفسانية ولا قدر للمال عندهم قال عليه السلام لعلي رضي الله عنه: «أنت أخي ووارثي» قال: وما أرثك؟ قال: «ما ورث الأنبياء قبلي كتاب الله وستي».

وسأل بعض الأقطاب ربه أن يعطي مقامه لولده فقال له الحق في سره: مقام الخلافة لا

يكون بالوراثة إنما ذلك في العلوم أو الأموال والمريد الصادق يرث من شيخه علوم الحقائق بعد كونه مستعداً لها فتصير تلك الحقائق مقاماته لذلك قال عليه السلام: «العلماء ورثة الأنبياء».

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن سليمان القلب يرث داود الروح فإن كل وارد وإلهام وإشارة ووحى وفيض رباني يصدر من الحضرة الإلهية يكون عبوره على الروح ومن كمال لطافته يعبر عنه فيصل إلى القلب لأن القلب بصفاته يقبله وبكثافته وصلابته يحفظه فلهذا شرف القلب على الروح ولذلك قال سليمان: أقضي من داود وقال عليه السلام: «يا وابصة استفت قلبك» ولم يقل: استفت روحك.

قال الكاشفي: [كويند داود را نوزده پسر بودند هريك داعيه ملك داشتند حق سبحانه وتعالى نامه مهر کرده از آسمان فرستاد و درو چند مسئله يا دکرد و فرمود که هر که از اولاد تو اين مسائل را جواب دهد بعد از تو وارث ملك باشد داود فرزند انرا جمع کرد و أحبار و أشرف را حاضر کرد انيده و مسئلها بر فرزند ان عرض کرد که بگويد که. نزدیکترین چیزها کدامست. و دورترین اشيا چیست. و آنکه انس بدو بیشترست کدامست. و آنکه وحشت افزايد چیست. و کدامند دوقائم. و دو مختلف. و دو دشمن. و کدام کارست که آخر آن ستوده است. و کدام أمر ست که عاقبت آن نکوهيده است أولاد حضرت داود از جواب آن عاجز آمدند سليمان فرمود که اگر اجازت باشد من جواب دهم داود ویراد ستوري داد سليمان گفت. اقرب اشيا بآدمي موتست. و ابعد اشيا آنچه میگذرد از دنیا. و آنکه اسن بدو بیشترست جسد انسانست باروح. و اوحش اشيا بدن خالي از روح. أما قائمان ارض و سما اند. و مختلفان ليل و نهار. و متباغضان موت و حیات. و کاریکه آخرش محمود است حلم در وقت خشم. و کاری که عاقبتش مذموم است حدت در وقت غضب و چون جواب مسائل موافق کتاب منزل بود اکابر بني إسرائيل بفضل و کمال سليمان معترف شدند و داو ملك را بدو تسليم کرد و دیگر روز وفات کرد و سليمان بر تخت نشست] ﴿وقال﴾ تشهيراً لنعمة الله تعالى ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزات الباهرة التي أوتيتها أي لا فخراً وتكبيراً.

قال البقلي: إن سليمان عليه السلام أخبر الخلق بما وهبه الله لأن المتمكن إذا بلغ درجة التمكين يجوز له أن يخبر الخلق بما عنده من موهبة الله لزيادة إيمان المؤمنين وللحجة على المنكرين قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] ﴿يا أيها الناس علمنا منطق الطير﴾ النون نون الواحد المطاع على عادة الملوك فإنهم متكلمون مثل ذلك رعاية لقاعدة السياسة لا تكبراً وتجبراً وكذا في أوتينا.

وقال بعضهم: علمنا أي أنا وأبي وهذا ينافي اختصاص سليمان بفهم منطق الطير على ماهو المشهور والمنطق والنطق في التعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفرداً أو مركباً وقد يطلق على كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال: نطقت الحمامة إذا صوتت.

قال الإمام الراغب: النطق في التعارف الأصوات المقطعة التي يظهرها اللسان وتعيها الآذان ولا يكاد يقال إلا للإنسان ولا يقال لغيره إلا على سبيل التبع نحو الناطق والصامت فيراد بالناطق ماله صوت وبالصامت ما لا صوت له ولا يقال للحيوانات ناطق إلا مقيداً أو على طريق

التشبيه وسميت أصوات الطير منطقاً اعتباراً بسليمان الذي كان يفهمه فمن فهم من شيء معنى فذلك الشيء بالإضافة إليه ناطق وإن كان صامتاً وبالإضافة إلى من لا يفهم عنه صامت وإن كان ناطقاً والطير جمع طائر كركب وراكب وهو كل ذي جناح يسبح في الهواء ويجري وكان سليمان يعرف نطق الحيوان غير الطير أيضاً كما يجيء من قصة النمل لكنه أدرج هذا في قوله: ﴿وأوتينا من كل شيء﴾ وخص منطق الطير لشرف الطير على سائر الحيوان. ومعنى الآية علمنا فهم ما يقوله كل طائر إذا صوت. وبالفارسية: [أي مردمان أموخته شديد ما كفتار مرغانراکه ایشان چه میگویند] وكل صنف من أصناف الطير يتفاهم أصواته. يعني [هرجماعتي را از طیور آو ازیست که جزنوع انسان ازان فهم معانی وأغراض نکنند] والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهمه بعضه من بعض من أغراضه.

قال في «إنسان العيون»: وهذا في طائر لم يفصح العبارة وإلا فقد سمع من بعض الطيور الإفصاح بالعبارة فنوع من الغربان يفصح بقوله الله حق.

وعن بعضهم قال: شاهدت غرباً يقرأ سورة السجدة وإذا وصل محل السجود سجد وقال: سجد لك سوادي وأمن بك فؤادي. والدة تنطق بالعبارة الفصيحة وقد وقع لي أنني دخلت منزلاً لبعض أصحابنا وفيه درة لم أرها فإذا هي تقول: مرحباً بالشيخ البكري وتكرر ذلك وعجبت من فصاحة عبارتها انتهى. حكى: أن رجلاً خرج من بغداد ومعه أربعمائة درهم لا يملك غيرها فوجد في طريقه أفراخ زريات وهو أبو زريق فاشتراها بالمبلغ الذي كان معه ثم رجع إلى بغداد فلما أصبح فتح دكانه وعلق الأفراخ عليها فهبت ريح باردة فماتت كلها إلا فرخاً واحداً كان أضعفها وأصغرها فأيقن الرجل بالفقر فلم يزل يبتهل إلى الله تعالى بالدعاء ليله كله يا غياث المستغيثين أغثنني فلما أصبح زال البرد وجعل ذلك الفرخ ينفش ريشه ويصيح بصوت فصيح يا غياث المستغيثين أغثنني فاجتمع الناس عليه يسمعون صوته فاجتازت أمة لأمير المؤمنين فشرته منه بألف درهم كذا في «حياة الحيوان».

قال الإمام الدميري: أبو زريق هو القنق وهو طائر على قدر الإمامة وأهل الشام يسمونه زريق وهو ألوف للناس فيه قبول للتعليم وسرعة إدراك لما تعلم - ويحكى - أن سليمان عليه السلام مر على بلبل في شجرة يتصوت ويترقص أي يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟ فقالوا: الله أعلم ونبيه قال: يقول: إذا أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء أي التراب والدروس، وبالفارسية: [خاك برسر دنیا] ولعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال. وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول: ليت ذا الخلق لم يخلقوا ولعله كان صياحها عن مقاساة شدة وتألم قلب. وصاح طاوس فقال: يقول: كما تدين تدان. وصاح هدهد فقال: يقول: استغفروا الله يا مذنبون. وهكذا صاح الصرد فمن ثمة نهى رسول الله عن قتله وهو طائر فوق العصفور يصيد العصافير وغيرها لأن له صغيراً مختلفاً يصفر لكل طائر يريد صيده بلغته فيدعوه إلى القرب منه فإذا قرب منه قصمه من ساعته وأكله. وفي بعض الروايات يقول الهدهد: من لا يرحم لا يرحم وقد يجمع بينه وبين ما تقدم بأنه يجوز أن يقول تارة هذا وأخرى ما تقدم. وصاح طيطوي فقال: يقول: كل حي ميت وكل جديد بال ونسبه في «كشف الأسرار» إلى الطوطي. وصاح خطاف فقال: يقول: قدموا خيراً تجدوه وفي «الكشف»: إذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين كما يمدّها القاريء وهو بضم الخاء المعجمة كرماني

جمعه خطاطيف وسمى زوار الهند وهو من الطيور القواطع إلى الناس يقطع البلاد البعيدة إليهم رغبة في القرب منهم وهذا الطائر يعرف عند الناس بعصفور الجنة لأنه زهد عما في أيديهم من الأقوات فأحبوه لأنه إنما يتقوت من البعوض والذباب. وصاح القمري فقال: يقول: سبحان ربي الأعلى. وصاح رخمة أو حمامة فأخبر أنها تقول: سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه والرخمة طائر أصم أبكم لا يسمع ولا يتكلم ولذلك قالوا: إن أطول الطير أعماراً الرخم فالسلامة والبركة في العمر في حفظ اللسان. وقال: الحدأة تقول: كل شيء هالك إلا الله وهو بالفارسية [زغن وغليواج] قال: خسرو دهلوي.

بهراین مردار چنندت کاه زاری کاه زو

چون غلیواجی که شش مه ماده وشش مه نرست

والقطاة تقول: من سكت سلم وهي طائر معروف قدر اليمام ويشبهه سميت بحكاية صوتها لأنها تقول: قطاطا قال ابن ظفر: القطا طائر يترك فراخه ثم يطلب الماء من مسيرة عشرة أيام وأكثر فيرده فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ثم يرجع فلا يخطئ لا صادراً ولا وارداً أي ذهاباً وإياباً ولذا يضرب به المثل فيقال: «أهدى من قطاة». والبيضا يقول: ويل لمن كانت الدنيا همه والمراد به الطوطي وهو طائر أخضر.

قال الكاشفي: [وباز ميكويد سبحان ربي العظيم وبحمده].

قال في «حياة الحيوان»: البازي لا تكون إلا أنثى وذكرها من نوع آخر الحدأة والشاهين ولهذا اختلف أشكالها وهو من أشد الحيوان تكبراً وأضيقتها خلقها [وهزار دستان ميكويد] سبحان الخالق الدائم والديك يقول: اذكروا الله يا غافلون.

دلا برخيز وطاعت كن كه طاعت به زهر کارست

سعادت آن کسی دارد که وقت صبح بیدارست

خروسان در سحر کويند قم يا ايها الغافل

توازمستی نمی دانی کسی داند که هشیارست

وكان له عليه السلام ديك أبيض وفي الحديث: «الديك الأبيض صديقي وصديق صديقي وعدو عدوي» كما «الوسيط» وهو يصيح عند رؤية الملك كما أن الحمار ينهق عند رؤية الشيطان. والنسر يقول: يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت وفي هذا مناسبة لما خص النسر به من طول العمر يقال إنه يعمر ألف سنة وهو أشد الطير طيراناً وأقواها جناحاً حتى أنه يطير ما بين المشرق والمغرب في يوم واحد وليس في سباع الطير أكبر جثة منه وهو عريف الطير كما في «حياة الحيوان». والعقاب يقول: في البعد عن الناس أنس. والضفدع يقول: سبحان ربي القدوس أو سبحان المعبود في لجج البحار. وحكي: أن نبي الله داود عليه السلام ظن في نفسه أن أحداً لم يمدح خالقه بأفضل مما مدحه فأنزل الله عليه ملكاً وهو قاعد في محرابه والبركة إلى جنبه فقال: يا داود افهم ما تصوت به الضفادع فأنصت إليها فإذا هي تقول: سبحانك وبحمدك منتهى علمك فقال له الملك: كيف ترى؟ قال: والذي جعلني نبياً إني لم أمدحه بهذا.

وعن أنس رضي الله عنه: لا تقتلوا الضفادع فإنها مرت بنار إبراهيم عليه السلام فحملت

في أفواها الماء وكانت ترشه على النار. ونهى النبي عليه السلام عن قتل خمسة «النملة والنحلة والصفدع والصرد والهدهد». ويقول الورشان: لدوا للموت وابنوا للخراب وهذه لام العاقبة قيل: الورشان طائر يتولد بين الفاخنة والحمامة ويوصف بالحنو على أولاده حتى أنه ربما قتل نفسه إذا وجدها في يد القابض. ويقول الدراج: الرحمن على العرش استوى. ويقول القنبر: اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد. ويقول الحمار: اللهم العن العشار وأسند هذا إلى الغراب في بعض الروايات. ويقول الفرس إذا التقى الصفان: سبح قدوس رب الملائكة والروح. ويقول الزرزور: اللهم إني أسألك قوت يوم بيوم يا رزاق وهو بضم الزاي طائر صغير من نوع العصفور سمي بذلك لزرزرتة أي لصوته. وقال مولانا قدس سره في بعض كلماته:

شيخه مرغانست لك لك لك لكش داني كه چيست

الحمد لك والأمر لك والملك لك يا مستعان

قال سليمان عليه السلام: ليس من الطيور أنصح لبني آدم وأشفق عليهم من البومة تقول إذا وقعت عند حربة: أين الذين كانوا يتنعمون في الدنيا ويسعون فيها ويل لبني آدم كيف ينامون وأمامهم الشدائد تزودوا يا غافلون وتأهبوا لسفركم. قال الحافظ:

دع التكاسل تغنم فقد جرى مثل كه زاد راهروان چستيست وچالاكي

قال مقاتل: كان سليمان عليه السلام جالساً إذ مر به طير يصوت فقال لجلسائه: هل تدرون ما يقول هذا الطائر الذي مر بنا؟ قالوا: أنت أعلم قال سليمان: إنه قال لي السلام عليك أيها الملك المسلط على بني إسرائيل أعطاك الله الكرامة وأظهرك على عدوك إني منطلق إلى فروخي ثم أمر بك الثانية وإنه سيرجع إلينا الثانية فانظروا إلى رجوعه قال: فنظر القوم إذ مر بهم فقال: السلام عليك أيها الملك إن شئت أئذن لي كما اكتسب على فروخي حتى أشبعها ثم أتيت فتفعل بي ما شئت فأخبرهم سليمان بما قال فأذن له.

وفي «عرائس البيان»: اعلم أن أصوات الطيور والوحوش وحركات الأكوان جميعاً هي خطاب من الله للأنبياء والمرسلين والأولياء العارفين يفهمونها من حيث أحوالهم ومقاماتهم فالأنبياء والمرسلون يعرفون لغاتها ومعانيها بعينها وأما الأولياء فإنما يعرفونها بغير لغاتها يعني يفهمون من أصواتها ما يتعلق بحالهم بما يقع في قلوبهم من إلهام الله تعالى لا بأنهم يعرفون لغاتها بعينها.

والإشارة أن طيور الأرواح الناطقة في الأشباح تنطق بالحق من الحق ونطقها تلفظ الرموز والأسرار بلغة الأنوار ولا يسمعها إلا ذو فراصة صادقة قلبه وعقله شاهدان وألطف الإشارة علمنا منطق أطياف الصفات التي تعبر عن علوم الذات ومنطق أطياف أفعاله التي تخبر عن بطون حكم الأزليات.

قال أبو عثمان المغربي قدس سره: من صدق مع الله في جميع أحواله فهم عنه كل شيء أو فهم هو عن كل شيء وكما أن صوت الطبل مثلاً دليل يعرفون بسماعه وقت الرحيل والنزول فالحق سبحانه يخص أهل الحضور بفنون التعريفات من سماع الأصوات وشهود أحوال المرثيات مع اختلافها كما قيل:

إذا المرء كان له فكرة ففي كل شيء له عبرة

﴿وَأوتينا من كل شيء﴾ أراد كثرة ما أوتي به كما يقال: فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء ويراد به كثرة قصاده وغزارة علمه.

وقال الكاشفي: [وداده شديد يعني مارا عطا کردند هر چیزی که بدان محتاج بودیم]. وفي «كشف الأسرار»: يعني الملك والنبوة والكتاب والرياح وتسخير الجن والشياطين ومنطق الطير والدواب ومحاريب وتمائيل وجفان كالجواب وعين القطر وعين الصفر وأنواع الخير ﴿إن هذا﴾ المذكور من التعليم والإيتاء ﴿لهو الفضل﴾ والإحسان من الله تعالى ﴿المبين﴾ الواضح الذي لا يخفى على أحد.

وفي «الوسيط»: لهو الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا قاله على سبيل الشكر والحمد كما قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أي أقول هذا القول شكراً لا فخراً. قيل: أعطي سليمان ما أعطي داود وزيد له تسخير الجن والريح وفهم نطق الطير وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة التي يتمنع بها الناس وملك سبعمائة سنة وستة أشهر. ولما تولى الملك جاءه جميع الحيوانات يهنؤونه إلا نملة واحدة فجاءت تعزیه فعاتبها النمل في ذلك فقالت: كيف أهنيه وقد علمت أن الله إذا أحب عبداً زوى عنه الدنيا وحجب إليه الآخرة وقد شغل سليمان بأمر لا يدري ما عاقبته فهو بالتعزية أولى من التهنئة ذكره السيوطي في «فتاواه».

قال عمر رضي الله عنه للنبي عليه السلام: أخبرني عن هذا السلطان الذي ذلت له الرقاب وخضعت له الأجساد ما هو؟ فقال: «ظل الله في الأرض فإذا أحسن فله الأجر وعليكم الشكر وإذا أساء فعليه الإصر وعليكم الصبر».

وسأل يزدجرد حكيماً: ما صلاح الملك؟ قال: الرفق بالرعية وأخذ الحق منها بغير عنف والتودد إليها بالعدل وأمن السبل وإنصاف المظلوم. قال الشيخ سعدی:

رعیت نشاید ببیاد کشت که مر سلطنت را پناهند وپبشت

مراعاة دهقان کن از بهر خویش که مزدور خوشدل کند کاریش

﴿وحشر لسليمان جنوده﴾ الحشر إخراج الجماعة من مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب وغيرها فلا يقال: الحشر إلا في الجماعة كما في «المفردات». والحشر [كرد کردن] كما في «التاج» والجنود جمع الجند يقال للعسكر الجند اعتباراً بالغلظ من الجند للأرض الغليظة التي فيها حجارة ثم يقال لكل مجتمع جند نحو الأرواح جنود مجندة.

قال في «كشف الأسرار»: الجند لا يجمع وإنما قال: جنوده لاختلاف أجناس عساكره. ﴿من الجن والإنس والطير﴾ فكل جنس من الخلق جند على حدة قال تعالى: ﴿وَمَا يَقْلُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدر: ٣١] فالبعوض لنمرود جند والأبائيل لأصحاب الفيل جند والهدهد لعسكر عوج جند؟ والعنكبوت والحمامة لرسول الله عليه السلام جند وعلى هذا والمعنى أخرج لسليمان وجمع له عساكره في مسير وسفر كان له من الشام إلى طرف اليمن.

وفي «فتح الرحمن»: من اصطخر إلى اليمن واصطخر بكسر الهمزة وفتح الطاء بلدة من بلاد فارس كانت دار السلطنة لسليمان عليه السلام من الجن والإنس والطير بمباشرة الرؤساء من كل جنس لأنه كان إذا أراد سفراً أمر فجمع له طوائف من هؤلاء الجنود وتقديم الجن للمسارعة إلى الإيذان بكمال قوة ملكه من أول أمر لما أن الجن طائفة طاغية بعيدة من الحشر

والتسخير. ﴿فَهُمْ يوزعون﴾ الوزع بمعنى الكف والمنع عن التفرق والانتشار والوازع الذي يكف الجيش عن التفرق والانتشار ويكف الرعية عن التظالم والفساد وجمعه وزعة. والمعنى يحبس أوائلهم على أواخرهم ليتلاحقوا ويجمعوا ولا ينتشروا كما هو حال الجيش الكثير وكان لكل صنف من جنوده وزعة ومنعة ترد أولاهم على أواخرهم صيانة من التفرق. [ودرين أشارت هـست كه ایشان باوجود كثرث عدد مهمل وپيریشان نبودند بلکه ضبط وربط ایشان بمرتبه بودكه هيچكس از لشكريان از مقرر مقرر خود پيش وپس نتوانستي رفت] ويجوز أن يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد كما قال في «المختار»: الوازع الذي يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر وتخصيص حبس أوائلهم بالذكر دون سوق أواخرهم مع أن التلاحق يحصل بذلك أيضاً لما أن أواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه أوائلهم من السير السريع وهو إذا لم يسيرهم بتسيير الريح في الجو.

وفي «كشف الأسرار»: ﴿فَهُمْ يوزعون﴾ أي يكفون عن الخروج والطاعة ويحبسون عليها وهو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبا: ١٢] انتهى. روي: أن معسكره عليه السلام كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من القوارير مصنوعة على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة سبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطاً من ذهب وإبريسم فرسخاً في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فتقعد الأنبياء على كرسي الذهب والعلماء على كرسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر - ويروى - أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض إني قد زدت في ملكك أن لا يتكلم بشيء إلا ألقته الريح في سمعك فيحكى أنه مرّ بحراث فقال: لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً فألقته الريح في أذنه فنزل ومشى إلى الحراث وقال: إنما مشيت إليك لثلاث تمنى ما لا تقدر عيه ثم قال: لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتي آل داود ومرج سليمان بمدينة الرسول ﷺ فقال: هذه دار هجرة نبي في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه وطوبى لمن اقتدى به.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْكُلُهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاجِدَكُمْ لَا يُحِطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَهُدُودٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿حتى﴾ ابتدائية وغاية للسير المنبىء عنه قوله: ﴿فَهُمْ يوزعون﴾ كأنه قيل فساروا حتى ﴿إذا أتوا﴾ أشرفوا ﴿على واد النمل﴾ وأتوه من فوق.

وقال بعضهم: تعدية الفعل بكلمة على لما أن المراد بالإتيان عليه قطعه من قولهم أتى على الشيء إذا أنفده وبلغ آخره ولعلهم أرادوا أن ينزلوا عند منتهى الوادي إذ حينئذ يخافهم ما في الأرض لا عند مسيرهم في الهواء كما في «الإرشاد» وسيجيء غير هذا. والوادي الموضع الذي يسيل في الماء. والنمل معروف الواحدة نملة. بالفارسية [مور] سميت نملة لتنملها وهي كثرة حركتها وقلة قوائمها ومعنى وادي النمل وإد يكثر فيه النمل كما يقال: بلاد الثلج يكثر فيه

الثلج والمراد هنا واد بالشام أو بالطائف كثير النمل والمشهور أنه النمل الصغير وقيل: كان نمل ذلك المكان كالذئب والبخاتي ولذا قال بعضهم: في وادي النمل هو واد يسكنه الجن والنمل مراكبهم. ﴿قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ جواب إذا كأنها لما رأتهم متوجهين إلى الوادي فرت منهم فصاحت صيحة نبهت بها سائر النمل الحاضرة فتبعتهما في الفرار فشبّه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك أجروا مجراهم حيث جعلت هي قائلة وما عداها من النمل مقولاً لهم مع أنه لا يمتنع أن يخلق الله فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم. وكانت نملة عرجاء لها جناحان في عظم الديك أو النعجة أو الذئب وكانت ملكة النمل. يعني: [مهتر مور چكان آن وادي بود] واسمها منذرة أو طاخية أو جرمى سميت بهذا الاسم في التوراة أو في الإنجيل أو في بعض الصحف الإلهية سماها الله تعالى بهذا الاسم وعرفها به الأنبياء قبل سليمان وخصت بالتسمية لنطقها وإلا فكيف يتصور أن يكون للنملة اسم علم والنمل لا يسمي بعضهم بعضاً ولا يتميز للآدميين صورة بعضهم من بعض حتى يسمونهم ولا هم واقعون تحت ملك بني آدم كالخيل والكلاب ونحوهما كما في كتاب «التعريف والأعلام» للسهيلى رحمه الله. ونملة مؤنث حقيقي بدليل لحوق علامة التأنيث فعلها لأن نملة تطلق على الذكر والأنثى فإذا أريد تمييزها احتيج إلى مميز خارجي نحو نملة ذكر ونملة أنثى وكذلك لفظة حمامة ومامة من المؤنثات اللفظية.

ذكر الإمام أن قتادة دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال: سلوا عما شئتم وكان أبو حنيفة حاضراً وهو غلام حدث فقال: سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكراً أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة: كانت أنثى فقل له: من أين عرفت؟ فقال: من كتاب الله وهو قوله: ﴿قالت نملة﴾ ولو كان ذكراً لقال: قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهي ولا يجوز أن يقال: قامت طلحة ولا حمزة. ﴿لا يحطمنكم﴾ لا يكسرنكم فإن الحطم هو الكسر وسمي حجر الكعبة الحطيم لأنه كسر منها ﴿سليمان وجنوده﴾ الجملة استئناف أو بدل من الأمر لا جواب له فإن النون لا تدخله في السعة وهو نهي لهم عن الحطم والمراد نهياً عن التوقف والتأخر في دخول مساكنهم بحيث يحطمونها: يعني: [بحيثي كه عرضه تلف شوند].

فإن قلت: بم عرفت النملة سليمان؟

قلنا: كانت مأمورة بطاعته فلا بد أن تعرف من أمرت بطاعته ولها من الفهم فوق هذا فإن النمل تعرف كثيراً من منافعه من ذلك أنها تكسر الحبة قطعتين لثلاث تنبت إلا الكزبرة فإنها تكسرها أربع قطع لأنها تنبت إذا كسرت قطعتين وإذا وصلت النداءة إلى الحبة تخرجها إلى الشمس من حجرها حتى تجف.

قال في «حياة الحيوان»: النمل لا يتلاحق ولا يتزاوج إنما يسقط مه شيء حقير في الأرض فينمو حتى يصير بيظاً ثم يتكون منه والبيض كله بالضاد إلا بيظ النمل فإنه بالظاء. ﴿وهم لا يشعرون﴾ حال من فاعل يحطمنكم أي والحال أنهم لا يشعرون أنهم يحطمونكم إذ لو شعروا لم يفعلوا أي أن من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده أنهم لا يحطمون نملة فما فوقها إلا أن لا يشعروا كأنها شعرت عصمة الأنبياء من الظلم والأذى الأعلى سبيل السهو نظير تر النملة في جند سليمان وهم لا يشعرون قول الله تعالى في جند محمد عليه السلام.

﴿فَتُصِيبُكُم مِّنْهُم مَّعَرَةٌ بِغَيْرِ عَلَمٍ﴾ [الفتح: ۲۵] التفاتاً إلى أنهم لا يقصدون ضرر مؤمن إلا أن المثنى على جند سليمان هو النملة بإذن الله والمثنى على جند محمد هو الله بنفسه لما لجند محمد من الفضل على جند غيره من الأنبياء كما كان لمحمد الفضل على جميع النبيين عليهم السلام [آورده اندكه باد اين سخن را ازسه ميل راه بسمع سليمان رسانيد].

﴿فَتَبَسَّ صَاحِبًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٩﴾

﴿فتبسم﴾ التبسم أول الضحك، وهو ما لا صوت له أي تبسم حال كونه ﴿صاحباً﴾ من قولها ﴿شارعاً﴾ في الضحك من قولها وآنذا فيه أراد أنه بالغ في تبسمه حتى بلغ نهايته التي هي أول مراتب الضحك فهو حال مقدرة أو مؤكدة على معنى تبسم متعجباً من حذرهما وتحيرهما واهتدائهما إلى مصالحهما ومصالح بني نوعها، فإن ضحك الأنبياء التبسم والإنسان إذا رأى أو سمع ما لا عهد له به يتعجب ويتبسم.

قال بعضهم: ضحك سليمان كان ظاهره تعجباً من قول النملة وباطنه فرحاً بما أعطاه الله من فهم كلام النملة وسروراً بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين أصناف المخلوقات فإنه لا يسر نبي بأمر دنيا وإنما كان يسر بما كان من أمر الدين. روي: أنها أحست بصوت الجنود ولم تعلم أنهم في الهواء أو على الأرض ولذا خافت من الحطم فأمر سليمان الريح فوقفت لثلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن.

وقال في «الوسيط»: هذا أي قوله: وهم لا يشعرون يدل على أن سليمان وجنوده كانوا ركبناً ومشاة على الأرض ولم تحملهم الريح لأن الريح لو حملتهم بين السماء والأرض ما خافت النمل أن يطأوها بأرجلهم ولعل هذه القصة كانت قبل تسخير الله الريح لسليمان انتهى وروى أن سليمان لما سمع قول النملة قال: اثتوني بها فأتوا بها [كفت أي مورچه ندانستي كه لشكر من ستم نكنند كفت دانستم أما مهتراین قوم مرا از نصیحت ایشان چاره نیست كفت لشكر من برهوا بودنچه كونه قوم ترا پایمال كردندي جواب دادكه غرض من آن نبودكه بر زمین شكسته شوندمراد من آن بودكه ناكاه نظر بر ككبكه ودبدبهء توكندد وبنظارهء لكشر مشغول شده از ذكر خداي تعالى بازمانند ودر میدان غفلت پایمال خذلان كردند مملكت تويينند وآرزوي دردنيا دردل ایشان بدید آید ودنيا مبغوضهء حق است] فقال لها سليمان: عظيمي فقالت: أعلمت لم سمي أبوك داود قال: لا قالت: لأنه داوى جراحة قلبه وهل تدري لم سميت سليمان؟ قال: لا قالت: لأنك سليم الصدر والقلب [در كشتف الأسرار آورده كه سليمان ازوى پرسيدكه لشكر توچند است كفت من چهار هزار سرهنك دارم زیر دست هريكي چهل هزار نقيب است وزیر دست هر نقيبى چهل هزارمور كفت چرا لشكر خودرا بیرون نیاري جواب دادكه يا نبی الله مارا روی زمین میدادند اختیار نكردیم ودر زیر زمین جای كرفتیم تا بجز خداي تعالى حال مارا ندادند آنكه كفت أي پیغمبر خدا از عطاها كه خداي تعالى تراداده يكي بكو كفت بادرا مركب من ساخته اند. ﴿عُدُّوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبا: ۱۲] كفت داني كه اين چه معنى دارد يعنى هرچه ترادادم از مملكت دنيا همه چون بادست در آید ونياید «فمن اعتمد على الدنيا فكأنما اعتمد على الريح» ودرین معنى شيخ سعدي گفته:

نه برباد رفتی سحر کاه وشام سریر سلیمان علیه السلام
بآخر ندیدی که برباد رفت خنک آنکه بادانش و دادرفت

سلیمان علیه السلام بعد از استماع این کلام روی بمناجات ملک علام کرد و گفت: ﴿وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك﴾ همزة أوزع للتعديّة. والوزع بمعنى الكف والمنع من التفرق والانتشار كما سبق. والمعنى اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه واربطه لا ينفلت عني بحيث لا أنفك عن شكرك أصلاً. سأل عليه السلام أن يجعله الله وازعاً لجيش شكره فتشبيه الشكر بالجماعة النافرة استعارة مكنية وإثبات الوزع والربط تخييل وقرينة لذلك التشبيه وفي الحديث: «النعمة وحشية قيدوها بالشكر» فإنها إذا شكرت قرت وإذا كفرت فرت. ومن كلمات أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر، أي من لم يشكر النعم الحاصلة لديه حرم النعم البعيدة عنه.

چون بیابی تونعمتی و رچند خرد باشد چو نقطه موهوم
شکر آن یافته فرو مگذار که زنیافته شوی محروم

﴿التي أنعمت علي﴾ من العلم والنبوة والملك والعدل وفهم كلام الطير ونحوها. ﴿وعلى والدي﴾ أي على والدي داود بن إيشا بالنبوة وتسبيح الجبال والطير معه وصنعة اللبوس وإلانة الحديد وغيرها وعلى والدتي بتشايع بنت البائن كانت امرأة أوريا التي امتحن بها داود وهي امرأة مسلمة زاكية طاهرة وهي التي قالت له: يا بني لا تكثرن النوم بالليل فإنه يدع الرجل فقيراً يوم القيامة كذا في «كشف الأسرار» وأدرج ذكر والديه فإن الإنعام عليهما إنعام عليه مستوجب للشكر ضرورة أن انتساب الابن إلى أب شريف نعمة من الله تعالى على ابن فيشكر بتلك النعمة.

والإشارة قال سليمان القلب: أنعمت علي وعلى والدي الروح بإفاضة الفيض الرباني وعلى والدتي الجسد باستعماله في أركان الشريعة وبهذين الأمرين تكمل النعمة اللهم اجعلنا منعمين شاكرين. ﴿وأن أعمل صالحاً ترضاه﴾ تماماً للشكر واستدامة للنعمة. ومعنى ترضاه بالفارسية: [پسندی آنرا].

قال أبو الليث: يعني تقبله مني ﴿وأدخلني﴾ الجنة ﴿برحمتك﴾ فإنه لا يدخل الجنة أحد إلا بالرحمة والفضل لا بالعمل ﴿ففي عبادك الصالحين﴾ في جملتهم وهم الأنبياء ومن تبعهم في الصلاح مطلقاً. قال ابن الشيخ: الصلاح الكامل هو أن لا يعصي الله تعالى ولا يهمل بمعصية وهو درجة عالية يطلبها كل نبي وولي وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحاً وتارة بإزالة ما فيه من الفساد والأول أعز وأندر ولذلك جاءت أوائل الأحوال لأكثر الرجال متكدرة مشوبة وبالحجب الكثيرة مصحوبة. [دربحر الحقائق آورده كه تشبيه كند وادي نمل را بهوای نفس حریص بردنیا ونمله مندره را بنفس لوامه وسليمان را بقلب ومساكن را بحواس خمسہ] فعلى العاقل أن يكون عالي الهمة على مشرب سليمان كما يدل عليه سيره في جو الهواء فإنه بعد عن الأرض وما تحويه قرب من السماء ومعالیه وإنما التفت إلى النملة تواضعاً كما قال الحافظ:

نظر کردن بدرویشان منافیء بزرگی نیست سلیمان باچنین حشمت نظرها بودبامورش

ومن یکن من اطيّار هواء العشق فإنه يفهم السنة الطير ومن لم ير سليمان الوقت كيف أدرك معنى الصوت:

چون ندیدی دمی سلیمانرا توجه دانی زبان مرغانرا

والمراد بسليمان هو المرشد الكامل الذي بيده خاتم الحقيقة وبه يحفظ أقاليم القلوب ويطلع على أسرار الغيوب فالكل ينقاد له إما طوعاً أو كرهاً والذي ينقاد كرهاً هو كالشياطين فلا بد من معرفة إمام الوقت والانقياد له طوعاً كما قال عليه السلام: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

ثم إن سليمان عليه السلام دعا بالثبات على الشكر والصلاح وختمه بسؤال الجنة كما فعل آباؤه الأنبياء الكرام وهو لا ينافي عصمته وكونه مأمون الغائلة بالنسبة إلى الخاتمة.

وفيه إرشاد للأمة أن يكونوا على حالة حسنة من الشريعة ومرتبة مرضية من الطريقة ومنصب شريف من المعرفة ومقام عال من الحقيقة فإن من لم ينضم إلى معرفته الشريعة ومعاملة العبودية فهو مع الهالكين الفاسقين في الدنيا والآخرة لا مع الأحياء الصالحين في الأمور الباطنة والظاهرة نسأل الله سبحانه أن يوفقنا للأعمال المرضية والأحوال الحسنة ويحلينا بخلق الزهد والتقوى وغيرها من الأمور المستحسنة إنه بالإجابة جدير وهو على كل شيء قدير.

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٦١﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿وتفقد الطير﴾.

قال في «القاموس»: تفقده طلبه عن غيبة.

وفي «كشف الأسرار»: التفقد طلب المفقود وإنما قيل له التفقد لأن طالب الشيء يدرك بعضه ويفقد بعضه.

وفي «المفردات»: التفقد التعهد لكن حقيقة التفقد تعرف فقدان الشيء والتعهد تعرف العهد المقدم. والطير اسم جامع للجنس كما في «الوسيط» والمعنى وتعرف سليمان أحوال الطير ولم ير الهدد فيما بينها وكان رئيس الهداهد واسمه يعفور ﴿فقال ما لي﴾ أي أي شيء حصل لي حال كوني ﴿لا أرى الهدد﴾ لسائر ستره أو لشيء آخر ثم بدا له أن كان غائباً فأضرب عنه فأخذ يقول: ﴿أم كان من الغائبين﴾ بل أهو غائب فأم منقطعة مقدرة ببل والهمزة. وبالفارسية [چيست مراکه درخیل طیر نمی بینم هدهد را یا چشم من یروی نمی افتد یاهست ازغائب شد کان زین جمع].

وفي «الوسيط» ما لي لا أرى الهدد أي ما للهدد لا أراه تقول العرب: ما لي أراك كثيراً معناه مالك ولكنه من القلب الذي يوضحه المعنى.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الواجب على الملوك التيقظ في مملكتهم وحسن قيامهم وتكفلهم بأمور رعاياهم وتفقد أصغر رعيته كما يتفقدون أكبرها بحيث لم يخف عليهم غيبة الأصاغر والأكابر منهم كما أن سليمان عليه السلام تفقد حال أصغر طير من الطيور ولم يخف عليه غيبته ساعة ثم غاية شفقتة على الرعية أحال النقص والتقصير إلى نفسه فقال: ﴿ما لي لا أرى الهدد﴾ وما قال: ما للهدد لم أراه لرعاية مصالح الرعية وتأديبهم قال: ﴿أم كان من الغائبين﴾ يعني من الذين غابوا عني بلا إذني.

وفي «حياة الحيوان»: الهدد منتن الريح طبعاً لأنه يبني أفحوصه في الزبل وهذا عام في جنسه وإن بخر المجنون بعرف الهدد أبرأه ولحمه إذا بخر به معقود عن المرأة أو مسحور أبرأه.

وفي «الفتاوى الزينية»: سئل عن أكل الهدهد أيجوز أم لا أجاب نعم يجوز انتهى . ثم هدده إن لم يكن عذر لغيبته فقال :

﴿لأعذبه عذاباً شديداً﴾ العذاب الإيذاء الشديد وعذبه تعذيباً أكثر حبسه في العذاب أي لأعذبه تعذيباً شديداً كنتف ريشه وإلقائه في الشمس أو حيث النمل تأكله أو جعله مع ضده في قفص وقد قيل : أضيق الشجون معاشرة الأضداد أو بالتفريق بينه وبين إلفه بالفارسية [جفت] .

وقيل : لأزوجنه بعجوز كما في «إنسان العيون» أو لألزمه خدمة أقران [يا ازخدمت خودش برآتم] كما قال في «التأويلات» : لأعذبه بالطرد عن الحضرة والإسقاط عن عيني الرضى والقبول .

وفي «الأسئلة المقحمة» : ما معنى هذا الوعيد لمن لم يكن مكلفاً بشيء؟ والجواب هذا الوعيد بعذاب تأديب وغير المكلف يؤدب كالدابة والصبي وكان يلزمه طاعته فاستحق التأديب على تركها .

وفي «التأويلات النجمية» : يشير إلى أن الطير في زمانه كانت في جملة التكليف ولها وللمسخرين لسليمان من الحيوان والجن والشياطين تكاليف تناسب أحوالهم ولهم فهم وإدراك وأحوال كأحوال الإنسان في قبول الأوامر والنواهي معجزة لسليمان عليه السلام . ﴿أو لأذبحنه﴾ لتعتبر به أبناء جنسه أو حتى لا يكون له نسل .

وفي «التأويلات» : أو لأذبحنه في شدة العذاب وأصل الذبح شق حلق الإنسان . ﴿أو ليأتيني﴾ أصله ليأتيني بثلاث نونان حذفت النون التي قبل ياء المتكلم ﴿بسلطان مبين﴾ بحجة تبين عذره : وبالفارسية . [ياياید بمن بحجتي روشن كه سبب غيبت أو كردد] يشير إلى أن حفظ المملكة يكون بمال السياسة وكمال العدل فلا يتجاوز عن جرم المجرمين ويقبل منهم العذر الواضح بعد البحث عنه والحلف في الحقيقة على أحد الأولين على عدم الثالث فكلمة أو بين الأولين للتخيير وفي الثالث للترديد بينه وبينهما . حكى : أنه لما أتم بناء بيت المقدس خرج للحج وأقام بالحرم ما شاء وكان يتقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على المسير إلى اليمن فخرج من مكة صباحاً يؤم سهيلاً فوافى صنعاء اليمن وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضاً حسناً أعجبه خضرتها فنزل يصل فلم يجد الماء وكان الهدهد دليل الماء حيث يراه تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجا ويعرف قربه وبعده فيدل على موضعه بأن ينقره بمنقاره فيجيء الشياطين فيسلخون الأرض كما يسلك الإهاب عن المذبوح ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وأما أنه يوضع الفخ ويغطي بالتراب فلا يراه حتى يقع فيه فلأن القدر إذا جاء يحول دون البصر وقد كان حين نزل سليمان ارتفع الهدهد إلى الهواء لينظر إلى عرصة الدنيا فرأى هدهداً آخر اسمه عنفير واقفاً فاحط إليه أي في الهواء فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء ووصف له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف فذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر وذلك قوله تعالى :

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحُطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاكِزٍ ۖ يَفِينِ ۖ﴾ (٢٢)

﴿فمكث﴾ المكث ثبات مع انتظار . ﴿غير بعيد﴾ أي : زماناً غير مديد يشير إلى أن الغيبة

وإن كانت موجبة للعذاب الشديد وهو الحرمان من سعادة الحضور ومنافعه ولكنه من أمارات السعادة سرعة الرجوع وتدارك الفائت وذكر أنه أصابه من موضع الهدهد شمس فنظر فإذا موضعه خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد علمه عنده ثم قال لسيد الطير وهو العقاب عليّ به فارتفعت فنظرت فإذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله تعالى وقال: بحق الذي قواك وأقدرك إلا رحمتي فتركته وقالت: ثكلتك أمك إن نبي الله حلف ليعذبك قال: أو ما استثنى قالت: بلى قال: أو ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرحهما على الأرض تواضعاً له فلما دنا منه أخذ عليه السلام برأسه فمده إليه فقال: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان [وكففته اندكده باهدهد كفت چه كويي كه پروبال بكنم و تراباً فتاب كرم افكنم هدهد كفت دائم كه نكنى كه اين كار صياد انست نه كار پيغمبر آن سليمان كفت كلوت ببرم كفت دائم كه نكنى كه اين كار قصا بانست نه كار پيغمبران كفت ترا باناجنس در قفص كنم كفت اين هم نكنى كه اين كار نا جوانمردانست و پيغمبران ناجوا نمرود نباشند سليمان كفت اكنون تويكوي كه باتوجه كنم كفت عفو كنى ودر كذاركه عفو كار پيغمبران وكرىما نست] فعفا عنه ثم سأله ﴿فقال أحطت﴾ الإحاطة العلم بالشيء من جميع جهاته ﴿بما لم تحط به﴾ أي علماً ومعرفة وحفظته من جميع جهاته وذلك لأنه كان مما لم يشاهده سليمان ولم يسمع خبره من الجن والإنس يشير إلى سعة كرم الله ورحمته بأن يختص طائراً بعلم لم يعلمه نبي مرسل وهذا لا يقدر في حال النبي والرسول بأن لا يعلم علماً غير نافع في النبوة فإن النبي عليه السلام كان يستعبد بالله منه فيقول: «أعوذ بك من علم لا ينفع» والحاصل أن الذي أحاط به الهدهد كان من الأمور المحسوسة التي لا تعد الإحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف إدراكها إلا على مجرد إحساس يستوي فيه العقلاء وغيرهم.

وفي «الأسئلة المقحمة»: هذا سوء أدب في المخاطبة فكيف واجهه بمثله وقد احتمله والجواب لأنه عقبه بفائدة والخشونة المصاحبة لفائدة قد يحتملها الأكابر انتهى. ثم أشار إلى أنه بصدد إقامة خدمة مهمة له كما قال: ﴿وجئتك من سبأ﴾ [وآمدم بتو از شهر سباكه مآرب كویند] ﴿بنبا یقین﴾ بخبر خطير محقق لا شك فيه يشير إلى أن من شرط المخبر أن لا يخبر عن شيء إلا أن يكون متيقناً فيه سيما عند الملوك. وسبأ منصرف على أنه اسم لحي باليمن سموا باسم أبيهم الأكبر وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا: اسمه عبد الشمس لقب به لكونه أول من سبى ثم سمى مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام وقيل: إن سبأ أول من تتوج من ملوك اليمن وكان له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة. يعني [چهار ازیشان درشام مسکن داشتند لخم وجذام وعامله وغسان وشش دریمن کنده واشعر وازد ومذحج وینمار] قالوا: یا رسول الله وما أنمار؟ قال: «والد خثعم وبجيلة» وقال في «المفردات»: سبأ اسم مكان تفرق أهله ولهذا يقال: ذهبوا أيادي سبأ أي تفرقوا تفرق أهل ذلك المكان من كل جانب انتهى.

قال بعضهم: إنما خفي نبأ بلقيس على سليمان مع قربه منها لأنه كان نازلاً بصنعاء وهي بمأرب وبينهما مسيرة ثلاثة أيام كما سبق آنفاً أو ثلاثة فراسخ أو ثلاثة أميال لمصلحة رآها الله تعالى كما خفي على يعقوب مكان يوسف.

كهی بر طارم اعلی نشینم كهی بر پشت پای خود نبینم

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ .

﴿إني وجدت امرأة تملكهم﴾ استئناف لبيان ما جاء به من النبأ وإثارة وجدته على رأيت لأنه أراه عليه السلام كونه عند غيبته بصدد خدمته بإبراز نفسه في معرف من يتفقد أحوال تلك المرأة كأنها ضالة ليعرضها على سليمان والضمير في تملكهم لسبأ على أنه اسم للحبي أو لأهل المدلول عليهم بذكر مدينتهم على أنه اسم لها . يعني أنها تملك الولاية والتصرف عليهم ولم يرد به ملك الرقبة والمراد بها بلقيس بنت شرجيل بن مالك بن ريان من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها ورث الملك من أربعين أباً ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على الملك ودانت لها الأمة وكانت هي وقومها يعبدون النار وكان يقول أبوها لملوك الأطراف: ليس أحد منكم كفواً وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه امرأة من الجن يقال لها: قارعة أو ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس وتسمى بلقة وبلقيس بالكسر كما في «القاموس»: وهذا يدل على إمكان العلوق بين الإنسي والجنّي وذلك فإن الجن وإن كانوا من النار لكنهم ليسوا بباقيين على عنصرهم الناري كالإنس ليسوا بباقيين على عنصرهم الترابي فيمكن أن يحصل ازدواج بينهما على ما حقق في «آكام المرجان» روي: أن مروان الحمار أمر بتخريب تدمر كتناصر بلد بالشام فوجدوا فيها بيتاً فيه امرأة قائمة ميتة أمسكوها بالصبر أحسن من الشمس قامتها سبعة أذرع وعنقها ذراع عندها لوح فيه أنا بلقيس صاحبة سليمان بن داود خرب الله ملك من يخرب بيتي . ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ أي من الأشياء التي يحتاج إليها الملوك من الخيل والحشم والعدد والسياسة والهيبة والحشمة والمال والنعيم .

قال بعض العارفين: ما ذكر وصف جمالها وحسنها بالتصريح لأنه علم أن ذلك من سوء الأدب وفي الحديث: «إن أحسن الحسن الوجه الحسن والصوت الحسن والخلق الحسن» .

قال ذو النون: من استأنس بالله استأنس بكل شيء مريح وذلك لأن حسن كل مستحسن صدر من معدن حسن الأزل وأما من لم يستأنس بالله فاستثناسه بالمريح على وجه مجازي . ﴿ولها عرش عظيم﴾ أي: بالنسبة إلى حالها أو إلى عروش أمثالها من الملوك والعرش في الأصل شيء مسقف ويراد به سرير كبير وكان عرش بلقيس ثمانين ذراعاً في ثمانين ذراعاً وطوله في الهواء ثمانين ذراعاً مقدمة من ذهب مفصص بالياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر ومؤخره من فضة مكلل بأنواع الجواهر له أربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من ياقوت أخضر وقائمة من زبرجد وقائمة من در وصفائح السرير من ذهب وعليه سبعة أبيات لكل بيت باب مغلق وكان عليه من الفرش ما يليق به .

﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ أي يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى: ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ أي: حسن لهم أعمالهم القبيحة التي هي عبادة الشمس ونظائرها من أصناف الكفر والمعاصي . ﴿فصدهم﴾ منعهم بسبب ذلك . ﴿عن السبيل﴾ أي سبيل الحق والصواب والسبيل من الطريق ما هو معتاد السلوك . ﴿فهم﴾ بسبب ذلك ﴿لا يهتدون﴾ إليه .

﴿أَنْ لَا يَسْجُدُوا﴾ مفعول له للصد على حذف اللام منه أي فسدهم لثلاث سجودوا وهو ذم لهم على ترك السجود فلذا وجب السجود عند تمام هذه الآيات. ﴿اللَّهُ الَّذِي يَخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الخبأ يقال للمدخر المستور أي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيها كائناً ما كان كالثلج والمطر والنبات والماء ونحوها. ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَخْفُونَ﴾ في القلوب ﴿وَمَا تَعْلَنُونَ﴾ بالألسنة والجوارح وذكر ما تعلنون لتوسيع دائرة العلم للتنبيه على تساويهما بالنسبة إلى العالم الإلهي.

برو علم يك ذره پوشیده نیست که پنهان و پیدا بنزدش یکیست

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ يَكْتَنِي هَذَا فَأَلْفَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظَرَ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾.

﴿الله﴾ مبتدأ ﴿لا إله إلا هو﴾ الجملة خبره ﴿رب العرش العظيم﴾ خبر بعد خبر وسمي العرش عظيماً لأنه أعظم ما خلق الله من الأجرام فعظم عرش بلقيس بالنسبة إلى عروش أمثالها من الملوك وعظم عرش الله بالنسبة إلى السماء والأرض فبين العظمين تفاوت عظيم [چه نسبت است سهارا بافتاب درخشان].

قال في «المفردات»: عرش الله تعالى مما لا يعلمه البشر إلا بالاسم على الحقيقة.

واعلم أن ما حكى الله عن الهدهد من قوله: ﴿الَّذِي يَخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ إلى ههنا ليس داخل تحت قوله: ﴿أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تَحْطُ بِهِ﴾ وإنما هو من العلوم والمعارف التي اقتبسها من سليمان أورده بياناً لما هو عليه وإظهاراً لتصلبه في الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه السلام نحو قبول كلامه وصرف عنان عزمته إلى غزوها وسخير ولايتها، وفي الحديث: «أنهاكم عن قتل الهدهد فإنه كان دليل سليمان على قرب الماء وبعده وأحب أن يعبد الله في الأرض حيث يقول: وجئتكم من سبأ نبأ يقين إني وجدت امرأة تملككم» الآيات قيل: إن أبا قلابه الحافظ الإمام العالم عبد الملك بن محمد الرقاش رأت أمه وهي حامل به كأنها ولدت هدهداً فقيل لها: إن صدقت رؤياك تلدين ولداً كثير الصلاة فولدت فلما كبر كان يصلي كل يوم أربعمائة ركعة وحدث من حفظه بستين ألف حديث مات سنة ست وسبعين ومائتين وهذا أي قوله: ﴿رب العرش العظيم﴾ محل سجود بالاتفاق كما في «فتح الرحمن».

وقال الكاشفي: [ابن سجده هشتم است بقول إمام أعظم رحمه الله ونهم بقول إمام شافعي رحمه الله ودر فتوحات ابن سجده را سجده خفی میگوید وموضع سجود مختلف فيه است بعضی از قرائت وما تعلنون سجده میکنند وبعضی پس از تلاوت رب العرش العظيم.

سرت بسجده در آرار هو ای حق داری که سجده شد سبب قرب حضرت باری

﴿قال﴾ استئناف بياني كأنه قيل: فما فعل سليمان بعد فراغ الهدهد من كلامه؟ فقيل:

﴿سنتظر﴾ فيما أخبرتنا من النظر بمعنى التأمل والسين للتأكيد أي لنعرف بالتجربة البتة.

وقال الكاشفي: [زود باشدکه درنکریم وتأمل کنیم درین که] «أصدقت» فيما قلت ﴿أم كنت من الكاذبين﴾ وفي هذا دلالة على أن خبر الواحد وهو الحديث الذي يرويه الواحد والاثنتان فصاعداً ما لم يبلغ حد الشهرة والتواتر لا يوجب العلم فيجب التوقف فيه على حد التجويز.

وفيه دليل على أن لا يطرح بل يجب أن يتعرف هل هو صدق أو كذب فإن ظهرت أمارات صدقه قبل وإلا لم يقبل.

قال بعضهم: سليمان عليه السلام [ملك ومال وجمال بلقيس بشنيد ودروي اثرنكرد وطمع در آن نیست بازچون حديث دين كردكه] «وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله» متغير كشت وازمهر دين إسلام درخشم شد كفت كاغد ودوات بياريد تانامه نويسم واورا بدین إسلام دعوت كنم.

فكتب أي في المجلس أو بعده كتاباً إلى بلقيس فقال فيه: «من عبد الله سليمان بن داود إلى ملكة سبأ بلقيس بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا عليّ وأثوني مسلمين» ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه المنقوش على فسه اسم الله الأعظم ودفعه إلى الهدهد فأخذه بمنقاره أو علقه بخيط وجعل الخيط في عنقه وقال:

«أذهب بكتابي هذا» [ببراین نوشته مرا] فتكون الباء للتعدية وتخصيصه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من أبناء الجن الأقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من علامات العلم والحكمة وصحة الفراسة ولثلا يبقى لها عذر.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه لما صدق فيما أخبر وبذل النصيح لملكه وراعى جانب الحق عوض عليه حتى أهل لرسالة رسول الحق على ضعف صورته ومعناه. «فألقه إليهم» أي: اطرحه على بلقيس وقومها لأنه ذكرهم معها في قوله: وجدتها وقومها.

وفي «الإرشاد»: وجمع الضمير لما أن مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل إلى الإسلام. قوله: ألقه بسكون الهاء تخفيفاً لغة صحيحة أو على نية الوقف، يعني أن أصله ألقه بكسر القاف والهاء على أنه ضمير مفعول راجع إلى الكتاب فجزم لما ذكر. «ثم تول عنهم» أي أعرض عنهم بترك وليهم وقربهم وتبعد إلى مكان تتوارى فيه وتسمع ما يجيبونه «فانظر» تأمل وتعرف «ماذا يرجعون» أي ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول: [وسخن را برچه قرار میدهند].

قال ابن الشيخ: ماذا اسم واحد استفهام منصوب بيرجعون أو مبتدأ وذا بمعنى الذي ويرجعون صلتها والعائد محذوف أي أي شيء الذي يرجعونه. روي: أن الهدهد أخذ الكتاب وأتى بلقيس فوجدها راقدة في قصرها بمأرب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وألقى الكتاب على نحرها وهي مستلقية وتأخر يسيراً فانتهت فزعة وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكاً منها لطاعة الطير إياه وهيئة الخاتم فعند ذلك.

﴿قَالَتْ يَأْئِيهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿قالت﴾ لأشرف قومها وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أو اثنا عشر ألفاً ﴿يا أيها الملأ﴾ [أي كروه اشراف].

والملأ عظماء القوم الذين يملؤون العيون مهابة والقلوب جلاله جمعه أملاء كنبأ وأنباء ﴿إني ألقى إليّ كتاب كريم﴾ مكرم على معظم لدي لكونه مختوماً بخاتم عجيب وأصلاً على

نهج غير معتاد كما قال في «الأسئلة المقحمة»: معجزة سليمان كانت في خاتمه فختم الكتاب بالخاتم الذي فيه ملكه فأوقع الرعب في قلبها حتى شهدت بكرم كتابه إظهاراً لمعجزته انتهى .

ويدل على أن الكريم هنا بمعنى المختوم قوله عليه السلام: «كرم الكتاب ختمه» وعن ابن عباس بزيادة وهو قوله تعالى: ﴿إني ألقى إلي كتاب كريم﴾ كما في «المقاصد الحسنة» للسخاوي . وكان عليه السلام «يكتب إلى العجم فليل: إنهم لا يقبلون إلا كتاباً عليه خاتم فاتخذ لنفسه خاتماً من فضة ونقش فيه محمد رسول الله وجعله في خنصر يده اليسرى» على ما رواه أنس رضي الله عنه . ويقال: كل كتاب لا يكون مختوماً فهو مغلوب .

وفي «تفسير الجلالين»: كريم أي حسن ما فيه انتهى كما قال ابن الشيخ في أوائل سورة الشعراء: كتاب كريم أي مرضي في لفظه ومعانيه أو كريم شريف لأنه صدر بالبسملة كما قال بعضهم: [چون مضمون نامه نام خداوند بوده پس آن نامه بزرگترین و شریفترین همه نامهها باشد] .

أي نام توبهترین سر آغاز بی نام تونامه چون کنم باز
آرایش نامها ست نامت آسایش سینها کلامت
وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الكتاب لما كان سبباً لهدايتها وحصول إيمانها سمته كريماً لأنها بكرامته اهتمت إلى حضرة الكريم .
قال بعضهم: لاحترامها الكتاب رزقت الهداية حتى آمنت كالسحرة لما قدموا في قولهم:
يا موسى إنا أن تلقى وراعوا الأدب رزقوا الإيمان ولما مزق كسرى كتاب رسول الله ﷺ مزق الله ملكه وجازاه على كفره وعناده .

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَاتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿إنه من سليمان﴾ كأنه قيل: ممن هو وماذا مضمونه؟ فقالت: إنه من سليمان ﴿وإنه﴾ أي مضمونه أو المكتوب فيه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الباء بقاؤه والسين سناؤه والميم ملكه والألف أحديته واللامان جماله وجلاله والهاء هويته والرحمان إشارة إلى رحمته لأهل العموم في الدنيا والآخرة والرحيم إشارة إلى رحمته لأهل الخصوص في الآخرة .

قال بعض الكبار: إنها بسملة براءة في الحقيقة ولكن لما وقع التبري من أهلها أعطيت للبهائم التي آمنت بسليمان واكتفى في أول السورة بالباء إذ كل شيء في الوجود الكوني لا يخلو من رحمة الله عامة أو خاصة وهذه البسملة ليست بآية تامة مثل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ يَجْرِبُهَا وَرُسُهَا﴾ [هود: ٤١] بخلاف ما وقع في أوائل السور فإنها آية منفردة نزلت مائة وأربع عشرة مرة عدد السور [هرحر في ازين آيت ظرفی است شراب رحيق را وهر كلمتي صدفی است دره تحقيق را هر نقطه زوكوكبي است آسمان هدايترا ونجم رجمي است مر أصحاب غوايت را]: قال المولى الجامي في حق البسملة:

نوزده حرفست كه هرژه هزار عالم ازو يافته فيض عميم
﴿أن﴾ مفسرة أي: ﴿لا تعلموا علي﴾ لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك . وبالفارسية:
[بر من بزرگی مکنید] ﴿واتونني مسلمين﴾ حال كونكم مؤمنين فإن الإيمان لا يستلزم الإسلام والانقياد دون العكس .

قال قتادة: وكذلك كانت الأنبياء عليهم السلام تكتب جملأ لا تطيل يعني أن هذا القدر الذي ذكره الله تعالى كان كتاب سليمان وليس الأمر فيه بالإسلام قبل إقامة الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد فإن إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالة مرسلها دلالة بينة.

يقول الفقير: يكفي في هذا الباب حصول العلم الضروري بصدق الرسول وإلا فهي لا تستبعد كون الإلقاء المذكور بتصرف من الجن وقد كان الجن يظهرون لها بعض الخوارق ومنها صنعة العرش العظيم لها لأن أمها كانت جنية فاعرف.

﴿قَالَتْ يَأْتِيَنَّكَ أَلْفُ أَلْفٍ أَفْتَوْيَ فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ (٣٢) ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوَّلُوا قُوَّةً وَأَوَّلُوا بَأْسًا شَدِيدًا وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (٣٣).

﴿قالت﴾ كررت حكاية قولها للإيدان بغاية اعتنائها بما في حيزه من قولها: ﴿يا أيها الملأ أفتوني في أمري﴾ أجيوني في الذي ذكرت لكم واذكروا ما تستصوبون فيه. وبالفارسي: [فتوى دهيد مرا دركار من وأنچه صلاح و صواب باشد با من بگوئيد] وعبرت عن الجواب بالفتوى الذي هو الجواب في الحوادث المشكلة غالباً إشعاراً بأنهم قادرون على حل المشكلات النازلة.

قال بعضهم: الفتوى من الفتى وهو الشاب القوي وسميت الفتوى لأن المفتي أي المجيب الحاكم بما هو صواب يقوي السائل في جواب الحادثة. ﴿ما كنت قاطعة أمراً﴾ فاصلة ومنفذة أمراً من الأمور. ﴿حتى تشهدون﴾ تحضروني، أي لا أقطع أمراً إلا بمحضركم وبموجب آرائكم. وبالفارسية: [تا شما نزد من حاضر كرديد يعني بي حضور ومشورت شما كاري نميكنيم] وهو استمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها في الرأي والتدبير.

وفيه إشارة إلى أن المرء لا ينبغي أن يكون مستبدأ برأيه ويكون مشاوراً في جميع ما سنع له من الأمور لا سيما الملوك يجب أن يكون لهم قوم من أهل الرأي والبصيرة فلا يقطعون أمراً إلا بمشاورتهم:

مشورت رهبر صواب آمد در همه كار مشورت بايد

كار آنكس كه مشورت نكند غايتش غالباً خطا آيد

﴿قالوا﴾ كأنه قيل: فماذا قالوا في جوابها؟ فقيل: قالوا: ﴿نحن أولو قوة﴾ ذوو قوة في الآلات والأجساد والعدد. ﴿وأولو بأس شديد﴾ أي نجدة وشجاعة في الحرب وهذا تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك. ﴿والأمر﴾ مفوض ﴿إليك فانظري﴾ [پس درنكر وبيين] ﴿ماذا تأمرين﴾ تشيرين علينا.

قال الكاشفي: [تاچه ميفرماي از مقاتله ومصالحه].

اكر جنك خواهي بنزد آوريم دل دشمنانرا بدرد آوريم

وكر صلح جويي ترا بنده ايم بتسليم حكمت سرافكننده ايم

وفيه إشارة إلى أن شرط أهلي المشاورة أن لا يحكموا على الرئيس المستشار بشيء بل يخبرونه فيما أراد من الرأي الصائب فلعله أعلم بصلاح حاله منهم:

خلاف رأي سلطان رأي جستن بخون خویش باشد دست شستن

فلما أحست بلقيس منهم الميل إلى الحرب والعدول عن سنن الصواب بادعائهم القوي الذاتية والعرضية شرعت في تزييف مقالتهم المنبئة عن الغفلة عن شأن سليمان .
قال الكاشفي : [بلقيس كفت مارا مصلحت جنك ليست چه كاحرب در روى دارد اكر ايشان غالب آيند ديار وأموال ما عرضه تلف شود] كما قال تعالى :

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۚ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ ۚ يَمَّ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ .

﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية﴾ من القرى ومدينة من المدن على منهاج المقاتلة والحرب . ﴿أفسدوها﴾ بتخريب عمارتها وإتلاف ما فيها من الأموال ﴿وجعلوا أعزة أهلها﴾ جمع عزيز بمعنى القاهر الغالب والشريف العظيم من العزة وهي حالة مانعة للإنسان من أن يغلب . ﴿أذلة﴾ جمع ذليل . وبالفارسية [خوار وبيمقدار] أي بالقتل والأسر والإجلاء وغير ذلك من فنون الإهانة والإذلال . ﴿وكذلك يفعلون﴾ [وهمجنين ميكنند] وهو تأكيد لما قبله وتقدير بأن ذلك من عادتهم المستمرة فيكون من تمام كلام بلقيس ويجوز أن يكون تصديقاً لها من جهة الله تعالى أي وكما قالت هي تفعل الملوك .

وفيه إشارة إلى أن العاقل مهما تيسر له دفع الخصوم بطريق صالح لا يوقع نفسه في خطر الهلاك بالمحاربة والمقاتلة بالاختيار إلا أن يكون مضطراً .

قال بعضهم : من السؤدد الصلح وترك الإفراط في الغيرة .

وفيه إشارة أخرى وهي أن ملوك الصفات الربانية إذا دخلوا قرية الشخص الإنساني بالتجلي أفسدوها بإفساد الطبيعة الإنسانية الحيوانية . ﴿وجعلوا أعزة أهلها﴾ وهم النفس الأمانة وصفاتها . ﴿أذلة﴾ لذوليتهم بسطوات التجلي . ﴿وكذلك يفعلون﴾ مع الأنبياء والأولياء لأنهم خلقوا لمرآتية هذه الصفات إظهاراً للكنز المخفي فيكون قوله : إن الملوك الخ نعت العارف كما قال أبو يزيد البسطامي قدس سره .

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه : أشار إلى قلوب المؤمنين فإن المعرفة إذا دخلت القلوب زال عنها الأمانى والمرادات أجمع فلا يكون القلب محل غير الله .

وقال ابن عطاء رحمه الله : إذا ظهر سلطان الحق وتعظيمه في القلب تلاشى الغفلات واستولت عليه الهيبة والإجلال ولا يبقى فيه تعظيم شيء سوى الحق فلا تشتغل جوارحه إلا بطاعته ولسانه إلا بذكره وقلبه إلا بالإقبال عليه .

قال بعضهم : من قوبل باسمه الملك رأى نفسه في قبضته فسلم له في مملكته وقام بحق حرمة على بساط خدمته .

وفي «الفتوحات المكية» : للملك أن يعفو عن كل شيء إلا عن ثلاثة أشياء وهي التعرض للحرم وإفشاء سره والقدح في الملك نسأل الله حسن الأدب في طريق الطلب .

﴿وإني مرسله إليهم﴾ إلى سليمان وقومه رسلاً ﴿بهدية﴾ عظيمة وهي اسم للشيء المهدي بملاطفة ورفق .

قال في «المفردات» : الهدية مختصة باللفظ الذي يهدى بعضنا إلى بعض ﴿فناظرة﴾ .

قال في «كشف الأسرار» : الناظر ههنا بمعنى المنتظر .

وقال الكاشفي: [پس نکرنده أم که از آنجا] ﴿بِم﴾ أصله بما على أنه استفهام أي بأي شيء ﴿يرجع المرسلون﴾ بالجواب من عنده حتى أعمل بما يقتضيه الحال. روي: إنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحلّهن كالأساور والأطواق والقرطة مخضبي الأيدي راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زيّ الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وفي «المثنوي»:

هدیه بلقیس چهل اشتر بدست بار آنها جمله خشت زر بدست
وتاجاً مکلاً بالدر والیاقوت المرتفع قيمة والمسک والعنبر وحقة فيها درة ثمينة عذراء أي
غير مثقوبة وخرزة جزعية معوجة الثقب وکتبت کتاباً فيه نسخة الهدايا وبعثت بالهدية رجلاً
بالأشراف قومها يقال له: المنذر بن عمرو وضمت إليه رجلاً من قومها ذوي رأي وعقل
وقالت: إن كان نبياً ميز بين الغلمان والجواري وأخبر بما في الحقبة قبل فتحها وثقب الدرة ثقباً
مستوياً وسلك في الخرزة خيطاً ثم قالت للمنذر: إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا
يهولنك منظره وإن رأيته هشاً لطيفاً فهو نبي فأقبل الهدهد نحو سليمان مسرعاً فأخبره الخبر فأمر
سليمان الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوها في ميدان بين يديه طوله ستة فراسخ وجعلوا
حول الميدان حائطاً شرفاته من الذهب والفضة [يعني کرد میدان دیوار بر آوردند وبر سر دیوار
شرف زرین وسیمین بستند] وأمر بأحسن الدواب التي في البر والبحر.

قال في «كشف الأسرار»: [چهار پایان بحري بنقش پلنک از رنکهای مختلف آوردند]
فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا على
اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبه. يعني [چهار هزار کرسی زر ازراست
وي وچهار هزار ازچپ وي نهاده] واصطفت الشياطين صفوفاً فراسخ والإنس صفوفاً والوحش
والسباع والهوام كذلك [ومرغان در روی هوا پرده بافتند باصد هزار دیده فلک در هزار قرن
مجلس بدان تکلف وخوبی ندیده بود] فلما دنا رسل بلقيس نظروا وبهتوا ورأوا الدواب تروث
على اللبن. وفي «المثنوي»:

چون بصحراي سليماني رسيد	فرش آنرا جمله زر بچته ديد
بارها گفتند زرا وابریم	سوی مخزن ما بچه کار اندریم
عرصه کش خاک زر ده دهیست	زر بهدیه بردن آنجا ابله‌یست
فكان حالهم كحال أعرابي أهدى إلى خليفة بغداد جرة ماء فلما رأى دجلة خجل وصبه:	
باز گفتند اركسداد وارروا	چیست برما بنده فرمانیم ما
کر زر وکرخاک مارا بردنیست	أمر فرمانده بجای آوردنیست
کر بفرمایند که کین واپس برید	هم بفرمان تحفه را باز آورید

وجعلوا يمرون بكراديس الجن والشياطين فيفزعون وكانت الشياطين يقولون: جوزوا ولا
تخافوا فلما وقفوا بين يدي سليمان نظر إليهم بوجه حسن طلق وقال: ما وراءكم: يعني [چه
داريد وبچه آمدید] فأخبر المنذر الخبر وأعطى كتاب بلقيس فنظر فيه فقال أين الحقبة؟ فجيء بها
فقال: إن فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزعية معوجة الثقب وذلك بإخبار جبريل عليه
السلام ويحتمل أن يكون بإخبار الهدهد على ما يدل عليه سوق القصة [سليمان جن وإنس را
حاضر کرد وعلم ثقب وسلك نزدیک ایشان نبود شياطين را حاضر کرد واز ایشان پرسید گفتند]

ترسل إلى الأرضة فجاءت الأرضة فأخذت شعرة في فيها فدخلت في الدرة وثقبتها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال سليمان: ما حاجتك؟ فقالت: تصير رزقي في الشجر قال: لك ذلك ثم قال: من لهذه الخرزة يسلكها الخيط؟ فقالت دودة بيضاء: أنا لها يا أمين الله فأخذت الخيط في فيها ونفذت في الخرزة حتى خرجت من الجانب الآخر فقال سليمان: ما حاجتك؟ قالت: تجعل رزقي في الفواكه قال: لك ذلك أي جعل رزقها فيها فجمع سليمان بين طرفي الخيط وختمه ودفعها إليهم.

قال الكاشفي: [سليمان آب طلبید غلمان وجواری را فرمود که از غبارراه روی بشوید] يعني ميز بين الجواري والغلمان بأن أمرهم بغسل وجوههم وأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء بإحدى يديها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كان يأخذه من الأنية ويضرب به وجهه ثم رد الهدية وقد كانت بلقيس قالت: إن كان ملكاً أخذ الهدية وانصرف وإن كان نبياً لم يأخذها ولم نأمنه على بلادنا وذلك قوله تعالى.

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَيْنِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَيْتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فلما جاء﴾ أي: الرسول المبعوث من قبل بلقيس ﴿سليمان﴾ بالهدية ﴿قال﴾ أي مخاطباً للرسول والمرسل تغليياً للحاضر على الغائب أي قال بعد ما جرى بينه وبينهم من قصة الحقبة وغيرها لا أنه خاطبهم به أول ما جاؤوه كما يفهم من ظاهر العبارة ﴿أتمدون﴾ أصله أتمودني فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة الدالة عليها والهمزة الاستفهامية للإنكار. والإمداد [مدد كردن] ويعدى إلى المفعول الثاني بالياء. والمعنى بالفارسية [آيا مدد ميدهيد مرا وزيادتي] ﴿بمال﴾ حقير وسمي مالا لكونه مائلاً أبداً ونائلاً ولذلك يسمى عرضاً وعلى هذا دل من قال: المال قحبة يكون يوماً في بيت عطار ويوماً يكون في بيت ييطار كما في «المفردات»: ثم علل هذا الإنكار بقوله: ﴿فما﴾ موصولة ﴿آتاني الله﴾ مما رأيت آثاره من النبوة والملك الذي لا غاية وراءه ﴿خير مما آتاكم﴾ من المال ومتاع الدنيا فلا حاجة إلى هديتكم ولا وقع لها عندي.

آنکه پرواز کند جانب علوی چو همای
دنیایی اندر نظر همت او مردارست
وفي «المثنوي»:

من سليمان مي نخواهم ملكتان
از شما كي كديه زر ميكنيم
ترك اين كيريد كر ملك سياست
تخته بنداست آنكه تختش خوانده
صدر پنداري و بر درمانيده

قال جعفر الصادق: الدنيا أصغر قدراً عند الله وعند أنبيائه وأوليائه من أن يفرحوا بشيء منها أو يحزنوا عليه فلا ينبغي لعالم ولا لعاقل أن يفرح بعرض الدنيا.

مال دنیا دام مرغان ضعیف ملك عقبی دام مرغان شریف

﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ المضاف إليه المهدي إليه. والمعنى بل أنتم بما يهدي إليكم تفرحون حباً لزيادة المال لما إنكم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا هذا هو المعنى المناسب لما سرد من القصة.

وفي «الإرشاد»: إضراب عما ذكر من إنكار الإمداد بالمال إلى التوبيخ بفرحهم بهديتهم

التي أهدوها إليه افتخاراً وامتناناً واعتداداً بها كما ينبىء عنه ما ذكر من حديث الحق والجزة وتغيير زي الغلمان والجواري وغير ذلك انتهى .

يقول الفقير : فيه إنهم لما رأوا ما أنعم الله به على سليمان من الملك الكبير استقلوا بما عندهم حتى هموا بطرح اللبنة إلا أنه منعهم الأمانة من ذلك فكيف امتنوا على سليمان بهديتهم وافتخروا على أن حديث الحق ونحوه إنما كان على وجه الامتحان لا بطريق الهدية كما عرف .

وفي «التأويلات» : يشير إلى أن الهدية موجبة لاستمالة القلوب ولكن أهل الدين لما عارضهم أمر ديني في مقابلة منافع كثيرة دنيوية رجحوا طرف الدين على طرف المنافع الكثيرة الدنيوية واستقلوا كثرتها لأنها فانية واستكثروا قليلاً من أمور الدين لأنها باقية كما فعل سليمان لما جاءه الرسول بالهدية استقل كثرتها وقال : فما آتاني الله من كمالات الدين والقربات والدرجات الأخروية خير مما آتاكم من الدنيا وزخارفها بل أنتم أي أمثالكم من أهل الدنيا بمثل هديتكم الدنيوية الفانية تفرحون لخسة نفوسكم وجهلكم عن السعادات الأخروية الباقية .

﴿ أَتَجْعَلُ لِلَّهِمْ فَلَنَأَيِّدَهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٢٧) .

﴿ارجع﴾ أيها الرسول أفرد الضمير ههنا بعد جمع الضمائر الخمسة فيما سبق لأن الرجوع مختص بالرسول والأمداد ونحوه عام . ﴿إليهم﴾ إلى بلقيس وقومها بهديتهم ليعلموا أن أهل الدين لا ينخدعون بحطام الدنيا وإنما يريدون الإسلام فليأتوا مسلمين مؤمنين وإلا فلنأتينهم بجنود من الجن والإنس والتأييد الإلهي . ﴿لا قبل لهم بها﴾ لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها .

قال في «المختار» : رآه قبلاً بفتحيتين وقبلاً بضميتين وقبلاً بكسر بعده فتح أي مقابلة وعياناً قال تعالى : ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف: ٥٥] ولي قبل فلان حق أي عنده ومالي به قبل أي طاقة انتهى والذي يفهم من «المفردات» أنه في الأصل بمعنى عند ثم يستعار للقوة والقدرة على المقابلة أي المجازاة فيقال : لا قبل لي بكذا، أي لا يمكنني أن أقابله ولا قبل لهم بها لا طاقة لهم على دفاعها . ﴿ولنخرجهم﴾ عطف على جواب القسم . ﴿منها﴾ من سبأ ومن أرضها حال كونهم ﴿أذلة﴾ [درحالي كه بي حرمت وبي عزت باشند] بعد ما كانوا من أهل العز والتمكين وفي جمع القلة تأكيد لذلتهم والذل ذهاب العز والملك . ﴿وهم صاغرون﴾ أي : أسارى مهانون حال أخرى مفيدة لكون إخراجهم بطريق الإجماع يقال : صغر صغراً بالكسر في ضد الكبير وصغاراً بالفتح في الذلة والصاغر الراضي بالمنزلة الدنيئة وكل من هذه الذلة والصغار مبني على الإنكار والإصرار كما أن كلاً من العز والشرف مبني على التصديق والإقرار ولما كان الإعلام مقدماً على الجزاء أمر سليمان برجوع الرسول لأجل الأداء . وفي «المثنوي» .

باز كرديد أي رسولان خجل	زر شمارا دل بمن آريد دل
كه نظر كاه خداوندست آن	كز نظر انداز خورشيدست كان
كو نظر كاه شعاع آفتاب	كو نظر كاه خداوند لباب
أي رسولان ميفرستمتان رسول	رد من بهتر شمارا از قبول
پيش بلقيس آنچه ديديد از عجب	باز كوييد از بيابان ذهب

تابداند که بزر طامع نه ایم
هین بیا بلقیس ورنه بد شود
پرده دارت پرده ات را برکنند
ملك برهم زن توادهم وارزود
هین بیا که من رسولم دعوتی
وربود شهوت امیر شهوتم
بت شکن بودست اصل اصل ما
خیز بلقیسا بیا وملك بین
خواهر انت ساکن چرخ سنی
خواهر انت راز بخششهای داد
توز شادی چون کرنی طبل زن
آن سك دركوكدایی کور دید
کور کفتش آخرآن یاران تو
قوم تو در کوه میگیرند کور
ترك این تزویر کو شیخ نفور
کاین مریدان من و من آب شور
آب خود شیرین کن از بحر لدن
خیز شیران خدا بین کور کیر

مازر از زر آفرین آورده ایم
لشکرت خصمت شود مرتد شود
جان توباتو بجان خصمی کند
تابیابی همجو او ملك خلود
چون أجل شهوت کشم من شهوتی
نی اسیر شهوت وروی بتم
چون خلیل حق و جمله انبیا
برلب دریای یزدان در بچین
توبمرداری چه سلطانی کنی
هیچ میدانی که آن سلطان چه داد
که منم شاه رئیس کولخن
حمله می آورد و دلش میدرید
برکه اند این دم شکاری صیدجو
درمیان کوی میگیری توکور
آب شوری جمع کرده چند کور
می خورند از من همی کردند کور
آب بدرا دام این کوران مکن
توچوسك چونی بزرقی کورکیر

فعلى العاقل أن لا يقنع ببسير من القال والحال بل يتضرع إلى الله الملك المتعال في أن
يوصله إلى المقامات العالية والدرجات العلى إنه الكريم المولى يروي لما رجع رسلها إليها
بخبير سليمان قالت: والله قد علمت أنه ليس بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت إلى سليمان: إني
قادمة إليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك [وتخت خود را درخانه
مضبوط ساخت و نکهبانان بروکماشت درخانه قفل کرد و مفتاح را برداشت و بالشکر متوجه
بایه سریر سلیمان شد] وکان لها اثنا عشر ألف ملك كبير يقال له: القيل - بفتح القاف - تحت
كل ملك ألوف كثيرة وکان سليمان رجلاً مهيباً لا يبدأ بشيء حتى يسأل عنه فجلس يوماً على
سريره فرأى جمعاً جمّاً على فرسخ عنه فقال: ما هذا؟ فقالوا: بلقيس بملوكها وجنودها فأقبل
سليمان حينئذ على أشراف قومه وقال أو لما علم بمسيرها إليه.

﴿قَالَ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (۲۸)

﴿قال يا أيها الملأ﴾ [أي اشراف قوم من] ﴿أيكم يأتيني بعرشها﴾ [كدام شما می آرد
تخت بلقیس را] ﴿قبل أن يأتوني﴾ حال کونهم ﴿مسلمين﴾ لأنه قد أوحى إلى سليمان أنها
تسلم لكن أراد أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به من العجائب الدالة على عظم القدرة
وصدقه في دعوى النبوة فاستدعى إتيان سريرها الموصى بالحفظ قبل قدومها. وفي «المثنوي»:

چونکه بلقیس ازدل وجان عزم کرم
ترك مال وملك کرد او آنچنان
بر زمان رفتہ هم افسوس خورد
که بترك نام و ننگ آن عاشقان

هيج مال وهيچ مخزن هيچ رخت
 پس سليمان ازدلش آگاه شد
 دید از دورش که آن تسلیم کیش
 از بزرگی تخت کز حد می فزود
 خرده کاری بود و تفریقش خطر
 پس سليمان گفت کرچه في الأخير
 ليک خود يا اين همه بر نقد حال
 تانکردد خسته هنکام لقا
 میدريغش نامه الاجزکه تحت
 کز دل أو تادل أو راه شد
 تلخش آمد فرقت آن تخت خویش
 نقل کردن تخت را امکان نبود
 همچو أوصال بدن بايکديگر
 سرد خواهد شد برو تاج و سرير
 چست بايد تخت أورا انتقال
 کودخانه حاجتش کردد روا

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى سليمان عليه السلام كان واقفاً على أن في أمته من هو أهل الكرامة فأراد أن يظهر كرامته ليعلم أن في أمم الأنبياء من يكون أهل الكرامات فلا ينكر مؤمن كرامات الأولياء كما أنكرت المعتزلة فإن أدنى مفسدة الإنكار حرمان المنكر من درجة الكرامة كحرمان أهل البدع والأهواء منها ولا يظن جاهل أن سليمان لم يكن قادراً على الإتيان بعرشها ولم يكن له ولاية هذه الكرامات فإنه أمرهم بذلك لإظهار أهل الكرامات من أمته ولأن كرامات الأولياء من جملة معجزات الأنبياء فإنها دالة على صدق نبوتهم وحقيقة دينهم أيضاً انتهى.

قال الشيخ داود القيصري رحمه الله: خوارق العادات قلما تصدر من الأقطاب والخلفاء بل من وزرائهم وخلفائهم لقيامهم بالعبودية التامة واتصافهم بالفقر الكلي فلا يتصرفون لأنفسهم في شيء ومن جملة کمالات الأقطاب ومن الله عليهم أن لا يتبليهم بصحبة الجلاء بل يرزقهم صحبة العلماء والأمناء يحملون عنهم أثقالهم وينفذون أحكامهم وأقوالهم كأصف وسليمان.

وقال بعض العارفين لا يلزم لمن كان كامل زمانه أن يكون له التقدم في كل شيء وفي كل مرتبة كما أشار إليه عليه السلام بقوله في قصة تأبير النخل «أنتم أعلم بأمور دنياكم» فذلك لا يقدح في مقام الكامل لأن التفرد بكل كمال لحضرة الألوهية والربوبية وما سواه وسيم بالعجز والنقص ولكل أحد اختصاص من وجه في الكمال الخاص كموسى والخضر عليهما السلام وإن كان الكلم أفضل زمانه كسليمان عليه السلام فانظر سر الاختصاص في قوله: ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنٌ﴾ [الأنبياء: ٧٩] مع الخليفة أبيه داود حين اختلف رجل وامرأة في ولد لهما أسود فقالت المرأة: هو ابن هذا الرجل وأنكر الرجل فقال سليمان: هل جامعتهما في حال الحيض؟ فقال: نعم قال: هو لك وإنما سود الله وجهه عقوبة لكما فهذا من باب الاختصاص.

﴿قَالَ عَفَرْتُ مِمَّنْ آتَاكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتَاكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَكُمْ أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (٤٠)

﴿قال عفريت﴾ مارد خبيث ﴿من الجن﴾ بيان له إذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر

وأقرانه: عفريت.

وفي «المفردات»: العفريت من الجن هو الفاره الخبيث ويستعار ذلك للإنسان استعارة الشيطان له انتهى مأخوذ من العفر محرّكة ويسكن وهو ظاهر التراب فكأنه يصرع قرنه عليه

ویمرغه فيه وأصله عفر زیدت فيه التاء مبالغة كما في «الكواشي» وكان اسم ذلك العفريت ذكوان.

وفي «فتح الرحمن»: كوذی أو اصطرخر سید الجن وكان قبل ذلك متمرداً علی سلیمان واصطرخر فارس تنسب إليه وكان الجني كالجبل العظيم يضع قدمه عند منتهی طرفه ﴿أنا آتیک به﴾ أي بعرشها ﴿قبل أن تقوم من مقامک﴾ أي من مجلسك للحكومة وكان یجلس إلى نصف النهار وآتیک إما صیغة مضارع. فالمعنی بالفارسیة [من بیارم آنرا بتو] أو فاعل. والمعنی [من آرنده أم آنرا بتو] وهو الأنسب لمقام إدعاء الإتیان لا محالة وأوفق بما عطف علیه من الجملة الاسمیة أي أنا آت به فی تلك المدة البتة. ﴿وإني علیه﴾ أي: علی الإتیان. ﴿لقوي﴾ لا یثقل علی حملہ ﴿أمین﴾ علی ما فیہ من الجواهر والنفائس ولا أبدله بغيره.

﴿قال﴾ حین قال سلیمان: أريد أسرع من هذا یعنی [زودترا زین خواهم] الذي عنده علم من الكتاب وهو آصف بن برخیا بن خالة سلیمان وزیره وکاتبه ومؤدبه فی حال صغیره وكان رجلاً صديقاً یقرأ الكتب الإلهیة ویعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعا الله به أجاب وقد خلقه الله لنصرة سلیمان ونفاذ أمره فالمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة علی موسى وإبراهیم وغيرهما أو اللوح وأسراره المكتومة.

وقال المعتزلة: المراد به جبرائیل وذلك لأنهم لا یرون کرامة الأولیاء. ﴿أنا آتیک به قبل أن یرتد إلیک طرفک﴾ الارتداد الرجوع والطرف تحریک الأجفان وفتحها للنظر إلى شيء والارتداد انضمامها وكونه أمراً طبعیاً غیر منوط بالتحریک أوثر الارتداد علی الرد ويعبر بالطرف عن النظر إذا كان تحریک الجفن یلازمه النظر وهذا غاية فی الإسراع ومثل فیہ لأنه لیس بین تحریک الأجفان مدة ما.

قال الکاشفی: [سلیمان دستوري داود او بسجده درافتاد وكفت یا حی یا قیوم كه بعیری آهیا شراهیا باشد وبقول بعضی یا ذا الجلال والإکرام وبرهر تقدیر چون دعا کرد تخت بلقیس در موضع خود بزمین فرورفته وطرفه العینی را پیش تخت سلیمان از زمین برآمد]. وقال أهل المعانی: لا ینکر من قدرة الله أن یعدمه من حیث كان ثم یوجده حیث كان سلیمان بلا نقل بدعاء الذي عنده علم من الكتاب ویكون ذلك کرامة للولي ومعجزة للنبي انتهى.

یقول الفقیر: هذه مسألة الإیجاز والإعدام وإلیها الإشارة بقوله علیه السلام: «الدنيا ساعة وقل من يفهمها» لأنها خارجة عن طور العقل وفي «المثنوي»:

پس ترا هر لحظه موت ورجعتیست	مصطفی فرمود دنیا ساعتیست
هر نفس نومی شود دنیا وما	بی خبر از نوشدن اندر بقا
عمر همچون جوی نونو می رسد	مستمری می نماید در جسد
آن زتیزی مستمر شکل آمدست	چون شرکش تیزجنبانی بدست
شاخ آتش را بجنبانی بساز	در نظر آتش نماید پس دراز
این درازی مدت از تیزی صنع	می نماید سرعت انکیزی صنع

﴿فلما رآه﴾ أي: فاتاه بالعرش فرأه فلما رآه. ﴿مستقراً عنده﴾ حاضراً لديه ثابتاً بین یدیه فی قدر ارتداد الطرف من غیر خلل فیہ ناشئ من النقل. ﴿قال﴾ سلیمان تلقياً للنعمة بالشکر.

﴿هذا﴾ أي حصول مرادي وهو حضور العرش في هذه المدة القصيرة. ﴿من فضل ربي﴾ علي وإحسانه من غير استحقاق مني. ﴿ليلوني﴾ ليختبرني. وبالفارسية [بيازمايد مراباين]. وفي «المفردات»: يقال: بلي الثوب بلى خلق وبلوته اختبرته كأنني أخلقته من كثرة اختباري له وإذا قيل: ابتلي فلان بكذا وبلاه يتضمن أمرين أحدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره والثاني ظهور جودته وردائه وربما قصد به الأمران وربما يقصد به أحدهما فإذا قيل: بلا الله كذا وابتلاه فليس المراد إلا ظهور جودته وردائه دون التعرف لحاله والوقوف على ما يجهل منه إذا كان تعالى علام الغيوب. ﴿أشكر﴾ بأن أراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتي ولا قوة وأقوم بحقه. ﴿أم أكفر﴾ بأن أجد لنفسي مدخلاً في البيت وأقصر في إقامة مواجبه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الجن وإن كان له مع لطافة جسمه قوى ملكوتية يقدر على ذلك بمقدار زمان مجلس سليمان فإن للإنس ممن عنده علم من الكتاب مع كثافة جسمه وثقله وضعف إنسانيته قوة ربانية قد حصلها من علم الكتاب بالعمل به وهو أقدر بها على ما يقدر عليه الجن من الجن ولما كان كرامة هذا الولي في الإتيان بالعرش من معجزة سليمان. ﴿قال هذا من فضل ربي ليلوني أشكر﴾ هذه النعمة التي تفضل بها علي برؤية العجز عن الشكر. ﴿أم أكفر﴾ انتهى.

قال قتادة: فلما رفع رأسه قال: الحمد لله الذي جعل في أهلي من يدعوه فيستجب له.

كفت حمد الله برين صدچنين كه بدي ودستم زرب العالمين ﴿ومن﴾ [وهركه] ﴿شكر فإنما يشكر لنفسه﴾ لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ﴿ومن كفر﴾ أي: لم يشكر بأن لم يعرف قدر النعمة ولم يؤد حقها فإن مضرة كفره عليه. ﴿فإن ربي غني﴾ عن شكره ﴿كريم﴾ بإظهار الكرم عليه مع عدم الشكر أيضاً وترك تعجيل العقوبة.

قال في «المفردات»: المنحة والمحنة جميعاً بلاء فالمحنة مقتضية للصبر والمنحة مقتضية للشكر والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر فصارت المنحة أعظم البلاءين وبهذا النظر قال عمر رضي الله عنه: بلينا بالضراء فصبّرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر، ولهذا قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله. قال الواسطي رحمه الله: في الشكر إبطال رؤية الفضل كيف يوازي شكر الشاكرين فضله وفضله قديم وشكرهم محدث ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾ لأنه غني عنه وعن شكره. وقال الشبلي رحمه الله: الشكر هو الخمود تحت رؤية المنة.

قال في «الأسئلة المقحمة»: في الآية دليل إثبات الكرامات من وجهين: أحدهما: أن العفريت من الجن لما ادعى إحضاره قبل أن يقوم سليمان من مقامه وسليمان لم ينكر عليه بل قال: أريد أعجل من هذا فلما جاز أن يكون مقدوراً لعفريت من الجن كيف لا يكون مقدوراً لبعض أولياء الله تعالى، والثاني: أن الذي عنده علم من الكتاب وهو آصف وزير سليمان لم يكن نبياً وقد أحضره قبل أن يرتد طرفه إليه كما نطق به القرآن دل على جواز إثبات الكرامات الخارقة للعادات للأولياء خلافاً للقدرية حيث أنكروا ذلك انتهى. والكرامة ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح

يكون استدراجاً وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة.

قال بعضهم: لا ريب عند أول التحقيق أن كل كرامة نتيجة فضيلة من علم أو عمل أو خلق حسن فلا يعول على خرق العادة بغير علم صحيح أو عمل صالح فطي الأرض إنما هو نتيجة عن طي العبد أرض جسمه بالمجاهدات وأصناف العبادات وإقامته على طول الليالي بالمناجاة والمشى على الماء إنما هو لمن أطعم الطعام وكسا العراة إما من ماله أو بالسعي عليهم أو علم جاهلاً أو أرشد ضالاً لأن هاتين الصفتين سر الحياتين الحسية والعلمية وبينهما وبين الماء مناسبة بينة فمن أحكمها فقد حصل الماء تحت حكمه إن شاء مشى عليه وإن شاء زهد فيه على حسب الوقت وترك الظهور بالكرامات الحسية والعلمية أليق للعارف لأنه محل الآفات وللعارف استخدام الجن أو الملك في غذائه من طعامه وشرابه وفي لباسه.

قال في «كشف الأسرار»: فقد تحصل الكرامة باختيار الولي ودعائه وقد تكون بغير اختياره وفي الحديث: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره» [در آثار بيارندكه مصطفى عليه السلام از دنيا بيرون شد زمين بالله ناليدكه «بقيت لا يمشي على نبي إلى يوم القيامة» الله كفت جل جلاله من ازين امت محمد مر داني بديد آرم كه دلهاي إيشان بدلهاي پيغمبران يكي باشد وإيشان نيستند مكر أصحاب كرامات] وكرامات الأولياء ملحقة بمعجزات الأنبياء إذ لو لم يكن النبي صادقاً في معجزته ونبوته لم تكن الكرامة تظهر على من يصدقه ويكون من جملة أمته ولم ينكر كرامات الأولياء إلا أهل الحرمان سواء أنكروها مطلقاً أو أنكروا كرامات أولياء زمانهم وصدقوا بكرامات الأولياء الذين ليسوا في زمانهم كمعروف وسهل وجنيد وأشباههم كمن صدق بموسى وكذب بمحمد عليهما السلام وما هي إلا خصلة إسرائيلية نسأل الله التوفيق وحسن الخاتمة في عافية لنا وللمسلمين أجمعين ونبتهل إليه في أنه يحشرنا مع أهل الكرامات آمين.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (٤١) ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ (٤٢).

﴿قال﴾ سليمان كرر الحكاية تنبيهاً على ما بين السابق واللاحق من المخالفة لما أن الأول من باب الشكر والثاني أمر لخدمه. ﴿نكروا لها عرشها﴾ تنكير الشيء جعله بحيث لا يعرف كما أن تعريفه جعله بحيث يعرف كما قال في «تاج المصادر»: التنكير [ناشأ ساكردن] والمعنى غيروا هيئته وشكله بوجه من الوجوه بحيث ينكر فجعل الشياطين أسفله أعلاه وبنوا فوقه قباباً أخرى هي أعجب من تلك القباب وجعلوا موضع الجواهر الأحمر الأخضر وبالعكس ﴿ننظر﴾ بالجزم على أنه جواب الأمر [تابنكریم] ما له بعد از سؤال ازو ﴿أتهتدي﴾ إلى معرفته فتظهر رجاحة عقلها. ﴿أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ فتظهر سخافة عقلها وذلك أن الشياطين خافوا أن تفشي بلقى أسرارهم إلى سليمان لأن أمها كانت جنية وإن يتزوجها سليمان ويكون بينهما ولد جامع للجن والإنس فيرث الملك ويخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد وأقطع ولا ينفكون من التسخير وبقون في التعب والعمل أبداً فأرادوا أن يبغضوها إلى سليمان فقالوا: إن في عقلها خللاً وقصوراً، وإنها شعراء الساقين وإن رجلها كحافر الحمار فأراد سليمان أن يختبرها في عقلها فأمر بتنكير العرش واتخذ الصرح كما يأتي ليتعرف ساقها ورجلها.

﴿فلما جاءت بلقيس سليمان والعرش بين يديه.﴾ ﴿قيل﴾ من جهة سليمان بالذات وبالواسطة امتحاناً لعقلها. ﴿أهكذا عرشك﴾ [أي اينچنين است تخت تو] لم يقل هذا عرشك لئلا يكون تلقيناً لها فيفوت ما هو المقصود من الأمر بالتنكير وهو اختبار عقلها. ﴿قالت﴾ يعني: لم تقل: لا ولا قالت: نعم بل شبهوا عليها فشبهت عليهم مع علمها بحقيقة الحال. ﴿كأنه هو﴾ [كويাকে اين آنست] فلوحّت لما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات فاستدل بذلك على كمال عقلها وكأنها ظنت أن سليمان أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها فقالت: ﴿وأوتينا العلم من قبلها﴾ من قبل الآيات الدالة على ذلك. ﴿وكنّا مسلمين﴾ من ذلك الوقت.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ﴿١٣﴾

﴿وصدها ما كانت تعبد من دون الله﴾ بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من إظهار ما ادعته من الإسلام إلى الآن أي صدها ومنعها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس متجاوزة عبادة الله تعالى. ﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾ تعليل لسببية عبادتها المذكور للصد أي أنها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على إسلامها وهي بين ظهرائهم إلى أن دخلت تحت ملك سليمان أي فصارت من قوم مؤمنين. وفي «المثنوي»:

چون سلمیان سوی مرغان سبا يك صفيري كردبست آن جمله را
جز مکر مرغی که بد بیجان وپیر یا چون ما هي کنک بد از اصل وکر

وفي الآية دلالة على أن اشتغال المرء بالشيء يصدّه عن فعل ضده وكانت بلقيس تعبد الشمس فكانت عبادتها إياها تصرفها عن عبادة الله فلا ينبغي الإغراق في شيء إلا أن يكون عبادة الله تعالى ومحبة فإن الرجل إذا غلب حب ما سوى الله على قلبه ولم يكن له رادع من عقل أو دين أصمّه حبه وأعماه كما قال عليه السلام: «حبك الشيء يعمي ويصم». روي: أن سليمان أمر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر صحنه من زجاج أبيض وأجري من تحته الماء وألقى فيه السمك ونحوه من دواب البحر [چنانکه صحن آن خانه همه آب مینمود] ووضع سريره في وسطه فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس [چون بلقيس بدر کوشک رسید].

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَبَبَتْهُ لُجَّةٌ وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾
﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٤﴾

﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾ الصرح القصر وكل بناء عال سمي بذلك اعتباراً بكونه صرحاً من الشوب أي خالصاً فإن الصرح بالتحريك الخالص من كل شيء. ﴿فلما رأته﴾ [پس چون بدید قصر را در حالتی که آفتاب بر آن تافته بود وآب صافی مینمود وماهیانرا دید]. ﴿حسبته لجة﴾ اللجة معظم الماء.

وفي «المفردات»: لجة البحر تردد أمواجه.

وفي «كشف الأسرار»: اللجة الضحضاح من الماء وهو الماء اليسير أو إلى الكعبيين وأنصاف السوق أو ما لا غرق فيه كما في «القاموس». والمعنى: ظنت أنه ماء كثير بين يدي سرير سلميان. وبالفارسية: [پنداشت که آب ژرف است ندانست که آب درزیر ابکینه است]

فأرادت أن تدخل في الماء. ﴿وكشفت عن ساقها﴾ تثنية ساق وهي ما بين الكعبين كعب الركبة وكعب القدم أي تشمرت لثلاث تبتل أذيالها فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً خلا أنها شعراء. ﴿قال﴾ لها سليمان: لا تكشفني عن ساقيك. ﴿إنه﴾ أي: ما توهمته ماء ﴿صرح﴾ بمرد ﴿مملس مسوى﴾. بالفارسية [همواره چون روی آبکینه وشمشیر] ومنه الأمرد لتجرده عن الشعر وكونه أملس الخدين وشجرة مرداء إذا لم يكن عليها ورق. ﴿من قوارير﴾ أي مصنوع من الزجاج الصافي وليس بماء جمع قارورة. وبالفارسية [آکینه].

وفي «القاموس»: القارورة ما قر فيه الشراب ونحوه أو يخص بالزجاج. ﴿قالت﴾ حين عاينت تلك المعجزة أيضاً ﴿رب﴾ [أي پروردگار من]. ﴿إني ظلمت نفسي﴾ بعبادة الشمس. ﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ فيه التفات إلى الاسم الجليل والوصف بالربوبية لإظهار معرفتها بألوهيته تعالى وتفرده باستحقاق العبودية وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبد قبل ذلك من الشمس. والمعنى: أخلصت له التوحيد تابعة لسليمان مقتدية به.

وقال القيصري: أسلمت إسلام سليمان أي كما أسلم سليمان ومع في هذا الموضع كعم في قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ [التحریم: ٨] إذ لا شك أن زمان إيمان المؤمنين ما كان مقارناً لزمان إيمان الرسل وكذا إسلام بلقيس ما كان عند إسلام سليمان فالمراد كما أنه آمن بالله آمنت بالله وكما أنه أسلم أسلمت لله انتهى. ويجوز أن يكون مع ههنا واقعاً موقع بعد كما في قوله: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٦].

واختلف في نكاح بلقيس فقيل: أنكحها سليمان فتى من أبناء ملوك اليمن وهو ذو تبع ملك همدان وتبع بلغة اليمن الملك المتبوع وذلك أن سلميان لما عرض عليها النكاح أبته وقالت: مثلي لا ينكح الرجال فأعلمها سليمان أن النكاح من شريعة الإسلام فقالت: إن كان ذلك فزوجني من ذي تبع فزوجه إياها ثم ردها إلى اليمن وسلط زوجها إذا تبع على اليمن ردعا زوبعة أمير جن اليمن فأمره أن يكون في خدمة ذي تبع ويعمل له ما استعمله فيه فصنع له صنائع باليمن وبنى له حصوناً مثل صرواح ومرواح وهندة وهنيدة وفلتوم [ابن نام قلعه] ست درزمين يمن كه شياطين آنرا بناكرده اندازيهر ذي تبع وامروز ازان هيچ برپاي نيست همه خراب كشته ونيست شده] وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان ولما مات سليمان نادى زوبعة يا معشر الجن قد مات سليمان فارفعوا رؤوسكم فرفعوها وتفرقوا. والجمهور على أن سليمان نكحها لنفسه.

قال في «التأويلات النجمية»: في الآية دليل على أن سليمان أراد أن ينكحها وإنما صنع الصرح لتكشف عن ساقها فراها ليعلم ما قالت الشياطين في حقها أصدق أم كذب ولو لم يستنكحها لما جوز من نفسه النظر إلى ساقها انتهى.

قال في «فتح الرحمن»: أراد سليمان تزوجها فكره شعر ساقها فسأل الإنس ما يذهب هذه قالوا: الموسى فقال: الموسى يחדش ساقها فسأل الجن فقالوا: لا ندري ثم سأل الشياطين فقالوا: نحتال لك حتى تصير كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمام من يومئذ. ويقال: إن الحمام الذي يبيت المقدس بباب الأسباط إنما بني لها وأنه أول حمام بني على وجه الأرض.

وفي «روضة الأخبار»: قال جني لسليمان: أبني لك داراً تكون في بيوته الأربعة الفصول الأربعة من السنة فبنى الحمام فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً وهي ملحين وغمدان وبينون [أمروز ازان بناها وقصرها جز اسم وطلل آن برجاي نيست بلکه همه خرابند] كما قال تعالى في سورة هود وحصيد ثم كان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له داود بن سليمان بن داود [وآن پسر در حیات پدر از دنیا برفت]. روي: أن سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فمدة ملكه أربعون سنة ووفاته في أواخر سنة خمس وسبعين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام وبين وفاته والهجرة الشريفة الإسلامية ألف وسبعمائة وثلاث وسبعون سنة ونقل أن قبره ببيت المقدس عند الجيسمانية وهو أبوه داود في قبر واحد. وبلقيس بعد [از سليمان بيك ماه از دنیا برفت] ولما كسروا جدار تدمر وجدوها قائمة عليها اثنتان وسبعون حلة قد أمسكها الصبر والمصطكى ذلك وأن جمالها شيء عظيم إذا حركت تحركت مكتوب عندها: أنا بلقيس صاحبة سليمان بن داود خرب الله من يخرب بيتي وكان ذلك في ملك مروان الحمار.

همه تخت و ملکی پذيرد زوال	بجز ملك فرمانده لا يزال
جهان اي پسر ملك جاويد نيست	ز دنيا وفاداري اميد نيست
مكن تكيه بر ملك وجاه وحشم	كه پيش از تو بودست و بعد از تو هم
نه لايق بود عشق بادلبري	كه هر بامدادش بود شوهر ي
دريغا كه بي ما بسي روز كار	برويد كل و يشكفد نوبهار
مكن عمر ضايع با فسوس و حيف	كه فرصت عزيز ست والوقت سيف
عروسي بود نوبت ما تمت	كردت نيك روزي بود خاتمت

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ آلَ سَعْدِ بْنِ سُلَيْمٍ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَفْتُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود﴾ وهي قبيلة من العرب كانوا يعبدون الأصنام. ﴿أخاهم﴾ النسبي المعروف عندهم بالصدق والأمانة. ﴿صالحاً﴾ قد سبق ترجمته. ﴿أن﴾ مصدرية، أي بأن ﴿اعبدوا الله﴾ الذي لا شريك له ﴿فإذا هم فريقان يختصمون﴾ الاختصام [بايكديكر خصومت وجدل كردن] وأصله أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر بالضم أي جانبه. والمعنى فاجؤوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق. وبالفارسية: [پس آنکاه ایشان دو فريق شدند مؤمن وکافر و بجنک و خصومت در آمدند بايكديكر].

قال الكاشفي: [ومخاصمه ایشان در سورهٔ اعراف رقم ذکر یافته] وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْأَلَّا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا﴾ [الأعراف: ٧٥] الآية.

﴿قال﴾ صالح للفريق الكافر منهم ﴿يا قوم﴾ [أي كروه من] ﴿لم تستعجلون بالسيئة﴾ بالعقوبة فتقولون: اثنتا بما تعدنا. والاستعجال طلب الشيء قبل وقته وأصل لم لما على أنه استفهام. ﴿قبل الحسنة﴾ قبل التوبة فتؤخرونها إلى حين نزول العقاب فإنهم كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون: إن وقع إيعاده تبنا حينئذ وإلا فنحن على ما كنا عليه.

قال في «كشف الأسرار»: [معنى قبل انيجا نه تقدم زمانست بلکه تقدم رتبت واختيارست همجنانکه کسی کوید] صحة البدن قبل كثرة المال. ﴿لولا﴾ حرف تحضيض بمعنى هلا ﴿تستغفرون الله﴾ [چرا استغفار نمی کنید پیش از نزول عذاب وایمان وتوبه از خدا آمرزش نمیطلبید] ﴿لعلکم ترحمون﴾ بقبولها فلا تعذبون إذ لا إمكان للقبول عند النزول.

توپیش از عقوبت در عفو کوب که سودی ندارد فغان زیرچوب

﴿قَالُوا أَطِیرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَیَّرْکُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾

﴿قالوا اطيرنا﴾ [فال بد کرفتیم] وأصله تطيرنا والتطير التشاؤم، وهو بالفارسية: [شوم داشتن] عبر عنه بذلك لأنهم كانوا إذا خرجوا مسافرين فمروا بطائر يزجرونه فإن مر سانحاً تيمنوا وإن مر بارحاً تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر إلى الطير استعير لما كان سبباً لهما من قدر الله تعالى وقسمته أو من عمل العبد.

قال في «فتح الرحمن» و«الكواسي»: السانح هو الذي ولاه ميامنه فيتمكن من رميه فيتيمن به والبارح هو الذي ولاه مياسره فلا يتمكن من رميه فيتشاءم به ثم استعمل في كل ما يتشاءم به.

وفي «القاموس»: البارح من الصيد ما مر من ميامنك إلى مياسرك وبرح الظبي بروحاً ولاك مياسره ومرج وسنح سنوحاً ضد برح ومن لي بالسانح بعد البارح أي بالمبارك بعد المشؤوم.

قال في «كشف الأسرار»: هذا كان اعتقاد العرب في بعض الوحوش والطيور أنها إذا صاحت في جانب دون جانب دل على حدوث آفات وبلايا ونهى رسول الله ﷺ عنها وقال: «أقروا الطير على مكناها» لأنها أوهام لا حقيقة معها والمكنات بيض الضبة واحداثها مكنة.

قال عكرمة رضي الله عنه: كنا عند ابن عباس رضي الله عنهما فمر طائر يصيح فقال رجل من القوم: خير فقال ابن عباس رضي الله عنهما لا خير ولا شر.

لا تنطقن بما كرهت فربما نطق اللسان بحادث فيكون

وفي الحديث: «إن الله يحب الفأل ويكره الطيرة» قال ابن الملك كان أهل الجاهلية إذا قصد واحد إلى حاجة وأتى من جانبه إلا يسر طير أو غيره يتشاءم به فيرجع هذا هو الطيرة ومعنى الآية تشاءمنا. ﴿بك وبمن معك﴾ في دينك حيث تتابعت علينا الشدائد [این دعوت توشوم آمد برما] وكانوا قحطوا فقالوا: أصابنا هذا الشر من شؤمك وشؤم أصحابك وكذا قال قوم موسى لموسى وأهل أنطاكية لرسولهم ﴿قال طائرکم﴾ سببکم الذي جاء منه شرکم ﴿عند الله﴾ وهو قدره أو عملکم المكتوب عنده. وسمي القدر طائراً لسرعة نزوله ولا شيء أسرع من قضاء محتوم كما في «فتح الرحمن»: وبالفارسية: [قال شما أذخير وشر نزدیک خداست یعنی سبب محنت شما مكتوبست نزدیک خدا بحکم ازلي وبجهت من متبدل نکردد].

قلم به نیک و بد خلق درازل رفتست بکوفت وکوي خلائق کر نخواهدشد

﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ تختبرون بتعاقب السراء والضراء أي الخير والشر والدولة والنكبة والسهولة والصعوبة أو تعذبون والإضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه يقال: فتنت الذهب بالنار أي اختبرته لأنظر إلى جودته واختبار الله تعالى إنما

هو لإظهار الجودة والرداءة ففي الأنبياء والأولياء والصلحاء تظهر الجودة ألا ترى أن أيوب عليه السلام امتحن فصبر، فظهر للخلق درجته وقربه من الله تعالى وفي الكفار والمنافقين والفاستين تظهر الرداءة. حكى: أن امرأة مرضت مرضاً شديداً طويلاً فأطالت على الله تعالى في ذلك وكفرت ولذا قيل: عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان.

خوش بود كرمحك تجربه آيد بميان تاسيه روى شود هر كه دروغش باشد والابتلاء مطلقاً أي سواء كان في صورة المحبوب أو في صورة المكروه رحمة من الله تعالى في الحقيقة لأن مراده جذب عبده إليه فإن لم ينجذب حكم عليه الغضب في الدنيا والآخرة كما ترى في الأمم السالفة ومن يليهم في كل عصر إلى آخر الزمان. ثم إن أهل الله تعالى يستوي عندهم المنحة والمحنة إذ يرون كلاهما من الله تعالى فيصفون وقتهم فيتوكلون ولا يتطيرون ويحمدون ولا يجزعون ثم إن مصيبة المعصية أعظم من مصيبة غيرها وبلاء الباطن أشد من بلاء الظاهر.

قال ابن الفارسي رحمه الله:

وكل بلا أيوب بعض بليتي

مراده أن مرضي في الروح ومرض أيوب عليه السلام في الجسد مع أنه مؤيد بقوة النبوة فبلائي أشد من بلائه نسأل الله التوفيق والعافية.

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ قَالُوا نَقَاسِمُوا بِاللَّهِ لَئِن بَيَّنَّتْهُ وَأَهْلُهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَكْرُؤُهُ مَكْرًا وَمَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

﴿وكان في المدينة﴾ أي الحجر بكسر الحاء المهملة وهي ديار ثمود وبلادهم فيما بين الحجاز والشام. ﴿تسعة رهط﴾ أشخاص وبهذا الاعتبار وقع تمييزاً للتسعة لا باعتبار لفظه فإن مميز الثلاثة إلى العشرة مخفوض مجموع. والفرق بينه وبين نفر أنه من الثلاثة أو من التسعة إلى العشرة ليس فيهم امرأة والنفر من الثلاثة إلى السعة وأسماءهم حسبما نقل عن وهب هذيل بن عبد الرب وغنم بن غنم وياب بن مخرج ومصدع بن مخرج وعمير بن كردية وعاصم بن مخزومة وسييط بن صدقة وسمعان بن صفي وقدار بن سالف.

وفي «كشف الأسرار»: أسماءهم قدار بن سالف ومصدع بن دهر وأسلم ورهمي ورهمي ودعيمي وقبال وصداف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشرافهم ثم وصف التسعة بقوله: ﴿يفسدون في الأرض﴾ في أرض الحجر بالمعاصي.

وفي «الإرشاد»: في الأرض لا في المدينة فقط وهو بعيد لأن العرض في نظائر هذه القصة إنما حملت على أرض معهودة هي أرض كل قبيلة وقوم لا على الأرض مطلقاً. ﴿ولا يصلحون﴾ أي: لا يفعلون شيئاً من الإصلاح، ففائدة العطف بيان أن إفسادهم لا يخالطه شيء ما من الإصلاح ﴿قالوا﴾ استئناف لبيان بعض ما فعلوا من الفساد، أي قال بعضهم لبعض في أثناء المشاورة في أمر صالح وكان ذلك فيما أنذرهم بالعذاب على قتلهم الناقة وبين لهم العلامة بتغيير ألوانهم كما قال: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥] ﴿نقاسموا بالله﴾ تحالفوا يقال: أقسم أي حلف وأصله من القسامة وهي أيمان تقسم على المتهمين في الدم ثم صار

اسماً لكل حلف وهو أمر مقول لقالوا أو ماض وقع حالاً من الواو بإضمام قد أي والحال أنهم تقاسموا بالله. ﴿لنبينته وأهله﴾ لتأتين صالحاً ليلاً بغتة فلنقتلنه وأهله. وبالفارسية [هر آيينه شبيخون ميكنيم بر صالح وبركسان] أو قال في «التاج»: [التببيت: شبيخون كردن] يعني مباغته العدو وقصده ليلاً. ﴿ثم لنقولن لوليه﴾ أي: لولي دم صالح - يعني [أكرم پرسندكه صالح راکه كشته است كوييم]. ﴿ما شهدنا مهلك أهله﴾ أي: ما حضرنا هلاكهم فضلاً عن أن نتولى إهلاكهم فيكون مصدراً أو وقت هلاكهم فيكون زماناً أو مكان هلاكهم فيكون اسم مكان. وبالفارسية: [حاضر نبوديم كشتن صالح وكسان أورا]. ﴿وإننا لصادقون﴾ فيما نقول فهو من تمام القول. وبالفارسية: [وبدرستي كه ما راست كويانيتم] وهذا كقولهم ليعقوب في حق يوسف: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧].

﴿ومكروا مكرأ﴾ بهذه المواضعة. والمكر صرف الغير عما يقصده بحيلة. ﴿ومكرنا مكرأ﴾ أي: جعلنا هذه المواضعة سبباً لإهلاكهم. ﴿وهم لا يشعرون﴾ بذلك:

هر آنكه تخم بدی كشت وچشم نیکی داشت دماغ بیهده پخت وخیال الباطل بست

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا آلِيكَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿فانظر﴾ تفكر يا محمد في أنه ﴿كيف كان عاقبة مكرهم﴾ أي: على أي حال وقع وحدث عاقبة مكرهم وهي: ﴿أنا دمرناهم﴾ التدمير استئصال الشيء بالهلاك ﴿وقومهم﴾ الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التببيت. ﴿أجمعين﴾ بحيث لم يشذ منهم شاذ. روي: إنه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه ولما قال لهم بعد عقرهم الناقة: إنكم تهلكون إلى ثلاثة أيام قالوا: زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاثة فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا إلى الشعب وقالوا: إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة خيالهم فبادروا فطبقت عليهم في الشعب فهلكوا ثمة. وبالفارسية: [ناكاه سنكي برايشان فرود آمد وهمه راد رزير كرفت ودرغار پوشيده وإيشان در آنجا هلاك شدند] فلم يدر قومهم أين هم وهلك الباقون في أماكنهم بالصيحة.

يقول الفقير: الوجه في هلاكهم بالتطبيق أنهم أرادوا أن يباغتوا صالحاً فباغتهم الله وفي هلاك قومهم بالصيحة إنهم كانوا يصيحون إليهم فيما يتعلق بالإنفساد فجاء الجزاء لكل منهم من جنس العمل.

﴿فتلك بيوتهم﴾ حال كونها ﴿خاوية﴾ خالية عن الأهل والسكان من خوى البطن إذا خلا أو ساقطة منهزمة من خوى النجم إذا سقط. وبالفارسية: [پس آنست خانهای ایشان در زمین حجر بنکرید آنرا در حالتی که خالی و خرابست]. ﴿بما ظلموا﴾ أي: بسبب ظلمهم المذكور وغيره كالشرك.

قال سهل رحمه الله: الإشارة في البيوت إلى القلوب فمنها عامرة بالذكر ومنها خراب بالغفلة ومن ألهمه الله الذكر فقد خلص لله من الظلم. ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من التدمير العجيب بظلمهم. ﴿آية﴾ لعبرة عظيمة ﴿لقوم يعلمون﴾ يتصفون فيتعظون. يعني: اعلم يا

محمد أني فاعل ذلك العذاب بكفار قومك في الوقت الموقت لهم فليسوا خيراً منهم كما في «كشف الأسرار». ﴿وَأُنَجِّنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صالحاً ومن معه من المؤمنين ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ أي الكفر والمعاصي اتقاء مستمراً فلذلك خصوا بالنجاة وكانوا أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضرموت وهي مدينة من مدن اليمن وسميت حضرموت لأن صالحاً لما دخلها مات.

وفيه إشارة إلى أن الهجرة من أرض الظلم إلى أرض العدل لازمة خصوصاً من أرض الظالمين المؤاخذين بأنواع العقوبات إذ مكان الظلم ظلمة فلا نور للعبادة فيه وإن الإنسان إذا ظلم في أرض ثم تاب فالأفضل له أن يهاجر منها إلى مكان لم يعص الله تعالى فيه، ثم إن الظالم المفسد في مدينة القلب الإنساني هي العناصر الأربعة والحواس الخمس وهي تسعة رهط يجتهدون في غلبة صالح القلب لمخالفته لهم فإن القلب يدعوهم إلى العبودية وترك الشهوات وهم يدعونهم إلى النظر إلى الدنيا والأعراض عن العقبي والتعطل عن خدمة المولى فإذا كان القلب مؤيداً بالإلهام الرباني لا يميل إلى الحظوظ الظاهرة والباطنة ويغلب على القوى جميعاً فيحصل له النجاة وتهلك الخواص التسع وآفاتنا فيبقى القلب والأعضاء التي هي مساكن الخواص خالية عن الخواص والآفات الغالبة ثم لا يحيا ما مات أبداً ونعم ما قيل: «الفاني لا يرد إلى أوصافه» [پس أولیارا خوف ظهور طبیعت نیست زیراکه طبیعت و نفس عدواست وعدو خالی نمی شود از غدر و مکر پس چون عداوت بمحبت منقلب می شود مکر زائل گردد و خوف نماند] نسأل الله سبحانه أن ينجيننا من مكر النفس والشیطان ويخلصنا من مكاره الأعداء مطلقاً في كل زمان.

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحَشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ﴿٥٥﴾

﴿ولوطاً﴾ أي: وأرسلنا لوطاً بن هاران ﴿إذ قال لقومه﴾ ظرف للإرسال على أن المراد به أمر ممتد وقع فيه الإرسال وما جرى بينه وبين قومه من الأفعال والأقوال.

وقال بعضهم: انتصاب لوطاً بإضمار اذكر وإذ بدل منه أي واذكر إذ قال لوط لقومه على وجه الإنكار عليهم. ﴿أتأتون الفاحشة﴾ الفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال والمراد به ههنا اللواط والإتيان في الأدبار. والمعنى أتفعلون الفعل المتناهية في القبح وبالفارسية: [آیامی آییذ بعمل زشت]. ﴿وأنتم تبصرون﴾ من بصر القلب وهو العلم فإنه يقال لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر ولا يكاد يقال للجراحة بصيرة، ويقال للضرير بصير على سبيل العكس أو لما له قوة بصيرة القلب أي والحال أنكم تعلمون فحشها علماً يقينياً وتعاطي القبيح من العالم بقبحه أقبح من غيره ولذا قيل: فساد كبير جاهل متنسك وعالم متهتك، أو من نظر العين أي وأنتم تبصرونها بعضكم من بعض لما أنهم كانوا يعلنون بها ولا يستترون فيكون أفحش.

﴿أننكم﴾ [آیا شما] ﴿لتأتون الرجال﴾ بيان لإتيانهم الفاحشة وعلل الإتيان بقوله: ﴿شهوة﴾ للدلالة على قبحه والتنبية على أن الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر وأصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده ﴿من دون النساء﴾ أي حال كونكم مجاوزين النساء اللاتي هن محال الشهوة. ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ حيث لا تعملون بموجب علمكم فإن من لا يجري على مقتضى بصارته وعلمه ويفعل فعل الجاهل فهو والجاهل سواء وتجهلون صفة لقوم

والثناء فيه لكون الموصوف في معنى المخاطب.

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنطَهُرُونَ﴾ (٥٦) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَايِرِ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴿٥٨﴾.

﴿فما كان جواب قومه﴾ نصب الجواب لأنه خبر كان واسمه قوله: ﴿إلا أن قالوا﴾ أي: قول بعضهم لبعض ﴿أخرجوا آل لوط﴾ ومن تبعه ﴿من قريبتكم﴾ وهي سدوم ﴿إنهم أناس﴾ جمع إنس والناس مخفف منه، والمعنى بالفارسية: [بدرستي كه ایشان مردماندكه] ﴿يتطهرون﴾ يتزهون عن أفعالنا أو عن الأقدار ويعدون أفعالنا قدراً.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه على طريق الاستهزاء وهذا الجواب هو الذي صدر عنهم في المرة الأخيرة من مرات المواعظ بالأمر والنهي لا أنه لم يصدر عنهم كلام آخر غيره. ﴿فأنجيناه﴾ أي: لوطاً ﴿وأهله﴾ أي: بنيته ريشاء ورعواء بأن أمرناهم بالخروج من القرية. ﴿إلا امرأته﴾ الكافرة المسماة بواهلة لم ننجها. ﴿قدرناها من الغابرين﴾ أي: قدرنا وقضينا كونها من الباقيين في العذاب فلذا لم يخرج من القرية مع لوط أو خرجت ومسخت حجراً كما سبق يقال: غير غبوراً إذا بقي وتماه في أواخر سورة الشعراء.

﴿وأمطرنا عليهم﴾. بعد قلب قريتهم وجعل عاليها سافلها أو على شذاذهم ومن كان منهم في الأسفار. ﴿مطراً﴾ غير معهود وهو حجارة السجيل ﴿فساء مطر المنذرين﴾ أي: بشس مطر من أندر فلم يخف والمخصوص بالذم هو الحجارة.

قال ابن عطية: وهذه الآية أصل لمن جعل من الفقهاء الرجم في اللواط لأن الله تعالى عذبهم على معصيتهم به ومذهب مالك رجم الفاعل والمفعول به أحصنا أو لم يحصنا ومذهب الشافعي وأحمد حكمه كالزنى فيه الرجم مع الإحصان والجلد مع عدمه ومذهب أبي حنيفة أنه يعزر ولا حد عليه خلافاً لصاحبيه فإنهما ألحقاه بالزنى.

وفي «شرح الأكمال»: أن ما ذهب إليه أبو حنيفة إنما هو استعظام لذلك الفعل فإنه ليس في القبح بحيث أنه يجازى بما يجازى به القتل والزنى وإنما التعزير لتسكين الفتنة الناجزة كما أنه يقول في اليمين الغموس أنه لا يجب فيه الكفارة لأنه لعظمه لا يستتر بالكفارة.

يقول الفقير: عذبوا بالرجم لأنه أفظع العذاب كما أن اللواط أفحش المنهيات وبقلب المدينة لأنهم قلبوا الأبدان عند الإتيان فافهم فجوزوا بما يناسب أعمالهم الخبيثة.

نه هرکز شنیدیم در عمر خویش که بد مرد را نیک آمد به پیش

والإشارة في الفاحشة إلى كل ما زلت به الأقدام عن الصراط المستقيم وأمارتها في الظاهر إتيان منهيات الشرع على وفق الطبع وهو النفس وعلاماتها في الباطن حب الدنيا وشهواتها والاحتفاظ بها وفي الحديث: «أنتم على بينة من ربكم ما لم تظهر منكم سكرتان سكرة الجهل وسكر حب الدنيا».

قال بعض الكبار: ثلاثة من علامات الصدق والوصول إلى محل الأنبياء: الأول إسقاط قدر الدنيا والمال من قلبك حتى يصير الذهب والفضة عندك كالتراب، والثاني: إسقاط رؤية الخلق عن قلبك بحيث لا تلتفت إلى مدحهم وذمهم فكأنهم أموات وأنت وحيد على الأرض،

والثالث: إحكام سياسة النفس حتى يكون فرحك من الجوع وترك الشهوات كفرح أبناء الدنيا بالشعب ونيل الشهوات.

ثم إن المرأة الصالحة الجميلة ليست من قبيل الشهوات بل من أسباب التصفية وموافقتها من سعادات الدنيا كما قال علي رضي الله عنه: من سعادة الرجل خمسة أن تكون زوجته موافقة وأولاده أبراراً وإخوانه أتقياء وجيرانه صالحين ورزقه في بلده.

وأما الغلام الأمرد فمن أعظم فتن الدنيا إذ لا إمكان لنكاحه كالمرأة. فعلى العاقل أن يجتنب عن زنى النظر ولواطته فضلاً عن الوقوع فيهما فإن الله تعالى إذا رأى عبده حيث ما نهى غار وقهر فالعياذ به من سطوته والالتجاء إليه من سخطه ونقمته.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٥٩).

﴿قل الحمد لله﴾ قل يا محمد: الحمد لله على جميع نعمه التي من جملتها إهلاك أعداء الأنبياء والمرسلين وأتباعهم الصديقين فإنهم لما كانوا إخوانه عليه السلام كان النعمة عليهم نعمة عليه. ﴿وسلام﴾ وسلامة ونجاة ﴿على عباده الذين اصطفى﴾ أي: اصطفاهم الله وجعلهم صفوة خليقته في الأزل وهداهم واجتباهم للنبوة والرسالة والولاية في الأبد فهم الأنبياء والمرسلون وخواصهم المقربون الذين سلموا من الآفات ونجوا من العقوبات مطلقاً.

وفيه رمز إلى هلاك أعدائه عليه السلام ولو بعد حين وإشعار له ولأصحابه بحصول السلامة والنجاة من أيديهم وهكذا عادة الله تعالى مع الورثة الكامل وأعدائهم في كل زمان هذا هو اللائح للبال في هذا المقام وهو المناسب لسوابق الآيات العظام [وكفته اند أهل إسلام أنا نندكه دل آیشان سالم است از لوث علائق و سر ایشان خالیست از فکر خلائق امروز سلام بواسطه شنوند فردا سلام بی واسطه خواهند شنید] ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

هر بنده كه او كشت مشرف بسلامت البته شود خاص بتشريف سلامت لطفي كن وبنواز دلم را بسلامت زیراكه سلامت همه لطفتست وكرامت ﴿ءالله﴾ بالمد الأولى تخفيفاً. والمعنى الله الذي ذكرت شؤونه العظيمة. وبالفارسية [آيا خدای بحق]. ﴿خير﴾ أنفع لعباده.

وفي «كشف الأسرار»: [بهست خدایي را] ﴿أما﴾ أم الذين فأم متصلة وما موصولة ﴿يشركون﴾ به من الأصنام أي أم الأصنام أنفع لعبديها يعني الله خير وكان عليه السلام إذا قرأ هذه الآية قال: «بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم».

فإن قيل: لفظ الخير يستعمل في شيئين فيهما خير ولأحدهما مزية ولا خير في الأصنام أصلاً.

قلنا: المراد إلزام المشركين وتشديد لهم وتهكم بهم أو هو على زعم أن في الأصنام خيراً ثم هذا الاستفهام والاستفهامات الآتية تقرير وتوبيخ لا استرشاد ثم أضرب وانتقل من التثبيت تعريضاً إلى التصريح به خطاباً لمزيد التشديد فقال:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا

كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (٦٠).

﴿أم﴾ منقطعة مقدرة ببل والهمزة ﴿من﴾ موصولة مبتدأ خبره محذوف وكذا في نظائرها

الآتية. والمعنى بل أم من ﴿خلق السموات والأرض﴾ التي هي أصول الكائنات ومبادئ المنافع خير أم ما يشركون. يعني أن الخالق للأجرام العلوية والسفلية خير لعباده أو للمعبودية كما هو الظاهر. ﴿وأنزل لكم﴾ أي لأجل منفعتكم. ﴿من السماء ماء﴾ نوعاً منه هو المطر ثم عدل عن الغيبة إلى التكلم لتأكيد الاختصاص بذاته فقال: ﴿فأنبتنا به﴾ أي: بسبب ذلك الماء. ﴿حدائق﴾ بساتين محدقة ومحاطة بالحوائط. وبالفارسية: [بوستانها ديوار بست] من الأحداق وهو الإحاطة.

وقال في «المفردات»: الحدائق جمع حديقة وهي قطعة من الأرض ذات ماء سميت بها تشبيهاً بحديقة العين في الهيئة وحصول الماء فيها وحدقوا به وأحدقوا أحاطوا به تشبيهاً بإدارة الحديقة انتهى. ﴿ذات بهجة﴾ البهجة حسن اللون وظهور السرور فيه أي صاحبة حسن ورونق يبتهج به النظر وكل موضع ذي أشجار مثمرة محاط عليه فهو حديقة وكل ما يسر منظره فهو بهجة. ﴿ما كان لكم﴾ أي: ما صح لكم وما أمكن ﴿أن تنبتوا شجرها﴾ شجر الحدائق فضلاً عن ثمرها ﴿إله﴾ آخر كائن ﴿مع الله﴾ الذي ذكر بعض أفعاله التي لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكاً له في العبادة. وبالفارسية: [آيا هست خدای یعنی نیست معبودی باخدای بحق]. ﴿بل هم﴾ بلهه مشركان ﴿قوم يعدلون﴾ قوم عادتهم العدول والميل عن الحق الذي هو التوحيد والعكوف على الباطل الذي هو الإشراك أو يعدلون يجعلون له عديلاً ويثبتون له نظيراً.

قال في «المفردات»: قوله: بل هم قوم يعدلون يصح أن يكون من قولهم عدل عن الحق إذا جار عدولاً انتهى فهم جاروا وظلموا بوضع الكفر موضع الإيمان والشرك محل التوحيد وهو إضرأ وانتقال من تبيكيتهم بطريق الخطاب إلى بيان سوء حالهم وحكاية لغيرهم ثم أضرب وانتقل إلى التبيكيت بوجه آخر أدخل في الإلزام فقال:

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بُلٌّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿أم﴾ منقطعة ﴿من﴾ موصولة كما سبق ﴿جعل الأرض قراراً﴾ يقال: قر في مكانه يقر قراراً إذا ثبت ثبوتاً جامداً وأصله القر وهو البرد لأجل أن البرد يقتضي السكون والحر يقتضي الحركة والمراد بالقرار هنا المستقر. والمعنى بل أم من جعلها بحيث يستقر عليها الإنسان والدواب بإظهار بعضها من الماء بالارتفاع وتسويتها حسبما يدور عليه منافعهم خير من الذي يشركون به من الأصنام وذكر بعض الآيات بلفظ الماضي لأن بعض أفعاله تقدم وحصل مفروغاً منه وبعضها يفعلها حالاً بعد حال. ﴿وجعل خللاً﴾ جمع خلل وهي الفرجة بين الشيئين نحو خلل الدار وخلل السحاب ونحوهما أوساطها. وبالفارسية [ويیدا کرد درمیا نهای زمین]. ﴿أنهاراً﴾ جارية ينتفعون بها هو المفعول الأول للجعل قدم عليه الثاني لكونه ظرفاً وعلى هذا المفاعيل للفعلين الآتين ﴿وجعل لها رواسي﴾ يقال: رسا الشيء يرسو ثبت.

قال في «كشف الأسرار»: الرواسي جمع الجمع يقال: جبل راس وجبال راسية ثم تجمع الراسية على الرواسي أي جبلاً ثوابت تمنعها أن تميل بأهلها وتضطرب ويتكون فيها المعادن

وينبع في حضيضها ينباع ويتعلق بها من المصالح ما لا يخفى.

قال بعضهم: جعل نفوس العابدين قرار طاعتهم وقلوب العارفين قرار معرفتهم وأرواح الواجدين قرار محبتهم وأسرار الموحدين قرار مشاهدتهم وفي أسرارهم أنهار الوصلة وعيون القرية بها يسكن ظمأ اشتياقهم وهيجان احتراقهم وجعل لها رواسي من الخوف والرجاء والرغبة والرهبة وأيضاً جعل للأرض رواسي من الأبدال والأولياء والأوتاد بهم يديم إمساك الأرض وببركاتهم يدفع البلاء عن الخلق وكما لا تختص الرواسي الظاهرة بديار الإسلام كذلك الرواسي الباطنة لا تختص بها بل تعمها وديار الكفرة فإن الوجود مطلقاً لا بد له من سبب البقاء فسبحان المفيض على الأولياء والأعداء. ﴿وجعل بين البحرين﴾ أي: العذب والمالح أو خليجي فارس والروم. ﴿حاجزاً﴾ برزخاً مانعاً من الممازجة والمخالطة كما مر في سورة الفرقان.

قال في «المفردات»: الحجز المنع بين الشيئين بفاصل بينهما وسمي الحجاز بذلك لكونه حاجزاً بين الشام والبادية. ﴿إليه﴾ آخر كائن ﴿مع الله﴾ في الوجود أو في إبداع هذه البدائع: يعني ليس معه غيره. ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أي: شيئاً من الأشياء ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشكر مع كمال ظهوره.

﴿أم من يجيب المضطر إذا دعاه﴾ الضمير المنصوب راجع إلى المبتدأ وهو من الموصولة التي أريد بها الله تعالى والمعنى أم من يستجيب الملجأ إلى ضيق من الأمر إذا تضرع بالدعاء إليه. ﴿ويكشف سوء﴾ ويدفع عن الإنسان ما يسوء ويحزنه خير أم الذي يشركون به من الأصنام والاضطرار افتعال من الضرورة وهي الحالة المحوجة إلى اللجأ والمضطر الذي أحوجته شدة من الشدائد إلى اللجأ والضراعة إلى الله تعالى كالمرض والفقر والدين والغرق والحبس والجور والظلم وغيرها من نوازل الدهر فكشفها بالشفاء والإغناء والإنجاء والإطلاق والتخليص [شيخ داود اليماني قدس سره بعيادت بيماري رفته بود بيمار كفت اي شيخ دعاكن براي شفائي من شيخ كفت تودعاكن كه مضطري وأجابت بدعاء مضطر بازبسته زيراكه نياز او بيشر باشد وحق سبحانه نياز بيجار كان دوست يمدارد].

اين نياز مريمي بودست ودر	كان چنان طفلي سخن آغاز كرد
هر كجا دردي دوا آنجا بود	هر كجا فقري نوا آنجا رود
هر كجا مشكل جواب آنجا رود	هر كجا پستيست آب آنجا رود
پيش حق يك ناله ازروي نياز	به كه عمري درسجود ودر نماز
زوررا بكذار زاري را بكيـر	رحم سوى زاري آيد اي فقير

قال بعضهم: فصل بين الإجابة وكشف سوء فالإجابة بالقول والكشف بالطول والإجابة بالكلام والكشف بالإنعام ودعاء المضطر لا حجاب به ودعاء المظلوم لا مرد له ولكل أجل كتاب.

قال أهل التفسير: اللام في المضطر للجنس لا للاستغراق حتى يلزم إجابة كل مضطر فإن الله تعالى يجيب إجابة المضطرين لكن يجيب لبعضهم بالقول ولبعضهم بالفعل على حسب الحكمة والمصلحة.

قال في «نفائس المجالس»: جاء في الحديث: «حبيب إلي من دنياكم ثلاث الطيب

والنساء وقرة عيني في الصلاة» فلما سمعه أبو بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله حبب إليّ من دنياكم ثلاث النظر إليك وإنفاق مالي عليك والجلوس بين يديك» وقال عمر رضي الله عنه: «حبب إليّ من دنياكم ثلاث النظر إلى أولياء الله والقهر لأعداء الله والحفظ لحدود الله» وقال عثمان رضي الله عنه: «يا سيدي حبب إليّ من دنياكم ثلاث إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام» وقال علي رضي الله عنه: «يا سيدي حبب إليّ من دنياكم ثلاث الضرب بالسيف والصوم بالصيف وإكرام الضيف» فجاء جبريل عليه السلام وقال: «يا سيدي حبب إليّ من دنياكم ثلاث إرشاد الضالين وإعانة المساكين وموانسة كلام رب العالمين» ثم غاب وجاء بعد ساعة فقال: إن الله يقرئك السلام ويقول: «أحب من دنياكم ثلاثاً دمع العاصين وعذاب المذنبين الغير التائبين وإجابة دعوة المضطرين».

قال بعضهم: العارف لا يزال مضطراً معناه أن العامة اضطراهم بمنيرات الأسباب فإذا زالت زال اضطراهم وذلك لغلبة الحس على شهودهم فلو شهدوا قبضة الله الشاملة المحيطة لعلموا أن اضطراهم إلى الله دائم ولدوام شرط الاضطراب ووصفه لا يزال دعاء العارفين مستجاباً والأهم في الدعاء تخليص النيات وتطهير الاعتقاد عن شوائب الشكوك والتوسل إلى الله تعالى وبالتوبة النصوح ثم تطهير الجوارح والأعضاء ليكون محلاً للإمداد من السماء ومنه الاستياك والتطيب ثم الوضوء واستقبال القبلة وتقديم الذكر والثناء والصلاة قبل الشروع في عرض الحاجات والدعوات وكذا بسط يديه بالضراعة والابتهاال ورفعها حذو منكبيه.

قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: دعوت الله ليلة فأخرجت إحدى يدي من كمي دون الأخرى لشدة البرد فنعست فرأيت في منامي أن يدي الظاهرة مملوءة نوراً والأخرى فارغة فقلت: ولم ذاك يا رب فنوديت اليد التي خرجت للطلب امتلأت والتي توارت حرمت.

قال بعضهم: إن كان وقت برد أو عذر فأشار بالمسبحة قام مقام كفيه كما في «القنية» ويجعلكم خلفاء الأرض» خلفاء فيها بأن ورثكم سكناهم والتصرف فيها ممن كان قبلكم من الأمم يخلف كل قرن منكم القرن الذي قبله. ﴿إِلَهُ﴾ آخر كائن ﴿مَعَ اللَّهِ﴾ الذي يفيض على كافة الأنام هذه النعم الجسام. ﴿قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ﴾ أي تتذكرون آلاءه تذكراً قليلاً وزماناً قليلاً وما مزيدة لتأكيد معنى القلة التي أريد بها العدم أو ما جرى مجراه في الحقارة وقلة الجدوى. وفيه إشارة إلى أن مضمون الكلام مركوز في ذهن كل ذكي وغبي وأنه من الواضح بحيث لا يتوقف إلا على التوجه إليه وتذكره.

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ تَعْلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٣) ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٤)

﴿أَم﴾ بل ﴿مَنْ﴾ الذي ﴿يَهْدِيكُمْ﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أي في ظلمات الليالي فيها بالنجوم وعلامات الأرض على أن الإضافة للملابسة أو في مشتبهات الطريق يقال طريقة ظلماء أو عمياء للتي لا منار بها أي هو خير أم الأصنام ﴿وَمَنْ﴾ موصولة كما سبق ﴿يُرْسِلِ الرِّيحَ﴾ حال كونها ﴿بُشْرًا﴾ مبشرة ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ يعني المطر. وبالفارسية [وكسى كه مي فرستد بادهارا مژده دهند كان پیش از رحمت كه بارانست]

﴿إِلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ يقدر على مثل ذلك ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تعالى الخالق القادر عن مشاركة العاجز المخلوق ﴿أَمْ مِنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ أي يوجده أول مرة ﴿ثُمَّ يَعِيدُهُ﴾ بعد الموت بالبعث أي يوجده بعد إِمَاتَتِهِ وَأَمْ مِنْ إِعْرَابِهِ كَمَا تَقْدُمُ.

وفي «الكواشي»: وسألوا عن بدء خلقهم وإعادتهم مع إنكارهم البعث لتقدم البراهين الدالة على ذلك من إنزال الماء وإنبات النبات وجفافه ثم عوده مرة ثانية والعقل يحكم بإمكان الإعادة بعد الإِبْلاء وهم يعلمون أنهم وجدوا بعد أن لم يكونوا فإيجادهم بعد أن كانوا أيسر ﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي بأسباب سماوية وأرضية ﴿إِلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ يفعل ذلك ﴿قُلْ هَاتُوا﴾.

قال الحريري: تقول العرب للواحد المذكور: هات بكسر التاء وللجمع هاتوا وللمؤنث هاتي ولجماعة الإناث هاتين وللأثنين من المذكور والمؤنث هاتيا دون هاتا من غير أن فرقوا في الأمر لهما كما لم يفرقوا بينهما في ضمير المثنى في مثل قولك: غلامهما وضربهما ولا في علامة التثنية التي في قولك الزيدان والهندان وكان الأصل في هات آت المأخوذ من آتى أي أعطى فقلبت الهمزة هاء كما قلبت في أرقى الماء وفي إياك فقلبت هرتق وهياك.

وفي «ملح العرب» أن رجلاً قال لأعرابي هات فقال: والله ما أهاتيك أي ما أعطيك، ومعنى هاتوا بالفارسية [بياريد] ﴿بِرَهَانِكُمْ﴾ عقلياً أو نقلياً يدل على أن معه تعالى إلهاً آخر والبرهان أوكد الأدلة وهو الذي يقتضي الصدق أبداً ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي في تلك الدعوى ثم بين تعالى تفرد به علم الغيب تكميلاً لما قبله من اختصاصه بالقدرة التامة وتمهيداً لما بعده من أمر البعث فقال.

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ من الملائكة ﴿وَالْأَرْضِ﴾ من الإنس والجن ﴿وَالْغَيْبِ﴾ وهو ما غاب عن العباد كالساعة ونحوها وسيجيء ببيانه ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ أي لكن الله وحده يعلمه فلا استثناء منقطع والمستثنى مرفوع على أنه بدل من كلمة من على اللغة التميمية وأما الحجازيون فينصبونه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يعني البشر أي لا يعلمون ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ متى ينشرون من القبور فأَيَّانَ مركبة من أي وآن فأَيَّ للاستفهام وآن بمعنى الزمان فلما ركبا وجعلا اسماً واحداً بنيا على الفتح كعبلك.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن للغيب مراتب غيب هو غيب أهل الأرض في الأرض وفي السماء وللإنسان إمكان تحصيل علمه وهو على نوعين. أحدهما ما غاب عنك في أرض الصورة وسماؤها مثل غيبة شخص عنك أو غيبة أمر من الأمور ولك إمكان إحضار الشخص والاطلاع على الأمر الغائب وفي السماء مثل علم النجوم والهيئة ولك إمكان تحصيله بالتعلم وإن كان غائباً عنك. وثانيهما ما غاب عنك في أرض المعنى وهو أرض النفس فإن فيها مخبثات من الأوصاف والأخلاق مما هو غائب عنك كيفية وكمية ولك إمكان الوقوف عليها بطريق المجاهدة والرياضة والذكر والفكر وسما المعنى وهو سماء القلب فإن فيها مخبثات من العلوم والحكم والمعاني مما هو غائب عنك ولك إمكان الوصول إليه بالسير عن مقامات النفس والسلوك في مقامات القلب وغيب هو غيب أهل الأرض في الأرض والسماء أيضاً

وليس للإنسان إمكان الوصول إليه إلا بإرادة الحق تعالى كما قال: ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] وغيب وهو غيب أهل السماء في السماء والأرض ليس لهم إمكان الوصول إليه إلا بتعليم الحق تعالى مثل الأسماء كما: ﴿أُنِثُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٦) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا [البقرة: ٣٢-٣١] ومن هنا تبين لك أن الله تعالى قد كرم آدم بكرامة لم يكرم بها الملائكة وهو اطلاعه على مغيبات لم يطلع عليها الملائكة وذلك بتعليمه علم الأسماء كلها وغيب هو مخصوص بالحضرة ولا سبيل لأهل السموات والأرض إلى علمه إلا لمن ارتضى له كما قال: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٣٦) إِلَّا مَنْ أَرَضَيْنَا مِنْ رُسُلٍ [الجن: ٢٦-٢٧] وبهذا استدل على فضيلة الرسل على الملائكة لأن الله استخصهم بإظهارهم على غيبه دون الملائكة ولهذا أسجدهم لآدم لأنه كان مخصوصاً بإظهار الله إياه على غيبه ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم فتجلى فيه» وغيب استأثر الله بعلمه وهو علم قيام الساعة فلا يعلمه إلا الله كما قال: ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ انتهى قالت عائشة رضي الله عنها من زعم أن محمداً يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية.

يقول الفقير: وأما ما قيل من أن من قال إن نبي الله لا يعلم الغيب فقد أخطأ فيما أصاب فهو بالنسبة إلى الاستثناء الوارد في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٣٦) إِلَّا مَنْ أَرَضَيْنَا مِنْ رُسُلٍ [الجن: ٢٦-٢٧] فإن بعض الغيب قد أظهره الله على رسوله كما سبق من «التأويلات».

قال في «كشف الأسرار»: [منجمي درپیش حجاج رفت حجاج سنك ریزه در دست کرد و خود بر شمرد آنکه منجم را گفت بکوتا در دست من سنك ریزه چندست منجم حسابی که دانست بر کوفت و بگفت و صواب آمد حجاج آن بکذاشت و لختی دیگر سنك ریزه ناشمرده در دست گرفت گفت این چندست منجم هر چند حساب میکرد جواب همه خطا می آمد منجم گفت «ایها الأمير أظنك لا تعرف ما في يدك» چنان ظنی می برم که توعد آن نمیدانی حجاج گفت چنین است نمیدانم عدد آن وجه فرقت میان این و آن منجم گفت اول بارتو بر شمر دی و از حد غیب بدر آمد و اکنون تونمیدانی و غیب است «ولا يعلم الغيب إلا الله» وفي كتاب كلستان منجمي بخانه خود در آمد مرد بیکانه را دید بازن او بهم نشسته دشنام داد و سقط گفت و فتنه و آشوب برخاست صاحب دلی برین حال واقف شد و گفت].

تو براوج فلک چه دانی چیست چوندانی که در سرای تو کیست

﴿بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ عَنْهَا عَمُونَ﴾ (٦٦)

﴿بل ادراك علمهم في الآخرة﴾ أصله تدارك فأبدلت التاء دالاً وأسكنت للدغام واجتلبت همزة الوصل للابتداء ومعناه تلاحق وتدارك.

قال في «القاموس»: جهلوا علمها ولا علم عندهم من أمرها انتهى وهو قول الحسن وحقيقته انتهى علمهم في لحوق الآخرة فجهلوا كما في «المفردات».

وقال بعضهم: تدارك وتتابع حتى انقطع من قولهم تدارك بنو فلان إذا تابعا في الهلاك فهو بيان لجهلهم بوقت البعث مع تعاضد أسباب المعرفة. والمعنى تتابع علمهم في شأن الآخرة حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعاً لكن لا على أنه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئاً فشيئاً بل على طريقة المجاز بتنزيل أسباب العلم ومباده من

الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه وإجراء ساقطها عن اعتبارهم كلما لاحظوها مجرى متابعتها إلى الانقطاع وتنزيل أسباب العلم بمنزلة العلم سنن مسلوك ثم أضرب وانتقل من بيان علمهم بها إلى بيان ماهو أسوأ منه وهو حيرتهم في ذلك حيث قيل: ﴿بل هم في شك منها﴾ من نفس الآخرة وتحققها كمن تحير في أمر لا يجد عليه دليلاً فضلاً عن الأمور التي ستقع فيها ثم أضرب عن ذلك إلى بيان أن ما هم فيه أشد وأفظع من الشك حيث قيل: ﴿بل هم منها عمون﴾ جاهلون بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية جمع عم وهو أعمى القلب.

قال في «المفردات»: العمى يقال في افتقاد البصر وافتقاد البصيرة ويقال في الأول أعمى والثاني عمى وعم وعمي القلب أشد ولا اعتبار لافتقاد البصر في جنب افتقاد البصيرة إذ رب أعمى في الظاهر بصير في الباطن ورب بصير في الصورة أعمى في الحقيقة كحال الكفار والمنافقين والغافلين وعلاج هذا العمى إنما يكون بضده وهو العلم الذي به يدرك الآخرة وما تحويه من الأمور.

قال سهل بن عبد الله التستري قدس سره: ما عصى الله أحد بمعصية أشد من الجهل قيل: يا أبا محمد هل تعرف شيئاً أشد من الجهل؟ قال: نعم الجهل بالجهل فالجهل جهلان جهل بسيط هو سلب العلم وجهل مركب هو خلافه والأول ضعيف والثاني قوي لا يزول إلا أن يتداركه الله تعالى. قيل:

سقام الحرص ليس له شفاء وداء الجهل ليس له طبيب
وقيل:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرأ لم يحيي بالعلم ميت وليس له حين النشور نشور
أي كه داري هنر نداري مال مكن از كردكار خود كله
نعمت جهل را مخواه كه هست روضه درميان مزيله
اللهم اجعلنا من العلماء ورثة الأنبياء.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا إِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٦٨﴾.

﴿وقال الذين كفروا﴾ أي: مشركو مكة ﴿أنذا كنا تراباً﴾ [آيا چون كرديم ما خاك] ﴿وآباؤنا﴾ [وپدران ما نیز خاك شوند] وهو عطف على ضمير كنا بلا تأكيد لفصل تراباً بينهما. ﴿أننا لمخرجون﴾ [آيا ما بيرون آورندكانيم از كورها زنده شده] والضمير في أننا لهم ولآبائهم لأن كونهم تراباً يتناولهم وآبائهم والعامل في إذا ما دل عليه أننا لمخرجون وهو نخرج لأن مخرجون لأن كلاً من الهمزة وإن واللام مانعة من عمله فيما قبلها. والمعنى أنخرج من القبور إذا كنا تراباً أي هذا لا يكون وتكرير الهمزة للمبالغة في الإنكار وتقييد الإنكار بوقت كونهم تراباً لتقويته بتوجيهه إلى الإخراج في حالة منافية له وإلا فهم منكرون للإحياء بعد الموت مطلقاً أي سواء كانوا تراباً أو لا.

﴿لقد وعدنا هذا﴾ أي الإخراج. وبالفارسية [بدرستي وعده داده شده ايم اين حشر

ونشررا. ﴿ونحن﴾ وتقديم الموعود على نحن لأنه المقصود بالذكر وحيث أخر كما في سورة المؤمنين قصد به المبعوث. ﴿وآباؤنا من قبل﴾ أي من قبل وعد محمد يعني أن آباءنا وعدوا به في الأزمنة المتقدمة ثم لم يبعثوا ولن يبعثوا ﴿إن هذا﴾ أي ما هذا الوعد. ﴿إلا أساطير الأولين﴾ أحاديثهم التي سطورها وكتبوها كذاباً مثل حديث رستم واسفنديار. وبالفارسية [مكر افسانها] يشينيان يعني ما نند افسانها كه مجرد سخنيست بي حقيقت [والأساطير الأحاديث التي ليس لها حقيقة ولا نظام جمع أسطار وإسطير بالكسر وأسطور بالضم وبالهاى في الكل جمع سطر.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

﴿قل﴾ يا محمد ﴿سيروا﴾ أيها المنكرون المكذبون من السير وهو المضى ﴿في الأرض﴾ في أرض أهل التكذيب مثل الحجر والأحفاف والمؤتفكات ونحوها ﴿فانظروا﴾ تفكروا واعتبروا. ﴿كيف كان عاقبة المجرمين﴾ آخر أمر المكذبين بسبب التكذيب حيث أهلكوا بأنواع العذاب وفيه تهديد لهم على التكذيب وتخويف بأن ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم وأصل الجرم قطع الثمر عن الشجر والجرامة رديء الثمر المجرور واستعير لكل اكتساب مكروه.

﴿ولا تحزن عليهم﴾ على تكذبيهم وإصرارهم لأنهم خلقوا لهذا وهو ليس بنهي عن تحصيل الحزن لأن الحزن ليس يدخل تحت اختيار الإنسان ولكن النهي في الحقيقة إنما هو عن تعاطي ما يورث الحزن واكتسابه. والحزن والحزن خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيها من النعم ويضاده الفرح. ﴿ولا تكن في ضيق﴾ [در تنكدلي] وهو ضد السعة ويستعمل في الفقر والغم ونحوهما. ﴿مما يمكرون﴾ من مكرهم وكيدهم تدبيرهم الحيل في إهلاكك ومنع الناس عن دينك فإنه لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله والله يعصمك من الناس ويظهر دينك.

غم مخورزان روکه غمخوارت منم وزهمه بدها نکهدارت منم
از توکر اغیار برتابندرو این جهان وآن جهان یارت منم

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾

﴿ويقولون﴾ [وميكويندكافران] ﴿متى﴾ [كجاست وكي خواهد بود] ﴿هذا الوعد﴾ أي: العذاب العاجل الموعود ﴿إن كنتم صادقين﴾ في إخباركم بإتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين في الإخبار بذلك.

﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾ أي: تبعكم ولحقكم وقرب منكم قرب الرديف من مردفه واللام زائدة للتأكيد. وبالفارسية [بکوشاید رنکه باشدکه بحکم الهی پیوندد بشما وازی در آید شمارا] ﴿بعض الذي تستعجلون﴾ من العذاب فحل بهم عذاب يوم بدر وسائر العذاب لهم مدخر ليوم البعث.

وقيل: الموت بعض من القيامة وجزء منها وفي الخبر: «من مات فقد قامت قيامته» وذلك لأن زمان الموت آخر زمان من أزمنة الدنيا وأول زمان من أزمنة الآخرة فمن مات قبل القيامة فقد قامت قيامته من حيث اتصال زمان الموت بزمان القيامة كما أن أزمنة الدنيا يتصل بعضها ببعض. وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وإنما يطلقونها إظهاراً للوقار وإشعاراً بأن الرمز من أمثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده. ﴿وإن ربك لذو فضل﴾ إفضال وإنعام. ﴿على الناس﴾ على كافة الناس ومن جملة إنعاماته تأخير عقوبة هؤلاء على ما يرتكبونه من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب. ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ لا يعرفون حق النعمة فلا يشكرون بل يستعجلون بجهلهم وقوع العذاب كدأب هؤلاء. وفيه إشارة إلى أن استعجال منكري البعث في طلب العذاب الموعود لهم من غاية جهلهم بحقائق الأمور وإلا فقد ردفهم أنموذج من العذاب الأكبر وهو العذاب الأدنى من البليات والمحن.

﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾ فيما يذيقهم العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون إلى الحضرة بالخوف والخشية تاركين الدنيا وزينتها راغبين في الآخرة ودرجاتها. ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ لأنهم لا يميزون بين محنهم ومنحهم وعزيز من يعرف الفرق بين ما هو نعمة من الله وفضله أو محنة ونقمة وإذا تقاصر علم العبد عما فيه صلاحه فعسى أن يحب شيئاً ويظنه خيراً وبلاؤه فيه وعسى أن يكون شيء آخر بالضد ورب شيء يظنه العبد نعمة يشكره بها ويستديمه وهي محنة له يجب صبره عنها ويجب شكره لله تعالى على صرفه عنه وبعكس هذا كم من شيء يظنه الإنسان بخلاف ما هو كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم﴾ أي: ما تخفيه من أكن إذا أخفى والإكنان جعل الشيء في الكن وهو ما يحفظ فيه الشيء.

قال في «تاج المصادر»: [الأكنان: در دل نهان داشتن والكن پنهان داشتن] في الكن والنفس كننت الشيء وأكننته في الكن وفي النفس بمعنى وفرق قوم بينهما فقالوا: كننت في الكن وإن لم يكن مستوراً وأكننت في النفس والباب يدل على ستر أو جنون انتهى ﴿وما يعلنون﴾ من الأقوال والأفعال التي من جملتها ما حكى عنهم من استعجال العذاب وفيه إيذان بأن لهم قبائح غير ما يظهرونه وأنه تعالى يجازيهم على الكل [والاعلان: آشكارا كردن].

قال الجنيد قدس سره: ما تكن صدورهم من محبته وما يعلنون من خدمته.

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾ [وهيچ نیست پوشیده در آسمان وزمین مکر نوشته در کتابی روشن یعنی لوح محفوظ وباو علم حق محیط] والغائبة من الصفات التي تدل على الشدة والغلبة والتأ للبالغ كانه قال: وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله تعالى وأحاط به فالغيب والشهادة بالنسبة إلى علمه تعالى وشهوده على السواء كما قال في بحر الحقائق هذا يدل على أنه ما غاب عن علمه شيء من المغيبات الموجود منها والمعدوم واستوى في علمه وجودها وعدمها على ما هي به بعد إيجادها فلا تغير في علمه تعالى عند تغيرها بالإيجاد فيتغير المعلوم ولا يتغير العلم بجميع حالاته على ما هو به انتهى

فعلى الإنسان ترك النسيان والعصيان فإن الله تعالى مطلع عليه وعلى أفعاله وإن اجتهد في الإخفاء. قال الشيخ سعدي في «البستان».

یکى متفق بود برمنکری	کذر کرد بروی نکو محضری
نشست از خجالت عرق کرده روی	که ای خجیل کستم از شیخ کوی
شنید این سخن شیخ روشن روان	بروبر بشورید وکفت ای جوان
نیاید همی شرم از خویشتن	که حق حاضر و شرم داری زمن
چنان شرم دار از خداوند خویش	که شرم زبیکانکانست و خویش
نیاسایی از جانب هیچ کس	برو جانب حق نک دار وبس
بترس ازکناهان خویش این نفس	که روز قیامت نه ترسی ز کس
تر یزد خدا آب روی کسی	که ریزد کنه آب چشمش بسی

ثم إنه ينبغي للمؤمن أن يكون سليم الصدر ولا يكن في نفسه حقداً وحسداً وعداوة لأحد وفي الحديث: «إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة» فدخل عبد الله بن سلام رضي الله عنه فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله فأخبروه بذلك وقالوا: لو أخبرتنا بأوثق عملك نرجو به فقال: إني ضعيف وإن أوثق ما أرجو به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني ففي هذا الخبر شيان أحدهما إخباره عليه السلام عن الغيب ولكن بواسطة الوحي وتعليم الله تعالى فإن علم الغيب بالذات مختص بالله تعالى والثاني إن سلامة الصدر من أسباب الجنة وفي الحديث: «لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» وذلك أن المرء ما دام لم يسمع عن أخيه إلا مناقبه يكون سليم الصدر في حقه فإذا سمع شيئاً من مساويه واقعاً أو غير واقع يتغير له خاطره.

بدی در قفا عیب من کرد وخفت	بترزو قرینی که آورد وکفت
یکي تیری افکند ودره فتاد	وجودم نیازد ورنجم نداد
تو برداشتی وآمدی سوی من	همی درسپوزی به پهلوی من

والنصيحة في هذا للعقلاء أن لا يصيخوا إلى الواسي والنام والغياب والعياب فإن عرض المؤمن كدمه ولا ينبغي إساءة الظن في حق المؤمن بأدنى سبب وقد ورد «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها».

ازان همنشین تاتوانی کریز	که مرفتنه خفته را کفت خیز
کسی را که نام آمد اندر میان	به نیکو ترین نام ونعتش بخوان
چو همواره کویی که مردم خرنند	میرظن که نامد چو مردم برند
کسی پیش من درجهان عاقلست	که مشغول خوددرجهان غافلست
کسانی که پیغام دشمن برند	زد شمن هماناکه دشمن ترند
کسی قول دشمن نیارد بدوست	مکر آنکهی دشمن یار اوست
مریز آب روی برادر بکوی	که درهت نریزد بشهر آب روی
ببد کفتن خلق چون دم زدی	اگر راست کویی سخن هم بدی

نسأل الله العصمة.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٧٦) وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ .

﴿إن هذا القرآن﴾ المنزل على محمد ﴿يقص﴾ يبين ﴿على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه﴾ لجهالتهم ﴿يختلفون﴾ مثل اختلافهم في شأن المسيح وعزير وأحوال المعاد الجسماني والروحاني وصفات الجنة والنار واختلافهم في التشبيه والتنزيه وتناكرهم في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضاً فلو أنصفوا وأخذوا بالقرآن وأسلموا لسلموا.

﴿وإنه﴾ أي: القرآن ﴿لهدى﴾ [ره نمونيست] ﴿ورحمة﴾ [وبخشايشي] ﴿للمؤمنين﴾ مطلقاً من بني إسرائيل أو من غيرهم وخصوصاً بالذكر لأنهم المتفجعون به .

﴿إن ربك يقضي بينهم﴾ يفصل بين بني إسرائيل المختلفين وذلك يوم القيامة ﴿بحكمه﴾ بما يحكم به وهو الحق والعدل سمي المحكوم به حكماً على سبيل التجوز ﴿وهو العزيز﴾ الغالب القاهر فلا يرد حكمه وقضاؤه ﴿العليم﴾ بجميع الأشياء التي من جملتها ما يقضى فيه فإذا كان موصوفاً بهذه الشؤون الجليلة .

﴿فتوكل على الله﴾ ولا تبال بمعاداتهم والتوكل التبتل إلى الله وتفويض الأمر إليه والإعراض عن التشبث بما سواه وأيضاً هو سكون القلب إلى الله وطمأنينة الجوارح عند ظهور الهائل وعلل التوكل أولاً بقوله: ﴿إنك على الحق المبين﴾ [يعني راه تورااست وکار تودرست] وصاحب الحق حقيق بالوثوب بحفظ الله ونصره وثانياً بقوله:

﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفْرَ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ (٨٠) وَمَا أَتَىٰ بِهْدَىٰ الْعُمَىٰ عَنْ صَلَافِهِمْ ۖ إِنَّ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ فإن كونهم كالموتى موجب لقطع الطمع في مشايعتهم ومعاضدتهم رأساً وداء إلى تخصيص الاعتقاد به تعالى وهو المعني بالتوكل عليه وإطلاق الأسماع على المعقول لبيان عدم سماعهم لشيء من المسموعات وإنما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم بما يتلى عليه من الآيات والمراد المطبوعون على قلوبهم فلا يخرج ما فيها من الكفر ولا يدخل ما لم يكن فيها من الإيمان .

فإن قلت بعد تشبيه أنفسهم بالموتى لا يظهر لتشبيههم بالعمي والصم كما يأتي مزيد فائدة .

قلت: المراد كما أشير إليه بقوله على قلوبهم تشبيه القلوب لا تشبيه النفوس فإن الإنسان إنما يكون في حكم الموتى بممات قلبه بالكفر والنفاق وحب الدنيا ونحوها . فحاصل المعنى بالفارسية: [مردة دلان كفر فهم سخن تو نمی توانند كرد] .

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: العارفون بالله أحياء وما سواهم موتى وذلك لأن حياة الروح إنما هي بالمعرفة الحقيقية .

قال في «كشف الأسرار»: [زندگانی بحقیقت سه چیزست وهر دل که ازان سه چیز خالی بود در شمار موتی است. زندگانی بيم باعلم. وزندگانی امید باعلم. وزندگانی دوستي باعلم. زندگانی بيم دامن مرد پاک دار دو چشم وي بيدار وراه وي راست. زندگانی امید مرکب وي

تیزدارد وزاد تمام وراه نزدیک. زندگانی دوستی قدر مردم بزرگ دارد و سروی آزاد ودل شاد. بیم بی علم بیم خارجیا نست. امید بی علم امید مرجیانست. دوستی بیعلم آبا حیانست هرکرا این سه خصلت باعلم درهم پیوست بزندکی پاک رسید وازمردکی بازست] «ولا تسمع الصم الدعاء» أي: الدعوة إلى أمر من الأمور جمع أصم والصمم فقدان حاسة السمع وبه شبه من لا يصغي إلى الحق ولا يقبله كما شبه ههنا.

وفي «التأويلات النجمية»: ولا تسمع الصم الذين أصمهم الله بحب الشهوات فإن حبك الشيء يعمي ويصم أي يعمي عن طريق الرشد ويصم عن استماع الحق. «إذا ولوا» ولی أعرض وترك قربه «مدبرين» أي إذا انصرفوا حال كونهم معرضين عن الحق تاركين ذلك وراء ظهرهم يقال: أدبر أعرض وولی دبره وتقيد النفی بإذا لتكمیل التشبيه وتأكيد النفی فإن أسمعهم في هذه الحالة أبعد أي أن الأصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعي بمقابلة صماخه قريباً منه فكيف إذا كان خلفه بعيداً منه ثم شبههم بالعمي بقوله:

«وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم» هداية موصلة إلى المطلوب فإن الاهتداء لا يحصل إلا بالبصر فشبه من افتقد البصيرة بمن افتقد البصر في عدم الهداية.

قال في «المفردات»: لم يعد تعالى افتقاد البصر في جانب افتقاد البصيرة عمي حتى قال: فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور «إن تسمع» أي ما تسمع سماعاً نافعاً للسامع «إلا من يؤمن بآياتنا» من هو في علم الله كذلك، أي من شأنه الإيمان بها ولما كان طريق الهداية هو إسماع الآيات التنزيلية قال: إن تسمع دون أن تهدي مع قرب ذكر الهداية «فهم مسلمون» تعليل لإيمانهم بها كأنه قيل منقادون للحق. وبالفارسية [پس ایشان کردن نهند کاند فرمانرا ومخلصان ومتخصصان عالم إیقانند].

كوش باطن نهاده بر قرآن دیده دل كشاده بر عرفان
زنده ازنفحهای كلشن قدس معتكف در قضای عالم انس
برده اند از مضائق لاشيء به «قل الله ثم ذرهم» پی
فالأصل هو العناية الأزلية وما سبق في علم الله من السعادة الأبدية. روي: أن النبي عليه السلام قام على منبره فقبض كفه اليمنى فقال: «كتاب كتب الله فيه أهل الجنة بأسمائهم وأنسابهم مجمل عليهم لا يزداد فيه ولا ينقص منه وليعملن أهل السعادة بعمل أهل الشقاء حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة» وهو بضم الفاء وتخفيف الواو آخره قاف.

قال الجوهري وغيره هو ما بين الحلبتين من الوقت لأن الناقة تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب انتهى «وليعملن أهل الشقاء بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم ليخرجنهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله والأعمال بالخواتيم» [أورده اندكه رسول خدا ﷺ حكایت كردكه دربنی اسرائیل زاهدي بود دويست سال عبادت کرده در آرزوي آن بودكه وقتي إبليس را به بيند تاباوي كويد الحمد لله كه درين دويست سال ترا برمن راه نبود ونتوا نستي مرا ازراه حق بكردانیدن آخر روزي إبليس از محراب خويشتن را باونمود واورا بشناخت وكفت اكنون بچه آمدي يا إبليس كفت دويست سالست تاميكوشم كه ترا ازراه ببرم وبكام خويش در آرم

وازدستم برنخاست و مراد بر نیامد و اکنون تودر خواستی که مرا بینی دیدار من ترابچه کار آید از عمر تودویست سال دیگر مانده است این سخن بگفت و نابدید کشت زاهد دروسواس افتاد و گفت از عمر من دویست سال مانده و من چنین خویشتن را درزندان کرده ام از لذات و شهوات بازمانده و دویست سال دیگر هم برین صفت دشخوار بود تدبیر من آنست که صد سال در دنیا خوش زندگانی کنم لذات و شهوات بکار دارم آنکه توبه کنم و صد سال دیگر عبادات بسر آرم که الله غفور رحیم است آن روز از صومعه بیرون آمد سوی خرابات شد و بشراب ولذات باطل مشغول کشت و بصحبت مؤنسان تن درد داد چون در آمد عمرش باخر رسیده بود ملک الموت در آمد و برسر آن فسق و فجور جان وی برداشت آن طاعات و عبادات دویست ساله بباد برداده حکم ازلی دروید رسیده و شقاوت دامن او گرفته [نعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء . قال الحافظ :

در عمل تکیه مکن زانکه دران روز ازل توچه دانی قلم صنع بنامت چه نوشت
وقال :

زاهد ایمن مشو ازباری غیرت زنهار که ره از صومعه تادیر مغان این همه تیست
وقال :

حکم مستوری و مستی همه برخاتمست کس ندانست که آخربچه حالت برود
وقال الشيخ سعدي :

کرت صورت حال بد یانکوست نکاریده دست تقدیر اوست
بکوشش نروید کل ازشاخ بید نه زنکی بکرما به کردد سفید
اللهم اجعلنا من السعداء .

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿٨٧﴾

﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ المراد بالوقوع الدنو والاقتراب كما في قوله تعالى : ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ آلَهُ﴾ [النحل: ١] وبالقول ما ينطق عن الساعة وما فيها من فنون الأهوال التي كان المشركون يستعجلونها . والمعنى إذا دنا واقترب وقوع القول وحصول ما تضمنه وأكثر ما جاء في القرآن من لفظ وقع جاء في العذاب والشدائد أي إذا ظهر أمارات القيامة التي تقدم القول فيها انتهى . ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض﴾ واسمها الجساسة لتحسسها الأخبار للدجال لأن الدجال كان موثقاً في دير في جزيرة بحر الشام وكانت الجساسة في تلك الجزيرة كما في حديث المشرق في الباب الثامن . ﴿تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ أي : تكلم تلك الدابة الكفرة باللسان العربي الفصيح أو للعرب بالعربي وللعجم بالعجمي بأنهم كانوا لا يؤمنون بآيات الله الناطقة بمجيء الساعة [يعني : چون زوال دنیا نزدیک باشد حق تعالی دابة الأرض بیرون آرد چنانچه ناقه صالح ازسنگ بیرون آورد] قيل : إنها جمعت خلق كل حيوان ولها وجه كوجه آدميين مضيئة يبلغ رأسها السحاب فيراها أهل المشرق والمغرب وفي الحديث : «طول الدابة ستون ذراعاً لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب» وفي الخبر : «بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الأرض تحتهم وتتحرك القنديل وينشق جبل الصفا

مما يلي المسعى فتخرج الدابة منه ولا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام يقوم يقفون نظاراً وقوم يفزعون إلى الصلاة فتقول للمصلي: طول ما طولت فوالله لأحطمنك فتخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليه السلام فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا فيظهر أثره كالنقطة ينسبط نوره على وجهه ويكتب على جبهته هو مؤمن وتختم الكافر في أنفه بالخاتم فتظهر نكتة فتفشو حتى يسود لها وجهه ويكتب بين عينيه هو كافر ثم تقول لهم: أنت يا فلان من أهل الجنة وأنت يا فلان من أهل النار» [وكسى نماند دردنيا مكر سفيد روى ومردم يكذكررا بنام ولقب نخوانند بلکه سفيد روى رامى کويند اى بهشتي وسياه روى كه دوزخي وبر روى زمين همي رود وهرکجا نفس وي رسد همه نبات ودرختان خشك ميشود تادر زمين هيچ نبات ودرخت سبز نماند مكر درخت سبيده که آن خشك نکردد از بهر آنکه برکت هفتاد پیغمبر باويست ودر حديث آمده که خروج دابه وطلوع افتاب از مغرب متقارب باشد هرکدام پيش بود آن ديگر برعقبش ظاهر گردد واز کتب بعض ائمة چنان معلوم ميشود از اشراط ساعت اول آيات سماوي که طلوع شود شمس از مغرب واول وآيات ارضي دابة الأرض].

قال في «حياة الحيوان»: ظاهر الأحاديث أن طلوع الشمس آخر الأشراف انتهى كما ورد أن الدجال يخرج على رأس مائة وينزل على عيسى عليه السلام فيقتله ثم مكث في الأرض أربعين سنة وأن الناس يمشون بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة.

والحاصل أن بني الأصفر وهم الإفرنج على ما ذهب إليه المحدثون إذا خرجوا وظهروا إلى الأعماق في ست سنين يظهر المهدي في السنة السابعة ثم يظهر الدجال ثم ينزل عيسى ثم تخرج الدابة ثم تطلع الشمس من المغرب ويدل عليه أنهم قالوا: إذا أخرجت الدابة حبست الحفظة ورفعت الأقلام وشهدت الأجساد على الأعمال وذلك لكمال تقارب الخروج والطلوع فإنه لا يغلق باب التوبة إلا بعد الطلوع والعلم عند الله تعالى.

قال بعض العارفين: السر في صورة الدابة وظهور جمعية الكون فيها أنها صورت الاستعداد الكوني الشهادي الحيواني ومثال الطبع الكلي الحيواني وحامل جمعية الحقائق الدنيوية وهي أيضاً سر البرزخ الكلي العنصري يظهر منها أسرار الحقائق المتضادة كالکفر والإيمان والطاعة والعصيان والإنسانية والحيوانية وهي آية جامعة فيها معان وأسرار لذوي الأبصار كذا في «كشف الكنوز» فعلى العاقل أن يصيخ إلى آيات الله ويتعظ بوعدها وويعيدها ويؤمن بقدر الله تعالى وينتهي للبعث والموت قبل أن ينتهي العمر وينقطع الخير ويختل نظام الدنيا بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد تقارب الزمان.

يا رب از ابر هدايت برسان باراني بیشتر زانکه چو کردی زمیان برخیزم

نسأل الله أن يوفقنا للخير وصالحات الأعمال قبل نفاد العمر ومجيء الآجال.

﴿وَيَوْمَ نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَآذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ يوم منصوب بالذكر. والحشر الجمع والمراد به هنا هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق والأمة جماعة أرسل إليهم رسول كما في «القاموس» والفوج الجماعة من الناس كالزمرة كما في «الوسيط» والجماعة المارة المسرعة كما

في «المفردات». والمعنى واذكر يا محمد لقومك وقت حشرنا أي جمعنا من كل أمة من أمم الأنبياء أو من أهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية لأن كل أمة منقسمة إلى مصدق ومكذب ﴿ممن يكذب بآياتنا﴾ بيان للفوج أي فوجاً مكذبين بها لأن كل أمة وكل عصر لم يخل من كفره بالله من لدن تفريق بني آدم والمراد بالآيات بالنسبة إلى هذه الأمة الآيات القرآنية، ﴿فهم يوزعون﴾ فسر في هذه السورة في قصة سليمان أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقع التوبيخ والمناقشة وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعدهم أطرافهم أو المراد بالفوج رؤساء الأمم المتبوعون في الكفر والتكذيب فهم يحبسون حتى يلتحق بهم أسافلهم التابعون كما قال ابن عباس رضي الله عنهما أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وهكذا يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار وفي الحديث: «امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار».

﴿حتى إذا جاؤوا﴾ إلى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب: وبالفارسية: [تاجون بيايند بحشر كاه]. ﴿قال﴾ الله تعالى موبخاً على التكذيب والالتفات لتربية المهابة. ﴿أكذبتهم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً﴾ الواو للحال ونصب علماً على التمييز أي أكذبتهم بآياتي الناطقة ببقاء يومكم هذا بادی الرأي غير ناظرين فيها نظراً يؤدي إلى العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق حتماً. ﴿أم ماذا كنتم تعملون﴾ أي شيء تعملونه بعد ذلك. وبالفارسية [چه کار کردید بعد از آنکه بخدا ورسول ایمان نیاوردید] يعني لم يكن لهم عمل غير الجهل والتكذيب والكفر والمعاصي كأنهم لم يخلقوا إلا لها مع أنهم ما خلقوا إلا للعلم والتصديق والإيمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتاً فلا يقدرون أن يقولوا فعلنا غير ذلك ثم يكون في النار وذلك قوله تعالى:

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٨٥) أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِسَكُونٍ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٦).

﴿وقع القول عليهم﴾ أي: حل بهم العذاب الذي هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله ﴿بما ظلموا﴾ بسبب ظلمهم الذي هو التكذيب بآيات الله ﴿فهم لا ينطقون﴾ باعتذار لشغلهم العذاب أو لختم أفواههم ثم وعظ كفار مكة واحتج عليهم فقال:

﴿ألم يروا﴾ من رؤية القلب هو العلم. والمعنى بالفارسية: [آيانديدند وندانستند منكران حشراً] ﴿أنا جعلنا الليل﴾ بما فيه من الإظلام ﴿ليسكنوا فيه﴾ ليسترىحوا فيه بالنوم والقرار ﴿والنهار مبصراً﴾ أي ليبصروا بما فيه من الإضاءة طرق القلب في أمور المعاش فبولغ فيه حيث جعل الإبصار الذي هو حال الناس حالاً له ووصفاً من أوصافه التي جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك في الليل هذا المسلك لما أن تأثير ظلام الليل في السكون ليس بمثابة تأثير ضوء النهار في الأبصار. ﴿إن في ذلك﴾ أي في جعلهما كما وصفا. ﴿آيات﴾ عظيمة كثيرة ﴿لقوم يؤمنون﴾ دالة على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وإن من تأمل في تعاقب الليل والنهار وشاهد في الآفاق تبدل ظلمة الليل الحاكية الموت بضياء النهار المضاهي الحياة وعاین في نفسه تبدل النوم الذي هو أخو الموت بالانتباه الذي هو مثل الحياة قضى بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور قضاء متقناً وجزم بأنه قد

جعل هذا أنموذجاً له ودليلاً يستدل به على تحققه وإن الآيات الناطقة بكون حال الليل والنهار برهاناً عليه وسائر الآيات كلها حق نازل من عند الله تعالى .

قال حكيم: الدهر مقسوم بين حياة و وفاة فالحيـاة اليقظة والوفاة النوم، وقد أفلح من أدخل في حياته من وفاته . وفيه إشارة إلى أن النهار وامتداده أفضل من الليل وامتداده إلا لمن جعل الليل للمناجاة . حكى: أن محمد بن النضر الحارثي ترك النوم قبل موته بسنين إلا القيلولة ثم ترك القيلولة .

قال الشيخ سعدى: [طريق درويشان ذكر است وشكر وخدمت وطاعت وإيثار وقناعت وتوحيد وتوكل وتسليم وتحمل هرکه بدین صفتها موصوفست بحقیقت درویش است اگرچه در قیاست نه در خرقة أما هرزه کوی و بی نماز و هوا پرست و هوس باز که روزها شب آرد دربند شهوت و شبها بروز کند در خواب غفلت بخورد هرچه در میان آمد و بگوید هرچه بزبان آید رندست اگرچه درعباست]:

أي درونت برهنه از تقوی وزیرون جامه ریا داری
پرده هفت رنک در بکذار توکه درخانه بوریا داری

قال الإمام القشيري: كان رجل له تلميذان اختلفا فيما بينهما فقال أحدهما: النوم خير لأن الإنسان لا يعصي في تلك الحالة وقال الآخر: اليقظة خير لأنه يعرف الله في تلك الحالة فتحاكما إلى ذلك الشيخ فقال: أما أنت الذي قلت بتفضيل النوم فالموت خير لك من الحياة وأما أنت الذي قلت بتفضيل اليقظة فالحيـاة خير لك . وفيه إشارة إلى أن طول الحياة واليقظة محبوبان لتحصيل معرفة الله تعالى وحسن القيام لطاعته فإنه لا ثواب بعد الموت ولا ترقى إلا لأهل الخير ولمن كان في الطير . فعلى العاقل أن يجد في طريق الوصول ليكون من أهل الوصول والحصول ويتخلص من العذاب مطلقاً فإن غاية العمر الموت ونهاية الموت الحشر ونتيجة الحشر إما السوق إلى الجنة وإما السوق إلى النار إما مؤمن عاص فعذابه التأديب والتطهير وإما كافر مكذب فعذابه عذاب القطيعة والتحقير والمؤمنون يتفاوتون في الدنيا في عقوباتهم على مقادير جرائمهم فمنهم من يعذب ويطلق ومنهم من يعذب ويحبس مدة على قدر ذنبه ومنهم من يحد والحدود مختلفة فمنهم من يقتل وليس بعجب أن لا يسوى بين أهل النار إلا من لا خير فيه وهم الكفار الذين ليسوا بموضع الرحمة لأن الله تعالى رحمهم في الدنيا بإرسال الرسل وإنزال الكتب فاختاروا الغضب بسلوك طريق التكذيب والعناد فهم على السوية في عذاب الفرقة إذ ليس لهم وصلة أصلاً لا في الدنيا ولا في العقبى لأن من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى نسأل الله أن يفتح عيون بصائرنا عن منام الغفلات ويجعلنا من المكاشفين المشاهدين المعانين في جميع الحالات إنه قاضي الحاجات ومعطي المراتب .

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَنَجَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَنْتَ دَاخِرِينَ﴾ (٨٧)

﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ النفخ نفخ الريح في الشيء ونفخ بضمه أخرج منه الريح . والصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام للموت وللحشر فكان أصحاب الجيوش من ذلك أخذوا البوقات لحشر الجند وفي الحديث: «لما فرغ الله من خلق السموات والأرض

خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره إلى العرش متى يؤمر» قال الراوي أبو هريرة رضي الله عنه قلت: يا رسول الله ما الصور؟ قال: «القرن» قلت: كيف هو؟ قال: «عظيم والذي نفسي بيده إن أعظم دارة فيه كعرض السماء والأرض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عندها في الحياة أحد إلا من شاء الله وذلك قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] ثم يؤخر بأخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت إلا بعث وقام وذلك قوله تعالى ﴿نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾ [الزمر: ٦٨] الآية وقد سبق بعض ما يتعلق بالمقام في سورة الكهف والمراد بالنفخ ههنا هي النفخة الثانية. والمعنى واذكر يا محمد لقومك يوم ينفخ في الصور نفخة ثانية يعني ينفخها إسرافيل يوم القيامة لرد الأرواح إلى أجسادها. ﴿فَفَزَعَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: فيفزع ويخاف والتعبير بالماضي للدلالة على وقوعه لأن المستقبل من فعل الله تعالى متيقن الوقوع كتيقن الماضي من غيره لأن إخباره تعالى حق. والفرع انقباض ونفاز يعتري الإنسان من الشيء المخوف ولا يقال: فرعت من الله كما يقال: خفت منه والمراد بالفرع هنا ما يعتري الكل مؤمناً وكافراً عند البعث والنشور بمشاهدة الأمور الهائلة الخارقة للعادات في الأنفس والآفاق من الرعب والتهيب الضروريين الجبليين ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: أن لا يفرع بأن يثبت قلبه وهم الأنبياء والأولياء والشهداء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والملائكة الأربعة وحملة العرش والخزنة والحوار ونحوهم وإن أريد صعقة الفزع يسقط الكل إلا من استثنى نحو إدريس عليه السلام كما في «التيسير» وموسى عليه السلام لأنه صعق في الطور فلا يصعق مرة أخرى. ﴿وَكُلُّ﴾ أي: جميع الخلائق ﴿أَنَّهُ﴾ تعالى أي حضروا الموقف بين يدي رب العزة للسؤال والجواب والمناقشة والحساب. ﴿دَاخِرِينَ﴾ أذلاء. وبالفارسية: [خوارد شدكان] يقال: ادخرته فدخر أي أزلته فذل.

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ لِلَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ ؕ آمِنُونَ ﴿٩٠﴾

﴿وترى الجبال﴾ عطف على ينفخ داخل معه في حكم التذكير أي تراها يومئذ حال كونك ﴿تحسبها جامدة﴾ تظنها ثابتة في أماكنها من جمد الماء وكل سائل قام وثبت ضد ذاب. ﴿وهي﴾ والحال أن تلك الجبال. ﴿تمر﴾ وتمضي ﴿مر السحاب﴾ أي تراها رأي العين ساكنة والحال أنها تمر مثل مر السحاب التي تسيرها الرياح سيراً سريعاً وذلك لأن كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر ولا يحيط به لكثرتة وعظمتة فهو في حسان الناظر واقف وهو يسير وهذا أيضاً مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق فإن الله تعالى يبدل الأرض غير الأرض ويغير هيئتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهي وإن اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى فتسيرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تُسِيرُ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ [الكهف: ٤٧] فإن صيغة الماضي في المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلاً للدلالة على تقدم الحشر على التيسير والرؤية كأنه قيل وحشرنا قبل ذلك.

قال جعفر الخلدي: حضر الجنيد مجلس سماع مع أصحابه وإخوانه فانبسطوا وتحركوا

وبقي الجنيد على حاله لم يؤثر فيه فقال له أصحابه: ألا تنبسط كما انبسط إخوانك فقال الجنيد: وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب قال بعضهم: وكثير من الناس اليوم من أصحاب التمكين ساكنون بنفوسهم سائحون في الملكوت بأسرارهم [محققى فرموده كه اوليا نیز درمیان خلق برحد رسوم واقفند وخلق آن حركات بواطن ایشان كه بیکدم هزار عالم طی میکنند خبر ندارند].

تومبین این پایهارا بر زمین زآنكه بردل میرود عاشق یقین
ازره و مننزل زكوتاه و دراز دل چه داند كوست مست دلنواز
آن دراز و كوته أوصاف تنست رفتن أرواح ديكور رفتن است
دست ني وپاي ني سرتا قدم آنچنانكه تاخت جانها از قدم
قال ابن عطاء: الإيمان ثابت في قلب العبد كالجبال الرواسي وأنواره تخرق الحجاب الأعلى.

وقال جعفر الصادق: ترى الأنفس جامدة عند خروج الروح والروح تسري في القدس لتأوي إلى مكانها من تحت العرش.

﴿صنع الله﴾ الصنع إجادة العقل فكل صنع فعل وليس كل فعل صنعا ولا ينسب إلى الحيوانات كما ينسب إليها الفعل كما في «المفردات» وهو مصدر مؤكد لمضمون ما قبله أي صنع الله ذلك صنعا وفعله على أنه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور وما ترتب عليه جميعا ﴿الذي أتقن كل شيء﴾.

قال في «المختار» في تقن صنع الله الذي أتقن إتقان الشيء إحكامه. والمعنى أحكم خلقه وسواه على ما ينبغي. وبالفارسية [استوار كرد همه چیزهارا و بیارست بروجهی كه شاید].

قال في الإرشاد: قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الأفاعل وتهويل أمرها والإيذان بأنها ليست بطريق إخلال نظام العالم وإفساد أحوال الكائنات بالكلية من غير أن تدعو إليها داعية ويكون لها عاقبة بل هي من قبيل بدائع صنع الله المبنية على أساس الحكمة المستتعة للغايات الجميلة التي لأجلها رتب مقدمات الخلق ومبادئ الإبداع على الوجه المتين والمنهج الرصين. ﴿إنه خير بما تفعلون﴾ عالم بظواهر أفعالكم وبواطنها أيها المكلفون ولذا فعل ما فعل من النفخ والبعث ليجازيكم على أعمالكم كما قال:

﴿من﴾ [هركه از شما] ﴿جاء﴾ [بیاید] ﴿بالحسنة﴾ بكلمة الشهادة والإخلاص فإنها الحسنة المطلقة وأحسن الحسنات ﴿فله خير منها﴾ نفع وثواب حاصل من جهتها ولأجلها وهو الجنة فخير اسم من غير تفضيل إذ ليس شيء خيرا من قول: لا إله إلا الله ويجوز أن يكون صيغة تفضيل إن أريد بالحسنة غير هذه الكلمة من الطاعات فالمعنى إذا فعله من الجزاء ما هو خير منها إذا ثبت له الشرف بالخير والباقي بالفاني وعشرة بل سبعمائة بواحد. ﴿وهم﴾ أي: الذين جاؤوا بالحسنات ﴿من فزع﴾ أي عظيم هائل لا يقادر قدره وهو الفرع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات وهو الذي في قوله تعالى: ﴿لَا يَخْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وعن الحسن حين يؤمر بالعبد إلى النار.

وقال ابن جريج: حين يذبح الموت وينادي: يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت. ﴿يَوْمئِذٍ﴾ أي: يوم ينفخ في الصور. ﴿آمِنُونَ﴾ لا يعترهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره أصلاً وأما الفزع الذي يعترى كل من في السموات ومن في الأرض غير من استثناه الله فإنما هو التهييب والرعب الحاصل في ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهي والأهوال ولا يكاد يخلو منه أحد بحكم الجبلية وإن كان آمناً من لحوق الضرر.

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٩٠)

﴿ومن جاء بالسيئة﴾ أي: الشرك الذي وهو أسوأ المساوئ ﴿فكبت وجوههم في النار﴾ الكب إسقاط الشيء على وجهه أي ألقوا وطرحوا فيها على وجوههم منكوسين ويجوز أن يراد بالوجوه أنفسهم كما أريدت بالأيدي في قوله: و ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] فإن الوجه والرأس والرقبة واليد يعبر بها عن جميع البدن ﴿هل تجزون﴾ على الالتفات أو على إضمار القول أي مقولاً لهم ما تجزون. ﴿إلا ما كنتم تعملون﴾ من الشرك وفي الحديث: «إذا كان يوم القيامة جاء الإيمان والشرك يجثوان بين يدي الرب تعالى فيقول الله تعالى للإيمان: انطلق أنت وأهلك إلى الجنة ويقول للشرك: انطلق أنت وأهلك إلى النار» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿من جاء بالحسنة﴾ إلى قوله: ﴿في النار﴾.

ويقال: لا إله إلا الله مفتاح الجنة ولا بد للمفتاح من أسنان حتى يفتح الباب ومن أسنانه لسان ذاكر طاهر من الكذب والغيبة، وقلب خاشع طاهر من الحسد والخيانة، وبطن طاهر من الحرام والشهية، وجوارح مشغولة بالخدمة طاهرة من المعاصي.

وعن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أبا عبد الله ألا أنبئك بالحسنة التي من جاء بها أدخله الله الجنة والسيئة التي من جاء بها كبه الله في النار ولم يقبل معها عملاً؟ قلت: بلى قال: الحسنة حيناً والسيئة بعضنا اعلم أن الله تعالى هدى الخلق إلى طلب الحسنات بقوله: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١] وهي استعمالهم في أحكام الشريعة على وفق آداب الطريقة بتربية أرباب الحقيقة وفي الآخرة حسنة وهي انتفاع من عالم الحقيقة انتفاعاً أبدياً سرمدياً وهم لا يحزنهم الفزع الأكبر أصيبوا بفزع المحبة في الدنيا فحوسبوا في فزع العقبي به ومن جاء بحب الدنيا فكبت وجوههم في نار القطيعة وقيل لهم: ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ يعني بطلب الدنيا فإنها مبنية على وجه جهنم ودركاتها فمن ركب في طلبها وقع في النار:

أكر خواهي خلاص از نار فرقت مده دلرا بجز عشق ومحبت

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبَدَ رَبُّكَ هَذِهِ الْبَلَدَةُ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَمْ كُلْ شَيْءٌ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩١).

﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها﴾ العبادة غاية التذلل والبلد المكان المحدود المتأثر باجتماع قطانه وإقامته فيه ولا اعتبار الأثر قيل بجلده بلدة أي أثر والمراد بالبلدة هنا مكة المعظمة وتخصيصها بالإضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها مثل ناقة الله وبيت الله ورجب شهر الله.

قال في «التكملة»: خص البلدة بالذكر وهي مكة وإن كان رب البلاد كلها ليعرف

المشركون نعمته عليهم أن الذي ينبغي لهم أن يعبدوه هو الذي حرم بلدتهم انتهى قوله: الذي نعت لرب والتحريم جعل الشيء حراماً أي ممنوعاً منه والتعرض لتحريمه تعالى إياها إجلال لها بعد إجلال ومعناه يحرمها من انتهاك حرمتها بقطع شوكها وشجرها ونباتها وتغيير صيدها وإرادة الإلحاد فيها بوجه من الوجوه وفي الحديث: «إن مكة حرمتها الله ولم يحرمها الناس» أي كان تحريمها من الله بأمر سماوي لا من الناس باجتهاد شرعي وأما قوله عليه السلام: «إن إبراهيم حرم مكة» فمعناه أظهر الحرمة الثابتة أو دعا فحرمها الله حرمة دائمة. ومعنى الآية: قل لقومك يا محمد: أمرت من قبل الله أن أخصه وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكاً فاعبدوه أنتم ففيه عزكم وشرفكم ولا تتخذوا له شريكاً وقد ثبتت عليكم نعمته بتحريم بلدتكم.

قال بعضهم: العبودية لباس الأنبياء والأولياء. ﴿وله﴾ أي: ولرب هذه البلدة خاصة. ﴿كل شيء﴾ خلقاً وملكاً وتصرفاً لا يشاركه في شيء من ذلك أحد. وفيه تنبيه على أن أفراد مكة بالإضافة للتفخيم مع عموم الربوبية لجميع الموجودات.

صنعش كه همه جهان بياراست

﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ من الثابتين على ملة الإسلام والتوحيد أو من الذين أسلموا وجوههم لله خاصة.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن المسلم الحقيقي من يكون إسلامه في استعمال الشريعة مثل استعمال النبي عليه السلام الشريعة في الظاهر وهذا كمال العناية في حق المسلمين لأنه لو قال: وأمرت أن أكون من المؤمنين لما كان أحد يقدر على أن يكون إيمانه كإيمان النبي عليه السلام نظيره قوله تعالى: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣] ولهذا قال عليه السلام: «صلوا كما رأيتموني أصلي» يعني: في الظاهر ولو قال: صلوا كما أنا أصلي لما كان أحد يقدر على ذلك لأنه كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء وكان في صلاته يرى من خلفه كما يرى من أمامه.

﴿وَأَن أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ وَتِلَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِيكُمْ ۖ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وأن أتلو القرآن﴾ التلاوة قراءة القرآن متابعة كالدراصة والأوراد الموظفة والقراءة أعم يقال: تلاه تبعه متابعة ليس بينهما ما ليس منهما أي وأمرت بأن أواظب على تلاوته لتكشف لي حقائقه في تلاوته شيئاً فشيئاً فإنه كلما تفكر التالي العالم تجلت له معان جديدة كانت في حجب مخفية، ولذا لا يشبع العلماء الحكماء من تلاوة القرآن وهو السر في أنه كان آخر وردهم لأن المنكشف أولاً للعارفين حقائق الآفاق، ثم حقائق الأنفس ثم حقائق القرآن فعليك بتلاوة القرآن كل يوم ولا تهجره كما يفعل ذلك طلبة العلم وبعض المتصوفة زاعمين بأنهم قد اشتغلوا بما هو أهم من ذلك وهو كذب فإن القرآن مادة كل علم في الدنيا ويستحب لقارئ القرآن في المصحف أن يجهر بقراءته ويضع يده على الآية يتبعها فيأخذ اللسان حظه من الرفع ويأخذ البصر حظه من النظر واليد حظها من المس وسماع القرآن أشرف أرزاق الملائكة السياحين وأعلاها ومن لم تتيسر له تلاوة القرآن فليجلس لبث العلم لأجل الأرواح الذين غذاؤهم العلم لكن لا يتعدى علوم القرآن والطهارة الباطنة للأذنين تكون باستماع القول الحسن فإنه ثم حسن

وأحسن فأعلاه حسناً ذكر الله بالقرآن فيجمع بين الحسين فليس أعلى من سماع ذكر الله بالقرآن مثل كل آية لا يكون مدلولها إلا ذكر الله فإنه ما كل آية تتضمن ذكر الله فإن فيه حكاية الأحكام المشروعة وفيه قصص الفراعنة وحكايات أقوالهم وكفرهم وإن كان في ذلك الأجر العظيم من حيث هو قرآن بالإصغاء إلى القارئ إذا قرأ من نفسه أو غيره فعلم أن ذكر الله إذا سمع في القرآن أتم من سماع قول الكافرين في الله ما لا ينبغي كذا في «الفتوحات».

واعلم أن خلق النبي عليه السلام كان القرآن فانظر في تلاوتك إلى كل صفة مدح الله بها عباده فافعلها أو اعزم على فعلها وكل صفة ذم الله بها عباده على فعلها فاتركها أو اعزم على تركها فإن الله تعالى ما ذكر لك ذلك وأنزله في كتابه إلا لتعمل به فإذا حفظت القرآن عن تضييع العمل به كما حفظته تلاوة فأنت الرجل الكامل. ﴿فمن اهتدى﴾ باتباعه إياي فيما ذكر من العبادة والإسلام وتلاوة القرآن. ﴿فإنما يهتدي لنفسه﴾ فإن منافع اهتدائه عائدة إليه لا إلى غيره. ﴿ومن ضل﴾ بمخالفتي فيما ذكر ﴿فقل﴾ في حقه ﴿إنما أنا من المنذرين﴾ فقد خرجت من عهدة الإنذار والتخويف من عذاب الله وسخطه فليس عليّ من وباله شيء وإنما هو عليه فقط ويجوز أن يكون معنى وأن أتلو القرآن وأن أواظب على تلاوته للناس بطريق تكرير الدعوة فمعنى قوله: فمن اهتدى حينئذ فمن اهتدى بالإيمان والعمل بما فيه من الشرائع والأحكام ومن ضل بالكفر به والإعراض عن العمل بما فيه. وهذه الآية منسوخة بآية السيف.

وفي «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن نور القرآن يربي جوهر الهداية والضلالة في معدن قلب الإنسان السعيد والشقي كما يربي ضوء الشمس الذهب والحديد في المعادن يدل عليه قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦] وقال عليه السلام: «الناس كمعادن الذهب والفضة» ﴿وقل الحمد لله﴾ أي على ما أفاض عليّ من نعمائه التي أجلها نعمة النبوة والقرآن ﴿سيريكم آياته فتعرفونها﴾ أي فتعرفون أنها آيات الله حين لا تنفعكم المعرفة.

وقال مقاتل: سيريكم آياته عن قريب الأيام فطوبى لمن رجع قبل وفاته والويل على من رجع بعد ذهاب الوقت. قال الشيخ سعدى قدس سره:

كنون بايد أي خفته بيدار بود	چومرك اندر آرد ز خوابت چه سود
توغافل در اندیشه سود و مال	كه سرمايه عمر شد پايمال
كوت چشم عقلست وتدبير كور	كنون كن كه چشمت نخوردست مور
كنون كوش كاب از كمردر كذشت	نه وقتي كه سيلاب از سر كذشت
سكندر كه بر عالمي حكم داشت	دران دم كه بكذشت عالم كذاشت
ميسر نبودش كزو عالمي	ستانند ومهلت دهندش دمي

﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ كلام مسوق من جهته تعالى مقرر لما قبله من الوعد والوعيد كما ينبئ عنه إضافة الرب إلى ضمير النبي عليه السلام وتخصيص الخطاب أولاً به وتعميمه ثانياً للكفرة تغليلاً أي وما ربك بغافل عما تعمل أنت من الحسنات وما تعملون أنتم أيها الكفرة من السيئات لأن الغفلة التي هي سهو يعتري من قلة التحفظ واليقظ لا يجوز عليه تعالى فيجازي كلاً منكم بعمله وكيف يغفل عن أعمالكم وقد خلقكم وما تعملون كما خلق الشجرة وخلق فيها ثمرتها فلا يخفى عليه حال أهل السعادة والشقاوة وإنما يمهل لحكمة لا

لغفلة وإنما الغفلة لمن لا يتنبه لهذا فيعصي الله بالشرك وسيئات الأعمال وأعظم الأمراض القلبية نسيان الله ولا ريب أن علاج أمر إنما هو بضده وهو ذكر الله. حكى: أن إبراهيم بن أدهم سر يوماً بمملكته ونعمته ثم نام فرأى رجلاً أعطاه كتاباً فإذا فيه مكتوب لا تؤثر الفاني على الباقي ولا تغتر بملكك فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم فسارع إلى أمر الله فإنه يقول: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فانتبه فزعاً وقال: هذا تنبيه من الله وموعظة فتاب إلى الله ورسوله بالقبول والعمل والمجانبة عن التأخر في طريق الحق والأخذ بالبطالة والكسل.

براحتي نرسيد آنكه زحمتي نكشيد
نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المجدّين في الدين إلى أن يأتي اليقين والساعين في طريقه للوصول إلى خاص توفيقه.

تمت سورة النمل يوم الثلاثاء الرابع من شهر الله المحرم المنتظم
في سلك شهور سنة تسع ومائة وألف من الهجرة

وهي مكية وآياتها ثمان وثمانون
على ما في التفاسير المعولة من المختصرة والمطولة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَمَ﴾ ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ .

﴿طسم﴾ يشير إلى القسم بطاء طوله تعالى وطاء طهارة قلب حبيبه عليه السلام عن محبة غيره وطاء طهارة أسرار موحيه عن شهود سواء ويسين سره مع محبيه وبميم مننه على كافة مخلوقاته بالقيام بكفائاتهم على قدر حاجاتهم كذا في «التأويلات النجمية» [إمام قشيري آورده كه طا اشارت است بطهارت نفوس عابدان از عبادت اغيار وطهارت قلوب عارفان از تعظيم غير جبار وطهارت ارواح محبان از محبت ما سوى وطهارت أسرار موحدان از شهود غير خداي .

سلمى رحمه الله كويد سين رمز بست از أسرار الهي باعاصيان بنجات ويا مطيعان بدرجات ومحبان بدوام مناجات ومرامات .

إمام يافعي رحمه الله فرموده كه حق سبحانه وتعالى اين حروف را سبب محافظت قرآن كرداننده از تطرق سمات زياده ونقصان وسر مشار إليه در آيت وانا لحافظون اين حروفست [كما في «تفسير الكاشفي» وقد سبق غير هذا من الإشارات الخفية والمعاني اللطيفة في أول سورة الشعراء فارجع إليه تغنم بما لا مزيد عليه .

﴿تلك﴾ أي هذا السورة ﴿آيات الكتاب المبين﴾ آيات مخصوصة من القرآن الظاهر إعجازه .
﴿نتلو عليك﴾ التلاوة الإتيان بالثاني بعد الأول في القراءة أي نقرأ قراءة متتابعة بواسطة جبريل يعني يقرأ عليك جبريل بأمرنا . ﴿من نبي موسى وفرعون﴾ مفعول نتلو أي بعض خبرهما الذي له شأن . ﴿بالحق﴾ حال من فاعل نتلو أي محققين وملتبسين بالحق والصدق الذي لا يجوز فيه الكذب .

﴿لقوم يؤمنون﴾ متعلق بنتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لأنهم المتفعون به كأن قائلًا قال : وكيف نبأهما؟ فقال :

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ٤ .

﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ فهو استئناف مبين لذلك البعض وتصديره بحرف التأكيد

للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده والعلو الارتفاع. وبالفارسية [بلند شدن وکردن كشي كردن] أي تجبر وطفى في أرض مصر وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان.

قال في «كشف الأسرار»: [از اندازه خویش شد].

وقال الجنيد قدس سره: ادعى ما ليس له ﴿وجعل أهلها﴾ [وکردانید أهل مصر را ازقبطیان و سبطیان] ﴿شیعاً﴾ جمع شيعة بالكسر وهو من يتقوى بهم الإنسان ويتشرون عنه لأن الشيع الانتشار والتقوية يقال: شاع الحديث أي كثر وقوي شاع القوم انتشروا وكثروا. والمعنى فرقاً يشيعونه ويتبعونه في كل ما يريد من الشر والفساد أو أصنافاً في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل من بناء وحرق وحفر وغير ذلك من الأعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية.

قالب في «كشف الأسرار»: كان القبط إحدى الشيع وهم شيعة الكرامة ﴿يستضعف﴾ الاستضعاف [ضعيف وزبون يافتن وشمردن يعني زبون كرفت ومقهور ساخت] ﴿طائفة منهم﴾ [كروهي ازایشان].

والجملة حال من فاعل جعل أو استئناف كأنه قيل: كيف جعلهم شيعاً؟ فقال: يستضعف طائفة منهم أي من أهل مصر وتلك الطائفة بنو إسرائيل ومعنى الاستضعاف أنهم عجزوا وضعفوا عن دفع ما ابتلوا به عن أنفسهم. ﴿يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم﴾ بدل من الجملة المذكورة وأصل الذبح شق حلق الحيوان والتشديد للتكثير والاستحياء الاستبقاء. والمعنى يقتل بعضهم أثر بعض حتى قتل تسعين ألفاً من أبناء بني إسرائيل صغاراً ويترك البنات أحياء لأجل الخدمة وذلك لأن كاهناً قال له: يولد في بني إسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه إذ لو صدق فما فائدة القتل وإن كذب فما وجهه كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فمررنا بصبيان فيهم ابن صياد وقد قارب البلوغ فقال له رسول الله: «أتشهد أنني رسول الله» فقال: لا بل أتشهد أنني رسول الله؟ فقلت: ذرني يا رسول الله أقتله عن ظن أنه الدجال فقال عليه السلام: «إن يكن فلن تسلط عليه» يعني إن يكن ابن الصياد هو الدجال فلن تسلط على قتله لأنه لا يقتله إلا عيسى ابن مريم «وإن لا يكن فلا خير لك في قتله» «إنه كان من المفسدين» أي: الراسخين في الإفساد ولذلك اجترأ على قتل خلق كثير من المعصومين.

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِيكُ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ٥ ﴿وَنَمُنَّ فِي الْأَرْضِ وَنَرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمْلَكَ وَنَجْعَلُهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ ٦

﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض﴾ أن نتفضل عليهم بإنجائهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على أن فرعون علا لثنا سبهما في الوقوع تفسيراً للنبأ يقال: من عليه مناً إذا أعطاه شيئاً والمنان في وصفه تعالى المعطي ابتداء من غير أن يطلب عوضاً. ﴿ونجعلهم أئمة﴾ جمع إمام وهو المؤتم به أي قدوة يقتدى بهم في أمور الدين بعد أن كانوا أتباعاً مسخرين لآخرين.

وفي «كشف الأسرار»: أنبياء وكان بين موسى وعيسى عليهما السلام ألف نبي من بني إسرائيل. ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ كل ما كان في ملك فرعون وقومه آخر الوراثة عن الإمامة مع

تقدمها عليها زماناً لانهطاط رتبته عنها.

﴿وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أصل التمكين أن تجعل لشيء مكاناً يتمكن فيه ثم استعير للتسليط أي نسلطهم على أرض مصر والشام يتصرفون فيها كيفما يشاؤون. ﴿وَنُرِيْ فرعون وهامان﴾ وهو وزير فرعون ﴿وَجُنُودَهُمَا﴾ وعساكرهما ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: من أولئك المستضعفين ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ ويجهتدون في دفعه من ذهاب ملكهم وهلكهم على يد مولود منهم والحذر احتراز عن مخيف كما في «المفردات».

قال الكاشفي: [وديدن این صورت را دروقتي که در دریا علامت غرقه شدن مشاهده کردند وبنی اسرائیل تفرج کنان بر ساحل دریا بنظر در آوردند ودانستندکه بسبب ظلم وتعدي مغلوب ومقهور شده مظلومان وبیچارکان بمراد رسید غالب وسر إفراز شدند.

وسر «يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم» آشکار أشد[.

أي ستمکار برانديش ازان روزسياه
آنکه اکنون بحقارت نکري جانب وي
قال الشيخ سعدي قدس سره:

خبر یافت کردن کشي در عراق
توهم بردري هستي اميد وار
نخواهی که باشد دلت دردمند
پریشانیء خاطر داد خواه
تحمّل کن أي ناتوان از قوی
لب خشک مظلوم را کو بخند
يقال: الظلم يجلب النقم ويسلب النعم.

قال بعض السلف: دعوتان أرجو إحداهما كما أخشى الأخرى دعوة مظلوم أعتته ودعوة ضعيف ظلمته.

نخفته است مظلوم از آهش بترس
نترسي که پاک اندروني شبی
زدود دل صبحکاهش بترس
برآرد زسوز جگر ياربي

وفي الحديث: «أسرع الخير ثواباً صلة الرحم وأعجل الشر عقوبة البغي» ومن البغي استيلاء صفات النفس على صفات الروح فمن أعان النفس صار مقهوراً ولو بعد حين ومن أعان الروح صار منه أهل التمكين ومن الأئمة في الدين.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيْهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ كَفَّيْهِ فِي أَيْمٍ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۚ إِنَّا رَأَوْنَاهُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَاهُ مِنْ أَلْمَسَلِينَ﴾

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَى﴾ اسمها يارخا وقيل: أيارخت كما في «التعريف» للسهيلى ونوحايد بالنون ويوحاند بالياء المثناة تحت في الأولى كما في «عين المعاني» وكانت من أولاد لاوي بن يعقوب عليه السلام. وأصل الوحي الإشارة السريعة ويقع على كل تنبيه خفي والإيحاء إعلام في خفاء.

قال الإمام الراغب: يقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه: وحي وذلك إما برسول

مشاهد یری ذاته وسمع کلامه کتبلیغ جبریل للنبی علیه السلام فی صورة معینه. واما بسماع کلام من غیر معاینه کسماع موسی علیه السلام کلام الله تعالی. واما بإلقاء فی الروح کما ذکر علیه السلام: «إن روح القدس نفث فی روعي» واما بإلهام نحو قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾. واما بتسخیر نحو قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّحْلِ﴾ [النحل: ۶۸] أو بمنام کقوله علیه السلام: «انقطع الوحي وبقیت المبشرات رؤیا المؤمن» انتهى بإجمال فالمراد وحي الإلهام کما ذكره الراغب. فالمعنی قذفنا فی قلبها وعلمنها.

وقال بعضهم: كان وحي الرؤيا.

وعلم الهدی [فرموده که شایدرسول فرستاده باشد از ملائکه] یعنی أتاها ملک کما أتى مريم من غير وحي نبوة حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُكَ﴾ [آل عمران: ۴۲] وذلك أن أم موسى حبلت بموسى فلم يظهر بها أثر الحمل من نثوء البطن وتغير اللون وظهور اللبن وذلك شيء ستره الله بما أراد أن يمتن به على بني إسرائيل حتى ولدت موسى ليلة لا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد من القوابل الموكلة من طرف فرعون بحبالى بني إسرائيل ولا من غيرهن إلا أخته مريم فأوحى الله إليها ﴿أَنْ﴾ مفسرة بمعنى أي ﴿أَرْضِعِيهِ﴾ [شیرده موسی را وپرور داورا] ما أمكنك إخفاؤه.

وفي «كشف الأسرار»: ما لم تخافي عليه الطلب ﴿فإذا خفت عليه﴾ بأن يحس به الجيران عند بكائه. وبالفارسية: [پس چون ترسی برووفهم کنی که مردم دانسته وقصد او خواهند کرد] ﴿فألقیه فی الیم﴾ فی البحر وهو النيل.

قال بعض الكبار: فإذا خفت حفظه وعجزت عن تدبيره فسلمیه إلینا لیكون فی حفظنا وتدبيرنا. ﴿ولا تخافي﴾ علیه ضیقة ولا شدة ﴿ولا تحزني﴾ بفراقه ﴿إنا رادوه إليك﴾ عن قريب بوجه لطیف بحيث تأمین علیه. ﴿وجاعلوه من المرسلین﴾ [یعنی: أورا شرف نبوت ارزانی خواهیم داشت] فأرضعته ثلاثة أشهر أو أكثر ثم ألح فرعون فی طلب الموالید واجتهد العیون فی تفحصها فجعلته فی تابوت مطلي بالقار فقذفته فی النيل لیلا.

قال الكاشفي: [تجاری راکه آشنای عمران بود فرمودکه صندوقی پنج شبر بتراشد وآن نجار خربیل ابن صبور بود این عم فرعون چون صندوق تمام کرد وبمادر موسی داد ودر خاطرش گذشت که کودکی دارد می خواهد درصندوق کرده از مؤکلان بکریزاند نزد کماشته فرعون آمد وخواست که صورت حال باز نماید زبانش بسته شد بخانه خود آمد خواست که نزد فرعون رود ونمامی کند چشمش نابینا شد دانست که آن مولود که کاهنان نشان داده انیست فی الحال نادیده بدوایمان آورد ومؤمن ال فرعون أوست وما در موسی صندوق را بقیع اندوده موسی را دروی خوابانید وسر صندوق هم بقیع محکم بست ودر رودنیل افکند] وكان الله تعالى قادراً على حفظه بدون إلقائه فی البحر لكن أراد أن یربیه بید عدوه لیعلم أن قضاء الله غالب وفرعون فی دعواه کاذب.

جهد فرعون چوبی توفیق بود هرچه اومیدوخت آن تفتیق بود وكان لفرعون يومئذ بنت لم یکن له ولد غیرها وكان من أكرم الناس علیه وكان بها علة البصر وعجزت الأطباء عن علاجها. [اهل کهانت گفته بودندکه فلان روز در رودنیل إنسانی خرد سال یافته شود واین علت بآب دهن او زائل گردد دران روز معین فرعون وزن ودختر

ومحرمات وي همه درکنار رودنیل انتظار انسان موعود می بودند که ناگاه صندوق بر روی آب نمودار شد فرعون بملازمان امر کرد که آنرا بکیرید و بیارید.

﴿فَالْقَظَّةُ ۖ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾

﴿فالتقطه آل فرعون﴾ الفاء فصیحة مفصحة عن عطفه على جملة محذوفة والالتقاط إصابة الشيء من غير طلب ومنه اللقطة وهو مال بلا حافظ ثم يعرف مالكة واللقيط هو طفل لم يعرف نسبه يطرح في الطريق أو غيره خوفاً من الفقر أو الزنى ويجب رفعه إن خيف هلاكه بأن وجده في الماء أو بين يدي سبع وتفصيله في الفقه وآل الرجل خاصته الذين يؤول إليه أمرهم للقراءة أو الصحبة أو الموافقة في الدين. والمعنى فألقته في اليم بعد ما جعلته في التابوت حسبما أمرت به فالتقطه آل فرعون أي أخذوه أخذ اعتناء به وصيانة له عن الضياع. ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ اللام لام العاقبة والصيرورة لا لام العلة والإرادة لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدواً وحزناً ولكن صار عاقبة أمرهم إلى ذلك أبرز مدخولها في معرض العلة لالتقاطهم تشبيهاً له في الترتب عليه بالعرض الحامل عليه وهو المحبة والتبني وتمامه في فن البيان وجعل موسى نفس الحزن إيذاناً لقوة سببته لحزنهم.

قال الكاشفي: ﴿عدواً﴾ [دشمني مر مردانرا که بسبب فرعون غرق شوند ﴿وحزناً﴾ واندوهي بزرک مرزنانراکه برده کيرند] ﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ في كل ما يأتون وما يذرون فليس بدع منهم أن قتلوا ألوفاً لأجله ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون. والخطأ مقصوراً العدول عن الجهة والخطأ من يأتي بالخطأ وهو يعلم أنه خطأ وهو الخطأ التام المأخوذ به الإنسان يقال: خطئ الرجل إذا ضل في دينه وفعله والمخطئ من يأتي به وهو لا يعلم أي يريد ما يحسن فعله ولكن يقع منه بخلاف ما يريد يقال: أخطأ الرجل في لاه وأمره إذا زل وهفا. حكى: أنهم فتحوا التابوت ورأوا موسى ألقى الله محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون إلى ريقه فلطخت به برصها فبرئت من ساعتها.

آمد طبیب درد بکلی علاج یافت

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذُهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَدَرِيًّا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَيَّ قَلْبُهَا لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿وقالت امرأة فرعون﴾ هي آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل: كانت من بني إسرائيل من سبط موسى وقيل: كانت عمته حكاة الشبلي وكانت من خيار النساء أي قالت لفرعون حين أخرج من التابوت: ﴿قرة عين لي ولك﴾ أي هو قرة عين لنا لأنهما لما رآياه أحياه.

وقال الكاشفي: [ابن كودك روشني چشم است مراوتراکه بسبب او دختر ماشفا یافت] وقد سبق معنى القرة مراراً وفي الحديث: «أنه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها» ﴿لا تقتلوه﴾ خاطبته بلفظ الجمع تعظيماً ليساعدها فيما تريده. ﴿عسى أن ينفعنا﴾ [شایدکه سود برساند ماراکه امارت یمن وعلامت برکت درجین او لایح است] وذلك لما رأت

من برء البرصاء بريقه وارتضاعه إبهامه لبناً ونور بين عينيه ولم يره غيرها .
قال بعض الكبار: وجوه الأنبياء والأولياء مرآتي أنوار الذات والصفات ينتفع بتلك الأنوار المؤمن والكافر لأن معها لذة حالية نقدية وإن لم يعرفوا حقائقها فينبغي للعاشق أن يرى عين اليقين والإيمان أنوار الحق في وجوه أصفياه كما رأت آسية وقد قيل في حقهم: «من رآهم ذكر الله» ﴿أو نتخذهم ولدًا﴾ أي نتبناه فإنه أهل له ولم يكن له ولد ذكر ﴿وهم لا يشعرون﴾ حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً وقالت امرأته كيت وكيت وهم لا يشعرون بأنهم على خطأ عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه والتبني له وقوله: ﴿إن فرعون﴾ الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتأكيد خطئهم .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية: عسى أن ينفعنا لنفعله الله ولكنه أبى للشقاء الذي كتبه الله عليه . روي: أنه قالت الغواة من قوم فرعون: إن نظن إلا أن هذا هو الذي يحذر منه رمي في البحر خوفاً منك فاقتله فهم فرعون بقتله فقالت آسية: إنه ليس من أولاد بني إسرائيل فليل لها: وما يدريك؟ فقالت: إن نساء بني إسرائيل يشفقن على أولادهن ويكتمنهم مخافة أن تقتلهم فكيف يظن بالوالدة أنها تلقي الولد بيدها في البحر أو قالت: إن هذا كبير ومولود قبل هذه المدة التي أخبرت لك فاستوهبته لما رأت عليه من دلائل النجاة فتركه وسمته آسية موسى لأن تابوته وجد بينا لماء والشجر والماء في لغتهم «مو» والشجر «شا» .

قال في «بحر الحزن»: لما كان القرآن هادياً يهدي إلى الرشd والرشd في تصفية القلب وتوجهه إلى الله تعالى وتزكية النفس ونهيها عن هواها وكانت قصة موسى عليه السلام وفرعون تلائم أحوال القلب والنفس فإن موسى القلب بعصا الذكر غلب على فرعون النفس وجنوده مع كثرتهم وانفراده كرر الحق تعالى في القرآن قصتهما تفخيماً للشأن وزيادة في البيان لبلاغة القرآن ثم إفادة لزوائد من المذكور قبله في موضع يكرره منه انتهى .

قال في «كشف الأسرار»: [تكرار قصه] موسى وذكر فراوان درقرآن دليل است بر تعظيم كار أو وبزرگ داشتن قدراو وموسى يا اين مرتبت ومنقبت جز بقديم تبيعت محمد عربي ﷺ نرسيد] كما قال عليه السلام: «لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي» [مصطفائي عربي از صدر دولت ومنزل كرامت اين كرامت كه عبارت ازان «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» است قصد صف نعال كرد تا ميكفت ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] وموسى كليم از مقام خود تجاوز نمود وقصد صدر دولت كردكه ميكفت ﴿أَرَأَيْتُمْ أَنظُرَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] لا جرم موسارا جواب اين آمد «لن تراني» مصطفارا اين گفتندكه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ﴾ [الفرقان: ٤٥] لولاك لما خلقت الأفلاك عادت میان مرام چنان رفت كه چون بزرگي درجايي رود ومتواضع وار درصف النعال بنشينند أورا كويند اين نه جاي تست خيز ببالا ترنشين] فعلى العاقل أن يكون على تواضع تام ليستعد بذلك لرؤية جمال رب الأنام:

فروتن بود هوشمند كزين نهد شاخ پرميوه سربرزمين
﴿وأصبح فؤاد أم موسى﴾ أصبح بمعنى صار والفؤاد القلب لكن يقال له: فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد أي التحرق والتوقد كما في «المفردات» و«القاموس» فالفؤاد من القلب كالقلب من الصدر يعني الفؤاد وسط القلب وباطنه الذي يحترق بسبب المحبة ونحوها .

قال بعضهم: الصدر معدن نور الإسلام والقلب معدن نور الإيقان والفؤاد معدن نور البرهان والنفس معدن القهر والامتحان والروح معدن الكشف والعيان والسر معدن لطائف البيان ﴿فَارْغَا﴾ الفراغ خلاف الشغل أي صفرًا من العقل وخاليًا من الفهم لما غشيها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوع موسى في يد فرعون دل عليه الربط الآتي فإنه تعالى قال في وقعة بدر ﴿وَلَا يَرْبُطُ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ [الأنفال: ١١] إشارة إلى نحو قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤] فإنه لم تكن أفئدتهم هواء أي خالية فارغة عن العقل والفهم لفرط الحيرة ﴿إِنْ﴾ أي إنها ﴿كَادَتْ﴾ قاربت من ضعف البشرية وفرط الاضطراب ﴿لَتَبْدِيَ بِهِ﴾ لتظهر بموسى وأنه ابنها وتفشي سرها وأنها ألقته في النيل يقال: بدا الشيء بدوأ وبدوأ ظهر ظهوراً بيناً وأبداه أظهره إظهاراً بيناً.

قال في «كشف الأسرار»: الباء زائدة أي تبديه أو المفعول مقدر أي تبدي القول به أي بسبب موسى.

قال في «عرائس البيان»: وقع على أم موسى ما وقع على آسية من أنها رأت أنوار الحق من وجه موسى فشفت عليه ولم يبق في فؤادها صبر من الشوق إلى وجه موسى وذلك الشوق من شوق لقاء الله تعالى فغلب عليها شوقه وكادت تبدي سرها ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ شددنا عليه بالصبر والثبات بتذكير ما سبق من الوعد وهو رده إليها وجعله من المرسلين والربط الشد وهو العقد القوي ﴿لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [وإين لطف كريم تاباشد آن زن ازباورداردن كان مروعهـ مارا] أي من المصدقين بما وعدها الله بقوله: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ﴾ ولم يقل من المؤمنين تغليبا للذكور. وفيه إشارة إلى أن الإيمان من مواهب الحق إذ المبني على الموهبة وهو الوحي أولاً ثم الربط بالتذكير ثانياً موهبة.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ﴾ ﴿١٢﴾.

﴿وقالت﴾ أم موسى ﴿لأختها﴾ أي: لأخت موسى لم يقل لبنتها للتصريح بمدار المحبة وهو الأخوة إذ به يحصل امتثال الأمر واسم أخته مريم بنت عمران وافق اسم مريم أم عيسى واسم زوجها غالب بن يوشا.

قال بعضهم: والأصح أن اسمها كلثوم لا مريم لما روى الزبير بن بكار أن رسول الله ﷺ دخل على خديجة رضي الله عنها وهي مريضة فقال لها يا خديجة: «أشعرت أن الله زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثوم أخت موسى وهي التي علمت ابن عمها قارون الكيمياء وآسية امرأة فرعون» فقالت: الله أخبرك بهذا يا رسول الله فقال: «نعم» فقالت: بالرفاء والبنين وأطعم رسول الله خديجة من عنب الجنة وقولها بالرفاء والبنين أي أعرست أي اتخذت العروس حال كونك ملتبساً بالالتئام والاتفاق وهو دعاء يدعى به في الجاهلية عند التزويج والمراد منه الموافقة والملاءمة مأخوذ من قولهم: رأت الثوب ضمنت بعضه إلى بعض ولعل هذا إنما كان قبل ورود النهي عن ذلك كذا في «إنسان العيون». وفيه أيضاً قد حمى الله هؤلاء النسوة عن أن يطأهن أحد فقد ذكر أن آسية لما ذكرت لفرعون أحب أن يتزوجها فتزوجها على كره منها ومن أبيها مع بذله لها الأموال الجليلة فلما زفت له وهم بها أخذه الله عنها وكان ذلك

حاله معها وكان قد رضي منها بالنظر إليها وأما مريم فقيل: إنها تزوجت بآبن عمها يوسف النجار ولم يقربها وإنما تزوجها لمرافقتها إلى مصر لما أرادت الذهاب إلى مصر بولدها عيسى عليهما السلام وأقاموا بها اثنتي عشرة سنة ثم عادت مريم وولدها إلى الشام ونزلا الناصرة وأخت موسى لم يذكر أنها تزوجت انتهى. ﴿قصيه﴾ أمر من قص أثره قصاً وقصصاً تتبعه أي اتبعي أثره وتتبعي خبره. وبالفارسية [بر بي برادر خود بروواز وخبر كبر] أي فاتبعته يعني كلثوم [بدرگاه فرعون آمد] ﴿فبصرت به﴾ أي أبصرته. يعني [پس برادر خود را بدید]. ﴿عن جنب﴾ عن بعد تبصره ولا توهم أنها تراه يقال: جنبته وأجنبته ذهب عن ناحيته وجنبه ومنه الجنب لبعده من الصلاة ومس المصحف ونحوهما والجار الجنب أي البعيد ويقال: الجار الجنب أيضاً للقريب اللازق بك إلى جنبك. ﴿وهم لا يشعرون﴾ أنها تقصه وتتعرف حاله أو أنها أخته.

﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾ التحريم بمعنى المنع كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ آلِجَنَّةِ﴾ [المائدة: ٧٢] لأنه لا معنى للتحريم على صبي غير مكلف أي منعنا موسى أن يرضع من المرضعات ويشرب لبن غير أمه بأن أحدثنا فيه كراهة ثدي النساء والنفار عنها من قبل قص أخته أثره أو من قبل أن نرده على أمه كما قال في «الجلالين»، أو من قبل مجيء أمه كما قاله أبو الليث أو في القضاء السابق لأننا أجرينا القضاء بأن نرده إلى أمه كما في «كشف الأسرار» والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع أي من شأنها الإرضاع وإن لم تكن تبشر الإرضاع في حال وصفها به فهي بدون التاء لأنها من الصفات الثابتة والمرضعة هي التي في حالة إرضاع الولد بنفسها ففي الحديث: «ليس للصبي خير من لبن أمه» أو ترضعه امرأة صالحة كريمة الأصل فإن لبن المرأة الحمقاء يسري وأثر حمقها يظهر يوماً وفي الحديث: «الرضاع يغير الطباع» ومن ثمة لما دخل الشيخ أبو محمد الجويني بيته ووجد ابنه الإمام أبا المعالي يرتضع ثدي غير أمه اختطفه منها ثم نكس رأسه ومسح بطنه وأدخل أصبعه في فيه ولم يزل يفعل ذلك حتى خرج ذلك اللبن فقال: يسهل علي موته ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير أمه ثم لما كبر الإمام كان إذا حصلت له كبوة في المناظرة يقول: هذه من بقايا تلك الرضعة قالوا: العادة جارية أن من ارتضع امرأة فالغالب عليه أخلاقها من خير وشر كما في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي. ﴿فقلت﴾ أي أخته عند رؤيتها لعدم قبوله الثدي واعتناء فرعون بأمره وطلبهم من يقبل ثديها. ﴿هل أدلكم﴾ [آيا دلالت كنم شمارا] ﴿على أهل بيت﴾ [بر أهل خانه] ﴿يكفلونه لكم﴾ الكفالة الضمان والعيالة يقال كفل به كفالة وهو كفيل إذا تقبل به وضمنه وكفله فهو كافل إذا عاله أي يربونه ويقومون بإرضاعه لأجلكم. ﴿وهم له ناصحون﴾ يبذلون النصيحة في أمره ولا يقصرون في إرضاعه وتربيته. والنصح ضد الغش وهو تصفية العمل من شوائب الفساد. وفي «المفردات»: النصيح تحري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه انتهى. روي: أنهم قالوا لها: من يكفل؟ قالت: أمي قالوا: ألاملك لبن؟ قالت: نعم لبن هارون وكان هارون ولد في سنة لا يقتل فيها صبي فقالوا: صدقت.

وفي «فتح الرحمن»: قالت: هي امرأة قد قتل ولدها فأحب شيء إليها أن تجد صغيراً ترضعه انتهى.

يقول الفقير: إن الأول أقرب إلى الصواب إلا أن يتأول القتل بما في حكمه من إلقائه في النيل وغيبوبته عنها. وروي: أن هامان لما سمعها قال: إنها لتعرفه وأهله خذوها حتى تخبر

من له فقالت: إنما أردت وهم للملك ناصحون يعني أرجعت الضمير إلى الملك لا إلى موسى تخلصاً من يده فقال هامان: دعوها لقد صدقت فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله فأتت بأمه وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله أو في يد آسية فدفعه إليها فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها.

یوی خوش توهرکه زیاد صبا شنید از یار آشنا سخن آشنا شنید
فقال: من أنت فقد أبى كل ثدي إلا ثديك؟ فقالت: إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني فدفعه إليها وأجرى عليها أجرتها [وكفت در هفته، یکروز پیش ما آور] فرجعت به إلى بيتها من يومها مسرورة فكانوا يعطون الأجرة كل يوم ديناراً وأخذتها لأنها مال حربي لا أنها أجرة حقيقة على إرضاعها ولدها كما في «فتح الرحمن».

يقول الفقير: الإرضاع غير مستحق عليها من حيث أن موسى بن فرعون ويجوز لها أخذ الأجرة نعم إن أم موسى تعينت للإرضاع بأن لم يأخذ موسى من لبنها غيرها فكيف يجوز أخذ الأجرة اللهم إلا أن تحمل على الصلة لا على الأجرة إذ لم تمتنع إلا أن تعطى الأجرة ويحتمل أن يكون ذلك مما يختلف باختلاف الشرائع كما لا يخفى.

قال في «كشف الأسرار»: لم يكن بين إلقائها إياه في البحر وبين رده إليها إلا مقدار ما يصبر الولد فيه عن الوالدة انتهى وأبعد من قال مكث ثمانى ليال لا يقبل ثدياً.

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

﴿فرددناه إلى أمه﴾ أي: صرفنا موسى إلى والدته. ﴿كي تقر عينها﴾ بوصول ولدها إليها. وبالفارسية [تاروشن شود چشم او]. ﴿ولا تحزن﴾ بفراقه ﴿ولتعلم أن وعد الله﴾ أي جميع ما وعده من رده وجعله من المرسلين ﴿حق﴾ لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه ﴿ولكن أكثرهم﴾ آل فرعون ﴿لا يعلمون﴾ أن وعد الله حق فمكث موسى عند أمه إلى أن فطمته وردته إلى فرعون وآسية فنشأ موسى في حجر فرعون وامرأته يرببانه بأيديهما واتخاذاه ولدأ فبينما هو يلعب يوماً بين يدي فرعون ويده قضيب له يلعب به إذ رفع القضيب فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير من ضربه حتى هم بقتله فقالت آسية: أيها الملك لا تغضب ولا يشقن عليك فإنه صبي صغير لا يعقل ضربه إن شئت اجعل في هذا الطست جمراً وذهباً فانظر على أيهما يقبض فأمر فرعون بذلك فلما مد موسى يده ليقبض على الذهب قبض الملك الموكل به على يده فردها إلى الجمرة فقبض عليها موسى فألقاها في فيه ثم قذفها حين وجد حرارتها فقالت آسية لفرعون: ألم أقل لك أنه لا يعقل شيئاً فكف عنه وصدقها وكان أمر بقتله ويقال إن العقدة التي كانت في لسان موسى أي قبل النبوة أثر تلك الجمرة التي التقمها ثم زالت بعدها لأنه عليه السلام دعا بقوله: ﴿وَأَحْلَلْ عَقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٧، ٢٨] وقد سبق في طه. قال الشيخ العطار قدس سره:

همچو موسى این زمان در طشت آتش مانده ایم

طفل فرعونیم ما کام ودهان پراحکرس

وهو شکایة من زمانه وأهاليه فإن لكل زمان فرعون يمتحن به من هو بمشرب موسى

واستعداده ولكن كل محنة فهي مقدمة لراحة كما قال الصائب:

هر محنتي مقدمة راحتي بود شد همزيان حق چوزيان كلیم سوخت
فلا بد من الصبر فإنه يصير الحامض حلواً.

اعلم أن موسى كان ضالة أمه فردّه الله إليها بحسن اعتمادها على الله تعالى وكذا القلب ضالة السالك فلا بد من طلبه وقص أثره فإنه الموعود الشريف الباقي وهو الطفل الذي هو خليفة الله في الأرض ومن عرفه وأحسن بفرقه وألمه هان عليه بذل النقد الخسيس الفاني نسأل الله الاستعداد لقبول الفيض.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿ولما بلغ موسى أشده﴾ أي: قوته وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين وأشد على بناء الجمع كما سبق في سورة يوسف. ﴿واستوى﴾ والاستواء اعتدال الشيء في ذاته أي اعتدل عقله وكمل بأن بلغ أربعين سنة كقوله: ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥] بعد قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأحقاف: ١٥] وفي يوسف ﴿وَبَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ [يوسف: ٢٢] فحسب لأنه أوحى إليه في صباه حين كونه في البئر وموسى عليه السلام أوحى إليه بعد أربعين سنة كما قال: ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ أي: نبوة ﴿وعلمًا﴾ بالدين.

قال الكاشفي: [ذكر انبائي نبوت دراثني اين قضيه] أي مع أنه تعالى استنبأه بعد الهجرة في المراجعة من مدين إلى مصر [بيان صدق هرد ووعده است كه چنانچه اورا بمادر رسانيديم ونبوت هم داديم] والجمهور على أن نبينا عليه السلام بعث على رأس الأربعين وكذا كل نبي عند البعض.

وقال بعضهم: اشتراط الأربعين في حق الأنبياء ليس بشيء لأن عيسى عليه السلام نبىء ورفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين ونبىء يوسف عليه السلام وهو ابن ثماني عشرة ويحيى عليه السلام نبىء وهو غير بالغ قيل كان ابن سنتين أو ثلاث وكان ذبحه قبل عيسى بسنة ونصف وهكذا أحوال بعض الأولياء فإن سهل بن عبد الله التستري سلك وكوشف له وهو غير بالغ.

وفي الآية تنبيه على أن العطية الإلهية تصل إلى العبد وإن طال العهد إذا جاء أوانها فلطالب الحق أن ينتظر إحسان الله تعالى ولا ييأس منه فإن المحسن لا بد وأن يجازى بالإحسان كما قال تعالى: ﴿وكذلك﴾ أي: كما جزيانا موسى وأمه ﴿نجزي المحسنين﴾ على إحسانهم وفيه تنبيه على أنهما كانا محسنين في عملهما متقين في عنفوان عمرهما فمن أدخل نفسه في زمرة أهل الإحسان جازاه الله بأحسن الجزاء. حكى: أن امرأة كانت تتعشى فسألها سائل فقامت ووضعت في فمه لقمة ثم وضعت ولدها في موضع فاخترسه الذئب فقالت: يا رب ولدي فأخذ أخذ عنق الذئب واستخرج الولد من فيه بغير أذى وقال لها: هذه اللقمة بتلك اللقمة التي وضعتها في فم السائل. والإحسان على مراتب فهو في مرتبة الطبيعة بالشرعية وفي مرتبة النفس بالطريقة وإصلاح النفس وذلك بترك حظ النفس فإنه حجاب عظيم وفي مرتبة الروح بالمعرفة وفي مرتبة السر بالحقيقة. فغاية الإحسان من العبد الفناء في الله ومن المولى إعطاء الوجود الحقاني إياه ولا يتيسر ذلك الفناء إلا لمن أيده الله بهدايته ونور قلبه بأنوار التوحيد إذ التوحيد مفتاح السعادات فينبغي لطالب الحق أن يكون بين الخوف والرجاء في مقام

النفس ليزكيها بالوعد والوعيد ويصفي وينور الباطن في مقام القلب بنور التوحيد ليتبها لتجليات الصفات ويطلب الهداية في مقام الروح ليشاهد تجلي الذات ولا يكون في اليأس والقنوط ألا ترى أن أم موسى كانت راجية واثقة بوعد الله حتى نالت ولدها موسى وتشرفت أيضاً بنبوته فإن من كانت صدف درة النبوة تشرفت بشرفها.

واعلم أنه لا بد من الشكر على الإحسان فشكر الإله بطول الثناء وشكر الولاة بصدق الولاء وشكر النظير بحسن الجزاء وشكر من دونك ببذل العطاء.

يكى كوش كودك بماليد سخت	كه اي بوالعجب رأي بركشته بخت
تراتيشفه دادم كه هيزم شكن	نكفتم كه ديوار مسجد بكن
زيان آمد از بهر شكر وسپاس	بغيت نكر داندش حق شناس
كذكرگاه قرآن وپندست كوش	به بهتان وباطل شنيدن مكوش
دوچشم از پي صنع باري نكوست	زعيب برادر فروكير ودوست
بروشكر كن چون بنعمت درى	كه محرومي آيد زمستكبرى
كرا زحق نه توفيق خيرى رسد	كي ازبنده خيرى بغيرى رسد
ببخش آي بسر كادمي زاده صيد	بإحسان توان كرد ووحشى بقيد
مكن بدكه بدبينى ازيارنيك	نيايد زتخم بدى بارنيك

أي: لا تجيء ثمرة الخير إلا من شجرة الخير كما لا يحصل الحنظل إلا من العلقمة فمن أراد الرطب فليذكر النخل. حكى: أن امرأة كانت لها شاة تتعيش بها وأولادها فجاءها يوماً ضيف فلم تجد شيئاً للأكل فذبحت الشاة ثم إن الله تعالى أعطاها بدلها شاة أخرى وكانت تحلب من ضرعها لبناً وعسلاً حتى اشتهر ذلك بين الناس فجاء يوماً زائرون لها فسألوا عن السبب في ذلك فقالت: إنها كانت ترعى في قلوب المريرين يعني أن الله تعالى جازاها على إحسانها إلى الضيف بالشاة الأخرى ثم لما كان بذله عن طيب خاطر وصفاء البال أظهر الله ثمرته في ضرع الشاة بإجراء اللبن والعسل فليس جزاء الإحسان إلا الإحسان الخاص من قبل الرحمن وليس للإمساك والبخل ثمرة سوى الحرمان نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الذين يحسنون لأنفسهم في الطلب والإرادة وتحصيل السعادة واستجلاب الزيادة والسيارة.

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَفْتَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿ودخل المدينة﴾ ودخل موسى مصرًا آتياً من قصر فرعون. وبالفارسية [موسى از قصر فرعون برون آمد ودرمیان شهرشد] وذلك لأن قصر فرعون كان على طرف من مصر كما سيأتي عند قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ [القصص: ٢٠] قيل المراد مدينة منف من أرض مصر وهي مدينة فرعون موسى التي كان ينزلها وفيها كانت الأنهار تجري تحت سريره وكانت في غربي النيل على مسافة اثني عشر ميلاً من مدينة فسطاط مصر المعروفة يومئذ بمصر القديمة ومنف أول مدينة عمرت بأرض مصر بعد الطوفان وكانت دار الملك بمصر في قديم الزمان. ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ أي حال كونه في وقت لا يعتاد دخولها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: دخلها في الظهيرة عند المقييل وقد خلت الطرق. ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان﴾ الجملة صفة لرجلين. والاقتيال [كارزار كردن بایکدیگر] ﴿هذا﴾ [آن يکي] ﴿من شيعته﴾ أي ممن شايعه وتابعه على دينه وهم بنو إسرائيل روي أنه السامري كما في «فتح الرحمن» والإشارة على الحكاية وإلا فهو والذي من عدوه ما كانا حاضرين حال الحكاية لرسول الله ولكنهما لما كانا حاضرين يشار إليهما وقت وجدان موسى إياهما حكى حالهما وقتئذ. ﴿وهذا﴾ [وآن يکي ديکر]. ﴿من عدوه﴾ العدو يطلق على الواحد والجمع أي من مخالفيه ديناً وهم القبط واسمه فاتون كما في «كشف الأسرار» وكان خباز فرعون أراد أن يسخر الإسرائيلي ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون. ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ أي سأله أن يغيثه بالإعانة عليه ولذلك عدي بعلى يقال: استغثت طلبت الغوث أي النصرة. وبالفارسية [پس فرياد خواست بموسی آنکسی که از گروه او بود برآنکسی که از دشمنان او بود يعني ياري طلبيد سبطي از موسى بردف قبطي] وكان موسى قد أعطي شدة وقوة [قبطي راکفت دست ازو بدار قبطي سخن موسى ردکرد]. ﴿فوكزه موسى﴾ الوكز كالوعد الدفع والطعن والضرب بجمع الكف وهو بالضم والكسر حين يقبضها أي فضرب القبطي بجمع كفه. وبالفارسية [پس مشت زد اورا موسى] ﴿فقضى عليه﴾ أي: فقتله فندم فدفنه في الرمل وكل شيء فرغت وأتممته فقد قضيت عليه.

في «المفردات»: يعبر عن الموت بالقضاء فيقضي نجه لأنه فصل أمره بالمختص به من دنياه والقضاء فصل الأمر. ﴿قال هذا﴾ القتل ﴿من عمل الشيطان﴾ [از عمل کسی است که شیطان اورا اغوا کند نه عمل أمثال من] فأضيف العمل إلى الشيطان لأنه كان بإغوائه ووسوسته وإنما كان من عمله لأنه لم يؤمر بقتل الكفار أو لأنه كان مأموراً فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وإنما عده من عمل الشيطان وسماه ظملاً واستغفر منه جرياً على سنن المقربين في استعظام ما فرط منهم ولو كان من محقرات الصغائر وكان هذا قبل النبوة. ﴿إنه﴾ أي: الشيطان. ﴿عدو﴾ لابن آدم ﴿مضل مبين﴾ ظاهر العداوة والإضلال.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنَّمَتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾.

﴿قال﴾ توسط قال بين كلاميه لإبانة ما بينهما من المخالفة من حيث أنه مناجاة ودعاء بخلاف الأول ﴿رب﴾ [أي پروردگار من] ﴿إني ظلمت نفسي﴾ بقتل القبطي بغير أمر ﴿فاغفر لي﴾ ذنبي ﴿فغفر له﴾ ربه ذلك لاستغفاره ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ أي: المبالغ في مغفرة ذنوب العباد ورحمتهم.

﴿قال رب بما أنعمت علي﴾ إما قسم محذوف الجواب أي أقسم عليك بإنعامك علي بالمغفرة لأتوبن ﴿فلن أكون﴾ بعد هذا أبداً ﴿ظهيراً للمجرمين﴾ معيناً لهم يقال ظاهرته أي قويت ظهره بكوني معه وإما استعطاف أي بحق إحسانك علي اعصمني فلن أكون معيناً لمن تؤدي معاونته إلى الجرم وهو فعل يوجب قطيعة فاعله وأصله القطع.

قال ابن عطاء: العارف بنعم الله من لا يوافق من خالف ولي نعمته والعارف بالمنعم من لا يخالفه في حال من الأحوال انتهى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لم يستثن فابتلي به أي بالعون للمجرمين مرة أخرى كما سيأتي.

يقول الفقير: المراد بالمجرم ههنا الجاني الكاسب فعلاً مذموماً فلا يلزم أن يكون الإسرائيلي كافراً كما دل عليه هذا من شيعته وقوله: بالذي هو عدو لهما على أن بني إسرائيل كانوا على دين يعقوب قبل موسى ولذا استدلهم فرعون بالعبودية ونحوها وأما قول ابن عباس رضي الله عنهما عند قوله: ظهيراً للمجرمين، أي عوناً للكافرين فيدل على أن إطلاق المجرم المطلق على المؤمن الفاسق من قبل التغليظ والتشديد ثم إن هذا الدعاء وهو قوله: رب بما أنعمت عليّ الخ حسن إذا وقع بين الناس اختلاف وفرقة في دين أو ملك أو غيرهما وإنما قال موسى هذا عند اقتتال الرجلين ودعا به ابن عمر رضي الله عنهما عند قتال علي ومعاوية كذا في «كشف الأسرار».

ثم إن في الآية إشارة إلى أن المجرمين هم الذين أجزموا بأن جاهدوا كفار صفات النفس بالطبع والهوى لا بالشرع والمتابعة كالفلاسفة والبراهمة والرهابين وغيرهم فجهادهم يكون من عمل الشيطان.

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾

﴿فأصبح﴾ دخل موسى في الصباح. ﴿في المدينة﴾ وفيه إشارة إلى أن دخول المدينة والقتل كانا بين العشاءين حين اشتغل الناس بأنفسهم كما ذهب إليه البعض. ﴿خائفاً﴾ أي: حال كونه خائفاً على نفسه من آل فرعون. ﴿يتربص﴾ يترصد طلب القود أو الأخبار وما يقال في حقه وهل عرف قاتله. والترقب انتظار المكروه.

وفي «المفردات» تربص احترز راقباً أي حافظ وذلك إما لمراعاة رقة المحفوظ وأما لرفعه رقبته ﴿فإذا﴾ للمفاجأة [پس ناکاه]. ﴿الذي استنصره بالأمس﴾ أي الإسرائيلي الذي طلب من موسى النصرة قبل هذا اليوم على دفع القبطي المقتول. ﴿يستصرخه﴾ الاستصراخ [فرياد] رسيدن میخواستن] أي يستغيث موسى برفع الصوت من الصراخ وهو الصوت أو شديده كما في «القاموس»: وبالفارسية [باز فرياد میکند وباري میطلبد برقبتيء دیگر]. ﴿قال له موسى﴾ أي: للإسرائيلي المستنصر بالأمس المستغيث على الفرعون الآخر ﴿إنك لغوي﴾ [مرد کسراهي] وهو فعيل بمعنى الغاوي. ﴿مبين﴾ بين الغواية والضلالة لأنك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر يعني إني وقعت بالأمس فيما وقعت فيه بسببك فالآن تريد أن توقعني في ورطة أخرى.

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّىٰ أَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْوَسَّىٰ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَمَرُّونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَأَخْرَجَ إِلَىٰ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ﴿فَرَجَّ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

﴿فلما أن أراد﴾ موسى ﴿أن يبطش﴾ البطش تناول الشيء بشدة ﴿بالذي هو عدو لهما﴾ أي يأخذ بيد القبطي الذي هو عدو لموسى والإسرائيلي إذ لم يكن على دينهما ولأن القبط

كانوا أعداء بني إسرائيل على الإطلاق. ﴿قال﴾ ذلك الإسرائيلي ظاناً أن موسى يريد أن يبطش به بناءً على أنه خاطبه بقوله: إنك لغوي مبين ورأى غضبه عليه أو قال القبطي، وكأنه توهم من قولهم أنه الذي قتل القبطي بالأمس لهذا الإسرائيلي. ﴿يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس﴾ يعني: القبطي المقتول ﴿إن تريد﴾ أي: ما تريد ﴿إلا أن تكون جباراً في الأرض﴾ وهو الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب ﴿وما تريد أن تكون من المصلحين﴾ بين الناس بالقول والفعل فتدفع التخاصم ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى إلى فرعون ومثله وظهر أن القتل الواقع أمس صدر من موسى حيث لم يطلع على ذلك إلا ذلك الإسرائيلي فهموا بقتل موسى فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبر موسى كما قال ﴿وجاء رجل﴾ وهو خربيل ﴿من أقصى المدينة﴾ من آخرها أو جاء من آخرها. وبالفارسية [از دور ترجايي از شهر يعني ازيارگاه فرعون كه بريك كناره شهر بود] يقال: قصوت عنه وأقصيت أبعدت والقصي البعيد. ﴿يسعى﴾ صفة رجل أي يسرع في مشيه حتى وصل إلى موسى ﴿قال يا موسى إن الملائكة أشرف قوم فرعون﴾ يأتُمرون بك ﴿يتشاورون بسببك﴾ وإنما سمي التشاور ائتماراً لأن كلاً من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر ﴿ليقتلوك فاخرج﴾ من المدينة ﴿إني لك من الناصحين﴾ في أمري إياك بالخروج. وبالفارسية [از نيك خواهان ومهربانم] واللام للبيان كأنه قيل: لك أقول هذه النصيحة وليس صلة للناصحين لأن معمول الصلة لا يتقدم الموصول وهو اللام في الناصح.

﴿فخرج منها﴾ [پس بیرون رفت در همان دم ازان شهر بی زاد ورا حله ورفیق] ﴿خائفاً﴾ حال كونه خائفاً على نفسه ﴿يتربص﴾ لحقوق الطالبين والتعرض له في الطريق. وبالفارسية: [انتظار میبرد كه کسی از پی او درآید]. ﴿قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ خلصني منهم واحفظني من لحوقهم. وبالفارسية [گفت أي پروردگار من نجات ده مرا و باز رهان از گروه ستمکاران یعنی فرعون وکسان او] فاستجاب الله دعاءه ونجاه كما سيأتي. قال بعض العارفين: إن الله تعالى إذا أراد بعبد أن يكون له فرداً أوقعه في واقعة شنيعة ليفر من دون الله إلى الله فلما فر إليه خائفاً من الامتحان وجد جمال الرحمن وعلم أن جميع ما جرى عليه واسطة الوصول إلى المراد. وفي «المثنوي».

يك جواني برزني مجنون بدست	روزشب بي خواب وبی خور آمدست
بیدل وشوریده ومجنو ومست	می نداشت روزگار وصل دست
پس شکنجه کرد عشقش برزمین	خودچرا داردز اول عشق کین
عشق از اول چراخونی بود	تا کریزد هرکه بیرونی بود
چون فرستادی رسولی پیش زن	آن رسول از رشک کردی راه زن
ورصبارا پیک کردی در وفا	از غباری تیره کشتی آن صبا
راههای چاره را غیرت ببست	لشکر اندیشه را رایت شکست
خوشهای فکرتش بی گاه شد	شب روانرا رهنما چون ماه شد
جست از بیم عسس و شب بباغ	یار خود را یافت چون شمع و چراغ
بود اندر باغ آن صاحب جمال	کز غمش این درعنا بدهشت سال
سایه او را نبود امکان دید	همچو عنقا وصف اورامی شنید

جزيکي لقيه که اول از قضا چون در آمد خوش دران باغ آن جوان مرعسس را ساخته یزدان سبب گفت سازنده سبب را آن نفس بهر این کردی سبب این کار را پس ید مطلق نباشد در جهان زهر ماران مارا باشد حیات خلق آبی را بود دریا چوباغ هرچه مکرر هست چون شدا ودلیل در حقیقت هرعدو داروی تست که ازو اندر کریزی در خلا در حقیقت دوست دانت دشمن اند

بروی افتاد و شد اورا دلربا خود فروشد یا بکنجش ناکهان تازیم اودود درباغ شب ای خدا تورحمته کن برعسس تاندارم خار من یک خار را بدبنسبت باشد این راهم بدان نسبتش با آدمی باشد ممات خلق خاکي رابود آن مرک و داغ سوی محبوبیت حبیب است و خلیل کیمیای نافع و دلجوی تست استعانت جویی از لطف خدا که ز حضرت دور و مشغولت کنند

فإذا أقبل العاشق من طريق الامتحان إلى الحق خاف وترقب أن يلحقه أحد من أهل الضلال فيمنعه من الوصول إليه فإنه لا ينفك عن الخوف ما دام في الطريق نسأل الله الوصول وهو خير مسؤول.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ٢٢﴾.

﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ التوجه [روی باخیری کردن] والتلقاء تفعال من لقيت وهو مصدر اتسع فيه فاستعمل ظرفاً يقال: جلس تلقاءه أي حذاءه ومقابلته. ومدين قرية شعيب عليه السلام على بحر القلزم سميت باسم مدين بن إبراهيم عليه السلام من امرأته قنظورا كان اتخذها لنفسه مسكناً فنسبت إليه ولم يكن في سلطان فرعون وكان بينهما وبين مصر مسيرة ثمانية أيام كما بين الكوفة والبصرة. والمعنى لما جعل موسى وجهه نحو مدين وصار متوجهاً إلى جانبها. ﴿قال﴾ [باخود گفت] توكلاً على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق. ﴿عسى ربي﴾ [شاید که پروردگار من]. ﴿أن يهديني﴾ [راه نماید مرا] ﴿سواء السبيل﴾ وسطه ومستقيمه والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك فظهر له ثلاث طرق فأخذ الوسطى وجاء الطلاب عقيبهم فقالوا: إن الفار لا يأخذ الطريق الوسط خوفاً على نفسه بل الطرفين فشرعوا في الآخرين فلم يجده [پس موسی هشت شبانورز میرفت و بی زاد و بی طعام پای برهنه و شکم کرسنه و دران هشت روز نمی خورد مگر برك درختان تارسيد بمدين سلمی. فرموده که روی مبارك بناحیه مدين داشت أمدلش متوجه بحضرت ذو المدين بود ومسالك بداي مدين را بهمهراهي غم شوق لقا می پيمود].

غمت تايار من شد روی در راه عدم کردم

خوشست آوركي آنرا که همرا هي چنين باشد

قال بعضهم: مدين إشارة إلى عالم الأزل والأبد فوجد موسى نسيم الحقيقة من جانبها لأنه كان بها شعيب عليه السلام فتوجه إليها للمشاهدة واللقاء كما قال عليه السلام: «إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن» مخبراً عن وجدان نسيم الحق من روضة قلب أويس القرني

رضي الله عنه ففي أرض الأولياء نفحات وفي لقائهم بركات.

وقال بعضهم: [چون خواستند که موسی کلیم را لباس نبوت پوشند و بحضورت رسالت و مکالمت بر ندرنخست او را در خم چوکان بیت نهادند تا دران بارها و فتنها بچته کشت چنانکه رب العزة گفت]. ﴿وَفَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ۴۰] أي طبخناك بالبلاء طبخاً حتى صرت صافياً نقياً [از مصر بدر آمد ترسان در الله زارید رب العالمین دعای وی اجابت کرد و او را از بیم دشمن ایمن کرد سکینه بدل وی فرو آمد و ساکن کشت باسروی گفتند مترس خداوند که ترا در طفولیت حجر فرعون که لطمه بر روی وی میزدی در حفظ و حمایت خود بداشت و دشمن ندد امروز همچنان در حفظ خود بدارد و بدشمن ندهد آنکه روی نهاب بر بیابان برفتح نه بقصد مدین اما رب العزة او را بمدین افکند سریء را دران بقیه بود شعیب پیغمبر خدای بود و مسکین بمدین داشت سائق تقدیر موسی را بخدمت شعیب راند تا یافت بخدمت و صحبت او آنچه افت خلیل علیه السلام چون همه راهها بسته بدید دانست که حضرت یکیست آواز برآورد که. ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ۷۹] الآية مرد مردانه نه آنست که بر شاهراه سواری کند که راه کشاده بود مرد آنست که در شب تاریک بر راه بی دلیلی بسر کوی دوست شود] کما وقع لأكثر الأنبياء والأولياء المهاجرين الذاهبين إلى الله تعالى. قال الحافظ:

شب تاریک و بیم موج و کردابی چنین هائل

کجا دانند حال ما سبکباران ساحلها

يقول الفقير: المراد بقوله: «شب تاریک» جلال الذات لأن الليل إشارة إلى عالم الذات وظلمة جلاله الغالب وبقوله: «بیم موج» خوف صفات القهر والجلال وبقوله: «کردابی چنین هائل» الامتحانات التي كدور البحر الإهلاك فهذا المصراع صفة أهل البداية والتوسط من أرباب الأحوال فإنهم بسبب ما وقعوا في بحر العشق لا يزالون بمتحنوا بالبلايا الهائلة إلى أن يخرجوا إلى ساحل البقاء والمراد بقوله: «سبکباران ساحلها» الذين لم يحملوا الإمامة الكبرى وهي العشق فبقوا في بر البشرية وهم العباد والزهاد فهم لكونهم أهل البر والبشرية والحجاب لا يعرفون أحوال أهل البحر والملكية والمشاهدة فإن بين الظاهر والباطن طريقاً بعيداً وبين الباب والصدر فرقاً كثيراً وبين المبتدأ والمنزل سيراً طويلاً نسأل الله العشق وحالاته والوصول إلى معانيه وحقائقه من ألفاظه ومقالاته.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءٌ مَذْيَبَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَةً مِنَ النَّاسِ يَسْفُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ
قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا شَيْءَ حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى
إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ولما ورد﴾ الورود إتيان الماء وضده الصدور وهو الرجوع عنه.

وفي «المفردات»: الورود أصله قصد الماء ثم يستعمل في غيره. والمعنى ولما وصل موسى وجاء ﴿ماء مدين﴾ وهو بئر على طرف المدينة على ثلاثة أميال منها أو أقل كانوا يسقون منها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ورده وإنه ليتراءى خضرة البقل في بطنه من الهزال ﴿وجد عليه﴾ أي جانب البئر وفوق شفيرها ﴿أمة من الناس﴾ جماعة كثيرة منهم. ﴿يسقون﴾

مواشيهم ﴿ووجد من دونهم﴾ في مكان أسفل منهم ﴿امرأتين﴾ صفورياء ولياً ابنتا يثرون ويثرون هو شعيب قاله السهيلي في كتاب «التعريف» ﴿تذودان﴾ الذود والكف والطرود والدفع أي تمنعان أغنامهما عن التقدم إلى البئر.

قال الكاشفي: [از آنجا که شفقت ذاتی انبیا می باشد فرا پیش رفت و بطریق تلطیف] ﴿قال﴾ عليه السلام: ﴿ما خطبكم﴾ الخطب الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب أي ما شأنكما فيما أنتما عليه من التأخر والذود ولم لا تباشران السقي كدأب هؤلاء.

قال بعضهم: كيف استجاز موسى أن يكلم امرأتين أجنبيتين والجواب كان آمناً على نفسه معصوماً من الفتنة فلاجل علمه بالعصمة كلمهما كما يقال: كان للرسول الزوج بامرأة من غير الشهود لأن الشهود لصيانة العقد عن التجاحد وقد عصم الرسول من أن يجحد نكاحاً أو يجحد نكاحه دون غيره من أفراد أمته ﴿قالنا لا نسقي حتى يصدر الرعاء﴾ لإصدار [بازکردنیدن] والرعاء بالكسر جمع راع كقيام جمع قائم ما يرعاء والمرعى موضع الرعي ويسمى كل سائس لنفسه أو لغيره راعياً وفي الحديث: «كلكم مسؤول عن رعيته» قيل: الرعاء هم الذين يرعون المواشي والرعاة هم الذين يرعون الناس وهم الولاة. والمعنى عادتنا أن لا نسقي مواشينا حتى يصرف الرعاء: وبالفارسية: [بازکرداند شبانان] مواشيهم بعد رعيها ويرجعوا عجزاً عن مساجلتهم وحذراً من مخالطة الرجال فإذا انصرفوا سقيناً من فضل مواشيهم وحذف مفعول السقي والذود والإصدار لما أن الغرض هو بيان تلك الأفعال أنفسها إذ هي التي دعت موسى إلى ما صنع في حقهما من المعروف فإنه عليه السلام إنما رحمهما لكونهما على الزياد والعجز والعفة وكونهم على السقي غير مباينين بهما وما رحمهما لكون مذكورهما غنماً ومستقيهم إيلاً مثلاً ﴿وأبونا﴾ وهو شعيب ﴿شيخ﴾ [پیري است] ﴿كبير﴾ كبير السن أو القدر والشرف لا يستطيع أن يخرج فيرسلنا للرعي والسقي اضطراراً ومن قال من المعاصرين فيه عبرة أن مواشي النبي لم يلتفت إليها فقد أتى بالعبرة لأن الراعي لا يعرف ما النبي كما أن القروي في زماننا لا يعرف ما شريعة النبي وقد جرت العادة على أن أهل الإيمان من كل أمة أقل.

﴿فسقى لهما﴾ ماشيتهما رحمة عليهما وطلباً لوجه الله تعالى. روي: أن الرجال كانوا يضعون على رأس البئر حجراً لا يرفعه إلا سبعة رجال أو عشرة أو أربعون فرفعه وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم [ازنیجا کفته اندکه هر پیغمبری را بجهل مردنیروی بود پیغمبر امارا بجهل پیغمبر نیروبود] ولعله زاحمهم في السقي لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عن ذلك وهو الذي يقتضيه سوق النظم الكريم ﴿ثم﴾ بعد فراغه ﴿تولى﴾ جعل ظهره يلي ما كان يليه وجهه أي أعرض وانصرف ﴿إلى الظل﴾ هو ما لم يقع عليه شعاع الشمس وكان ظل سمرة هنالك فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع. ﴿فقال﴾ يا رب إني لما أنزلت إلي ﴿أي﴾ أي شيء أنزلته إلي ﴿من خير﴾ قليل أو كثير وحمله الأكثر على الطعام بمعونة المقام ﴿فقير﴾ محتاج سائل ولذلك عدي باللام.

وفيه إشارة إلى أن السالك إذا بلغ عالم الروحانية لا ينبغي أن يقنع بما وجد من معارف ذلك العالم بل يكون طالباً للفيض الإلهي بلا واسطة.

قال بعضهم: هذا موسى كليم الله لما كان طفلاً في حجر تربية الحق ما تجاوز حده بل قال: رب الخ فلما بلغ مبلغ الرجال ما رضي بطعام الأطفال بل قال: أرني أنظر إليك فكان

غاية طلبه في بدايته الطعام والشراب وفي نهايته رفع الحجاب ومشاهدة الأحباب.

قال ابن عطاء: نظر من العبودية إلى الربوبية فخشع وخضع وتكلم بلسان الافتقار لما ورد على سره من أنواع الربوبية فافتقاره افتقار العبد إلى مولاه في جميع أحواله لا افتقار سؤال وطلب انتهى.

وسئل سهل عن الفقير الصادق فقال: لا يسأل ولا يرد ولا يحبس.

قال فارس: قلت لبعض الفقراء مرة ورأيت عليه أثر الجوع والضر: لم لا تسأل فيطعموك؟ فقال: أخاف أن أسألهم فيمنعوني فلا يفلحون.

ولما كان موسى عليه السلام جائعاً سأل من الله ما يأكل ولم يسأل من الناس ففطنت الجاريتان فلما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما قفلت قال لهما: ما أعجلكما؟ قالتا: وجدنا رجلاً صالحاً رحماً فسقي لنا ثم تولى إلى الظل فقال: رب الخ فقال أبوهما: هذا رجل جائع فقال لإحدهما: اذهبي فادعيه لنا.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَتَشَّى عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ قَالَتْ لِإِثْنَيْهِمَا يَبَاقُ
اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾

﴿فجاءته إحدهما﴾ عقيب ما رجعتا إلى أبيهما وهي الكبرى واسمها صفوريا.

فإن قلت: كيف جاز لشعيب إرسال ابنته لطلب أجنبي؟.

قلت: لأنه لم يكن له من الرجال من يقوم بأمره ولأنه ثبت عنده صلاح موسى وعفته بقرينة الحال وبنور الوحي. ﴿تمشي﴾ حال من فاعل جاءته ﴿على استحياء﴾ ما هو عادة الأبكار. والاستحياء [شرم داشتن].

قال أبو بكر بن طاهر: لتمام إيمانها وشرف عنصرها وكريم نسبها أتته على استحياء وفي الحديث: «الحياء من الإيمان» أي: شعبة منه.

قال أعرابي: لا يزال الوجه كريماً ما غلب حيأؤه ولا يزال الغصن نضيراً ما بقي لحاؤه ﴿قالت﴾ استئناف بياني ﴿إن أبي يدعوك ليجزيك﴾ ليكافئك ﴿أجر ما سقيت لنا﴾ جزاء سقيك لنا [موسى بجهت زيارت شعيب وتقريب أثنائي باوي أجابت كردندنه براي طمع] ولأنه كان بين الجبال خائفاً مستوحشاً فأجابها فانطلقا وهي أمامه فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته أو كشفتها عن ساقها فقال لها: امشي خلف وانعتي إلي الطريق فتأخرت وكانت تقول عن يمينك وشمالك وقدامك حتى أتيا دار شعيب فبادرت المرأة إلى أبيها وأخبرته فأذن له في الدخول وشعيب يومئذ شيخ كبير وقد كف بصره فسلم موسى أفرد عليه السلام وعانقه ثم أجلسه بين يديه وقدم إليه طعاماً فامتنع منه وقال: أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيته وأنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا لأنه كان من بيت النبوة من أولاد يعقوب فقال شعيب: لا والله يا شاب ولكن هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فتناول هذا وإن من فعل معروف فأهدي إليه شيء لم يحرم أخذه. ﴿فلما جاءه﴾ [پس آن هنگام آمد موسى زنديك شعيب]. ﴿وقص عليه القصص﴾ أخبره بما جرى عليه من الخبر المقصوص فإنه مصدر سمي به المفعول كالعلل. ﴿قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ أي فرعون وقومه فإنه لا سلطان له بأرضنا ولسنا في مملكته.

وفيه إشارة إلى أن القلب مهما يكون في مقامه يخاف عليه أن يصيبه آفات النفس وظلم صفاتها فإذا وصل بالسر إلى مقام الروح فقد نجا من ظلمات النفس وظلم صفاتها ألا ترى أن السلطان ما دام في دار الحرب فهو على خوف من الأعداء فإذا دخل حد الإسلام زال ذلك. وفيه إشارة إلى أن من وقع في الخوف يقال له لا تخف كما أن من وقع في الأمن يقال له: خف وفي «المنثوي»:

لا تخافوا هست نزل خائفان هشت درخور ازبراي خائف آن
هرکه ترسد مروراً ايمن کنند مردل ترسند را ساکن کنند
آنکه خوفش نيست چون کويي مترس درس چه دهی نيست أو محتاج درس
قال أويس القرني رضي الله عنه كن في أمر الله كأنك قتلت الناس كلهم يعني خائفاً مغموماً.

قال شعيب بن حرب: كنت إذا نظرت إلى الثوري فكأنه رجل في أرض مسبعة خائف الدهر كله وإذا نظرت إلى عبد العزيز بن أبي داود فكأنه يطلع إلى القيامة من الكوة. ثم إن موسى قد تربى عند فرعون بالنعمة الظاهرة ولما هاجر إلى الله وقاسى مشاق السفر والغربة عوضه الله عند شعيب النعمة الظاهرة والباطنة. قيل:

سافر تجد عوضاً عمن تفارقه وانصب فإن اكتساب المجد في النصب
فالأسد لولا فراق الخيس ما افترست والسهم لولا فراق القوس لم يصب
وقيل:

بلاد الله واسعة فضاء ورزق الله في الدنيا فسيح
فقل للقاعدين على هوان إذا ضاقت بكم أرض فسيحوا
قال الشيخ سعدي قدس سره:

سعد يا حب وطن کرچه حديث است صحيح

نتوان مرد بسختي که من اينجا زادم

ألا ترى أن موسى عليه السلام ولد بمصر ولما ضاقت به هاجر إلى أرض مدين فوجد السعة مطلقاً فالكمال لا يكون زمانياً ولا مكانياً بل يسيح إلى حيث أمر الله تعالى من غير ليّ العنق إلى ورائه ولو كان وطنه فإن الله تعالى إذا كان مع المرء فالغربة له وطن والمضيق له وسيع. وفي «المنثوي»:

هرکجا باشد شه مارا بساط هست صحرا کربود سم الخياط
هرکجا يوسف رضي باشد چوماه جنت است آن کرچه باشد قعرجاه

﴿قالت إحداهما﴾ وهي الكبرى التي استدعته إلى أبيها وهي التي زوجها موسى. ﴿يا أبت﴾ [أي پدر من] ﴿استأجره﴾ أي اتخذ موسى أجيراً لرعي الغنم والقيام بأمرها. ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ اللام للجنس لا للعهد فيكون موسى مندرجاً تحته. والقوي بالفارسية [توانا]. والأمين: [استوار تعريض است بآنکه موسى را قوت و أمانت هست]. روي: أن شعيباً قال لها: وما أعلمك بقوته وأمانته؟ فذكرت له ما شاهدت منه من إقلال الحجر عن رأس البئر ونزع الدلو الكبير وأنه خفض رأسه عند الدعوة ولم ينظر إلى وجهها

تورعاً حتى بلغته رسالته وأنه أمرها بالمشي خلفه فخصت هاتين الخصلتين بالذكر لأنها كانت تحتاج إليهما من ذلك الوقت أما القوة فلسقي الماء وأما الأمانة فالحفظ البصر وصيانة النفس عنها كما قال يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي حَفِظْتُ عَلَىَّ﴾ [يوسف: ٥٥] لأن الحفظ والعلم كان محتاجاً إليهما أما الحفظ فلأجل ما في خزانة الملك وأما العلم فلمعرفة ضبط الدخل والخرج . وكان شريح لا يفسر شيئاً من القرآن إلا ثلاث آيات . الأولى ﴿الَّذِي يَكِدُّهُ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧] قال الزوج . والثانية: ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠] البينة والإيمان . والثالثة: ﴿إِنْ خَيْرٌ مِنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَ الْأَمِينِ﴾ كما فسرت برفع الحجر وغض البصر .

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [٢٧] .

﴿قال﴾ شعيب لموسى عليه السلام بعد الاطلاع على قوته وأمانته ﴿إني أريد﴾ [من ميخواهم] ﴿أن أنكحك﴾ [أنكه زني بتوهم] ﴿إحدى ابنتي هاتين﴾ [يكي را ازين دو دختران] وهي صفورياء التي قال فيها: ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ [طه: ١٠] ﴿على أن تأجرني﴾ حال من المفعول في أنكحك يقال: أجرته إذا كنت له أجيراً كقولك: أبوته إذا كنت له أباً كما في «الكشاف» . والمعنى حال كونك مشروطاً عليك أو واجباً أن تكون لي أجيراً ﴿ثماني حجج﴾ في هذه المدة فهو ظرف جمع حجة بالكسر بمعنى السنة وهذا شرط للأب وليس بصداق لقوله: تأجرني دون تأجرها ويجوز أن يكون النكاح جائزاً في تلك الشريعة بشرط أن يكون منعقد العمل في المدة المعلومة لولي المرأة كما يجوز في شريعتنا بشرط رعي غنمها في مدة معلومة [ودر عين المعاني آورده كه در شرائع مقدمه مهر اختران مر پدر را بوده وايشان مي كرفته اند ودر شريعت ما منسوخ شده بدين حكم ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤] وأنه جر منافع مهر تواندبود ممنوع است نزد امام اعظم بخلاف امام شافعي] .

واعلم أن المهر لا بد وأن يكون مالاً متقوماً أي في شريعتنا لقوله تعالى: ﴿أَنْ تَبْتَئُوا بِأَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] وأن يكون مسلماً إلى المرأة لقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ﴾ [النساء: ٤] فلو تزوجها على تعليم القرآن أو خدمته لها سنة يصح النكاح ولكن يصار إلى مهر المثل لعدم تقوم التعليم والخدمة هذا إن كان الزوج حراً وإن كان عبداً فلها الخدمة فإن خدمة العبد ابتغاء بالمال لتضمنها تسليم رقبته ولا كذلك الحر فالآية سواء حملت على الصداق أو على الشرط فناظره إلى شريعة شعيب فإن الصداق في شريعتنا للمرأة لا للأب والشرط وإن جاز عند الشافعي لكنه لكونه جراً لمنفعة المهر ممنوع عند إمامنا الأعظم رحمه الله .

وقال بعضهم: ما حكي عنهما بيان لما عزموا عليه واتفقا على إيقاعه من غير تعرض لبيان موجب العقد في تلك الشريعة تفضيلاً . ﴿فإن أتممت عشراً﴾ أي عشر سنين في الخدمة والعمل ﴿فمن عندك﴾ أي: فإتمامها من عندك تفضلاً لا من عندي إلزاماً عليك . ﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ [ونمی خواهم آنکه رنج نهم برتن تو بالزام تمام ده سال یابمناقشه درمراعات اوقات واستیفاي اعمال یعنی ترا كاري فرمایم بروجهي كه آسان باشد ودر رنج نیفتي] . واشتقاق المشقة من الشق فإن ما يصعب عليك بشق اعتقادك في إطاقته ويوزع رأيك في مزاولته .

قال بعض العرفاء: رأى شعيب بنور النبوة أنه يبلغ إلى درجة الكمال في ثماني حجج ولا

يحتاج إلى التربية بعد ذلك ورأى أن كمال الكمال في عشر حجج لأنه رأى أن بعد العشر لا يبقى مقام الإرادة ويكون بعد ذلك مقام الاستقلال والاستقامة ولا يحتمل مؤنة الإرادة بعد ذلك لذلك قال: إني أريد الخ وما أريد الخ.

يقول الفقير: اقتضى هذا التأويل أن عمر موسى وقتئذ كان ثلاثين لأنه لما أتم العشر عاد إلى مصر فاستنّبى في الطريق وقد سبق أن استنباهه كان في بلوغ الأربعين وهذه سنة لأهل الفناء في كل عصر وعندما يمضي ثمان وثلاثون أو أربعون من سن السلوك يكمل الفناء والبقاء وينفذ الرزق فافهم. ﴿استجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده بالاستثناء التبرك به وتفويض الأمر إلى توفيقه لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى وفي الحديث: «بكى شعيب النبي عليه السلام من حب الله حتى عمي فرد الله عليه بصره وأوحى الله إليه يا شعيب ما هذا البكاء أشوقاً إلى الجنة أم خوفاً من النار؟ فقال: إلهي وسيدي أنت تعلم أني ما أبكي شوقاً إلى جنتك ولا خوفاً من النار ولكن اعتقدت حبك بقلبي فإذا نظرت إليك فما أبالي ما الذي تصنع بي فأوحى الله إليه يا شعيب إن يكن ذلك حقاً فهنيئاً لك لقائي يا شعيب لذلك أخدمتك موسى بن عمران كليماً».

اعلم أن في فرار موسى من فرعون إلى شعيب إشارة إلى أنه ينبغي لطالب الحق أن يسافر من مقام النفس الأمارة إلى عالم القلب ويفر من سوء قرين كفرعون إلى خير قرين كشعيب ويخدم المرشد بالصدق والثبات. روي: أن إبراهيم بن أدهم كان يحمل الحطب سبع عشرة سنة.

وفي قوله: ﴿على أن تأجرني ثمانى حجج﴾ إشارة إلى طريق الصوفية وأن استخدامهم للمريدين من سنن الأنبياء عليهم السلام. قال الحافظ:

شبان وادي أيمن كهي رسد بمراد كه چند سال بجان خدمت شعيب كند

﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (٢٨)

﴿قال﴾ موسى ﴿ذلك﴾ الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم وثابت ﴿وبيني وبينك﴾ جميعاً لا أنا أخرج عما شرطت علي ولا أنت تخرج عما شرطت على نفسك ﴿أيما الأجلين قضيت﴾ أي شرطية منصوبة بقضيت وما زائدة مؤكدة لإبهام أي في شياعها والأجل مدة الشيء. والمعنى أكثرهما أو أقصرهما وفيتك بأداء الخدمة فيه. وبالفارسية: [هر کدام ازین دو مدت که هشت ساله و ده سالست بکذارم و بیابان رسانم] وجواب الشرطية قوله: ﴿فلا عدوان علي﴾ لا تعدي ولا تجاوز بطلب الزيادة فكما لا أطلب بالزيادة على العشر لا أطلب بالزيادة على الثماني أو أيما الأجلين قضيت فلا إثم عليّ يعني كما لا إثم عليّ في قضاء الأكثر كذا لا أثم عليّ في قضاء الأقصر. ﴿والله على ما نقول﴾ من الشروط الجارية بيننا ﴿وکیل﴾ شاهد وحفيظ فلا سبيل لأحد منا إلى الخروج عنه أصلاً. فجمع شعيب المؤمنين من أهل مدين وزوجه ابنته صفوريا ودخل موسى البيت وأقام يرعى غنم شعيب عشر سنين كما في «فتح الرحمن». روي: أنه لما أتم العقد قال شعيب لموسى: أدخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي وكانت عنده عصي الأنبياء فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وصلت إلى شعيب فمسها وكان مكفوفاً فلم يرضها له خوفاً من أن لا يكون أهلاً لها وقال

غيرها: فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن لموسى شأنًا وحين خرج للرعي قال له شعيب: إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ عن يمينك فإن الكلا وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تيناً أخشى منه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ومشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا بالتنين قد أقبل فحاربه العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولاً سر ولما رجع إلى شعيب أخبره بالشأن ففرح شعيب وعلم أن لموسى والعصا شأنًا وقال: إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء والدرع بياض في صدور الشاء ونحورها وسواد في الفخذ وهي درعاء كما في «القاموس». فأوحى الله إليه في المنام أن اضرب بعصاك الماء الذي هو في مستقى الأغنام ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع ودرعاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله تعالى إلى موسى وامرأته فوفى له بالشرط وسلم إليه الأغنام.

قال أبو الليث: مثل هذا الشرط في شريعتنا غير واجب إلا أن الوعد من الأنبياء واجب فوفاه بوعده انتهى. وفي «المثنوي».

جرعه برخاك وفانكس كه ريخت كي تواند صيد دولت زوكريخت
پس پيمبر كفت بهر اين طريق باوفاتر از عمل نبود رفيق
كربود نيكو ابديارت شود وربود بد در لحد بارت شود

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ۚ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ۚ لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿فلما قضى موسى الأجل﴾ الفاء فصيحة أي فعقد العقدين وبأشرف ما التزمه فلما أتم الأجل المشروط بينهما وفرغ منه روي أنه قضى أبعد الأجلين وهي عشر سنين. يعني [ده سال شباني كردپس أورا آرزوي وطن خاست] فبكى شعيب وقال: يا موسى كيف تخرج عني وقد ضعفت وكبرت؟ فقال له: قد طالت غيبتني عن أمي وخالتي وهارون أخي وأختي في مملكة فرعون فقام شعيب وبسط يديه وقال: يا رب بحرمة إبراهيم الخليل وإسماعيل الصفي وإسحاق الذبيح ويعقوب العظيم ويوسف الصديق رد قوتي وبصري فأمن موسى على دعائه فرد الله عليه بصره وقوته ثم أوصاه بآبنته ﴿وسار﴾ موسى بإذن شعيب نحو مصر والسير المضي في الأرض ﴿بأهله﴾ بامرأته صفوريا وولده فإنها ولدت منه قبل السير كما في «كشف الأسرار».

وقال الكاشفي: [وبيرد كسان خودرا] فالباء على هذا للتعدي.

قال ابن عطاء: لما تم له أجل المحبة ودنت أيام القرية والزلفة وإظهار أنوار النبوة عليه سار بأهله ليشارك معه في لطائف الصنع.

قال في «كشف الأسرار»: [نماز پیشین فراره بود همی رفت تاشب در آمد] وكان في البرية والليل مظلمة باردة فضرِبَ خيمته على الوادي وأدخل أهله فيها وهطلت السماء بالمطر والثلج [وأغنام ازبرف وباد ودمه متفرق شده يعني أغنام كه أورا شعيب داده بود] وقد كان ساقها معه وكانت امرأته حاملاً فأخذها الطلق فأراد أن يقدر فلم يظهر له نار فاغتم لذلك فحينئذ ﴿آنس من جانب الطور ناراً﴾ أي: أبصر من الجهة التي تلي الطور ناراً يقال جانب الحائط للجهة التي تلي الجنب والطور اسم جبل مخصوص والنار يقال للهب الذي يبدو

للحاسة وللحرارة المجردة ولنار جهنم .

قال بعضهم : أبصر ناراً دالة على الأنوار لأنه رأى النور على هيئة النار لكون مطلبه النار والإنسان يميل إلى الأشياء المعهودة المأنوسة ولا تخلو النار من الاستثناس خاصة في الشتاء وكان شتاء تجلى الحق بالنور في لباس النار على حسب إرادة موسى وهذه سنته تعالى ألا ترى إلى جبريل أنه علم أن النبي عليه السلام أحب دحية فكان أكثر مجيئه إليه في سورة دحية ﴿قال﴾ موسى . ﴿لأهله امكثوا﴾ المكث ثبات مع انتظار أي قفوا مكانكم واثبتوا . ﴿إني آنست ناراً لعلي﴾ [شاید كه من] ﴿آتيكم﴾ [بيارم از براي شما] . ﴿منها﴾ [آزان آتش] ﴿يخبر﴾ [بيامي يعني از نزد كساني كه برسر آن آتش اند بيارم خبر طريق كه راه مصر از كدام طرفست] وقد كانوا ضلوه ﴿أو جذوة﴾ عود غليظ سواء كانت في رأسه نار أو لا ولذلك بين بقوله : ﴿من النار﴾ وفي «المفردات» : الجذوة التي يبقى من الحطب بعد الالتهاب .

وفي «التأويلات النجمية» : تشير الآية إلى التجريد في الظاهر وإلى التفريد في الباطن فإن السالك لا بد له في السلوك من تجريد الظاهر عن الأهل والمال وخروجه عن الدنيا بالكلية فقد قيل : المكاتب عبد ما بقي عليه درهم ثم من تفريد الباطن عن تعلقات الكونين فيقدر تفرده عن التعلقات يشاهد شواهد التوحيد فأول ما يبدو له في صورة شعلة النار كما كان لموسى والكوكب كما كان لإبراهيم عليهما السلام ومن جملة اللوامع والطواع والسواطع والشموس والأقمار إلى أن يتجلى نور الربوبية عن مطلع الألوهية . ﴿لعلكم تصطلون﴾ الاصطلاء [كرم شدن بآتش] .

قال في «كشف الأسرار» : الاصطلاء التدفؤ بالصلاء وهو النار بفتح الصاد وكسرهما فالفتح بالقصر والكسر بالمد .

وفي «التأويلات النجمية» : يشير إلى أن أوصاف الإنسانية جامدة من برودة الطبيعة لا تسخن إلا بجذوة نار المحبة بل نار الجذبة الإلهية . قال الكمال الخجدي :

بچشم اهل نظرکم بود ز پروانه دلي كه سوخته آتش محبت نيست
فترك موسى أهله في البرية وذهب .

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْسُكْ إِيَّاتِي أَنَا
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿فلما أتاهها﴾ أي : النار التي آنسها ﴿نودي من شاطئ الوادي الأيمن﴾ أي : أتاه النداء من الشاطئ الأيمن بالنسبة إلى موسى فالأيمن مجرور صفة يسيل فيه الماء ومنه سمي المفرج بين الجبلين وادياً . ﴿في البقعة المباركة﴾ متصل بالشاطئ أو صلة لنودي والبقعة قطعة من الأرض لا شجر فيها وصفت بكونها مباركة لأنه حصل فيها ابتداء الرسالة وتكليم الله إياه وهكذا محال تجليات الأولياء قدس الله أسرارهم . ﴿من الشجرة﴾ بدل اشتمال من شاطئ لأنها كانت ثابتة على الشاطئ وبقيت إلى عهد هذه الأمة كما في «كشف الأسرار» وكانت عناباً أو سمرة أو سدرية أو زيتوناً أو عوسجاً والعوسج إذا عظم يقال له : الغرقد بالغين المعجمة وفي الحديث : «إنها شجرة اليهود ولا تنطق» يعني إذا نزل عيسى وقتل اليهود فلا يختفي منهم أحد تحت شجرة إلا نطقت وقالت : يا مسلم هذا يهودي فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجرهم فلا ينطق

كما في «التعريف والأعلام» للإمام السهيلي. ﴿أَنْ﴾ مفسرة أي أي ﴿يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾ أي أنا الله الذي ناديتك ودعوتك باسمك وأنا رب الخلائق أجمعين وهذا أول كلامه لموسى وهو وإن خالف لفظاً لما في طه والنمل لكنه موافق له في المعنى المقصود.

قال الكاشفي: [موسى در درخت نگاه کرد آتشی سفید بی دود یدید و بدل فرونگریست شعله شوق لقای حضرة معبود مشاهده نمود از شهود این در آتش نزدیک بود که شمع وجودش بتمام سوخته گردد:

هست در من آتش روشن نمیدانم که چیست

این قدر دانم که همچون شمع می کاهم ذکر

موسى عليه السلام از ندای. ﴿أَنْ يا موسى﴾ سوخته عشق و کداخته شوق شده در بیش درخت بایستاد و آن ندا در مضمون داشت که. ﴿إني أنا الله رب العالمين﴾.

قال في «كشف الأسرار»: موسى زیر آن درخت متلاشی صفات و فانی ذات کشت و همگی وی سمع شده و ندا آمد پس خلعت قربت پوشید شراب الفت نوشید صدر وصلت دید و ریحان رحمت بوید.

أي عاشق دلسوخته اندوه مدار روزی بمراد عاشقان کردکار

قال بعضهم: لما وصل موسى إلى الشجرة ذهب النار وبقي النور ونام موسى عن موسى فنودي من شجرة الذات بأصوات الصفات و صار الجبل من تأثير التجلي والكلام عقيقاً و غشي عليه فأرسل الله إليه الملائكة حتى روحوه بمراوح الأنس وقالوا له: يا موسى تعبت فاسترح يا موسى قد باخت فلا تبرح جئت على قدر يا موسى. يعني: [مقدر بود که حق سبحانه باتوسخن کند] و كان هذا في ابتداء الأمر والمبتدأ مرفوق به. وفي المرة الأخرى خر موسى صعقاً فكان يصعق والملائكة تقول له: يا ابن النساء الحيض مثلك من يسأل الرؤية يا ليت لو تعلم الملائكة أين موسى هناك لم يعيروه فإن موسى كان في أول الحال مريداً طالباً وفي الآخر مراداً مطلوباً طلبه الحق واصطفاه لنفسه قيل: شتان بين شجرة موسى وبين شجرة آدم عندها طهرت محنة وفتنة وعند شجرة موسى افتتحت نبوة ورسالة يا صاحبي لو يعلم قائل هذا القول حقيقة شجرة آدم لم يقل مثل هذا في حق آدم فإن شجرة آدم إشارة إلى شجرة الربوبية ولذا قال: ﴿وَلَا نَقْرِبُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ۳۵] فإن آدم إذ كان متصفاً بصفات الحق أراد العيشة بحقيقتها فنهاه الحق عنها وقال: هذا شيء لم يكن لك فإن حقيقة الأزلية متمتعة من الاتحاد بالمحدثية هكذا قال: ولكن أظهر أزلته من الشجرة وسكر آدم ولم يصبر عن تناولها فأكل منها حبة الربوبية فكبر حاله في الحضرة ولم يطق في الجنة حملها فأهبط منها إلى معدن العشاق ومقر المشتاق فشجرة آدم شجرة الأسرار وشجرة موسى شجرة الأنوار فالأنوار للأبرار والأسرار للأخيار.

قال بعض الكبار: إذا جاز ظهور التجلي من الشجرة وكذا الكلام من غير كيف ولا جهة فأولى أن يجوز ذلك من الشجرة الإنسانية ولذا قسموا التوحيد إلى ثلاث مراتب. مرتبة لا إله إلا هو. ومرتبة لا إله إلا أنت. ومرتبة لا إله إلا أنا والمتكلم في الحقيقة هو الحق تعالى بكلام قديم أزلي فإن شئت الذوق فارجع إلى الوجدان إن كنت من أهله وإلا فعليك بالإيمان فإن الكلام إما مع الوجدان أو مع أهل الإيمان فسلام على المصطفين الأخيار والمؤمنين الأبرار اللهم أرنا

الأشياء كما هي وإنما الكون خيال وهو الحق في الحقيقة فلا موجود إلا هو كما لا مشهود إلا هو فاعرف يا مسكين تغم . قال الشيخ سعدي عن لسان العاشق :

مرا باوجود تو هستي نماند بياد توام خود پرستي نماند
كرم جرم بيني مكن عيب من توبي سربر آورده از جيب من
وقال :

سمندر نه کرد آتش مکرد كه مردانكي بايد آنكه نبرد
وهو إشارة إلى من ليس حاله كحال موسى نسأل الله الوقوع في نار العشق والوصول إلى سر الفناء الكلي .

﴿وَأَن أَلْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدِيرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴿٢٦﴾﴾ .

﴿وَأَن أَلْقَىٰ عَصَاكَ﴾ عطف على أَن يا موسى وكلاهما مفسر لنودي أي ونودي أَن أَلْقَىٰ واطرح من يدك عصاك فألقاها فصارت حية فاهتزت . ﴿فلما رآها تهتز﴾ أي تتحرك تحركاً شديداً ﴿كأنها جان﴾ في سرعة الحركة أو في الهيئة والجثة فإنها إنما كانت ثعباناً عند فرعون والجان حية كحلاء العين لا تؤذي كثيرة في الدور . ﴿ولي مدبراً﴾ أعرض حال كونه منهزماً من الخوف ﴿ولم يعقب﴾ أي لم يرجع .

قال الخليل : عقب أي رجع على عقبه وهو مؤخر القدم فنودي ﴿يا موسى أقبل﴾ [يش أي] ﴿ولا تخف﴾ [ومترس ازين مار] ﴿إنك من الأمنين﴾ من المخاوف فإنه لا يخاف لدي المرسلون كما سبق في التمل .
فإن قلت : ما الفائدة في إلقائها؟ .

قلت : أن يألنها ولا يخافها عند فرعون إذا ناظره بقلب العصا وغيره من المعجزات كما في «الأسئلة المقحمة» .
وفيه إشارة إلى إلقاء كل متوكأ غير الله فمن اتكأ على الله آمن ومن اتكأ على غيره وقع في الخوف .

قال في «كشف الأسرار» : [جاي ديكر كفت خذها ولا تخف يا موسى عصا مي دار ومهر عصا دردل مدار وأنرا پناه خود مكير از روى اشارت بدنيا دار ميكويد دنيا ميدار ومهر دنيا در دل مدار وأنرا پناه خود مساز] «حب الدنيا رأس كل خطيئة» ويقال : شتان بين نبينا ﷺ وبين موسى عليه السلام رجع من سماع الخطاب وأتى بثعبان سلطه على عدوه ونبينا عليه السلام أسرى به إلى محل الدنو فأوحى إليه ما أوحى ورجع أتى لأتمته بالصلاة التي هي المناجاة فقليل له : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقال : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

﴿أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْجُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَتَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿اسلك يدك في جيبك﴾ أدخلها في مدرعتك وهي ثوب من صوف يلبس بدل القميص ولا يكون له كم بل ينتهي كنه عند المرفقين . وبالفارسية : [در آردست خود را در كريان جامهء

خود] ﴿تخرج بيضاء﴾ أي: حال كونها مشرقة مضيئة لها شعاع كشعاع الشمس. ﴿من غير سوء﴾ عيب كالبصر. يعني: [سفیدی] أو مكروه منفر نباشد چون بياض برص. ﴿واضمم إليك جناحك﴾ جناح الإنسان عضده ويقال: اليد كلها جناح أي يديك المبسوطتين تنقي بهما الحية كالخائف الفرع بإدخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس أو بإدخالهما في الجيب فيكون تكريراً لاسلك يدك لغرض آخر وهو أن يكون ذلك في وجه العدو إظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز أن يكون المراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فإنه إذا خاف نشر جناحيه وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه فعلى هذا يكون تميمًا لمعنى أنك من الأمنين لا تكريراً لاسلك يدك. ﴿من الرهب﴾ الرهب مخافة مع تحزن واضطراب أي من أجل الرهب أي إذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلداً أو ضبطاً لنفسك. ﴿فذلك﴾ إشارة إلى العصا واليد ﴿برهانان﴾ حجتان نيرتان ومعجزتان باهرتان وبرهان فعلان من قولهم: أبره الرجل إذا جاء بالبرهان أو من قولهم: بره الرجل إذا ابيض ويقال: برهه وبرهه للمرأة البيضاء ونظيره تسمية الحجة سلطاناً من السليط وهو الزيت لإنارتها وقيل: هو فعلال لقولهم: برهن. ﴿من ربك﴾ صفة لبرهانان أي كائنان منه تعالى وأصلان. ﴿إلى فرعون وملئه﴾ ومنتحيان إليهم. ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ خارجين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا أحقاء بأن نرسلك إليهم بهاتين المعجزتين.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (٢٣) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (٢٤).

﴿قال﴾ موسى ﴿رب﴾ [أي پروردگار من] ﴿إني قتلْتُ منهم﴾ أي: من القوم وهم القبط ﴿نفساً﴾ وهو فاتون خباز فرعون. ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ بمقابلتها.

﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾ أطلق لساناً بالبيان وكان في لسان موسى عقدة من قبل الجمرة التي تناولها وأدخلها فاه تمنعه عن إعطاء البيان حقه ولذلك قال فرعون: ولا يكاد يبين.

قال بعض العارفين: مقام الفصاحة هو مقام الصحو والتمكين الذي يقدر صاحبه أن يخبر عن الحق وأسراره بعبارة لا تكون ثقيلة في موازين العلم وهذا حال نبينا ﷺ حيث قال: «أنا أفصح العرب»: «وبعثت بجوامع الكلم» وهذه قدرة قادرية اتصف بها العارف المتمكن الذي بلغ مشاهدة الخاص ومخاطبة الخواص وكان موسى عليه السلام في محل السكر في ذلك الوقت ولم يطق أن يعبر عن حاله كما كان لأن كلامه لو خرج على وزان حاله يكون على نعوت الشطح عظيماً في آذان الخلق وكلام السكران ربما يفتتن به الخلق ولذلك سأل مقام الصحو والتمكين بقوله: ﴿وَأَعْلَلُ عُقْدَةً مِن لِسَانِي﴾ (٢٧) يَقْفَهُوا قَوْلِي﴾ (٢٨) [طه: ٢٧-٢٨] لأن كلامه من بحر المكافحة في المواجهة الخاصة التي كان مخصوصاً بها دونه بخلاف هارون إذ لم يكن كليماً فحال مع الناس أسهل من حال موسى ﴿فأرسله﴾ إلى فرعون وقومه ﴿مع﴾ حال كونه ﴿ردءاً﴾ أي معيناً وهو في أصل اسم ما يعان به كالدفع واستعمل هنا صفة بدليل كونه حالاً ﴿يصدقني﴾ بالرفع صفة ردء أي مصداقاً لي بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتوضيحها وتزييف الشبهة وإبطالها لا بأن يقول له: صدقت أو للجماعة صدقوه يؤيد ذلك قوله: ﴿هو أفصح مني﴾

لساناً ﴿لأن ذلك يقدر عليه الفصيح وغيره كما في «فتح الرحمن»﴾ «إني أخاف أن يكذبون» أي يردوا كلامي ولا يقبلوا مني دعوتي ولساني لا يطاوعني عند الحاجة.

وفيه إشارة إلى أن من خاصية نمرود وفرعون النفس تكذيب الناطق بالحق ومن خصوصية هارون العقل تصديق الناطق بالحق.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّنَتِنَا أُنْتُمَا وَنَبِعَكُمَا آفَاقِيُونَ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿قال﴾ الله تعالى ﴿سنشد عضدك بأخيك﴾ العضد ما بين المرفق والكتف: وبالفارسية [بتازو] أي سنقويك به لأن الإنسان يقوى بأخيه كقوة اليد بعضدها. وبالفارسية [زود باشدكه] سخت كنم بازوي ترا يعني بيزايم نيروي ترا برادرتو] وكان هارون يومئذ بمصر ﴿ونجعل لكما سلطاناً﴾ أي تسلطاً وغلبة.

قال جعفر: هبة في قلوب الأعداء ومحبة في قلوب الأولياء.

وقال ابن عطاء: سياسية الخلافة مع أخلاق النبوة ﴿فلا يصلون إليكما﴾ باستيلاء أو محاجة ﴿بآياتنا﴾ متعلق بمحذوف صرح به في مواضع أخرى أي اذهب بآياتنا أو بنجعل أي نسلطكما بآياتنا وهي المعجزات أو بمعنى لا يصلون أي تمتنعان منهم بآياتنا فلا يصلون إليكما بقتل ولا سوء كما في «فتح الرحمن»: ﴿أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ أي لكما ولأتباعكما الغلبة على فرعون وقومه [زيراكه رايات آيات ما عالي است وامداد أعانت مراوليارا] متواتر ومتوالي والله الغالب والمتعالي.

قال في «كشف الأسرار»: [چون اين مناجات تمام شد رب العالمين اورا بازگردانيد. خلافت ميان علما كه موسى آنكه پيش عيال بازشدياهم از آنجا بمصر رفت سوى فرعون. قومي گفتندهم از آنجا سوى مصر شد وأهل وعيال را دران بيابان يكداشت سي روز دران بيابان ميان مدين ومصر بماندندتنها دختر شعيب بود وفرزند موسى وآن كوسفندان آخر بعد از سي روز شباني بايشان بكدشت دختر شعيب را ديد وأورا بشناخت دل تنك واندوهكين نشسته ومي كريد آن شبان إيشانرا درپيش كاد وبامدين برد پيش شعيب. وقومي گفتند موسى چون از مناجات فارغ شد همان شب بنزديك أهل وعيال باز رفت عيال وي أورا كفت آتش آوردي موسى أورا كفت من بطلب آتش شدم نور آوردم وبپغمبر وكرامت خداوند جل جلاله آنكه برخاستند وروی بمصر نهادند چون بدر شهر مصر رسيدند وقت شبانگاه بود برادر وخواهر أما پدرش رفته بود ازدنيا موسى بدر سراي رسيد نماز شام بود وإيشان طعام درپيش نهاده بودند وميخورند موسى آواز دادكه من يكي غريم مرا امشب سپنج دهيد بقربت اندر ما دركفت مر هارونراكه اين غريب را سپنج بايدداد تامكر كسي بغربت اندر پسررا سپنج دهد موسى را بخانه اندر آوردند وطعام پيش وي نهادند واورا نمي شناختند چون موسى فراسخن آمد مادر أورا بشناخت واورا دركنار گرفت وبسيار بكريست پس موسى كفت مر هارونراكه خداي عز وجل مارا پيغمبري داد وهر دورا فرمود كه پيش فرعون رويم واورا بالله جل جلاله دعوت كنيم هارون كفت سمعاً وطاعة لله عز وجل مادر كفت من ترسم كه اوشمارا هردو بكشدكه او جباري طاغيست إيشان گفتند الله تعالى مارا فرموده وأومارا خود نكه دارد وايمن كردد پست

موسى وهارون ديكر روز رفتند بدر سراي فرعون كرو هي كويند همان ساعت باز رفتند وپیغام كذارند وكروهي گفتند تايكسال بازنيافتند[يعني لم يأذن لهما فرعون بالدخول سنة وفيه إن صبح لطف لهما حيث يتقويان في تلك المدة بما ورد عليهما من جنود إمداد الله تعالى فتسهل الدعوة حينئذ وأياً ما كان فالدعوة حاصلة كما قال تعالى :

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيَّنَّتْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ .

﴿فلما جاءهم موسى﴾ حال كونه ملتبساً ﴿بآياتنا﴾ حال كونها ﴿بينات﴾ واضحات الدلالة على صحة رسالته منه تعالى والمراد المعجزات حاضرة كانت كالعصا واليد أو مترتبة كغيرها من الآيات التسع فإن زمان المجيء وقت ممتد يسع الجميع ﴿قالوا ما هذا﴾ أي الذي جئت به يا موسى ﴿إلا سحر مفترى﴾ أي سحر مختلق لم يفعل قبل هذا مثله وذلك لأن النفس خلقت من أسفل عالم الملكوت متنكسة والقلب خلق من وسط عالم الملكوت متوجهاً إلى الحضرة فما كذب الفؤاد ما رأى وما صدقت النفس ما رأت فيرى القلب إذا كان سليماً من الأمراض والعلل الحق حقاً والباطل باطلاً والنفس ترى الحق باطلاً والباطل حقاً ولهذا كان من دعائه عليه السلام : «اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه» وكان عليه السلام مقصوده في ذلك سلامة القلب من الأمراض والعلل وهلاك النفس وقمع هواها وكسر سلطانها كذا في «التأويلات النجمية» ﴿وما سمعنا بهذا﴾ السحر ﴿في آبائنا الأولين﴾ واقعاً في أيامهم .

﴿وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ يريد به نفسه : يعني [أو مرا فرستاده وميدانده من محققهم وشما مبطلید] ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ أي عاقبة دار الدنيا وهي الجنة لأنها خلقت ممراً إلى الآخرة ومزرعة لها والمقصود منها بالذات هو الثواب وأما العقاب فمن نتائج أعمال العصاة وسيئاتهم فالعاقبة المطلقة الأصلية للدنيا هي العاقبة المحموده دون المذمومه . ﴿إنه﴾ أي : الشأن ﴿لا يفلح الظالمون﴾ لأنفسهم بإهلاكها في الكفر والتكذيب أي : لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون من محذور ومن المحذور العذاب الدنيوي ففيه إشارة إلى نجاة المؤمن وهلاك الكافر وإلى أن الواجب على كل نفس السعي في نجاتها ولو هلك غيرها لا يضرها .

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِّي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٨﴾﴾ .

﴿وقال فرعون﴾ حين جمع السحرة وتصدى للمعارضة . ﴿يا أيها الملاء﴾ [أي كروه بزرگان] ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ قيل : كان بين هذه الكلمة وبين قوله : أنا ربكم الأعلى أربعون سنة أي ليس لكم إله غيري في الأرض [وموسى ميكويد خدای ديكر هست كه آفريدكار آسمانهاست] كما قال : ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرعد : ١٦] ﴿فأوقد لي﴾ الإيقاد [آتش افروختن] ﴿يا هامان﴾ هو وزير فرعون . ﴿على الطين﴾ هو التراب والماء المختلط أي اصنع لي آجرأ : وبالفارسية : [پس برافروز آتشی از برای من أي هامان بر كل تاخنه شود ودرینا أو استحکامی

بود] واول من اتخذ الآخر فرعون ولذلك أمر باتخاذہ علی وجه يتضمن تعليم الصنعة حيث لم يقل اطبخ لي الآخر. ﴿فاجعل لي﴾ منه ﴿صرحاً﴾ قصراً رفيعاً مشرفاً كالميل والمنارة. وبالفارسية [كوشكي بلندكە مرورا پایها باشد چون نردبان تابر سطح آن روم]. ﴿لعلی أطلع إلى إله موسى﴾ أنظر إليه وأقف عليه. يعني: [شایدكە برو مطلع کردم وبینم کہ چنان هست کہ موسى کوید] ﴿وإني لأظنه﴾ أي موسى ﴿من الكاذبين﴾ في ادعائه أن له إلهاً غيري وأنه رسوله قاله تلبساً وتمويهاً على قومه لا تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَفْتِنَهَا أَنْفُسَهُمْ﴾ [النمل: ۱۴].

قال في «الأسئلة المقحمة»: ولا يظن بأن فرعون كان شاكاً في عدم استحقاقه لدعوى الإلهية في نفسه إذ كان يعلم حال نفسه من كونها أهل الحاجات ومحل الآفات ولكن كان معانداً في دعواه مجاحداً من غير اعتقاد له في نفسه بالإلهية.

وقال الكاشفي: [فرعون تصور کرده بودکہ حق سبحانہ وتعالی جسم وجسمانیست برآسمان مکانی دارد وترقی بسوی وی ممکن است وبدین معنی دانا نشده بود].

کہ مکان آفرین مکان چہ کند آسمان کر بر آسمان چہ کند
نہ مکان رہ برد برو نہ زمان نہ بیان زوخبر دہد نہ عیان
صاحب کشف: [آورده کہ ہامان ملعون نچاہ ہزار استاد جمع کرد وراي مزدوران آن بطبخ آجر وبختن کج واهک وتراشیدن چون ورفع بنا امرنمود] واشتد ذلك علی موسى وھارون لأن بني إسرائيل كانوا معذبين في بنائه.

قال أبو الليث: كان ملاط القصر خيث القوارير وكان الرجل لا يستطيع القيام عليه من طوله مخافة أن ينسفه الريح وكان طوله خمسة آلاف ذراع وعرضه ثلاثة آلاف ذراع [وآن بنایي شد رفیع ومحکم کہ هیچکس پیش ازان بدان طریق صرحی نساخته بود ودرهمہ دنیا مانند آن ھرکز کس ندید ونشید]:

چنان بلند بنایی کہ عقل نتوانست کمند فکر فکندن بکوشہ بامش
وکتب بھلول علی حائط من حیطان قصر عظیم بناہ الخلیفۃ ہارون الرشید: یا ہارون
رفعت الطین ووضعت الدین رفعت الجص ووضعت النص إن کان من مالک فقد أسرفت إن الله
لا یحب المسرفین وإن کان من مال غیرک فقد ظلمت إن الله لا یحب الظالمین.

و در زاده المسیر [فرمودہ چون بنا باتمام رسید فرعون لعین ببالا بر آمد وخیال او آن بودکہ بفلک نزدیک رسیده باشد چون درنکریست آسمانرا از بالای صرح چنان دیدکہ در روی زمین میدید منفعل کشتہ تیر اندازیرا بکفت تابرھوا تیر انداخت وآن تیرباز آمد خون آلود فرعون کفت قد قتلت إله موسى بکشتنم نعوذ بالله خدای موسى را حق سبحانہ وتعالی جبرائیل را فرستاد تا پرخویش بدان صرح زد سہ پارہ ساخت یک قطعہ بلشکر کاه فرعون فرود آمد وھزاران ہزار قبطنی کشتہ شدند و قطعہ دیگر در دریا افتاد و دیگر بجانب مغرب وھیچکس زاستادان و مزدوران زندہ نماندند].

وفي «فتح الرحمن»: ولم يبق أحد ممن عمل فيه إلا هلك ممن كان على دين فرعون انتهى. وفرعون [باوجود این حال متنبہ نکشت وغرور او زیادت کشت].

﴿وَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُودُهُمْ فَنبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾

﴿واستكبر هو وجنوده﴾ تعظموا عن الإيمان ولم ينقادوا للحق والاستكبار إظهار الكبر باطلاً بخلاف التكبر فإنه أعم والكبر ظن الإنسان أنه أكبر من غيره ﴿في الأرض﴾ أي أرض مصر وما يليها ﴿بغير الحق﴾ بغير استحقاق ﴿وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾ لا يردون بالبعث للجزاء من رجح رجماً أي رد وصرف.

﴿فأخذناه وجنوده﴾ عقيب ما بلغوا من الكفر والعنوا أقصى الغايات ﴿فنبذناهم﴾ طرحناهم.

قال الراغب: النبذ إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به ﴿في اليم﴾ بحر القلزم أي عاقبتناهم بالإغراق وفيه تعظيم شأن الآخذ وتحقير شأن المأخوذ حيث أنهم مع كثرتهم كحصىات تؤخذ بالكف وتطرح في البحر ﴿فانظر﴾ يا محمد بعين قلبك ﴿كيف كان عاقبة الظالمين﴾ وحذر قومك من مثلها.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (٤١) وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ .

﴿وجعلناهم﴾ أي صيرنا فرعون وقومه في عهدهم ﴿آئمة يدعون إلى النار﴾ أي ما يؤدي إليها من الكفر والمعاصي أي قدوة يقتدي بهم أهل الضلال فيكون عليهم وزرهم من تبعهم ﴿ويوم القيامة لا ينصرون﴾ بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه. ﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ طرداً وإبعاداً من الرحمة أو لعناً من اللاعنين لا تزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون خلفاً عن سلف. وبالفارسية [وبر پي ايشان پیوستیم درین جهان لعنت و نفرین] ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ يوم متعلق بالمقبوحين على أن اللام للتعريف لا بمعنى الذي أي من المطرودين المبعدين يقال: قبح الله فلاناً قبحاً وقبحوحاً أي أبعد من كل خير فهو مقبوح كما في «القاموس» وغيره.

قال في «تاج المصادر»: القبح والقابحة والقباحة [زشت شدن] انتهى وعليه بنى الراغب حيث قال في «المفردات»: من المقبوحين أي من الموسومين بحالة منكرة كسواد الوجوه وزرقة العيون وسحبهم بالأغلال والسلاسل وغيرها انتهى باختصار.

قال في «الوسيط»: فيكون بمعنى المقبحين انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: لأن قبحهم معاملاتهم القبيحة كما أن حسن وجوه المحسنين معاملاتهم الحسنة هل جزاء الإحسان إلا الإحسان وجزاء سيئة سيئة مثلها انتهى.

ودلت الآية على أن الاستكبار من قبائحهم المؤدية إلى هذه القباحة والطرده قال عليه السلام: حكاية عن الله تعالى: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار» وصف الحق سبحانه نفسه بالرداء والإزار دون القميص والسراويل لكونهما غير محيطين فبعداً عن التركيب الذي هو من أوصاف الجسمانيات.

واعلم أن الكبر يتولد من الإعجاب والإعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن والجهل رأس الانسلاخ من الإنسانية ومن الكبر الامتناع من قبول الحق ولذا عظم الله أمره فقال: ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ

عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴿٢٠﴾ [الأحقاف: ٢٠] وأقبح كبر بين الناس ما كان معه بخل ولذلك قال عليه السلام: «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل والكبر» ومن تكبر لرياسة نالها دل على دناءة عنصره ومن تفكر في تركيب ذاته فعرف مبدأه ومنتهاه وأوسطه عرف نقصه ورفض كبره ومن كان تكبره لفنية فليعلم أن ذلك ظل زائل وعارية مستردة وإنما قال: بغير الحق إشارة إلى أن التكبر ربما يكون محموداً وهو التكبر والتبخر بين الصفيين ولذا نظر رسول الله عليه السلام إلى أبي دجاجة يتبختر بين الصفيين فقال: «إن هذه مشية يبغضها الله إلا في هذا المكان» وكذا التكبر على الأغنياء فإنه في الحقيقة عز النفس وهو غير مذموم قال عليه السلام: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه» فعلى العاقل أن يعز نفسه بقبول الحق والتواضع لأهله ويرفع قدره بالانقياد لما وضعه الله تعالى من الأحكام ويكون من المنصورين في الدنيا والآخرة ومن الذين يثني عليهم بالثناء الحسن لحسن معاملاتهم الباطنة والظاهرة نسأل الله ذلك من نعمة المتوفرة. قال الشيخ سعدى قدس سره:

بزرگان نکردند درخود نكاه خدا بيني ازخويشتن بين مخواه
بزرگي بناموس وكفتار نيست بلندي بدعوى وپندار نيست
بلنديت بايد تواضع كزين كه آن بام را نيست سلم جزاين
برين آستان عجز ومسكينيت به از طاعات وخويشتن بينيت
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾.

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ أي التوراة ﴿من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ جمع قرن وهو القوم المقترنون في زمان واحد أي من بعد ما أهلكنا في الدنيا بالعذاب أقوام نوح وهود وصالح ولوط أي على حين حاجة إليها.

قال الراغب: الهلاك بمعنى الموت لم يذكره الله حيث يفقد الذم إلا في قوله: ﴿إِنْ أَمْرًا هَٰكَذَا﴾ [النساء: ١٧٦] وقوله: ﴿وَمَا يَهْدِيكُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الجن: ٢٤] وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ [غافر: ٣٤] ﴿بصائر للناس﴾ حال من الكتاب على أنه نفس البصائر وكذا ما بعده. والبصائر جمع بصيرة وهي نور القلب الذي به يستبصر كما أن البصر نور العين الذي به تبصر. والمعنى حال كون ذلك الكتاب أنوار القلوب بني إسرائيل تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عمياء عن الفهم والإدراك بالكلية ﴿وهدى﴾ أي هداية إلى الشرائع والأحكام التي هي سبيل الله.

قال في «إنسان العيون»: التوراة أول كتاب اشتمل على الأحكام والشرائع بخلاف ما قبله من الكتب فإنها لم تشتمل على ذلك وإنما كانت مشتملة على الإيمان بالله وحده وتوحيده ومن ثمة قيل لها صحف وإطلاق الكتب عليها مجاز ﴿ورحمة﴾ حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى ﴿لعلهم يتذكرون﴾ ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر بما فيه من المواعظ. وبالفارسية [شایدکه ایشان پند پذیرند] وفي الحديث: «ما أهلك الله قرناً ولا أمة ولا أهل قرية بعذاب من السماء منذ أنزل التوراة على وجه الأرض غير أهل القرية الذين مسخوا قردة» ألم تر أن الله تعالى قال ﴿ولقد آتينا﴾ الآية.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾

﴿وما كنت﴾ يا محمد ﴿بجانب الغربي﴾ أي: جانب الجبل أو المكان الغربي الذي وقع فيه الميقات وناجى موسى ربه على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه أو الجانب الغربي على إضافة الموصوف كمسجد الجامع وعلى كلا التقديرين فجبل الطور غربي. ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾ أي: عهدنا إليه وأحكمنا أمر نبوته بالوحي وإيتاء التوراة. ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ أي: من جملة الشاهدين للوحي وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى من أمر موسى في ميقاته وكتب التوراة له في الألواح فتخبره للناس والمراد الدلالة على أن إخباره عن ذلك من قبل الإخبار عن المغيبات التي لا تعرف إلا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله:

﴿ولكننا أنشأنا قرونًا﴾ خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونًا كثيرة. وبالفارسية [وليكن بيافريديم پس از موسى كروهي بعد از كروهي]. ﴿فتطاول عليهم العمر﴾ تطاول بمعنى طال. وبالفارسية [دراز شد] والعمر بالفتح والضم وبضميتين الحياة.

قال الراغب: اسم لمدة عمارة البدن بالحياة أي طال عليهم الحياة وتمادى الأمد والمهلة فتغيرت الشرائع والأحكام وعميت عليهم الأنبياء لا سيما على آخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد فأوحينا إليك فحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجبه. ﴿وما كنت ثاويًا في أهل مدين﴾ نفى لاحتمال كون معرفته للقصة بالسماع ممن شاهد. والثواء هو الإقامة والاستقرار أي وما كنت مقيمًا في أهل مدين إقامة موسى وشعيب حال كونك. ﴿تتلو عليهم﴾ أي: تقرأ على أهل مدين بطريق التعلم منهم [چنانچه شاگردان براستاذان خوانند] وهو حال من المستكن في ثاويًا أو خبر ثانٍ لكانت. ﴿آياتنا﴾ الناطقة بالقصة ﴿ولكننا كنا مرسلين﴾ إياك وموحين إليك تلك الآيات ونظائرها.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٤٦﴾

﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾ أي: وقت ندائنا موسى إني أنا الله رب العالمين واستنبأنا إياه وأرسلنا له إلى فرعون والمراد جانب الطور الأيمن كما قال: ﴿وَنَذِيرُهُ مِّن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مریم: ٥٢] ولم يذكر هنا احترازاً عن إيهام الذم فإنه عليه السلام لم يزل بالجانب الأيمن من الأزل إلى الأبد ففيه إكرام له وأدب في العبارة معه. ﴿ولكن رحمة من ربك﴾ أي: ولكن أرسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر رحمة عظيمة كائنه منا لك وللناس. ﴿لتنذر قوماً﴾ متعلق بالفعل المعلل بالرحمة ﴿ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ صفة قوماً أي لم يأتهم نذير لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين إسماعيل على أن دعوة موسى وعيسى مختصة ببني إسرائيل. ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون بإنذارك وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء الأمر والثواء في أهل مدين والنداء للتنبية على أن كلاً من ذلك برهان مستقل على أن حكايته عليه السلام للقصة بطريق الوحي الإلهي ولو ذكر أولاً نفى ثوائه عليه السلام

في أهل مدين ثم نفى حضوره عليه السلام عند قضاء الأمر كما هو الموافق للترتيب الوقوعي لربما توهم أن الكل دليل واحد كما في «الإرشاد» ثم من التذكير تجديد العهد الأزلي وذلك بكلمة الشهادة وهي سبب النجاة في الدارين .

وفي الحديث: «كتب الله كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورقة آس ثم وضعها على العرش ثم نادى: يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني من لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدي ورسولي أدخلته الجنة وقد أخذ الله الميثاق من موسى أن يؤمن بأني رسول الله في غيبتني» وفي الحديث: «إن موسى كان يمشي ذات يوم بالطريق فناده الجبار: يا موسى فالتفت يميناً وشمالاً ولم ير أحداً ثم نودي الثانية يا موسى فالتفت يميناً وشمالاً ولم ير أحداً فارتعدت فرائصه ثم نودي الثالثة: يا موسى بن عمران إني أنا الله لا إله إلا أنا فقال: لبيك فخر الله ساجداً فقال: ارفع رأسك يا موسى بن عمران فرفع رأسه فقال: يا موسى إن أحببت أن تسكن في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي فكن لليتيم كالأب الرحيم وكن للأرملة كالزوج العطوف يا موسى ارحم ترحم يا موسى كما تدين تدان يا موسى إنه من لقيني وهو جاحد بمحمد أدخلته النار ولو كان إبراهيم خليلي وموسى كليمي فقال: إلهي ومن محمد؟ قال: يا موسى وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منه كتبت اسمه مع اسمي في العرش قبل أن أخلق السموات والأرض والشمس والقمر بألفي سنة وعزتي وجلالي إن الجنة محرمة على الناس حتى يدخلها محمد وأمه قال موسى: ومن أمة محمد؟ قال: أمته الحمادون يحمدون صعوداً وهبوطاً وعلى كل حال يشدون أوساطهم ويطهرون أبدانهم صائمون بالنهار ورهبان بالليل أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة لا إله إلا الله قال: إلهي اجعلني نبي تلك الأمة قال نبيها منها قال: اجعلني من أمة ذلك النبي قال: استقدمت واستأخروا يا موسى ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال».

وعن وهب بن منبه قال: لما قرب الله موسى نجياً قال: رب إني أجد في التوراة أمة هي خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم من أمتي قال: يا موسى تلك أمة أحمد قال: يا رب إني أجد في التوراة أنهم يأكلون صدقاتهم وتقبل ذلك منهم ويستجاب دعاؤهم فاجعلهم من أمتي قال: تلك أمة أحمد فاشتاق إلى لقائهم فقال تعالى: إنه ليس اليوم وقت ظهورهم فإن شئت أسمعك كلامهم قال: بلى يا رب فقال الله تعالى: يا أمة محمد فأجابه من أصلاب آبائهم ملبين أي قائلين لبيك اللهم لبيك [موسى سخن ايشان بشنيد آنكه خداي تعالى روا نداشت كه ايشانرا بي تحف بازکرداند كفت] أجبتكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني ورحمتكم قبل أن تسترحموني [زهي ربت اين أمت عالي همت كه باوجود اختصاص ايشان بحضرت رسالت وقرآن برين وجه يافته ان]

حق لطف کرده داد بما هرچه بهترست

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ ﴿٤٨﴾﴾ .

﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾ الضمير لأهل مكة والمصيبة العقوبة .

قال الراغب: أصلها في الرمية ثم اختص بالمعاقبة. والمعنى بالفارسية: [واكرنه آن بودي كه بدیشان رسیدی عقوبتی رسنده]. ﴿بما قدمت أيديهم﴾ أي: بما اقترفوا من الكفر والمعاصي وأسند التقديم إلى الأيدي لأنها أقوى ما يزال به الأعمال وأكثر ما يستعان به في الأفعال ﴿فيقولوا﴾ عطف على تصيهم داخل في حيز لولا الامتناعية على أن مدار امتناع ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وإنما ذكر في حيزها للإيدان بأنه السبب الملجئ لهم إلى قولهم: ﴿ربنا﴾ [أي پروردگارما] ﴿لولا أرسلت إلينا﴾ [چرا نفرستادی بسوی ما] فلولا تحضيضية بمعنى هلا. ﴿رسولا﴾ مؤيداً من عندك بالآيات ﴿فتتبع آياتك﴾ الظاهرة على يده وهو جواب لولا الثانية ﴿ونكون من المؤمنين﴾ بها وجواب لولا الأولى محذوف ثقة بدلالة الحال عليه. والمعنى لولا قولهم هذا عند إصابة عقوبة جنایاتهم التي قدموها ما أرسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققاً لا محيد عنه أرسلناك قطعاً لمعاذيرهم بالكلية والزماً للحجة عليهم. ﴿فلما جاءهم﴾ أي: أهل مكة وكفار العرب. ﴿الحق﴾ أي: القرآن لقوله في سورة الرحمن: ﴿حَقَّ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ [الزخرف: ٢٩] ﴿من عندنا﴾ أي: بأمرنا ووحينا كما في «كشف الأسرار».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما جاءهم محمد.

وفيه إشارة إلى أنه عليه السلام إنما بعث بعد وصوله إلى مقام العندية واستحقاقه أن يسميه الله الحق وهو اسمه تعالى وتقدس.

وفيه إشارة إلى كمال فئائه عن أنانيته وبقائه بهوية الحق تعالى وله مسلم أن يقول أنا الحق وإن صدرت هذه الكلمة عن بعض متابعيه فلا غرو أن يكون من كمال صفاء مرآة قلبه في قبول انعكاس أنوار ولاية النبوة إذا كانت محاذية لمرآة قلبه عليه السلام وكان منبع ماء هذه الحقيقة قلب محمد عليه السلام ومظهره لسان هذا القائل بتبعيته لقد كان لكللم في رسول الله أسوة حسنة كذا في «التأويلات النجمية» ﴿قالوا﴾ تعنتاً واقتراحاً قال بعضهم: قاله قريش بتعليم اليهود ﴿لولا﴾ هلا ﴿أوتي﴾ محمد ﴿مثل ما أوتي موسى﴾ من الكتاب جملة لا مفراً.

قال بعض الكبار: احتجوا بكفرهم عن رؤية كماله عليه السلام وإلا لقالوا لولا أوتي موسى مثل ما أوتي محمد من الكمالات. ﴿أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل﴾ أي: أولم يكفروا من قبل هذا بما أوتي موسى من الكفر كما كفروا بهذا الحق ثم بين كيفية كفرهم فقال: ﴿قالوا﴾ هما، أي ما أوتي محمد وما أوتي موسى عليهما السلام ﴿سحران تظاهرا﴾ أي تعاوننا بتصديق كل واحد منهما الآخر وذلك أن قريشاً بعثوا رهطاً منهم إلى رؤساء اليهود في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه السلام فقالوا: إنا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك ﴿وقالوا إنا بكل﴾ أي: بكل واحد من الكتابين ﴿كافرون﴾ وقال بعضهم: المعنى أو لم يكفر أبناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم القبط بما أوتي موسى من قبل القرآن قالوا: إن موسى وهارون سحران أي ساحران تظاهرا وقالوا: إنا بكل كافرون.

يقول الفقير: إنه وإن صح إسناد الكفر إلى أبناء الجنس من حيث أن ملل الكفر واحدة في الحقيقة فكفر ملة واحدة بشيء في حكم كفر الملل الآخر به كما أسند أفعال الآباء إلى الأبناء من حيث رضاهم بما فعلوا لكن يلزم على هذا أن يخص ما أوتي موسى بما عدا الكتاب

من الخوارق فإن إيتاء الكتاب إنما كان بعد إهلاك القبط على أن مقابلة القرآن بما عدا التوراة مع أن ما أوتي إنما يدل بإطلاقه على الكتاب مما لا وجه له فالمعنى الأول هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم ويدل عليه صريحاً قوله تعالى :

﴿قُلْ فَأَنُؤُا بِكُتُبٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِمَّا أَنُتَعُهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٩) ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْ هُدَىٰ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٠)

﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يقولون هذا القول. ﴿فأنتوا﴾ [بس بياريد] ﴿بكتاب من عند الله هو أهدى﴾ بطريق الحق. وبالفارسية [رياست ترراه نماينده تر]. ﴿منهما﴾ أي مما أوتياه من التوراة والقرآن وسميتموهما بسحرين ﴿أتبعه﴾ جواب للأمر أي إن تأتوا به أتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتي به من يدل وضوح حجته وسنوح محجته لأن الإتيان بما هو أهدى من الكتابين أمر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام للتبكيك والإفحام ﴿إن كنتم صادقين﴾ أي: في أنهما سحران مختلفان وفي إيراد كلمة إن مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم.

﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ دعاءك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى ولن يستجيبوا كقوله: فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا وحذف المفعول وهو دعائك للعلم به ولأن فعل الاستجابة يتعدى بنفسه إلى الدعاء وباللام إلى الداعي فإذا عدي إليه حذف الدعاء غالباً. ﴿فاعلم أنما يتبعون أهواءهم﴾ الزائغة من غير أن يكون لهم متمسك أصلاً إذ لو كان لهم ذلك لآتوا به. ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه﴾ استفهام إنكاري بمعنى النفي أي لا أضل منه أي هو أضل من كل ضال. ومعنى أضل بالفارسية: [كراه تر] ﴿بغير هدى من الله﴾ أي بيان وحجة وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله لزيادة التقرير والإشباع في التشنيع والتضليل وإلا فمقارنته لهديته تعالى بينة الاستحالة.

وقال بعضهم: هوى النفس قد يوافق الحق فلذا قيد الهوى به فيكون في موضع الحال منه ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ لا يرشد إلى دينه الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى والإعراض عن الآيات الهادية إلى الحق المبين. وههنا إشارات:

منها أن الطريق طريقان طريق القراءة والدراسة والسماع والمطالعة وطريق الرياضة والمجاهدة والتزكية والتحلية وهي أهدى إلى الحضرة الأحدية من الطريق الأولى كما قال تعالى: «من تقرب إلي شبراً» أي بحسب الانجذاب الروحاني «تقرب إليه ذراعاً» أي بالفيض والفتح والإلهام والكشف فما لا يحصل بطريق الدراسة من الكتب يحصل بطريق السلوك والسماع في طريق الدراسة من المخلوق في طريق الوراثة من الخالق وشتان بين السماعين:

فيضي كه جامي ازدوسه پيمانۀ كه يافت مشكل كه شيخ شهر بيابد بصد چله

ومنها أنه لو كان للطالب الصادق والمريد الحاذق شيخ يقتدي به وله شأن مع الله ثم استعد لخدمة شيخ كامل هو أهدى إلى الله منه وجب عليه اتباعه والتمسك بذيل إرادته حتى يتم أمره ولو تجدد له في أثناء السلوك هذا الاستعداد لشيخ آخر أكمل من الأول والثاني وهلم جراً يجب عليه اتباعه إلى أن يظفر بالمقصود الحقيقي وهو الوصول إلى الحضرة بلا اتصال ولا انفصال.

ومنها أن أهل الحسبان والعزة يحسبون أنهم لو جاهدوا أنفسهم على ما دلهم بالعقل بغير هدى من الله أي بغير متابعة الأنبياء أنهم يهتدون إلى الله ولا يعلمون أن من يجاهد نفسه في عبودية الله بدلالة العقل دون متابعة الأنبياء هو متابع هواه ولا يتخلص أحد من أسر الهوى بمجرد العقل فلا تكون عبادته مقبولة إذ هي مشوبة بالهوى ولا يهتدي أحد إلى الله بغير هدي من الله كما أن نبينا عليه السلام مع كمال قدره في النبوة والرسالة احتاج في الاهتداء إلى متابعة الأنبياء كما قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ فَأَتَدُهُ﴾ [الأنعام: ٩٠] ولهذا السر بعثت الأنبياء واحتاج المرید للشيخ المهتدي إلى الله بهدي من الله وهو المتابعة.

ومنها أن الظالمين هم الذين وضعوا متابعة الهوى في موضع متابعة الأنبياء وطلبوا الهداية من غير موضعها فأهل الهوى ظالمون.

قال بعضهم: للإنسان مع هواه ثلاث أحوال: الأولى أن يغلبه الهوى فيتملكه كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ [البقرة: ٢٣]. والثانية: أن يغلبه فيقهر هواه مرة ويقهره هواه أخرى وإياه قصد بمدح المجاهدين وعناه النبي عليه السلام بقوله عليه السلام: «جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم» والثالثة: أن يغلب هواه كالأنبياء عليهم السلام وصفوة الأولياء قدس الله أسرارهم وهذا المعنى قصده تعالى بقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠] وقصده النبي عليه السلام بقوله: «ما من أحد إلا وله شيطان وإن الله قد أعانني على شيطاني حتى ملكته» فإن الشيطان يتسلط على الإنسان بحسب وجود الهوى فيه.

وينبغي للعاقل أن يكون من أهل الهدى لا من أهل الهوى وإذا عرض له أمران فلم يدر أيهما أصوب فعليه بما يكرهه لا بما يهواه ففي حمل النفس على ما تكرهه مجاهدة وأكثر الخير في الكراهية والعمل بما أشار إليه العقل السليم واللب الخالص. قال الشيخ سعدي قدس سره:

هوا وهوس را نماند ستیز چون بیند سر نیچه عقل تیز

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٥١ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ٥٢ وَإِذَا نُنَالِي عَلَيْهِمْ عِلْمًا قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ٥٣ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ٥٤ ﴿٥٤﴾

﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ التوصليل مبالغة الوصل وحقيقة الوصل رفع الحائل بين الشيين أي أكثرنا لقريش القول موصولاً بعضه ببعض بأن أنزلنا عليهم القرآن آية بعد آية وسورة بعد سورة حسبما تقتضيه الحكمة أي ليتصل التذكير ويكون أدعى لهم ﴿لعلهم يتذكرون﴾ فيؤمنون ويطيعون أو تابعنا لهم المواعظ والزواجر وبيننا لهم ما أهلكنا من القرون قرناً بعد قرن فأخبرناهم أنا أهلكنا قوم نوح بكذا وقوم هود بكذا وقوم صالح بكذا لعلهم يتعظون فيخافون أن ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى توصيل القول في الظاهر بتفهم المعنى في الباطن أي فهمناهم معنى القرآن لعلهم يتذكرون عهد الميثاق إذ آمنوا بجواب قولهم: بلى وأقروا بالتوحيد ويجددون الإيمان عند سماع القرآن.

﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ مبتدأ وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿من قبله﴾ أي من قبل إيتاء

القرآن ﴿هم به يؤمنون﴾ أي بالقرآن والجملة خبر المبتدأ ثم بين ما أوجب إيمانهم به بقوله. ﴿وإذا يتلى﴾ أي القرآن ﴿عليهم قالوا آمنا به﴾ أي: بأنه كلام الله تعالى ﴿إنه الحق من ربنا﴾ أي الحق الذي كنا نعرف حقيقته. وبالفارسية [راست ودرست است فرود آمدن بنزدیک آفرید کارما] ﴿إنا كنا من قبله﴾ أي: من قبل نزوله ﴿مسلمين﴾ بيان لكون إيمانهم به ليس مما أحدثوه حينئذ وإنما هو أمر متقدم العهد لما شاهدوا ذكره في الكتب المتقدمة وأنهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن.

﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من النعوت. ﴿يؤتون أجرهم﴾ ثوابهم في الآخرة. ﴿مرتين﴾ مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن وقد سبق معنى المرة في سورة طه عند قوله تعالى: و ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ﴾ ﴿طه: ٣٧﴾ ﴿بما صبروا﴾ أي بصبرهم وثباتهم على الإيمانين والعمل بالشرعيتين.

وفي «التأويلات النجمية»: على مخالفة هواهم وموافقة أوامر الشرع ونواهيه وفي الحديث: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له جارية فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم تزوجها فله أجره مرتين وعبد أدى حق الله وحق مواليه ورجل آمن بالكتاب الأول ثم آمن بالقرآن فله أجره مرتين» كما في «كشف الأسرار» ﴿ويدروون بالحسنة السيئة﴾ أي يدفعون بالطاعة المعصية وبالقول الحسن القول القبيح.

وفي «التأويلات النجمية»: أي بأداء الحسنة من الأعمال الصالحة يدفعون ظلمة السيئة وهي مخالفات الشريعة كما قال عليه السلام: «اتبع السيئة الحسنة تمحها» وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَحْسَنَ يُدْهِبُ أَلْسِنَاتٍ﴾ [مود: ١١٤] وهذا لعوام المؤمنين ولخواصهم أن يدفعوا بحسنة ذكر لا إله إلا الله عن مرآة القلوب سيئة صدأ حب الدنيا وشهواتها ولأخص خواصهم أن يدفعوا بحسنة نفي لا إله سيئة شرك وجود الموجودات بقطع تعلق القلب عنها وغض بصر البصيرة عن رؤية ما سوى الله بإثبات وجود إلا الله كما كان الله ولم يكن معه شيء ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ في سبيل الخير وفيه إشارة إلى إنفاق الوجود المجازي في طلب الوجود الحقيقي.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغِي الْجَنَّةَ﴾ ﴿٥٥﴾

﴿وإذا سمعوا اللغو﴾ من اللاغين وهو الساقط من الكلام. وبالفارسية [سخن بيهوده]. ﴿أعرضوا عنه﴾ أي: عن اللغو وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب ويقولون: تباً لكم تركتم دينكم القديم فيعرضون عنهم ولا يشتغلون بالمقابلة ﴿وقالوا﴾ لللاغين ﴿لنا أعمالنا﴾ من الحلم والصفح ونحوهما ﴿ولكم أعمالكم﴾ من اللغو والسفاهة وغيرهما فكل مطالب بعمله ﴿سلام عليكم﴾ هذا السلام ليس بتسليم موصل وتحية موافق بل هو براءة وسلام مودع مفارق. يعني [ترك شما كردیم] ﴿لا تبتغي الجاهلين﴾ الابتغاء الطلب والجهل معرفة الشيء على خلاف ما هو عليه أي لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم ومخاطبتهم والتخلق بأخلاقهم [چه مصاحبت بااشارار موجب بدنامي دنیا است وسبب بد فرجامي عقبی است]:

از بدان بکریز وبنایکان نشین یا ربد زهري بود بی انکبین
وحکم الآیه وإن کان منسوخاً بآیه السیف إلا أن فيه حشاً على مكارم الأخلاق وفي

الحديث: «ثلاث من لم يكن فيه فلا يعتد بعلمه حلم يرد به جهل جاهل وورع يحجز عن معاصي الله وحسن خلق يعيش به في الناس».

قال الشيخ سعدی: [جالینوس ابله‌ی را دید که دست بکریبان دانشمندی زده و بی حرمتی کرده گفت اکراین دانشمند دانا بودی کاراوبنادان بدین جایکه نرسیدی]:

دو عاقل را نباشد کین و پیکار	نه دانایی ستیزد با سبکار
اگر نادان بوحشت سخت کوید	خردمندش برحمت دل بجوید
دو صاحب دل نکه دارند مویی	همیدون سرکشی و ازرم جویی
اگر برهر دو جانب جاهلانند	اگر زنجیر باشد بکسلانند
یکی را زشت خوئی داد دشنام	تحمل کردو گفت ای نیک فرجام
بترزانم که خواهی گفتن آنی	که دانم عیب من چون من ندانی

[یکی برسر راهی مست خفته بود وزمام اختیار ازدست رفته عابدی بر سر او گذر کرد و در حالت مستقیم او نظر جوان مست سر بر آورد و گفت] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ۷۲]:

إذا رأيت أثيماً	کن ساتراً و حلیم
یا من يقبح لغوي	لم لا تمر کریم
متاب أي پارسا روی از کنه‌کار	ببخشایندکی دروی نظرکن
أكر من ناجوانمردم بکردار	توبر من چون جوانمردان کذرکن

واعلم أن اللغو عند أرباب الحقيقة ما يشغلك عن العبادة وذكر الحق وكل كلام بغير خطاب الحال والواقعة وطلب ما سوى الله. ﴿وَإِذَا سَمِعُوا﴾ مثل هذا ﴿اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا﴾ في بذل الوجود المجازي لنيل الوجود الحقيقي ﴿ولكم أعمالكم﴾ في اكتساب مرادات الوجود المجازي واستجلاب مضرات الشهوات وترك الوجود الحقيقي والحرمان من سعادة الانتفاع بمنافعه ﴿سلام عليكم﴾ لا نبتغي الجاهلين ﴿الغافلين﴾ عن الله وطلب المحجوبين عن الله بما سواه فعلم من هذا أن طالب ما سوى الله تعالى جاهل عن الحقيقة ولو كان عارفاً بمحاسنها لكان طالباً لها لا لغيرها فينبغي لطالبها من السلاك أن لا يبتغي صحبة الجهلاء فإنه ليس بينهم وبينه مجانسة والمعاشرة بالأضداد أضيق السجون مع أنه لا يأمن الضعيف أن تؤثر فيه صحبتهم ويتحول حاله ويتغير طبعه ويتوجه عليه المكر وينقلب من الإقبال إلى الإدبار فيكون من المرتدين نعوذ بالله من الحور بعد الكور ونسأله الثبات والتوفيق والموت في طريق التحقيق.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿إنك﴾ یا محمد ﴿لا تهدي﴾ هداية موصلة إلى المقصود لا محالة. ﴿من أحببت﴾ من الناس ولا تقدر أن تدخله في الإسلام وإن بذلت فيه غاية الطاقة وسعيت كل السعي. ﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ فدخله في الإسلام ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ بالمستعدين للهداية فلا يهدي إلا المستعد لها.

هدایت هرکرا داد از بدایت بدو همراه باشد تانهایت

والجمهور على أن الآية نزلت في أبي طالب بن عبد المطلب عم رسول الله عليه السلام فيكون هو المراد بمن أحببت. روي: أنه لما احتضر جاءه رسول الله وكان حريصاً على إيمانه وقال: «أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله» قال: يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكن أكره أن يقال: خرج عند الموت وهو بالخاء المعجمة والراء المهملة كعلم بمعنى ضعف وجبن ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة بعدي أي ذلة ومنقصة لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكنني سوف أموت على ملة أشياخي عبد المطلب وهاشم وعبد مناف. روي: أن أبا طالب لما أبى عن كلمة التوحيد قال له النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ۱۱۳].

وقد جاء في بعض الروايات أن النبي ﷺ لما عاد من حجة الوداع أحيا الله له أبويه وعمه فأمنوا به كما سبق في سورة التوبة.

وفي «التأويلات النجمية»: الهداية في الحقيقة فتح باب العبودية إلى عالم الربوبية وذلك من خصائص قدرة الحق سبحانه لأن لقلب العبد بابين باب إلى النفس والجسد وهو مفتوح أبداً وباب إلى الروح والحضرة وهو مغلق لا يفتحه إلا الفتاح الذي بيده المفتاح كما قال لحبيبه عليه السلام ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ ① لِيَعْرِفَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُنَبِّئَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ۱-۲] إلى الحضرة كما هداه ليلة المعراج إلى قرب قاب قوسين أو أدنى وقال في حق المغلوقين أي أبواب قلوبهم: ﴿أَمَرُ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ۲۴] وقال عليه السلام: «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء» فإن شاء أقامه وإن شاء أزاعه فالنبي عليه السلام مع جلالة قدره لم يكن آمناً على قلبه وكان يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلب عبدك على دينك وطاعتك» والهداية عبارة عن تقليب القلب من الباطل وهو ما سوى الله إلى الحق وهو الحضرة فليس هذا من شأن غير الله انتهى.

وفي «عرائس البيان»: الهداية مقرونة بإرادة الأزل ولو كانت إرادة نبينا عليه السلام في حق أبي طالب مقرونة بإرادة الأزل لكان مهتدياً ولكن كان محبته وإرادته في حقه من جهة القرابة ألا ترى أنه إذ قال: «اللهم أعز الإسلام بعمر» كيف أجابه انتهى.

وفي «كشف الأسرار»: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ [ما أنراكه خواهم درمفازه تحير همي رانيم وأنراكه خواهم بسلسله قهر همي كشيم. ما در ازل ازال تاج سعادت برسر أهل دولت نهاديم واين موكب فروكفتيم كه «هؤلاء في الجنة ولا أبالي» ورقم شقاوت برناصيه كروهي كشيديم واين مقرعه برزديم كه: «هؤلاء في النار ولا أبالي» أي جوانمرد هيچ صفت در صفات خدای تعالی از صفت لا أبالي در دناك ترنيست آنچه صديق أكبر گفت «ليتني كنت شجرة تعضد» از درد اين حديث بود نيكي سخن كه آن پير طريقت گفت كار نه آن دادكه كسى كسل آيد واز كسى عمل كار آن داردكه تاشايسته كه آمد در ازل آن مهتر مهجوران كه أورا إبليس كوينه چندين سياه در كاه عمل بود مقرضي وديا همي ديدند واز كار كاه ازل أورا خود كليم سياه آمدكه] ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ۳۴]: قال الحافظ:

باب زمزم وكوثر سفيد نتوان كرد كليم بخت كسى راكه بافتند سياه

قال الشيخ سعدي قدس سره:

کرت صورت حال بد یانکوست نکاریده دست تقدیر اوست
قضا کشتی آنچاکه خواهد برد وکر ناخدا جامه برتن درد
وقال الصائب:

بااختیار حق نبود اختیارما بانور آفتاب چه باشد شرار ما
﴿وَقَالُوا إِن نَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخِطُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نَمُكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٧)

﴿وقالوا إن نبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾ معنى اتباع الهدى معه الاقتداء به عليه السلام في الدين والسلوك إلى طريق الرشاد. وبالفارسية [وگفتند اگرما قبول کنیم این پیغام که آوردی و باین راه نمونی توپی بریم و در دین تو آیمم باتو] أو التخطف الاختلاس بسرعة نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف حيث أتى النبي عليه السلام فقال: نحن نعلم أنك على الحق:

قول توحق وسخن راستست وانچه میفرمایی سبب دولت ماست
[درحیات ووسیلہ سعادت ما بعد از وفات] وما کذبت کذبة قط فنتهمك اليوم ولكننا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب أن يتخطفونا أي يأخذونا ويسلبونا ويقتلوننا ويخرجونا من مكة والحرم لإجماعهم على خلافنا وهم كثيرون ونحن أكلة رأس أي قليلون لا نستطيع مقاومتهم فرد الله عليهم بقوله: ﴿أولم نمكن لهم حرماً آمناً﴾ أي ألم نعصمهم ونجعل مكانهم حرماً ذا أمن لحرمة البيت الذي فيه يتقاتل العرب حوله ويضرب بعضهم بعضاً وهم آمنون. يعني: [امن آن حرم درهمه طباع سرشته مرغ بامردم آشنا وازیشان ایمن واهواز شبک ایمن وهر ترسنده که درحرم باشد ایمن کشت چون عرب حرمت حرم دانند کجا درو قتل و غارت روا دارند] ﴿يجبى إليه﴾ يحمل إلى ذلك الحرم ويجمع فيه من قولك: جبيت الماء في الحوض أي جمعته والحوض الجامع له جابية ﴿ثمرات كل شيء﴾ أي ألوان الثمرات من جانب كمصر والشام واليمن والعراق لا ترى شرقي الفواكه ولا غربيها مجتمعة إلا في مكة لدعاء إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [إبراهيم: ۳۷].

وقال الكاشفي: يعني: [منافع از هر نوعی و غرایب از هر ناحیتی بانجا آورند] ومعنى الكلية الكثرة والجملة صفة أخرى لحرماً دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة وهو الطعام المجلوب من بلد إلى بلد ﴿رزقاً من لدنا﴾ من عندنا لا من عند المخلوقات فإذا كان حالهم هذا وهم عبدة الأصنام فكيف يخافون التخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد. يقول الفقير:

حرم خاص الهست توحيد جمله را جای پناهست توحيد
باعث امن و أمانست إيمان كان دلراشه راهست توحيد
وانتصاب رزقاً عل أنه مصدر مؤكد لمعنى يجبى لأن فيه معنى يرزق أي يرزقون رزقاً من لدنا.

وقال الكاشفي: [وروزي دادیم ایشانرا درین وادی غیر ذی زرع وروزي دادني از نزدیک

ما بي منت غيري] ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أي أكثر أهل مكة جهلة لا يتفطنون له ولا يفكرون ليعلموا ذلك.

قال في «عرائس البيان»: حرمهم في الحقيقة قلب محمد عليه السلام وهو كعبة القدس وحرم الإنس يجبى إليه ثمرات جميع أشجار الذات والصفات من دخل ذلك الحرم بشرط المحبة والموافقة كان آمناً من آفات الكونين وكان منظور الحق في العالمين وهكذا كل من دخل في قلب ولي من أولياء الله. قال الحافظ:

كليد كنج سعادت قبول أهل دلست مبادكس كه درين نكته شك وريب كند
وفي الآية إشارة إلى خوف النفس من التخطف بجذبات الألوهية من أرض الأنانية ولو كانت تابعة لحمد القلب لوجد في حرم الهوية حقائق كل ثمرة روحانية وجسمانية ولذا ذل كل شهوة ولكنها لا تعلم كمالية ذوق الرزق اللدني كما لا يعلم أكثر العلماء لأنهم لم يذوقوه ومن لم يذق لا يدري. قال الكمال الخجندي:

زاهد نه عجب كركند از عشق تو پرهيز كين لذت اين باده چه داندكه نخوردست
ثم بين أن الأمر بالعكس يعني أنهم خافوا الناس وآمنوا من الله واللائق أن يخافوا من بأس الله على ما هم عليه ويؤمنوا الناس فقال:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسَكِنُهُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْدِهَا إِلَّا قَلِيلًا
وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا أَوْتَيْنَا مِنْ شَيْءٍ فَتَنَعَ الْحَيَوَى
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿وكم أهلكنما من قرية بطرت معيشتها﴾ البطر الطغيان في النعمة.

قال بعضهم: البطر والأشر واحد وهو دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها وصرفها إلى غير وجهها ويقاربه الطرب وهو خفة أكثر ما يعتري من الفرح وانتصاب معيشتها بنزع الحافظ، أي في معيشتها كما في «الوسيط». والمعنى وكم من أهل قرية كانت حالهم كحال أهل مكة في الأمن وسعة العيش حتى أطعتهم النعمة وعاشوا في الكفران فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم ﴿فتلك﴾ [پس آنست] ﴿مساكنهم﴾ خاوية بما ظلموا ترونها في مجيئكم وذهابكم ﴿لم تسكن﴾ يعني: [ننشستند دران] ﴿من بعدهم﴾ من بعد تدميرهم ﴿إلا قليلاً﴾ إلا زماناً قليلاً إذ لا يسكنها إلا المارة يوماً أو بعض يوم [وبازخالي بگذارند درخانه] دنیاچه نسبتی برحیز کین خانه بدان خوش است که آیند وروند] ويحتمل أن شؤم معاصي المهلكين بقي أثره في ديارهم فلم يبق من يسكنها من أعقابهم إلا قليلاً إذ لا بركة في سكنى الأرض الشؤوم.

وقال بعضهم: سكنها الهام واليوم ولذا كان من تسييحها سبحانه الحي الذي لا يموت.

پرده داري ميکند در طاق کسری عنکبوت يوم نوبت ميزند در قلعه افراسياب
﴿وكننا نحن الوارثين﴾ منهم لتلك المساكن إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم:

يعني ما بيم باقي ازفناء همه

وهذا وعيد للمخاطبين

﴿وما كان ربك﴾ وما كانت عادته في زمان ﴿مهلك القرى﴾ قبل الإنذار ﴿حتى يبعث في أمها﴾ أي في أصلها وأعظمها التي تلك القرى سوادها وأتباعها وخص الأصل والأعظم لكون أهلها أظن وأشرف والرسول إنما بعث غالباً إلى الأشراف وهم غالباً يسكنون المدن والقصبات ﴿رسولاً يتلو عليهم آياتنا﴾ الناطقة بالحق ويدعوهم إليه بالترغيب والترهيب وذلك لإلزام الحجة وقطع المعذرة بأن يقولوا: لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك.

وفي «التكملة»: الأم هي مكة، والرسول محمد ﷺ وذلك لأن الأرض دحيت من تحتها فيكون المعنى وما كان ربك يا محمد مهلك البلدان التي هي حوالي مكة في عصرك وزمانك حتى يبعث في أمها أي أم القرى التي هي مكة رسولاً هو أنت. ﴿وما كنا مهلكي القرى﴾ بالعقوبة بعد بعثنا في أمها رسولاً يدعوهم إلى الحق ويرشدهم إليه في حال من الأحوال. ﴿إلا وأهلها ظالمون﴾ أي حال كون أهلها ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر بآياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الإهلاك بموجب السنة الإلهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الإهلاك عقيب البعث.

دلت الآية على أن الظلم سبب الهلاك ولذا قيل: الظلم قاطع الحياة ومانع النبات وكذا الكفران يقال: النعم محتاجة إلى الأكفاء كما تحتاج إليها الكرائم من النساء وأهل البطر ليسوا من أكفاء النعم كما أن الأردال ليسوا أكفاء عقائل الحرم جمع عقيلة وعقيلة كل شيء أكرمه وحرم الرجل أهله فكما أن الكريمة من النساء ليست بكفو للذليل من الرجال فيفرق بينهما للحقوق العار فكذا النعمة تسلب من أهل البطر والكبر والغرور والكفران وأما أهل الشرك فلا يضيع سعيهم بل يزداد حسن حالهم والله تعالى رزق واسع في البلاد ولا فرق فيه بين الشاكر والكفور من العباد كما قال الشيخ سعدي:

أديم زمين سفره عام أوست برين خوان يغمچه دشمن چه دوست

قال الشيخ عبد الواحد: وجدنا في جزيرة شخصاً يعبد الأصنام فقلنا له: إنها لا تضر ولا تنفع فاعبد الله فقال: وما الله؟ قلنا: الذي في السماء عرشه وفي الأرض بطشه قال: ومن أين هذا الأمر العظيم؟ قلنا: أرسل إلينا رسولاً كريماً فلما أدى الرسالة قبضه الله إليه وترك عندنا كتاب الملك ثم تلونا سورة فلم يزل يبكي حتى أسلم فعلمناه شيئاً من القرآن فلما صار الليل أخذنا مضاجعنا فكان لا ينام فلما قدمنا عبادان جمعنا له شيئاً لينفقه فقال: هو لم يضيعني حين كنت أعبد الصنم فكيف يضيعني وأنا الآن قد عرفته أي والعارف محبوب لله فهو إذا لا يترك المحبوب في يد العدو ومن العدو الفقر الغالب والألم الحاصل منه.

محالست چون دوست دارد ترا كه در دست دشمن كذارد ترا

فعلى العاقل أن يعرف الله تعالى ويعرف قدر النعمة فيقيدها بالشكر ولا يضع الكفر موضع الشكر فإنه ظلم صريح يحصل منه الهلاك مطلقاً إما للقلب فبالإعراض عن الله ونسيان أن العطاء منه وإما للقلب فبالبطش الشديد وكم رأينا في الدهر من أمثاله من خرب قلبه ثم خرب داره ووجد آخر الأمر بواره ولكن الإنسان من النسيان لا يتذكر ولا يعتبر بل يمضي على حاله من الغفلة أيقظنا الله وإياكم من نوم الغفلة في كل لحظة وشرفنا في جميع الساعات باليقظة الكاملة المحضة.

﴿وما﴾ مبتدأ متضمنة لمعنى الشرط لدخول الفاء في خبرها بخلاف الثانية. وبالفارسية [وهرچه]. ﴿أوتيتم﴾ أعطيتم والخطاب لكفار مكة كما في «الوسيط» ﴿من شيء﴾ من أسباب

الدنيا ﴿فمتاع الحياة الدنيا وزينتها﴾ أي: فهو شيء شأنه أن يتمتع ويتزين به أياماً قلائل ثم أنتم وهو إلى فناء وزوال سمي منافع الدنيا متاعاً لأنها تفنى ولا تبقى كمتاع البيت. ﴿وما﴾ موصولة أي الذي حصل. ﴿عند الله﴾ وهو الثواب ﴿خير﴾ لكم في نفسه من ذلك لأنه لذة خالصة من شوائب الألم وبهجة كاملة عارية من مسة الهمم. ﴿وأبقى﴾ لأنه أبدي ﴿أفلا تعقلون﴾ أي: ألا تفكرون فلا تعقلون هذا الأمر الواضح فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير وتؤثرون الشقاوة الحاصلة من الكفر والمعاصي على السعادة المتولدة من الإيمان والطاعات. وبالفارسية [آياد نمي يابيد وفهم نمي كنيدكه بدل ميكنيد باقي را بفاني ومرغوب را بميعوب].

حیف باشد لعل وزرردادن زچنك پس گرفتن در برابر خاك وسنك

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَنَعَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ ﴿٦٦﴾.

﴿أفمن﴾ موصولة مبتدأ ﴿وعدناه﴾ على إيمانه وطاعته ﴿وعدًا حسنًا﴾ هو الجنة وثوابها فإن حسن الوعد بحسن الموعود.

وقال الكاشفي: [آيا کسی که وعده کرده ایم اوراجنت در آخرت ونصرت دردنيا] ﴿فهو﴾ أي ذلك الموعود له ﴿لاقیه﴾ أي مصيبه ذلك الوعد الحسن ومدركه لا محالة لاستحالة الخلف في وعده تعالى: ﴿كمن﴾ موصولة خبر للأولى ﴿متعناه﴾ [برخور داري داديم اورا] ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ [أو متاع زندگاني دنياکه محبتش آميخته محنت أست ودولتش مؤدی نکبت ومالش در صدد زوال وجاهش بر شرف انتقال وطعوم وعسلش معقب بسموم حنظل] ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ للحساب أو النار والعذاب. وثم للتراخي في الزمان أي لتراخي حال الإحضار عن حال التمتع أو في الرتبة ومعنى الفاء في أفمن ترتيب إنكار التشابه بين أهل الدنيا وأهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وبين ما عند الله أي أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوي بين الفريقين أي لا يسوي فليس من أكرم بالوعد الأعلى ووجدان المولى وهو المؤمن كمن أهين بالوعد والوقوع في الجحيم في العقبى وهو الكافر وذلك بإزاء شهوة ساعة وجدها في الدنيا. ويقال: رب شهوة ساعة أورثت صاحبها حزناً طويلاً [وقتي زنبوري موري را ديدکه بهزار حيله دانه بخانه ميکشيد ودران رنج بسيارمي ديد اورا کفت أي مور اين چه رنجست که برخود نهاده واین چه بارست که اختيار کرده بيا مطعم ومشرب من بين که هر طعام که لطيف ولذيد ترست تا از من زیادة نيابد پادشاهانرا نرسد هر آنجاکه خواهم نشينم وآنچه خواهم کزينم خورد ودرين سخن بودکه برپريد وبدکان قصابي برمسلوخي نشست قصاب کاردکه دردست داشت بران زنبوره مغرور زدودوپاره کرد وبر زمين انداخت ومور بيامد وپاي کشان اورا ميبرد ومي کفت] رب شهوة الخ وفي الحديث: «ومن كانت الدنيا همته جعل الله فقره بين عينيه ولم يأتها من الدنيا إلا ما قدر له، ومن كانت الآخرة همته جعل الله الغنى في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة». يحكى: أن بعض أهل الله كان يرى عنده في طريق الحج كل يوم خبز طري فقيل له في ذلك فقال: تأتيني به عجوز أراد بها الدنيا ومن كان له في هذه الدنيا شدة وغم مع دين الله فهو خير ممن كان له سعة وسرور مع الشرك وفي الحديث: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال:

يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط هل مرّ بك نعيم قط فيقول: لا والله يا رب» يعني شدة العذاب أنسته ما مضى عليه من نعم الدنيا «ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط هل مرّ بك شدة قط فيقول: لا والله ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط» وفي الحديث: «قد أفلح من أسلم ورزق كافاً» وهو ما يكون بقدر الحاجة ومنهم من قال: هو شبع يوم وجوع يوم «وقنعه الله بما آتاه» بمد الهمزة أي أعطاه من الكفاف يعني: من اتصف بالصفات المذكورة فاز بمطلوب الدنيا والآخرة ثم الوعد لعوام المؤمنين بالجنة ولخواصهم بالرؤية ولأخص خواصهم بالوصول والوجدان كما قال تعالى: «ألا من طلبني وجدني» وأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام تجوّع ترني تجرد تصل إليّ:

جوع تنوير خانه دل تست أكل تعمير خانه كل تست

فلا بد للسالك من إصلاح الطبيعة والنفس بالرياضة والمجاهدة وكان يستمع من حجرة الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره الجوع الجوع وحقيقته الزموا الجوع لا أن نفسه الزكية كانت تشكو من الجوع نسأل الله الوصول إلى النعمة والتشرف بالرؤية.

﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (١٦) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِنَاءً يُعْبَدُونَ ﴿١٧﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿١٨﴾

﴿ويوم يناديهم﴾ يوم منصوب باذكر المقدر والمراد يوم القيامة والضمير للكفار أي واذكر يا محمد لقومك يوم يناديهم ربهم وهو عليهم غضبان ﴿فيقول﴾ تفسير للنداء ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ أي الذين كنتم تزعمونهم شركائي وكنتم تعبدونهم كما تعبدونني فحذف المفعولان معاً ثقة بدلالة الكلام عليهما.

قال في «كشف الأسرار»: وسؤالهم عن ذلك ضرب من ضروب العذاب لأنه لا جواب لهم إلا ما فيه فضيحتهم واعترافهم بجهل أنفسهم.

﴿قال﴾ استئناف مبني على حكاية السؤال كأنه قيل: فماذا صدر عنهم حينئذ؟ فقيل: قال: ﴿الذين حق عليهم القول﴾ في الأزل بأن يكونوا من أهل النار المردودين يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣] الآية كما في «التأويلات النجمية».

وقال بعض أهل التفسير: معنى حق عليهم القول ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩] وغيره من آيات الوعيد والمراد بهم شركائهم من الشياطين أو رؤسائهم الذين اتخذوهم أرباباً من دون الله بأن أطاعوهم في كل ما أمر وهم به ونهواهم عنه وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع أيضاً لأصالتهم في الكفر واستحقاق العذاب ومسارعتهم إلى الجواب مع كون السؤال للعبدة لتفطنهم أن السؤال عنهم لاستحقاقهم وتوبيخهم بالإضلال وجزمهم بأن العبدة سيقولون: هؤلاء أضلونا ﴿ربنا﴾ [أي پرورد كارما] ﴿هؤلاء﴾ أي كفار بني آدم أو الاتباع هم ﴿الذين أغوينا﴾ فحذف الراجع إلى الموصول ومرادهم بالإشارة ببيان أنهم يقولون ما يقولون بمحض منهم وأنهم غير قادرين على

إنكاره ورده. ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ هو الجواب في الحقيقة وما قبله تمهيد له أي ما أكرهنا على الغي وإنما أغوينا بما قضيت لنا ولهم الغواية والضلالة مساكين بنو آدم أنهم من خصوصية ولقد كرمنا بني آدم يحفظون الأدب مع الله في أقصى البعد كما يتأدب الأولياء على بساط أقصى القرب ولا يقولون: أغويناهم كما أغويتنا كما قال إبليس صريحاً ولم يحفظ الأدب رب بما أغويتني لأقعدن لهم ﴿تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ﴾ منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصي هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذا لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا إِيانَا يَعْبُدُونَ﴾ إيانا مفعول يعبدون أي ما كانوا يعبدوننا وإنما كانوا يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم.

﴿وقيل﴾ لمن عبد غير الله توبيخاً وتهديداً والقائلون الخزنة ﴿ادعوا شركاءكم﴾ أي: الأصنام ونحوها ليخلصوكم من العذاب أضافها إليهم لادعائهم أنها شركاء الله. ﴿فدعوهم﴾ من فرط الحيرة. ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة ﴿ورأوا العذاب﴾ الموعود قد غشيهم ﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب أو إلى الحق في الدنيا لما لقوا ما لقوا من العذاب.

وقال بعضهم: لو للتمني هنا أي تمنوا لو أنهم كانوا مهتدين لا ضالين.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥﴾﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿ويوم يناديهم﴾ أي واذكر يوم ينادي الله الكفار نداء تفرغ وتوبيخ. ﴿فيقول ماذا أجبتكم المرسلين﴾ [چه جواب دادید] المرسلين الذين أرسلتهم إليكم حين دعوكم إلى توحيدي وعبادتي ونهوكم عن الشرك.

﴿فعميت عليهم الأنباء يومئذ﴾ [پس پوشیده باشدبر ایشان خبرها یعنی آنچه بایغمبران گفته باشند وندانند که چه گویند].

قال أهل التفسير: أي صارت كالعمى عنهم لا تهتدي إليهم وأصله فعموا عن الأنباء أي الأخبار وقد عكس بأن أثبت العمى الذي هو حالهم للأنباء مبالغة وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه وإذا كانت الرسل يفوضون العلم في ذلك المقام الهائل إلى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة السؤال فما ظنك بأهل الضلال من الأمم:

بجایبی که دهشت برد انبیاء تو عذر کنه راجه داری بیا

﴿فهم لا يتساءلون﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضاً عن الجواب لفرط الدهشة واستيلاء الحيرة أو للعلم بأن الكل سواء في الجهل. ﴿فأما من تاب﴾ من الشرك ﴿وآمن وعمل صالحاً﴾ أي: جمع بين الإيمان والعمل الصالح ﴿فعسى أن يكون من المفlichen﴾ أي الفائزين بالمطلوب عند الله تعالى الناجين من المهروب. وبالفارسية: [پس شاید آنکه باشد از ستکاران ورستکاری باجابت حضرت رسالت علیه السلام باز بسته است]:

مزن بی رضائی محمد نفس ره رستکاری همین است وبس

خلاف پیغمبر کسی ره کزید که هرکز بمنزل نخواهد رسید

وعسى للتحقيق على عادة الكرام أو للترجي من قبل التأثب بمعنى فليتوقع الإفلاح.

قال في «كشف الأسرار»: إنما قال: فعسى يعني إن دام على التوبة والعمل الصالح فإن

المنقطع لا يجد الفلاح ونعوذ بالله من الحور بعد الكور فينبغي لأهل الآخرة أن يباشروا الأعمال الصالحة ويديموا على أورادهم وللأعمال تأثير عظيم في تحصيل الدرجات وجلب المنافع والبركات ولها نفع لأهل السعادة في الدنيا والآخرة ولأهل الشقاوة لكن في الدنيا فقط فإنهم يجلبون بها المقاصد الدنيوية من المناصب والأموال والنعم وقد عوض عن عبادة الشيطان قبل كفره طول عمره ورأى أثرها في الدنيا فلا بد من السعي بالإيمان والعمل الصالح. حكي: أن إبراهيم بن آدم قدس سره لما منع من دخول الحمام بلا أجره تأوه وقال: إذا منع الإنسان من دخول بيت الشيطان بلا شيء فأنى يدخل بيت الرحمن بلا شيء؟ وأفضل الأعمال التوحيد وذكر رب العرش المجيد ولو أن رجلاً أقبل من المغرب إلى المشرق ينفق الأموال والآخ من المشرق إلى المغرب يضرب بالسيف في سبيل الله كان الذاكر لله أعظم وفي الحديث: «ذكر الله علم الإيمان» أي لأن المشرك إذا قال لا إله إلا الله يحكم بإسلامه وبراءة من النفاق أي لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً «وحرز من الشيطان وحسن من النار» كما جاء في الكلمات القدسية «لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي».

وفي «التأويلات النجمية»: «فأما من تاب» أي رجع إلى الحضرة على قدمي المحبة وصدق الطلب «وآمن» بما جاء به النبي عليه السلام من الدعوة إلى الله «وعمل صالحاً» بالتمسك بذيل متابعة دليل كامل وأصل صاحب قوة وقدره توصله إلى الله تعالى: «فعمسى أن يكون من المفليحين» الفائزين من أسر النفس المخلصين من حبس الأنانية إلى قضاء وسعة الهوية انتهى.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٨)
﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (١٩).

﴿وربك﴾ [أورده اندكه صنديد عرب طعنه مي زدندكه خدای تعالی چرا محمد را برای نبوت اختیار کرد بایستی كه چنین منصب عالی بولید بن مغیره و سیدی كه بزرگ مكه است بابعروه بن مسعود ثقفی كه عظیم طائف] كما قالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فرد الله عليهم بقوله: ﴿وربك﴾ [وبروردكار تویا محمد] «يخلق ما يشاء» أن يخلقه «ويختار» مما يخلق ما يشاء اختياره واصطفاه فكما أن الخلق إليه فكذا الاختيار في جميع الأشياء «ما» نافية «كان لهم» أي المشركين «الخيرة» أي: الاختيار عليه تعالى وهو نفي لاختيارهم الوليد وعروة وأنشدوا:

العبد ذو ضجر والرب ذو قدر والدهر ذو دول والرزق مقسوم
والخير أجمع فيما اختار خالقنا وفي اختيار سواه اللوم والشوم

قال الجنيد قدس سره: كيف يكون للعبد اختيار والله المختار له؟ وقال بعض العارفين: إذا نظر أهل المعرفة إلى الأحكام الجارية بجميل نظر الله لهم فيها وحسن اختياره فيما أجراه عليهم لم يكن عندهم شيء أفضل من الرضى والسكون. قال الحافظ:

در دائره قسمت ما نقطه تسليم لطف آنچه تواندیشی حکم آنكه توفّر مای
والخيرة بمعنى التخير بالفارسية [كزیدن] كالطيرة بمعنى التطير.

وفي «المفردات»: «الخيرة الحالة التي تحصل للمستخير والمختار نحو القعدة والجلسة لحال القاعد والجالس انتهى».

وفي «الوسيط»: اسم من الاختيار يقام مقام المصدر وهو اسم للمختار أيضاً يقال محمد خيرة الله من خلقه ﴿سبحان الله﴾ أي تنزه بذاته تنزهاً خاصاً به من أن ينازعه أحد ويزاحم اختياره ﴿وتعالى عما يشركون﴾ عن إشراكهم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى مشيئته الأزلية في الخلق والاختيار وأنه فاعل مختار يخلق ما يشاء كيف يشاء ممن يشاء ولما يشاء متى يشاء وله اختيار في خلق الأشياء فيختار وجود بعض الأشياء في العدم فيبقىه فانياً في العدم ولا يوجد له الخيرة في أنه يخلق بعض الأشياء جماداً وبعض الأشياء نباتاً وبعض الأشياء حيواناً وبعض الأشياء إنساناً وأن يخلق بعض الإنسان كافراً وبعض الإنسان مؤمناً وبعضهم ولياً وبعضهم نبياً وبعضهم رسولاً وأن يخلق بعض الأشياء شيطاناً وبعضها جنّاً وبعضها ملكاً وبعض الملك كروبياً وبعضهم روحانياً وله أن يختار بعض الخلق مقبولاً وبعضهم مردوداً انتهى وفي الحديث: «إن الله خلق السموات سبعا فاختار العليا منها فسكنها وأسكن سائر سماواته من شاء من خلقه ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم واختار بمن بني آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشاً واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم فأنا خيار من خيار إلى خيار فمن أحب العرف فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم». وفي الحديث: «إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من أصحاب أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً فجعلهم خير أصحابي وفي كل أصحابي خير واختار أمتي على سائر الأمم واختار لي من أمتي أربعة قرون بعد أصحابي القرن الأول والثاني والثالث تترى والرابع فرداً» [بدانكه آدمي را اختيار نيست اختيار كسي تواندكه أورا ملك بود وآدمي بنده است وبنده را ملك نيست آن ملك كه شرع أورا إثبات كرد آن ملك مجاز نيست عاريتي عن قريب ازوزائل كردد وملك حقيقي آنست كه آنرا زوال نيست وآن ملك الله است كه مالك پركمال است ودر ملك ايمن اززوال ودر ذات ونعت متعال]:

همه تختن وملكي پذيرد زوال بجز ملك فرمانده لا يزال [عالم بيافريد وأنچه خواست ازان برکزيد. فرشتگانرا بيافريد ازيشان جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل را برکزيد. آدم وآدميا نرا بيافريد ازيشان پيغمبران برکزيد. از پيغمبران خليل وکليم وعيسى ومحمد برکزيد عليهم السلام. صحابه رسول را بيافريد أبو بکر تيمي وعمر غدوي وعثمان أموي وعلي هاشمي برکزيد. بسيط زمين را بيافريد ازان مکه برکزيد موضع ودلات ومدينة برکزيد هجر تکاه رسول وبیت المقدس برکزيد موضع مسراي رسول. روزها بيافريد ازان روز آذينه برکزيد «وهو يوم إجابة الدعوة». روز عرفه برکزيد «وهو يوم المباهات». روز عيد برکزيد «وهو يوم الجائزة» روز عاشوراء «برکزيد وهو يوم الخلعة». شها بيافريد وازان شب برات برکزيد كه حق تعالى بخودي خود نزول کندو بنده راهمه شب نداي کرامت خواند. ونوازد شب قدر برکزيد كه فرشتگان آسمان بعدد سنك ريزه بزمين فرستد ونثار رحمت کنند بربنندگان. شب عيد برکزيد كه دررحمت ومغفرت کشايد وکناهکارا نرا آمرزد. کوهها بيافريد وازان طور کزيد كه موسى بران بمناجات حق رسيد. جودي برکزيد كه نوح دران نجات يافت. حراير کزيدكه مصطفى عربي دران بعثت يافت. نفس آدمي بيافريد وازان دل برکزيد وزبان دل محل نور معرفت وزبان موضع کلمه شهادت. کتابها از آسمان فرو فرستاد

وازان چهار برکزید توراۃ وإنجیل وزبور وقرآن واز کلمتها چهار «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وفي الحديث: «أحب الكلام إلى الله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهم بدأت» الكل في «كشف الأسرار».

قال في «زهرة الرياض»: ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ أي ليس للكفار الاختيار بلا الاختيار للواحد القهار كأنه قال: الاختيار لي ليس لجبرائيل ولا لميكائيل ولا لإسرافيل ولا لعزرائيل ولا لآدم ولا لنوح ولا لإبراهيم ولا ليعقوب ولا لموسى ولا لعيسى ولا لمحمد عليهم الصلاة والسلام. ولو كان لجبرائيل وميكائيل لاختارت الملائكة مثل هاروت وماروت. ولو كان لإسرافيل لاختار إبليس. ولو كان لعزرائيل لاختار شداد. ولو كان لآدم لاختار قابيل. ولو كان لنوح لاختار كنعان. ولو كان لإبراهيم لاختار آزر. ولو كان ليعقوب لاختار العماليق. ولو كان لموسى لاختار فرعون. ولو كان لعيسى لاختار الحواريين. ولو كان لمحمد لاختار عمه أبا طالب ولكن الاختيار لي اخترتك فاشكر لي لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته ونبوته وولايته.

قال يحيى الرازي رحمه الله: إلهي علمك بعبوبي لم يمنعك عن اختياري فكيف يمنعك عن غفراني.

ويقال: إن يوسف عليه السلام اختار السجن فأورثه الوبال والله تعالى اختار للفتية الكهف فأورثهم الجمال ألا ترى أن رجلاً لو تزوج امرأة فإنه يستر عيوبها مخافة أن يقال له: أنت اخترتها فאלله تعالى اختارك في الأزل فالرجاء أن يستر عيوبك.

ويقال: اختار من ثمانية عشر ألف عالم أربعة الماء والتراب والنار والريح فجعل الماء طهورك والتراب مسجدك والنار طبابخك والريح نسيمك. واختار من الملائكة أربعة جبرائيل صاحب وحيك وميكائيل خازن نعمتك وإسرافيل صاحب لوحك وعزرائيل قابض روحك. واختار من الشرائع أربعة الصلاة عملك والوضوء أمانتك والصوم جنتك والزكاة طهارتك. ومن القبلة أربعة العرش موضع دعوتك والكرسي موضع رحمتك والبيت المعمور مصعد عملك والكعبة قبلتك. ومن الأوقات أربعة فوق المغرب لطعامك ووقت العشاء لمنامك ووقت السحر لمناجاتك ووقت الصبح لقراءتك. ومن المياه الماء الذي تفجر من أصابع رسول الله ﷺ فإنه أفضل من زمزم والكوثر وغيرهما من أنهار الدنيا والآخرة. ومن البقاع البقعة التي ضمت جسمه اللطيف عليه السلام فإنها أفضل البقاع الأرضية والسماوية. ومن الأزمنة الزمان الذي ولد فيه عليه السلام ولذا كان شهر ربيع الأول من أفضل الشهور كشعبان فإنه مضاف إلى نبينا عليه السلام أيضاً. ومن الملوك الخواقين العثمانية لأن دولتهم آخر الدول وتتصل بزمان المهدي المنتظر على ما ثبت وصح عن أكابر علماء هذه الأمة. واختار من العلماء من تشرف بعلم الظاهر والباطن وكان ذا جناحين نسأل الله الثبات في طريق التحقيق إنه ولي التوفيق.

﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم﴾ أي تضرر قلوبهم وتخفي كعداوة الرسول وحقد المؤمنين يقال: أكننت الشيء إذا أخفيت في نفسك وكننته إذا سترته في بيت أو ثوب أو غير ذلك من الأجسام ﴿وما يعلمون﴾ بالسنتهم وجوارحهم كالطعن في النبوة وتكذيب القرآن. والإعلان [أشكارا كردن].

﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخَبَرُ فِي الْأَوَّلَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

﴿وهو الله﴾ أي المستحق للعبادة. وبالفارسية [أوست خدای مستحق پرستش] ﴿لا إله إلا هو﴾ لا أحد يستحقها إلا هو وهو المتوحد بعز إلهيته المتفرد بجلال ربوبيته لا شبه يساويه ولا نظر يضاهيه ﴿له الحمد﴾ استحقاقاً على عظمته والشكر استيجاباً على نعمته ﴿في الأولى﴾ أي الدنيا ﴿والآخرة﴾ لأنه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق كافة يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُومُ﴾ [الزمر: ٧٤] ابتهاجاً بفضله والتذاذاً بحمده أي بلا كلفة ﴿وله الحكم﴾ فيما يخلق ويختار ويعز ويذل ويحيي ويميت أي القضاء النافذ في كل شيء من غير مشاركة فيه لغيره. وبالفارسية [أو راست کار برقراردن].

قال في «كشف الأسرار»: وله الحكم النافذ في الدنيا والآخرة ومصير الخلق كلهم في عواقب أمورهم إلى حكمه في الآخرة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: حكم لأهل طاعته بالمغفرة ولأهل معصيته بالشقاء والويل ﴿ولإليه ترجعون﴾ بالبعث لا إلى غيره.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولإيه ترجعون﴾ بالاختيار أو بالاضطرار فأما بالاختيار فهو الرجوع إلى الحضرة بطريق السير والسلوك والمتابعة والوصول وهذا مخصوص بالإنسان دون غيره وأما بالاضطرار فبقبض الروح وهو الحشر والنشر والحساب والجزاء بالثواب والعقاب. يقال: ثمانية أشياء تعم الخلق كلهم الموت والحشر وقراءة الكتاب والميزان والحساب والصراط والسؤال والجزاء.

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: «يا موسى لا تسأل مني الغنى فإنك لا تجده وكل خلق مفتقر إليّ وأنا الغني. ولا تسأل علم الغيب فإنه لا يعلم الغيب غيري. ولا تسألني أن أكف لسان الخلق عنك فإنني خلقتهم ورزقتهم وأميتهم وأحييتهم وهم يذكرونني بالسوء ولم أكف لسانهم عني ولا أكف لسانهم عنك. ولا تسأل البقاء فإنك لا تجده وأنا الدائم الباقي».

وأوحى الله إلى محمد عليه السلام فقال: «يا محمد أحب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك ملاقيه غداً وعش ما شئت فإنك ميت» فظهر أن الحكم النافذ بيد الله تعالى ولو كان شيء منه في يد الخلق لمنعوا عن أنفسهم الموت ودفعوا ملاقة الأعمال في الحشر وطريق النجاة التسليم والرضى والرجوع إلى الله تعالى بالاختيار فإنه إذا رجع العبد إلى الله بالاختيار لم يلق عنده شدة بخلاف ما إذا رجع بالاضطرار:

توپیش از عقوبت در عفو کوب که سودی ندارد فغان زیرچوب

ومن علامات الرجوع إلى الله إصلاح السر والعلانية والحمد له على كل حال فإن الجزع والاضطراب من الجهل بمبدأ الأمر ومبديه وليخفف ألم البلاء عنك علمك بأن الله هو المبلي وقل في الضراء والسراء: لا إله إلا هو والتوحيد أفضل الطاعات وخير الأذكار والحسنات وصورته منجية فكيف بمعناه.

وعن حذيفة رضي الله عنه سمعت رسول الله يقول: «مات رجل من بني إسرائيل من قوم موسى فإذا كان يوم القيامة يقول الله لملائكته. انظروا هل تجدون لعبدي من حسنة يفوز بها اليوم؟ فيقولون: إنا لا نجد سوى أن نقش خاتمه لا إله إلا الله فيقول الله تعالى: أدخلوا عبدي الجنة قد غفرت له»: قال المغربي:

اگرچه آینه داری از برای حسن ولی چه سود که داری همیشه آینه تار
 بیا بصیقل توحید زآینه بزد ای غبار شرک که پاک گردد از زُنکار
 نسأل الله سبحانه أن يوصلنا إلى حقيقة التوحيد ويخلصنا من ورطة التقليد ويجعلنا من
 المكاشفين لأنوار صفاته وأسرار ذاته.

﴿قُلْ أَزَيْتَنُ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (۷۶) قُلْ أَزَيْتَنُ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (۷۷).

﴿قل﴾ یا محمد لأهل مكة ﴿أرأيتم﴾ أي أخبروني فإن الرؤية سبب للإخبار ﴿إن جعل الله عليكم الليل سرمدا﴾ دائماً لا نهار معه من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة وقدم ذكر الليل على ذكر النهار لأن ذهاب الليل بطلوع الشمس أكثر فائدة من ذهاب النهار بدخول الليل كذا في «برهان القرآن» ﴿إلى يوم القيامة﴾ بإسكان الشمس تحت الأرض أو تحريكها حول الأفق الغائر ﴿من إله غير الله﴾ صفة لإله. يعني [کیست خدای بجز خدای بحق که از روی کمال قدرت] «یأتیکم بضیاء» صفة له أخرى عليها يدور أمر التبکیت والإلزام قصد انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل: هل إله لا يراد الإلزام على زعمهم أن غيره آله والباء للتعدي: والمعنى بالفارسية [بیارد برای شما روشنی یعنی روز روشن که در آن بطلب معاش اشتغال کنید]. ﴿أفلا تسمعون﴾ هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى تنقادوا له وتعملوا بموجبه فتوحداوا الله تعالى وختم الآية به بناء على الليل لا على الضياء.

وقال بعضهم: قرن بالضياء السمع لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر يعني استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر. ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا﴾ متصلاً لا ليل له. ﴿إلى يوم القيامة﴾ بإسكانها في وسط السماء أو تحريكها فوق الأرض ﴿من إله غير الله يأتیکم بليل تسكنون فيه﴾ استراحة من متابعة الأسفار ولعل تجريد الضياء عن ذكر منفعه مثل تصرفون فيه ونحوه لكونه مقصوداً بذاته ظاهر الاستتباع لما نيط به من المنافع ولا كذلك الليل. ﴿أفلا تبصرون﴾ هذه المنفعة الظاهرة التي لا تخفى على من له بصر وختم الآية به بناء على النهار فإنه مبصر لا على الليل.

وقال بعضهم: وقرن بسكون الليل البصر لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما لا تبصر أنت من السكون. اعلم أن فلك الشمس يدور في بعض المواضع رحواً لا غروب للشمس فيه فنهاره سرمدي فلا يعيش الحيوان فيه ولا ينبت النبات فيه من قوة حرارة الشمس فيه وكذلك يدور فلك الشمس في بعض المواضع بعكس هذا تحت الأرض ليس للشمس فيه طلوع فليله سرمدي فلا يعيش الحيوان أيضاً فيه ولا ينبت النبات ثمة فلهذا المعنى قال تعالى:

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (۷۲)

﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار﴾ [آواز بخشایش خودبیا فرید برای شما شب و روز را] ﴿لتسكنوا فيه﴾ أي: في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ أي في النهار بأنواع المكاسب ﴿ولعلكم تشكرون﴾ ولكي تشكروا نعمته تعالى على ما فعل:

چرخ را دور شبانروزی دهده شب برو روز آورد روزی دهده

خلوت شب بهر آن تاجان ریش رازدل کوید برجانان خویش
روزها از بهر غوغای عوام تابدايشان کارتن کيرد نظام
قال إمام الحرمين وغيره من الفضلاء: لا خلاف أن الشمس تغرب عند قوم وتطلع عند قوم آخرين والليل يطول عند قوم ويقصر عند آخرين وعند خط الاستواء يكون الليل والنهار مستويًا أبداً.

وسئل الشيخ أبو حامد عن بلاد بلغار كيف يصلون لأن الشمس لا تغرب عندهم إلا مقدار ما بين المغرب والعشاء ثم تطلع فقال: يعتبر صومهم وصلاتهم بأقرب البلاد إليهم والأصح عند أكثر الفقهاء أنهم يقدرون الليل والنهار ويعتبرون بحسب الساعات كما قال عليه الصلاة والسلام: «يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة» فيقدر الصيام والصلاة في زمنه كذا ورد عن سيد البشر.

قال في «القاموس»: بلغر كقرطى والعامية تقول: بلغار مدينة الصقالية ضاربة في الشمال شديدة البرد انتهى والفجر يطلع في تلك الديار قبل غيبوبة الشفق في أقصر ليالي السنة فلا يجب على أهلها العشاء والوتر لعدم سبب الوجوب وهو الوقت لأنه كما أنه شرط لأداء الصلاة فهو سبب لوجوبها فلا تجب بدونه على ما تقرر في الأصول وكذلك لا تجبان على أهالي بلدة يطلع فيها الفجر لما تغرب الشمس فيسقط عنهم ما لا يجدون وقته كما أن رجلاً إذا قطع يده مع المرفقين أو رجلاه مع الكعبين ففرائض وضوئه ثلاث لفوات محل الرابع كذا في الفقه.

والإشارة في الآية إلى نهار التجلي وليل ستر البشرية فلو دام نهار التجلي لم يقدر المتجلي له على تحمل سطواته فستره الله تعالى بظل البشرية ليستريح من تعب السطوات وإليه الإشارة بقوله عليه السلام لعائشة رضي الله عنها: «كلميني يا حميراء» وليس هذا الستر من قبيل الحجاب فإن الستر يكون عقيب التجلي وهو حجاب الرحمة والمنحة لا حجاب الزحمة والمنحة وذلك من جملة ما كان النبي عليه السلام محمياً به إذ كان يقول: «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله كل يوم سبعين مرة» وذلك غاية اللطف والرحمة والحجاب ما يكون محجوباً به عن الحق تعالى وذلك من غاية القهر والعز كما قال في المقيورين: ﴿كَأَلَّا لِيَتَنَمَّ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥] والجبل لم يستقر مكانه عند سطوة تجلي صفة الربوبية وجعله دكاً وخر موسى مع قوة نبوته صعباً وذلك التجلي في أقل مقدار طرفة عين فلو دام كيف يعيش الإنسان الضعيف.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٧٦) وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٧٧).

﴿ويوم يناديهم﴾ منصوب باذكر أي واذكر يا محمد يوم ينادي الله المشركين ﴿فيقول﴾ توبيخاً لهم ﴿أين﴾ [كجاندا] ﴿شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ أنهم لي شركاء وهو تقرير بعد تقرير للإشعار بأنه لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك كما لا شيء أدخل في مرضاة الله من توحيده.

﴿ونزعنا من كل أمة﴾ نزع الشيء جذبه من مقره كنزع القوس من كبده وعطف على يناديهم وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق ولا التفات لإبراز كمال الاعتناء بشأن النزع أي

أخرجنا من كل أمة من الأمم ﴿شهداء﴾ بالفارسية: [كواه] وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه من الخير والشر.

وقال بعضهم: يشهد عليهم وعلى من بعدهم كما جاء في الحديث أن أعمال الأمة تعرض على النبي عليه السلام ليلة الاثنين والخميس.

وقال بعضهم: عني بالشهيد العدول من كل أمة وذلك أنه سبحانه لم يخل عصراً من الأعصار عن عدول يرجع إليهم في أمر الدين ويكونون حجة على الناس يدعونهم إلى الدين فيشهدون على الناس بما عملوا من العصيان ﴿فقلنا﴾ لكل من الأمم ﴿هاتوا﴾ [يأريده] وأصله أتوا وقد سبق. ﴿برهانكم﴾ على صحة ما كنتم تدعون من الشريك ﴿فعلموا﴾ يومئذ ﴿أن الحق لله﴾ في الإلهية لا يشاركه فيها أحد. ﴿وضل عنهم﴾ أي: غاب غيبة الضائع ﴿ما كانوا يفترون﴾ في الدنيا من الباطل وهو ألوهية الأصنام.

واعلم أن الشريك لا ينحصر في عبادة الأصنام الظاهرة بل الأنداد ظاهرة وباطنة. فمنهم: من صنمه نفسه. ومنهم: من صنمه زوجته حيث يحبها محبة الله ويطيعها إطاعة الله ومنهم: من صنمه تجارته فيتكل عليها ويترك طاعة الله لأجلها فهذه كلها لا تنفع يوم القيامة. حكى: أن مالك بن دينار رحمه الله كان إذا قرأ في الصلاة إياك نعبد وإياك نستعين غشي عليه فستل فقال: نقول: إياك نعبد ونعبد أنفسنا أي نطيعها في أمرها ونقول: إياك نستعين ونرجع إلى أبواب غيره. روي: أن زكريا عليه السلام لما هرب من اليهود بعد أن قتل يحيى عليه السلام وتوابعه تمثل له الشيطان في صورة الراعي وأشار إليه بدخول الشجرة فقال زكريا للشجرة: اكنميني فانشقت فدخل فيها وأخرج الشيطان هدب رداءه ثم أخبر به اليهود فشقوا الشجرة بالمنشار فهذا الشق إنما وقع له لالتجائه إلى الشجرة والشرك أقبح جميع السيئات كما أن التوحيد أحسن الحسنات وقد ورد أن الملائكة المقربين تنزل لشرف الذكر كما روى أن يوسف عليه السلام لما ألقى في الجب ذكر الله تعالى بأسمائه الحسنى فسمعه جبريل فقال: يا رب أسمع صوتاً حسناً في الجب فأمهلني ساعة فقال الله تعالى: ألتسم قلتُم أتجعل فيها من يفسد فيها وكذلك إذا اجتمع المؤمنون على ذكر الله مراعين لأدابه الظاهرة والباطنة تقول الملائكة: إلهنا أمهلنا نستأنس بهم فيقول الله تعالى: ألتسم قلتُم أتجعل فيها من يفسد فيها فالآن تتمنون الاستئناس بهم وفي الحديث: «لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى» قبل يا رسول الله من الذي أبى قال: «من لم يقل لا إله إلا الله» فينبغي الاشتغال بكلمة التوحيد قبل الموت وهي عروة الوثقى وهي ثمن الجنة وهي التي يشهد بها جميع الأشياء:

هست هرذره بوحدت خویش بیش عارف كواه وحدت او

ياك كن جامه ازغبار دویی لوح خاطر كه حق يكيست نه دو

والوصول إلى هذا الشهود والتوحيد الحقيقي إنما هو بخير الأذكار أي بالاشتغال به آناء الليل وأطراف النهار. قال الشيخ المغربي:

نخست دیده طلب كن پس آنکهي دیدار ازانکه یارکند جلوه براولوا الأبصار

﴿إِنَّ قُلُوبَنَا كَافَّةٌ مِنْ قَوْلِ مُوسَىٰ فَبَنَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَايَاتُهُ مِنَ الْكُتُبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَلنُّوٓأِ بِالْمُصْبَكَةِ أُولَىٰ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿إِنْ قَارُونَ﴾ اسم أعجمي كهارون فلذلك لم ينصرف ﴿كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ كان ابن عمه يصهر بن قاهش بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهش وكان ممن آمن به وقرأ بني إسرائيل للتوراة وكان يسمى المنور لحسن صورته ثم تغير حاله بسبب الغنى فنافق كما نافق السامري. ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ قال الراغب: البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى تجاوزه أو لم يتجاوزه وبغى تكبر وذلك لتجاوزه منزلته إلى ما ليس له. والمعنى فطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره وليس ببعيد فإن كثرة المال المشار إليها بقوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ الآية سبب للبغى وأمارة بغيه الإباء والاستكبار والعجب والتمرد عن قبول النصيحة وكان يجر ثوبه كبيراً وخيلاء وفي الحديث: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء» وكان يستخف بالفقراء ويمنع عنهم الحقوق وفي الحديث: «اتخذوا الأيادي عند الفقراء قبل أن تجيء دولتهم» أي: فإن لهم دولة عظيمة يوم القيامة يصل أثرها إلى من أطعمهم لقمة أو سقاها شربة أو كساهم خرقة أو نحو ذلك فيأخذون بأيديهم ويدخلون الجنة بأمر الله تعالى.

قال أهل العلم بالأخبار: كان أول طغيانه وعصيانه أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أنه يأمر بني إسرائيل أن يعلقوا في أردبتهم خيوطاً أربعة خضراً في كل طرف خيط على لون السماء قال موسى: يا رب ما الحكمة فيه؟ قال: يذكرون إذا رأوها أن كلامي نزل من السماء ولا يغفلون عني وعن كلامي والعمل به قال موسى: أفلا تأمرهم أن يجعلوا أردبتهم كلها خضراً فإنهم يحقرون هذه الخيوط؟ فقال: يا موسى إن الصغير من أمري ليس بصغير فإنهم إن لم يطيعوني في الصغير لم يطيعوني في الكبير فأمرهم ففعلوا وامتنع قارون وقال: إنما يفعل هذا الأرباب بعبيدهم لكي يتميزوا من غيرهم فكان هذا ابتداء بغيه ولما عبروا البحر جعلت حبورة القربان وهي رياسة المذبح في هارون.

قال في «كشف الأسرار»: [در رياست مذبح آن بودكه بني إسرائيل قربان كه مي كردند بر طريق تعبد پيش هارون مي بردند وهارون بر مذبح مي نهاد تا آتش از اسمان فرود آمدي وبركر فتى] فحسده قارون وقال: يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة ولست في شيء وأنا أقرأ بني إسرائيل للتوراة ليس لي على هذا صبر فقال موسى: ما أنا جعلتها في هارون بل الله جعلها من فضله قال قارون: والله لا أصدقك في ذلك حتى تريني آية تدل عليه فأمر موسى رؤساء بني إسرائيل بوضع عصيهم في القبة التي فيها وينزل الوحي عليه ففعلوا وباتوا يحرسونها وأصبحوا فإذا بعصا هارون مورقة خضراء أي صارت بحيث لها ورق أخضر وكانت من شجرة اللوز فلما رآها قارون على تلك الحالة العجيبة قال: والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر واعتزل موسى وتبعه طائفة من بني إسرائيل وجعل موسى يداريه لما بينهما من القرابة وهو لا يلتفت إليه بل يؤذيه ولا يزيد إلا تجبراً وبغياً ﴿وَأَتَيْنَاهُ﴾ أي قارون ﴿مِنَ الْكُنُوزِ﴾ أي الأموال المدخرة.

قال الراغب: الكنز جمع المال بعضه فوق بعض وحفظه من كنزت التمر في الوعاء انتهى. والفرق بين الركا والمعدن والكنز أن الركا هو المال المركز في الأرض مخلوقاً كان أو موضوعاً والمعدن ما كان مخلوقاً والكنز ما كان موضوعاً ﴿مَا﴾ موصولة أي الذي ﴿إِنْ﴾ مفاتحه جمع مفتاح بالكسر ما يفتح به أي مفاتيح صناديقه ﴿لَتَنُوءَ بالعصبة أولي القوة﴾ خبر أن الجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتينا. وناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله فالباء للتعدي والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة.

وفي «المفردات»: جماعة معصبة أي متعاضدة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: العصبية في هذا الموضع أربعون رجلاً وخزائنه كانت أربعمئة ألف يحمل كل رجل منهم عشرة آلاف مفتاح. والمعنى لتثقلهم وتميل بهم إذا حملوها لثقلها. وبالفارسية [برداشتن آن مفاتيح کران می کند مردمان بانیروی را یعنی مردمان از کران باری بجانبی میل میکنند] وقال بعضهم: وجدت في الإنجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقرستين بغلاً ما يزيد منها مفتاح على أصبع لكل مفتاح كثر ويقال كان قارون أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما ثقلت عليه جعلها من خشب فنقلت فجعلها من جلود البقر على طول الأصابع ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ منصوب بتنوء يعني موسى وبني إسرائيل وقيل: قاله موسى وحده بطريق النصيحة ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ [شادي مكن بمال دنیا] والفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة وأكثر ما يكون ذلك في اللذات البدنية الدنيوية والفرح في الدنيا مذموم مطلقاً لأنه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فإن العلم بأن ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح حتماً ولذا قال تعالى: ﴿لَيْكُنْ لَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] ولم يرخص في الفرح إلا في قوله: ﴿قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ فِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨] وقوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٥٤] وعلل النهي ههنا بكونه مانعاً منه محبة الله تعالى كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ أي بزخارف الدنيا فإن الدنيا مبعوضة عند الله تعالى:

دنیاي دني چيشت سراي ستمی افکنده هزار کشته درهر قدمی
کردست دهد کدای شادی نکند ورفوت شود نیز نیرزد بغمی
وإنما يحب من يفرح بإقامة العبودية وطلب السعادة الآخوية.

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ أَفْسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٧٧﴾

﴿وابتغ﴾ أي: طلب ﴿فيما آتاك الله﴾ من الغنى لم يقل بما آتاك الله لأنه لم يرد بمالك وإنما أراد وابتغ في حال تملكك وفي حال قدرتك بالمال والبدن كما في «كشف الأسرار» **الدار الآخرة** أي ثواب الله فيها بصرفه إلى ما يكون وسيلة إليه من مواساة الفقراء وصلة الرحم وفك الأسير ونحوها من أبواب الخير...

بدنیا توانی که عقبی خری بخرجان من ورثه حسرت خوری
﴿ولا تنس﴾ أي لا تترك ترك المنسي.

قال في «المفردات»: النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلبه وإما عن غفلة أو عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره ﴿نصيبك من الدنيا﴾ وهو أن تحصل بها آخرتك أو تأخذ منها ما يكفيك وتخرج الباقي. وعن علي رضي الله عنه: لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك وفي ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلِكَ وحياتك قبل موتك».

وقال الكاشفي: [وفراموش مكن بهره خودرا از مال دنیا بعني نصيب تو در وقت رحلت

ازین جهان کفنی خواهد بود و پس ازان حال براندیش و پمال و منال غره مشو].

کرم ملک توشام تایمن خواهد بود وز سرحد روم تاختن خواهد بود
آنروز کزین جهان کنی عزم سفر همراه توچند کز کفن خواهد بود
قال الشيخ سعدي قدس سره:

اكر ا پهلوانی اكر تیغ زن نخواهی بدر بردن الأكفن
وقال بعض العارفين: نصيب العارف من الدنيا ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «حب
إليّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة» ففي الطيب الرائحة الطيبة وفي
النساء الوجه الحسن وفي الصلاة فرح القلب وقد سبق غير هذا ﴿وأحسن﴾ إلى عباد الله ﴿كما
أحسن الله إليك﴾ فيما أنعم به عليك. قال الشيخ سعدي قدس سره:

توانکری چودل دوست کامرانت هست بخور ببخش که دنیا و آخرت بردی
وقال:

اكر كنج قارون بچنك آوری نماند مكر آنکه بخشی بری
﴿ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ نهی له عما كان عليك من الظلم والبغي.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ في أرض الروحانية بما آتاك الله
من الاستعداد الإنساني باستعماله في مخالفات الشريعة وموافقات الطبيعة فإنه يفسد الاستعداد
الروحاني والإنساني ﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾ لسوء أفعالهم بل يحب المصلحين لحسن
أعمالهم وقد اختار من عباده الأبدال فإنهم يجعلون بدل الجهل العلم وبدل الشح الجود وبدل
الشره العفة وبدل الظلم العدالة وبدل الطيش التؤدة وبدل الفساد الصلاح فالإنسان إذا صار من
الأبدال فقد ارتقى إلى درجة الأحباب.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ
قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ دُونِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٧٨).

﴿قال﴾ قارون مجیباً للناصحین ﴿إنما أوتيته﴾ أي: هذا المال. ﴿على علم عندي﴾ حال
من مرفوع أوتيته أو متعلق بأوتيته وعندي صفة له. والمعنى أوتيته حال کونی مستحقاً لما فی
من علم التوراة وكان أعلمهم بها ادعی استحقاق التفضیل على الناس واستیجاب التفوق بالمال
والجاء بسبب العلم ولم ينظر إلى منة الله تعالى وفضله ولذا هلك وهكذا كل من كان على
طريقه في الادعاء والافتخار والكفران فإنه يهلك يوماً بشؤم معصيته وصنيعه. قال الحافظ:

مباش غره بعلم وعمل فقیه مدام که هیچکس زقضای خدای جان نبرد
وقال الصائب:

بفکر نیستی هرکز نمی فتند مغروران اگرچه صورت مقراض لا دارد کریانها

وقال بعضهم: المراد بعلم علم الكيمياء وكان موسى يعلمه تعلماً من الله تعالى فعلم
يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى
أضاف علمهما إلى علمه أو تعلم قارون صنعة الكيمياء من كلثوم أخت موسى وكانت تعرف
ذلك فرزق مالا عظيماً يضرب به المثل على طول الدهر وكان يأخذ الرصاص فيجعله فضة
والنحاس فيجعله ذهباً.

قال الزجاج: علم الكيمياء لا حقيقة له.

وفي «الكواشي»: ومتعاطي هذا العلم الكثير كذبه فلا يلتفت إليه.

يقول الفقير: وهو أولى من قول الزجاج فإن فيه إقراراً بأصله في الجملة وكذا بوجوده والكيمياء له حقيقة صحيحة وقد عمل به بعض الأنبياء وكمل الأولياء فإنه لا شك في الاستحالة والانقلاب بعد تصفية الأجساد وتظهرها من الكدورات وقد بين في موضعه ورأيت من وصل إليه بلا نكير والله العليم الخبير:

زكرامات بلند اولیا أولاً شعرست وآخر کیمیا

وقال بعضهم: المراد بالعلم علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب [كفته اند قارون چهل سال برکوه متعبد بود ودر عبادت وهد برهمه بني اسرائیل غلبه کرد وایلیس شیاطین را می فرستاد تا اورا وسوسه کنند وبدنیا درکشند شیاطین براو دست نمي یافتند ایلیس خود برخاست وبصورت پیری زاهد متعبد برابروي نشست وخدایرا عبادت همي کرد تا عبادت ایلیس بر عبادت وي بیفزود وقارون بتواضع وخدمت وي در آمد وهرچه می گفت بإشارت وي میرفت ورضای وي می جست ایلیس. روزي گفت ما از جمعه وجماعت بازمانده ایم واز زیارت نیک مردان وتشییع جنازهای مؤمنان محروم اگر درمیان مردم باشیم وأن خصلتهای نیکو بردست کیریم مکر صوابتر باشد قارون را بدین سخن از کوه بزیر آورد ودربیه شدند وتعبد کاه ایشان معین ساختند مردم چون از حال ایشان باخبر شدند رفقا ازهر جانب روی بایشان نهاد وبا ایشان نیکو می کردند وطعامها می بردند. ورزي ایلیس گفت اگرما بهفته یگروز بکسب مشغول باشیم واین بار وثقل از مردم فرونهییم مکر بهتر باشد قارون همان صواب دید وروز آذینه بکسب شدند وباقي هفته عبادت همي کردند روزي جند برآمد ایلیس گفت یگروز کسب کنیک دیگر روز عبادت تااز معاش وبغت چیزی بسر آید وبصدقه میدهیم ومردمانرا از ما منفعت بود همان کردند وبکسب مشغول شدند تادوستي* کسب ودوستي* مال درسر قارون شد ایلیس آنکاه ازوي جدایی گرفت وگفت من کار خود کردم واورا دردام دنیا آوردم پس قارون بکسب مشغول کشت ودنیا بوي روی نهاد وطغیان بالا گرفت وادعای استحقاق کرد بسبب علم مکاسب وطریق او[فقال تعالی: ﴿أولم يعلم﴾ [آیا ندانست قارون یعنی دانست] ﴿أن الله قد أهلك من قبله من القرون﴾ الکافرة. یعنی [از اهل روز کارها] والقرن القوم المقترنون في زمن واحد ﴿من هو أشد منه قوة﴾ بالعدد والعدد ﴿وأكثر جمعاً﴾ للمال کنمرود وغیره.

وقال بعضهم: وأكثر جمعاً للعلم والطاعة مثل ایلیس.

قال المفسرون: هذا تعجیب منه وتوبيخ له من جهته تعالی علی اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك الإهلاك قراءة في التوراة وتلقيناً من موسى وسماعاً من حفاظ التواريخ فالمعنى ألم يقرأ التوراة ويعلم ما فعل الله بأضرابه من أهل القرون السابقة حتى لا يغتر بما اغتر به:

مکن تکیه بر ملک وچاه وحشم که پیش از تو بودست وبعد از توهم

بکبر عبرت از ماسوای قرون خورد ضرب هراسب که باشد حرون

﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ عند إهلاكهم لثلاثاً يشتغلوا بالاعتذار كما قال تعالی

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ۳۶] كما في «التأويلات النجمية».

وقال الحسن: لا يسألون يوم القيامة سؤال استعلام فإنه تعالی مطلع عليها بل يسألون

سؤال تقریع وتوبيخ.

وقال بعضهم: لا يسألون بل يعاقبون بلا توقف ولا حساب أو لا يسألون لأنهم تعرفهم الملائكة بسماهم.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٧٦)

﴿فخرج على قومه﴾ عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله: ﴿في زينته﴾ إما متعلق بخرج أو بمحذوف هو حال من فاعله أي كائناً في زينته والمراد الزينة الدنيوية فمن المال والأثاث والجاه يقال: زانه كذا وزينه إذا أظهر حسنه إما بالفعل أو بالقول. قيل: خرج قارون يوم السبت وكان آخر يوم من عمره على بغلة شهباء عليه الأرجوان يعني قطيفة أرغواني وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه. وقال بعضهم: ومعه تسعون ألفاً عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤي فيه اللباس المعصفر وهو المصبوغ بالعصفر وهو صبغ أحمر معروف وقد نهى الرجال عن لبس المعصفر لأنه من لباس الزينة وأسباب الكبر ولأن له رائحة لا تليق بالرجال وأصل الزينة عند العارفين وجوه مسفرة عليها آثار دموع الشوق والمحبة ساجدة على باب الربوبية.

قال ابن عطاء: أزين ما تزين به العبيد المعرفة ومن نزلت درجاته عن درجات العارفين فازين ما تزين به طاعة ربه ومن تزين بالدنيا فهو مغرور في زينته. قال الحافظ:

قلندران حقيقت به نیم چون نخرند قباي اطلس آنکس که از هنر عاریست
وفي «المثنوي»:

افتخار از رنک و بو واز مکان هست شادی و فرب کودکان
وقال الشيخ العطار رحمه الله:

همچو طفلان منکر اندر سرخ وزرد چون زنان مغرور رنک و بومکرد
وقال الشيخ السعدي:

کراجامه پاکست وسیرت پلید در دوزخشن را نباید کلید
وقال المولى الجامي:

وصلش مجودر اطلس شاهي که دوخت عشق

این جامه برتني که نهان زیر زنده بود

﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا﴾ من بني إسرائيل جرياً على سنن العجيلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار ﴿يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون﴾ [يا قوم كاشكي بودي مارا از مال همچنانکه قارونرا دادند].

وقيل: يا ليت يا متمناي تعالي فهذا أوانك تمنوا مثله لا عينه حذراً من الحسد فدل على أنهم كانوا مؤمنين ﴿إنه لذو حظ عظيم﴾ لذو نصيب وافر من الدنيا. قال الراغب: الحظ النصيب المقدر وهو تمنيه وتأكيد له.

قال في «كشف الأسرار»: [فائده] اين آيت آنست که رب العالمين خبر ميدهد ماراکه مؤمن نيابده که تمنی کند آنچه طغيان در آنست از کثرت مال وذلک قوله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ [العلق: ٧-٦] بلکه از خداي عز وجل کفاف خواهد در دنيا وبلغه.

عیش جنانکه درخبرست] «اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً» وفي الحديث: «اللهم من أحبني فارزقه العفاف والكفاف ومن أبغضني فارزقه مالاً وولداً» وفي الحديث: «طوبى لمن هدي إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به»: قال الحافظ:

کنج زر کرنبود کنج قناعت باقیست آنکه آن داد بشاهان کبدایان این داد
وقال:

همایی چون تو عالیقدر حرص استخوان حیفت
دریغا سایه همت که برنا اهل افکندي
درین بازار اگر سودیست بادرویش خرسندست
الهی منعمم کردان بدرویشی وخرسندی

وقال المولى الجامي:

هرسفله پی بکنج قناعت کجابرده این نقد در خزینه ارباب همتست
وقال الشيخ السعدي:

نیرزد عسل جان من زخم نیش قناعت نکوتر بدو شاب خویش
وفي «التأويلات النجمية»: إنما وقع نظرهم على عظمة الدنيا وزينتها لا على دناءتها
وخساستها وهوانها وقلة متاعها لأنهم اغتدوا بغداء شبل حب الدنيا وزينتها المتولد من أسود
ظلمات صفات النفس بعضها فوق بعض فهم ينظرون بنظر ظلمات صفات النفس بعد أن كانوا
ينظرون بنظر نور صفات القلب يبصرون عزة الآخرة وعظمتها وخسة الدنيا وهوانها فإن الرضاع
يغير الطباع.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا
الصَّابِرُونَ﴾ (۸۷) ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ (۸۸).

﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ بأحوال الآخرة وزهدوا في الدنيا أي قالوا للمتمنين ﴿ويلكم﴾
[وای بر شما ای طالبان دنیا] وهو دعاء بالإهلاك. بمعنى ألزمكم الله ولاءاً أي عذاباً وهلاكاً ساغ
استعماله في الزجر عما لا يرتضى وقد سبق في طه. ﴿ثواب الله﴾ في الآخرة ﴿خير﴾ مما
تتمنون ﴿لمن آمن وعمل صالحاً﴾ فلا يليق بكم أن تتمنوه غير مكتفين بثوابه ونعيمه ﴿ولا
يلقها﴾ أي ولا يوفق لهذه الكرامة كما في «الجلالين» والمراد بالكرامة الثواب والجنة ولا
يعطى هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء وهي ثواب الله خير قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْهُمْ نَعْتَةٌ
وَسُورَةٌ﴾ [الإنسان: ۱۱] أي أعطاهم ولقيته كذا إذا استقبلته به. وبالفارسية وتلقيه وتلقين [نخواهد
کرد این کلمه که علماً گفته اند یعنی دردل وزبان نخواهند دار] ﴿إلا الصابرون﴾ على الطاعات
وعن زينة الدنيا وشهواتها:

أهل صبر از جمله عالم برترند صابران أزواج کردون بکذرند
هرکه کاردتخم صبر اندر جهان بدرد محصول عیش صابران
﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ يقال: خسف المكان يخسف خسوفاً ذهب في الأرض كما
في «القاموس» وخسف القمر زال ضوءه وعين خاسفة إذا غابت حداثها والباء للتعدية. والمعنى

بالفارسية: [پس فرو بردیم قارون و سرائی اورا بزمین].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت الزكاة على موسى صالحه على أن يعطيه عن كل ألف دينار ديناراً وعن كل ألف درهم درهماً وعن كل ألف شاة شاة وذلك بالأمر الإلهي وكان الواجب عشر المال لا ربه فحسب قارون ماله فوجد الزكاة مبلغاً عظيماً فمنعه البخل والحرص عن دفعها فجمع جمعاً من بني إسرائيل فقال لهم: إنكم قد أطعتم موسى في كل ما أمركم به وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم قالوا: أنت كبيرنا مرنا بما شئت قال: أريد أن أفضحه بين بني إسرائيل حتى لا يسمع بعد كلامه أحد فأمرني أن تجلبوا فلانة البغي فنجعل لها جعلاً حتى تقذف موسى بنفسها فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه فدعوها فجعل لها قارون ألف دينار وطشتاً من ذهب على أن تفعل ما أمر به من القذف إذا حضر بنو إسرائيل من الغد وكان يوم عيد فلما كان الغد قام موسى خطيباً فقال: من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصناً رجمناه فقال قارون: وإن كنت أنت قال: وإن كنت أنا فقال: إن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فتداركها الله بالتوفيق ووجدت في نفسها هيبة إلهية من تأثير الكلام فقالت: يا كريم الله جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي وأفترى عليك [ومن ناوجود كنهكاريها وبدكرديهاي خود چه كنه پسندم كه برتو تهمت كويم] فخر موسى ساجداً لله تعالى يبكي ويشكو من قارون ويقول: اللهم إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى الله إليه إني أمرت الأرض أن تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى: يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا ولم يبق مع قارون إلا رجلان ثم قال لقارون: يا عدو الله تبعث إلي امرأة تريد فضيحتي على رؤوس بني إسرائيل يا أرض خذهم فأخذتهم الأرض إلى الكعبين فأخذوا في التضرع وطلب الأمان ولم يلتفت موسى إليهم ثم قال: خذهم فأخذتهم إلى الركب ثم إلى الأوساط ثم إلى الأعناق فلم يبق على وجه الأرض منهم شيء إلا رؤوسهم وناشده قارون الله والرحم فلم يلتفت موسى لشدة غضبه ثم قال: يا أرض خذهم فانطبقت عليهم الأرض:

آنراكه زمين كشد چون قارون ني موسيش آورد برون ني هارون

فاسد شده را زروز كار وارون لا يمكن أن يصلحه العطارون

قال الله تعالى: يا موسى استغاث بك فلم تغثه فوعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته قال: يا رب غضباً لك فعلت.

قال قتادة: خسف به فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة.

صاحب لباب [فوموده هرروز قارون بمقدار قامت خود بزمين ميرود] وعند نفخ الصور بأرض سفلى [خواهد رسید].

وفي «كشف الأسرار»: [در قصه آورده اندكه هرروز يك قامت خويش بزمين فروميشد تا آروز كه يونس در شكم ما هي در قعر بحر بدورسيد قارون از حال موسى پرسيد چنانكه خويشانرا پرسند] فأوحى الله تعالى إلى الأرض لا تزيد في خسفه بحرمة أنه سأل عن ابن عمه ووصل به رحمه. ولما خسف به قال سفهاء بني إسرائيل إن موسى إنما دعا على قارون ليستقل

بداره وكنوزه وأمتعته ويتصرف فيها فدعا موسى فخسف بجميع أمواله وداره. قال الحافظ:

كنج قارون كه فرو ميروود از قهر هنوز

خوانده باشي كه هم از غيرت درويشانست

وقال:

أحوال كنج قارون كأيام داد برباد باغنچه باز كوييد تا زرنهان ندارد

وقال:

توانكرا دل درويش خود بدست آور كه مخزون زر وكنج درم نخواهد ماند

قال بعضهم: إن قارون نسي الفضل وادعى لنفسه فضلاً فخسف الله به الأرض ظاهراً وكم خسف بالأسرار وصاحبها لا يشعر بذلك وخسف الأسرار هو منع العصمة والرد على الحول والقوة وإطلاق اللسان بالدعاوى الفرضية والعمى عن رؤية الفضل والقعود عن القيام بالشكر على ما أولى وأعطى وحينئذ يكون وقت الزوال. وخرج قارون على قومه بالزينة. فهلك وهكذا حال من يخرج على أولياء الله بالدعاوى الباطلة والكبر والرياسة لا محالة يسقطون من عيونهم وقلوبهم بعد سقوطهم من نظر الحق وتنخسف أنوار إيمانهم في قلوبهم فلا يرى آثارها بعد ذلك نعوذ بالله سبحانه. ﴿فَمَا كَانَ لَهُ﴾ أي: لقارون ﴿مِنْ فِتْنَةٍ﴾ جماعة.

قال الراغب: الفئة الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التعاضد انتهى من فاء، أي رجع. ﴿يَنْصُرُونَهُ﴾ بدفع العذاب عنه وهو الخسف. ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: حال كونهم متجاوزين نصره الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ أي من الممتنعين عنه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر أي منعه فامتنع.

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَاثُرُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَاثُرُ لَا يَقْلُحُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧).

﴿وَأَصْبَحَ﴾ أي: صار ﴿الَّذِينَ تَمَنَّوْا﴾ التمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها وأكثره تصور ما لا حقيقة له والامنية الصورة الحاصلة في النفس من تمنى الشيء. ﴿مَكَانَهُ﴾ أي: منزلته وجاهه ﴿بِالْأَمْسِ﴾ أي: بالوقت القريب منه فإنه يذكر الأمس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة. ﴿يَقُولُونَ وَيَكَاثُرُ﴾ ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ﴿أَي: يضيق يقال: قدر على عياله بالتخفيف مثل قتر ضيق عليهم بالنفقة أي يفعل كل واحد من البسط والقدر أي التضييق بمحض مشيئته وحكمته لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يوجب القبض. ويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب [چنانست كه كسى از روى ترحم وتعجب باديكري كويد «وي لم فعلت ذلك» وي اين چيست كه توكردي] كما قال الراغب: وي كلمة تذكر للتحسر والتندم والتعجب تقول: وي لعبد الله انتهى وكأن للتشبيه. والمعنى ما أشبه الأمر إن الله يبسط الخ وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويليك وإن واعلم مضمهر وتقديره ويك اعلم أن الله الخ. وبالفارسية [وای برتویدای خدای تعالی الخ] وإنما استعمل عند التنبيه على الخطأ والتندم. والمعنى أنهم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيه وتندموا على ذلك. ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ﴾ أنعم ﴿عَلَيْنَا﴾ فلم يعطنا ما تمنينا. وبالفارسية [اگر آن نبودی كه خدای تعالی منت نهادی برما وندادبما آنچه تمنای ما بودازدنیا] ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ [مارا

بزمین فروبردید] كما خسف به لتوليد الاستغناء فينا مثل ما ولده فيه من الكبر والبغي ونحوهما من أسباب العذاب والهلاك ﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ لنعمة الله أي لا ينجون من عذابه أو المكذبون برسله وبما وعدوا به من ثواب الآخرة.

قال في «كشف الأسرار»: حب الدنيا حمل قارون على جمعها وجمعها حمله على البغي عليهم وصارت كثرة ماله سبب هلاكه وفي الخبر: «حب الدنيا رأس كل خطيئة» [دوستي دنیا سر همه کناها هست و مایه هرفته و بیخ هر فساد. و هر که از خدای بازماند بمهر و دوستي دنیا بازماند دنیا پلي کذشتني و بساطي در نوشتني و مرتع لافکاه مدعیان و مجمع بارکاه بي خطران سرمایه بي دولتان و مصطبه بدبختان معشوقه ناکسان و قبله خسیسان دوست بي وفا و دایه بي مهر جمالي بانقاب دارد و رفتاري ناصواب و چون تو دوست زیر خاک صدهزاران هزار دارد بر طارم طرازي نشسته و از شبکه بیرون مي نکرد و باتو میکويد من چون تو هزار عاشق از غم کسستم نالود بخون هیچکس انکشتم مصطی علیه السلام گفت] «ما من أحد يصيب في الدنيا إلا وهو بمنزلة الضيف وماله في يده عارية فالضيف منطلق والعارية مردودة» وفي رواية أخرى «إن مثلکم في الدنيا کمثل الضيف وإن ما في أيديکم عارية» [میکويد مثل شمادین دنيای غدار مثل مهماني است که بمهمان خانه فرو آید هر آینه مهمان رفتني بود نه بودني هم چومرد کارواني که بمنزل فرو آید لا بد از آنجا رخت بردارد در تمنا کند که آنجا بیستد سخت نادان و بي سامان بوده که آن نه بمقصود رسد و نه بخانه باز آید جهد آن کن اي جوانمرد که پل بلوی بسلامت باز کذاري و آنرا دار القرار خود نساني و دل درويندي تا بر تو شیطان ظفر نیابد صد شیر کرسنه در کله کوسفند چندان زیان بکند که شیطان باتو کند] ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] و صد شیطان آن نکند که نفس أماره باتو کند «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك» [يكي تأمل کن در کار قارون بدبخت نفس و شیطان هر دودست درهم دادند تا اورا زدين بر آوردند ازانکه آبش از سر چشمه خود تاريک بود بکچند اورا باعمل عاريتي دادند لؤلؤ شاهوار همي نمود چون حکم ازلي و سابقه أصلي در رسيد خود شبه قير رنگ بود زبان حالش همي کويد].

من پندارم که هستم اندر کاري اي برسر بندار چون من بسياري
اکنون که نماند باقوم بازاری در دیده پنداشت زدم مسماري
واعلم أن تمنى الدنيا مذموم إلا ما كان لغرض صحيح وهو صرفها إلى وجوه البر كالصدقة ونحوها.

وعن كبشة الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه. فأما التي أقسم عليهن فإنه ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلماً صبر عليها إلا زاده الله به عزاً ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله باب فقر. وأما الذي أحدثكم فاحفظوه» فقال: «إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله علماً ومالاً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعمل لله فيه بحقه فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه رزقه الله فلان فهو بنيته وأجرهما سواء وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعمل لله فيه بحقه وعبد لم يرزقه الله علماً ولا مالاً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه رزقه الله فلان فهو بنيته ووزرهما سواء» كما في «المصابيح».

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْمُتَّقِينَ﴾ (۸۳)

﴿تلك الدار الآخرة﴾ إشارة تعظیم كأنه قيل: تلك الجنة التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر قوله: ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ أي ارتفاعاً وغلبةً وتسلطاً كما أراد فرعون حيث قال تعالى في أول السورة: ﴿وَلَنْ فِرْعَوْنُ لَمَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ۸۳] ﴿وَلَا فُسَادًا﴾ أي ظلماً وعدواناً على الناس كما أراد قارون حيث قال تعالى في حقه على لسان الناصح. ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ۷۷] وفي تعليق الوعد بترك إرادتهما لا بترك أنفسهما مزيد تحذير منهما. ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ الحميدة. وبالفارسية [سر انجام نیکو] ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: للذين يتقون العلو والفساد وما لا يرضاه الله من الأقوال والأفعال. وعن علي رضي الله عنه أن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها يعني أن من تكبر بلباس يعجبه فهو ممن يريد علواً في الأرض.

وعن علي رضي الله عنه أنه كان يمشي في الأسواق وحده وهو والي يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبائع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ﴾ الخ ويقول: نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل المقدره من سائر الناس.

وعن عمر بن عبد العزيز كان يردد هذه الآية حتى قبض وكان عليه السلام يحلب الشاة ويركب الحمار ويجيب دعوة المملوك ويجالس الفقراء والمساكين.

قال بعض الكبار: احذر أن تريد في الأرض علواً أو فساداً والزم الذل والانكسار والخمول فإن أعلى الله كلمتك فما أعلاها إلا الحق وذلك أن يرزقك الرفعة في قلوب الخلق وإيضاح ذلك أن الله ما أنشأك إلا من الأرض فلا ينبغي لك أن تعلق على أمك واحذر أن تتزهّد أو تتعبد أو تتكرم وفي نفسك استجلاب ذلك لكونه يرفعك على أقرانك فإن ذلك من إرادة العلو في الأرض وما استكبر مخلوق على آخر إلا لحجابه عن معية مع الحق ذلك المخلوق الآخر ولو شهدا لذلك وخضع.

قال في «كشف الأسرار»: [فردا درسرای عزت ساکنان مقعد صدق ومقربان حضرت جبروت قومی باشند که در دنیا برتری ومهتری نجویند وخودرا ازهمه کس کهتر وکمترا نند وبچشم پسند هرکز درخود ننکرد چنانکه آن جوانمرد طریقت گفت که از موقف عرفات بازگشته بود اورا گفتند] کیف رأیت أهل الموقف قال: رأیت قوماً لولا أني كنت فيهم لرجوت أن يغفر الله لهم. قال الشيخ سعدی:

بزرگي که خودرا ز خردان شمرد بدنيي وعقبی پزرکي ببرد

تو آنکه شوي پیش مردم عزیز که مر خویشان را نکيري بچيز

[يکي از بزرگان دين إبليس را دید گفت مارا پندي ده گفت مگو من تانشوي چون من شيخ حيف گفت مني بيفکندن درشريت زندقه است ومنی اثبات کردن درحقيقت شرك است جون در مقام شريعت باشي همي کوي که اوخود همه از وشریعت تعالیست وحقيقت أحوال أقوام أفعال بتو ونظام أحوال باوا].

قال بعضهم: العلو النظر إلى النفس والفساد النظر إلى الدنيا والدنيا خمر إبليس من شرب منها شرية لا يفيق إلا يوم القيامة ويقال: العلو الخطرات في القلب والفساد في الأعضاء

فمن كان في قلبه حب الرياسة والجاه وحفظ النفس وفي أعماله الرياء والسمعة فهو لا يصل إلى مقام القرب وكذا من كان في قلبه سوء العقيدة وفي جوارحه عبادة غير الله والدعوة إليها وأخذ الأموال وكسر الأعراض واستحلال المعاصي فهو لا يصل إلى الجنة أيضاً وهو قرين الشيطان والشياطين في النار مع قرنائهم.

واعلم أن العلو في أرض البشرية علو الفراعنة والجبابرة والأكاسرة والعلو في أرض الروحانية علو الأبالسة وبعض الأرواح الملكية مثل هاروت وماروت وكلاهما مذموم وكذا الفساد النظر إلى غير الله فالله تعالى لا يجعل مملكة عالم الغيب والملوك إلا في تصرف من خلص من طلب العلو والنظر إلى الغير بنظر المحبة وسلم التصرف كله إلى المالك الحقيقي وخرج من البين.

هرجه خواخي بكن كه ملك تراست
جعلنا الله وإياكم من الآخذين بذيل حقيقة التقوى وعصمنا من الاعتراض والانقباض والدعوى.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا هُوَ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

﴿من جاء بالحسنة﴾ [هرکجا بیارد خصلت نیکو در روز قیامت] ﴿فله﴾ بمقابلتها ﴿خير منها﴾ ذاتاً ووصفاً وقدرأً أما الخيرية ذاتاً فظاهرة في أجزية الأعمال البدنية لأنها أعراض وأجزيتها جواهر وكذا في المالية إذ لا مناسبة بين زخارف الدنيا ونفائس الآخرة في الحقيقة وأما وصفاً فلأنها أبقي وأنقى من الآلام والأكدار وأما قدرأً فللمقابلة بعشر أمثالها لا أقل يعني أنه يجازي بالحسنة الواحدة عشرأً فيكون الواحد ثواباً مستحقاً والتسعة تفضلاً وجوداً والتسعة خير من الواحد من ذلك الجنس.

وقال بعضهم: الحسنة المعرفة وما هو خير منها هو الرؤية. أو الإعراض عما سوى الله وما هو خير منه هو مواهب الحق تعالى لأن الإعراض مضاف إلى الفاني ومتعلق بالمخلوق والمواهب مضافة إلى الباقي ومتعلقة بالقديم. ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ كالشرك والرياء والجهل ونحوها ﴿فلا يجزي الذين عملوا السيئات﴾ وضع فيه الظاهر موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير إسناد السيئة إليهم وفائدة هذه الصورة انزجار العقلاء عن ارتكاب السيئات.

هرجه در شرع وعقل بد باشد نكند هر كه باخرد باشد
﴿إلا ما كانوا يعملون﴾ إلا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل وأقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة أخبر تعالى أن السيئة لا يضاعف جزاؤها فضلاً منه ورحمة ولكن يجزي عليها عدلاً فليجتنب العبد عما نهت عنه الفتوى والتقوى إذ لكل نوع من السيئة نوع من الجزاء عاجلاً وآجلاً. وفي «المثنوي»:

هرجه برتو آید از ظلمات وغم آن زبی شرمی وکستاخست هم
حكي: عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله: أنه كان بمكة فاشترى من رجل تمرأً فإذا هو بتمرتين في الأرض بين رجله ظن أنهما من الذي اشتراه فرفعهما وأكلهما وخرج إلى بيت المقدس وفيه قبة تسمى الصخرة فدخلها وسكن فيها يوماً وكان الرسم أن يخرج منها من كان

فيها لتخلو للملائكة فأخرج بعد العصر من كان فيها فانحجب إبراهيم ولم يروه فبقي الليلة فيها ودخل الملائكة فقالوا: ههنا حس آدمي وريحه قال واحد منهم: هو إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان وقال آخر: الذي يصعد منه كل يوم إلى السماء عمل متقبل قال: نعم غير أن طاعة موقوفة منذ سنة ولم تستجب دعوته منذ سنة لمكان التمرتين عليه قال: ثم نزلت الملائكة واشتغلوا بالعبادة حتى طلع الفجر ورجع الخادم وفتح القبة وخرج إبراهيم وتوجه إلى مكة وجاء إلى باب ذلك الحانوت فإذا هو بفتى يبيع التمر فسلم عليه وقال: كان ههنا شيخ في العام الأول فأخبره أنه كان والدي فارق الدنيا فقص إبراهيم قصة التمرتين فقال الفتى: جعلتك في حل من نصيبي وأنت أعلم في نصيب أختي ووالدتي؟ قال: فأين أختك ووالدتك قال: هما في الدار فجاء إبراهيم إلى الباب وقرعه فخرجت عجوز متكئة على عصاها فسلم إبراهيم عليها وأخبرها القصة قالت: جعلتك في حل من نصيبي وكذا ابنتها فخرج إبراهيم وتوجه إلى بيت المقدس ودخل القبة فدخلت الملائكة وقالوا: هو إبراهيم وكان لا تستجاب دعوته منذ سنة غير أنه أسقط ما عليه من التمرتين فقبل الله ما كان موقوفاً من طاعته واستجاب دعوته وأعادته إلى درجته فبكى إبراهيم فرحاً وكان بعد ذلك لا يفطر إلا في كل سبعة أيام بطعام يعلم أنه حلال.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن جزاء السيئات على حسب ما يعملون من السيئات فإن كانت السيئة الشرك بالله فجزاؤه النار إلى الأبد وإن كانت المعاصي فجزاؤها العذاب بقدر المعاصي صغیرها وكبیرها وإن كانت حب الدنيا وشهواتها فجزاؤه الحرمان من نعيم الآخرة بحسبها وإن كانت طلب الجاه والرياسة والسلطنة الدنيوية فجزاؤه الذلة والصغار ونيل الدركات وإن كانت طلب نعيم الآخرة ورفعة الدرجات فجزاؤه الحرمان من الكمالات وكشف شواهد الحق تعالى وإن كانت التلذذ بفوائد العلوم واستحلاء المعاني المعقولة فجزاؤه الحرمان من كشوف العلوم والمعارف الربانية وإن كانت ببقاء الوجود فجزاؤه الحرمان من الفناء في الله والبقاء بالله بتجلي صفات الجمال والجلال انتهى كلامه قدس سره.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ ﴿٨٥﴾

﴿إن الذي﴾ أي: إن الله الذي ﴿فرض عليك القرآن﴾ أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به. ﴿لرادك﴾ أي: بعد الموت والرد الصرف والإرجاع ﴿إلى معاد﴾ أي: مرجع عظيم يغبطك به الأولون والآخرون وهو المقام المحمود الموعود ثواباً على إحسانك في العمل وتحمل هذه المشقات التي لا تحملها الجبال.

وقال الإمام الراغب في «المفردات»: الصحيح ما أشار به أمير المؤمنين وذكره ابن عباس رضي الله عنهما: أن ذلك الجنة التي خلقه الله تعالى فيها بالقوة في ظهر آدم وأظهره منه يقال: عاد فلان إلى كذا وإن لم يكن فيه سابقاً.

وأكثر أهل التفسير على أن المراد بالمعاد مكة تقول العرب رد فلان إلى معاده يعني إلى بلده لأنه يتصرف في الأرض ثم يعود إلى بلده والآية نزلت بالجحفة بتقديم الجيم المضمومة على الحاء الساكنة موضع بين مكة والمدينة وهو ميقات أهل الشام وعليه الميل الفناري في «تفسير الفاتحة». والمعنى لراجعك إلى مكان هو لعظمته أهل لأن يقصد العود إليه كل من

خرج منه وهو مكة المشرفة وطنك الدنيوي. وروي: أنه لما خرج رسول الله ﷺ من الغار مهاجراً إلى المدينة ومعه أبو بكر رضي الله عنه عدل عن الطريق مخافة الطلب فلما أمن رجع إلى الطريق ونزل الجحفة وكانت قرية جامعة على اثنين وثمانين ميلاً من مكة وكانت تسمى مهية فنزلها بنو عبيد وهم إخوة عاد وكان أخرجهم العماليق من يشرب فجاءهم سيل فأجحفهم، أي ذهب بهم فسميت جحفة فلما نزل اشتاق إلى مكة لأنها مولده وموطنه ومولد آبائه وبها عشيرته وحرم إبراهيم عليه السلام.

مشتاب ساريان كه مرا پاي دركلست بيروت شدن زمزل أصحاب مشكلست
چون عاقبت ز صحبت ياران بریدنست پیوند باکسي نکنند هرکه عاقلست
وقال:

فتنها دارانجمن پیدا شود از شور من چون مرادر خاطر آید مسکن وماوای دوست
فنزّل جبریل علیه السلام فقال له: أتشتاق إلى مكة قال: نعم.

ممکن نشد شرح دهم اشتیاق را

فأوحاها أي الآية إليه وبشره بالغلبة والظهور أي لرادك إلى مكة ظاهراً من غير خوف فلا تظن أنه يسلك به سبيل أبويك إبراهيم في هجرته من حران بلد الكفر إلى الأرض المقدسة فلم يعد إليها وإسماعيل من الأرض المقدسة إلى أقدس منها فلم يعد إليها. قال الحافظ:

سروش عالم غیبم بشارتی خوش داد که کس همیشه بکیتی درم نخواهد ماند
قال ابن عطاء رحمه الله: إن الذي يسر عليك القرآن قادر على أن يردك إلى وطنك الذي ظهرت منه حتى تشاهد شرك على دوام أوقاتك كما قال في «تأويلات الكاشفي»: [معاد فنا في الله است دراحدیت ذات وبقا بالله درمقام تحقق بجميع صفات وبرسالك متبصر انيجا سر منه بدا وإليه يعود روشن میگردد.

چون اوزبید این وآنرا ابتدا هم بدو بایدکه باشد انتها
نورها یی راکه کرداز حق طلوع جمله راهم سوی او باشد جوع
ثم قرر الوعد السابق فقال: ﴿قل ربي أعلم﴾ يعلم ﴿من جاء بالهدى﴾ وما يستحقه من الثواب في المعاد والنصرة في الدنيا ﴿ومن هو في ضلال مبين﴾ يريد به المشركين.

ودلت الآية على أن الله تعالى يفتح على المهتدي ويقهر الضال ولكل عسر يسر فسوف يراه من يصبر فلا ينبغي للعاقل أن ييأس من روح الله. روي: أن رجلاً ركب البحر فانكسرت السفينة فوقع في جزيرة فمكث ثلاثة أيام لا يرى أحداً ولم يذق شيئاً فتمثل بقوله:

إذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القير كاللبن الحليب
وصار البر مسكن كل حوت وصار البحر مرتع كل ذيب
فسمع هاتفاً يهتف:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفك عان ويأتي أهله الرجل الغريب
قال: فما لبث ساعة إلا فرج الله عنه.

وفي تفسير الآية إشارة إلى أن حب الوطن من الإيمان وكان عليه السلام يقول كثيراً الوطن الوطن فحقق الله سؤله يقال: الإبل تحن إلى أوطانها وإن كان عهداً بعيداً والطير إلى

وكره وإن كان موضعه مجدياً والإنسان إلى وطنه وإن كان غيره أكثر له نفعاً وقدم أصيل الغفاري على رسول الله ﷺ قبل أن يضرب الحجاب فقالت له عائشة رضي الله عنها: كيف تركت مكة؟ قال: اخضر نباتها ابيض بطحاؤها وأغدق إذخرها واث سملها فقال عليه السلام: «حسبك يا أصيل لا تحزني» قال عمر رضي الله عنه: لولا حب الوطن لخرب بلد السوء فبحب الأوطان عمرت البلدان.

واعلم أن الميل إلى الأوطان وإن كان لا ينقطع عن الجنان لكن يلزم للمرء أن يختار من البقاع أحسنها ديناً حتى يتعاون بالإخوان.

قيل لعيسى عليه السلام من نجالس يا روح الله قال: من يزيد في علمكم منطقته ويذكركم الله رؤيته ويرغبكم في الآخرة عمله. قال الشيخ سعدى قدس سره:

سعد يا حب وطن كرجه حديث است صحيح نتوان مرد بسختي كه من اينجا زادم
وقال الحافظ:

ديار يار مرد مرا مقيد ميكند ورنه

چه جاي فارس كين محنت جهان بكسر نمي
ازرد

والعاقل يختار الفراق عن الأحباب والأوطان ولا يجترىء على الفراق عن الملك الديان: لكل شيء إذا فارقتة عوض وليس لله إن فارقت من عوض
فاقطع الألفة عما سوى الله اختياراً قبل الانقطاع اضطراراً:

الفت ممكبر همجو ألف هيچ باكسى تابسته الم نشوى وقت انقطاع
ذو النون مصري قدس سره: [ميكويد روزي درائني سفر كه شهري رسيدم خواستم كه دراندرون شهر روم بردران شهر كوشكي ديدم وجوبي روان بنزيدك جوى رفتم وطهارت كردم چون چشم بربام كوشك افتاد كنيزكي را ديدم ايستاده درغابت حسن وجمال چون نظر او بمن افتاد كفت أي ذو النون من ترا از دور ديدم پنداشتم كه مجنوني وچون طهارت كردي تصور كردم عالمي وچون از طهارت فارغ شدي وپيش آمدي پنداشتم عارفي اكنون محقق شدم نه مجنوني نه عالمي ونه عارفي كفتم چرا كفت اكر ديوانه بودي طهارت نكردي واكر عالم بودي نظر بخانه بيكانه ونا محرم نكردي واكر عارف بودي دل تو بما سوى الله ماييل نبودي] كذا في جليس الخلوة وأنيس الوحدة.

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ۝۱۷﴾
وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝۱۸﴾

﴿وما كنت﴾ يا محمد ﴿ترجو أن يلقي إليك الكتاب﴾ أي يرسل وينزل كما تقول العجم خبر [بمن افكند] كما في «كشف الأسرار» والمعنى سيردك أي معادك كما ألقى إليك القرآن وما كنت ترجوه فهو تقرير للوعد السابق أيضاً ﴿إلا رحمة من ربك﴾ ولكن ألقاه إليك رحمة منه فاعمل به فلا استثناء منقطع.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وما كنت ترجو أن يلقي إليك الكتاب﴾ القرآن إلقاء الإكسير

على النحاس لتعديل جوهر نحاس أنانيتك بابرز هويته ما كان ذلك ﴿إلا رحمة من ربك﴾ اختصك بهذه الرحمة عن جميع الأنبياء لأن كتبهم أنزلت في الألواح والصحف على صورتهم وكتابك نزل به الروح الأمين على قلبك إلقاء كإلقاء الإكسير ﴿فلا تكونن ظهيراً﴾ [پشت ويار] ﴿للكافرين﴾ على ما كانوا عليه بل كن ظهيراً ومعيناً للمؤمنين.

﴿ولا يصدنك﴾ أي لا يصرفنك ويمنعنك الكافرون ﴿عن آيات الله﴾ أي عن قراءتها والعمل بها ﴿بعد إذ أنزلت﴾ تلك الآيات القرآنية ﴿إليك﴾ وقرئت عليك وذلك حين دعوه عليه السلام إلى دين آبائهم وتعظيم أوثانهم والموافقة إلى أباطيلهم. ﴿وادع﴾ الناس ﴿إلى ربك﴾ إلى عبادته وتوحيده ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ بمساعدتهم في الأمور.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ في الدعوة بأن تدعو طلاب الحق وعشاقه إلى الجنة والنعيم فادعهم إلى ربهم خالصاً عن شرك الجنة. وفي «فتح الرحمن» وجميع الآيات يتضمن المهادنة والمواعدة وهذا كله منسوخ بآية السيف انتهى.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْخُكْرُ وَإِلَيْهِ رُجْعُونَ﴾

﴿ولا تدع مع الله إلهاً آخر﴾: قال الكاشفي: [مخاطب درين آيات حضرت پیغمبر است ومرادامت اند وفائده خاب بآن حضرت قطع طمع مشرکانست از موافقت وی بایشان] وفيه إظهار أن المنهي عنه في القبح بحيث ينهي عنه من لا يمكن صدوره عنه أصلاً. ﴿لا إله إلا هو﴾ وحده. ﴿كل شيء﴾ من الإنسان والحيوان والجن والشيطان والملك والخور عين والجنة والنار والعرش والكرسي ونحوها. ﴿هالك﴾ الهلاك هنا بطلان الشيء من العالم وعدمه رأساً أي فإن باطل ومعدوم ولو لحظة. ﴿إلا وجهه﴾ إلا ذاته تعالى فإنه واجب الوجود وكل ما عداه ممكن في حد ذاته عرضة للهلاك والعدم والوجه يعبر به عن الذات.

وقال أبو العالية: كل شيء فإن إلا ما أريد به وجهه من الأعمال وفي الأثر: «يجاء بالدنيا يوم القيامة فيقال: ميزوا ما كان منها لله فيميز ما كان منها لله ثم يؤمر بسائرهما فيلقى في النار». وقال بعض أكابر العارفين: الضمير راجع إلى الشيء والمعنى كل شيء فإن في حد ذاته إلا وجهه الذي يلي جهته تعالى وذلك لأن الممكن له وجود ماهية عارضة على وجوده فماهيته أمر اعتباري معدوم في الخارج لا يقبل الوجود فيه من حيث هو هو وجوده موجود لا يقبل العدم من حيث هو هو كما قال بعضهم: الأعيان من حيث تعييناتها العدمية وهي الإمكان والحدوث راجعة إلى العدم وإن كانت باعتبار الحقيقة والتعينات الوجودية عين الوجود فإذا قرع سمعك من كلام العارفين أن عين المخلوق عدم والوجود كله لله فتلقي بالقبول فإنه يقول ذلك من هذه الجهة قال المغربي:

غير تونیست اماهستی همی نماید چون پیش چشم تشنه دربادیه سراپی

وقال المولى الجامي:

شهود یاردر اغیار مشرب جامیست کدام غیرکه لا شیء فی الوجود سواه

﴿له الحكم﴾ أي: القضاء النافذ في الخلق ﴿وإليه﴾ لا إلى غيره تعالى ﴿ترجعون﴾

تردون عند البعث للجزاء بالحق والعدل فمن كان رجوعه بالاضطرار وجد الجبار القهار فوفاه حسابه ومن كان رجوعه بالاختيار وجد العفو الغفار فأفرغ عليه ثوابه وذلك بالفناء قبل الفناء بإزالة حجاب التعین وإذابة أنانيات الوجود.

قال الشيخ سعدي:

اي برادر چو عاقبت خاکست خاک شوپیش ازانکه خاک شوی
[در شرح عوارف مذکور است که نکفت نهلك تامعلوم شودکه وجود همه اشیا در وجود
أو امروز هالك است وحواله مشاهده این حال بفردا درحق محجوبانست] ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ
بَعِيدًا ۝ وَرَأَوْهُ قَرِيبًا ۝﴾ [المعارج: ۷-۶]:

باوجودتو زمن راست نیایدکه منم

قال الشيخ أبو الحسن البكري قدس سره: استغفر الله مما سوى الله أي لأن الباطل يستغفر من إثبات وجوده لذاته والعارف لا ينظر إلى الوجود الموهوم فيفنيه بحقائق التوحيد ويتحقق بسر الوحدة الذاتية والهوية الإلهية.

قال في «كشف الأسرار»: [هو يك حرفست فرد إشارت فرا خداوند فردنه مست ونه صفت أما إشارتست فرا خداوندي كه اورا نامست وصفت وأن يك حرف هاست واقرار كاه نفس است نه بيني كه چون تشنه كني هما كويي نه هو ما تابداني كه آن خوديك حرفست تنها دليل برخداوند يكتا همه أسامى وصفات كه كويي از سرزبان كويي مكر هوكه آن ازميان جان برآيد از صميم سينه وقعر دل رود زبان ولب را باوي كاري نيست مردان راه دين وخداوندان عين اليقين كه دلهاء صافي دارند وهمتهاء عالي وسينهء خالي چون از قعر سينهء نبود خود حقيقت هويت بروي مكشوف إيشان اين كلمه سربرزند مقصودومفهوم إيشان جز حق جل جلاله نبود تاچنين جوانمردي نكدد آن عزيزي كه درراهي ميرفت درويشي پيش وي باز آمد وكفت از كجا مي آبي كفت هو كفت كجاميروي كفت هو كفت مقصودت چيست كفت هو از هرچه سؤال ميكردي مي كفت هو اين چنانست كه گفته اند].

از بس كه دويده درخيالت دارم درهرچه نكه كنم تويي پندارم
فلا معبود إلا هو كما للعابدين ولا مقصود إلا هو كما للعاشقين ولا موجود إلا هو كما
للمكاشفين الواجدين.

تمت سورة القصص بعون الله تعالى

في أواخر شهر ربيع الأول من سنة تسع ومائة وألف.

تسع وستون آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾.

﴿الم﴾ قال الكاشفي: [حروف مقطعة جهت تعجيز خلق است تاداندكه كسى را بحقائق اين كتاب راه نيست وعقل هيچ كامل از كنه معرفت اين كلام آگاه ني.

خرد عاجز وفهم دروي كم است

در حروف اول اين سورة گفته اند ألف اشارتست باسم الله ولا م بلطيف وميم بمجيد ميفرمايدكه الله منم روى بطاعت من آر لطيف منم إخلاص در عبادت فرومكذار مجيد منم بزرگي ديكران مسلم مدارا].

يقول الفقير: من لطفه الابتلاء لأنه لتخليص الجوهر من الكدورات الكونية وتصفية الباطن من العلائق الإمكانية. ومن مجده وعظمته خضع له كل شيء فلا يقدر أن يخرج عن دائرة التسخير ويمتنع عن قبول الابتلاء. وفي الألف إشارة أخرى وهي استغناؤه عن كل شيء واحتياج كل شيء إليه كاستغناء الألف عن الاتصال بالحروف واحتياج الحروف إلى الاتصال به.

﴿أحسب الناس﴾ الحسبان بالكسر الظن كما في «القاموس».

وقال في «المفردات»: الحسبان هو أن يحكم لأحد النقيضين أحدهما على الآخر.

نزلت في قوم من المؤمنين كانوا بمكة وكان الكفار من قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام فكانت صدورهم تضيق لذلك ويجزعون فتداركهم الله بالتسلية بهذه الآية.

قال ابن عطية: وهذه الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب في هذه الجماعة فهي في معناها باقية في أمة محمد موجود حكمها بقية الدهر والمعنى بالفارسية: [آيا پنداشتند مردمان يعني اين ظن منكر ومستبعد است] ﴿أَنْ يُتْرَكُوا﴾ أي يهملوا ساءَ مسدَ مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند إليه ﴿أَنْ﴾ أي لأن ﴿يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ﴾ أي والحال أنهم ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾ لا يمتحنون في دعواهم بما يظهرها ويشتتها أي أظنوا أنفسهم متروكين بلا فتنة وامتحان بمجرد أن يقولوا آمنا بالله يعني أن الله يمتحنهم بمشاق التكالييف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وأنواع المصائب في الأنفس والأموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليه عوالي الدرجات فإن مجرد الإيمان وإن كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب.

عاشقانرا درد دل بسيارمي بايدكشيد جوريان وطعنه اغيار مي بايدكشيد

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿أحسب الناس﴾ يعني: الناسين من أهل الغفلة والبطالة ﴿أن يتركوا أن يقولوا آمناً﴾ بالتقليد والجهالة بمجرد الدعوى دون المطالبة بالبلوى. ﴿وهم لا يفتنون﴾ بأنواع البلاء لتخليص إبريز الولاء فإن البلاء للولاء كاللهب للذهب وإن المحبة والمحنة توأمان فلا مميز بينهما إلا نقطة الباء وبه يشير إلى أن أهل المحبة إذا أوقعوا أنفسهم كنقطة الباء تحتها تواضعاً لله رفعهم الله كالنقطة فوق النون ومن تكبر وطلب الرفعة والعلو في الدنيا كالنقطة فوق النون وضعه الله بالذلة كالنقطة تحت الباء. وقيل: عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان فمن زاد قدر معناه زاد قدر بلواه كما قال عليه السلام: «يبتلى الرجل على حسب دينه» وقال: «البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل» فالعافية لمن لا يعرف قدرها كالداء والبلاء لمن يعرف قدره كالدواء فالبلاء على النفوس لإخراجها من أوطان الكسل وتصريفها في أحسن العمل والبلاء على القلوب لتصفيتها من شين الرين لقبول نقوش الغيوب والبلاء على الأرواح لتجردها بالبوائق عن العلائق والبلاء على الأسرار في اعتكافها في شاهد الكشف بالصبر على آثار التجلي إلى أن يصير مستهلكاً فيه باقياً به وإن أشد الفتن حفظ وجود التوحيد لئلا يجري عليه مكر في أوقات غلبات شواهد الحق فيظن أنه هو الحق ولا يدري أنه من الحق ولا يقال إنه الحق وعزيز من يهتدي إلى ذلك انتهى.

قال ابن عطاء: ظن الخلق أنهم يتركون مع دعاوى المحبة ولا يطالبون بحقائقها وحقائق المحبة هي صب البلاء على المحب وتلذذه بالبلاء فبلاء يلحق جسده وبلاء يلحق قلبه وبلاء يلحق سره وبلاء يلحق روحه وبلاء النفس في الظاهر الأمراض والمحن وفي الحقيقة منعها عن القيام بخدمة القوي العزيز بعد مخاطبته إياها بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وبلاء القلب تراكم الشوق ومراعاة ما يرد عليه في الوقت بعد الوقت من ربه والمحافظة على أقواله مع الحرمة والهيبة وبلاء السر هو المقام مع من لا مقام للخلق معه والرجوع إلى من لا وصول للخلق إليه وبلاء الروح الحصول في القبضة والابتلاء بالمشاهدة وهذا ما لا طاقة لأحد فيه. وفي «البستان» في حق العشق:

دمادم شراب ألم درکشند وکر تلخ بینند دم درکشند
بلای خمراست در عیش مل سلحدار خارست باشاه کل
نه تلخست صبری که بریاد اوست که تلخی شکر باشد از دست دوست
اسیرش نخواهد رهایی زبند شکارش نجوید خلاص از کمند

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٣﴾

﴿ولقد فتنا﴾ [وبدرستي] كه ما امتحان كردیم ودر فتنه انداختیم. ﴿الذين من قبلهم﴾ أي: من قبل الناس وهم هذه الأمة ومن قبلهم هم الأنبياء وأممهم الصالحون يعني أن ذلك سنة قديمة إلهية مبنية على الحكم والمصالح جارية في الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلافها وقد أصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو أشد مما أصاب هؤلاء فصبروا كما يعرب عنه قوله تعالى: ﴿وَكَايْنِ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ [آل عمران: ١٤٦] يعني: [أين صورت درهمه أُمم واقع بود و نقد دعوى هريك را برمحك بلا آزموده اند]. وفي الحديث: «كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فينفرك فرقتين ما يصرفه

ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظم ولحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ معنى علمه تعالى وهو عالم بذلك فيما لم يزل أن يعلمه موجوداً عند وجوده كما علمه قبل وجوده أنه يوجد. والمعنى فوالله ليتعلقن علمه تعالى بالامتحان تعلقاً حالياً يتميز به الذين صدقوا في الإيمان بالله والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب ويرتب عليه أجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل: المعنى ليميزن أو ليجازين يعني أن بعضهم فسر العلم بالتمييز والمجازاة على طريق إطلاق السبب وإرادة المسبب فإن المراد بالعلم تعلقه الحالي الذي هو سبب لهما.

قال ابن عطاء: تبين صدق العبد من كذبه في أوقات الرخاء والبلاء فمن شكر في أيام الرخاء وصبر في أيام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين.

در محبت هرکه او دعوی کند صدهزاران امتحان بروی زنند
کربود صادق کد بارجفا وپور کاذب کریزد از بلا
قيل:

آن بود دل که وقت بیچاپیچ اندر وجز خدا نیابی هیچ
وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن صدق الصادقين وكذب الكاذبين الذي عجن في تخمير طينتهم لا يظهر إلا إذا طرح في نار البلاء فإذا طرح فيها تصاعدت منها روائح الصبر وفوائح الشكر عن عود جوهر الصادقين أو بضده يصعد من الضجر وكفران النعمة وشق جوهر الكاذبين وأنهم في البلاء على ضروب منهم من يصبر في حال البلاء ويشكر في حال النعماء وهذه صفة الصادقين ومنهم من ضجر ولا يصبر في البلاء ولا يشكر في النعماء فهو من الكاذبين ومنهم من يؤثر في حال الرخاء ولا يستمتع بالعطاء ويستروح إلى البلاء فيستعذب مقاساة الضر والعناء وهذا أحد الكبراء انتهى.

واعلم أن البلاء كالملح يصلح وجود الإنسان بإذن الله تعالى كما أن الملح يصلح الطعام وإذا أحب الله عبداً جعله للبلاء غرضاً أي هدفاً وكل محنة مقدمة لراحة ولكل شدة نتيجة شريفة [أورده اندکه امیر نصر أحمد سامانی را معلمی بود که در آیام کودکی اُورا بسیار رنجانییدی و امیر نصر باخود عهد کرده بود که چون بزرگ شود و پادشاهی رسد ازو انتقام خواهد چون بزرگ شد و پادشاهی رسید روزی در اثنای فکر آن معلم را یاد آورد و خادمی را گفت برو اُورا حاضر کردن و از باغ چوبی چندان باخود بیار خادم برفت و باحضار اُو فرمان برد و معلم را دریافت و تاهر دوروانه شدند حاضر در راه چوب بود ببرد داشت اُو تحریک داد و روی بمعلم نهاد و گفت جای خود چون بینی معلم دست در آستین کرد و بهی بیرون آورد و گفت عمر امیر دراز باد این میوه باین لطیفی و آبداری ازان چوبست و چندین اخلاق حمیده و استعداد پادشاهی که حاصل فرموده است از خوردن آن چوب بوده است باقی فرمان امیر راست امیر نصر را این سخن خوش آمد و تشریف و نواخت بسیار ارزانی فرمود].

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفُتُوا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿١﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: الكفر والمعاصي فإن العمل يعم أفعال القلوب والجوارح. ﴿أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ أصل السبق التقدم في السير ثم تجور به في غيره من التقدم أي يفوتونا ويعجزونا فلا تقدر على مجازاتهم على مساوئهم وهو ساء مسد مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند إليه وأم منقطعة بمعنى بل والهمزة وبل ليس لإبطال السابق لأن إنكار الحسبان الأول ليس بباطل بل للانتقال من التوبيخ بإنكار حسبانهم متروكين غير مفتونين إلى التوبيخ بإنكار ما هو أبطل من الحسبان الأول وهو حسبانهم أن يجاوزوا بسيئاتهم وهم وإن لم يحسبوا أنهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا نفوسهم بذلك لكنهم حيث أصروا على المعاصي ولم يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من يحسب ذلك كما في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهمزة: ٣] ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: بنس الحكم الذي يحكمونه حكمهم ذلك فحذف المخصوص بالذم.

قال الكاشفي: [درفتوحات مذكور است كه آيا مي پندارند كنهكاران ماکه به سيئات خود بر مغفرت وشمول رحمت من سبقت كيرند اين حكم ناپسنديده است زيرا كه رحمت من سبقت گرفته است بر ذنوب ايشان كه موجب غضب باشد].

كر كنهانه تو از عدد پيش است سقت رحمتم ازان پيش است
﴿مَنْ﴾ [هر كه] ﴿كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ﴾ الرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة وتفسيره بالخوف لأن الرجاء والخوف متلازمان ولقاء الله عبارة عن القيامة وعن المصير إليه والمعنى يتوقع ملاقة جزائه ثواباً أو عقاباً فليستعد لأجل الله باختياره من الأعمال ما يؤدي إلى حسن الثواب واجتنابه عما يسوقه إلى سوء العذاب. ﴿فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ﴾ لأجل عبارة عن غاية زمان ممتد عينت لأمر من الأمور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والأول هو الأشهر في الاستعمال أي فإن الوقت الذي عينه تعالى لذلك. ﴿لَاتِ﴾ لا محالة وكائن البتة لأن أجزاء الزمان على الانقضاء والانصرام دائماً فلا بد من إتيان الوقت المعين وإتيانه موجب لإتيان اللقاء والجزاء. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال العباد ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم من الأعمال الظاهرة والباطنة فلا يفوته شيء ما فبادروا العمل قبل الفوت.

وفي «التأويلات النجمية»: من أمل الثواب يفتر من أعمال تورث العذاب ويعانق المجاهدات فإنها تورث المشاهدات من مضي عمره في رجاء لقائنا فسوف نبيح النظر إلى جمالنا.

عظمت همة عين طمعت في أن تراكا
أو ما يكفي لعين أن ترى من قد رآكا
﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأئين المشتاقين ﴿الْعَلِيمُ﴾ بحنين الواقفين الصادقين.

﴿وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

﴿وَمَنْ﴾ [ور هكه] ﴿جَاهَدْ﴾ نفسه بالصبر على طاعة الله وجاهد الكفار بالسيف وجاهد الشيطان بدفع وساوسه. والمجاهدة است فراغ الجهد بالضم أي الطاقة في مدافعة العدو ﴿فَإِنَّمَا يَجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن منفعتها عائدة إليها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ فلا حاجة به إلى طاعتهم ومجاهدتهم وإنما أمرهم بها رحمة عليهم لينالوا الثواب الجزيل كما قال: «خلقت الخلق

ليريحوا عليّ لا لأربح عليهم» فالعاملون هم الفقراء إلى الله والمحتاجون إليه في الدارين وهو مستغن عنهم .

بري ذاتش از تهمت ضد وجنس غني ملكش از طاعت جن وأنس
مر أورا سزد كبريا ومني كه ملكش قد يمست وذاتش غني
نه مستغني از طاعتش بشت كس نه بر حرف أو جاي انكشت كس

قال أبو العباس المشتهر بزروق في «شرح الأسماء الحسنى»: الغني هو الذي لا يحتاج إلى شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله إذ لا يلحقه نقض ولا يعتره عارض ومن عرف أنه الغني استغنى به عن كل شيء ورجع إليه بكل شيء وكان له بالافتقار في كل شيء وللتقرب بهذا الاسم تعلق بإظهار الفاقة وال فقر إليه أبداً .

قيل لأبي حفص: بماذا يلقي الفقير مولاه؟ فقال: فهل يلقي الغني إلا بالفقر قلت: يلقاه بفقره حتى من فقره وإلا فهو مستعد بفقره ولذلك قال ابن مشيش رحمه الله للشيخ أبي الحسن: لئن لقيته بفقرك لتلقينه بالاسم الأعظم وبتمام فقره له يصح غناه عن غيره فيكون متخلفاً بالغنى . وخاصة هذا الاسم وجود العافية في كل شيء فمن ذكره على مرض أو بلاء أذهب الله عنه وفيه سر للغني ومعنى الاسم الأعظم لمن استأهل به انتهى .

وفي «الأحياء» يستحب أن يقول بعد صلاة الجمعة: «اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود أغني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك» فيقال: من داوم على هذا الدعاء أغناه الله تعالى عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب .

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا كَافِلُونَ﴾

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن﴾ [هر آينه محو كنيم] ﴿عنهم سيئاتهم﴾ الكفر بالإيمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات وتكفير الاسم ستره وتغطيته حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل .

قال بعضهم: التكفير إذهاب السيئة وإبطالها بالحسنة وسترها وترك العقوبة عليها ﴿ولنجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾ أي أحسن جزاء أعمالهم بأن نعطي بواحد عشر أو أكثر لا جزاء أحسن أعمالهم فقط .

والعمل الصالح عندنا كل ما أمره الله فإنه صار صالحاً بأمره ولو نهى عنه لما كان صالحاً فليس الصلاح والفساد من لوازم الفعل في نفسه .

وقالت المعتزلة: ذلك من صفات الفعل ويترتب عليه الأمر والنهي فالصدق عمل صالح في نفسه يأمر الله تعالى به لذلك فعندنا الصلاح والفساد والحسن والقبح يترتب على الأمر والنهي وعندهم الأمر والنهي يترتب على الحسن والقبح .

واعلم أن كل ما يفعله الإنسان من الخير فالله يجازيه عليه ويجده عند الله حين يلقاه فممنفعة خيره تعود إلى نفسه وإن كان نفعه إلى الغير بحسب الظاهر .

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه: «يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما

علمت لوعده لوجدتني عنده. يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال: كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال: أما علمت أنه استطعمتك فلان فلم تطعنه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي. يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي».

قال بعضهم: كنت في طريق الحج فاعترض ثعبان أسود أمام القافلة فاتحاً فاه ومنع القوم من المرور فأخذت قربة ماء وسللت سيفي وتقدمت ووضعت فم القربة في فيه فشرب ثم غاب فلما حججت ورجعت إلى هذا المكان مع القافلة أخذني النوم وذهبت القافلة وبقيت متحيراً فإذا بناقة مع ناقتي وقفت بين يدي فقالت لي: قم واركب فركبت وأخذت ناقتي وقت السحر ولحقنا القافلة فأشارت إلي بالنزول فقلت: بالله الذي خلقك من أنت قالت: أنا الأسود المعترض أمام القافلة فأنت دفعت ضرورتي وأنا دفعت ضرورتك الآن هل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

بإحساني أسوده كردن دلي به از ألف ركعت بهر منزلي
كر از حق نه توفيق خيرى رسد كي از بنده خيرى بغيرى رسد
غم وشادمانى نماند وليك جزاي عمل ماند ونام نيك

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطَعَّهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكَمْ فَآئِنِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾ أي بإيتاء والديه وإيلائهما فعلاً ذا حسن أي أمرناه بأن يفعل بهما ما يحسن من المعاملات فإن وصى يجري مجرى أمر معنى وتصرفاً غير أنه يستعمل فيما كان في الأمور به نفع عائد إلى المأمور وغيره يقال: وصيت زيداً بعمرو أمرته بتعهده ومراعاته. والتوصية [وصيت كردن].

قال الراغب: الوصية التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترباً بوعظ. ﴿وإن جاهداك﴾ أي وقلنا له إن جاهداك. يعني: [اكر كوشش نمايد والدين وچنگ وجدل كنند بتو] وإن كان معنى وصينا وقلنا له افعل بهما حسناً فلا يضر القول هنا. ﴿لتشرك بي﴾ [تاشرك آوري بمن وانباز كيري] ﴿ما ليس لك به﴾ أي بالهيته على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ﴿علم﴾ عبر عن نفى الإلهية بنفى العلم بها للإيدان بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وإن لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه. ﴿فلا تطعهما﴾ في ذلك فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق كما ورد في الحديث ويدخل فيه الأستاذ والأمير إذا أمراً بغير معروف وهو ما أنكره الشارع عليه ﴿إلني مرجعكم﴾ مرجع من آمن منكم ومن أشرك ومن بر بوالديه ومن عك. ﴿فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ عبر عن إظهاره بالتنبيه لما بينهما من الملاسة فإنهما سببان للعلم أي أظهر لكم على رؤوس الأشهاد وأعلمكم أي شيء كنتم تفعلون في الدنيا على الاستمرار وأرتب عليه جزاءه اللائق به ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين﴾ أي في زمرة الراسخين في الصلاح ولنحشرنهم معهم وهم الأنبياء والأولياء وكل من صلحت سريرته مع الله والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين وغاية مأمول الأنبياء والمرسلين. روي: أن سعد بن مالك وهو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من السابقين الأولين لما أسلم أو حين

هاجر كما في «التكملة» قالت له أمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية: يا سعد ما هذا الذي قد أحدثت لتدعن دينك أو لا انتقل من الضح إلى الظل ولا أكل ولا أشرب حتى أموت فعير بي فيقال: يا قاتل أمه فلبثت ثلاثة أيام كذلك حتى جهدت أي وقعت في الجهد والمشقة بسبب الجوع فقال سعد: والله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما كفرت فكلي وإن شئت فلا تأكلي فلما رأت ذلك أكلت فأمره الله تعالى أن يحسن إليها ويقوم بأمرها ويسترضيها فيما ليس بشرك ومعصية ويعرض عنها ويخالف قولها فيما أنكره الشارع. قال الشيخ سعدي قدس سره:

چون نبود خویش را دیانت و تقوی قطع رحم بهتر از مودت قریبی
وفي «هدية المهديين»: يجب على المرء نفقة الأبوين الكافرين وخدمتهما وزيارتهم وإن خاف من أن يجلباه إلى الكفر ترك زيارتهما ويقود بهما زوجته لو كان كل منهما فاقد البصر من البيعة إلى البيعة لا العكس لأن الذهاب إليها معصية وإلى البيت لا ومنه يعلم أن الذمي إذا سأل مسلماً عن طريق البيعة لا يدلّه عليه.

سئل إبراهيم بن أدهم رحمه الله عن طريق بيت السلطان فأرشده إلى المقابر فضربه الجندي وشجه ثم عرفه واستغفاه فقال: كنت عفوت عنك في أول ضربة وقلت: اضرب رأساً ظالماً عصى الله كذا في «البزازية».

قال الإمام الغزالي رحمه الله: أكثر العلماء على أن طاعة الوالدين واجبة في الشبهات ولم تجب في الحرم المحض لأن ترك الشبهة ورع ورضى الوالدين حتم أي واجب. ويجب إذا كان في صلاة النافلة دعاء أمه دون دعوة أبيه أي يقطع صلاته ويقول لبيك مثلاً.

وقال الطحاوي: مصلي النافلة إذا ناداه أحد أبويه إن علم أنه في الصلاة وناداه لا بأس بأن لا يجيبه وإن لم يعلم يجيبه وأما مصلي الفريضة إذا دعاه أحد أبويه لا يجيبه ما لم يفرغ من صلاته إلا إن يستغيثه لشيء لأن قطع الصلاة لا يجوز إلا لضرورة وكذلك الأجنبي إذا خاف أن يسقط من سطح أو تحرقه النار أو غرق في الماء وجب عليه أن يقطع الصلاة وإن كان في الفريضة وكذا لو قال له كافر: أعرض علي الإسلام أو سرق منه الدراهم أو فارت قدرها أو خافت على ولدها الفرض والنفل فيه سواء كما في «البزازية».

قال في «شرح التحفة»: لا يفطر في النافلة بعد الزوال إلا إذا كان في ترك الإفطار عقوق الوالدين ولا يتركهما لغزو أو حج أو طلب علم نفل فإن خدمتهما أفضل من ذلك وفي الخبر: «يسأل الولد عن الصلاة ثم عن حق الوالدين وتسأل المرأة عن الصلاة ثم عن حق الزوج ويسأل العبد عن الصلاة ثم عن حق المولى فإن أجاب تجاوز عن موقفه إلى موقف آخر من المواقف الخمسين وإلا عذب في كل موقف ألف سنة ودعاء الوالدين على الولد لا يرد» وقوله عليه السلام: «دعاء المرء على محبوبه خير بالنسبة إلى غيرهما» كما في «المقاصد الحسنة».

سأل الزمخشري بعض العلماء عن سبب قطع رجله قال: أمسكت عصفوراً في صباي وربطته بخيط في رجله وأفلت من يدي ودخل في خرق فجذبتّه فانقطعت رجله فتأملت والدتي وقالت: قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله فلما رحلت إلى بخارى لطلب العلم سقطت من الدابة فانكسرت رجلي وقيل: أصابه البرد في الطريق فسقطت رجله وكان يمشي بخشب كذا في «روضة الأخبار».

ويجب على الأبوين أن لا يحملوا الولد على العقوق بسبب الجفاء وسوء المعاملة ويعيناه

على البر. فمن البر وهما حيان أن ينفق عليهما ويمثل أمرهما في الأمور المشروعة ويجامل في معاملتهما. ومن البر بعد موتهما التصديق لهما وزيارة قبرهما في كل جمعة والدعاء لهما في أدبار الصلاة وتنفيذ عهودهما ووصاياهما ونحو ذلك.

وفي «التأويلات»: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾ يشير إلى تعظيم الحق تعالى وعظم شأنه وعزة الأنبياء وإعزازهم وعرفان قدر المشايخ وإكرامهم لأن الأمر برعاية حق الوالدين لمعنيين أحدهما أنهما كانا سبب وجود الولد والثاني أن لهما حق التربية فكل المعنيين في إنعام الحق تعالى على العباد حاصل بأعظم وجه وأجل حق منهما لأن حقهما كان مشوباً بحظ نفسيهما وحق الحق تعالى منزّه عن الشوب وإنهما وإن كانا سبب وجود الولد لم يكونا مستقلين بالسببية بغير الحق تعالى وإرادته لأنهما كانا في السببية محتاجين إلى مشيئته وإرادته بأن يجعلهما سبباً لوجود الولد فإن الولد لا يحصل بمجرد تسببهما بالنكاح بل يحصل بموهبة الله تعالى كما قال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَنَهَبَ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾ [الشورى: ٤٩] الآية فالسبب الحقيقي في إيجاد الولد هو الله تعالى فإن شاء يوجده بواسطة تسبب الوالدين وإن شاء بغير تسببهما كإيجاد آدم عليه السلام وأما التربية فنسبتها إلى الله تعالى حقيقة فإنه رب كل شيء ومربيه وإلى الوالدين مجازيه لأن صورة التربية إليهما وحقيقة التربية إلى الله تعالى كما ربي نطف الولد في الرحم حتى جعله علقه ثم مضغة ثم عظاماً ثم كساه اللحم ثم أنشأ خلقاً آخر فالله تبارك وتعالى أعظم قدراً في رعاية حقوقه بالعبودية من رعاية حق الوالدين لإحسان وإن الواجب على العبد أن يخرج من عهدة حق العبودية بالإخلاص أولاً ثم يحسن بالوالدين كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣] وأما النبي والشيخ فكانا سبب الولادة الثانية بإلقاء نطفة النبوة والولاية في رحم قلب الأمة والمريد وتربيتها إلى أن يولد الولد عن رحم القلب في عالم الملكوت كما أخبر النبي عليه السلام رواية عن عيسى عليه السلام أنه قال: «لن يلج ملكوت السموات والأرض إلا من يولد مرتين» وكانا سبب ولادته في عالم الأرواح وأعلى عليين القرب والولدان كانا سبب ولادته في عالم الأشباح وأسفل سافلين البعد ولهذا السر كان يقول النبي ﷺ: «إنما أنا لكم كالوالد لولده» وقد كانت أزواجه أمهات للأمة وقد قال عليه السلام: «الشيخ في قومه كالنبي في أمته» ولما كان الله تعالى في الإحسان العميم بالعبد والامتنان القديم الذي خصه به قبل وبعد أحق وأولى برعاية حقوقه عن والديه قال تعالى: ﴿وإن جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾ وفيه إشارة إلى أن المريد الصادق والطالب العاشق إذا تنسك بذيل إرادة شيخ كامل ودليل واصل بصدق الإرادة وعشق الطلب بعد خروجه عن الدنيا نركها بالكلية عن جاهها ومالها وقد سعى بقدر الوسع في قطع تعلقات تمنعه عن السير إلى الله متجهاً إلى الحضرة بعزيمة كعزيمة الرجال فإن كان له الولدان وهما بمعزل عما يهيجه من البسوق والمحبة فهما بجهلهما عن حال الولد يمنعان عن صحبة الشيخ وطلب الحق بالإعراض ويقبلان به إلى الدنيا ويرغبانه في طلب جاهها ومالها ويحثان على التزويج في غير أوانه فالأرجح على المريد أن لا يطيعهما في شيء من ذلك فإن ذلك بالكلية طاغوت وقته وعليه أن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ليستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها وهما يجاهدانه على أن يشرك بالله لجهلهما بحاله وحال أنفسهما وأنه يريد أن يخرج عن عهدة العبودية الخالصة لربه كما قضى ربه أن لا يعبد إلا إياه ولا يعبد ما دونه من الدنيا

والآخرة وما فيهما وما يعلمان أنهما من عبدة الهوى وأنهما يدعوانه إلى عبادة غير الله فالواجب عليه أن لا يطيعهما في ذلك ولكن عليه أن يردهما باللطف ولا يزجرهما بالعنف إلى أن يخرج عن عهده ما قضى ربه من العبودية بالإخلاص ثم الواجب عليه أن يحسن إليهما ويسمع كلامهما ويطيعهما فيما لا يقطعه عن الله على وفق أمره ثم أوعد الجميع بالمرجع إليه فقال: ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ﴾ أيها الولد والولدان ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من العبادة الخالصة لله ومن عبادة الهوى على لسان جزائكم ليقول لكم: إن مرجع عبدة الهوى الهاوية.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بمحبة الحق ﴿وَوُكِّلَ لَهُمْ بَأْسٌ﴾ طلبوه بأن ﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي أعمالاً تصلح للسير إلى الله والوصول إلى حضرة جلاله ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ أي نجعل مدخلهم مقام الأنبياء والأولياء بجذبات العناية تفهم إن شاء الله تعالى وتؤمن به.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَذَّابٌ إِلَهُ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿ومن الناس﴾ مبتدأ باعتبار مضمونه أي وبعض الناس والخبر قوله: ﴿من يقول آمنا بالله فإذا أُوذِيَ في الله﴾ أي في شأنه تعالى بأن عذبهم الكفرة على الإيمان وهو مجهول أذى يؤذي أذى وأذية ولا تقل إيذاء كما في «القاموس» والأذى ما يصل إلى الإنسان من ضرر إما في نفسه أو في جسمه أو في قنياته دنيوياً كان أو أخروياً ﴿جعل فتنة الناس﴾ أي ما يصيبه من أذيتهم والفتنة الامتحان والاختبار تقول: فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتظهر جودته من رداءته وأطلقت على المحنة لأنها سبب نقادة القلب ﴿كعذاب الله﴾ في الآخرة في الشدة والهوى ويستولي عليه خوف البشرية إذ من لم يكن في حماية خوف الله وخشيته يفترسه خوف الحق فيساوي بين العذابين فيخاف العاجل الذي هو ساعة ويهمل الآجل الذي هو باق لا ينقطع فيرتد عن الدين ولو علم شدة عذاب الله وأن لا قدر لعذاب الناس عند عذابه تعالى لما ارتد ولو قطع إرباً إرباً ولما خاف من الناس ومن عذابهم وفي الحديث: «من خاف الله خُوفَ الله منه كل شيء ومن لم يخف الله يخوفه من كل شيء».

وقال بعضهم: جعل فتنة الناس في الصرف عن الإيمان كعذاب الله في الصرف عن الكفر. يعني: [ترك إيمان كند از خوف عذاب خلق چنانكه ترك كفری باید کرد از خوف خدای تعالی]. ﴿ولئن جاء نصر من ربك﴾ أي فتح وغنيمة للمؤمنين فالآية مدنية. ﴿ليقولن﴾ بضم اللام نظراً إلى معنى من كما أن الأفراد فيما سبق بالنظر إلى لفظها. ﴿إنا كنا معكم﴾ أي: متابعين لكم في الدين فأشركونا في المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا إذا مسهم أذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونهم من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله: ﴿أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ أي بأعلم منهم بما في صدورهم من الإخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والإخفاء وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة. وبالفارسية [آيانیست خدای تعالی داناتر از همه دانایان بآنچه در سینه عالمیانست از صفای إخلاص وكدورت نفاق].

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾

﴿وليعلن الله الذين آمنوا﴾ بالإخلاص ﴿وليعلن المنافقين﴾ سواء كان نفاقهم بأذية الكفرة أو لا أي ليجزيهم على الإيمان والنفاق فإن المراد تعلق علمه تعالى بالامتحان تعلقاً

حالياً يبتنى عليه الجزء كما سبق فجوهر الإيمان والنفاق المودع في القلب إنما يظهر بالصبر أو بالتزلزل عند البلاء والمحنة كما أن عيار النقيدين يظهر بالنار .

بشكل وهيأت إنسان زره مرورنهار توان بصبر وتحمل شناخت جوهر مرد
اكرنه پاك بود ازيلانخواهد جست وكردر أصل بود پاك صبر خواهد كرد
وفي الآية تنبيه لكل مسلم أن يصبر على الأذى في الله .

وحقيقة الإيمان نور إذا دخل قلب المؤمن لا تخرجه أذية الخلق بل يزيد بالصبر على أذاهم والتوكل على الله فإنه نور حقيقي أصلي ذاته لا يتكدر بالعوارض كنور الشمس والقمر فإنهما إذا طلعا يزداد نورهما بالارتفاع ولا يقدر أحد أن يطفىء نورهما وكنور الحجر الشفاف المضيء بالليل فإنه لا يقبل الانطفاء مثل الشمعة لأن نوره أصلي ونور الشمعة عارضي ثم إن في المحن والأذى تفاوتاً فمن كانت محنته بموت قريب من الناس أو فقد حبيب من الخلق أو نحوه فقير قدره وكثير من الناس مثله ومن كان محنته لله وفي الله تعزيز قدره وقليل مثله وقد كانت كفار مكة يؤذون النبي عليه الصلاة والسلام بأنواع الأذى فيصبر وقد قال : «ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت» أي ما صفى نبي مثل ما صفيت لأن الأذى سبب لصفوة الباطن ويقدر الوقوف في البلاء تظهر جواهر الرجال وتصفو من الكدر مرآتي قلوبهم ألا ترى إلى أيوب عليه السلام حيث خلص له جوهر نعم العبدية عن معدن الإنسانية مدة أيام البلاء والصبر عليه وكذا كانوا يؤذون الأصحاب رضي الله عنهم تؤذي كل قبيلة من أسلم منها وتعذبه وتفتنه عن دينه وذلك بالحبس والضرب والجوع والعطش وغير ذلك حتى إن الواحد منهم ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضرب الذي به وكان أبو جهل ومن يتابعه يحرض على الأذى وكان إذا سمع بأن رجلاً أسلم له شرف ومنعة جاء إليه ووبخه وقال له : ليغلبن رأيك وليضعفن شرفك وإن كان تاجراً قال : والله لتكسدن تجارتك ويهلك مالك وإن كان ضعيفاً حرض على أذاه حتى إن بعض الضعفاء فتن عن دينه ورجع إلى الشرك نعوذ بالله تعالى وكان بلال رضي الله عنه ممن يعذب في الله ولا يقول إلا : أحد أحد أي الله لا شريك له وهكذا الأقوياء من أهل السعادة ثبتوا على دينهم واختاروا عذاب الدنيا وفصوحها على عذاب الآخرة وفصوحها فإن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا أضعافاً كثيرة ويدل عليه النار فإنها جزء من الأجزاء السبعين لنار الآخرة وهي بهذه الحرارة في الدنيا مع ما غسلت في بعض أنهار الجنة .

قال الواسطي رحمه الله : لا يؤذي فيها إلا الأنبياء وخواص الأولياء وأكابر العباد فالصبر لازم في موطن الأذى والملام . قال المولى الجامي :

عاشق ثابت قدم آنكس بودكر كوي دوست . رونكرداند اكر شمشير بارد بر شرس .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ اللام للتبليغ ، أي قال كفار مكة مخاطبين للمؤمنين استمالة ليرتدوا : ﴿اتبعوا سبيلنا﴾ أي : اسلكوا طريقتنا التي نسلكها في الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المشي خلف ماش آخر تنزيلاً للمسلك منزلة السالك فيه . ﴿ولنحمل

خطاياكم﴾ أي إن كان لكم خطيئة تؤاخذون عليها وإن كان بعث ومؤاخذة كما تقولون أي لا بعث ولا مؤاخذة وإن وقع فرضاً نحمل آثامكم عنكم وهي جمع خطيئة من الخطأ وهو العدول عن الجهة فرد الله عليهم بقوله: ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء﴾ أي والحال أنهم ليسوا بحاملين شيئاً من خطاياهم التي التزموا أن يحملوها كلها على أن من الأولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق.

﴿إنهم لكاذبون﴾ في دعوى الحمل بأنهم قادرون على إنجاز ما وعدوا.

﴿وليحملن﴾ أي: هؤلاء القائلون ﴿أثقالهم﴾ أي ذنوبهم التي عملوها وذلك يوم القيامة جمع ثقل بالكسر وسكون القاف كحمل وأحمال والثقل والخفة متقابلان وكل ما يترجح على ما يوزن به أو يقدر به يقال: هو ثقیل وأصله في الأجسام ثم يقال في المعاني: أثقله الغرم والوزر.

قال الراغب أثقالهم أي آثامهم التي تنقلهم وتثبطهم عن الثواب. ﴿وأثقالا﴾ آخر ﴿مع أثقالهم﴾ وهي أثقال الإضلال فيعذبون بضلال أنفسهم وإضلال غيرهم من أن ينقص من أثقال من أضلوه شيء ما أصلاً فتكون أثقال المضلين زائدة على أثقال الضالين لأن من دعا إلى ضلالة فاتبع فعليه حمل أوزار الذين اتبعوه وكذا من سنّ سنة سيئة كما ورد في الحديث: وفي «المثنوي»:

هرکه بنهد سنت بد أي فتی تا در افتد بعد او خلق از عمی

جمع كرد بر روی آن جمله بزه کوسری بودست وایشان دم غزه

﴿وليسألن يوم القيامة﴾ سؤال تقريع وتبكيث لم فعلوه ولأي حجة ارتكبه ﴿عما كانوا يفترون﴾ أي يختلقونه في الدنيا من الأكاذيب والأباطيل التي أضلوا بها ومن جملتها كذبهم هذا ويدخل في هذا بعض الجهلة حيث يقول لمثله: افعل هذا وإثمه في عنقي ثم التعبير عن الخطايا بالأثقال للإيدان بغاية ثقلها. قال الشيخ سعدي قدس يره:

مرو زیر بارکنه أي پسر که حمال عاجز بود در سفر

يعني أن الحمال يعجز عن حمل الثقل خصوصاً إذا كان المنزل بعيداً وفي الطريق عقبات. ثم إن الخطايا على تفاوت في الثقل وفي الخبر: «التهمة على البريء أثقل من سبع سماوات وسبع أرضين وأثقل من جميع الموجودات» جبل الوجود والأنانيات كما ورد: «وجودك ذنب لا يقاس عليه ذنب آخر».

جمعست خیرها همه در خانه و نیست آن خانه را کلید بغیر از فروتنی

شرها بدین قیاس بیکخانه داست جمع وانرا کلید نیست بجزمائی ومنی

وكما أن عذاب الإضلال والحمل على الكفر والمعاصي أشد فكذا عذاب إفساد استعداد الغير وحمله على الإنكار ومنعه عن سلوك طريق الحق ومثل هذا الإفساد أشد من الزنى لأن في الزنى يهلك الولد الصوري لبقائه بلا والد وفي الإفساد يهلك الولد المعنوي لبقائه بلا فيض وفساد المعنى أشد من فساد الصورة.

ففي الآية إشارة إلى حال أرباب الإلحاد والدعوى مع من يتبعهم ممن لا يفرق بين الفساد والصلاح والبقاء والهلاك اللهم اجعلنا من الثابتين على الطريق القويم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٤).

﴿ولقد أرسلنا﴾ للدعوة إلى التوحيد وطريق الحق من قبل إرسالنا إياك يا محمد ﴿نوحاً﴾ واسمه عبد الغفار كما ذكره السهيلي رحمه الله في كتاب «التعريف» والشاكر كما ذكره أبو الليث في «البستان». وسمي نوحاً لكثرة نوحه وبكائه من خوف الله ولد بعد مضي ألف وستمائة واثنين وأربعين سنة من هبوط آدم عليه السلام وبعث عند الأربعين. ﴿إلى قومه﴾ وهم أهل الدنيا كلها. والفرق بين عموم رسالته وبين عموم رسالة نبينا عليه السلام أن نبينا عليه السلام مبعوث إلى من في زمانه وإلى من بعده إلى يوم القيامة بخلاف نوح فإنه مرسل إلى جميع أهل الأرض في زمانه لا بعده كما في «إنسان العيون» وهو أول نبي بعث إلى عبدة الأصنام لأن عبادة الأصنام أول ما حدثت في قومه فأرسله الله إليهم ينهاهم عن ذلك وأيضاً أول نبي بعث إلى الأقارب والأجانب وأما آدم فأول رسول الله إلى أولاده بالإيمان به وتعليم شرائعه وهو أي نوح عليه السلام أبونا الأصغر وقبره برك بك بالفتح من أرض الشام كما في «فتح الرحمن».

﴿فلبث فيهم﴾ بعد الإرسال ولبت بالمكان أقام به ملازماً له ﴿ألف سنة﴾ الألف العدد المخصوص سمي بذلك لكون الأعداد فيه مؤلفة فإن الأعداد أربعة أحاد وعشرات ومئون وألوف فإذا بلغ الألف فقد ائتلف وما بعده ويكون مكرراً قال بعضهم: الألف من ذلك لأنه مبدأ النظام والسنة أصلها سنة لقولهم سانهت فلاناً أي عامته سنة فسنة وقيل: أصلها من الواو لقولهم سنوات والهاء للوقف. ﴿إلا خمسين عاماً﴾ العام كالسنة لكن كثيراً ما تستعمل السنة في الحول الذي فيه الشدة والجذب ولهذا يعبر عن الجذب بالسنة والعام فيما فيه الرخاء وفي كون المستثنى منه بالسنة والمستثنى بالعام لطيفة، وهي أن نوحاً عاش بعد إغراق قومه ستين سنة في طيب زمان وصفاء عيش وراحة بال وقيل: سمي السنة عاماً لعموم الشمس في جميع بروجها والعموم السباحة ويدل على معنى العموم قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَكٍّ يَسْخُونُ﴾ [يس: ٤٠]. ومعنى الآية فبث بين أظهرهم تسعمائة وخمسين عاماً يخوفهم من عذاب الله ولا يلتفتون إليه وإنما ذكر الألف تخيلاً لطول المدة إلى السامع أي ليكون أفخم في أذنه ثم أخرج منها الخمسون إيضاحاً لمجموع العدد فإن المقصود من القصة تسلية رسول الله ﷺ وتثبيتته على ما يكابد من الكفرة. يعني: [إيراد قصه] نوح بجهت تسليته سيد أنام است وتثبيت بركشيدن اذى از قوم وتهديد يكزبان بذكر طوفان يعني نوح نهصد وپنجاه سال جفاي قوم كشيد وهمچنان دعوت ميفرمود وكسى نمي كرويد] إلا القليل الذين ذكرهم في قوله: ﴿وَمَا أَمْنٌ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠] فأذن له في الدعاء فدعا عليهم بالهلاك. ﴿فأخذهم الطوفان﴾. أي: عقيب تمام المدة المذكورة فغرق من في الدنيا كلها من الكفار. والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشيء ويحيط به على كثرة وشدة وغلبة من السيل والريح والظلام والقتل والموت والطاعون والجذري والحصبة والمجاعة وقد غلب على طوفان الماء وقد طاف الماء ذلك اليوم بجميع الأرض. ﴿وهم ظالمون﴾ أي: والجال أنهم مستمررون على الظلم والكفر لم يستمعوا إلى داعي الحق هذه المدة المتبادية.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٥).

﴿فأنجيناه﴾ أي نوحاً من الغرق والابتلاء بمشاق الكفرة ﴿وأصحاب السفينة﴾ أي: ومن

ركب معه فيها من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين ذكوراً وإناثاً.

قال الكاشفي: يعني: [هرکه باوي بود از مؤمنان وهرچه در سفینه بود از انواع جانوران] والسفينة من سفنه يسفنه قشره ونحته كأنها تسفن الماء أي تقشره فهي فعيلة بمعنى فاعلة ﴿وجعلناها﴾ أي: السفينة أو القصة. ﴿آية للعالمين﴾ أي: عبرة لمن بعدهم من الأهالي يتعظون بها أو دلالة يستدلون بها على قدرة الله.

قال أبو الليث في «تفسيره»: وقد بقيت السفينة على الجودي إلى قريب من وقت خروج النبي عليه السلام وبين الطوفان والهجرة الشريفة ثلاثة آلاف وتسعمائة وأربع وسبعون سنة على ما في «فتح الرحمن» وكان ذلك علامة وعبرة لمن رآها ولمن لم يرها لأن الخبر قد بلغه.

وقال بعضهم: سفينة نوح أول سفينة في الدنيا فأبقيت السفن آية وعبرة للخلائق وعلامة من سفينة نوح وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَكَّيْنَاهَا آيَةً﴾ [القمر: ١٥]. روي: أن نوحاً بعث على رأس الأربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين عاماً وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وذلك من أولاده حام وسام وياث لأنهم لما خرجوا من السفينة ماتوا كلهم إلا أولاد نوح كما في «البستان» فيكون عمره ألفاً وخمسين عاماً وهو أول الأنبياء عمراً ومن ذلك قيل له: كبير الأنبياء وشيخ المرسلين وهو أول من تنشق عنه الأرض بعد نبينا عليه السلام.

قال الكاشفي: [ملك الموت بوقت قبض روح أزوی پرسیدکه ای دراز ترین پیغمبران از جهت عمر دنیارا چون یافتی فرمودکه یا فتم ما نند خانه که دودر داشته باشد از یکی در آیند واز دیگری بیرون روند].

کر عمر تو عمر نوح ولقمان باشد آخر بروی چنانکه فرمان باشد
در بودن دنیا و برون رفتن ازو یکروز و هزار سال یکسان باشد
قيل:

ألا إنما الدنيا كظلم سحابة أظلمت يوماً ثم عنك اضمحلت
فلا تك فرحاناً بها حين أقبلت ولا تك جزعاناً بها حين ولت
قال الحسن: أفضل الناس ثواباً يوم القيامة المؤمن المعمر.

وعن عبيد بن خالد رضي الله عنه أن النبي عليه السلام أخى بين الرجلين فقتل أحدهما في سبيل الله ثم مات الآخر بعده بجمعة أو نحوها فصلوا عليه فقال عليه السلام: «ما قلت» قالوا: دعونا الله أن يغفر له ويرحمه ويلحقه بصاحبه فقال عليه السلام: «فأين صلاته بعد صلاته وعمله بعد عمله» أو قال: «صيامه بعد صيامه لما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض» فطوبى لمن طال عمره وحسن عمله والفيض الحاصل للأمة المتقدمة في المدة المتطاولة حاصل لهذه الأمة في المدة القصيرة لكمال الاستعداد الفطري فلا ينبغي للمرء أن يتمنى أعمال القرون الأولى فإن السبعين عمر طويل والمائة أطول بل يتمنى كثرة المدد والخلاص من يد النفس الأمارة فإنه إذا لم تصلح النفس فلا يغنى طول العمر عن قهر الله شيئاً وصلاحها باستعمال أحكام الشريعة التي أشارت إليها السفينة فكما أن السفينة تنجي راكبها فكذا الشريعة تنجي عاملها وهي دلالة للناس إلى يوم القيامة تدل بظاهرها إلى طريق الجنة وبباطنها إلى طرق القرية والوصلة فبعبارتها نور وإشارتها سرور وأهل الإشارة مقربون والمتقربون إليهم متخلصون. قال الحافظ:

يار مردان خدا باش که درکشتی نوح هست خاکی که بآبی نخرد طوفانرا

فليجد من وقع في طوفان نفسه حتى يجد الخلاص وإليه الملجأ والمناص.

﴿وَأَيُّهِمْ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿وإبراهيم﴾ نصب بالعطف على نوحاً أي ولقد أرسلنا إبراهيم أيضاً من قبل إرسالنا إياك يا محمد ﴿إذ قال﴾ نصب باذكر المقدر هكذا ألهمت أي اذكر لقومك وقت قوله: ﴿لقومه﴾ وهم أهل بابل ومنهم نمروذ. ﴿اعبدوا الله﴾ وحده ﴿واتقوه﴾ أن تشركوا به شيئاً ﴿ذلكم﴾ أي ما ذكر من العبادة والتقوى ﴿خير لكم﴾ مما أنتم عليه من الكفر ومعنى التفضيل مع أنه لا خير فيه قطعاً باعتبار زعمهم الباطل. ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أي: الخير والشر وتميزون أحدهما عن الآخر ﴿إنما تعبدون من دون الله أوثاناً﴾ هي في نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك جمع وثن.

قال بعضهم: الصنم هو الذي يؤلف من شجر أو ذهب أو فضة في صورة إنسان والوثن هو الذي ليس كذلك بل كان تأليفه من حجارة وفي غير صورة الإنسان. ﴿وتخلقون إفكاً﴾. قال الراغب: الخلق لا يستعمل في كافة الناس إلا على وجهين أحدهما في معنى التقدير والثاني في الكذب انتهى يقال: خلق واختلق أي افترى لساناً أو يداً كنحت الأصنام كما في «كشف الأسرار». والإفك أسوأ الكذب وسمي الإفك كذباً لأنه مأفوك أي مصروف عن وجهه. والمعنى وتكذبون كذباً حيث تسمونها آلهة وتدعون أنها شفعاؤكم عند الله وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث أنه زور وباطل ثم استدلال على شرارة ذلك من حيث أنه لا يجدي بباطل فقال: ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً﴾ يقال: ملكت الشيء إذا قدرت عليه ومنه قول موسى: لا أملك إلا نفسي وأخي، أي لا أقدر إلا على نفسي وأخي ورزقاً مصدر وتنكيره للتقليل. والمعنى لا يقدر على أن يرزقكم شيئاً من الرزق. ﴿فابتنوا﴾ فاطلبوا ﴿عند الله الرزق﴾ كله فإنه القادر على إيصال الرزق. ﴿واعبدوه﴾ وحده ﴿واشكروا له﴾ على نعمائه متوسلين إلى مطالبكم بعبادته مقيدين للنعمة بالشكر ومستجلين للمزيد.

قال ابن عطاء: اطلبوا الرزق بالطاعة والإقبال على العبادة.

وقال سهل: اطلبوا الرزق في التوكل لا في الكسب وهذا سبيل العوام ﴿إليه﴾ لا إلى غيره ﴿ترجعون﴾ تردون بالموت ثم البعث فافعلوا ما أمرتكم به.

﴿وإن تكذبوا﴾ أي: وإن تكذبوني فيما أخبرتكم به من أنكم إليه ترجعون. ﴿فقد كذب أمر من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾.

﴿وإن تكذبوا﴾ أي: وإن تكذبوني فيما أخبرتكم به من أنكم إليه ترجعون. ﴿فقد كذب أمر من قبلكم﴾ تعليل للجواب أي فلا تضروني بتكذيبكم فإن من قبلكم من الأمم قد كذبوا من قبلي من الرسل وهم شيت وإدريس ونوح فما ضرهم تكذيبهم شيئاً وإنما ضر أنفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم. ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ أي: التبليغ الذي لا يبقى معه شك وما عليه أن يصدق ولا يكذب البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرنني تكذيبكم بعد ذلك أصلاً وكل أحد بعد ذلك مأخوذ بعمله.

قال في «الأسئلة المقحمة» معنى البلاغ هو إلقاء المعنى إلى النفس على سبيل الإفهام

وإن لم يفهم السامع فقد حصل مني ذلك الإبلاغ والإسماع والإفهام من الله تعالى .
 پیش وحي حق أكر كرسرنهد كبريا از فضل خود سمعش دهد
 جزمكر جاني كه شدبى نور وفر همچون ماهى كنك بد از اصل كر
 وفي الآية تسليّة للرسول عليه السلام ودعاء له إلى الصبر وزجر لمخالفيه فيما فعلوا من
 التكذيب والجحود فعلى المؤمن الطاعة والتقوى وقبول وصية الملك الأقوى فإن التقوى خير
 الزاد يوم التلاق وسبب النجاة وجالبة الأرزاق وأعظم أسباب التقوى التوحيد وهو أساس
 الإيمان ومفتاح الجنان ومغلاق النيران . روي : أن عمر رضي الله عنه مر بعثمان رضي الله عنه
 وسلم عليه فلم يرد سلامه فشكا إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال : لعله لعذر ثم أرسل إلى
 عثمان وسأل عن ذلك فقال : لم أسمع كلامه فإني كنت في أمر وهو أنا صاحبنا النبي زماناً فلم
 نسأل عما تفتتح به الجنان وتغلق أبواب النيران فقال أبو بكر رضي الله عنه : سألت عن ذلك
 من النبي ﷺ فقال : هي الكلمة التي عرضتها على عمي أبي طالب فأبى لا إله إلا الله محمد
 رسول الله وذكر الله أكثر الأشياء تأثيراً فاذكروا الله ذكراً كثيراً .

قال السري رحمه الله : صحبت زنجياً في البرية فرأيتة كلما ذكر الله تغير لونه وأبيض
 فقلت : يا هذا أرى عجباً فقال : يا أخي أما إنك لو ذكرت الله تغيرت صفتك .

قال الحكيم الترمذي رحمه الله : ذكر الله يرطب اللسان فإذا خلا عن الذكر أصابته حرارة
 النفس ونار الشهوة فتعس ويبس وامتنعت الأعضاء عن الطاعة كالشجرة اليابسة لا تصلح إلا
 للقطع وتصير وقود النار وبالتوحيد تحصل الطهارة التامة عن لوث الشرك والسوى فالنفس تدعو
 مع الشيطان إلى أسفل السافلين والله تعالى يدعو بلسان نبيه إلى أعلى عليين وقد دعا الأنبياء
 كلهم فقبحوا الأوثان والشرك والدنيا وحسنوا عبادة الله والتوحيد والأخرى ورغبوا إلى الشكر
 والطاعة في الدنيا التي هي الساعة بل كلمح البصر لا يرى لها أثر ولا يسمع لها خبر فالعاقل
 يستمع إلى الداعي الحق ولا يكذب الخبر الصدق فيل بالتصديق والقبول والرضى إلى الدرجات
 العلى والراحة العظمى .

مده براحت فاني حيات باقي را بمحنت دوسه روز از غم ابد بكریز

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي
 الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿٦٩﴾﴾ .

﴿أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق﴾ اعتراض بين طرفي قصة إبراهيم عليه السلام لتذكير
 أهل مكة وإنكار تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله والهمزة لإنكار عدم رؤيتهم الموجب
 لتقريرها والواو للعطف على مقدر وإبداء الخلق إظهارهم من العدم إلى الوجود ثم من الوجود
 الغيبي إلى الوجود العيني .

قال الإمام الغزالي رحمه الله : الإيجاد إذا لم يكن مسبوقاً بمثله يسمى إبداء وإن كان
 مسبوقاً بمثله يسمى إعادة والله تعالى بدأ خلق الإنسان ثم هو يعيدهم أي يرجعهم ويردهم بعد
 العدم إلى الوجود ويحشرهم والأشياء كلها منه بدت وإليه تعود . ومعنى الآية ألم ينظروا أي
 أهل مكة وكفار قريش ولم يعلموا علماً جارياً مجرى الرؤية في الجلاء والظهور كيفية خلق الله

ابتداء من مادة ومن غير مادة أي قد علموا. ﴿ثُمَّ يَعِيدُهُ﴾ أي: يرده إلى الوجود عطف على أو لم يروا لا على يبدأ لعدم وقوع الرؤية عليه فهو إخبار بأنه تعالى يعيد الخلق قياساً على الإبداء وقد جوز العطف على يبدأ بتأويل الإعادة بإنشائه تعالى كل سنة ما أنشأه في السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فإن ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب. قال الشيخ سعدی قدس سره:

بامرش وجود از عدم نقش بست که داند جزا وکردن از نیست هست
دکرره بکتم عدم در برد واز آنجا بصحرای محشر برد
﴿إِنْ ذَلِكَ﴾ أي: ما ذکر من الإعادة ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرُ﴾ سهل لا نصب فيه. وبالفارسية [آسانست] إذ لا يفتقر في فعله إلى شيء من الأسباب.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لمنكري البعث. ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ سافروا في أقطارها. ﴿فَانظُرُوا﴾ كيف بدأ الخلق ﴿خلقهم ابتداء على كثرتهم مع اختلاف الأشكال والأفعال والأحوال﴾ ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ﴿يقال: نشأ نشأة حيي وربا وشب.﴾

قال الراغب: الإنشاء إيجاد الشيء وترتيبه وأكثر ما يقال ذلك في الحيوان انتهى والنشأة مصدر مؤكد لينشئ بحذف الزوائد والأصل الإنشاء أو بحذف العامل أي ينشئ فينشئون النشأة الآخرة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ۳۷] أي فنبتت نباتاً حسناً والنشأة الآخرة هي النشأة الثانية وهي نشأة القيام من القبور والجملة معطوفة على جملة سيروا في الأرض داخلة معها في حيز القول وعطف الأخبار على الإنشاء جائز فيما له محل من الإعراب وإنما لم تعطف على قوله بدأ الخلق لأن النظر غير واقع على إنشاء النشأة الأخرى فإن الفكر يكون في الدليل لا في النتيجة. والمعنى ثم الله يوجد الإيجاد الآخر ويحيي الحياة الثانية أي بعد النشأة الأولى التي شاهدتموها وهي الإبداء فإنه والإعادة نشأتان من حيث أن كلاً اختراع وإخراج من العدم إلى الوجود - وبالفارسية [پس الله باز فردا بآفرینش پسین خلق را زنده کند وظاهر کرداند آفریدن دیکررا ملخص سخن آنست که چون بدیدید وبدا نستید که خالق همه در ابتدا الله است حجت لازم شود بر شما دراعات وضرورت دانید آنکه مبدیء خلایق است میتواند آنکه معید ایشان باشد]. ﴿إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لأن قدرته لذاته ونسبة ذاته إلى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الأخرى كما قدر على النشأة الأولى.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

﴿يعذب﴾ أي: بعد النشأة الآخرة ﴿من يشاء﴾ أن يعذبه وهم المنكرون لها ﴿ويرحم من يشاء﴾ أن يرحمه وهم المصدقون بها وتقديم التعذيب لما أن التهيب أنسب بالمقام من الترغيب. ﴿والیه﴾ تعالى لا إلى غيره. ﴿تقْلَبُونَ﴾ تردون بالبعث فيفعل بكم ما يشاء من التعطيل والرحمة مجازاة على أعمالكم.

قال الكاشفي: [در كشف الأسرار آورده که عذابش از روی عدلست ورحمتش از راه فضل پس هرکذا خواهد باوی عدل کند از پیش براند وآنراکه خواهد باوی فضل نماید بلطف خویش بخواند].

اگر رانسی زراه عدل رانسی وکر خوانی زروی فضل خوانی
مرا باراندن وخواندن چه کارست اکر خوانی وکر رانسی تودانی
[درزان مسیر آورده که عذاب بزشت خویست ورحمت بخوش خلقي. و نزد بعضی
عذاب ورحمت بمیل دنیااست و ترك آن یا بحرص وقناعت یا بمتابعت بدعت وملازمت سنت
یا بتفرقه خاطر وجمعیت دل. إمام قشیری فرموده که عذاب با آنست که بنده را باو کذار
و رحمت آنکه بخود متولی کار اوشود].

تاتونباشی یارمارونق نیابد کارما

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [و نیستید شما ای مردمان عاجز کنندگان پروردکار خود را] ای عن
إجراء حكمه وقضائه عليكم وإن هربتم. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ الواسعة بالتواري فيها. يعني [در زیر
زمین] ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ولا بالتحصن في السماء التي هي أوسع منها لو استطعتم الترقى فيها.
يعني في الأرض كنتم أو في السماء لا تقدرون أن تهربوا منه فهو يدركم لا محالة ويجري
عليكم أحكام تقديره ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ [دوست کار ساز]. ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾ یاری
ومعین. یعنی: لیس غیره تعالی یحرسکم مما یصیبکم من بلاء یظهر من الأرض أو ینزل من
السماء ویدفعه عنکم إن أراد بکم ذلك.

قال بعضهم: الولي الذي يدفع المكروه عن الإنسان والنصير الذي يأمر بدفعه عنه والولي
أخص من النصير إذ قد ينصر من ليس بولي.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكَايُنُ اللَّهُ لِقَائِهِمْ أُولَئِكَ يَلْسَنُ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ﴾ (۲۳).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِ اللَّهِ﴾ أي بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وأفعاله
فیدخل فيه النشأة الأولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به دخولا أولاً.

قال في «كشف الأسرار»: الكفر بآيات الله أن لا يستدل بها عليه وتنسب إلى غيره
ويجحد موضع النعمة فيها. ﴿ولقائه﴾ الذي تنطق به تلك الآيات ومعنى الكفر بقاء الله جحد
الورود عليه وإنكار البعث وقيام الساعة والحساب والجنة والنار. ﴿وأولئك﴾ الموصوفون بما
ذكر من الكفر بآياته تعالی ولقائه ﴿يَسْأَلُونَ مِنْ رَحْمَتِي﴾ اليأس انتفاء الطمع كما في «المفردات»:
وبالفارسية [نومیدشدن] كما في «تاج المصادر» أي: يأسون منها يوم القيامة وصيغة الماضي
للدلالة على تحققه أو يسألون منها في الدنيا لإنكارهم البعث والجزاء ﴿وأولئك﴾ الموصوفون
بالكفر بالآيات واللقاء وباليأس من الرحمة الممتازون بذلك عن سائر الكفرة ﴿لَهُمْ﴾ بسبب
تلك الأوصاف القبيحة ﴿عذاب أليم﴾ لا يقادر قدره في الشدة والإيلام.

قال في «كشف الأسرار»: [بدانکه تأثیر رحمت الله در حق بندگان پیش از تأثیر غضب
است ودرقر آن ذکر صفات رحمت پیش از ذکر صفات غضب است ودر خبر ست که «سبقت
رحمتی غضبی» این رحمت و غضب هر دو صفت حق است و روا نباشد که کویی یکی پیش است
ویکی پس یا یکی پیش است و یکی کم زیرا که اگر یکی پیش کویی دیگر را نقصان لازم آید و اگر
یکی را پیش کویی یکر را حدوث لازم آید پس مراد ازین تأثیر ورحمت است یعنی پیش کرد
تأثیر رحمت من بر تأثیر غضب من تأثیر غضب اوست نومدی کافران از رحمت او تا می گوید

جل جلاله ﴿أُولَئِكَ يَتَّخِذُونَ أَسْمَاءَ بَنَاتِهِمْ بِحُجُوبٍ﴾ وتأثير رحمت اوست اميدمؤمنان بمغفرت او دل نهادن بر رحمت او تاميكويد] عز وجل: ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨] فينبغي للمؤمن أن لا ييأس من رحمته وأن لا يأمن من عذابه فإن كلاً من اليأس وإلا من كفر بل يكون راجياً خائفاً وأما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف، وإذا ترقى العبد عن حالة الخوف والرجاء يعرض له حالتا القبض والبسط فالبسط للعارف كالخوف للمستأنف والبسط له كالرجاء له. والفرق بينهما أن الخوف والرجاء يتعلقان بأمر مستقبل مكروه أو محبوب فالقبض والبسط بأمر حاضر في الوقت يغلب على قلب العارف من وارد غيبي فتارة يغلب القبض فيقول ذلي كذل اذل اليهود وإليه الإشارة بالإبداء في الآية وأخرى يغلب البسط فيقول أين السموات والأرضون حتى أحملهما على شجرة جفن عيني وإليه الإشارة بالإعادة في الآية ومن هذا القبيل ما قال عليه السلام: «ليت رب محمد لم يخلق محمداً» وما قال: «أنا سيد ولد آدم» وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ [الأحقاف: ٣٣] الخ إشارة إلى أنه تعالى كما بدأ خلق الخلق بإخراجهم من العدم إلى الوجود إلى عالم الأرواح ثم أهبطهم من عالم الأرواح إلى عالم الأشباح عابرين على الملكوت والنفوس السماوية والأفلاك والأنجم وفلك الأثير والهواء والبحار وكرة الأرض ثم على المركبات والمعادن والنبات والحيوان إلى أن بلغ أسفل سافلين الموجودات وهو القلب الإنساني كما قال: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٥] أي بتدبير النفخة الخاصة كما قال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ﴾ [الحجر: ٢٩] فكذلك يعيده بجذبات العناية إلى الحضرة راجعاً من حيث هبط عابراً على المنازل والمقامات التي كانت على ممره بقطع تعلق نظره إلى خواص هذه المنازل وترك الانتفاع بها فإنه حالة العبور على هذه المنازل استعار خواصها وبعض أجزائها منها لاستكمال الوجود الإنساني روحانياً وجسمانياً فصار محجوباً معبداً عن الحضرة فعند رجوعه إلى الحضرة بجذبة ارجعي يرد في كل منزل ما استعار منه فإن العارية مردودة إلى أن يعاد إلى العدم بلا أنانية بتصرف. ذبة العناية وهو معنى الفناء في الله. قال المولى الجامي:

طبي كن بساط كون كه اين كعبه مراد باشد وراى كون ومكان چند مرحله وقال الشيخ المغربي:

زتنكاناي جسد چون برون نهى قدمي وجز حظيرة قدسى بادشاه مپرش وفي «المثنوي»:

از جمادى مردم نامى شدم وزنما مردم بحیوان بر زدم
مردم از حیوانی و آدم شدم پس چه ترسم كي زمردن كم شدم
جمله ديكر بميرم از بشر تا بر آرم از ملائكة پاوسر
وزملك هم بايدم جستن زجو كل شيء هالك إلا وجهه
بارديكر از ملك قربان شوم آنچه اندر وهم نايد آن شوم
پس عدم كردم عدم چون ارغنون كويدم كانا إليه راجعون

وفي قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الخ إشارة إلى الطائفة من أرباب الطلب وأصحاب السلوك العابرين على بعض المقامات المشاهدين آثار شواهد الحق الذين كوشفوا ببعض الأسرار ثم أدركتهم العزة بحجاب الغيرة فابتلاهم الله للغيرة بالالتفات إلى الغير فحجبوا بعد أن كوشفوا وستروا بعد أن تجردوا واستدرجوا بعد أن رفعوا وبعثوا بعد أن قربوا وردوا بعد أن دعوا

فحاروا بعد أن كاروا نعوذ بالله من الحور بعد الكور كذا في «التأويلات النجمية».

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٤)

﴿فما كان جواب قومه﴾ أي قال إبراهيم عليه السلام: اعبدوا الله واتقوه فما كان جواب قومه آخر الأمر وهو بالنصب على أنه خبر كان واسمها قوله: ﴿إلا أن قالوا﴾ إلا قول بعضهم لبعض ﴿اقتلوه﴾ أصل القتل إزالة الروح عن الجسد كالموت لكن إذا اعتبر بفعل المتولي لذلك يقال: قتل وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال: موت. ﴿أو حرقوه﴾ التحريق [نيك سوزانیدن] والفرق بين التحريق والإحراق وبين الحرق أن الأول إيقاع ذات لهب في الشيء ومنه استعير أحرقني بلومه إذا بالغ في أذيته بلوم والثاني إيقاع حرارة في الشيء من غير لهيب كحرق الثوب بالدق كما في «المفردات» وفيه تسفيه لهم حيث أجابوا من احتج عليهم بأن يقتل أو يحرق وهكذا ديدن كل محجوج مغلوب. ﴿فأنجاه الله من النار﴾ الفاء فصيحة أي فألقوه في النار فأنجاه الله من أذاها بأن جعلها عليه برداً وسلاماً روي أنه لم ينتفع يومئذ بالنار في موضع أصلاً وذلك لذهاب حرها ﴿إن في ذلك﴾ أي: في إنجائه منها ﴿آيات﴾ بينة عجيبة هي حفظه تعالى إياه من حرها وإخمادها مع عظمتها في زمان يسير يعني عقيب احتراق الحبل الذي أوثقوه به لأنه ما أحرقت منه النار إلا وثاقه وأنشئ روض في مكانها يعني كل وريحان. ﴿لقوم يؤمنون﴾ لأنهم المنتفعون بالتفحص عنها والتأمل فيها وأما الكافرون فمحرومون من الفوز بمغانم آثارها. وفيه إشارة إلى دعوة إبراهيم الروح نمرود النفس وصفاتها إلى الله تعالى ونهيهم عن عبادة الهوى والدنيا وما سوى الله وإلى إجابتهم إياه من لؤم طبعهم وغاية سفهم قولهم: اقتلوه بسيف الكفر والشرك أو أوقدوا عليه نار الشهوات والأخلاق الذميمة وحرقوه بها فخلص الله جوهر الروحية من حرقة النار الشهوات والأخلاق الذميمة ومتعه بالخصائص المودعة فيها مما لم يكن في جبلة الروح مركزاً وكان به محتاجاً في سيره إلى الله ولهذه الاستفادة بعث إلى أسفل سافلين القلب.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعْلَمَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرَةٍ﴾ (٢٥)

﴿وقال﴾ إبراهيم مخاطباً لقومه ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً﴾ أي: اتخذتموها آلهة لا لحجة قامت بذلك بل ﴿مودعة بينكم﴾ أي: لتتوادوا بينكم وتتلاطفوا لاجتماعكم على عبادتها. ﴿في الحياة الدنيا﴾ يعني مدة بقائكم في الدنيا. وبالفارسية [ميخايد تاشمارا درعبادت آن اباتان] اجتماعي باشد ودوستي بايكديكر تايكديكر ااتباع ميكنيد وبر آن ااتباع دوست يكديكر ميشويد همچنانكه مؤمنان در عبادت الله بايكديكر مهر دارند ودوستي وتادر دنيا باشيد آن دوستي باقيست]. ﴿ثم يوم القيامة﴾ بعد الخروج من الدنيا تنقلب الأمور ويتبدل التواد تباعضاً والتلاطف تلاعناً حيث ﴿يكفر بعضكم﴾ وهم العبدية ﴿ببعض﴾ وهم الأوثان ﴿وليعن بعضكم بعضاً﴾ أي: يلعن ويشتم كل فريق منكم ومن الأوثان حيث ينطقها الله الفريق الآخر واللعن طرد وإبعاد على سبيل السخط وهو من الإنسان دعاء على غيره. وفي «التأويلات النجمية»: تكفر النفس بشهوات الدنيا إذا شاهدت وبال استعمالها

وخسران حرمانها من شهوات الجنة وتلعن على الدنيا لأنها كانت سبباً لشقاوتها وتلعن الدنيا عليها كما قال عليه السلام: «إن أحذكم إذا لعن الدنيا: قالت الدنيا لعن الله أعصانا لله» ﴿وَمَا أَوَاكُم﴾ جميعاً العابدون والمعبودون والتابعون والمتبعون ﴿النار﴾ أي هي منزلكم الذي تأوون إليه ولا ترجعون منه أبداً ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي ألقىتموني فيها وجمع الناصر لوقوعه في مقابلة الجمع، أي وما لأحد منكم من ناصر أصلاً:

چون بت سنکین شمارا قبله شد لعنت وکوری شمارا ظاهر شد

نیست هرگز از خدا نفرت شما شد محرم جنت ورحمت شما

﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٨﴾

﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ﴾ آمن له وآمن به متقارب في المعنى ولوط ابن أخته. يعني: [خواهر زاده] إبراهيم بود وبقولي برادر زاده [أو] والمعنى صدقه في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعا إليه من التوحيد فقط فإنه كان منزهاً عن الكفر وما قيل أنه آمن له حين رأى النار لم تحرقه ينبغي أن يحمل على ما ذكرنا أو على أنه يراد بالإيمان الرتبة العالية منه وهي التي لا يرتقي إليها إلا همم الأفراد وهو أول من آمن به ﴿وقال﴾ أي إبراهيم للوط وسارة وهي ابنة عمه وكانت آمنت به وكانت تحت نكاحه ﴿إني مهاجر﴾ أي تارك لقومي وذهب ﴿إلى ربي﴾ أي حيث أمرني والمهاجرة [از زمینی شدن واز کسی ببریدن] ومنه الحديث: «لا يذكر الله إلا مهاجراً» أي: قلبه مهاجر للسانه غير مطابق له.

قال في «المفردات»: الهجر والهجران مفارقة الإنسان غيره إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب.

قال بعض العارفين: إني راجع من نفسي ومن الكون إليه فالرجوع إليه بالانفصال عما دونه ولا يصح لأحد الرجوع إليه وهو متعلق بشيء من الكون حتى ينفصل عن الأكوان أجمع ولا يتصل بها. قال الكمال الخجندي:

وصل میسر نشود جز بقطع قطع نخست از همه ببریدنست

﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره فيمنعني من أعدائي. ﴿الحكيم﴾ الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة ومصلحة فلا يأمرني إلا بما فيه صلاحي ومن لم يقدر في بلدة على طاعة الله فليخرج إلى بلدة أخرى.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي إن الله أعز من أن يصل إليه أحد إلا بعد مفارقه لغيره ﴿الحكيم﴾ الذي لا يقبل بمقتضى حكمته إلا طيباً من لوث أنانيته كما قال عليه السلام: «إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب» انتهى. روي: أن إبراهيم عليه السلام أول من هاجر ولكل نبي هجرة ولإبراهيم هجرتان فإنه هاجر من كوثي وهي قرية من سواد الكوفة مع لوط وسارة وهاجر إلى حران ثم منها إلى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم [صاحب كشاف آورده که إبراهيم در وقت هجرت هفتاد و پنج ساله بود ودر همین سال خدا إسماعیل را بوي

دادازها جرکه کنیزک ساره خاتون بود وچون سن مبارک آن حضرت بصد و بیست رسید حق تعالی ویرا ازساره فرزندى بخشید چنانچه میفرماید].

﴿ووهبنا له﴾ من عجوز عاقر وهي سارة ﴿إسحاق﴾ ولدًا لصلبه أي من بعد إسماعيل من هاجر ﴿ويعقوب﴾ نافلة وهي ولد الولد حين أيس من الولادة.

قال القاضي: ولذلك لم يذكر إسماعيل يعني أن المقام مقام الامتنان والامتنان لهما أكثر لما ذكر. روي: أن الله تعالى وهب له أربعة أولاد إسحاق من سارة وإسماعيل من هاجر ومدين ومداين من غيرهما. ﴿وجعلنا في ذريته﴾ في نسله يعني في بني إسماعيل وبني إسرائيل. ﴿النبوة﴾ فكثر منهم الأنبياء يقال: أخرج من ذريته ألف نبي وكان شجرة الأنبياء. ﴿والكتاب﴾ أي: جنس الكتاب المتناول الكتب الأربعة يعني التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿وأتيناه أجره﴾ بمقابلة هجرته إلينا. ﴿في الدنيا﴾ بإعطاء الولد في غير أوانه والمال والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء أهل الملل إليه والثناء والصلاة عليه إلى آخر الدهر [ما ورد في كويد مزداو دردنيا بقاء ضيافت اوست يعني همچنانكه درحال حیاة در مهما نخانه، وي بساط دعوت انداخته حالا نیزهست وخاص وعام ازان مائده، پرفائده بهره مندند]:

سفره اش مبسوط بر أهل جهان نعمتش مبذول شد بي امتنان
﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ لفي عداد الكاملين في الصلاح وهم الأنبياء وأتباعهم عليهم السلام.

قال ابن عطاء: أعطيناه في الدنيا المعرفة والتوكل وإنه في الآخرة لمن الراجعين إلى مقام العارفين فالدنيا والآخرة حظ العارفين وذلك بمقاساتهم الشدائد ظاهراً وباطناً كالهجرة ونحوها. اعلم أن الهجرة على قسمين صورية وقد انقطع حكمها بفتح مكة كما قال عليه السلام: «لا هجرة بعد الفتح» ومعنوية وهي السير من موطن النفس إلى الله تعالى بفتح كعبة القلب وتخليصها من أصنام الشرك والهوى فيجري حكمها إلى يوم القيامة وإذا سار الإنسان من موطن النفس إلى مقام القلب فكل ما أراده يعطيه الله وهو الأجر الدنيوي كما قال أبو سعيد الخراز رحمه الله: أقمنا بمكة ثلاثة أيام لم نأكل شيئاً وكان بحذاءنا فقير معه ركوة مغطاة بحشيش وربما أراه يأكل خبزاً حواري فقلت له: نحن ضيفك فقال: نعم فلما كان وقت العشاء مسح يده على سارية فناولني درهمين فاشترينا خبزاً فقلت: بم وصلت إلى ذلك فقال: يا أبا سعيد بحرف واحد تخرج قدر الخلق من قلبك تصل إلى حاجتك.

ثم اعلم بأن الله تعالى من على إبراهيم عليه السلام بهبة الولد والولد الصالح الذي يدعو لوالديه من الأجور الباقية الغير المنقطعة كالأوقاف الجارية والمصاحف المتلوة والأشجار المنتفع بها ونحوها وكذلك من عليه بأن جعل في ذريته النبوة.

والإشارة فيه أن من السعادات أن يكون في ذرية الرجل أهل الولاية الذين هم ورثة الأنبياء فإن بهم تقوم الدنيا والدين وتظهر الترقيات الصورية والمعنوية للمسلمين وتسقط الأنوار إلى جانب الأرواح المقربين وأعلى عليين فيحصل الفخر التام والشرف الشامل والانتفاع العام وهؤلاء إن كانوا من النسب الطيني فذاك وإن كانوا من النسب الديني فالأولاد الطيبون والأحفاد الطاهرون مطلقاً من نعم الله الجليلة.

نعم الإله على العباد كثيرة وأجلهن نجابة الأولاد

ربنا هب لنا من أزواجنا الخ.

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٧٨﴾ أَيْتُكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

﴿ولوطاً﴾ أي ولقد أرسلنا لوطاً من قبلك يا محمد اذكر لقومك ﴿إذ قال لقومه﴾ من أهل المؤنكحات ﴿إنكم﴾ [بدرستي كه شما] ﴿لأتون الفاحشة﴾ أي: الخصلة المتناهية في القبح. وبالفارسية [فاحشة مي آید يعني ميكنيد كاري كه بغایت زشت است] كأن قائلًا قال: لم كانت تلك الخصلة فاحشة؟ فقل: ﴿ما سبقكم بها﴾ أي بتلك الفاحشة ﴿من أحد من العالمين﴾ [هيچکس از جهانیان] أي لم يقدم أحد قبلكم عليها لإفراط قبحها وكونها مما تنفر عنها النفوس والطباع وأنتم أقدمتم عليها لخبائث طبيعتكم.

قالوا: لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط أي مع طول الزمان وكثرة القرون.

﴿أنتم لتأتون الرجال﴾ [آيا شما مي آييد كراييد بمردان بطريق مباشرة وآن كار زشت ميكنيد] ﴿وتقطعون السبيل﴾ السبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك وفيه سهولة وقطع الطريق يقال على وجهين أحدهما يراد به السير والسلوك والثاني يراد به الغصب من المارة والسالكين للطريق لأنه يؤدي إلى انقطاع الناس عن الطريق فجعل قطعاً للطريق. والمعنى تعرضون لأبناء السبيل بالفاحشة حتى انقطع الناس عن طريقكم. روي: أنهم كانوا كثيراً ما يفعلونها بالغرباء ويجبرونهم عليها أو تقطعونها بالقتل وأخذ المال وكانوا يفعلون ذلك لكيلا يدخلوا في بلدهم ولا يتناولوا من ثمارهم أو تقطعون سبيل النسل بالإعراض عن الحرث وإتيان ما ليس بحارث ﴿وتأتون﴾ تفعلون وتتعاطون من غير مبالاة ﴿في ناديكم﴾ في مجلسكم ومتحدثكم الجامع لأصحابكم فإنه لا يقال النادي والندى إلا لما فيه أهله فإذا قاموا عنه لم يبق نادياً.

قال في «كشف الأسرار»: النادي مجمع القوم للسمر والانس وجمعه أندية ﴿المنكر﴾.

قال الراغب: المنكر كل شيء تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو تتوقف في استقباحه العقول وتحكم بقبحه الشريعة انتهى.

وهو ههنا أمور: منها الجماع واللواط في المجالس بالعلانية والضراط وهو بالفارسية [بادرا رهايي كردن] زعمت الهند أن حبس الضراط داء وإرساله دواء ولا يحبسون في مجالسهم ضرطة ولا يرون ذلك عيباً وأفلتت من معاوية ربح على المنبر فقال: أيها الناس إن الله خلق أبداناً وجعل فيها أرياحاً فمتى يتمالك الناس أن لا تخرج منهم فقام صعصعة بن صوحان فقال: أما بعد فإن خروج الأرياح في المتوضأة سنة وعلى المنابر بدعة واستغفر الله لي ولكم. ومنها حل أضرار القباء وضرب الأوتار والمزامير والسخرية بمن يمر بهم وفي هذا إعلام أنه لا ينبغي أن يتعاشر الناس على المناكير وأن لا يجتمعوا على الهزؤ والمناهي - سئل - الجنيد رحمه الله عن هذه الآية فقال: كل شيء يجتمع الناس عليه إلا الذكر فهو منكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو - أي المنكر - الحذف بالحصى: يعني: [بسر انكشت سبابه وناخن انكشت سترك

سنة بمردم انداختن] وكانوا يجلسون على الطريق وعند كل واحد قصعة فيها حصى فمن مر بهم حذفوه فمن أصابه منهم فهو أحق به فيأخذ ما معه وينكحه ويغترمه ثلاثة دراهم ولهم قاض يقضي بينهم بذلك. ومنه «هو أجور من قاضي سدوم» وفي الحديث: «إياكم والحذف فإنه لا ينكي عدواً ولا يقتل صيداً ولكن يفقأ العين ويكسر السن» وكان من أخلاق قوم لوط الرمي بالبنادق والجلاهاق والصفير وتطريف الأصابع بالحناء والفرقة أي: مد الأصابع حتى تصوت ولذا كرهت في الصلاة وخارجها لئلا ينزيم التشبه بهم. ومن أخلاقهم مضغ العلك ولا يكره للمرأة إن لم تكن صائمة لقيامه مقام السواك في حقهن لأن سنّها أضعف من سن الرجال كسائر أعضائها فيخاف من السواك سقوط سنّها وهو ينقي الأسنان ويشد اللثة كالسواك ويكره للرجل إذا لم يكن من علة كالبحر لما فيه من تشبه النساء. ومن أخلاقهم السباب والفحش في المزاح يقال المزاح يجلب صغيرة الشرك وكبيرة الحرب. ومن أخلاقهم اللعب بالحمام.

عن سفيان الثوري أنه قال: كان اللعب بالحمام من عمل قوم لوط وإن من لعب بالحمام الطيارة لم يمت حتى يذوق ألم الفقر كما في «حياة الحيوان» ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ لما أنكر عليهم قبائحهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ له استهزاء ﴿مَا تَرَكْ أَيْنَ عَمَلُهَا نَحْوَاهُمْ كَرَدَ﴾ ﴿إِثْنَانِ بَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [يبار عذاب خديرا بما] ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيما تعدنا من نزول العذاب. وبالفارسية [از راست كويان در آنكه اين فعلها قبيح است وبسبب آن عذاب بشما نازل خواهد شد].

قال في «الإرشاد»: فما كان جواب من جهتهم بشيء من الأشياء إلا هذه الكلمة الشنيعة أي لم يصدر عنهم في هذه المرة من مرات مواعظ لوط وقد كان أوعدهم فيها العذاب وأما ما في سورة الأعراف من قوله: ﴿فَمَا كَانَتْ﴾ [الأعراف: ٣٩] الخ وما في سورة النمل من قوله: ﴿فَمَا كَانَتْ﴾ [النمل: ٥٦] الخ فهو الذي صدر عنهم بعد هذه المرة وهي المرة الأخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عليه السلام.

﴿قَالَ﴾ لوط بطريق المناجاة لما أيس منهم ﴿رَبِّ﴾ [أي پروردگار من] ﴿انصرنى﴾ أي: بإزالة العذاب الموعود ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْمَفْسُودِينَ﴾ بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم والإصرار عليها فاستجاب الله دعاءه [وفرشتگان فرستاد تا قوم اورا عذاب کنند وایشانرا فرموده كه نخست بإبراهيم بكذريد وأورا بشارت دهيد] كما سيأتي وإنما وصفهم بالإفساد ولم يقل عليهم أو على قومي مبالغة في استئزال العذاب عليهم وإشعاراً بأنهم أحقأ بأن يعجل لهم العذاب.

قال الطيبي: الكافر إذا وصف بالفسق أو الإفساد كان محمولاً على غلوه في الكفر.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِىَ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتِمُ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَصَافَ بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُ وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانِكَ كَانَتْ مِنْكَ الْغَائِبِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ﴿٣٩﴾.

﴿ولما جاءت﴾ [آن هنگام كه آمدند] ﴿رسلنا﴾ يعني الملائكة وهم جبريل ومن معه ﴿إبراهيم بالبشرى﴾ أي بالبشارة والولد النافلة ﴿قالوا﴾ لإبراهيم في تضاعيف الكلام ﴿إنا مهلكوا أهل هذه القرية﴾ أي قرية سدوم والإضافة لفظية لأن المعنى على الاستقبال ﴿إن أهلها﴾

كانوا ظالمين﴾ بالكفر والتكذيب وأنواع المنكرات.

﴿قال﴾ إبراهيم للرسول إشفافاً على المؤمنين ومجادلة عنهم ﴿إن فيها لوطاً﴾ [لوط دران شهرست] أي فكيف تهلكونها سمي بلوط لأن حبه ليط بقلب عمه إبراهيم أي تعلق ولصق وكان إبراهيم يحبه حباً شديداً ﴿قالوا﴾ أي: الملائكة ﴿نحن أعلم﴾ منك ﴿بمن فيها﴾ ولسنا بغافلين عن حال لوط فلا تخف أن يقع حيف على مؤمن. ﴿لننجينه﴾ أي: لوطاً ﴿وأهله﴾ أتباعه المؤمنين وهم بناته ﴿إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ أي الباقيين في العذاب أو القرية. يعني: [خواهيم كفت تالوط از میان قوم بیرون آید باهل خود وهمه کسان وی بیرون روند مکر زن اوکه در میان قوم بماند وباایشان هلاک شود].

﴿ولما أن﴾ صلة لتأكيد الفعلين وما فيهما من الاتصال ﴿جاءت رسلنا﴾ المذكورون بعد مفارقة إبراهيم. ﴿لوطاً سيء بهم﴾ أي: اعتراه المساء بسببهم مخافة أن يتعرض لهم قومه بسوء أي الفاحشة لأنهم كانوا يتعرضون للغرباء ولم يعرف لوط أنهم ملائكة وإنما رأى شاباً مردأً حسناً بثياب حسان وريح طيبة فظن أنهم من الإنس ﴿وضاق بهم ذرعاً﴾ أي ضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته فلم يدر أي أمرهم بالخروج أم بالنزول كقولهم: ضاقت يده وبإزائه رحب ذرعه بكذا إذا كان مطيقاً به قادراً عليه وذلك أن طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع. ﴿وقالوا﴾ لما رأو فيه أثر الضجرة. يعني: [فرشتگان اثر ملال برحبین مبارک لوط مشاهده کرده اورا تسلی دادند وکفتند]. ﴿لا تخف﴾ من قومك علينا. ﴿ولا تحزن﴾ على شيء ﴿إنا منجوك وأهلك﴾ مما يصيب القوم من العذاب ﴿إلا امرأتك كانت من الغابرين إنا منزلون على أهل هذه القرية﴾ يعني سدوم وكانت مشتملة على سبعمائة ألف رجل كما في «كشف الأسرار». ﴿رجزاً من السماء﴾ عذاب منها يعني الخسف والحصب والرجز العذاب الذي يقلق المعذب أي يزعجه من قولهم: ارتجز إذا ارتعش واضطرب ﴿بما كانوا يفسقون﴾ بسبب فسقهم المستمر فانتسف جبريل المدينة وما فيها بأحد جناحيه فجعل عاليها سافلها وانصببت الحجارة على من كان غائباً أي بعد خروج لوط مع بناته منها [پس بحکم خدای لوط بااهالیء خود خلاص یافت وکفار موتفکهء هلاک شدند وشهر خراب شده ایشان عبرت عالمیان کشت چنانچه میفرماید].

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٥) ﴿وَالِإِ مَدِينَةٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يٰقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَقْتُلُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٢٦).

﴿ولقد تركنا منها﴾ أي: من القرية ومن للتبيين لا للتبعيض لأن المتروك الباقي ليس بعض القرية بل كلها. ﴿آية بينة﴾ [نشانه روشن] وهي قصتها العجيبة وحكايتها السابقة أو آثار ديارها الخربة أو الحجارة الممطرة التي على كل واحد منها اسم صاحبها فإنها كانت باقية بعدها وأدركها أوائل هذه الأمة وقيل: ظهور الماء الأسود على وجه الأرض حين خسف بهم وكان منتناً يتأذى الناس برائحته من مسافة بعيدة. ﴿لقوم يعقلون﴾ يستعملون عقولهم في الاعتبار وهو متعلق إما بتركنا أو ببينة وفيه إشارة إلى شرف العقل فإنه هو الذي يعتبر ويردع الإنسان عن الذنب والوقوع في الخطر. وفي «المثنوي»:

عقل إيماني چو شحنة عادلست پاسبان وحاكم شهر دلست
همچو کربه باشد أو بیدار هوش دزد درسوارخ ماند همچو موش

درهر آنجا که بر آرد موش دست نیست کربه یا که نقش کربه است
کربه چون شیر شیر افکن بود عقل ایمانی که اندر تن بود
غره او حاکم دردندان نعره او مانع چرندکان
شهر بردزدست و برجامه کنی خواه شحنه باش کوو خواه نی
وعن أنس رضي الله عنه: أثنى قوم على رجل عند رسول الله حتى بالغوا في الثناء
بخصال الخير فقال رسول الله: «كيف عقل الرجل» فقالوا: يا رسول الله أخبرك عنه باجتهاده
في العبادة وأصناف الخير وتسلنا عن عقله فقال نبي الله عليه السلام: «إن الأحق بحمقه
أعظم من فجور الفاجر وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر
عقولهم» قيل: كل شيء إذا كثر رخص غير العقل فإنه إذا كثر غلا.

قال أعرابي: لو صور العقل ظلمت معه الشمس ولو صور الحمق لأضاء معه الليل أي
لكان الليل مضيئاً بالنسبة إليه مع أنه لا ضوء فيه من حيث أنه ليل. وفي «المثنوي»:

كفت پیغمبر که أحق هرکه هست او عدو ماست غول ورهزن است
هرکه او عاقل بود ازجان ماست روح او وریح اوریحان ماست
مائدة عقلست نی نا وشوی نو عقلست أي پسر جان را غدی
نیست غیر نور آدم را خورش ازجز آن جان نباید پرورش
زین خورشها اندک اندک بازبر زین غدای خربود نی آن حر
تاغدای اصل را قابل شوی لقمهای نوررا آکل شوی

ثم إن الآية تدل على كمال قدرته على الإنجاء والانتقام من الأعداء والله غالب على أمره
ألا أن حزب الله هم المفلحون وهم الأنبياء والأولياء ومن يليهم وعلى أن الاعتبار في باب
النجاة والحشر أهل الفلاح والرشاد وهو حبههم وحسن اتباعهم لأن الاتصال المعنوي بذلك
الاختلاط الصوري فقط ألا يرى إلى امرأة لوط وامرأة نوح حيث قيل لهما: ادخلا النار مع
الداخلين لخيانتهما وعدم إطاعتهما وقد نجت بنتا لوط لإيمانهما فسبحان من يخرج الحي من
الميت ﴿وإلى مدين﴾ أي وأرسلنا إلى أهل مدين ﴿أخاهم شعيباً﴾ لأنه من نسبهم وقد سبق تفسير
الآية على التفصيل مراراً ﴿فقال﴾ شعيب بطريق الدعوة: ﴿يا قوم﴾ [أي كروه من] ﴿اعبدوا الله﴾
وحده ﴿وارجوا اليوم الآخر﴾ المراد يوم القيامة لأنه آخر الأيام أي توقعوه وما سيقع فيه من فنون
الأحوال وافعلوا اليوم من الأعمال ما تنتفعون به في العاقبة وتأمنون من عذاب الله ويقال: وارجوا
يوم الموت لأنه آخر عمرهم ﴿ولا تعثوا﴾ عثا أفسد من الباب الأولى ﴿في الأرض﴾ في أرض
مدين حال كونكم ﴿مفسدين﴾ بنقص الكيل والوزن أي لا تعتدوا حال إفسادكم وإنما قيده وإن
غلب في الفساد لأنه قد يكون فيه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه يتضمن صلاحاً
راجحاً تقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ وَعَادَا وَثَمُودَا وَقَدْ تَبَيَّنَ
لَكُمْ مِنْ مَسَكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا
مُتَّبِعِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُرُونُ وَفِرْعَوْنُ وَهَمَانُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَلَسَّكَرُوا فِي
الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيَةً ﴿٢٩﴾

﴿فكذبوه﴾ أي: شعيباً ولم يمتنعوا من الفساد ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ أي الزلزلة الشديدة حتى تهدمت عليهم دورهم وفي سورة هود: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٩٤] أي صيحة جبريل فإنها الموجبة للرجفة بسبب تمويجها للهواء وما يجاوره من الأرض ﴿فأصبحوا﴾ أي صاروا ﴿في دارهم﴾ أي بلدتهم أو منازلهم ولم يجمع بأن يقال في ديارهم لأمن اللبس ﴿جاثمين﴾ باركين على الركب ميتين مستقبلين بوجوههم الأرض وذلك بسبب عدم استماعهم إلى داعي الحق وتزلزل باطنهم فالجزاء من جنس العمل.

﴿وعاداً﴾ منصوب بإضمار فعل دل عليه ما قبله أي وأهلكنا عاداً قوم هود ﴿وئمود﴾ قوم صالح وهو غير مصروف على تأويل القبيلة ﴿وقد تبين لكم من مساكنهم﴾ أي: وقد ظهر لكم يا أهل مكة إهلاكنا إياهم من جهة بقية منازلهم باليمن ديار عاد والحجر ديار ئمود بالنظر إليها عند مروركم بها في أسفاركم ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ من فنون الكفر والمعاصي وحسنها في أعينهم ﴿فصدّهم عن السبيل﴾ صرفهم عن السبيل الذي وجب عليهم سلوكه وهو السبيل السوي الموصل إلى الحق على التوحيد ﴿وكانوا مستبصرين﴾ يقال: استبصر في أمره إذا كان ذا بصيرة أي والحال أنهم أي عاداً وئمود قد كانوا ذوي بصيرة عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك لمتابعتهم الشيطان فلم ينتفعوا بقولهم في تمييز الحق من الباطل فكانوا كالحيوان. وفي «المثنوي»:

مهر حق برچشم وبركوش خرد كر فلاتونست حيوانش كنكد
﴿وقارون وفرعون وهامان﴾ معطوف على عاداً وتقديم قارون لشرف نسبه كما سبق ففيه تنبيه لكفار قريش أن شرف نسبهم لا يخلصهم من العذاب كما لم يخلص قارون ﴿ولقد جاءهم موسى بالبينات﴾ بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة. ﴿فاستكبروا﴾ وتعظموا عن قبول الحق ﴿في الأرض﴾ [در زمين مصر] ﴿وما كانوا سابقين﴾ مفلتين فائتين بل أدركهم أمر الله فهلكوا من قولهم سبق طالبه إذا فاتته ولم يدركه.

قال الراغب: أصل السبق التقدم في السير ثم تجوز به في غيره من التقدم كما قال بعضهم: إن الله تعالى طالب كل مكلف بجزاء عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَنُفِثْنَا مِنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنِ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٢١).

﴿فكلاً﴾ تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الإبهام أي كل واحد من المذكورين ﴿أخذنا بذنوبه﴾ أي عاقبناه بجنايته لا بعضهم دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول.

قال بعضهم: الأخذ أصله باليد ثم يستعار في مواضع فيكون بمعنى القبول كما في قوله: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران: ٨١] أي: قبلتم عهدي وبمعنى التعذيب في هذا المقام.

قال في «المفردات»: الأخذ حوز الشيء وتحصيله وذلك تارة بالتناول نحو ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ﴾ [يوسف: ٧٩] وتارة بالقهر نحو ﴿لَا تَأْخُذُ سِنَةً وَلَا نَوْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٥] ويقال: أخذته الحمى ويعبر عن الأسير بالمأخوذ والأخذ.

قال في «الأسئلة المقحمة»: قوله: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ دليل على أنه تعالى لا يعاقب

أحداً إلا بذنبه وأنهم يقولون: إنه تعالى لو عاقب ابتداء جاز والجواب نحن لا ننكر أنه تعالى يعاقب الكفار على كفرهم والمذنبين بذنبهم وإنما الكلام في أنه لو عاقب ابتداء لا يكون ظالماً لأنه يفعل ما يشاء بحكم الملك المطلق ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً﴾ تفصيل للأخذ أي ريحاً عاصفاً فيه حصباء وهي الحصى الصغار وهم عاد أو ملكاً رماهم بها وهم قوم لوط ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ كمدين وثمود صاح بهم جبريل صيحة فانشقت قلوبهم وزهت أرواحهم. وبالفارسية [بانك كرفت ايشانرا تا زهره] إشان ترقيد ﴿ومنهم من﴾ [وازيشان كسى بودكه] ﴿خسفنا به الأرض﴾ [فرو برديم أورا بزمين چون قارون واتباع او] فالباء للتعدي وهو الجزاء الوفاق لعمله لأن المال الكثير يوضع غالباً تحت الأرض ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه والإغراق: [غرقه كردن] كما في «التاج» والغرق الرسوب في الماء أي السفول والنزول فيه ﴿وما كان الله ليظلمهم﴾ بما فعل بهم بأن يضع العقوبة في غير موضعها فإن ذلك محال من جهته تعالى لأنه قد تبين بإرسال الرسل ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بالاستمرار على ما يوجب العذاب من أنواع الكفر والمعاصي:

أى كه حكم شرع را رد ميكنى راه باطل ميروى بدمكيني
چون توبد كردي بدي يا بي جزا پس بديها جمله باخود ميكنى
وفي «المثنوي»:

پس تراهر غم كه پيش آيد زردد بر كسى تهمت منه برخويش كرد
قال وهب بن منبه: قرأت في بعض الكتب: حلاوة الدنيا مرارة الآخرة ومرارة الدنيا حلاوة الآخرة وظمأ الدنيا ريّ الآخرة وريّ الدنيا ظمأ الآخرة فرح الدنيا حزن الآخرة وحزن الدنيا وفرح الآخرة ومن قدم شيئاً من خير أو شر وجده والأمير بآخره ألا ترى أن هؤلاء المذكورين لما صار آخر أمرهم التذكيب أوخذوا عليه ولو صار التصديق لسومحوا فيما صدر عنهم أولاً. والحاصل أنهم لما عاشوا على الإصرار هلكوا على العذاب ويحشرون على ما ماتوا عليه ولذا يقولون عند القيام من قبورهم: واويلاه فقط وعظ الله بهذه الآيات أهل مكة ومن جاء بعدهم إلى يوم القيام ليعتبروا ويتنفعوا بقولهم ويجتنبوا عن الظلم والأذى والاستكبار والإفساد فإن فيه الصلاح والنجاة والفوز بالمراد لكن التربية والإرشاد إنما تؤثر في المستعد من العباد. قال الشيخ سعدى قدس سره:

چون بود أصل جوهرى قابل تربيت را درو اثر باشد
هيچ صيقل نكو نداند كرد آهني راكه بدكهر باشد
والقرآن كالبحر وإنما يتطهر به من كان من شأنه ذلك كالإنسان وأما الكلب فلا.
سك بدريائي هفت كانه مشوى كه چون ترشد پليدتر باشد
خر عيسى اكر بمكه برند چون بيايد هنوز خرباشد

حكي: أن بعض المتشixين ادعى الفضل بسبب أنه خدم فلاناً العزيز أربعين سنة فقال واحد من العرفاء: كان لذلك العزيز بغل قد ركه أربعين سنة فلم يزل من أن يكون بغلاً حتى هلك على حاله أي لم يؤثر فيه ركوب الإنسان الكامل لعدم استعدادة لكونه إنساناً فأفحم أئمة علي و الله دره نسأل الله الخروج من موطن النفس والإقامة في حظيرة القدس.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعَوْنَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾ مثل الشيء بفتح تين صفته كما في «المختار» والاتخاذ افتعال من الأخذ والمراد بالأولياء الآلهة أي الأصنام. والمعنى: صفتهم العجيبة فيما اتخذوه معتمداً. ﴿كمثل العنكبوت﴾ يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغالب في الاستعمال التانيث وتاؤه كتاب طاغوت أي زائدة لا للتانيث. ﴿اتخذت﴾ لنفسها ﴿بيتاً﴾ أي: كمثلها فيما نسجته في الوهن بل ذلك أوهن من هذا لأن له حقيقة وانتفاعاً في الجملة فالآية من قبيل تشبيه الهيئة بالهيئة لتشبيه حال من اتخذ الأصنام أولياء وعبدها واعتمد عليها راجياً نفعها وشفاعتها بحال العنكبوت التي اتخذت بيتاً فكما أن بيتها لا يدفع عنها حراً ولا برداً ولا مطراً ولا أذى ويتنفض بأذى ريح فكذلك الأصنام لا تملك لعابديها نفعاً ولا ضرراً ولا خيراً ولا شراً

پیش چوب وپیش سنک نقش کند که بساکولان سرها می نهند
ومن تخيل السراب شراباً لم يلبث إلا قليلاً حتى يعلم أنه كان تخيلاً ومن اعتمد شيئاً
سوى الله فهو هباء لا حاصل له وهلاكه في نفس ما اعتمد ومن اتخذ سواه ظهيراً قطع من نفسه
سبيل العصمة ورد إلى حوله وقوته.

وفي الآية إشارة إلى أن الذين اتخذوا الله ولياً وعبدوه واعتمدوا عليه وهم المؤمنون فمثلهم كمثل من بنى بيتاً من حجر وجص له حائط يحول عن تطرق الشرور إلى من فيه وسقف مظل يدفع عنه البرد والحر.

دوستیهای همه عالم بروب از دل کمال پاک باید داشتن خلوت سراي دوست را
﴿وإن أوهن البيوت﴾ أي: أضعفها. وبالفارسية [سست ترین خانها] ﴿لبیت العنكبوت﴾
لا بيت أوهن منه فيما تتخذة الهوام لأنه بلا أساس ولا جدار ولا سقف لا يدفع الحر والبرد
ولذا كان سريع الزوال.

وفيه إشارة إلى أنه لا أصل لموالة ما سوى الله فإنه لا أس لبنيانها يقول الفقير:
تکيه کم کن صوفي برد یوار غیر غیر او دیار نی خلاق دیر
﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي: شيئاً من الأشياء لجزموا أن هذا مثلهم وأبعدوا عن اعتقاد ما
هذا مثله.

قال الكاشفي: [صاحب بحر الحقائق آورده که عنكبوت هرچند برخود می تند ژندان
برای نفس خود میسازد و قیدی بدست و پای خود می نهد پس خانه او محبس اوست آنها
نیز که بدون خدای تعالی اولیا گیرند یعنی پرستش هوا و پیروی دنیا و متابعت شیطان میکنند
بسیاسل و أغلال و وزر و بال مقید کشته روی خلاصی ندارند و عاقبت در مهلکه نیران و درکه
بعد و حرمان افتاده معاقب و معذب کردند و بعضی هوای نفس را در بی اعتباری بتار عنكبوت
تشبیه کرده اند] كما قيل:

از هوا بگذر که پس بی اعتبار افتاده است رشته دام هوا چون تار بیت عنكبوت
اللهم ارزقنا دنیا بلا هوى وخلصنا مما يطلق عليه السوي.

قال بعض العارفين: [عاشقان در دمي عيد كنند عنكبوتان مكس قديدكنند. دو عيد عبارتست از هستي هستي كه هر لحظه در نظر عارف واقع است چه عيد در إصلاح ما يعود على القلباست. وجماعتي كه بدام تعينات گرفتارندكه عنكبوتان عبارت از ان جماعت است مكس قديد كنند يعني وجودات موهومه عالم را متحقق مي شمارند واز حقيقت حال غافلندكه اشيارا وجود حقيقي ليست وموجوديت اشيا عبارت از نسبت وجود حقست بايشان وچون آن نسبت قطع كرده ميشود اشيا معدوما نندكه] التوحيد: إسقاط الإضافات.

جهانرانيست هستي جز مجازی سراسر حال او لهواست وبازی
كذا قال بعض أهل التأويل. يقول الفقير: لعل العيدين إشارة إلى النفس الداخل والخارج وللعارفين في كل منهما عيد أكبر باعتبار كونهم مع الحق وشهوده والعناكب إشارة إلى العباد الذين يتقيدون بالعبادات الظاهرة من غير شهود الحق فأين من يأكل القديد ممن يأكل الحلاوى ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ على إضمار القول أي قل للكفرة تهديداً إن الله ﴿يعلم ما يدعون﴾ يعبدون وما استغماية منصوبة بيدعون ويعلم معلق عنها. ﴿من دونه﴾ أي: من دون الله ﴿من شيء﴾ من للتبين أي سواء كان ما يدعون صنماً أو نجماً أو ملكاً أو جنياً أو غيره لا يخفى عليه ذلك فهو يجازيهم على كفرهم ﴿وهو العزيز﴾ الغالب القادر على انتقام أعدائه ﴿الحكيم﴾ ذو الحكمة في ترك المعالجة بالعقوبة.

ولما كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون: إن رب محمد لا يستحي أن يضرب مثلاً بالذباب والبعوضة والعنكبوت ويضحكون من ذلك قال تعالى:

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾

﴿وتلك الأمثال﴾ أي هذا المثل وأمثاله والمثل كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول أي تشبيه حال الثاني بالأول ﴿نضربها للناس﴾ نذكرها ونبينها لأهل مكة وغيرهم تقريباً لما بعد عن أفهامهم.

قال في «المفردات»: ضرب المثل هو من ضرب الدرهم اعتباراً بضربه بالمطرقة وهو ذكر شيء أثره يظهر في غيره ﴿وما يعقلها﴾ أي وما يفهم حسن تلك الأمثال وفائدتها ﴿إلا العالمون﴾ أي الراسخون في العلم المتدبرون في الأشياء على ما ينبغي وهم الذين عقلوا عن الله أي ما صدر عنه فعملوا بطاعته واجتنبوا سخطه والعالم على الحقيقة من حجزه علمه عن المعاصي فالعاصي جاهل وإن كان عالماً بصورة.

فإن قيل لم لم يقل وما يعلمها إلا العاقلون والعقل يسبق العلم؟

قلنا: لأن العقل آلة تدرك بها معاني الأشياء بالتأمل فيها ولا يمكن التأمل فيها والوصول إليها بطريقها إلا بالعلم.

ودلت الآية على فضل العلم على العقل ولا عالم منا إلا وهو عاقل فأما العاقل فقد يكون غير عالم.

قال الإمام الراغب في «المفردات»: العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل ولهذا قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أقول:

العقل عقل علان فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مطبوع إذا لم يك مسموع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

وإلى الأول أشار عليه السلام بقوله: «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل» وإلى الثاني أشار بقوله: «ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى ويرده عن ردى» وهذا العقل هو المعنى بقوله: ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ وكل موضع ذم فيه الكفار بعدم العقل فإشارة إلى الثاني دون الأول وكل موضع رفع فيه التكليف عن العبد لعدم العقل فإشارة إلى الأول انتهى: وفي «المثنوي».

عقل دو عقلست أول مكسبي كه در آموزی چودر مكتب صبی
از كتاب واوستاد وفكر وذكر از علوم وازمعانی خوب وبكر
عقل تو افزون شود برديكران ليك توباشي ز حفظ آن کران
لوح حافظ باشي اندر دور وكشت لوح محفوظ اسوت كوزين دركذشت
عقل ديكر بخشش يزدان بود چشمه آن درميان جان بود
چون زسينه آب دانش جوش كرد ني شود كننده ني ديرينه ني زرد
ورره نبعش بود بسته چه غم كو همي جوشد زخانه مبدم
عقل تحصيلي مثال جويها كان رود درخانه از كويها
راه آبش بسته شد شد بي نوا از درون خويشتن چون چشمه را
جهد كن تابير عقل ودين شوی تاچو عقل كل توباطن بين شوی

﴿خلق الله السماوات والأرض بالحق﴾ أي حال كونهما حقاً مراعيّاً للحكم والمصالح على أنه حال من فاعل خلق أو ملتبسة بالحق الذي لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية على أنه حال من مفعوله فإنها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على وحدانيته وعظم قدرته وسائر صفاته كما أشار إليه بقوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي: في خلقهما ﴿آية﴾ دالة على شؤونه ﴿للمؤمنين﴾ تخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والإرشاد في خلقهما للكل لأنهم المتفعلون بذلك.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿خلق الله السماوات والأرض بالحق﴾ لمرآتية صفات الحق تعالى ليكون مظهرها ﴿إن في ذلك آية﴾ أي في السموات والأرض آية حق مودعة ولكن ﴿للمؤمنين﴾ الذين ينظرون بنور الله فإن النور لا يرى إلا بالنور ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

جهان مرآت حسن شاهد ماست فشاهد وجهه في كل ذرات
فعلى العاقل النظر إلى آثار رحمة الله والتفكر في عجائب صنعه وبدائع قدرته حتى يستخرج الدر من بحار معرفته. روي: أن داود عليه السلام دخل في محرابه فرأى دودة صغيرة فتفكر في خلقها وقال: ما يعبا الله يخلق هذه فانطقها الله تعالى فقالت: يا داود أتعجبك نفسك وأنا على ما أنا والله أذكر الله وأشكره أكثر منك على ما آتاك الله. وحكي: أن رجلاً رأى خنفساء فقال: ماذا يريد الله تعالى من خلقه هذه أحسن شكلها أم طيب ريحها؟ فابتلاه الله بقرحة عجز عنها الأطباء حتى ترك علاجها فسمع يوماً صوت طبيب من الطريقين ينادي في

الدرب فقال: هاتوه حتى ينظر في أمري فقالوا: ما تصنع بطريقي وقد عجز عنك حذاق الأطباء؟ فقال: لا بد لي منه فلما أحضروه ورأى القرحة استدعى الخنفساء فضحك الحاضرون فتذكر العليل القول الذي سبق منه فقال: أحضروا ما طلب فإن الرجل على بصيرة فأحرقها ووضع رمادها على قرحته فبرئت بإذن الله تعالى فقال للحاضرين: إن الله تعالى أراد أن يعرفني أن أحسن المخلوقات أعز الأدوية كذا في «حياة الحيوان» فظهر أن الله تعالى ما خلق شيئاً باطلاً بل خلق الكل حقاً مشتملاً على المصلحة سواء عرفها الإنسان أو لم يعرفها واللائق بشأن المؤمن أن يسلك طريق التفكير ثم يترقى منه حتى يرى الأشياء على ما هي عليه كما هو شأن أرباب البصيرة. وقد قالوا: المشاهدة ثمرة المجاهدة فلا بد من استعمال العقل وسائر القوى وكذا الأعضاء فبالخدمة تزداد الحرمة ويحصل الانكشاف وتزول الحيرة ويجيء الاطمئنان. قال المولى الجامي:

بي طلب نتوان وصالت يافت آرى كي دهد دولت حج جزراه بيابان برده را

ومعنى الطلب ليس القصد القلبي والذكر اللساني فقط بل الاجتهاد بجميع الظاهر والباطن بقدر الإمكان وهو وظيفة الإنسان ثم الفتح بيد الله إن شاء أراه ملكوت السموات والأرض وجعله مكاشفاً ومعيناً ومحققاً واحداً وإن شاء أوقفه في مقامه وأقل الأمر حصول التفكير بالعقل المودع ويلزم شكره فإن الله تعالى أخرجه بذلك عن دائرة الغافلين المعرضين اللهم اجعلنا من المتفكرين المتيقظين والمدركين لحقائق الأمور في كل شيء من خلق السموات والأرض.

﴿أَنْزَلَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقْرَأَ الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝١٩﴾

﴿اتل ما أوحى إليك من الكتاب﴾ التلاوة القراءة على سبيل التوالي والإيحاء إعلام في الخفاء ويقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى الأنبياء والأولياء وحي. والمعنى: اقرأ يا محمد ما أنزل إليك من القرآن تقريباً إلى الله بقراءته وتحفظاً لنظمه وتذكيراً لمعانيه وحقائقه فإن القارئ المتأمل ينكشف له في كل مرة ما لم ينكشف قبل وتذكيراً للناس وحملهم على العمل بما فيه من الأحكام ومحاسن الآداب ومكارم الأخلاق كما روي أن عمر رضي الله عنه أتى بسارق فأمر بقطع يده فقال لم تقطع يدي؟ وكان جاهلاً بالأحكام فقال له عمر: بما أمر الله في كتابه فقال: اتل عليّ فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوْا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا تَكْلَافًا ۖ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨] فقال السارق: والله ما سمعتها ولو سمعتها ما سرقت فأمر بقطع يده ولم يعذره. فسُنَّ التراويح بالجماعة لسمع الناس القرآن.

وعن علي رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ وهو في غير الصلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنة.

وعن الحسن البصري رحمه الله: قراءة القرآن في غير الصلاة أفضل من صلاة لا يكون فيها كثير القراءة كما قال الفقهاء: طول القيام أفضل من كثرة السجود لقوله عليه السلام: «أفضل الصلاة طول القنوت» أي: القيام وبكثرة الركوع والسجود يكثر التسبيح والقراءة أفضل منه. قالوا: أفضل التلاوة على الوضوء والجلوس نحو القبلة وأن يكون غير مربع ولا متكىء

ولا جالس جلسة متكبر ولكن نحو ما يجلس بين يدي من يهابه ويحتشم منه وقد سبق في آخر سورة النمل بعض ما يتعلق بالتلاوة من الآداب والأسرار فارجع. ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أي: داوم على إقامتها وحيث كانت الصلاة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان أمره عليه السلام بإقامتها متضمناً لأمر الأمة بها علل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ﴾ المعروفة وهي المقرونة بشرائطها الظاهرة والباطنة ﴿تَنْهَى﴾ أي من شأنها وخاصيتها أن تنهاهم وتمنعهم ﴿عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ [از کاری که نزد عقل زشت بود] ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ [واز عملی که بحکم شرع منهی باشد].

قال في «الوسيط»: المنكر لا يعرف في شريعة ولا سنة أي سواء كان قولاً أو فعلاً والمعروف ضده. يعني: [نماز سبب باز استادن می باشد از معاصی جه مداومت برو موجب داوم ذکر ومورث کمال خشیت است وبخاصیت بنده را از کناه باز دارد] - كما روي - أن فتی من الأنصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس ثم لا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبه فوصف لرسول الله فقال: «إن صلاته ستنهاه» فلم يلبث أن تاب وحسن حاله وصار من زهاد الصحابة رضي الله عنه وعنهم.

يقول الفقير: لا شك أن لكل عمل خيراً أو شراً خاصة فخاصية الصلاة إثارة الخشية من الله والنهي عن المعاصي كما أن خاصية الكفر الذي قبول به ترك الصلاة في قوله عليه السلام: «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر» إثارة الخوف من الناس والإقبال على المناهي دل عليه قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُخَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: ۱۵۱] وفي الحديث «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً» يعني: تكون صلاته وبالأعلى عليه ويكون سبب القرب في حقه سبب البعد لعل ذلك لعدم خروجه عن عهدة حقيقة الصلاة كما قال بعضهم: حقيقة حضور القلب بنعت الذكر والمراقبة بنعت الفكر فالذكر في الصلاة يطرد الغفلة التي هي الفحشاء والفكر يطرد الخواطر المذمومة التي هي المنكر فهذه الصلاة كما تنهى صاحبها وهو في الصلاة عما ذكر كذلك تنهاه وهو في خارجها عن رؤية الأعمال وطلب الأعواض ومثل هذه الصلاة قرة عين العارفين لأنها مبنية على المعاينة لا على المغايبه والصلاة فريضة كانت أو نافلة أفضل الأعمال البدنية لأن لها تأثيراً عظيماً في إصلاح النفس التي هي مبدأ جميع الفحشاء والمنكر وفي الخبر: «قال عيسى عليه السلام يقول الله: بالفرائض نجا مني عبدي وبالنوافل يتقرب إلي».

واعلم أن الصلاة على مراتب فصلاة البدن بإقامة الأركان المعلومه. وصلاة النفس بالخشوع والطمأنينة بين الخوف والرجاء. وصلاة القلب بالحضور والمراقبة. وصلاة السر بالمناجاة والمكالمة. وصلاة الروح بالمشاهدة والمعاينة. وصلاة الخفي بالمناجاة والملاطمة ولا صلاة في المقام السابع لأنه مقام الفناء والمحبة الصرفة في عين الوحدة. فنهاية الصلاة الصورية بظهور الموت الذي هو صورة اليقين كما قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ۹۹] أي الموت. ونهاية الصلاة الحقيقية بالفناء المطلق الذي هو اليقين فكل صلاة تنهى عن الفحشاء في مرتبتها. يعني: [نماز تن ناهيست از معاصي وملاهي. ونماز نفس مانعست از رذائل وعلائق واخلاق رديه وهيات مظلمة. ونماز دل بازدارد از ظهور ووفور غفلت را. ونماز سرمنع نمايد از التفات بما سوى حضرت را را. ونماز استقرار بملاحظة اغيار. ونماز خفي بکذارند سالك را زا شهود اثنيت يعني بروظاهر کرددکه ازروی حقيقت]

جزىكي نیست نقد ابن عالم باز بین وبعالمش مفروش
قال بعض أرباب الحقيقة: رعاية الظاهر سبب للصحة مطلقاً وأرى أن فوت ما فات من ترك الصلوات.

يقول الفقير: هذا يحتمل معنيين. الأول أنه على سبيل الفرض والتقدير يعطي لو فرض للمرء ما يكون سبباً لبقائه في الدنيا لكان ذلك إقامة الصلاة فكان وفاته إنما جاءت من قبل ترك الصلاة كما أن الصدقة والصلة تزيدان في الأعمار يعني: لو فرض للمرء ما يزيد به العمر لكان ذلك هو الصدقة وصلة الرحم ففيه بيان فضيلة رعاية الأحكام الظاهرة خصوصاً من بينها الصلاة والصدقة والصلة. والثاني أن لكل شيء حياً أو جماداً أجلاً علق ذلك بانقطاعه عن الذكر لأنه ما من شيء إلا يسبح بحمده فالشجر لا يقطع وكذا الحيوان لا يقتل ولا يموت إلا عند انقطاعه عن الذكر وفي الحديث: «إن لكل شيء أجلاً فلا تضربوا إماءكم على كسر إنائكم» فمعنى ترك الصلاة ترك التوجه إلى الله بالذكر والحضور معه لأن العمدة فيها هي اليقظة الكاملة فإذا وقعت النفس في الغفلة انقطع عرق حياتها وفاتت بسببها وهذا بالنسبة إلى الغافلين الذاكرين وأما الذين على صلاتهم دائمون فالموت يطرأ على ظاهرهم لا على باطنهم فإنهم لا يموتون بل ينقلون من دار إلى دار كما ورد في بعض الآثار هذا هو اللائح والله أعلم. ﴿ولذكر الله أكبر﴾ أي والصلاة أكبر من سائر الطاعات وإنما عبر عنها بالذكر كما في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَوْأَىٰ إِلَيْكَ ذِكْرُ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] للإيذان بأن ما فيها من ذكره تعالى هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات أو ولذكر الله أفضل الطاعات لأن ثواب الذكر هو الذكر كما قال تعالى: ﴿فَإِذْ يُؤْتِي أَمْرًا لِّذِكْرِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال عليه السلام: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا منه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ أكثر من الملأ الذي ذكرني فيهم» فالمراد بهذا الذكر هو الذكر الخالص وهو أصفى وأجلى من الذكر المشوب بالأعمال الظاهرة وهو خير من ضرب الأعناق وعتق الرقاب وإعطاء المال للأحباب وأول الذكر توحيد ثم تجريد ثم تفريد كما قال عليه السلام: «سبق المفردون» قالوا: يا رسول الله وما المفردون؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات». قال الشيخ العطار:

أصل تجريدت وداع شهوتست بلکه کلی انقطاع لذتست
کرتوببر یدی زموجودات امید آنکه ازتفريد کردی مستفید
والذكر طرد الغفلة ولذا قالوا: ليس في الجنة ذكر أي لأنه لا غفلة فيها بل حال أهل الجنة الحضور الدائم.

وفي «التأويلات النجمية»: ما حاصله أن الفحشاء والمنكر من أمارات مرض القلب ومرضه نسيان الله وذكر الله أكبر في إزالة هذا المرض من تلاوة القرآن وإقامة الصلاة لأن العلاج إنما هو بالصد.

فإن قلت: إذا كانت تلاوة القرآن وإقامة الصلاة والذكر صادرة من قلب مريض معلول بالنسيان الطبيعي للإنسان لا يكون كل منها سبباً لإزالة المرض المذكور.

قلت: الذكر مختصر بطرح إكسير ذكر الله للعبد كما قال: ﴿فَإِذْ يُؤْتِي أَمْرًا لِّذِكْرِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] فأبطل خاصية المعلولية وجعله إبريزاً خاصاً بخاصيته المذكورة فذكر العبد فني في ذكر الله فلذا كان أكبر.

وقال بعض الكبار: ذكر اللذات في مقام العناء المحض وصلاة الحق عند التمكين في مقام البقاء أكبر من جميع الأذكار وأعظم من جميع الصلوات.

قال ابن عطاء رحمه الله: ذكر الله أكبر من ذكركم لأن ذكره والكرم بلا علة وذكركم مشوب بالعلل والأمانى والسؤال.

وقال بعضهم: إذا قلت: ذكر الله أكبر من ذكر العبد قابلت الحادث بالقديم وكيف يقال الله أحسن من الخلق ولا يوازي قدمه إلا قدمه ولا ذكره إلا ذكره ولا يبقى الكون في سطوات المكون.

وقال بعضهم: [ذكر خدائي بزرگتر است از همه چیزها که ذکر او طاعتست و ذکر غیر او طاعت نیست] فويل لمن مرّ وقته بذكر الأغيار. قال الحافظ:

أوقات خوش آن بود که بادوست

بسررفت باقی همه بیحاصل و بیخبری بود

﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ من الذكر وسائط الطاعات لا يخفى عليه شيء فيجازيكم بها أحسن المجازة.

وقال بعض الكبار: والله يعلم ما تصنعون في جميع المقامات والأحوال فمن تيقن أن الله يعلم ما يصنعه تجنب عن المعاصي والسيئات وتوجه إلى عالم السر والخفيات بالطاعات والعبادات خصوصاً الصلوات ولا بد من تفرغ القلب عن الشواغل فصلاة بالحضور أفضل من ألف صلاة بدونه. حكى: أن واحداً كان يتضرع إلى الله أن يوفقه لصلاة مقبولة فصلى مع حبيب العجمي فلم يعجبه ظاهرها من أمر القراءة فاستأنف الصلاة فقليل له في الرؤيا قد وفقك الله لصلاة مقبولة فلم تعرف قدرها فإصلاح الباطن أهم فإن به يتفاضل الناس وتتفاوت الحسنات ويحصل الفلاح الحقيقي هو الخلاص من حبس الوجود بجمود واجب الوجود ونظر العبد لا يدرك كمالية الجزاء المعد له بمباشرة أركان الشريعة وملازمة آداب الطريقة للوصول إلى العالم الحقيقي ولكن الله يعلم ما تصنعون باستعمال مفتاح الشريعة وصناعة الطريقة بفتح أبواب طلسم الوجود المجازي والوصول إلى الكنز المخفي من الوجود الحقيقي نسأل الله سبحانه أن يوفقنا للفعل الحسن والصنع الجميل ويسعدنا بالمقام الأرفع والأجر الجزيل.

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾.

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب﴾ المجادلة والجدل [بيكار سخت کردن بایکدیگر] كما في

«التاج».

قال: الجدل المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه. والمعنى ولا تخاصموا اليهود والنصارى. وبالفارسية: [و بیکار مکنید و جدال منماید با اهل کتاب] ﴿إلا بالتي هي أحسن﴾ أي بالخصلة التي هي أحسن كمعاملة الخشونة باللين والغضب بالحلم والمشغبة أي تحريك الشر وإثارته بالنصح أي بتحريك الخير وإثارته والعجلة بالتأني والاحتياط على وجه لا يؤدي إلى الضعف ولا إلى إعظام الدنيا الدنية. ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ بالإفراط في الاعتداء والعناد

فإن الكافر إذا وصف بمثل الفسق والظلم حمل على المبالغة فيما هو فيه أو بإثبات الولد وهم أهل نجران أو بنبذ العهد ومنع الجزية ونحو ذلك فإنه يجب حينئذ الموافقة بما يليق بحالهم من الغلظة باللسان وبالسيف والسنان. ﴿وقولوا آمنا﴾ بالصدق والإخلاص. ﴿بالبذي أنزل إلينا﴾ من القرآن ﴿وأنزل إليكم﴾ أي وبالبذي أنزل إليكم من التوراة والإنجيل وسمع النبي عليه السلام أن أهل الكتاب يقرؤون التوراة ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله وبكتبه وبرسله فإن قالوا باطلاً لم تصدقوهم وإن قالوا حقاً لم تكذبوهم» قال ابن الملك إنما نهى عن تصديقهم وتكذيبهم لأنهم حرفوا كتابهم وما قالوه إن كان من جملة ما غيروه فتصديقهم يكون تصديقاً بالباطل وإن لم يكن كذلك يكون تكذيبهم تكذيباً لما هو حق وهذا أصل في وجوب التوقف فيما يشكل من الأمور والعلوم فلا يقضى فيه بجواز ولا بطلان وعلى هذا كان السلف رحمهم الله. ﴿والهنا وإلهمك واحد﴾ لا شريك له في الألوهية. ﴿ونحن له مسلمون﴾ أي مطيعون له خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾

﴿وكذلك﴾ إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده أي ومثل ذلك الإنزال البديع الموافق لإنزال سائر الكتب ﴿أنزلنا إليك الكتاب﴾ أي القرآن. ﴿فالذين آتيناهم الكتاب﴾ من الطائفتين ﴿يؤمنون به﴾ أريد بهم عبد الله بن سلام وأضرابه من أهل الكتاب خاصة كأن لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه أو من تقدم عهد الرسول عليه السلام حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا في كتابيهما ومنهم قس بن ساعدة وبحيرا ونسطورا وورقة وغيرهم وتخصيصهم بإتاء الكتاب للإيذان بأن من بعدهم من معاصري رسول الله قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤثره والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إيمانهم به مترتب على إنزاله على الوجه المذكور. ﴿ومن هؤلاء﴾ أي من العرب. ﴿من يؤمن به﴾ أي القرآن ﴿وما يجحد﴾ الجحد نفى ما في القلب إثباته أو إثبات ما في القلب نفيه أي بالكتاب المعظم بالإضافة إلينا عبر عنه بالآيات للتنبية على ظهور دلالاته على معانيه وعلى كونه من عند الله. ﴿إلا الكافرون﴾ المتوغلون في الكفر المصممون عليه فإن ذلك يصددهم عن التأمل فيما يؤدبههم إلى معرفة حقيقتها.

وفي الآية إشارة إلى أن أرباب القلوب وأصحاب العلوم الباطنة الذين علومهم من مواهب الحق يجب أن يجادوا أهل علم الظاهر الذين علومهم من طريق الكسب والدراسة بالرفق واللين والسكون ونحوها لئلا تهيج الفتنة الإيمانية ويزدادوا إنكاراً فمن رحمه الله منهم صدق الدلائل الكشفية والبراهين الحقية في دلالتها إلى الحق واهتدى ومن حرمه الله استقبل بالإنكار وزاد بعدا من الوصول إلى الله الغفار. وفي «المثنوي»:

هرکرا مشک نصیحت سود نیست	لا جرم بابوی بدخوکردنیسب
مغزرا خالی کن از انکار یار	تاکه ریحان یابد از کلزار یار
کاشکی جون طفل از حیل باک آمدی	تاجو طفلان جنک در مادر زدی

يا بعلعلم ونقل كم بودى ملى
 باجنين نورى جوپيش آرى كتاب
 جون تميم باوجود آب دان
 خويش ابله كن تببع مى روزيس
 أكثر أهل الجنة البله اى بدر
 زیركى جون كبرباد انكيز تست
 ابلهى نى كو بمسخر كى دوتوست
 ابلها نند آن زنان دست بر
 علم وحى دل ربودى ازولى
 جان وحى آسای توآرد عتاب
 علم نقلی بادم قطب زمان
 رستكي زين ابلهى يابي وبس
 بهراين كفتست سلطان البشر
 ابلهى شو تابماند دل درست
 ابلهى كوواله وحيران هو ست
 از كف ابله وزرخ يوسف نذر

واعلم أن المجادلة في الدين تبطل ثواب الأعمال إذا كانت تعنتاً وترويحاً للباطل وأما الجدل بالحق لإظهاره فمأمور به وقد جادل علي رضي الله عنه شخصاً قال: إني أملك حركاتي وسكناتي وطلاق زوجتي وأعتق أمتي فقال علي رضي الله عنه: أتملكها دون الله أو مع الله فإن قلت: أملكها دون الله أثبت الله مالكا وإن قلت: أملكها مع الله فقد أثبت له شريكاً كذا في «شرح المواقف».

قال الشيخ سعدى: [يكي در صورت درویشان در محفلي دیدم نشسته ودفتر شکایت باز کرده و ذم توانکاران آغاز کفتم أي یارتوانکران مقصد زائران وکھف مسافرانند عبادت اینان بمحل قبول نزدیکترست که جمعند وحاضر نه براکنده خاطر ودر خبر است: «الفقر سواد الوجه في الدارين» گفت آن تشیدی که بیغمبر علیه السلام فرموده است [الفقر فخري] کفتم خاموش که اشارت سید عالم بفقر طائفه ایست که مردان میدان رضاند و تسلیم تیر قضا درویش بی معرفت نیار امید تافقرش بکفر آنجامید: «کاد الفقر أن یكون کفرا».

باکرسنكي قوت وبرهیرنماند افلاس عنان ازکف تقوى بستانند
 [گفت توانکران مشتی طائفه اند مغرور نظر نکنند بغير الا بکراحت سخن نکويند الا بسفاهت علمارا بکداني منسوب کنند وفقرا را به بي سر وباني معيوب کردانند کفتم مذمت ایشان روامدار که خداوندان کرمند خطا گفتی بنده درمند چه فائده اکرا بر آذرند برکس نمی بارند کفتم بر بخل خداوندان وقوف نیافته الا بعلت کداني ورنه هر که طمع یکسونهد کریم وبخیلش یکسان نمایند کفتا بتجربه آن میکویم که متعلقان بر در بدارند تادست برسینه صاحب تمیز نهند وکوید که کسی اینجانیست وراست گفته باشند زیرا:

آنراکه عقل وهمت وتدبير ورای نیست خوش گفت برده دار که کس درسرای نیست
 کفتم این حرکت ازایشان بعد از انست که از دست سائلان بجان آمده اندو محال عقلست که اکریک بیابان در شود جثم کدایان برنشود کفتا که من بر حال ایشان رحمت می برم «أي لأن لهم مالا ولا يشترون ثوابا» کفتم نه که بر مال ایشان حسرت می خوری «أي لحرصك» مادرین کفتار وهر دو بهم کرفتار هر بید قی براندی بدفع آن بکوشید می تانفد کیسه همت همه در باخت عقبه الامر دلیلش نماند ذلیلش کردم دست تعدی دراز کرد وسنت جاهلانند که جون بدلیل فرومانند سلسله خصومت بجنبانند دشنام داد سقطش کفتم کریبانم درید زنخدانش کرفتم مرافعة این سخن یش قاضی بردیم قاضی جون هیئات ما دید ومنطق ما شنید بعد از بآمل بسیار گفت ای آنکه توانکر انرا ثنا گفتی بدانکه هرجا کلت خار هست وبر سر کنج مار همجنان

درز مرة توانکران شاکراند وکفور ودر حلقه درویشان صابراند وضجور وای که کفتی توانکران مشتغل تباهی و مست ملاهی اند قومی ازایشان برین صفتند و طائفة دیگر طالب نیک نامند و مغفرت و صاحب دنیا و آخرت قاضی جون این سخن بکفت بمقتضای حکم قضا رضادادیم و از ماضی درگذشتیم و بوسه بر سروروی همد کردادیم و ختم سخن بدین دوبت بود]

مکن زکردش کیتی شکایت ای درویش که تیره بختی اگرهم برین نسق مردی
توانکرا جودل و دست کامرانت هست بخور ببخش که دنیا و آخرت بردی
و هذه الحکایة طویلة قد اختصرناها.

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتَنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَحْكُدُ بَيْنَانِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿وما كنت تتلو من قبله﴾ أي: وما كانت عادتک یا محمد قبل إنزالنا إلیک القرآن أن تتلو شيئاً. ﴿من کتاب﴾ من الكتب المنزلة. ﴿ولا تخطه﴾ ولا أن تكتب کتاباً من الكتب والخط کالمد ويقال لما له طول ويعبر عن الكتابة بالخط ﴿بیمینک﴾ حسبما هو المعتاد یعنی ذکر اليمين لكون الكتابة غالباً باليمين لا أنه لا يخط بيمينه ويخط بشماله فإن الخط بالشمال من أبعد النواذر.

قال الشيعة: إنه عليه السلام كان يحسن الخط قبل الوحي ثم نهى عنه بالوحي وقالوا إن قوله ولا تخطه نهى فليس ينفي الخطأ.

قال في «كشف الأسرار»: قرء ولا تخطه بالفتح على النهي وهو شاذ والصحيح أنه لم يكن يكتب انتهى.

وفي «الأسئلة المقحمة»: قول الشيعة مردود لأن لا تخطه لو كان نهياً لكان ينصب الطاء أو قال: لا تخطه بطريق التضعيف ﴿إذاً﴾ [آن هنگام] أي لو كنت ممن يعتاد التلاوة والخط ﴿لآرتاب المبطلون﴾.

قال في «المختار»: الريب الشك.

قال الراغب: الريب أن يتوهم بالشئ أمراً ينكشف عما يتوهمه ولهذا قال تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ۲، وغيرها] والإرابة أن يتوهم فيه أمراً لا ينكشف عما يتوهمه والارتباب يجري مجرى الإرابة ونفى عن المؤمنين الارتباب كما قال: ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [المدر: ۳۱] والمبطل من يأتي بالباطل وهو نقيض المحق وهو من يأتي بالحق لما أن الباطل نقيض الحق.

قال في «المفردات»: الإبطال يقال في إفساد الشئ وإزالته حقاً كان الشئ أو باطلاً قال تعالى: ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ [الأنعام: ۸] وقد يقال فيمن يقول شيئاً لا حقيقة له. والمعنى لارتابوا وقالوا: لعله تعلمه أو ثقته من كتب الأوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شأنك منشأ ريب أصلاً.

قال الكاشفي: [درشك افتادندی تباه کاران وکجروان یعنی مشرکان عرب کفتندی که جون می خواند و می نویسد بس قرآنرا از کتب بییشیمنیان التقاط کرده وبرما می خواند یاجهودان درشک افتادندکه در کتب خود خواندایم که بییغمیر آخر زمان امی باشد واین کس قاری وکاتب است].

فإن قلت: لم سماهم المبطلين ولو لم يكن أمياً وقالوا: ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا محقين ولكان أهل مكة أيضاً على حق في قولهم لعله تعلمه أو كتبه فإنه رجل قارئ كاتب؟
قلت: لأنهم كفروا به وهو أمي بعيد من الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به: لو لو يكن أمياً لارتابوا أشد الريب فحيث أنه ليس بقارئ ولا كاتب فلا وجه لارتبابهم.

قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف من الله على نبيه بأنه أمي ولا يعرف الخط والكتابة وهما من قبيل الكمال لا من قبيل النقص والجواب إنما وصفه بعدم الخط والكتابة لأن أهل الكتاب كانوا يجدون من نعته في التوراة والإنجيل أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب فأراد تحقيق ما وعدهم به على نعته إياه ولأن الكتابة من قبيل الصناعات فلا توصف بالمدح ولا بالذم ولأن المقصود من الكتابة والخط هو الاحتراز عن الغفلة والنسيان وقد خصه الله تعالى بما فيه غنية عن ذلك كالعين بها العصا والقائد انتهى.

وقال في «أسئلة الحكم»: كان عليه السلام يعلم الخطوط ويخبر عنها فلماذا لم يكتب والجواب أنه لو كتب لقليل: قرأ القرآن من صحف الأولين.

وقال النيسابوري: إنما لم يكتب لأنه إذا كتب وعقد الخنصر يقع ظل قلمه وأصبعه على اسم الله تعالى وذكره فلما كان كذلك قال الله تعالى: لا جرم يا حبيبي لما لم ترد أن يكون قلمك فوق اسمي ولم ترد أن يكون ظل القلم على اسمي أمرت الناس أن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوتك تشريفاً لك وتعظيماً ولا أدع بسبب ذلك ظلك يقع على الأرض صيانة له أن يوطأ ظله بالأقدام.
قيل: إنه نور محض وليس للنور ظل.

وفيه إشارة إلى أنه أفنى الوجود الكوني الظلي وهو نور متجسد في صورة البشر وكذلك الملك إذا تجسد بصورة البشر لا يكون له ظل وبذلك علم بعض العارفين تجسد الأرواح القدسية وإذا تجسدت الأرواح الخبيثة وقعت كثافة ظلها وظلمته على الأرض أكثر من سائر الأطلال الكونية فليحفظ ذلك.

قال الكاشفي: [درتيسير آورده كه خط وقرائن فضيلة بوده است مر غير بيغمبر مارا وعدم آن فضل معجزة آن حضرت بوده وجون معجزة ظاهر شده ودراميت اوشك وشبه نمائد حق سبحانه در آخر عمر اين فضيلت نيزبوى ارزاني داشته تامعجزه ديكر باشد وابن ابى شبيه درمصنف از طريق عون بن عبد الله نقل ميكند كه «مامات رسول الله حتى كتب وقرأ» واين صورت منافی قرآن نيست زيرا كه نفي كتابت مقرر ساخته بزمانى قبل از نزول قرآن ومذهب آنانكه ويرا امي دانند از اول عمرتا آخر بصواب اقربست

بقلم كرنرسيد انكشتش بود لوح وقلم اندر مشتش

ازسواد خط اكرديده بيبست بكمالش نرسد هيچ شكست

بود اونور خط تيهره ظلم نشود نور وظلم جمع بهم

ولذا قال بعضهم: من كان القلم الأعلى يخدمه واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره لا يحتاج إلى تصوير الرسوم وتمثيل العلوم بالآلات الجسمانية لأن الخط صنعة ذهنية وقوة طبيعية صدرت بآلاتها الجسمانية.

قال رجل من الأنصار للنبي عليه السلام إني لأسمع الحديث ولا أحفظه فقال: «استعن يمينك» أي: اكتبه.

قيل: من كتب الكتات العربي والفارسي والسريري والعبراني وغيرهما من بقية الاثني عشر وهي الحميري واليوناني والرومي والقبطي والبربري والأندلسي والهندي والصيني آدم عليه السلام كتبها في طين وطبخه فلما أصاب الأرض وانفرد وجد كل قوم كتاباً فكتبوه فأصاب إسماعيل عليه السلام كتاب العربي وأما ما جاء: «أول من خط بالقلم إدريس عليه السلام» فالمراد به خط الرمل * وفي «التأويلات النجمية»: القلب إذا تجرد من المعلومات والسر قدس عن المرقومات والروح تنزه عن الموهومات كانوا أقرب إلى الفطرة ولم يشتغلوا بقبول النفوس السفلية من الحسيات والخياليات والوهميات فكانوا لما صادفهم من المغيبات قابليين من غير طبع ومشاركة كسب وتكلف بشرية ولما كان قلب النبي عليه السلام في البداية مشروطاً بعمل جبريل إذا أخرج منه ما أخرج وقال: هذا حظ الشيطان منك.

وفي «النهاية»: لما كان محفوظاً من النقوش التعليمية بالقراءة والكتابة كان قابلاً للإنزال عليه مختصاً عن جميع الأنبياء كما قال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤] ثم أثبت هذه بتبعيته لمتابعيه فقال.

﴿بل هو﴾ أي القرآن ﴿آيات بينات﴾ واضحات ثابتات راسخات ﴿في صدور الذين أوتوا العلم﴾ من غير أن يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر أحد على تحريفه.

قال الكاشفي: [درسينه آنا نكه شده اند علم راييني مؤمنان أهل كتاب يا صحابة كرام آنرا ياد ميکردند تاهيج كس تحريف نتوان كرد واما خواندن قرآن از ظهر القلب خاصة امت مرحومه است كه كتب مقدمه را از اوراق می خوانده اند] يعني كونه محفوظاً في الصدور من خصائص القرآن لأن من تقدم كانوا لا يقرؤون كتبهم إلا نظراً فإذا أطبقوها لم يعرفوا منها شيئاً سوى الأنبياء وما نقل عن قارون من أنه كان يقرأ التوراة عن ظهر القلب فغير ثابت [وازينجاست كه موسى عليه السلام درمناجاة حضرت گفت] يارب إني أجد في التوراة أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤون ظاهراً لو لم يكن رسم الخطوط لكانوا يحفظون شرائعه عليه السلام بقلوبهم لكمال قوتهم وظهور استعداداتهم ولما اختل رسم التوراة اختلت شريعتهم. وفي بعض الآثار: ما حسدتكم اليهود والنصارى على شيء كحفظ القرآن.

قال أبو أمامة: إن الله لا يعذب بالنار قلباً وعى القرآن وقال عليه السلام: «القلب الذي ليس فيه شيء من القرآن كالبيت الخراب» وفي الحديث: «تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل من عقلها» أي من الإبل المعقلة إذا أطلقها صاحبها والتعاهد والتعهد التحفظ أي المحافظة وتجديد الأمر به والمراد هنا الأمر بالمواظفة على تلاوته والمداومة على تكراره فمن سنة القارئ أن يقرأ القرآن كل يوم وليلة كيلا ينساه وعن النبي عليه السلام: «عرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أكبر من آية أو سورة أرتيها الرجل ثم نسيها» والنسيان أن لا يمكنه القراءة من المصحف كذا في «القنية».

وكان ابن عينة يذهب إلى أن النسيان الذي يستحق صاحبه اللوم ويضاف إليه الإثم ترك العمل به والنسيان في لسان العرب الترك قال تعالى: ﴿قَلَمًا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ﴾ [الأنعام: ٤٤] أي تركوا وقال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ [التوبة: ٦٧] أي تركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] أي فترك رحمتهم.

قال شارح «الجزرية» وقراءة القرآن من المصحف أفضل من قرارة القرآن من حفظه هذا هو

المشهور عن السلف ولكن ليس هذا على إطلاقه بل إن كان القارىء من حفظه يحصل له التدبر والتفكر وجمع القلب والبصر أكثر مما يحصل له من المصحف فالقراءة من الحفظ أفضل وإن تساويا فمن المصحف أفضل لأن النظر في المصحف عبادة واستماع القرآن من الغير في بعض الأحيان من السنن

دل از شنیدن قرآن بکیردت همه وقت جو باطلان زکلام حقت ملول جیست
 قال في «كشف الأسرار»: قلوب الخواص من العلماء بالله خزائن الغيب فيها براهين حقه
 وبيانات سره ودلائل توحیده وشواهد ربوبیته فقاانون الحقائق قلوبهم وكل شيء يطلب من موطنه
 ومحله [درشب افروز از صدف جویند و آفتاب تابان از برج فلک وعسل مصفی از نحل ونور
 معرفت ووصف ذات احدیت از دلهای عارفان جویند که دلهای ایشان قانون معرفت است
 ومحل تجلی صفات] بل يطلب حضرة جلالة عند حظائر قدس قلوب خواص عباده كما
 سأل الله موسى عليه السلام قال: «إلهي أين أطلبك قال أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي». وفي «المثنوي».

ازدرون واهل دل آب حیات چند نوشیدی وواشد چشمهات
 بس غذای سکر ووجد وبیخودی ازدر اهل دلان برجان زدی
 قال المولى الجامي:

نکته عرفان مجو از خاطر آلودگان کوهر مقصود رادلهاي باک آمد صدف
 ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ مع کونها كما ذكر ﴿إلا الظالمون﴾ أي المتجاوزون للحدود في
 الشر والمكابرة والفساد. روي: أن المسيح ابن مريم عليه السلام قال للحواريين: «أنا أذهب
 وسيأتيكم الفاز قليط» يعني محمداً صلى الله عليه وسلم روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه
 ولكنه ما يسمع به يكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب وهو يشهد لي كما
 شهدت له فإني جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل ويفسر لكم كل شيء.
 قوله: يخبركم بالحوادث. يعني ما يحدث في الأزمنة المستقبلية مثل خروج الدجال
 وظهور الدابة وطلوع الشمس من مغربها وأشباه ذلك ويعني بالغيوب أمر القيامة من الحساب
 والجنة والنار مما لم يذكر في التوراة والإنجيل والزبور وذكره نبينا صلى الله عليه وسلم كذا في
 «كشف الأسرار».

وفي الآية إشارة إلى أن الحرمان من رؤية الآيات من خصوصية رين الجحد والإنكار إذا
 غلب على القلوب فتصدأ كما تصدأ المرأة فلا تظهر فيها نقوش الغيوب وتعمي عن رؤية
 الآيات: قال الكمال الخجندي.

له في كل موجود علامات وآثار دو عالم برز معشوقست كويك عاشق صادق
 قال الشيخ المغربي قدس سره:

نخست دیده طلب کن بس آنکهی دیار ازانکه یار کند جلوه بر اولو الابصار
 تراکه چشم نباشد جه حاصل ازشاهد تراکه کوش نباشد جه سود از کفتار
 اگرجه آینه داری از برای رخش ولی سود که داری همیشه آینه تار
 بیا بصیقل توحید ز آینه بز دای عبار شرك تاباك كردد از زنكار
 قال إبراهيم الخواص رحمه الله: دواء القلب خمسة: قراءة القرآن بالتدبر. والخلاء.

وقيام الليل والتضرع إلى الله عند السحر . ومجالسة الصالحين جعلنا الله وإياكم من أهل الصلاح والفلاح إنه القادر الفتح فائق الأصباح خالق المصباح .

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿وقالوا﴾ أي كفار قريش ﴿لولا﴾ تحضيضية بمعنى هلا . وبالفارسية [جرا] . ﴿أنزل﴾ [فرو فرستاه نمي شود] ﴿عليه﴾ على محمد ﴿آيات من ربه﴾ مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام ﴿قل إنما الآيات عند الله﴾ في قدرته وحكمته ينزلها كما يشاء وليس بيدي شيء فأتاكم بما تقترحونه . ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾ ليس إلا الإنذار والتخويف من عذاب الله بما أعطيت من الآيات . يعني : [تخويف ميکنم بلغتی که شما در یابید] وهو معنى الظهور .

قال في «كشف الأسرار» : والحكمة في ترك إجابة النبي عليه السلام إلى الآيات المقترحة أنه يؤدي إلى ما لا يتناهى وإن هؤلاء طلبوا آيات تضطربهم إلى الإيمان فلو أجابهم إليها لما استحقوا الثواب على ذلك انتهى ولو لم يؤمنوا لاستأصلوا وعذاب الاستئصال مرفوع عن هذه الأمة ببركة النبي عليه السلام ثم قال تعالى بياناً لبطلان اقتراحهم .

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ .

﴿أو لم يكفهم﴾ الهمة للإنكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام والكفاية ما فيه سد الخلة وبلوغ المراد في الأمر أي أقصر ولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه . ﴿أنا أنزلنا عليك الكتاب﴾ الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وأنت بمعزل من مدارستها وممارستها ﴿يتلى عليهم﴾ بلغتهم في كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان .

وفيه إشارة إلى عمى بصر قلوبهم حيث لم يروا الآية الواضحة التي هي القرآن حتى طلبوا الآيات وإلى أن تيسير قراءة مثل هذا القرآن في غير كاتب وقارئ وإنزاله عليه وحفظه لديه وإحالة بيانه إليه آية واضحة . ﴿إن في ذلك﴾ الكتاب العظيم الشأن الباقي على ممر الدهور والأزمان . ﴿لرحمة﴾ أي : نعمة عظيمة ﴿وذكرى﴾ أي تذكرة . وبالفارسية [يندي ونصيحتي] ﴿لقوم يؤمنون﴾ أي لقوم همهم الإيمان لا التعتن كأولئك المقترحين . وفي «المشوي» :

بند کفتن باجهول خابنآک تخم افکنندن بود درشوره خاک

﴿قل كفى بالله﴾ أي كفى الله والباء صلة ﴿بيني وبينكم شهاداً﴾ بما صدر عني وعنكم ﴿يعلم ما في السموات والأرض﴾ أي : من الأمور التي من جملتها شأني وشأنكم . ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ الذي لا يجوز الإيمان به كالصم والشیطان وغيرهما .

وفيه إشارة إلى أن من أبصر بعين النفس لا يرى إلا الباطل فيؤمن به . ﴿وكفروا بالله﴾ الذي يجب الإيمان به مع تعاضد موجات الإيمان . ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ المغبونون في صفقتهم الأخروية حيث اشتروا الكفر بالإيمان وضيعوا الفطرة الأصلية والأدلة السمعية الموجبة للإيمان :

عمر تو کنج وهر نفس ازوی بكل کهر کنجی چنین لطیف مکن رایکان تلف

﴿وَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لِّجَاءِ هَؤُلَاءِ الْعَذَابِ وَلِيُؤَيِّنَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ الاستعجال طلب الشيء قبل وقته. يعني [شتاب میکنند کافران ترا بعذاب آوردن بایشان] أي يقول: نضر بن الحارث وأمثاله بطريق الاستهزاء متى هذا الوعد وأمطر علينا حجارة من السماء.

وفيه إشارة إلى أن من استعجل العذاب ولم يصبر على العافية لعجل خلق منه وهو مركوز في جبلته كيف على البلاء والضراء لو لم يصبره الله كما قال لنبيه عليه السلام: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] يسأل الله العافية من كل بلية ﴿ولولا أجل مسمى﴾ أي وقت معين لعذابهم وهو يوم القيامة كما قال ﴿يَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [الفر: ٤٦] وذلك أن الله تعالى وعد النبي عليه السلام أنه لا يعذب قومه استئصالاً بل يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة وقد سمت الإرادة القديمة بالحكمة الأزلية لكل مقدور كائن أجلاً فلا تقدم له ولا تأخر عن المضروب المسمى. ﴿لجاءهم العذاب﴾ عاجلاً.

وفيه إشارة إلى أن الاستعجال في طلب العذاب في غير وقته المقدر لا ينفع وهو مذموم فكيف ينفع الاستعجال في طلب مرادات النفس وشهواتها في غير أوانها وكيف لم يكن مذموماً ﴿وليأتينهم﴾ العذاب الذي عين لهم عند حلول الأجل. وبالفارسية [وبي شك خواهد آمد عذاب بدیشان] ﴿بغته﴾ [ناگاه].

قال الراغب: البغت مفاجأة الشيء من حيث لا يحتسب ﴿وهم لا يشعرون﴾ بإتيانه. يعني [وحال آنکه ایشان ندانند که عذاب آید بایشان وایشان ناآگاه].

يقول الفقير: إن قلت عذاب الآخرة ليس من قبيل المفاجأة فكيف يأتي بغته؟.

قلت: الموت يأتيهم بغته أي في وقت لا يظنون أنهم يموتون فيه وزمانه متصل بزمان القيامة ولذا عد القبر أول منزل من منازل الآخرة ويدل عليه قوله عليه السلام: «من مات فقد قامت قيامته» وفي البرزخ عذاب ولو كان نصفاً من حيث أنه حظ الروح فقط.

وقال بعضهم: لعل المراد بإتيانه كذلك أن لا يأتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والإجابة إلى مسؤولهم فإن ذلك إتيان برأيهم وشعورهم.

وفي بعض الآثار: من مات مصححاً لأمره مستعداً لموته ما كان موته بغته وإن قبض نائماً ومن لم يكن مصححاً لأمره ولا مستعداً لموته فموته موت فجأة وإن كان صاحب الفراش سنة.

قال في «لطائف المنن»: وقد تحاورت الكلام أنا وبعض من يشتغل بالعلم في أنه ينبغي إخلاص النية فيه وأن لا يشتغل به إلا لله فقلت: الذي يطلب العلم لله إذا قيل له غداً تموت لا يضع الكتاب من يده أي لكونه وفي الحقوق فلم ير أفضل مما هو فيه فيحب أن يأتيه الموت على ذلك

تو غافل در اندیشه سود و مال	که سرمایه عمر شد بايماں
طريقي بدست آروصلحي بجوی	شفيعی برانکيز وغدری بکوی
که يك لحظه صورت نبندد امان	جو بيماانه برشد بدور زمان

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [تعجيل ميكند ترا بعذاب آوردن] ﴿وإن جهنم﴾ أي: والحال أن محل العذاب الذي لا عذاب فوقه. ﴿لمحيطة بالكافرين﴾ أي: ستحيط بهم عن قريب لأن ما هو آت قريب.

قال في «الإرشاد»: وإنما جيء بالاسمية دلالة على تحقق الإحاطة واستمرارها وتنزيلاً لحال السبب منزلة المسبب فإن الكفر والمعاصي الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم. وقال بعضهم: إن الكفر والمعاصي هي النار في الحقيقة ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة.

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿يوم يغشاهم العذاب﴾ ظرف لمضمر أي يوم يعلوهم ويسترهم العذاب الذي أشير إليه بإحاطة جهنم بهم يكون من الأحوال والأحوال ما لا يفي به المقال. ﴿من فوقهم﴾ [أي ازبیر سرهای ایشان] ﴿ومن تحت أرجلهم﴾ [أواز زیر بایهای ایشان] والمراد من جميع جهاتهم ﴿ويقول﴾ الله أو بعض الملائكة بأمره ﴿ذوقوا﴾ [بجشید] والذوق وجود الطعم بالفم وأصله مما يقل تناوله فإذا أكثر يقال له الأكل واختير في القرآن لفظ الذوق في العذاب لأن ذلك وإن كان التعارف للقليل فهو مستصلح للكثير فخصه بالذكر ليعلم الأمرين كما في «المفردات» ﴿ما كنتم تعملون﴾ أي جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من السيئات التي من جملتها الاستعجال بالعذاب.

قال الكاشفي: [دنيا دار عمل بود وعقبي دار جزاست هرچه آنجا کاشته اید انبجا می دروید]:

توخمی بیفشان که جون بدروی زمحصول خود شاد وخرم شوی
وفي «التأويلات النجمية»: قوله: ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ يشير إلى أن استعجال العذاب لأهل العذاب وهو نفس الكفر لا حاجة إليه بالاستعداد ﴿وإن جهنم﴾ الحرص والشره والشهوة والكبر والحسد والغضب والحقد ﴿لمحيطة بالكافرين﴾ بالنفوس الكافرة الآن بنفاد الوقت ﴿يوم يغشاهم العذاب﴾ بإحاطة هذه الصفات ﴿من فوقهم﴾ الكبر والغضب والحسد والحقد ﴿ومن تحت أرجلهم﴾ الحرص والشره والشهوة ولكنهم بنوم الغفلة نائمون ليس لهم خبر عن ذوق العذاب كالتائم لا شعور له في النوم بما يجري على صورته لأنه نائم الصورة فإذا انتبه يجد ذوق ما يجري عليه من العذاب كما قال ﴿ويقول﴾ يعني يوم القيامة ﴿ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ أي عذاب ما كنتم تعاملون الخلق والخالق به والذي يؤكد هذا التأويل قوله تعالى ﴿وإنَّ أَلْفَجَارَ لَفِي هَمِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤] يعني في الوقت ولا شعور لهم ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ [الانفطار: ١٥] الذي يكون فيه الصلوة والدخول يوم القيامة ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٦] اليوم ولكن لا شعور لهم بها فمن تطلع له شمس الهداية والعناية من مشرق القلب فيخرج من ليل الدين إلى يوم الدين وأشرقت أرض بشريته بنور ربها يرى نفسه محاطة جهنم أخلاقها فيجد ذوق المهاد بقصد الخروج والخلاص منها فإن أرض الله واسعة كما يأتي نسأل الله الخلاص.

﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿يا عبادي الذين آمنوا﴾ خطاب تشریف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من إقامة أمور الدين كما ينبغي لممانعة من جهة الكفر وإرشاد لهم إلى الطريق الأسلم.

قال الكاشفي: [أورده اندكه جمعي ازمؤمنان درمكه اقامت كرده ازجهت قلت زاد وكمی استعداد بابسبب محبت اوطان ياصحبت اخوان هجرت نميكر دند وبترس وهراس برستش خدانمودند] وربما يعذبون في الدين فأنزل الله هذه الآية وقال: يا عبادي المؤمنين إذا لم تسهل لكم العبادة في بلد ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا إلى حيث يتمشى لكم ذلك. ﴿إن أرضي﴾ الأرض الجرم المقابل للسماء أي بلاد المواضع التي خلقتها. ﴿واسعة﴾ لا مضايقة لكم فيها فإن لم تخلصوا العبادة لي في أرضي ﴿فإياي فاعبدون﴾ أي فأخلصوها في غيره فالفاء جواب شرط محذوف ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع إفادة تقديم معنى الاختصاص والإخلاص.

قال الكاشفي: [واكر از دوستی اهل وولد بابسته بلده شده اید روزی مفارقت ضرورت خواهد بود زیراكه].

﴿كل نفس﴾ من النفوس سواء كان نفس الإنسان أو غيرها وهو مبتدأ وجاز الابتداء بالنكرة لما فيها من العموم ﴿ذائقة الموت﴾ أي واجدة مرارة الموت ومتجرعة غصص المفارقة كما يجد الذائق ذوق المذوق وهذا مبني على أن الذوق يصلح للقليل والكثير كما ذهب إليه الراغب.

وقال بعضهم: أصل الذوق بالفم فيما يقل تناوله فالمعنى إذا إن النفوس تزهد بملاسة البدن جزءاً من الموت.

واعلم أن الإنسان روحاً وجسداً وبخاراً لطيفاً بينهما هو الروح الحيواني فمادام هذا البخار باقياً على الوجه الذي يصلح أن يكون علاقة بينها فالحياة قائمة وعند انطفائه وخروجه عن الصلاحية تزول الحياة ويفارق الروح البدن مفارقة اضطرارية وهو الموت الصوري ولا يعرف كيفية ظهور الروح في البدن ومفارقتها له وقت الموت إلا أهل الانسلاخ التام ﴿ثم إني﴾ أي إلى حكمنا وجزائنا. ﴿ترجعون﴾ من الرجوع وهو الرد أي تردون فمن كانت هذه عاقبته ينبغي أن يجتهد في التزود والاستعداد لها ويرى مهاجرة الوطن سهلة واحتمال الغربة هوناً هذا إذا كان الوطن دار الشرك وكذا إذا كان أرض المعاصي والبدع وهو لا يقدر على تغييرها والمنع منها فيهاجر إلى أرض المطيعين من أرض الله الواسعة.

سفر كن جوجاي تو ناخوش بود كزين جاي رفتن بدان ننگ نيست

وكرتنك كردد ترا جايكاه خدای جهانرا جهان تنك نيست

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ومن الصالحات الهجرة للدين ﴿لننبئهم﴾ لننزلهم. وبالفارسية: [هر آينه فرود اديم ايشانرا] قال في «التاج»: النبوء [كسى را جابي فراوردن] ﴿من الجنة غرفاً﴾ مفعول ثان لننبئهم أي قصوراً عالية من الدر والزبرجد والياقوت وإنما قال ذلك لأن الجنة في جهة عالية والنار في سافلة ولأن النظر من الغرف إلى المياه والحضر أشهى وألذ

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ صفة لغرفاً ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: ماکثین فی تلك الغرف إلى غاية ﴿نَعْمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ﴾ الأعمال الصالحة. یعنی: [نیک مزدیست مزد عمل کنندگان خیر را کو شکهای بهشت].

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ صفة للعاملین أو نصب علی المدح أي صبروا علی أذیة المشرکین وشدائد الهجرة للدين وغير ذلك من المحن والمشاق. ﴿وَعَلَىٰ رِبْهِمْ لِتَوَكَّلُونَ﴾ أي: لا یعتمدون فی أمورهم إلا علی الله تعالی وهذا التوکل من قوة الإيمان فإذا قوي الإيمان يخرج من الکفر ملاحظة الأوطان والأموال والأرزاق وغيرهما وتصیر الغریبة والوطن سواء ویکفی ثواب الله بدلاً من الكل وفي الحديث: «من فرّ بدينه من أرض إلى أرض ولو كان شبراً استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد» علیهما السلام أما استیجاب الجنة والغرف فلتکره المسکن المألوف لأجل الدين وامثال أمر رب العالمین وأما رفافته لهما فلمتابعتهما فی باب الهجرة وإحياء سنتهما فإن إبراهيم علیه السلام هاجر إلى الأرض المقدسة ونبينا علیه السلام هاجر أرض المدينة.

وفیه إشارة إلى أن السالك ينبغي أن يهاجر من أرض الجاه وهو قبول الخلق إلى أرض الخمول - حکایت کنند از ابو سعید خراز قدس سره - گفت در شهری بودم ونام من در آنجا مشهور شده درکار من عظیم برفتند چنانکه پوست خریزه که از دست من بیفتاد برداشتند واز یکدیگر بصد دینار می خریدند وبر آن می افزودند باخود گفتم این نه جای منست ولانق روز کار من بس از آنجا هجرت کردم بجای افتادم که مرازندیق می گفتند وهر روز دویار برمن سنک باران همی کردند همان جای مقام ساختم وآن رنج وپلا همی کشیدم وخوش همی بودم - واز ابراهیم ادهم قدس سره حکایت کنند - که گفت درهمه عمر خویش دردنیاه سه شادی دیدم وباذن الله تعالی شادی نفس خویش راقهر کردم. در شهر انطاکیه شدم برهنه بای وبرهنه سرمیرفتم هر یکی طعنه برمن همی زد یکی گفت «هذا عبد أبى من مولاه» مرا این سخن خوش آمد بانفس خویش گفتم اگر کریخته ورمیده کاه آن نیامدکه بطریق صلح باز آیی. دوم شادی آن بودکه درکشتی نشست به بودم مسخره درمیان آن جمع بود وهیچ کس را از من حقیر تر وخوارتر نمی دید هر ساعتی بیامدی ودست در قفای من داشتی سوم. آن بودکه در شهر مطیه در مسجدی سر بزانی حسرت نهاده بودم در وادی کم وکاست خود افتاده بی حرمتی بیامد وبند میزد بکشاد وآب در من ریخت یعنی تبول کرد وگفت «خدماء الورد» ونفس من آیات ساعت از آن حقارت خوش بکشت ودلم بدان شاد شد واین شادی از بارگاه عزت در حق خود تحفه سعادت یافتم. بیر طریقت گفت بسا مغرور در سیر الله ومستدرج در نعمت الله ومفتون بشنای خلق [فعلى العاقل أن يموت عن نفسه ويذوق ألم الفناء المعنوي قبل الفناء الصوري فإن الدنيا دار الفناء] هر نفسی چشمنده مر کست وهر کسی را راه کندبر مرکست راهی رفتنی ویلی گذشتنی وشرابی آشامیدنی سید صلوات الله علیه بیوسته امت را این وصیت کردی «أكثرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ» زینهار مرک را فراموش مکنید واز آمدن او غافل مباشید.

از ابراهیم بی ادهم قدس سره سؤال کردندکه آیا قدوه اهل طریقت وای مقدمه زمره حقیقت آن جه معنی بودکه درسویدای دل وسینه تو یدید از آمد تاتاج شاهی ازسر بنهادی ولباس سلطانی ازتن بر کشیدی ومرقع درویشی دریوشیدی ومحنت وپی نوایی اختیار کردی

رکفت آری روزی بر تخت مملکت نشسته بودم و بر چهار بالش حشمت تکیه زده که ناکاه آیینیه دریش روی من داشتند در آیینیه نکه کردم منزل خود در خاک دیدم و مرامونس نه سفر دراز دریش و مرزادانه زندانی تافته دیدم و مرا طاقت نه قاضی عدل دیدم و مرا حجت نه ای مردی که اگر بساط امل توکوشه باز کشند از قاف تا قاف بکیرد باری بنکرکه صاحب قاب قوسین جه میگوید «والله ما رفعت قدماً وظننت أنني وضعتها وما أكلت لقمة وظننت أنني ابتلعتها» گفت بدان خدانی که مرا بخلق فرستاد که هیچ قدمی از زمین برنداشتم که کمان بردم که بیش از مرک من آنرا بزمین باز توانم نهاد و هیچ لقمه در دهان نهدم که جنان بنداشتم که من آن لقمه رایش از مرک توانم فروبرد او که سید اولین و آخرین و مقتدای اهل آسمان و زمین است چنین میگوید و تو مغرور و غافل امل دراز دریش نهاده و صد ساله کار و بار ساخته و دل بر آن نهاده خبر نداری که این دنیا غدار سرای غرورست نه سرور و سرای فرارست نه سرای قرار.

تاکی از دار الغروری ساختن دار السرور تاکی از دار الفراری ساختن دار القرار
ای خداوندان مال الاعتبار الاعتبار وی خداوندان قال الاعتذار الاعتذار
بیش ازان کین جان عذر آرد فرو ماند زنطق بیش ازان کین چشم عبرت بین فرو ماند زکار
کذا فی «کشف الأسرار».

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١١﴾

﴿و کاین من دابة لا تحمل رزقها﴾ کاین للتکثیر بمعنی کم الخبریه ركب کاف التشبيه مع أي فجرد عنها معناها الإفرادي فصار المجموع كأنه اسم مبني على السكون آخره نون ساكنة كما في من لا تنوين تمکین ولهذا يكتب بعد الياء نون مع أن التنوين لا صورة له في الخط وهو مبتدأ. وجمله قوله الله يرزقها خبره. ولا تحمل صفة دابة. والدابة كل حيوان يدب ويتحرك على الأرض مما يعقل. والحمل بالفتح: [برداشتن بسرويه بشت] وبالكسر اسم للمحمول على الرأس وعلى الظهر. والرزق لغة ما ينتفع به واصطلاحاً اسم لما يسوقه الله إلى الحيوان فيأكله. روي: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة إلى المدينة قالوا: كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة؟ فنزلت والمعنى وكثير من دابة ذات حاجة إلى الغذاء لا تطيق حمل رزقها لضعفها أو تدخره وإنما تصبح ولا معيشة عندها [وذخيره کننده از جانوران آدميست وموش ومور وكفته اند سياه كوش ذخيره نهد وفراموش كند. ودر كشاف از بعضی نقل میکنند که بلبلی را دیدم خوردنی در زیر بالهای خود نهان میکرد القصه جانوران بسیارند از دواب و طیور و وحوش و سباع و هوام و حیوانات آبی که ذخیره نهند و حامل رزق خود نشوند] ﴿الله يرزقها﴾ يعطي رزقها يوماً فيوماً حيث توجهت ﴿و﴾ يرزق ﴿إياكم﴾ حيث كنتم أي ثم إنها مع ضعفها وتوكلها وإياكم واجتهادكم سواء في أنه لا يرزقها وإياكم إلا الله لأن رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة والخروج إلى دار الغربة

هست زفيض كرم ذو الجلال مشرب ارزاق بر آب و لال

شاه وكدا روزی ازان میخورند مور وملخ قسمت از اومیبرند

﴿وهو السميع العليم﴾ المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا في أمر الرزق المبالغ في

العلم فيعلم ضمائرکم.

وقال الكاشفي: [دانا بآنكه شمارا رزوی از كجادهد].

﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ٦١ ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٌ عَلَيْهِ﴾ ٦٢ ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٦٣.

﴿ولئن سألتهم﴾ أي أهل مكة ﴿من﴾ استفهام ﴿خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر﴾ لمصالح العباد حيث يجريان على الدوام والتسخير جعل الشيء منقاداً للآخر وسوقه إلى الغرض المختص به قهراً. ﴿ليقولن﴾ خلقهن ﴿الله﴾ إذ لا سبيل لهم إلى الإنكار لما تقرر في المعقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود ﴿فأنى﴾ [بس كجا] ﴿يؤفكون﴾ الإفك بالفتح الصرف والقلب وبالكسر كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه أي فكيف يصرفون عن الإقرار بتفرد في الإلهية مع إقرارهم بتفرد في ما ذكر من الخلق والتسخير فهو إنكار واستبعاد لتركهم العمل بموجب العلم وتوبيخ وتقريع عليه وتعجيب منه. ﴿الله ييسط الرزق لمن يشاء﴾ أن ييسط له ﴿من عبادہ﴾ مؤمنين أو كافرين.

ادیم زمین سفره عام اوست برین خوان یغماجه دشمن جه دوست ﴿ويقدر﴾ [تنك میسازد] ﴿له﴾ أي: لمن يشاء أن يقدر له منهم كائناً من كان على أن الضمير مبهم حسب إبهام مرجعه ويحتمل أن يكون الموسع له والمضيق عليه واحداً على أن البسط والقبض على التعاقب أي يقدر لمن ييسط له على التعاقب.

قال الحسن: ييسط الرزق لعدوه مكرراً به ويقدر على وليه نظراً له فطوبى لمن نظر الله إليه ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ فيعلم من يليق ببسط الرزق فييسط له ويعلم من يليق بقبضه فيقبض له أو يعلم أن كلاً من البسط والقبض في أي وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلاً منهما في وقته وفي الحديث القدسي: «إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغني ولو أفقرته لأفسده ذلك وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك».

﴿ولئن سألتهم﴾ أي مشركي العرب ﴿من﴾ [كه] ﴿نزل من السماء ماءً فأحيا﴾ [بس زنده كرد وتازه ساخت] ﴿به﴾ [بسبب آن آب] ﴿الأرض﴾ بإخراج الزرع والنبات والأشجار منها ﴿من بعد موتها﴾ ييسها وقحطها. وبالفارسية: [بس از مردكي وافر دكي].

ويقال للأرض التي ليست بمنبئة: ميتة لأنه لا ينفع بها كما لا ينتفع بالميتة ﴿ليقولن﴾ نزل وأحيا ﴿الله﴾ أي يعترفون بأنه الموجد للممكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم إنهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يكاد يتوهم منه القدرة على شيء ما أصلاً.

﴿قل الحمد لله﴾ على أن جعل الحق بحيث لا يجترىء المبطول على جحوده وأن أظهر حجتك عليهم ﴿بل أكثرهم﴾ أي: أكثر الكفار. ﴿لا يعقلون﴾ أي شيئاً من الأشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم فيشركون به سبحانه أحسن مخلوقاته وهو الصنم.

يقول الفقير أغناه الله القدير: قد ذكر الله تعالى آية الرزق ثم آية التوحيد ثم كررها في صورتين أخريين تنبيهاً منه لعباده المؤمنين على أنه سبحانه لا يقطع أرزاق الكفار مع وجود الكفر والمعاصي فكيف يقطع أرزاق المؤمنين مع وجود الإيمان والطاعات

ای کریمی که از خزانه غیب کبر وترسا وظیفه خوردارى
دوستانرا کجا کنی محروم توکه بادشمنان نظر داری
وَإِنَّ سُبْحَانَ لَا يُسَالُ مِنَ الْعِبَادِ إِلَّا التَّوْحِيدَ وَالتَّقْوَى وَالتَّوَكُّلَ فَإِنَّمَا الرِّزْقُ عَلَى اللَّهِ الْكَرِيمِ
وقد قدر سبحانه مقادير الخلق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وما قدر في
الخلق والرزق والأجل لا يتبدل بقصد القاصدين ألا ترى إلى الوحوش والطيور لا تدخر شيئاً
إلى الغد تغدو خماصاً وتروح بطاناً أي ممتلئة البطون والحواصل لاتكالحاها على الله تعالى بما
وصل إلى قلوبها من نور معرفة خالقها فكيف يهتم الإنسان لأجل رزقه وأجله ويدخر شيئاً لغده
ولا يعرف حقيقة رزقه وأجله فربما يأكل ذخيرته غيره ولا يصل إلى غده ولذلك كان صلى الله
عليه وسلم لا يدخر شيئاً لغد إذ الأرزاق مجددة كالأنفاس المجددة في كل لمحة والرزق يطلب
الرجل كما يطلبه أجله [خواجه عالم صلى الله عليه وسلم فرموده که ای مردم رزق قسمت
کرده شده است تجاوز نمی کند از مرد آنچه از برای وی نوشته شده است پس خوبی کنید در
طلب روزی یعنی بطاعت جوید نه بمعصیت ای مردم در قناعت فراخی است ودرمیانه رفتن
واندازه بکار داشتن بسندگی وکفایت است درزهد راحت است وخفت حساب وهر عملی را
جزایست وکل آت قریب]: قال المولى الجامي:

درین خرابه مکش بهر کنج غصه ورنج جونقد وقت توشد فقر خاک برسر کنج
بقصر عشرت وایوان عیش شاهان بین که زاغ نغمه سرا کشت وجفدفا فيه سنج
وعن بعضهم قال: كنت أنا وصاحب لي نتعبد في بعض الجبال وكان صاحبي بعيداً مني
فجاءني يوماً وقال: قد نزل بقرنا بدو فقم نمش إليهم لعله يحصل لنا منهم شيء من لبن غيره
فامتنعت فلم يزل يلح علي حتى وافقته فذهبنا إليهم فأطعمونا من طعامهم ورجعنا وعاد كل
واحد منا إلى مكانه الذي كان فيه ثم إنني انتظرت الظبية في الوقت الذي كانت تأتيني فيه فلم
تأتني ثم انتظرتها بعد ذلك فلم تأتني فانقطعت عني فعرفت أن ذلك بشؤم ذنبي الذي أحدثته
بعد أن كنت مستغنياً بلبنها وهذا الذنب الذي ذكر ثلاثة أشياء أحدها خروجه من التوكل الذي
كان دخل فيه والثاني طمعه وعدم قناعته بالرزق الذي كان مستغنياً به والثالث أكله طعاماً خبيثاً
فحرم رزقاً حلالاً طيباً محضاً أخرجته القدرة الإلهية من باب العدم وأدخلته من باب الإيجاد
بمحض الجود والكرم آتياً من طريق باب خرق العادة كرامة لولي من أوليائه أولى السعادة ذكره
اليافعي في الرياض.

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوا
یَعْلَمُونَ﴾ (١٤)

﴿وما هذه الحیاة الدنیا﴾ إشارة تحقیر للدنیا وکیف لا وهی لا تزن عند الله جناح
بعوضة: والمعنى بالفارسية: [ونیست آین زنکانیء دنیا].

قال الإمام الراغب: الحیاة باعتبار الدنیا والآخرة ضربان الحیاة الدنیا والحیاة الآخرة فهی
إشارة إلى أن الحیاة الدنیا بمعنی الحیاة الأولى بقرينة المقابلة بالآخرة فإنه قد يعبر بالأدنى عن
الأول المقابل للآخر والمراد بالحیاة الأولى ما قبل الموت لدنوه أي قربه وبالآخرة ما بعد
الموت لتأخره ﴿إلا لهو﴾ وهو ما يلهي الإنسان ويشغله عما يعنيه ويهمه والملاهی آلات اللهو

﴿ولعب﴾ يقال: لعب فلان إذا لم يقصد بفعله مقصداً صحيحاً.

قال الكاشفي: ﴿إلا لهو﴾ [مكر مشغولي وبيكاري ولعب وبازي يعني در سرعت انقضا وزوال بپازی کود کان می ماند که یکجا جمع آیند وساعتي بدان متهیج کردند واندک زمانی را ملول ومانده کشته متفرق شوند وجه زیبا گفته است]:

بازیچه ایست طفل قریب این متاع دهر بی عقل مردمان که بدین مبتلا شوند
وفي «التأویلات النجمية»: يشير إلى أن هذه الحياة التي يعيش بها المرء في الدنيا بالنسبة
إلى الحياة التي يعيش بها أهل الآخرة في الآخرة وجوار الحق تعالى لهو ولعب وإنما شبهها
باللهو واللعب لمعنيين:

أحدهما: أن أمر اللهو واللعب سريع الانقضاء لا يداوم عليه فالمعنى: إن الدنيا وزينتها
وشهواتها لظل زائل لا يكون له بقاء فلا تصلح لاطمئنان القلب بها والركون إليها.
والثاني: إن اللهو واللعب من شأن الصبيان والسفهاء دون العقلاء وذوي الأحلام ولهذا
كان النبي عليه السلام يقول: «ما أنا من دد ولا الدد مني» والدد اللهو واللعب فالعاقل يصون
نفسه منه انتهى.

قال في «كشف الأسرار»: فإن قيل: لم سماها لهواً ولعباً وقد خلقها لحكمة ومصلحة؟
قلنا: إنه بنى الخطاب على الأعم الأغلب وذلك أن غرض أكثر الناس من الدنيا اللهو واللعب
انتهى ورد في الخبر النبوي حين سئل عن الدنيا فقال: «دنياك ما يشغلك عن ربك»: وفي
المثنوي:

جیست دنیا از خدا غافل شدن	نی قماش نقره فرزند وزن
مال را کر بهر دین باشی حمل	نعم مال صالح خواندش رسول
آب در کشتی هلاک کشتی ایت	آب اندر زیرکشتی بشتی است
جونکه مال وملك را ازدل براند	زان سلیمان خویش جز مسکین نخواند
کوزه سربسته اندر آب رفت	از دل بر باد فوق آب رفت
باد درویشی جو در باطن بود	بر سر آب جهان ساکن بود
کرجه جمله این جهان ملک ویست	ملك در چشم دل اولای شی است
قيل: الشر كله في بيت واحد ومفتاحه	حب الدنيا وما أحسن من شبهها بخيال الظل

حيث قال:

رأيت خيال الظل أعظم عبرة	لمن كان في علم الحقائق راقی
شخوص وأصوات يخالف بعضها	لبعض وأشكال بغير وفاق
تمر وتقضي أوبة بعد أوبة	وتفني جميعاً والمحرك باقي
ومن إشارات «المثنوي» ما قال:	

ای دریده بوستین یوسفان	کړک بر خیزی ازیڼ خواب کران
کشته کرکان یک بیک خواهای تو	می درانند از غضب اعضای تو
خون نخسبد بعد مرکت در قصاص	تومکوکه مردم ویابم خلاص
این قصاص نقد حیلست سازيست	ییش زخم آن قصاص این بازیست
زین لعب خواندست دنیا را خدا	کین جزا لعبست ییش آن جزا

این جزا تسکین جنک و فتنه است آن جواخصا است و این جون ختنه است ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ أي: وإن الجنة لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت والفناء عليها أو هي في ذاتها حياة للمبالغة. والحيوان مصدر حيي سمي به ذو الحياة وأصله حيان فقلبت الياء الثانية واواً لثلاثا يحذف إحدى الألفات وهو أبلغ من الحياة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحياة في هذا المقام المقتضي للمبالغة. ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لما أثروا عليها الدنيا التي أصلها عدم الحياة ثم ما يحدث فيها من الحياة عارضة سريعة الزوال.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن دار الدنيا لهي الموتان لأنه تعالى سمي الكافر وإن كان حيا بالميت بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتُ﴾ [النمل: ۸۰] وقال: ﴿يُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ۷۰] فثبت أن الدنيا وما فيها من الموتان إلا من أحياء الله بنور الإيمان فهو الحي والآخرة عبارة عن عالم الأرواح والملوكوت فهي حياة كلها وإنما سماها الحيوان والحيوان ما يكون حياً وله حياة فيكون جميع أجزائه حياً فالآخرة حيوان لأن جميع أجزائها حي فقد ورد في الحديث: «إن الجنة بما فيها من الأشجار والثمار والغرف والجنان والأنهار حتى ترابها وحصاها كلها حي» فالحياة الحقيقية التي لا تشينها الغصص والمحن والأمراض والعلل ولا يدكها الموت والفوت لهي حياة أهل الجنات والقربات لو كانوا يعلمون قدرها وغاية كماليتها وحقيقة عزتها لكانوا أشد حرصاً في تحصيلها ههنا فممن فاتته لا يدركها في الآخرة ألا ترى أن من صفة أهل النار أن لا يموت فيها ولا يحيا يعني: ولا يحيا بحياة حقيقة يستريح بها وأنهم يتمنون الموت ولا يجدونه انتهى.

قال في «كشف الأسرار»: [غافل بی حاصل تاشند شربت مرادی آمیزی وتاکی ارزوی پزی. کاه چون شیر هرچت پیش آیدمی شکنی. کاه چون کړك هرچه بینی همی دری. کاه چون کبک در کوههای مرادمی پری کاه چون آهو در مرغزار ارزو همه جری. خبرنداری که این دنیا که توبدان همی نازی و تراهمی فرییدو دردام غروری کشد لهو ولعبست سرای بی سرمایکان و سرماییه بی دولتان و بازیچه بی کاران و بند معشوقه فتانست و رعنا بی سرو سامان دوستی بی وفا وایه بی مهر دشمنی پرگزند بوالعجبی پرفند هرکرا بامداد بنوازد شبانگاه بکدازد و هرکرا یک دو زدل بشادی بیفروزد و دیکروزش بانس هلاک می سوزد].

أحلام نوم أو كظلم زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع وفي «المثنوي»:

صوفی در باغ از بهری کشاد	صوفیانه روی بر زانو نهاد
پس فرورفت او بخود اندر نفول	شد ملول از صورت خوابش فضول
که چه خسبی آخر اندر رزنکر	این درختان بین و آثار خضر
امر حق بشنوک که گفتست انظروا	سوی این آثار رحمت آر رو
گفت آثارش دلست ای بوالهوس	آن بورن آثار آثارسست و بس
باغها و سبزهها بر عین جان	بربرون عکسش چودر آب روان
آن خیال باغ باشد اندر آب	که کند از لطف آب آن اضطراب
باغها و میوها اندر دلست	عکس لطف آن برین آب و کلاست

کرنبودی عکس آن سر و سرور
این غرور آنست یعنی این خیال
جمله مغروران برین عکس آمده
می کریزند از اصول باغها
چونکه خواب غفلت آید شان بسر
پس بکورستان غریو افتادواه
ای خنک آنراکه پیش از مرگ مرد
[این حیات لعب و لهو در چشم کسی آید که از حیات طیب و زندگانی مهر خبر ندارد مراورا
دوستانند که زندگانی ایشان امروز بذکر است و بمهر و فردا زندگانی ایشان بمشاهدت بود
و معایت زندگانی ذکر ثمره، انس است و زندگانی مهر را ثمره، فنا ایشانند که يك طرف ازو
محبوب نیند و هیچ محبوب مانند زنده ندارند].

غم کی خورد آنکه شادمانیش تویی یا کی میرد آنکه زندگانش تویی
فالعقل لا یضیع العمر العزیز فی الهوی واشتغال دنیا الدنیا الرذیلة بل یسارع فی
تحصیل الباقي.

قال الفضیل رحمه الله: لو كانت دنیا من ذهب یفنی والآخرة من خزف یتقی لكان
ینبغي لنا أن نختار خزفاً یتقی علی ذهب یفنی. كما روي أن سليمان عليه السلام قال: لتسيح
فی صحیفة مؤمن خیر مما أوتي ابن داود فإنه یذهب والتسيح تبقی ولا یتقی مع العبد عند
الموت إلا ثلاث صفات صفاء القلب أي عن کدورات دنیا وأنسه بذکر الله ووجهه لله ولا یخفی
أن صفاء القلب وطهارته عن أدناس دنیا لا تكون إلا مع المعرفة والمعرفة لا تكون إلا بدوام
الذكر والفکر وخیر الأذکار التوحید.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ يَكْفُرُوا
بِمَاءِ آتَيْنَهُمْ وَلِيَتَمَنَّوْا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ﴾ متصل بما دل علیه شرح حالهم. والركوب هو الاستعلاء على
الشيء المتحرك وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى: ﴿وَالْحَيْلَ وَالْغَالَ وَالْحَمِيرَ لِرَكْبُوها﴾
[النحل: ٨] واستعماله ههنا وفي أمثاله بكلمة في للإيذان بأن المركوب في نفسه من قبيل الأمكنة
وحركته قسرية غير إرادية. والمعنى أن الكفار على ما وصفوا من الإشراف فإذا ركبوا في السفينة
لتجاراتهم وتصرفاتهم وهاجت الرياح واضطربت الأمواج وخافوا الغرق. وبالفارسية: [پس چون
نشینند کافران در کشتی و بسبب موج در کرداب اضطراب افتند]. ﴿دَعَوْا اللَّهَ﴾ حال كونهم
﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين حيث لا يدعون غير الله
لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد عنهم إلا هو.

وقال في «الأسئلة المقحمة»: ما معنى الإخلاص في حق الكافر والإخلاص دون الإيمان
لا يتصور وجوده؟ والجواب أن المراد به التضرع في الدعاء عند مسيس الضرورة والإخلاص
في العزم على الإسلام عند النجاة من الغرق ثم العود والرجوع إلى الغفلة والإصرار على الكفر
بعد كشف الضر ولا يرد الإخلاص الذي هو من ثمرات الإيمان انتهى ويدل عليه ما قال

عكرمة: كان أهل الجاهلية إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام فإذا اشتدت بهم الرياح ألقوا تلك الأصنام في البحر وصاحوا «يا خدائي يا خدائي» كما في «الوسيط» و«يا رب يا رب» كما في «كشف الأسرار» ﴿فلما نجاهم إلى البر﴾ البر خلاف البحر وتصور منه التوسع فاشتق منه البر أي التوسع في فعل الخير كما في «المفردات»؛ والمعنى بالفارسية. [پس آن هنگام که نجات دهد خدای تعالی ایشانرا از بحر و غرق و برون آرد بسلامت بسوی خشک و دشت] ﴿إذا هم﴾ [آنکاه ایشان] ﴿یشرکون﴾ أي فاجئوا المعادة إلى الشرك. يعني [باز کردند بعبادت خویش].

﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ اللام فيه لام كي أي ليكونوا كافرين بشركهم بما آتيناهم من نعمة النجاة التي حقها أن يشكروها ﴿وليتمتعوا﴾ أي: ولينتفعوا باجتماعهم على عبادة الأصنام وتوآدهم عليها ويجوز أن يكون لام الأمر في كليهما ومعناه التهديد والوعيد كما في اعملوا ما شئتم. ﴿فسوف يعلمون﴾ أي عاقبة ذلك وغائلته حين يرون العذاب.

وفي «التأويلات»: وبقوله: ﴿فإذا ركبوا في الفلك﴾ يشير إلى أن الإخلاص تفرغ القلب من كل ما سوى الله والثقة بأن لا نفع ولا ضرر إلا منه وهذا لا يحصل إلا عند نزول البلاء والوقوع في معرض التلف وورطة الهلاك ولهذا وكل بالأنبياء والأولياء لتخليص الجوهر الإنساني القابل للفيض الإلهي من قيد التعلقات بالكونين والرجوع إلى حضرة المكنون فإن الرجوع إليها مركوز في الجوهر الإنسان لو خلى وطبعه لقوله: ﴿إِنَّ إِيَّاكَ لَرَجَعْتُ﴾ [العلق: ٨] فالفرق بين إخلاص المؤمن وإخلاص الكافر بأن يكون إخلاص المؤمن مؤيداً بالتأييد الإلهي وأنه قد عبد الله مخلصاً في الرخاء قبل نزول البلاء فنال درجة الإخلاص المؤيد من الله بالسر الذي قال تعالى: «الإخلاص سر بيني وبين عبدي لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل» فلا يتغير في الشدة والرخاء ولا في السخط والرضى وإخلاص الكافر إخلاص طبيعي قد حصل له عند نزول البلاء وخوف الهلاك بالرجوع الطبيعي غير مؤيد بالتأييد الإلهي عند خمود التعلقات كراكبي الفلك. ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ دعاء اضطرارياً فأجابهم من يجيب المضطر بالنجاة من ورطة الهلاك ﴿فلما نجاهم إلى البر﴾ وزال الخوف والاضطرار عاد المিশوم إلى طبعه. ﴿إذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم﴾. أي ليكون حاصل أمرهم من شقاوتهم أن يكفروا بنعمة الله ليستوجبوا العذاب الشديد ﴿وليتمتعوا﴾ أياماً قلائل ﴿فسوف يعلمون﴾ أن عاقبة أمرهم دوام العقوبة إلى الأبد انتهى: قال الشيخ سعدى:

ره راست بایدنه بالای راست که کافرهم از روی صورت چوماست
ترا آنکه چشم ودهان داد وکوش اگر عاقلی در خلافتش مکوش
مکن کردن از شکر منعم مپیچ که روز پسین سر بر آری بهیچ

قال الشيخ الشهير بزروق الفاسي في شرح حزب البحر: أما حكم ركوب البحر من حيث هو فلا خلاف اليوم في جوازه وإن اختلف فيه نظراً لمشقته فهو ممنوع في أحوال خمسة.

أولها: إذا أدى لترك الفرائض أو نقصها فقد قال مالك للذي يمشي فلا يصلي الراكب حيث لا يصلي: ويل لمن ترك الصلاة. والثاني: إذا كان مخوفاً بارتجاعه من الغرق فيه فإنه لا يجوز ركوبه لأنه من الإلقاء إلى التهلكة قالوا: وذلك من دخول الشمس العقرب إلى آخر الشتاء. والثالث: إذا خيف فيه الأسر واستهلاك العدو في النفس والمال لا يجوز ركوبه بخلاف

ما إذا كان معه أمن والحكم للمسلمين لقوة يدهم وأخذ رهائنهم وما في معنى ذلك . والرابع : إذا أدى ركوبه إلى الدخول تحت أحكامهم والتذلل لهم ومشاهدة منكرهم مع الأمن على النفس والمال بالاستئمان منهم وهذه حالة المسلمين اليوم في الركوب مع أهل الطرائد ونحوهم وقد أجراها بعض الشيوخ على مسألة التجارة لأرض الحرب ومشهور المذهب فيها الكراهة وهي من قبيل الجائز وعليه يفهم ركوب أئمة العلماء والصلحاء معهم في ذلك وكأنهم استخفوا الكراهة في مقابلة تحصيل الواجب الذي هو الحج وما في معناه . والخامس : إذا خيف بركوبه عورة كركوب المرأة في مركب صغير لا يقع لها فيه سترها فقد منع مالك ذلك حتى في حجها إلا أن يختص بموضع ومركب كبير على المشهور . ومن أورد البحر «الحي القيوم» ويقول عند ركوب السفينة : ﴿يَسِّرْ اللَّهُ بَجْرَتَهَا وَتَرْسَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: ٤١] ، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١] ، ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَكُوتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] فإنه أمان من الغرق .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ (٦٧)

﴿أو لم يروا﴾ أي ألم ينظر أهل مكة ولم يشاهدوا ﴿أنا جعلنا﴾ أي بلدهم ﴿حرمًا﴾ محترمًا ﴿آمنًا﴾ مصونًا من النهب والتعدي سالماً أهله آمناً من كل سوء ﴿ويخطف الناس من حولهم﴾ التخطف بالفارسية : [ربودن] وحول الشيء جانبه الذي يمكنه أن يتحول إليه أي والحال أن العرب يختلسون ويؤخذون من حولهم قتلاً وسبياً إذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ أي أبعد ظهور الحق الذي لا ريب فيه بالباطل وهو الصنم أو الشيطان يؤمنون دون الحق وتقديم الصلة لإظهار شناعة ما فعلوه وكذا في قوله : ﴿وبنعمة الله المستوجبة للشكر يكفرون﴾ حيث يشركون به غيره .

وفي «التأويلات النجمية» : ﴿أفبالباطل﴾ وهو ما سوى الله من مشارب النفس ﴿يؤمنون﴾ أي يصرفون صدقهم ﴿وبنعمة الله﴾ وهي مشاهدة الحق . ﴿يكفرون﴾ بأن لا يطلبوها انتهى إنما فسر الباطل بما سوى الله لأن ما خلا الله باطل مجازي أما بطلانه فلكونه عدماً في نفسه وأما مجازيته فلكونه مجلى ومراً للوجود الإضافي .

واعلم أن الكفر بالله أشد من الكفر بنعمة الله لأن الأول لا يفارق الثاني بخلاف العكس والكفار جمعوا بينهما فكانوا أذم .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٦٨)

﴿ومن أظلم﴾ [وكيست ستمكار تر] ﴿ممن افتري﴾ [بيد اكرد از نفس خویش] ﴿على الله﴾ الأحد الصمد ﴿كذباً﴾ بأن زعم أن له شريكاً، أي هو أظلم من كل ظالم ، ﴿أو كذب بالحق﴾ بالرسول أو بالقرآن ﴿لما جاءه﴾ من غير توقف عناداً ففي لما تسفيه لهم بأن لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا إلى التكذيب أول ما سمعوه ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾ تقريب لثوائهم فيها أي إقامتهم فإن همزة الاستفهام الإنكاري إذا دخلت على النفي صار إيجاباً أي لا يستوجبون الإقامة والخلود في جهنم وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء والتكذيب بالحق الصريح مثل هذا التكذيب الشنيع أو إنكار واستبعاد لاجترائهم على الافتراء

والتكذيب أي ألم يعلموا أن في جنهم مثوى للكافرين حتى اجتروا هذه الجراءة.
وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ بأن يرى من نفسه بأن
له مع الله حالاً أو وقتاً أو كشفاً أو مشاهدة ولم يكن له من ذلك شيء وقالوا إذا فعلوا فاحشة:
وجدنا عليها آباءنا به يشير إلى أن الإباحية وأكثر مدعي زماننا هذا إذا صدر منهم شيء على
خلاف السنة والشرعية يقولون: إنا وجدنا مشايخنا عليه والله أمرنا بهذا أي مسلم لنا من الله هذه
الحركات لمكانة قربنا إلى الله وقوة ولايتنا فإنها لا تضر بل تنفعنا وتفيد. ﴿أو كذب بالحق﴾
أي: بالشرعية وطريقة المشايخ وسيرتهم لما جاء ﴿أليس في جهنم﴾ النفس ﴿مثوى﴾ محبس
﴿للكافرين﴾ أي: لكافري نعمة الدين والإسلام والشرعية والطريقة بما يفترون وبما يدعون بلا
معنى القيام به كذايين في دعواهم انتهى. قال الحافظ:

مدعى خواست كه آيد بتماشا كه راز دست غيب آمد ویرسینه نا محرم زد
فالمدعي أجني عن الدخول في حرم المعنى كما أن الأجني ممنوع عن الدخول في
حرم السلطان وقال الكمال الخجندي:

مدعى نیست محروم دربار خادم كعبه بولهب نبود
فالواجب الاجتناب عن الدعوى والكذب وغيرهما من صفات النفس واكتساب المعنى
والصدق ونحوهما من أوصاف القلب. قال الحافظ:

طريق صدق بیاموز از آب صافی دل براستی طلب ازاد كي چوسرو چمن
حكي: عن إبراهيم الخواص رحمه الله أنه كان إذا أراد سفرأ لم يعلم أحداً ولم يذكره
وإنما يأخذ ركوته ويمشي قال حامد الأسوار: فبينما نحن معه في مسجده تناول ركوته ومشى
فاتبعته فلما وافينا القادسية قال لي: يا حامد إلى أين؟ قلت: يا سيدي خرجت لخروجك قال:
أنا أريد مكة إن شاء الله تعالى قلت: وأنا أريد إن شاء الله مكة فلما كان بعد أيام إذا بشاب قد
انضم إلينا فمشى معنا يوماً وليلة لا يسجد لله تعالى سجدة فعرفت إبراهيم فقلت: إن هذا
الغلام لا يصلي فجلس وقال: يا غلام ما لك لا تصلي والصلاة أوجب عليك من الحج فقال:
يا شيخ ما علي صلاة قال: ألسنت مسلماً؟ قال: لا قال: فأني شيء أنت؟ قال: نصراني ولكن
إشارتي في النصرانية إلى التوكل وادعت نفسي أنها قد أحكمت حال التوكل فلم أصدقها فيما
ادعت حتى أخرجتها إلى هذه القلاة التي ليس فيها موجود غير المعبود أثير ساكني وامتحن
خاطري فقام إبراهيم ومشى وقال: دعه يكون معك فلم يزل يسايرنا حتى وافينا بطن مرو فقام
إبراهيم ونزع خلقانه فطهرها بالماء ثم جلس وقال له: ما اسمك؟ قال: عبد المسيح فقال: يا
عبد المسيح هذا دهليز مكة يعني الحرم وقد حرم الله على أمثالك الدخول إليه قال الله تعالى:
﴿إِنَّمَا الشُّرُكُوتُ بَحْسٌ فَلَا يَفْرُقُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨] والذي أردت أن
تستكشف من نفسك قد بان لك فاحذر أن تدخل مكة فإن رأيناك بمكة أنكرنا عليك قال حامد:
فتركناه ودخلنا مكة وخرجنا إلى الموقف فبينما نحن جلوس بعرفات إذا به قد أقبل عليه ثوبان
وهو محرم يتصفح الوجوه حتى وقف علينا فأكب على إبراهيم يقبل رأسه فقال له: ما الحال يا
عبد المسيح؟ فقال له: هيهات أنا اليوم عبد من المسيح عبده فقال له إبراهيم: حدثني حديثك
قال: جلست مكاني حتى أقبلت قافلة الحاج فقممت وتنكرت في زي المسلمين كأنني محرم
فساعة وقعت عيني على الكعبة اضمحل عندي كل دين سوى دين الإسلام فأسلمت واغتسلت

وأحرمت فيها أنا أطلبك يومي فالتفت إلى إبراهيم وقال: يا حامد انظر إلى بركة الصدق في النصرانية كيف هداه إلى الإسلام ثم صحبنا حتى مات بين الفقراء رحمه الله تعالى.

يقول الفقير: أصلحه الله القدير في هذه الحكاية إشارات. منها كما أن حرم الكعبة لا يدخله مشرك متلوث بلوث الشرك كذلك حرم القلب لا يدخله مدع متلوث بلوث الدعوى. ومنها أن النصراني المذكور صحب إبراهيم أياماً في طريق الصورة فلم يضيعه الله حيث هداه إلى الصحبة به في طريق المعنى. ومنها أن صدقه في طريقه أذاه إلى أن آمن بالله وكفر بالباطل. ومنها أن من كان نظره صحيحاً فإذا شاهد شيئاً من شواهد الحق يستدل به على الحق ولا يكذب بآيات ربه كما وقع للنصراني المذكور حين رأى الكعبة التي هي صورة سر الذات وكما وقع لعبد الله بن سلام فإنه حين رأى النبي عليه السلام آمن وقال: عرفت أنه ليس بوجه كذاب نسأل الله حقيقة الصدق والإخلاص والتمتع بثمرات أهل الاختصاص.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

﴿والذين جاهدوا فينا﴾ الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو أي جدوا وبذلوا وسعهم في شأننا وحققنا ولوجهن خالصاً. وأطلق المجاهدة ليعم جهاد الأعداء الظاهرة والباطنة أما الأول فكجهاد الكفار المحاربين وأما الثاني فكجهاد النفس والشيطان وفي الحديث: «جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم» ويكون الجهاد باليد واللسان كما قال عليه السلام: «جاهدوا الكفار بأيديكم وألستكم» أي بما يسوءهم من الكلام كالهجر ونحوه.

قال ابن عطاء: المجاهدة صدق الافتقار إلى الله بالانقطاع عن كل ما سواه وقال عبد الله بن المبارك المجاهدة علم أدب الخدمة فإن أدب الخدمة أعز من الخدمة.

وفي «الكواشي»: المجاهدة غرض البصر وحفظ اللسان وخطرات القلب ويجمعها الخروج عن العادات البشرية انتهى فيدخل فيها الغرض والقصد ﴿لنهديهم سبلنا﴾ الهداية الدلالة إلى ما يوصل إلى المطلوب. والسبل جمع سبيل وهو من الطرق ما هو معتاد السلوك ويلزمه السهولة ولهذا قال الإمام الراغب: السبيل الطريق الذي فيه سهولة انتهى. وإنما جمع لأن الطريق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق والمعنى سبل السير إلينا والوصول إلى جنابنا.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد المهاجرين والأنصار أي والذين جاهدوا المشركين وقتلوه في نصرة ديننا لنهديهم سبل الشهادة والمغفرة والرضوان.

وقال بعضهم: معنى الهداية ههنا التثبيت عليها والزيادة فيها فإنه تعالى يزيد المجاهدين هداية ما يزيد الكافرين ضلالة فالمعنى لنزيدهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقاً لسلوكها كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَتَدُوا رَادَّهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧] وفي الحديث: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» وفي الحديث: «من أخلص لله أربعين صباحاً انفجرت ينباع الحكمة من قلبه على لسانه».

وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهديهم سبيل الجنة ثم قيل: مثل السنة في الدنيا كمثل الجنة في العقبى من دخل الجنة في العقبى سلم كذا من لزم السنة في الدنيا سلم.

ويقال: والذين جاهدوا بالتوبة لنهديهم إلى الإخلاص. والذين جاهدوا في طلب العلم لنهديهم إلى طريق العمل به. والذين جاهدوا في رضانا لنهديهم إلى الوصول إلى محل

الرضوان. والذين جاهدوا في خدمتنا لنفتحن عليهم سبل المناجاة معنا والإنس بنا والمشاهدة لنا. والذين أشغلوا ظواهرهم بالوظائف أوصلنا إلى أسرارهم اللطائف والعجب ممن يعجز عن ظاهره ويطمع في باطنه ومن لم يكن أوائل حاله المجاهدة كانت أوقاته موصولة بالأمانى ويكون حظه البعد من حيث يأمل القرب.

والحاصل أنه بقدر الجهد تكتسب المعالي فمن جاهد بالشريعة وصل إلى الجنة ومن جاهد بالطريقة وصل إلى الهدى ومن جاهد بالمعرفة والانفصال عما سوى الله وصل إلى العين واللقاء. ومن تقدمت مجاهدته على مشاهدته كما دلت الآية عليه صار مريداً مراداً وسالكاً مجذوباً وهو أعلى درجة ممن تقدمت مشاهدته على مجاهدته وصار مراداً مريداً ومجذوباً سالكاً لأن سلوكه على وفق العادة الإلهية ولأنه متمكن هاضم بخلاف الثاني فإنه متلون مغلوب وربما تكون مفاجأة الكشف من غير أن يكون المحل متهيئاً له سبباً للإلحاد والجنون والعياذ بالله تعالى.

وفي التأويلات: ﴿لنهديهم سبلنا﴾ أي سبيل وجداننا كما قال: «ألا من طلبني وجدني ومن تقرب إليّ شراً تقربت إليه ذراعاً».

قال الكاشفي: در ترجمه بعضی از کلمات زیور آمده:

أنا المطلوب فاطلبني تجدني أنا المقصود فاطلبني تجدني
اگر در جست وجوی من شتابد مراد خود بزودی باز یابد
وفي «المثنوي»:

کرکران وکر شتابنده بود آنکه جوینده است یابنده بود
در طلب زن دائما توهر دودست که طلب درراه نیکو رهبرست

قالت المشايخ: المجاهدات تورث المشاهدات ولو قال قائل للبراهمة والفلاسفة أنهم يجاهدون النفس حق جهادها ولا تورث لهم المشاهدات قلنا: لأنهم قاموا بالمجاهدات فجاهدوا وتركوا الشرط الأعظم منها وهو قوله: فينا أي خالصاً لنا وهم جاهدوا في الهوى والدنيا والخلق والرياء والسمعة والشهرة وطلب الرياسة والعلو في الأرض والتكبر على خلق الله فأما من جاهد في الله جاهد أولاً بترك المحرمات ثم بترك الشبهات ثم بترك الفضلات ثم يقطع العلاقات تزكية للنفس ثم بالتقني عن شواغل القلب على جميع الأوقات وتخليته عن الأوصاف المذمومات تصفية للقلب ثم بترك الالتفات إلى الكونين وقطع الطمع عن الدارين تحلية للروح فالذين جاهدوا في قطع النظر عن الأغيار بالانقطاع والانفصال لنهديهم سبلنا بالوصول والوصال.

واعلم أن الهداية على نوعين هداية تتعلق بالمواهب وهداية تتعلق بالمكاسب فالتى تتعلق بالمواهب فمن هبة الله وهي سابقة والتي تتعلق بالمكاسب فمن كسب العبد وهي مسبقة ففي قوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ إشارة إلى أن الهداية الموهبية سابقة على جهد العبد وجهده ثمرة ذلك البذر فلو لم يكن بذر الهداية الموهبية مزروعاً بنظر العناية في أرض طينة العبد لما نبتت فيها خضرة الجهد ولو لم يكن المزروع مربى جهد العبد لما أثمر بثمار الهداية المكتسبية. قال الحافظ:

قومي بجهد وجهد نهاندند وصل دوست قومی ذکر حواله بتقدیر میکنند

قال بعض الكبار: النبوة والرسالة كالسلطنة اختصاص إلهي لا مدخل لكسب العبد فيها وأما الولاية كالوزارة فلکسب العبد مدخل فيها فكما تمكن الوزارة بالكسب كذلك تمكن الولاية

بالكسب ﴿وإن الله لَمَعَ المحسنين﴾ بمعية النصرة والإعانة والعصمة في الدنيا والثواب والمغفرة في العقبى. وفي «التأويلات النجمية»: لَمَعَ المحسنين الذين يعبدون الله كأنهم يرونه.

وفي «كشف الأسرار»: ﴿جاهدوا﴾ [درین موضع سه منزل است. یکی جهاد اندر باطن باهوا ونفس. دیگر جهاد بظاهر اعدای دین وفار زمین. دیگر اجتهاد بإقامت حجت وطلب حق وکشف شبهت باشد مر آنرا اجتهاد گویند وهرچه اندر باطن بود اندر رعایت عهد الهی مر آنرا جهد ویند این ﴿جاهدوا فینا﴾ بیان هرسه حالست اوکه بظاهر جهاد کند رحمت نصیب وی اوکه باجتهاد بود عصمت بهره وی اوکه اندر نعمت جهد بود کرامت وصل نصیب وی وشرط هرسه کس آنست که آن جهد فی الله بود تادر هدایت خلعت وی بود آنکه گفت. ﴿وإن الله لَمَعَ المحسنين﴾ چون هدایت دادم من باوی باشم روی بامن بود زبان حال بنده میگوید الهی بعنایت هدایت دادی بمعونت زرع خدمت رویانیدی به پیغام آب قبول دادی بنظر خویش میوه محبت و وفا رسانیدی اکنون سزدکه سموم مکر ازان بازدارى وبنایى که خود افراشته بجرم ما خراب نکنی الهی توضیعفانرا پناهی فاصدانرا برسر راهی واجد انرا کواهی چه بودکه افزایی ونکاهی]

روضة روح من رضای توباد	قبله کاهم در سرای توباد
سرمه دیده جهان بینم	تابود کرد خاکپای توباد
کرهمه رای توفنای منست	کار من برمراد رای توباد
شد دلم ذره وار در هوست	دائم این ذره درهوای توباد

انتهی ما فی «كشف الأسرار» لحضرة الشيخ رشيد الدين اليزدي قدس سره.

هذا آخر ما أودعت في المجلد الثاني. من التفسير الموسم بـ«روح البيان» من جواهر

المعاني.

ونظمت في سلكه من فوائد العبارة والإشارة والإلهام الرباني.

وسيحمله أولو الألباب.

إن شاء الله الوهاب.

ووقع الاتمام بعون الملك الصمد.

وقت الضحوة الكبرى من يوم الأحد.

وهو العشر السابع من الثلث الثاني من السدس الخامس من النصف الأول من العشر

التاسع من العشر الأول من العقد الثاني من الألف الثاني من الهجرة النبوية.

على صاحبها ألف ألف تحية.

وقلت بالفارسية:

چو زهجرت کدشت بی کم وکاست	نه وصد سال یعنی بعد هزار
آخر فصل خزان شد موسم	که نماند ورقی از کلزار
در جمادای نخستن آخر	بلبل خامه دم گرفت از زار
به نهایت رسید جلد دوم	شد بتاریک روز این بازار
جد وجهدی که اوفتاده درین	شد بنوک قلم حقی زار

تم المجلد السادس ويليہ المجلد السابع إن شاء الله تعالى أوله سورة الروم

فهرس السور والآيات

٤٤ الآية : ٤١		
٤٥ الآيات : ٤٢ - ٤٤	٣ الآيتان : ١ و ٢
٤٦ الآية : ٤٥	٥ الآيتان : ٣ و ٤
٤٨ الآية : ٤٦	٧ الآية : ٥
٤٩ الآيتان : ٤٧ و ٤٨	٩ الآيتان : ٦ و ٧
٥١ الآيات : ٤٩ - ٥١	١٠ الآيتان : ٨ و ٩
٥٢ الآية : ٥٢	١١ الآية : ١٠
٥٣ الآيتان : ٥٣ و ٥٤	١٢ الآية : ١١
٥٤ الآيتان : ٥٥ و ٥٦	١٣ الآيتان : ١٢ و ١٣
٥٥ الآية : ٥٧	١٤ الآية : ١٤
٥٦ الآيتان : ٥٨ و ٥٩	١٥ الآية : ١٥
٥٧ الآيات : ٦٠ - ٦٢	١٦ الآيتان : ١٦ و ١٧
٦٠ الآيات : ٦٣ - ٦٦	١٨ الآية : ١٨
٦٢ الآيات : ٦٧ - ٧٠	٢٠ الآيات : ١٩ - ٢٢
٦٤ الآيتان : ٧١ و ٧٢	٢٢ الآيتان : ٢٣ و ٢٤
٦٥ الآيتان : ٧٣ و ٧٤	٢٣ الآية : ٢٥
٦٧ الآيتان : ٧٥ و ٧٦	٢٥ الآية : ٢٦
٦٨ الآية : ٧٧	٢٧ الآيتان : ٢٧ و ٢٨
٦٩ الآية : ٧٨	٢٩ الآية : ٢٩
		٣٢ الآية : ٣٠
	سورة المؤمنون	٣٣ الآية : ٣١
٧٢ الآيتان : ١ و ٢	٣٤ الآيتان : ٣٢ و ٣٣
٧٣ الآيات : ٣ - ٦	٣٦ الآيتان : ٣٤ و ٣٥
٧٤ الآيات : ٧ - ١٠	٣٨ الآيتان : ٣٦ و ٣٧
٧٦ الآيات : ١١ - ١٣	٤٠ الآيتان : ٣٨ و ٣٩
٧٨ الآية : ١٤	٤٢ الآية : ٤٠
٧٩ الآيات : ١٥ - ١٧		

١٢٩ الآيات : ٦ - ٨	٨٠ الآيتان : ١٨ و ١٩
١٣١ الآيتان : ٩ و ١٠	٨٢ الآية : ٢٠
١٣٢ الآية : ١١	٨٣ الآيتان : ٢١ و ٢٢
١٣٦ الآيات : ١٢ - ١٤	٨٤ الآية : ٢٣
١٣٧ الآيتان : ١٥ و ١٦	٨٥ الآيات : ٢٤ - ٢٦
١٣٨ الآيتان : ١٧ و ١٨	٨٦ الآيات : ٢٧ - ٢٩
١٤٠ الآيتان : ١٩ و ٢٠	٨٧ الآية : ٣٠
١٤١ الآية : ٢١	٨٨ الآيات : ٣١ - ٣٣
١٤٢ الآية : ٢٢	٨٩ الآيات : ٣٤ - ٤٠
١٤٤ الآية : ٢٣	٩٠ الآيات : ٤١ - ٤٣
١٤٥ الآيتان : ٢٤ و ٢٥	٩١ الآيات : ٤٤ - ٤٨
١٤٦ الآية : ٢٦	٩٣ الآيات : ٤٩ - ٥٢
١٤٨ الآية : ٢٧	٩٦ الآيات : ٥٣ - ٥٩
١٤٩ الآية : ٢٨	٩٨ الآيات : ٦٠ - ٦٣
١٥٠ الآية : ٢٩	١٠٠ الآيات : ٦٤ - ٦٧
١٥١ الآية : ٣٠	١٠٢ الآيات : ٦٨ - ٧١
١٥٢ الآية : ٣١	١٠٤ الآيات : ٧٢ - ٧٤
١٥٨ الآيات : ٣٢ - ٣٤	١٠٥ الآيات : ٧٥ - ٧٩
١٦٤ الآيتان : ٣٥ و ٣٦	١٠٨ الآيات : ٨٠ - ٨٥
١٧١ الآيتان : ٣٧ و ٣٨	١٠٩ الآيات : ٨٦ - ٩٠
١٧٣ الآية : ٣٩	١١٠ الآيات : ٩١ - ٩٥
١٧٤ الآية : ٤٠	١١٢ الآيات : ٩٦ - ١٠٠
١٧٥ الآيتان : ٤١ و ٤٢	١١٥ الآيات : ١٠١ - ١٠٤
١٧٧ الآية : ٤٣	١١٨ الآيات : ١٠٥ - ١١٠
١٧٨ الآيات : ٤٤ - ٤٦	١١٩ الآيات : ١١١ - ١١٤
١٨١ الآيات : ٤٧ - ٥٠	١٢٠ الآية : ١١٥
١٨٢ الآيتان : ٥١ و ٥٢	١٢٢ الآيات : ١١٦ - ١١٨
١٨٤ الآيات : ٥٣ - ٥٥	
١٨٧ الآيات : ٥٦ - ٥٨	
١٩٠ الآية : ٥٩	
١٩١ الآية : ٦٠	
١٩٢ الآية : ٦١	
	سورة النور
	١٢٣ الآيتان : ١ و ٢
	١٢٥ الآية : ٣
	١٢٧ الآية : ٤
	١٢٨ الآية : ٥

٢٥٥	الآيتان : ٦٣ و ٦٤	١٩٦	الآية : ٦٢
٢٥٨	الآيتان : ٦٥ و ٦٦	١٩٨	الآية : ٦٣
٢٥٩	الآية : ٦٧	١٩٩	الآية : ٦٤
٢٦١	الآيات : ٦٨ - ٧٠	سورة الفرقان	
٢٦٤	الآيتان : ٧١ و ٧٢		
٢٦٨	الآيتان : ٧٣ و ٧٤	٢٠١	الآية : ١
٢٧٠	الآيتان : ٧٥ و ٧٦	٢٠٢	الآيتان : ٢ و ٣
٢٧٢	الآية : ٧٧	٢٠٣	الآيتان : ٤ و ٥
سورة الشعراء		٢٠٤	الآيات : ٦ - ٨
		٢٠٦	الآيات : ٩ - ١١
٢٧٤	الآيات : ١ - ٤	٢٠٨	الآيات : ١٢ - ١٦
٢٧٩	الآيات : ٥ - ٩	٢١١	الآيتان : ١٧ و ١٨
٢٨١	الآيات : ١٠ - ١٣	٢١٢	الآيتان : ١٩ و ٢٠
٢٨٢	الآيات : ١٤ - ١٧	٢١٤	الآيات : ٢١ - ٢٣
٢٨٣	الآيات : ١٨ - ٢٢	٢١٦	الآية : ٢٤
٢٨٥	الآيات : ٢٣ - ٢٦	٢١٧	الآيتان : ٢٥ و ٢٦
٢٨٦	الآيات : ٢٧ - ٢٩	٢١٩	الآيات : ٢٧ - ٢٩
٢٨٧	الآيات : ٣٠ - ٣٥	٢٢٢	الآيتان : ٣٠ و ٣١
٢٨٨	الآيات : ٣٦ - ٣٩	٢٢٣	الآية : ٣٢
٢٩٠	الآيات : ٤٠ - ٤٧	٢٢٤	الآيات : ٣٣ - ٣٦
٢٩٢	الآيات : ٤٨ - ٥٠	٢٢٦	الآيتان : ٣٧ و ٣٨
٢٩٣	الآية : ٥١	٢٢٩	الآيتان : ٣٩ و ٤٠
٢٩٤	الآيات : ٥٢ - ٥٦	٢٣٠	الآيتان : ٤١ و ٤٢
٢٩٥	الآيات : ٥٧ - ٦٠	٢٣١	الآية : ٤٣
٢٩٦	الآيتان : ٦١ و ٦٢	٢٣٣	الآية : ٤٤
٢٩٧	الآيات : ٦٣ - ٦٨	٢٣٤	الآيتان : ٤٥ و ٤٦
٢٩٩	الآيات : ٦٩ - ٧٧	٢٣٦	الآيات : ٤٧ - ٤٩
٣٠١	الآيات : ٧٨ - ٨١	٢٤٠	الآيات : ٥٠ - ٥٢
٣٠٣	الآيات : ٨٢ - ٨٦	٢٤٣	الآية : ٥٣
٣٠٥	الآيات : ٨٧ - ٩٠	٢٤٥	الآيتان : ٥٤ و ٥٥
٣٠٧	الآيات : ٩١ - ١٠٤	٢٤٨	الآيات : ٥٦ - ٥٨
٣١٠	الآيات : ١٠٥ - ١١٠	٢٤٩	الآيتان : ٥٩ و ٦٠
٣١١	الآيات : ١١١ - ١١٨	٢٥٢	الآيتان : ٦١ و ٦٢

٣٦٢	الآيات : ٢٣ - ٢٥	٣١٢	الآيات : ١١٩ - ١٢٢
٣٦٣	الآيات : ٢٦ - ٢٨	٣١٣	الآيات : ١٢٣ - ١٢٦
٣٦٤	الآية : ٢٩	٣١٤	الآيات : ١٢٧ - ١٣١
٣٦٥	الآيتان : ٣٠ و ٣١	٣١٥	الآيات : ١٣٢ - ١٤٠
٣٦٦	الآيتان : ٣٢ و ٣٣	٣١٧	الآيات : ١٤١ - ١٥١
٣٦٧	الآيتان : ٣٤ و ٣٥	٣١٨	الآيات : ١٥٢ - ١٥٦
٣٦٩	الآية : ٣٦	٣١٩	الآيات : ١٥٧ - ١٥٩
٣٧٠	الآية : ٣٧	٣٢١	الآيات : ١٦٠ - ١٦٦
٣٧١	الآية : ٣٨	٣٢٢	الآيات : ١٦٧ - ١٧٥
٣٧٢	الآيتان : ٣٩ و ٤٠	٣٢٣	الآيات : ١٧٦ - ١٨٠
٣٧٥	الآيتان : ٤١ و ٤٢	٣٢٤	الآيات : ١٨١ - ١٨٩
٣٧٦	الآيتان : ٤٣ و ٤٤	٣٢٥	الآيات : ١٩٠ - ١٩٥
٣٧٨	الآيتان : ٤٥ و ٤٦	٣٢٨	الآيات : ١٩٦ - ١٩٩
٣٧٩	الآية : ٤٧	٣٢٩	الآيات : ٢٠٠ - ٢٠٧
٣٨٠	الآيات : ٤٨ - ٥٠	٣٣٠	الآيات : ٢٠٨ - ٢١١
٣٨١	الآيات : ٥١ - ٥٣	٣٣١	الآيات : ٢١٢ - ٢١٤
٣٨٢	الآيتان : ٥٤ و ٥٥	٣٣٣	الآيتان : ٢١٥ و ٢١٦
٣٨٣	الآيات : ٥٦ - ٥٨	٣٣٤	الآيات : ٢١٧ - ٢٢٠
٣٨٤	الآيتان : ٥٩ و ٦٠	٣٣٥	الآيات : ٢٢١ - ٢٢٣
٣٨٥	الآيتان : ٦١ و ٦٢	٣٣٦	الآيات : ٢٢٤ - ٢٢٦
٣٨٧	الآيتان : ٦٣ و ٦٤	٣٣٧	الآية : ٢٢٧
٣٨٨	الآية : ٦٥	سورة النمل	
٣٨٩	الآية : ٦٦		
٣٩٠	الآيتان : ٦٧ و ٦٨	٣٤٠	الآيات : ١ - ٣
٣٩١	الآيات : ٦٩ - ٧٤	٣٤١	الآيات : ٤ - ٦
٣٩٢	الآية : ٧٥	٣٤٣	الآيات : ٧ - ٩
٣٩٤	الآيات : ٧٦ - ٨١	٣٤٥	الآيتان : ١٠ و ١١
٣٩٦	الآية : ٨٢	٣٤٦	الآيات : ١٢ - ١٤
٣٩٧	الآيتان : ٨٣ و ٨٤	٣٤٧	الآيات : ١٥ - ١٧
٣٩٨	الآيتان : ٨٥ و ٨٦	٣٥٥	الآية : ١٨
٣٩٩	الآية : ٨٧	٣٥٧	الآية : ١٩
٤٠٠	الآيتان : ٨٨ و ٨٩	٣٥٩	الآيتان : ٢٠ و ٢١
		٣٦٠	الآية : ٢٢

٤٤٥ الآية : ٥٧	٤٠٢ الآيتان : ٩٠ و ٩١
٤٤٦ الآيات : ٥٨ - ٦٠	٤٠٣ الآيتان : ٩٢ و ٩٣
٤٤٨ الآية : ٦١		
٤٤٩ الآيات : ٦٢ - ٦٤		سورة القصص
٤٥٠ الآيات : ٦٥ - ٦٧	٤٠٦ الآيات : ١ - ٤
٤٥١ الآيتان : ٦٨ و ٦٩	٤٠٧ الآيتان : ٥ و ٦
٤٥٤ الآية : ٧٠	٤٠٨ الآية : ٧
٤٥٥ الآيات : ٧١ - ٧٣	٤١٠ الآيات : ٨ - ١٠
٤٥٦ الآيتان : ٧٤ و ٧٥	٤١٢ الآيتان : ١١ و ١٢
٤٥٨ الآية : ٧٦	٤١٤ الآية : ١٣
٤٥٩ الآية : ٧٧	٤١٥ الآية : ١٤
٤٦٠ الآية : ٧٨	٤١٦ الآية : ١٥
٤٦٢ الآية : ٧٩	٤١٧ الآيتان : ١٦ و ١٧
٤٦٣ الآيتان : ٨٠ و ٨١	٤١٨ الآيات : ١٨ - ٢١
٤٦٥ الآية : ٨٢	٤٢٠ الآية : ٢٢
٤٦٧ الآية : ٨٣	٤٢١ الآيتان : ٢٣ و ٢٤
٤٦٨ الآية : ٨٤	٤٢٣ الآيتان : ٢٥ و ٢٦
٤٦٩ الآية : ٨٥	٤٢٥ الآية : ٢٧
٤٧١ الآيتان : ٨٦ و ٨٧	٤٢٦ الآية : ٢٨
٤٧٢ الآية : ٨٨	٤٢٧ الآية : ٢٩
		٤٢٨ الآية : ٣٠
	سورة العنكبوت	٤٣٠ الآيتان : ٣١ و ٣٢
٤٧٤ الآيتان : ١ و ٢	٤٣١ الآيتان : ٣٣ و ٣٤
٤٧٥ الآية : ٣	٤٣٢ الآية : ٣٥
٤٧٧ الآيات : ٤ - ٦	٤٣٣ الآيات : ٣٦ - ٣٨
٤٧٨ الآية : ٧	٤٣٥ الآيات : ٣٩ - ٤٢
٤٧٩ الآيتان : ٨ و ٩	٤٣٦ الآية : ٤٣
٤٨٢ الآيتان : ١٠ و ١١	٤٣٧ الآيات : ٤٤ - ٤٦
٤٨٣ الآيتان : ١٢ و ١٣	٤٣٨ الآيتان : ٤٧ و ٤٨
٤٨٥ الآيتان : ١٤ و ١٥	٤٤٠ الآيتان : ٤٩ و ٥٠
٤٨٧ الآيات : ١٦ - ١٨	٤٤١ الآيات : ٥١ - ٥٤
٤٨٨ الآيتان : ١٩ و ٢٠	٤٤٢ الآية : ٥٥
٤٨٩ الآيتان : ٢١ و ٢٢	٤٤٣ الآية : ٥٦

٥١٠	الآيتان : ٤٨ و ٤٩	٤٩٠	الآية : ٢٣
٥١٤	الآيات : ٥٠ - ٥٢	٤٩٢	الآيتان : ٢٤ و ٢٥
٥١٥	الآيتان : ٥٣ - ٥٤	٤٩٣	الآيتان : ٢٦ و ٢٧
٥١٦	الآية : ٥٥	٤٩٥	الآيات : ٢٨ - ٣٠
٥١٧	الآيات : ٥٦ - ٥٩	٤٩٦	الآيات : ٣١ - ٣٤
٥١٩	الآية : ٦٠	٤٩٧	الآيتان : ٣٥ و ٣٦
٥٢٠	الآيات : ٦١ - ٦٣	٤٩٩	الآيات : ٣٧ - ٤٠
٥٢١	الآية : ٦٤	٥٠١	الآيتان : ٤١ و ٤٢
٥٢٤	الآيتان : ٦٥ و ٦٦	٥٠٢	الآيتان : ٤٣ و ٤٤
٥٢٦	الآيتان : ٦٧ و ٦٨	٥٠٤	الآية : ٤٥
٥٢٨	الآية : ٦٩	٥٠٧	الآية : ٤٦
		٥٠٨	الآية : ٤٧